

مجلة دراسات في التاريخ والآثار

مجلة علمية محكمة

مجلة دراسات في التاريخ والآثار - جامعة بغداد - كلية الآداب - بغداد
العدد (٩٣) لشهر آيلول لسنة ٢٠٢٤

ISSN:2075-3047

الترقيم الدولي :

البريد الإلكتروني : jasha@coat.uobaghdad.edu.iq

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٦٥) لسنة ٢٠٠٢

مجلة دراسات في التاريخ والآثار – جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد

العدد (٩٣) لشهر ايلول لسنة ٢٠٢٤

عدد الصفحات : ٥٩٤ صفحة

تصميم واخراج

علا صالح الجراح



دار ومكتبة كلكاشم للطباعة والنشر

بغداد – باب المعظم – شارع المكاتب

07729093707 – 07736558370

ola.algarah88@gmail.com

رئيس التحرير : أ.د. وفاء عدنان حميد
مدير التحرير : أ.د. باسمة جليل عبد المعموري

اعضاء هيئة التحرير

أ.د. انعام مهدي علي	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. قصي صبحي عباس	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. عادل شابث جابر	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. عبد الرحمن فرطوس حيدر	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. فاضل مهدي بيات	تركيا
أ.د. حسين القهواني	الاردن
أ.د. مارجريتا فان أيس	المانيا
أ.د. والتر زلابيرجر	المانيا
أ.د. بيتر ميكلوس	المانيا
أ.م.د. فاروق محمد علي	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. ليث مجيد حسين	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. احمد ناطق ابراهيم	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. ميثم عبد الكاظم جواد	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. ماجدة حسو منصور	كلية التربية / جامعة المستنصرية

التصحیح اللغوي للغة العربية: أ.م.د. لمى فائق جميل
التصحیح اللغوي للغة الانكليزية: أ.م.د. سناء لازم حسن

شروط النشر في المجلة

١. ان تتضمن الصفحة الاولى من البحث ما يأتي:
 - أ. عنوان البحث باللغتين الانجليزية والعربية.
 - ب. اسم الباحث باللغتين الانجليزية والعربية ، وشهادته العلمية ، ومؤهلاته، وتخصصه العلمي ومكان عمله.
 - ج. البريد الالكتروني الرسمي للباحث ورقم الهاتف.
 - د. ملخصان احدهما باللغة العربية والاخر باللغة الانجليزية وحجم الخط (١٢) .
 - هـ. الكلمات المفتاحية (الدالة) للبحث باللغتين العربية والانجليزية.
٢. ان يتم طباعة البحث بواسطة الكمبيوتر باستخدام Microsoft Office Word 2010 ان يتم تزويد هيئة التحرير بنسخة الكترونية من البحث بوصفه مجلداً واحداً فقط ؛ ولا يمكن تقسيم البحث على اكثر من مجلد.
٣. ضرورة توثيق متن البحث بالمراجع (الاقتباسات) على وفق نظام (APA)
٤. ان لا يزيد عدد صفحات البحث عن ٢٥ صفحة حجم (A4).
٥. على الباحث دفع رسوم النشر المحددة.
٦. ان يكون البحث خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية والكتابية.
٧. يجب ان تتم طباعة البحث باستخدام برنامج Microsoft Office Word 2010 ووضع المخططات والاشكال ان وجدت في المكان المناسب للبحث وان تكون جيدة من الناحية الفنية للطباعة. وان لا يتم تضمين الرموز في داخل البحث.

٨. ان يلزم الباحث بانواع واحجام الخطوط كما ياتي:
- أ. العربية (Simplified Arabic) حجم الخط (١٤).
- ب. اللغة الانجليزية (Times New Roman) حجم الخط (١٦)
الملخص خط (١٢) . يجب ان تكون جميع صفحات البحث
الاخري الخط (١٤) .
- ج. استخدام معالج النصوص في داخل البرنامج Microsoft
Office Word .
٩. اخطار الباحث المجلة اذا لم يكن البحث مناسباً للنشر في مدة
لاتزيد عن شهرين من وقت وصله الى المجلة.
١٠. يلتزم الباحث بالتعديلات التي يقوم بها الخبراء في البحث على وفق
التقارير المرسله اليه . ويجب اجراؤها في مدة لاتتجاوز (١٥) يوم.
١١. تضاف قائمة اخرى للمصادر مترجمة للغة الاتينية غير مرقمة على
وفق نظام (APA) ومرتبة ترتيباً ابجدياً .
١٢. ملء الاستمارة الخاصة بـ (اتفاقية التلخيص لحقوق الطبع
والنشر) والخاصة بمجلة دراسات في التاريخ والاثار .
١٣. التقديم يكون عبر الموقع الالكتروني للمجلة :
jasha@coat.uobaghdad.edu.iq بعد التسجيل في الموقع
ثم رفع طلب للنشر .

- لاتنشر البحوث التي لا تطبق هذه الفقرات .

رئيس التحرير

فهرس العدد (٩٣)

الصفحة	اسم الباحث	اسم البحث	ت
٣٨-٣	أ.م.د. بشرى طاييس عبد المؤمن	السياسة الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية حيال ألمانيا (١٩٢٤-١٩٥٢)	.١
٦٤-٣٩	م.د. ندى شهاب محمد هديب	دور الولايات المتحدة في الإطاحة بالرئيس الغاني كوامي نكروما في ٢٤ شباط ١٩٦٦ وردود الفعل الدولية .	.٢
٩٠-٦٥	اصالة عادل محمد أ.م.د ميثم عبد الكاظم جواد النوري	الاسرة الرومانية ودورها في التربية والتعليم	.٣
١١٨-٩١	م. د صفاء كاظم عباس	الأطماع الأسرائيلية في مضيق باب المندب ١٩٦٧ - ١٩٩٥	.٤
١٤٦-١١٩	نهلة لطيف خلف أ. د. علاء طه ياسين	تطور العلاقات التركية-السورية ١٩٩٨-٢٠٠٣	.٥
١٧٢-١٤٧	رقية سالم صاحب أ.م.د جمانة محمد راشد	التعاون الامريكى -السعودي لمواجهة انتشار الشيوعية في اليمن الجنوبي ١٩٤٥-١٩٩٠	.٦
١٩٤-١٧٣	علي خير الله خيون أ.د. مثنى فليفل الفضلي	ملاحم من سيرة بني أمية	.٧
٢٢٤-١٩٥	م. أيمن طلعت عبدالرزاق الاستاذة نيشتمان بشير محمد	دو افع الفتح الاسلامي للقسطنطينية - الدافع الديني	.٨
٢٤٤-٢٢٥	اسماء جميل راضي أ.د. عامر حمزة الغريب	اثر الكاهن ودوره في اتخاذ القرار في العراق القديم	.٩
٢٦٨-٢٤٥	م. م أسعد علي سليمان	الصراع على السلطة في العهد القاجاري إبان حكم أغا خان نوري ١٨٥١ - ١٨٥٨	.١٠
٣٠٦-٢٦٩	م.م. ماجد طلال حسن هاشم	أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة	.١١
٣٣٤-٣٠٧	م.م. دعاء حسين كرنوت	ايباك ودورها في رسم السياسة الخارجية الامريكية	.١٢

٣٦٠-٣٣٥	م. د. محمد رشيد غافل سالم	العراق في ظل حكم الاتحاديين ١٩٠٨-١٩١٤	١٣.
٣٨٠-٣٦١	اسراء علي عبد الكريم أ.د. نغم سلام إبراهيم	الجدور التاريخية للصحافة في مصر	١٤.
٤٠٦-٣٨١	جنان كاظم صالح أ.م.د. ابتسام سلمان سعيد	توماس ولزي (١٤٧٣-١٥٣٠ م) ولادته ونشأته وتعليمه	١٥.
٤٢٦-٤٠٧	م. حارث كريم جواد السويداوي	عادات وتقاليد الدفن عند الانباط في ضوء المصادر الكتابية	١٦.
٤٦٤-٤٢٧	م.م شيرين هادي ولي	مجلة ليلي دراسة في الموضوعات الاجتماعية للمرأة العراقية (١٩٢٣-١٩٢٥ م)	١٧.
٥٠٦-٤٦٥	م. د. وسيم عبد الامير وهيب مهدي الحسنواوي	عبد الرحمن الكيالي ودوره السياسي في سورية ١٨٨٧-١٩٦٩ دراسة تاريخية	١٨.
٥٥٠-٥٠٧	محمد خليل إبراهيم عباس القيسي أ.د. كاظم ستر خلف العلاق	عناصر المجتمع المغربي في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين	١٩.
٥٦٤-٥٥١	زينة خالد وهيب أ.د. فاضل كاظم حنون	تولي موواتالي الثاني العرش (١٢٩٥-١٢٧٢ ق.م)	٢٠.
٥٩٤-٥٦٥	م.د. علاء حامد احمد محمود الزوبعي	مدينة بردعة دراسة في احوالها السياسية والاقتصادية والفكرية	٢١.

السياسة الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية
حيال ألمانيا (١٩٢٤-١٩٥٢)

أ.م.د. بشرى طابيس عبد المؤمن

قسم التاريخ - كلية التربية - الجامعة المستنصرية

Email: bushratias@gmail.com

السياسة الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية حيال ألمانيا (١٩٢٤-١٩٥٢)

أ.م.د. بشرى طابيس عبد المؤمن

الملخص:

في وقت كانت القوى الأوروبية منهكة بتبعات الحرب العالمية الاولى، وما لحق بها من دمار من الحرب، فان الولايات المتحدة الأمريكية غدت تمتلك ثلث الرصيد الذهبي في العالم وتنتج نصف الإنتاج العالمي، بفضل تقديم الولايات المتحدة الأمريكية عروض الدعم المالي لدول الاوربية المتضررة من الحروب لمساعدتها في اعادة البناء والاعمار. ومنها تقديم القروض إلى ألمانيا عبر المشروع الأمريكي داووز عام ١٩٢٤، لكي تستطيع اعادة اقتصادها ومن ثم تستطيع دفع التعويضات إلى الحلفاء، ومن بعده جاء مشروع يونغ عام ١٩٢٩، على الرغم من فشله بسبب الأزمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٢٩، كان لاعادة ترتيب دفع التعويضات ايضاً، وعلى مدار اكثر من عشرين عاما في مرحلة ما بين الحربين العالميتين لم تفي ألمانيا بالتزاماتها المادية الخارجية، بل فسحت المجال امام الرأسمال الأمريكي الاجتماع مع الرأسماليين والصناعيين الألمان، ودخول الاستثمار الأمريكي إليها وإلى أوروبا الغربية. فكان العصر الذهبي لازدهار الدولار بفضل تلك الأموال الموظفة في دول أوروبا الغربية، مركز الاستعمار التقليدي، واصبح الاقتصاد الألماني والاوربي على السواء رهينة بالاقتصاد الأمريكي الذي كان انتعاشه وثرائه سببا في الأزمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٢٩. ونجحت الولايات المتحدة الأمريكية من اجتياز الأزمة بنجاح، بينما كان أثرها سيئاً على أوروبا، واطهرت ضعف وهشاشة المنظومة الأوروبية اقتصادياً وسياسياً في ايجاد حلول، وكانت اوروبا اسيرة إلى الفكر الرأسمالي، والدعم المالي الأمريكي، الذي احد نتائجه ظهور انظمة يسارية متطرفة عدائية في مواقفها حيال اقرانها الاوربيين. ان جر النازيين أوروبا إلى حرب عالمية ثانية، عمق الارتباط والتبعية الأوروبية الغربية إلى الهيمنة الأمريكية، فبعد ان قاربت الحرب العالمية الثانية على الانتهاء بهزيمة النازية، عقد مؤتمر بریتون وودز في عام ١٩٤٤ لوضع منظومة سياسية مالية تدير الرأسمالية الاوربية تحت

زعامة أمريكية، وتتلاقى حدوث أزمة اقتصادية يعاني عالم ما بعد الحرب منها. وكان مشروع مارشال لانعاش الاقتصاد الأوروبي عام ١٩٤٧ والذي امتد إلى عام ١٩٥٢ من أهم مشاريع المساعدة الاقتصادية التي تبنته الإدارات الأمريكية المتعاقبة عبر وزارة خارجيتها، لاجل احتضان أوروبا وألمانيا بما كان يضمن الحفاظ على المركز الأمريكي العالمي، ومن عدم الانجراف إلى المد الشيوعي الذي شكل تهديد للقوة الأمريكية.

ومن ذلك الوقت أصبحت ألمانيا تدور في فلك السياسة الأمريكية وقراراتها، اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، وكانت أولى خطواته مشروع داووز عام ١٩٢٤.

الكلمات المفتاحية: مشروع داووز، مشروع يونغ، مشروع مارشال

The Economic Policy of United States American towards German (1924-1952)

Assistant Professor Doctor : **Bushra Tais Abdulmoamen**

Mustansiriya University – College of Education - Department of History

Email: bushratias@gmail.com

Abstract:

At a time when the European Powers were exhausted by the Consequences of World War I, and the Devastation that befell them from the War, the United States of America now possessed the world's triple Golden Balance and produced half of the world's Production. and the United States of America Providing Offers of Financial Support to European Countries Affected by the Wars to help them in Reconstruction , Including providing loans to Germany through the American Dawes Plan in 1924, so that it could restore its economy and then be able to pay compensation to the Allies, and they could to pay off their debts to U.S.A. and after it came the Young Plan in 1929, despite its failure due to the economic crisis, it was to rearrange the payment of reparations too. For more than twenty years in the period between the two world wars, Germany did not fulfill its foreign financial obligations. Rather, it opened the way for American capital to meet with German financiers and industrialists, and for American investment to enter it and Western Europe. Thus, it was the golden age of the dollar's prosperity thanks to the money invested in Western European countries, the traditional center of colonialism, and the German and European economies alike became hostage to the American economy, whose

prosperity and wealth were the cause of the global economic crisis in 1929. The United States of America succeeded in successfully overcoming the crisis, while its impact was bad on Europe, and demonstrated the weakness and fragility of the European system. Economically and politically in finding solutions, Europe was captive to capitalist thought and American financial support, one of the results of which was the emergence of extreme leftist regimes that were hostile in their positions towards their European peers. The Nazis dragged Europe into a second world war, deepening the Western European connection and dependency on American hegemony. After the Second World War was nearing its end, the Bretton Woods Conference was held in 1944 to establish a political-financial system that would manage European capitalism under American leadership, and avoid an economic crisis that might suffer. In the post-war world, the Marshall Plan for the economic revitalization of Europe in 1947, which extended to 1952, was one of the most important economic aid projects adopted by the American administration through its Ministry of Foreign Affairs, and embracing Europe and Germany in a way that ensured the preservation of the American global position, from not being Europe drawn into the communist tide that was spreading, A threat to American power.

Keyboard: Dawes Plan, Young Plan, Marshall Plan

المقدمة:

في الحرب العالمية الاولى، كانت الولايات المتحدة الأمريكية في منأى من دمار الحرب لبعد أراضيها عن ميدان القتال فيها. وهذا ساعد الميزان الأمريكي من ان يحقق فائضاً نقدياً كبيراً وصل إلى ٣ مليار دولار خلال عام من دخولها الحرب ضد المانيا في ٦ نيسان ١٩١٧، والذي جاء من القروض الأمريكية المقدمة لتمويل الآلة الحربية إلى الحلفاء، ومن ارتفاع في حجم صادراتها من السلع والخدمات إلى الدول الأوروبية، ومن عقد اكبر الصفقات التجارية في الولايات المتحدة الأمريكية مما ادى الى تدفق الذهب من أوروبا بكميات كبيرة إلى البنوك الأمريكية المنتشرة في أنحاء الولايات الأمريكية. ووفق آلية مصرفية اتبعتها البنوك الأمريكية، تعتمد على الذهب في دفع الديون المستحقة، وتودعه في البنوك الفيدرالية التابعة لها. والتي بدورها هذه البنوك أصبحت قادرة اكثر على الإقراض وتقديم الائتمان. وبهذه العمليات المصرفية نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في تعزيز رصيدها

الذهبي عالمياً، على حساب أوروبا المنهكة من الحروب (زكي، ١٩٨٧م، الصفحات ٩٧-١٠١).

ومن اجل منع التضخم، وتحقيق الاستقرار النقدي بهدف تقوية الرصيد الذهبي الامريكي تم اتباع سياسة انكماشية عبر خفض كمية القروض ورفع سعر الخصم إلى البنوك، وأيضاً عدم الاعتماد على البنوك للحصول على الموارد المالية للولايات المتحدة الأمريكية، لاجل تستطيع دفع الديون المستحقة عليها بالذهب أو على اساس اسعار صرف ثابتة تضمن بها استمرار دفع معاملاتها الخارجية.

ولكي تصل الولايات المتحدة الأمريكية إلى هدفها استغلت الانكماش الاقتصادي في دول أوروبا بعد الحرب. مع انها كانت تدعي نهج سياسة العزلة في علاقاتها مع الدول الأوروبية منذ القرن التاسع عشر، ولا تتدخل في الامور السياسية الأوروبية، وتعقيدها، لكنها لم تتوان عن التدخل في الامور الاقتصادية في أوروبا، لذلك سعت العمل على تثبيت قيمة العملات الأوروبية على اساس هذا الانكماش، لتحقيق مكاسب كثيرة من ذلك. كما وظفت الولايات المتحدة الامريكية القضية الألمانية على اثر هزيمتها في الحرب لتكون فريسة لسياسة الانكماشية، مستغلة قضية التعويضات الألمانية إلى الحلفاء (بريطانيا، وفرنسا، وبلجيكا، وإيطاليا)، فطالبت من دول أوروبا دفع ديونها بالذهب مع علمها بعدم قدرة أوروبا المدمرة والمنهكة اقتصادياً على ذلك، والنقود المتداولة في أوروبا في تراجع، نتيجة تردي الاسعار والاجور، بسبب العجز عن تسديد ما بذمة أوروبا من ديون* (Strouse, 1999, pp. 57-59). كما ان حاجة أوروبا الى التصدير لاستعادة قدرتها الاقتصادية، اضطرت الاستجابة لمطلب الأمريكي لتسديد ديونها بتصدير بعض ما تملكه من الذهب. ومن جانبهم

* تقدر الديون الأمريكية التي بذمة الحلفاء ١,٩ مليار دولار، وقروض تقدر بحوالي ٤٠٧ مليون دولار عام ١٩١٩، من ضمنها مطالبتها لفرنسا سداد اكثر من ٤٠ مليار فرنك كتعويضات عن المعدات الحربية الأمريكية التي تركت في فرنسا، وهذا المطلب اغضب الفرنسيين، اما بريطانيا لم تلق اي استجابة أمريكية في عدم مطالبتها بالتعويضات ألمانية اذا اسقطت الديون الأمريكية عنها (Strouse, 1999, p. 46)

زاد الحلفاء الأوروبيون ضغطهم على ألمانيا لقبول شروط معاهدة فرساي في ٨ حزيران ١٩١٩ ومنها احتلالهم أراضي الراين (او ما تعرف باللاتيني رينانيا، وهي الاقاليم امتداد غرب نهر الراين، وشملت اجزاء الابلاتينات، وشمال الراين وستفاليا، وهسن)، وهذه الاقاليم تعد مركز الصناعة الألمانية، إلى عام ١٩٣٥، من اجل ضمان دفع المانيا التعويضات * (البناء، ١٩٧٧، صفحة ٣٠٣).

ولم تشارك الولايات المتحدة الأمريكية في مفاوضات التعويضات بسبب رفض الكونغرس الأمريكي مشاركتها في رئاسة لجنة التعويضات، بل عقدت الولايات المتحدة الأمريكية اتفاقية منفردة مع ألمانيا عام ١٩٢١، وترك امر الألمان بيد الناقلين عليها من الأوروبيين وفي مقدمتهم فرنسا التي استولت على الالزاس واللورين ومناجم السار، وفرض الحلفاء الأوروبيين في اجتماع لندن عام ١٩٢١ على المانيا دفع مبلغ ٢٦٩ مليار مارك ذهب، ودفع عيني من فحم، وكيميائيات، وسلع مصنعة مثل معدات السكك الحديدية كتعويضات لمدة تمتد بين عامي (١٩٢١-١٩٦٢)، وبعد احتجاج ألمانيا على المبلغ الذي كان يفوق إمكانياتها، خفض المبلغ إلى ١٣٢ مليار مارك ذهبي، منها ٥٠ مليار مارك ذهبي كسندات بدون قيد أو شرط. ولكن الدفع لم يستمر طويلا، لان العجز النقدي للمارك الالمانى زاد في عام ١٩٢١، وقفز سعر صرف الدولار الأمريكي الواحد مقابل المارك الألماني بشكل كبير من ٤٥ مارك إلى ١٦٠ مارك خلال النصف الاول من عام ١٩٢٣، ووصل النقد المتداولة إلى ٦٠ تريليون مارك في شهر تشرين الثاني، مع طرح ٣٠ تريليون مارك كسندات خزينة قابلة للخصم من قبل البنك المركزي الالمانى، من اجل معالجة الازمة المالية (Strouse, 1999, p. 138). وبما ان دفع التعويضات قائم على اساس قدرة ألمانيا وليس على مطالب الحلفاء، فان تأخر تسليم ألمانيا الفحم والخشب كتعويضات، جعل من الصعب على ألمانيا دفع التعويضات، بالنتيجة اوقف الألمان دفعها. وهذا ما اجبر الحلفاء، من جانبهم، اتخاذ إجراءات بديلة في استحصال اموال التعويضات، فبريطانيا امتنعت عن تسليم اسهم الصناعة الألمانية إلى لجنة التعويضات. اما فرنسا وبلجيكا، كانتا

* تفاوتت نسبة الحلفاء الاوروبيين من التعويضات، كانت نسبة فرنسا ٥٢%، وبريطانيا ٢٢%، وايطاليا ١٠%، وبلجيكا ٨%، و٨% الباقية توزع على الحلفاء.

تريدان الضغط على ألمانيا للاعتراف بالهزيمة في الحرب، وقبول شروط فرساي، لذلك تم احتلال اقليم الرور مركز انتاج الفحم، والحديد والصلب، والصناعة الألمانية في اوائل عام ١٩٢٣، وتحت مبرر حاجتهما إلى الاموال والسلع. وهذا الاحتلال يعني توقف المصانع الألمانية، وزيادة البطالة مما تسبب ذلك في أحداث تضخم، وعجز مالي، وتضاءل الاحتياطي من العملات الاجنبية في البنك المركزي الألماني، مما اضطر الحكومة الألمانية إلى اصدار عملة جديدة (الرينتمارك-Rentenmark) على اساس معيار الذهب، بهدف دفع تأميمات العاطلين؛ واستمر الوضع الاقتصادي سوءاً، واثّر على الوضع الاجتماعي الألماني بشكل كبير، فانتشرت الرذيلة، وبؤر الفساد، والانحلال الاخلاقي، وانتشار الباربات، والقمار في برلين وباقي المناطق ألمانية (البناء، ١٩٧٧، الصفحات ٣٠٢-٣٠٦).

ولاجل اسعاف ومساعد الرأسمال الالمانى، دعا كبار المصرفيين والصناعيين واصحاب القرار في ألمانيا شركائهم من المصرفيين والمستثمرين الأمريكيين، والادارة الأمريكية إلى التدخل لإعادة المفاوضات حول التعويضات، ولايجاد حل لها ومخرج للزمة المالية الألمانية التي احدثها وعقدها احتلال الرور، وبما يحقق الفائدة للطرفين، من تحريك الاقتصاد الألماني. سارع بدورهم اصحاب المصارف الأمريكية وكبار قطاع الاقتصاد البريطاني ممن لهم مصالح اقتصادية في ألمانيا، الضغط على فرنسا لقبول ذلك (Steiner, 2007, p. 104)

وهناك دواعي لهذا التحرك الأمريكي:

١- ان سياسة الانكماش في أوروبا أخذت تنعكس نتائجها على الولايات المتحدة الأمريكية فلم تعد دول أوربية كبريطانيا وفرنسا قادرتين الايفاء بديوانهما اليها وهذا ما لا ترضاه.

٢- الخوف من انتقال حمى التضخم والانكماش الأوربي إلى الاقتصاد الأمريكي، وعجز السوق الأوربية في طلب السلع والبضائع الأمريكية، وبالنتيجة ان تراكم احتياطي الذهب في البنوك الامريكية لم يغن الاقتصاد الأمريكي مع تكديس إنتاجه. (البناء، ١٩٧٧، صفحة ٢٤٦)

٣- ان إبرام الاتفاق الألماني- السوفيتي عام ١٩٢٢، وتنازل الاخير عن مطالبة ألمانيا بأي تعويضات اثار حفيظة الحلفاء من وصول الحزب الشيوعي الألماني إلى السلطة، على الرغم من جهود اصحاب رؤوس الأموال والصناعيين الألمان في منع ذلك، لكن سوء الاوضاع الاقتصادية في ألمانيا خلف ازمات داخلية، واستمرار التضخم المفرط أثار حنق الكثير من الألمان، وتحديدا في صفوف الحركات العمالية والنقابية، وارتفاع اصوات مقاومة احتلال الرور. أعطى مؤشراً خطراً على الوضع الاقتصادي والسياسي الأوربي الرأسمالي المرتبط بالاقتصاد الأمريكية، واخذت الاصوات تتعالى لمن يسعفه (البناء، ١٩٧٧، الصفحات ٢٥٥-٢٥٧).

أولاً: مشروع داوز عام ١٩٢٤ واثره في المانيا:

ووفق تلك الاوضاع المضطربة في اوربا، شكلت لجنة التعويضات برئاسة الكولونيل والمصرفي الأمريكي شارل ج. داوز ما بين شهري نيسان - اب ١٩٢٤، وعلل داوز في تقريره عدم قدرة الالمان على دفع التعويضات لانهم شعب جائع، ومهزوم، ومن غير الصحيح الضغط عليه لدفع التعويضات. لذا وضع مشروع يقدم ضمانات اقتصادية لا سياسية في جعل مصادر التعويضات تشمل الضرائب على الرسوم الكمركية، والكحول، والنبذ، والسكر، ورهن عقاري بفائدة من الصناعات الالمانية بقيمة ٥ مليارات مارك، فضلا عن ايرادات السكك الحديدية بتحويلها الى شركة تحت اشراف الدول الدائنة، ووضع البنك المركزي الالمانى، الذي كان مستقل عن الحكومة الالمانية، تحت اشرافهم ايضاً، لضمان ادخال معيار الذهب، لاجل تثبيت العملة، كضمان في وصول التعويضات الى الحلفاء، مقابل تقديم قرض لالمانيا (النائب، ٢٠٠٣، صفحة ٩٦). وهذا أثار حفيظة الألمان اول الامر. لكن قبول القرض كان يدعم الاصلاح النقدي في المانيا، وهذا جرّها إلى التسوية، والمهادنة في طلب المزيد من القروض. وفعلا، في اجتماع لندن في منتصف شهر اب وضع مشروع داوز، في منح قرض يخفف على ألمانيا دفع التعويضات، وعن طريق اقساط لمدة خمس اعوام، تبلغ مليار في العام الاول إلى ان تصل ٢,٥ مليار في العام الخامس، وبدون وضع سقف زمني نهائي لتسديد (زكي، ١٩٨٧م، صفحة ١٠٢) تلاه اصدار عملة الرايخسمارك Richsmark المدعومة من الحلفاء في ٣٠ اب، لسحب عملة (الرينتمارك)

من السوق تدريجياً، مع منح المانيا قرض بقيمة ٨٠٠ مليون مارك ذهب وبفائدة تقدر بنسبة ٨%، لتكون الراسمال الاساسي للبنك، على ان يتم اصدار نصف القرض كسندات من بنوك وول ستريت في نيويورك بإدارة المصرفي الأمريكي جي بي مورغان*، وتحت إشراف وزارة الخارجية الأمريكية (Strouse, 1999, p. 53)، لتمويل ألمانيا بمختلف المشروعات، وأيضاً لتسدّد ديونها باقساط إلى دائئها من بريطانيا وفرنسا وليتمكنوا بدورهم من دفع ديونهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية. ووفق الشروط المتفق عليها، تدفقت من خلال مشروع داوز الاموال الامريكية إلى المانيا (Steiner, 2007, p. 86).

وهناك نتائج أفرزها مشروع داوز اهمها:

- ١- كان المشروع بداية العلاقة ما بين الصناعة الألمانية وبنوك الاستثمار الأمريكية، وخطوة باتجاه إنشاء شركات متعددة الجنسيات.
- ٢- اصبح تقديم القروض وسيلة أمريكية للتدخل في شؤون العالمية، ومشروع داوز خطوة اولى باتجاه التدخل الأمريكي في الشؤون الأوربي. واصبح للولايات المتحدة الأمريكية حق فرض نظامها النقدي الذي تراه مناسباً على الاقتصاد العالمي.
- ٣- اثبت المشروع الذي كان بمثابة ملتقى مصالح رجال الاعمال والمصرفيين والصناعيين والمستثمرين وصانعي سياسة النظام الرأسمالي، ان العامل الاقتصادي

* مورغان: هو المصرفي الأمريكي جون بيبوت مورغان (١٨٦٧-١٩٤٥)، ومالك اكبر مؤسسة للخدمات المالية والمصرفية، وتعود اصول المؤسسة الى (ال مورغان وشركائه) من عام ١٨٥٤، قدمت ٦٢ مليون دولار إلى الحكومة الفيدرالية الأمريكية عام ١٨٩٠، واصبحت المؤسسة ملك صرف إلى ال مورغان عام ١٨٩٥، اتخذت المؤسسة بناية في وول ستريت في نيويورك كمقر عرف ببيت ال مورغان عام ١٩١٤. وكان مورغان ممول للذخائر وامدادات الحرب العالمية الاولى، وقدم قرض إلى روسيا بحوالي ١٢ مليون دولار، وقرض اخر بحوالي ١٥٠٠ مليون دولار إلى بريطانيا وفرنسا، وحقق القرض عمولة تقدر ٣ بحوالي مليار دولار إلى ال مورغان، كما ادار منح قروض التعويضات الألمانية وعبر الفرع مورغان غوارنت؛ وما زالت مؤسسة مورغان تمارس اعمالها المالية والتجارية لآن. (Strouse, 1999, pp. 103-350).

والربحي الرأسمالي أكثر تأثير من النظم السياسية في العلاقات الدولية، عن طريق فرض سياستهم الاقتصادية على القرار السياسي (زكي، ١٩٨٧م، صفحة ١٠٢) وكان واضحاً في الحالة الفرنسية، فهي الناقمة على ألمانيا، كانت تعاني من انهيار قيمة الفرنك عام ١٩٢٤ بسبب سياستها المالية الخاطئة، وتوقف التعويضات. ولحاجتها إلى مساعدة من حلفائها، ارتأت الاستجابة للضغوط الأمريكية والبريطانية بمجيء حكومة فرنسية أكثر اعتدالاً في مواقفها حيال ألمانيا.

٤- أظهر المشروع مدى التوافق الأمريكي-البريطاني في إيجاد توازن بين ألمانيا وفرنسا، وفي عدم انفراد قوة أوربية في السيطرة على بقية دول أوربا، وأتضح ذلك بضغط الطرفين على فرنسا لتسحب قواتها من الرور. كما وجه هذا التوازن ضربة أيضاً للاتفاق الألماني-السوفيتي وللمد الشيوعي من جهة ثانية (Heyde, 1998, pp. 48-49).

ان استعادة ألمانيا الرور، وفق اتفاقية لوكارنو عام ١٩٢٥*، يعني استعادة الصناعة الألمانية انتعاشها، وهيمنتها على الصناعة الأوربية منذ عام ١٩٢٦. ومنها اخذ الاقتصاد الألماني يتأثر بالنمط الأمريكي فبدأ الاستثمار مع الأمريكيين في الاعمال المالية والصناعية والتجارية، وزاد الاهتمام بالصناعات الكيماوية لتطوير الإنتاج الصناعي، واستخراج الكازولين من الفحم واستخدامه في الطاقة والصناعات الكيماوية مثل المطاط الصناعي والانسجة الصناعية، مما رفع انتاج الفحم من ٨ مليون طن إلى ١٦ مليون طن عام ١٩٢٧، وزاد الإنتاج الصناعي الألماني ٥٠% بين عامي (١٩٢٤-١٩٢٩)، وحقق ذلك انخفاض في البطالة بشكل حاد، وأصبح نصيب ألمانيا من التجارة العالمية أكثر من ٣٤% على ما كانت عليه عام ١٩١٣. بما ضمن ضم ألمانيا إلى المنظومة الرأسمالية

*اتفاقية لوكارنو: وقعت عليها كل من ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وبلجيكا وإيطاليا واتفقوا على ترسيم الحدود فيما بينهم في عام ١٩٢٥، وقبول انضمام ألمانيا إلى عصبة الأمم، وانسحاب الحلفاء من أراضي الراين قبل عام ١٩٣٥، وجعلها منزوعة السلاح، وبهذا الانسحاب فتح المجال امام هتلر لارسال قواته إليها في شباط ١٩٣٦، وبالنتيجة اعادة تسليح تلك الاراضي دون ان يلقي أي تحرك فرنسي وبريطاني معارض لهذا التسليح (البناء، ١٩٧٧، الصفحات ٢٢٨-٢٣٠).

(Link, 1970, pp. 119-120). وبالمقابل، ان خسارة فرنسا الرور أعاق تدفق الفحم إليها، واثّر سلباً على صناعتها، وإعادة أعمارها، وزاد الوضع الاقتصادي فيها سوءاً مما يعني الحاجة المزيد من الأموال، وبالنتيجة عقد حل مسألة التعويضات الألمانية. ولذلك لم يستمر الانتعاش الألماني طويلاً، ما دام لم تحسم قضايا، التعويضات، وانسحاب الحلفاء من كافة الأراضي الألمانية ومنها اراضي الراين. واخذت الفوائد ترتفع ارتفاع يثير القلق، مع عدم امكانية تسديد القروض من الصادرات (Heyde, 1998, pp. 59-61)

اما اثره الايجابي فكان في الجانب الأمريكي، فان تدفق السلع والراسمال الأمريكي إلى دول أوروبا، وكثرة القروض الأمريكية لمساعدة أوروبا الغربية في اعادة الاعمار ما بعد الحرب، حقق زيادة في النمو الاقتصادي الأمريكي الناتج من التوظيف والراسمال، كما حققت السندات والاسهم التي اصدرت لتمويل الاستثمارات في الولايات المتحدة الأمريكية قفزة من ٤ مليار دولار إلى ١٠ مليار دولار مع انخفاض بنسبة البطالة إلى ٩,٩% ما بين عامي (١٩١٩-١٩٢٩)، مع تضاعف بالانتاج الصناعي إلى نسبة ٧٠% عام ١٩٢٩ عن الإنتاج الصناعي عام ١٩١٣، وحقق ذلك نوع من الرخاء الاقتصادي الامريكي (زكي، ١٩٨٧م، صفحة ١٠٨)

ان التباين ما بين نمو رؤوس الأموال في الولايات المتحدة الأمريكية، وبين عدم الاستقرار المالي الاوربي، خلف حافز أمريكي إلى تبني مشاريع اقتصادية أخرى في القارة الأوروبية، لتحقيق فائدة اكبر للميزان النقدي الامريكي، امام العجز الاوربي عن الوفاء بدفع ما بذمته من اموال.

ثانياً: مشروع يونغ عام ١٩٢٩ واثره في التعويضات الالمانية:

ظل الخلاف لألماني- الفرنسي السمة البارزة والمؤثرة على القضية الألمانية، فمع ان هدف الألمان في قبول معاهدة لوكارنو عام ١٩٢٥ العودة إلى المجتمع الدولي عبر المشاركة الالمانية في العمل السياسي كدولة مساوية لباقي الدول الأوروبية الاخرى، ومنع فرنسا القيام بأي تدخل عسكري في الأراضي الألمانية مستقبلاً؛ وشجع ترسيم الحدود بين الطرفين ألمانيا، إلى مطالبتها من فرنسا اجلاء قواتها من اراضي الراين، لكن الوضع

الاقتصادي الاوربي صعب غير قابل التحمل، لذلك ربطت فرنسا التعامل مع ألمانيا، طالبت بحل قضية التعويضات، بعد تعرض الجنيه الاسترليني إلى ضغوط وتضخم جعلها مثقلة بالديون ما بعد عام ١٩٢٥. وبما ان مشروع داوز لم يحسم قضية التعويضات بشكل نهائي، ولم يحدد كيفية الدفع بعد خمس اعوام، وتمادت المانيا في الامر بهدف الحصول على تنازلات اكثر من الحلفاء، بما ان القروض حققت انتعاش اقتصادي، وزادت من القوة الانتاجية الالمانية. لكن في عام ١٩٢٨ حان موعد استحقاق الدفعة الأولى من السندات الامريكية، التي تعذرت ألمانيا بعدم امكانية التسديد مرة أخرى. ولانها وجدت نفسها تعتمد بشكل كبير على الراسمال الاجنبي، وبما انها استوفت جميع مدفوعاتها بمشروع داوز، ولم تتمكن من تحقيق الفائض التجاري اللازم لتمويل التعويضات، لذا طالبت بخطة مشروع جديد نهائي في اجتماع لاهاي في ايار ١٩٢٩، وتم اعداد مشروع أمريكي اخر، كان ممكن حسم قضاياها في مشروع داوز (النائب، ٢٠٠٣، صفحة ٩٧). وقدم رئيس شركة جنرال الكتريك، المحامي والمستشار الأمريكي اوين د. يونغ مشروع في ٧ حزيران ١٩٢٩ تضمن: تنظيم دفع التعويضات الألمانية البالغة ٣٦ مليار مارك مع الفائدة، مقابل منح السيادة المطلق لالمانيا على اراضيها، باجلاء الحلفاء من اراضي الراين في منتصف ١٩٣٠، وجعلها منطقة منزوعة السلاح. وعن طريق اصدار المزيد من السندات الأمريكية إلى المانيا، مع خفض المدفوعات الألمانية باقساط سنوية قدرت بحوالي ١,٧ مليار مارك من مجموع المدفوعات التي بذمتها والبالغة ١١٢ مليار مارك، على ان يسدد الدين كحد اقصى عام ١٩٨٨. وان يتكفل بنك التسويات الدولية توزيعها بين الحلفاء - (Heyde, 1998, pp. 70-72).

لكن المشروع فشل بسرعة، مع ان المانيا منحت قرض بقيمة ٢٩ مليار مارك بشكل قروض قصيرة الاجل، لان الازمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٢٩ * سببت

* حدثت الازمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٢٩ بعد ان اقدم المساهمون في الشركات الكبرى على طرح ١٣ مليون سهم في بورصة وول ستريت في نيويورك في ٢٤ تشرين الاول ١٩٢٩، للبيع بكثافة وادى ذلك إلى هبوط اسعار الاسهم بشكل حاد لأنها لم تجد مشتريين ففقدت قيمتها، مما ادى إلى الإفلاس وتسريح العاملين وانتشار البطالة. وبدأت المعالجة بسحب الودائع من المصارف العالمية وتحديدًا

بسحب الكثير من الاموال الامريكية من الخارج. واثّر ذلك سلباً على الوضع الاقتصادي الالمانى، لأسباب:

١- فرض المشروع تسديد القروض الأمريكية باقساط بسبب وجوب دفع التعويضات الباهظة إلى بريطانيا وفرنسا، وهذا كان سبباً في طلب قروض جديدة لتسدّد فوائد قروض قديمة. أي القروض لم يكن بالامكان استثمارها في ألمانيا استثماراً طويلاً، بما يحقق الاستقرار الاقتصادي. وما عقد الوضع، تراجع القروض الأمريكية المقدمة لالمانيا من مليار دولار عام ١٩٢٨ إلى ٢٢١ مليون دولار عام ١٩٢٩، بسبب تزايد المضاربات بالاموال الأمريكية بقروض قصيرة الاجل، وفي مشروعات خاصة بسبب التسابق على الربح والثراء السريع، في اعوام الرخاء الأمريكي الذي امتد بين عامي (١٩٢٠-١٩٢٨) بسبب زيادة في الإنتاج الصناعي الأمريكي، وفي الأوراق المالية المتداولة في السوق الأمريكي مما انعكس سلباً على الوضع المالي الألماني (البناء، ١٩٧٧، الصفحات ٢٢٨-٢٣٠).

٢- ركزت الحكومة الالمانية بشكل مفرط على القروض بدل من اتخاذ تدابير واصلاحات داخلية، حتى ان القروض لم توظف في خدمة الاقتصاد الألماني بل جعلته يتأثر بشكل كبير بالاقتصاد الأمريكي، وحجم القروض الأمريكية الكبير المقدمة إلى الشركات الألمانية، كانت لمشاريع مالية وتجارية، مما دفع الحكومة الالمانية إلى تقليص في المشاريع الصناعية بسبب العجز، مع فرض ضرائب ارهقت الطبقة الفقيرة، ورفض الحكومة منح تامينات البطالة إلى المعارضة (Heyde, 1998, pp. 70-72).

الأوربية. والرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت، الذي تولى الرئاسة الأمريكية بين عامي (١٩٣٣-١٩٤٥)، تبنى سياسة العهد الجديد عام ١٩٣٣، لأجل معالجة الأزمة، منها طرح مشاريع إنمائية واجتماعية كبيرة، لسحب البطالة، وتشغيل اكبر عدد من العاطلين عن العمل، واصدار قوانين تمنع البنوك من التعامل بالأسهم والسندات، مع انشاء مؤسسات لرعاية العاطلين، واصدار قوانين الإصلاح الزراعي، وأخرى للإصلاح الصناعي، وإنشاء لجنة تبادل الاوراق المالية، مع تخفيض قيمة الدولار لتنشيط التجارة الأمريكية (الكيم، ٢٠١٨، الصفحات ٣٦٧-٣٨٠).

٣- فرض المشروع ان تكون المدفوعات الألمانية بمعيار الذهب، في وقت اهمل مستوى معيشة الألمان مما اثار استياء شعبي ضده. وظهر عجز في الموازنة بين المدفوعات والإيرادات الألمانية.

٤- والنقطة الأساسية التي اثرت سلباً على الوضع الاقتصادي الألماني، متمثلة في توسع الاصدار النقدي من اجل تمويل النفقات الباهظة، لان اكثر الدول التي تتهج هذه السياسة النقدية المستقلة في الاصدار النقدي، هدفها الاول ايجاد استقرار اقتصادي داخلي. وهذا مناقض لقاعدة الذهب التي تفرض اجراء صارم في الصرف النقدي يتوافق مع كمية الذهب المخزون. وهذا احد اسباب الأزمة المالية لعام ١٩٢٩، وان ما دعم عملة المارك في انعاش الاقتصاد الألماني بين عامي (١٩٢٤-١٩٢٩)، جاء من القروض الأمريكية الكبيرة المقدمة لالمانيا، لكن لم تعد للعملة قيمة بسبب تفاقم المشكلات الاقتصادية، التي ادت إلى التضخم، مما قلل من الرصيد الاحتياطي من الذهب. (زكي، ١٩٨٧م، صفحة ٣٤٣).

فضلا عن ما سبق، ان العجز الاقتصادي والمالي في أوروبا ما بعد الحرب العالمية الاولى، كان احد اسباب الازمة الاقتصادية وانهيار السوق المالي الأمريكي عام ١٩٢٩، لارتبط احدهما بالآخر. ومع ذلك جاء الحل الأمريكي لإسعاف اقتصاده دون الاقتصاد الأوروبي، عبر رفع التعريفية الكمركية لحماية المنتج المحلي، وحجب القروض المالية الأمريكية عن أوروبا، (التي كانت تشجع دول اوربا على طلب المزيد منها، لان القروض الامريكية كانت تقدم بدون فرض شرط او قيد عليها، مما سمح لأي دولة تقترض من الولايات المتحدة الأمريكية ان تتصرف بالقروض بحرية) (بكري، ٢٠١١م، الصفحات ١٥٠-١٥٢).

وبدورها الدول الاوربية حاولت معالجة الأزمة في نهج سياسة الاكتفاء الذاتي، مع تشجيع صادراتها، وتقعيد ما تستورده بقيود تجارية، ومع تراجع القروض الأمريكية تدنت المدفوعات الحكومية. كل ذلك انعكس اثره السلبي على التبادل التجاري الأمريكي - الأوروبي، فمع انخفاض الصادرات الأمريكية من ٥,٥ مليار دولار عام ١٩٢٩ الى ١,٢ مليار دولار عام ١٩٣٣ (الشيباني، ١٩٤٩، صفحة ١٨)، تراجع التبادل التجاري بين الطرفين من نسبة ٢٩-٣٠ % بين عامي (١٩١٩-١٩٢٩) إلى نسبة ٢٣% بين عامي (١٩٢٩-١٩٣٩)

من اجمالي التبادل التجاري العالمي، لان الفائض الأمريكي تدنى من ١٠,٥ مليار بين عامي (١٩١٩-١٩٢٩) إلى ٤,٥ مليار بين عامي (١٩٢٩-١٩٣٩)، وانعكس في انخفاض الاستثمار الأمريكي من ١٥ مليار بين عامي (١٩١٩-١٩٢٩) إلى ١٠ مليار بين عامي (١٩٢٩-١٩٣٩)، مما زاد من تدهور السوق الأوربي، وبسرعة كبيرة في معدلات الاستثمار، وحجم الإنتاج الصناعي، والنمو، والأسعار، ومعدلات الربح، مع تكديس السلع، وسحب رؤوس الأموال الأجنبية، كل ذلك سبب في زيادة اعداد العاطلين عن العمل، ففي ألمانيا قفز عددهم من مليوني عاطل عام ١٩٢٨ إلى ٥,٦ مليون عاطل عام ١٩٣١، مما رفع اصوات المعارضة ضد الحكومة، وايضا، دفع ألمانيا الى وقف التعويضات المفروضة عليها عام ١٩٣١ (البديري، ٢٠٠٩، صفحة ٣٥).

اما قضية تعويضات ألمانيا فلم تحسم لسببين: (زكي، ١٩٨٧، ص ٣٣٠).

١- تركت مسألة التعويضات ازمة سياسية اكثر من أزمة اقتصادية على الوضع الألماني: فالملاحظ انتعاش الاقتصاد الألماني بين عامي (١٩٢٤-١٩٢٩)، وكانت القروض الألمانية تصل ما بين (٨-٣٥) مليار دولار خلال عامي (١٩٢١-١٩٣١) في حين دفعت ألمانيا ٢١ مليار دولار خلال تلك المدة كتعويضات، أي انها اقترضت من الولايات المتحدة الأمريكية اكثر مما دفعته من تعويضات، كما حاول شركائها الاوربيين من جانبهم تخفيف القيود الاقتصادية على ألمانيا بهدف تمكينها من دفع التعويضات، لذا عملت بريطانيا على دمج ألمانيا في التجارة الأوربية، حتى ان العلاقة التجارية بين ألمانيا وفرنسا نمت بشكل كبير بعد مشروع داووز وبلغت السلع الألمانية نسبة ٦٠% من الواردات الفرنسية (Boemeke, Feldman, & Glaser, 1998, pp. 420-422).

ووفق ذلك كان بالإمكان تسوية قضية التعويضات، ما دام هناك نوع من الاستقرار الاقتصادي الاوربي بفضل القروض. لكن سياسة ألمانيا في عهد حكومة

فايمار (١٩١٨-١٩٣٣)* الرامية إلى عدم دفع التعويضات خلقت أزمة سياسية، لان الجدل السياسي مع الحلفاء حول التعويضات خلق جدل في الداخل الألماني، فضلا عن تراكم المشاكل الاقتصادية مما اثر على الوضع السياسي. مما ادى إلى بروز قوى معارضة للحكومة من احزاب ونقابات وجمعيات تابعة لليمين المتطرف، ومنها الحزبين النازي، والشيوعي، اربكت الوضع الألماني، مستغلة أزمة التعويضات لتجعل منها قضية قومية كان ممكن ان تتلافها حكومة فايمار (البناء، ١٩٧٧، الصفحات ٢٤٥-٢٥٠).

٢-الضغط الأمريكي في مسالة استعادة الديون من دول أوروبا الغربية: فخلال الأزمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٢٩، تم اغلاق البنوك الأمريكية امام الشركات الفرنسية لعدم سداد فرنسا ديونها، وهذا دفع فرنسا بدورها إلى مطالبة المانيا بالتعويضات. ولصعوبة الأزمة المالية دعت ألمانيا والنمسا من جانبهما اقامة اتحاد كمركي بينهما لتقليل من اثار الأزمة، دون جدوى، بسبب معارضة فرنسا؛ كما قرر الرئيس الأمريكي هربرت هوفر (١٩٢٩-١٩٣٣) في اواخر حزيران ١٩٣١ ايقاف مشروع يونغ في تسديد الديون الأمريكية مؤقتاً لمدة عام (Boemeke, Feldman, & Glaser, 1998, p. 429) ، وهدفه من ذلك، الحفاظ على رؤوس الأموال الأمريكية المستثمرة في ألمانيا، وابقاء الاسواق الالمانية مفتوحة امام تدفق البضائع الأمريكية، لكن كتب لفكرته الفشل بسبب المعارضة الفرنسية لها. وبسبب الأزمة اضطرت ألمانيا الى اغلاق البنوك في شهر تموز، وحظر تحويل العملات الأجنبية إلى الخارج، مما اضر بالمستثمرين في القطاع الخاص من الأمريكيين والبريطانيين. وفضلا عن ذلك، فرض بريطانيا ضرائب كمركية ما بين (١٠% - ٣٣%) اضر

بعد تنازل الامبراطور الالمانى فيلهلم عن الحكم في ٩ تشرين الثاني ١٩١٨ بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الاولى، اجتمع ممثلوا الشعب الألماني في مدينة فايمار الواقعة في وسط ألمانيا في عام ١٩١٩ لصياغة دستور الجمهورية الالمانية الجديد، ولتشكيل حكومة. وكان هتلر اول من اطلق تسمية حكومة فايمار عام ١٩٢٩. (البناء، ١٩٧٧، الصفحات ١٤٠-٣٠٥).

بالمصادرات الألمانية التي كانت تدخل بريطانيا دون ضرائب، واستمرت تداعيات الأزمة إلى أن أعلن البنك المركزي الألماني إفلاسه في تشرين الأول ١٩٣١ (البيديري، ٢٠٠٩، صفحة ٣٦).

هذا الإفلاس زاد من ضغط الحلفاء لاجل استرداد ديونهم التي بذمة ألمانيا، مما عقد قضية التسوية الألمانية، وبما أن ألمانيا دفعت ٣٦,١ مليار مارك من أصل ١٣٢ مليار من التعويضات، وما دام ليس هناك نقد اجنبي كافي لدفع التعويضات، طرح الجانب الأمريكي-البريطاني إلغاء التعويضات الألمانية بشكل نهائي في مؤتمر لوزان عام ١٩٣٢. وكان الهدف الأمريكي من هذا استعادة ديون القطاع الخاص التي اقترضها لأمانيا. لأنه زاد الدين العام الأمريكي إلى نسبة ٥٠% عام ١٩٣٣، ومعها زاد عدد المضاربين الأمريكيين في مشاريع استثمارية بدعم حكومي*. لكن فرنسا، من جانبها، طلبت خفض التعويضات الألمانية إلى ٣ مليارات مارك ذهبي ترسل كسندات إلى بنك التسويات الدولية لتغطية مشاريع الاعمار في أوروبا، وان تقدم مبلغ ٨٢ مليون مارك كمواد اولية لمشاريع الاعمار الفرنسية، مقابل التخلي بشكل نهائي عن التعويضات، لان اقتصادها غير قادر على تسديد ما بذمتها من الديون. وسط هذا الجدل الدولي، استخدم الحزب النازي الاستفتاء حول مشروع يونغ وقضية التعويضات في دعاية الترشيح إلى رئاسة الحكومة، وطغت النزعة القومية على تلك الانتخابات، بوصف التعويضات جريمة ضد الامة الألمانية، ومن خلالها نجح الحزب النازي في الوصول إلى السلطة في ألمانيا في عام ١٩٣٣ (Baker, 2002, pp. 146-176). ومن جانبها، اصرت فرنسا الربط بين مسألة الديون وبين التعويضات الألمانية حسب الاتفاقيات. وبالنتيجة زاد التوتر بين فرنسا وألمانيا، فاعلنت الحكومة النازية الانسحاب من اتفاقية لوكارنو عام ١٩٢٥، وإيقاف دفع التعويضات، الا انها استمرت في دفع فوائد حاملي سندات التعويضات حتى عام ١٩٣٩. وقررت اعادة تسليح اراضي الراين،

*بفضل برنامج العهد الجديد الذي طرحه الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت عام ١٩٣٣، زادت القروض الحكومية الممنوحة إلى المستثمرين الأمريكيين مما أدى إلى ارتفاع عدد المضاربين في شراء اسهم القطن وسندات الدين الوطني وسندات استخراج النحاس، لنهوض بالاقتصاد الأمريكي، وفعلا بفضل ذلك انتعشت حركة التجارة في بنوك وبورصة نيويورك (الكيم، ٢٠١٨، الصفحات ٣٧٥-٣٧٦).

قلب الصناعة والتسلح الألماني، ولمعالجة الأزمة الاقتصادية تم اتباع سياسة الاكتفاء الذاتي في التعامل التجاري، كل ذلك عمق التوتر في أوروبا وادى إلى نشوب الحرب العالمية الثانية (دروزيل، ١٩٦٦، الصفحات ٢٢٤-٢٣٠).

اما الجانب الأمريكي، فانه زاد من الضغط على دول أوروبا لاسترجاع ديونه منها بعد الأزمة الاقتصادية عام ١٩٢٩، حتى انه رفض خفض اقساط ديون الحلفاء، لان منها كان يذهب إلى القطاع الخاص الأمريكي. وبما ان التعويضات وديون الحرب كانت تتحمل دفعها الحكومات الأوروبية، فأصبح بمرور الوقت قيمة التعويضات الألمانية التي تدفع إلى الحلفاء لا توازن الديون الأمريكية المرتفعة التي بذمة الحلفاء. لذلك تم فرض مجموعة من القوانين الأمريكية منها قانون جونسون عام ١٩٣٤، في عدم إقراض أي دولة ما لم تسدد ما بذمتها من ديون سابقة، ثم جاء فرض قوانين الحياد (١٩٣٥-١٩٣٧) على مشتري الأسلحة شرط الدفع نقداً، وتأمين النقل في مبيعات الأسلحة إلى دول في حالة حرب، وسيلة من اجل استرداد تلك الاموال من الدول الاوربية. (لوفابغر، ٢٠٠٦، الصفحات ٣٢-٣٥).

وما كان يعزز من الموقف الامريكي، قوة الرصيد المالي الأمريكي امام نظيره الاوربي، وزيادة رصيد الدولار امام الذهب، بعد تراجع بريطانيا التي كانت المركز الرئيسي للذهب، لان الجنيه الاسترليني كان يعاني من تضخم اعلى من قيمته الحقيقية، وتأثره بأزمة عام ١٩٢٩، جعل بريطانيا مثقلة بالديون المتركمة بين عامي (١٩٢٥-١٩٣١)، ولم يعد الجنيه الاسترليني قابل التحويل إلى الذهب عام ١٩٣٤، مما افقد قيمته. فانهار النظام المصرفي بعد استنزاف الذهب من المخزون الاوربي ومنه الألماني إلى المصارف الأمريكية لسداد ما بذمتهم من ديون والبالغة قرابة ١٠مليار دولار، أي ثلث ذهب العالم. بذلك حافظ الدولار على قيمته امام الذهب، وأصبح العملة الوحيدة قابلة لتحويل إلى الذهب، وبذلك تحولت الولايات المتحدة الأمريكية من دولة مدينة لاوروبا إلى اكبر دولة دائنة، ثم اكبر مركز مالي عالمياً. (عبد السلام، ٢٠٠٧، صفحة ١١٠).

وهذا يفسر ان السياسة الاقتصادية الأمريكية بعد الحرب العالمية الاولى، حققت نجاح في زيادة النشاط التجاري الأمريكي في منطقة أوروبا من وراء مشاريع التعويضات،

حتى جنت ثمارها في تصدر الرصيد النقدي والاقتصادي عالميا. واستغلال الازمات الدولية في المضاربة بالاموال، عبر الاستثمار وتقديم القروض، بفوائد مرتفعة. فكانت احد اهم ركائز الاقتصاد الأمريكي، وجزء من السياسة الخارجية الأمريكية.

• بنك التسويات الدولية واثره في القضية الالمانية بعد مشروع يونغ (١٩٣٠-١٩٤٥):

لم تجد سلسلة الأزمات الاقتصادية في أوروبا، حلول فعلية، لعدم تناسب الأموال الأمريكية المقدمة بفائدة عالية مع حجم الخراب والدمار الذي تركته الحرب على أوروبا بعد عام ١٩١٨، و بريطانيا كسائر دول أوروبا، كانت تعاني من صعوبات اقتصادية، ومثقلة بالديون بعد عام ١٩٢٥، وحاولت عن طريق التعويضات تسديد جزء من تلك الديون. لذلك دعا بنك لندن إلى اجتماع لحل مسألة التعويضات الألمانية مرة أخرى، وفعلا اجتمع محافظي اربع بنوك بشكل غير رسمي في الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٢٧، واتفقوا، ان تحول ألمانيا دفع تعويضاتها السنوية إلى بنك التعويضات أو ما عرف بـ(بنك التسويات الدولية)* (Baker, 2002, pp. 134-136)، ومن ثم توزع على مختلف دائني

* مجلس رئاسة بنك التسويات الدولية كان يتألف من خمس أعضاء كانوا ينتخبوا كل خمس اعوام، (ممثلين بعضوين من الدول التي تدين ألمانيا، وعضوين من ألمانيا، وعضو من احد الدول الاعضاء)، انشاء برأسمال قدر ٥٠٠ مليون فرانك سويسري ذهبي، في سويسرا عام ١٩٣٠، كان اعضاء المؤسسات المالية في نيويورك وليس بنك الاحتياطي الفيدرالي من يمثل الولايات المتحدة الأمريكية في البنك، اما أعضاء الدول الباقية كانوا ممثلين بمحافظ البنك المركزي الوطني. امتيازاته: معفي من الضرائب، والاشراف المصرفي السويسرية، تتمتع ادارته العليا بوضع دبلوماسي، وحصانة من نزع الملكية، أو الاستيلاء والمصادرة أو تقييد الملكية، وهو مؤسسة مستقلة بحسب اتفاق الاعضاء الاساسين من الأمريكيين والبريطانيين وألمان، وانطوى في عضويته اهم الشخصيات السياسية امثال الاخوين الامريكيين المصرفي، ورئيس المخابرات المركزية الأمريكية في سويسرا الان فوستر دالاس، واخيه محامي البنك، ورئيس مركز الابحاث الخاصة، ومسؤول العلاقات في وزارة الخارجية الأمريكية جون، والذي اصبح بعدها وزيراً للخارجية الأمريكية خلال عامي(١٩٥٣-١٩٥٦)، والالمانى النازي ورئيس البنك توماس ماكيتريك، صانع النظام المالي بريتون وودز، والمتهم بجرائم الخيانة العظمى، وارادت

ألمانيا (أي ان يكون البنك وصيا على التعويضات الألمانية)، مع تسهيل التحويلات الألمانية عبر اصدار السندات والاوراق النقدية والكمبيالات، وخدمة البنوك المركزية عن طريق اخذ ودائعها، ومنحها الائتمانية، واجراء المعاملات بالعملة بدلا عن الذهب، وتم فرض آلية دفع التعويضات هذه ضمن مشروع يونغ عام ١٩٢٩. (Baker, 2002, pp. 140-142)

وعلى الرغم من ايقاف ألمانيا التعويضات عام ١٩٣١، والتي لاجلها أسس البنك، استمر البنك في عمله وتطوير نظامه المصرفي، والاستثماري، وبدعم الادارة الأمريكية، فوسع رجال أعمال المؤسسات المالية في نيويورك في نشاط اعمالهم التجارية والمالية مع ألمانيا، وزادت عدد البنوك المنطوية في البنك، واصبح مؤسسة لتعزيز العمل بين البنوك المركزية، والتجارة العالمية، والتبادل المالي الحر، وبما يحقق استقرار في سعر الصرف لضمان استمرارية النظام الرأسمالي، والحد من انتشار النظام الشيوعي الاشتراكي عالميا (Kent, 1989, pp. 303-325).

ومع كونه مؤسسة مالية مستقلة، وحيادية، لكنه اصبح بنكاً خاضعا لسيطرة المالية الألمانية في ايام الحكم النازي (١٩٣٣-١٩٤٥)، وبعلم الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وحتى فرنسا. مادام تصل الفوائد من الألمان وبالاخص فوائد اقساط القروض الأمريكية عبر البنك، وعلى الرغم من فضائح النظام النازي استمر التعامل ما بين الالمان والبنك، بل كان مكان لايداع الاموال والاملاك المصادرة من قبل النازيين، منها إيداع الذهب النمساوي في البنك بعد ضم النازيين النمسا إلى ألمانيا عام ١٩٣٨. وأودع بنك المركزي الالمانى ٢٣ طناً من الذهب التشيكي في بنك التسويات الدولية، بعد الاحتلال النازي إلى تشيكوسلوفاكيا في عام ١٩٣٨. وكل ما كان مصادر من قبل النازيين من املاك سجناء أو من اراضي محتلة، اودع في البنك تحت مسمى سداد التزامات ألمانيا، وفق مشروع يونغ (Le Bor, 2013, p. 107; Heyde, 1998, pp. 66-76).

الادارة الأمريكية تصفية البنك عام ١٩٤٤، وخرجت من المشاركة فيه عام ١٩٤٥، واستمر رسميا، بعد نجاح بريطانيا في معارضة تصفيته عام ١٩٤٨. (Le Bor, 2013, pp. 50-121).

وبذلك فإن البنك كان مشروع لتحريك اقتصاد القوى الرأسمالية، وليس لتسوية التعويضات التي لم تحسم الا في عام ١٩٥٣.

• السياسة الاقتصادية الأمريكية بعد عام ١٩٤٥:

تم فرض سياسة اقتصادية أمريكية جديدة، اكثر مركزية، تحت النفوذ الامريكي، تلافياً لأخطاء التي ادت إلى الازمة الاقتصادية عام ١٩٢٩، وتداعياتها، لذلك قامت في اعداد منظومة تدير الاقتصاد العالمي، وتقوي الرصيد الأمريكي في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، بعد ان بلغت قيمة الذهب المتدفق إلى الولايات المتحدة الأمريكية من أوروبا، المدينة، وبحاجة إلى التسلح، قرابة ٩٩٩١ مليون دولار أي ثلث ذهب العالم، ووصل الناتج القومي الأمريكي ٥٠% من الناتج العالمي (زكي، ١٩٨٧م، صفحة ١٦٧). اوجب عليها وضع إستراتيجية تترأس زعامة المنظومة الرأسمالية:

١- وضع نظام نقدي في مؤتمر بريتون وودز في نيوهامشير في عام ١٩٤٤، وجعل من سعر الدولار ثابت مقابل الذهب وحدد سعره ٣٥ دولار للأوقية الواحدة من الذهب، وبالتالي يكون الدولار اساس في تحديد باقي اسعار العملات العالمية* (فولفو، ٢٠١٦، صفحة ٢٠). واوجد نظام مصرفي مقارب لنظام بنك التسويات الدولية، من خلال انشاء صندوق النقد الدولي (الذي تملك الولايات المتحدة الأمريكية نسبة ١٧% من اسهمه) الموجه لتثبيت اسعار الصرف الدولي وتقوم الدول المشتركة فيه ايداع جزء من الذهب اضافة إلى عملتها الوطنية، وتقوم الدول بسحب العملات الأجنبية منه لمواجهة العجز النقدي. كما تكفل صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير ومقرهما في واشنطن بتقديم القروض، والمنح، والمساعدات الاقتصادية

* في مؤتمر بريتون وودز طرحت مشاريع عدة في وضع سياسة مالية تعالج المشاكل الاقتصادية التي سوف يعاني عالم ما بعد الحرب، وقدم اللورد البريطاني جون كينز خلال المؤتمر مشروع اتحاد المقاصة الدولية يوفر إلى الدول التي تعاني من عجز في ميزان المدفوعات امكانية الحصول على سيولة خارجية مع استحداث عملة احتياطية (البانكور). لاقى مشروعه الرفض، بينما مشروع الاقتصادي الأمريكي هاري دي وايت الذي جعل الدولار سعره ثابت محدد امام الذهب، من الطبيعي ان يلقى القبول، لقوة الاقتصاد والقرار الامريكي (فولفو، ٢٠١٦، الصفحات ١٨-٢٠).

والعسكرية، وأيضاً، منح قروض لاغراض دعم وتنمية القطاع الخاص المحلي الأجنبي، وبما يخفض من دور الحكومات في الإنتاج. (مردان، ٢٠١٤، صفحة ٥٨).

٢- اعتماد الولايات المتحدة الأمريكية على سياسة المساعدات الاقتصادية بوصفها وسيلة فعالة لزيادة التأثير في الدول المستفيدة من المساعدة، وان هذه المساعدات محدودة التأثير لا تحقق التقدم المطلوب، مع وضع شرط أمريكي بعدم التصرف بمبالغ المساعدة الا وفق اشراف أمريكي على توزيع ومراقبة استخدام وصرف المساعدة (الشيواني، ١٩٤٩، صفحة ١٦٩).

٣- اعتماد منظومة اقتصادية على اساس النظام الرأسمالي، مع توفير بيئة تتقبل هذه المنظومة وتحد من انتشار المنظومة الشيوعية.

ويتضح ذلك في ما وضعه مؤتمر بريتون وودز عام ١٩٤٤، والذي هيئ الى سياسة اقتصادية أمريكية جديدة، لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ظهرت اول ملامحها في مشروع مارشال عام ١٩٤٧، في المنطقة الأوروبية التي تعد مركز القوى الاستعمارية التقليدية، واهم مراكز النفوذ في العالم، اقتصاديا وسياسيا وعسكريا، مع حرص الولايات المتحدة الأمريكية على احتضانها في معسكرها.

ثالثاً: مشروع مارشال ونقطة التحول حيال ألمانيا عام ١٩٤٧:

اختلفت وجهات نظر القوى المنتصرة على ألمانيا حول كيفية التعامل معها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. والسؤال المطروح في مدى المصلحة الأمريكية ان تتوافق مع القوى الاخرى في تدمير الاقتصاد الألماني؟. وعدم الافادة منه في نهوض الاقتصاد الأوربي الرأسمالي لمواجهة المد الشيوعي. وهي من اكثر الحلفاء ممن لم تتضرر من القوة الألمانية، وكثيرا ما استفادت من الوضع الألماني، في تحريك اقتصادها قبل وبعد أزمة ١٩٢٩. والاستراتيجية ما بعد عام ١٩٤٥ تبين مسار العلاقة الأمريكية حيال ألمانيا.

فمنذ تراجع قوات المانيا النازية خلال الحرب العالمية الثانية، والولايات المتحدة الأمريكية تخطط في آلية تدمير القوة الألمانية بالكامل، ومنعها من النهوض مرة اخرى،

فأعلنت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب ضد ألمانيا وحلفائها في اواخر عام ١٩٤١. وتعددت مشاريع انهاء القوة الالمانية وتحديدا بين اليهود الامريكيين الناقمين على النازية منها ما نشره رجل الاعمال ثيودور كوفمان عام ١٩٤١ في كتابه (المانيا يجب ان تسحق - Germany must Perish) بفكرة ارسال ٢٠ الف طبيب لتطعيم ٤٥ مليون الماني خلال شهر لإنهاء الجنس الالمانى، وهناك من خطط للثأر من الالمان بتهجير قسري لمليون الماني كعبيد الى افريقيا، بينما كانت خطة مشروع وزير الخزانة الامريكية هنري مورغينتاو* التي نشرها في كتابه (المانيا مشكلتنا - Germany is our problem) في عام ١٩٤٥ أوضح فيها: ان تحول المانيا الى بلد رعوي يعتمد بالدرجة الاساسية على الزراعة كمصدر للدخل، ومنع قيام الصناعة الالمانية، ومنها تجريد منطقة الرور الصناعية، وبكل ما يسمح اعادة التصنيع العسكري لألمانيا. والعمل على منع المانيا استعادة عافيتها كقوة عسكرية، وتجربة الحربين العالميتين شاهد على ذلك (دافيدسون، ١٩٦٠، الصفحات ٧٨-٨١).

وهذه الاصوات الأمريكية، الساخطة من ألمانيا، لاقت من بعض المسؤولين في الادارة الأمريكية، انتقاداً، فالاراضي الامريكية كانت في منأى عن هجمات القوات الألمانية من بين القوى الاربع (الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وفرنسا، والاتحاد السوفيتي) التي احتلت ألمانيا في عام ١٩٤٥، وان اي عمل انتقامي ضد المانيا سوف يعيد تجربة ما

* مورغينتاو: ولد في عام ١٨٩١، يهودي، من اصل ألماني، ينتمي للحزب الديمقراطي، داعم لسياسة العهد الجديد التي اقراها الرئيس فرانكلين روزفلت عام ١٩٣٣، عين وزير للخزانة الأمريكية بين عامي (١٩٣٤-١٩٤٥)، كاول يهودي امريكي يتقلد احدى المنصب الرئاسية، كان معادي للنازية، كان مناصر لبرنامج الاعارة والتأجير عام ١٩٤١، وداعم للاجئين اليهود من اوربا فأنشاء مجلس لاجئ الحرب الذي منح ٢٠٠ الف يهودي حق الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، مما ساعد إلى تزايد اعدادهم فيها، وتبنى مواقف معادية لالمانيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية منها إلغاء الصناعة، والتنطهير العرقي إلى العديد من الالمان، توفي عام ١٩٦٧ (Encyclopedia Britannica, 1975, pp. 112-113).

بعد الحرب العالمية الاولى حينما سعى الالمان للانتقام من شروط فرساي التي فرضها الحلفاء عليهم (دروزيل، ١٩٦٦، الصفحات ٣٧-٤١).

وساهمت المخاوف الأمريكية- البريطانية من الاهداف السوفيتية التوسعية على حساب الحلفاء الغربيين في اوربا، والمانيا بالذات، باتجاه استبدال فكرة جعل المانيا دولة زراعية، فمنذ مطلع عام ١٩٤٦، اتفقت بريطانيا مع وجهة النظر الامريكية في ان استمرار تقسيم المانيا بين القوى الاربع لا تخدم سياسة الحلفاء الغربيين مع تزايد التهديد والخطر السوفيتي، مع تمسك فرنسا بفكرة تدمير القوة الالمانية، فلا بد من توحيد اقتصادي بين منطقتي النفوذ الامريكي والبريطاني في المانيا، وما زاد هذا التوجه عدم توصل وزراء خارجية القوى الاربع الى اتفاق سياسي واقتصادي يجمعهم حول المانيا في مؤتمر باريس في ١١ تموز ١٩٤٦، بسبب اصرار الاتحاد السوفيتي على استمرار تفكيكه ومصادرته المصانع في المناطق الشرقية الالمانية الواقعة تحت سيطرته، كما انه لم يتم تسريح الجيش السوفيتي في الوقت الذي تم تسريح الجيش الأمريكي، مع تزايد نشاط الاحزاب الشيوعية في فرنسا وايطاليا، مما كان يندرج بخطر التسلسل الشيوعي الى مناطق نفوذ القوى الغربية الراسمالية في المانيا، وسط انتشار المجاعة والفقر فيها بعد شتاء قاسي كان يعد الأقسى منذ ثمانين عاماً مضت، مما يجرح الوجود الأمريكي في أوربا (ماكان، ٢٠١٤، صفحة ٣٧).

لذلك نهجت الادارة الامريكية سياسة مخالفة الى سياسة السوفيت الانتقامية تجاه الالمان، وتقلل من اعباء تكاليف احتلال المانيا التي قدرت ٦٠٠ مليون دولار سنوياً، ولاحت تلوح سياسة (إعادة الصياغة بشأن ألمانيا) في الافق في ايلول ١٩٤٦، وبعد شهر تم توحيد اقتصادي لمنطقتي النفوذ الامريكي- البريطاني في المانيا (رمضان، ١٩٩٧، صفحة ١٧٣)، وشكلت لجنة برئاسة الرئيس الامريكي الاسبق هربرت هوفر لتقصي الحقائق عن المانيا في اذار ١٩٤٧، وخرجت اللجنة بمقترح اما ابادة الشعب الالمانى او تهجيرهم من بلدهم لتحقيق خطة مشروع مورغينتاو في نزع الصناعة العسكرية الألمانية، وليس بسياسة التجويع المتبعة في منطقة تفتقر اصلاً إلى الزراعة، بعكس منطقة النفوذ السوفيتية الزراعية بنسبة ٩١%. وبما ان الانتاج الصناعي الالمانى اهمية في رفع الانتاج الاوربي، ومحرك

لانعاش اقتصاده، ويساعد على زيادة نشاط السوق الأمريكي، بعدما اصابه الركود بعد عام ١٩٤٥، وأيضاً، لاجل تقليل تكاليف الاحتلال الأمريكي. لذا سمح لالمانيا تبادل المواد الخام والسلع المصنعة، مع تخفيف القيود الاقتصادية، وزيادة النشاط التجاري في منطقة احتلال الحلفاء الغربيين. وتم استبدال خطة مشروع مورغينتاو بمشروع وزير الخارجية الأمريكية الجنرال جورج مارشال (١٩٤٧-١٩٤٩) الذي سمي بسياسة الانتعاش الاقتصادي لاوربا Economic Containment في حزيران ١٩٤٧، طرح المشروع وزير الخارجية الأمريكية مارشال، ووفق الشروط الأمريكية، التي من خلال تقدم المنح والقروض بالدولار كمساعدات الى دول اوربا الغربية (Paterson & Others, 2000, pp. 139-241)؛ ولتلافي اخطاء الولايات المتحدة الأمريكية في تقدم القروض إلى الدول الاوربية في اعوام ما بعد الحرب العالمية الاولى بدون فرض شروط والذي سمح لدول اوربا التصرف بالقروض بحرية، الذي ادى بزيادة حجم الاموال الأمريكية في الخارج، وسبب بازمة اقتصادية؛ فرض الجانب الأمريكي لمنح المساعدات وفق مشروع مارشال بشرط ان يقوم على التعاون الاقتصادي في رفع الحواجز الكمركية والقيود المفروضة على التجارة فيما بينهما؛ وذلك من اجل ان تستطيع تلك الدول ان تشتري السلع والخدمات الأمريكية، وان تكون سوقا لتصريف الصادرات الأمريكية، وبما يحقق العمالة الكاملة (السروجي، ٢٠٠٥، صفحة ٢٠٧). بالمقابل على دول اوربا الغربية الالتزام بالانفاق لاجل اعادة اعمار اوربا داخل منظمة التعاون الاقتصادي والإنمائي لدول الكتلة الغربية الراسمالية، وبما يحد من مد الكتلة الشيوعية السوفيتية (Henderson, 2002, p. 2).

وهناك جملة اسباب وراء طرح مشروع مارشال عام ١٩٤٧:

١- يعد الاقتصاد المحرك الاساسي في السياسة الأمريكية، ولجل الحفاظ على مستواه المتقدم على سائر الاقتصاديات يحتاج إلى تحرك لمنع التضخم الذي اخذ يلوح في الظهور ما بعد عام ١٩٤٥، مما كان يندر بأزمة مماثلة لازمة ١٩٢٩، فحجم القروض الأمريكية في الخارج بلغت ١٨,٦ مليار دولار، أي ٣٨% من رؤوس الأموال الأمريكية الموظفة في الخارج، مع تراجع الإنتاج الصناعي من ٢١٢% عام ١٩٤٣ إلى ١٥٠% عام ١٩٤٦، مع زيادة عدد العاطلين عن العمل إلى ٢,٤ مليون

عاطل، مع تراجع قيمة الصادرات الأمريكية من ١٤,٥ مليار دولار عام ١٩٤٤ إلى ١٠,٢ مليار دولار عام ١٩٤٦، مع تدني الدخل القومي، أدى إلى زيادة الاضرابات العمالية، وارتفاع تكاليف المعيشة، وتدني قيمة السندات والاسهم المالية في بنوك نيويورك في ايلول ١٩٤٦. مما يستوجب اعداد مشاريع دولية تحرك الاقتصاد الأمريكي (Nichols & Loescher, 1989, pp. 111-113).

٢- المنطقة الأوروبية اهم مناطق المؤثرة في تحريك الاقتصاد العالمي، والامريكي بالذات، فالاستثمار الأمريكي في المنطقة وصل إلى ٦,٧٩ مليار دولار عام ١٩٤٠ بعد ان كان يبلغ ٣٥٠ مليون دولار في عام ١٩١٣، والصادرات الامريكية مع أوروبا كانت نسبتها ٤١% أي ما يقارب النصف من الصادرات الأمريكية في عام ١٩٣٧ مما يعني ان أوروبا سوق تجاري للولايات المتحدة الامريكية (الشيباني، ١٩٤٩، صفحة ١٣٣). لكن السوق الأوربي مُدمر بعد الحرب العالمية الثانية، وكان يعاني من العجز في القدرة الشرائية للسلع والبضائع الأمريكية، وحتى القروض الأمريكية لم تعد تسعف الاقتصاد الأوربي بسبب ثقل الشروط الأمريكية التي لم تعد تسمح للدولة المقترضة شراء بضائع غير أمريكية، بهدف منع تكس بضائعها الصناعية، وأيضاً، حضر الدولة المقترضة ان تقرض دولة أخرى، بهدف الحفاظ على الرصيد النقدي الأمريكي. فضلا عن ذلك، ان الدول الأوروبية دمرت الحرب اقتصادها، واستنزفت مخزونها من الذهب. ولا يمكن من تغطية العجز في ميزان مدفوعاتها بالتبادل التجاري مع الولايات المتحدة الأمريكية، ولا بد من برنامج أنمائي- اقتصادي لانعاش أوروبا المثقلة بالديون والتضخم الاقتصادي (الشيباني، ١٩٤٩، الصفحات ٥٦-٥٩).

٣- كانت سلطات الاحتلال الأمريكية وعبر برنامج الاغاثة الأمريكي في ألمانيا تقدم معونة غذائية، رمزية، ودون مستوى احتياج الفرد للاستهلاك الغذائي الذي تم وضع حد لمستواه مما جعل الوضع الإنساني حرج في ألمانيا بين عامي (١٩٤٦-١٩٤٧) . وهذا دفع بعض المنظمات الإنسانية الأمريكية تقديم المساعدة الانسانية للالمان*

* من أهم المنظمات الأمريكية للإغاثة الإنسانية، كانت منظمة وكالات الإغاثة في ألمانيا

(Forsythe, 1989, pp. 63-90). وربما اثرت تلك المنظمات بشكل أو بآخر في احداث بعض التغيير في السياسة الأمريكية حيال ألمانيا من احتلال عقابي إلى احتلال تأهيلي، وفي اقناع، الرأي العام الأمريكي أنها داعمة الى تقديم المساعدات الإنسانية إلى العدو السابق (ألمانيا) (Forsythe, 1989, p. 72). والحقيقة ان عمل المنظمات الانسانية الأمريكية، ومنح الادارة الأمريكية المساعدة ضمن مشروع مارشال سوى للدعاية الأمريكية، وجزء من دبلوماسيتها في مقاومة المد الشيوعي في أوروبا، وفي أعطى صبغة الديمقراطية للمشروع، لما هذا النوع من البرامج من تأثير على الناس المتلقين. وهو ما تؤكد بعض الدراسات الأمريكية الحديثة في مدى اثر الغذاء كأداة قوية للدبلوماسية في العلاقات الدولية وتحديدًا الأمريكية، لوجود ترابط بين الغذاء وتنمية الشعوب*.*

اذن مشروع مارشال كان سلاح ذو حدين منه لإنعاش أوروبا المدمرة اقتصاديا ومنها ألمانيا، ومنه، أيضا، اقامة جبهة غربية، راسمالية، موحدة، ومستقرة، لصد المد السوفيتي الشيوعي (Cullather, 2007, pp. 337-359).

ولتضمن دول أوروبا الغربية شمولها في المشروع استبعدت الوزراء الشيوعيون من حكوماتها فتم ابعادهم من الحكومة الفرنسية في ٤ ايار ١٩٤٧، وبعدها في ايطاليا في ١٣

The Council of Relief Agencies Licensed to Operate in Germany (CRALO-G)

وهي منظمة أمريكية شاملة، تم إنشاؤها أواخر عام ١٩٤٥، وكانت الوكالة الوحيدة التي منحتها إدارة ترومان بتلقي التبرعات الإنسانية للإغاثة، وتقوم بجمع وإيصال وتوزيع الإمدادات الإنسانية شهريا في ألمانيا. للمزيد من التفاصيل ينظر: (Boemeke, Feldman, & Glaser, 1998)

. نهجت الولايات المتحدة الأمريكية سياسة التجويع كوسيلة ضغط على الشعوب من اجل الرضوخ للإرادة الامريكية. والوصول إلى أهدافها، هذه السياسة طبقت في العراق بفرض الحصار الاقتصادي عليه اثناء حرب الخليج عام ١٩٩١، وامتد الحصار حتى مهد إلى الاجتياح الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣.

ايار، وثم في بلجيكا اواخر الشهر. ليتم الاعلان رسميا على مشروع مارشال في ٥ حزيران* (عبد السلام، ٢٠٠٧، صفحة ١١٢).

وقرر شمول المانيا الاتحادية بمشروع المساعدة في ١٠ تموز ١٩٤٧ والمشروطة بتقديم الاموال الى مشاريع استثمارية تصرف في استيراد السلع الاساسية مثل الغذاء والوقود، في اول الأمر، وبالتعاون مع بقية الدول المشمولة في المشروع، وان يكون اقتصادها في خدمة الكتلة الراسمالية الغربية وموجه ضد الكتلة الشيوعية الشرقية، وان يتحمل البنك الالمانى المركزي مسؤولية منح الاموال إلى الشركات الالمانية، وعلى الشركات الالمانية والاوربية على السواء تحديث اساليبها التجارية بما يتوافق مع السوق الامريكى. وبذلك رجعت المانيا الى حاضنة الراسمالية. وحسب وصف وزير الخارجية السوفيتى فياتشيسلاف مولوتوف (١٩٣٩-١٩٤٩) المشروع "انه وسيلة الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا تهدفان من خلاله لاستعباد المانيا" (دروزيل، ١٩٦٦، صفحة ١٨٣).

• اثر مشروع مارشال في الاقتصاد الألماني في عام ١٩٤٧:

وعلى وفق خطة المشروع تحرك الانتاج الصناعى الالمانى الاستثمارى، لخدمة السوق الامريكى، وسجل ارتفاعاً نسبته من ٣٤% في كانون الثانى ١٩٤٧ الى ٥٧% في حزيران ١٩٤٨، فوصلت نسبة انتاج الصلب الى ٥٠% بعد عام ١٩٤٧ عن انتاجه ما قبل الحرب، ولاقى المشروع في الداخل الالمانى تأييد من مؤتمر النقابى المنعقد في مدينة ريكلينغهاوزن في ولاية وستفاليا في حزيران ١٩٤٨. لكن السوق الواسع ما بين الولايات المتحدة الأمريكية واوربا الغربية تعرض إلى اختناقات اقتصادية في السوق الاوربي، وتضخم

* وفق مشروع مارشال شطبت الولايات المتحدة الامريكية من فرنسا ديون تقدر بملياري دولار عام ١٩٤٦، وخففت ايضا من الديون البلجيكية مقابل ان تعوض خسارة الولايات المتحدة الامريكية عن اليورانيوم المستخدم في صناعة اول قنبلتين ذريتين اللتان ألقيتا في هيروشيما ونيكازاكي في اليابان، من خلال السماح للأمريكيين في استغلال مناجم اليورانيوم في المستعمرة البلجيكية في الكونغو ولمدة ١٥ عاما (إي استغلال موارد المستعمرات في سداد ديون الدول الاستعمارية). (Toussaint, 2006, p. 1).

في الولايات المتحدة الأمريكية اضر بالتبادل التجاري بين الطرفين، بسبب زيادة التوتر بين الغرب والسوفيت، وفرض السوفيت حصار برلين منتصف ١٩٤٨ أدى إلى ركود اقتصادي لعزوف المستثمرين الأمريكيين الاستثمار في أوروبا أثناء الحصار (راسي، ١٩٧٧، صفحة ٣١٠). لكن من جانب آخر، أعطى الحصار دفعة قوية لمشروع مارشال ونقطة تحول ايجابية في صالح ألمانيا من الناحية الاقتصادية، وفي تحول الحالة الألمانية من حالة العداء إلى القبول في المجتمع الأوروبي والدولي، وانعكست تلك التحولات على إعادة الاقتصاد الألماني إلى قوته، وقبوله في المجتمع الدولي (Abelshausen, 1981, p. 34).

بإزالة الضوابط بشكل مفاجئ أمام الإنتاج الصناعي الألماني الغربية منذ عام ١٩٤٩ وفتح سوقا موسعا أمام الصادرات الألمانية لسد حاجة الغرب، فحقق الإنتاج الصناعي طفرة بلغت نسبتها ٨٦% منذ اصلاح العملة عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٤٩، وسجل زيادة بنسبة ٢٤% عن ما قبل الحرب، حتى سجلت زيادة نسبة إلى ١٢% في النصف الاول من عام ١٩٥٠ مع متوسط في معدل النمو بلغ نسبة ١٥% في العام. ولم يتحقق ذلك الا عبر المضي بخطة الاستثمار الأمريكية من خلال منح شركات الاستثمار الألمانية الغربية حوالي ٦٠% من اموال المشروع، و ٤٠% في استثمارات صناعة الفحم الألماني من اجل زيادة الإنتاج الصناعي بهدف تحفيز النشاط التجاري الأمريكي (Henderson, 2002, p. 2).

من الطبيعي ان زيادة الإنتاج الألماني الغربي جاء بفضل نشاط الاستثمار الأمريكي فيها، الذي انتعش من المساعدة الأمريكية المقدمة لها، والتي بلغت ذروتها في عامي ١٩٤٨ و ١٩٤٩، وقدرت حوالي ٩١٥ مليون دولار، واحتلت المساعدة نسبة ٤٩% من إجمالي واردات منطقة الاحتلال الأمريكي- البريطاني الموحدة والبالغة ١,٨٥٤ مليون دولار، مقارنة بالمساعدة البريطانية التي لم تكن بالشيء الكبيرة، لأنها تتلقى هي الاخرى مع فرنسا المساعدات الأمريكية، وهذا منح القرار الأمريكي سطوة في ألمانيا الغربية، توزعت المساعدة الأمريكية بين الآلات الزراعية والتبغ والقطن ومواد الكيماوية والغذائية والسلع المصنعة. وتم منح قروض قدر مجموعها حوالي ١,٤ مليار دولار بين عامي (١٩٤٩-١٩٥٢)، وان ما

قدم من المشروع بشكل منح بلغت ١,١٧٣ مليار دولار، وقروض بلغت ٢١٦ مليون دولار بين (نيسان ١٩٤٨ - حزيران ١٩٥٢) (Nichols & Loescher, 1989, p. 134).

لذلك وصِفَ المشروع حسب رأي البعض انه المنقذ والمساعد في بناء المانيا الغربية، ووسيلة لتحفيز اصلاح العملة الالمانية، وطرح برنامج اقتصاد السوق الاجتماعي عام ١٩٤٨، ومحفز الى وضع القانون الاساسي للدستور الالمانى الغربى عام ١٩٤٩، وايضا حافظ الى تحمل المانيا الغربية مسؤولية اعباء جرائم النازية والحرب. مع ان لم تسجل مساعدة مارشال سوى أقل من ٥ % من الدخل القومي الألماني، لانه في الوقت تتلقى ألمانيا الغربية المساعدة، كانت ايضا تدفع تعويضات ومدفوعات استرداد تتجاوز مليار دولار سنويا. والأهم من ذلك، دفعهم ٧,٢ مليار مارك ألماني سنويا أي ما يعادل (٢,٤ مليار دولار) الى الحلفاء مقابل تكاليف احتلال ألمانيا. وهذا يعني ان عوائد مشروع مارشال في ألمانيا الغربية كانت تعود في صالح الخزانة الأمريكية وحلفائها (Henderson, 2002, p. 2).

النقطة الأساسية في مدى استفادة ألمانيا الغربية من مشروع مارشال، تتضح من نصيب الفرد الألماني من المشروع والتي تقدر ١٢ دولار للفرد بالمقابل نصيب الفرد النمساوي ٣٦,٢ دولار للفرد، وبلغ معدل النمو السنوي الألماني ٥,٤% اقل بكثير من معدل النمو السنوي للبقية الدول المشمولة بالمشروع الذي بلغ نسبته ٨%. وان مجموع المساعدات التراكمية من مارشال وبرامج المساعدات الأخرى إلى المانيا الغربية بلغ ٢ مليار دولار حتى منتصف عقد الخمسينيات من القرن العشرين. ومع ذلك كان مستوى النمو الاقتصادي ألماني اعلى من مستواه في الدول الاوروبية الأخرى التي تلقت مساعدات كبيرة من مشروع مارشال (Henderson, 2002, p. 3).

أي ان المشروع لم يكن وراء الانتعاش الاقتصاد الألماني الغربي، لكن كان محفز له. ومن خلال الشروط السخية الأمريكية خلال مراحل الأزمة مع الكتلة الشيوعية، بمنح الولايات المتحدة الأمريكية السيولة المالية، والمساعدة الفنية، والقروض المقدمة في المشروع إلى الشركات الألمانية البالغة ٧٢٩ مليون مارك، عادت بفوائد عالية إلى المصارف

الأمريكية. حتى ما تحقق من زيادة في الطاقة الكهربائية العامة في ألمانيا البالغة ٧٠% بين عامي (١٩٤٨-١٩٥٢) كان لخدمة الإنتاج الصناعي الألماني الذي سمح لألمانيا في تصدير الأسلحة ذات التكنولوجيا العالية إلى حلفائها من الدول الغربية، لحاجتهم لتعزيز قوتهم الدفاعية امام المعسكر الشيوعي، وازمة الحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣) بين الطرفين محفز ذلك، فبدأت تحولات إستراتيجية، وما يلفت بالأمر ان كل ما سعت اليه الدول المحتلة في المانيا بعد انقضاء الحرب العالمية الثانية هو تدمير قوتها العسكرية، لكن الموقف تغير بعد اعوام قليلة حينما حفزت الولايات المتحدة الأمريكية التصنيع العسكري الألماني على الإنتاج، فمذ ايار ١٩٥٠ كان هناك جهود سرية لإنشاء قوة ألمانية تعمل لحماية أوروبا الغربية من أي تهديد سوفيتي اثناء التصعيد في الحرب الكورية. وفي عام ١٩٥١ تم ايقاف عمليات تفكيك المصانع، مما رفع معدل الصادرات الألمانية إلى حلفائها، فضلا عن عمل الشركات المساهمة المشتركة الألمانية-الامريكية في مجالات متعددة منها صناعة السيارات، والمواد الكيماوية وغيرها، وسط اجواء زيادة الطلب المحلي وتعافيه من أثار الحرب العالمية الثانية (Payne, 2011, p. 3). كما تم رفع السيطرة الأمريكية عبر المفاوضات العليا للحلفاء على الامور الخارجية والمالية في ألمانيا الغربية بشكل فعلي، وايضاً، دعم انضمامها إلى المجتمع الأوروبي عبر إشراكها في المجموعة الاوربية للفحم والصلب. وفي اعتمادها على السلع المحلية بدل استيرادها السلع المصنعة خلال عقد الخمسينيات من القرن الماضي، حقق ذلك مردود اقتصادي كبير لألمانيا الغربية، بعدما قللت كل من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا نسبة صادراتهم إلى ألمانيا الغربية نسبة ٤١% وحذت بلجيكا وهولندا وسويسرا والسويد حذو حلفائهم، وخفضوا صادراتهم اليها نسبة ٦٦%، وعكس ذلك قدرة المانيا على الاعتماد الذاتي في نمو اقتصادها. وليس هذا فحسب، بل تمكنا من التوصل لاتفاق في تسديد الديون والتعويضات التي بذمتها في اجتماع وزراء الخارجية في لندن عام ١٩٥٣، وايضاً، بتسديد حوالي ١,١ مليار دولار عن تلك المساعدة الامريكية، ودفع تكاليف احتلال تقدر بأكثر من ٢,٤ مليار دولار أمريكي

سنويا من عوائد الإنتاج الصناعي الألماني* - (Bark & Grees, 1989, pp. 251-254).

بالنتيجة فان نجاح مشروع مارشال مكن الولايات المتحدة الأمريكية في ترويج برامج المساعدة الأمريكية دولياً، وأصبح جزء من دبلوماسية وسياسيتها، مع تحقيق عوائد مادية كبيرة إلى الخزانة الأمريكية. لكن الحقيقة ان تفوق الامكانية الصناعية الألمانية هي التي شجعت السياسة الأمريكية ان توظف هذه الامكانية في صالحها، ومن خلالها حققت الولايات المتحدة الامريكية مصالحها الاستراتيجية في أوروبا.

لان وفق المشروع الذي شمل المانيا الغربية بين عامي (١٩٤٧-١٩٥٢)، زاد التبادل التجاري بين الولايات المتحدة الامريكية واوروبا، وربط الاقتصاد الاوربي المتعطل بالسوق الامريكي اكثر، مما ادى إلى زيادة الإنتاج الصناعي الامريكي، وفتح الاسواق الاوربية امام المنتج الامريكي، وهذا خفض معدل الفائض التجاري الامريكي. وأيضاً، مساعدة الاقتصاد الامريكي من خلال جعل شركائه التجاريين اكثر ثراء، وضمان التأييد والدعم الاوربي لاي تحرك امريكي عالمياً وفي كافة المجالات. ومن جانب اخر منع نشوب صراع اوربي مستقبلاً. ومن اجل تحقيق الرخاء الاقتصادي والتعاون بين الدول الغربية، لكي لا ينجر إلالمان، ومن بعدهم الأوروبيين إلى احضان الشيوعية ويكون الامر بمثابة الضربة للولايات المتحدة الامريكية ولجهودها في ان يكون لها نفوذ وقرار في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية. كل ذلك انساق ضمن سياسة احتواء الاتحاد السوفيتي. وبدى هذا الامر واضح من كشف وثائق الارشيف السوفيتي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١، ان هناك رغبة للسوفيت المشاركة بمشروع مارشال، بينما لم يكن هناك رغبة امريكية في توسيع المشروع خارج حدود حلفائها الغربيين (Toussaint, 2006, p. 2).

* لابد من الذكر انه استمر منح المساعدة الأمريكية حتى بعد مشروع مارشال بتقديم وكالة التنمية الدولية - الامريكية ٢٠٠ مليون دولار إلى المانيا بين عامي ١٩٥٤-١٩٦١. وقلب المعادلة حين حقق زيادة في الصادرات الألمانية التي أنعشت تجارتها الخارجية وساعد على تحسين ميزان المدفوعات بما يحافظ على الرأسمال الداخل للاقتصاد الألماني.

وهذا ما بينه المؤرخ الأمريكي دكستر بركنز ان قوة الاقتصاد الامريكى استخدم بشكل فعال لتعضيد النفوذ الامريكى، والدور المهم لمشروع مارشال في انعاش اقتصاديات أوروبا الغربية، وفي تبعية الاقتصاد الأوربي للاقتصاد الامريكى (مردان، ٢٠١٤، صفحة ٥٦).

لكن هناك حقيقة لا جدال فيها على الرغم من توحيد ألمانيا عام ١٩٩٠ بشطرها الغربي والشرقي ومن بعدها انهيار الاتحاد السوفيتي، ومنظومته الشيوعية، لا زالت الولايات المتحدة الأمريكية مؤثرة في القرار السياسي ألماني الى الان، فضلا عن وجود قواعدا في ألمانيا، ومع وجود المصالح الاقتصادية المتبادلة بينهما. بالنتيجة ان الولايات المتحدة الأمريكية تترك دائما بصمة أو اثر في الدول التي تحتلها حتى بعد منح تلك الدول السيادة، ويمكن القول أنها سيادة مظلة.

الخلاصة:

ان الاقتصاد الألماني كان مرهون بالاقتصاد الأمريكي منذ ان عقد الطرفين اتفاقية في عام ١٩٢١، وبمثابة خطوة تجاه اجتماع مصالح الراسماليين والمستثمرين الأمريكيان والصناعيين والرسماليين الألمان، وبفضلها ايضاً، منحت للولايات المتحدة الأمريكية والمستثمر الأمريكي في ألمانيا المشاركة في مباحثات التعويضات الالمانية إلى الحلفاء التي قدم الجانب الأمريكي خلال هذه المباحثات مشروع داوز ١٩٢٤ في توفير الرأسمال إلى ألمانيا بشكل قروض لتتهدض الاخيرة اقتصاديا، وتسد ما عليها من تعويضات إلى الحلفاء الأوربيين المدينين للولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي اصبح الاقتصاد الأوربي الغربي يدور في فلك الاقتصاد الأمريكي، القائم على الصفقات والحسابات المالية والتجارية منذ ذلك الوقت.

نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في وضع منظومة راسمالية تحت قيادتها بعد الحرب العالمية الثانية، وان يكون في هذه المنظومة اقتصادها مركز للاقتصاد الأوربي الغربي، ورسمت معالمه في مؤتمر بريتون وودز عام ١٩٤٤، وجعلت من مشروع مارشال عام ١٩٤٧ اولى صوره في أوروبا تحت مسمى انعاش اقتصاد أوروبا. وذلك لتجنب حدوث

أزمة اقتصادية مماثلة لازمة ١٩٢٩. ووضعت إستراتيجية أكثر إدارة لملف الدعم الخارجي لأجل خدمة الامن القومي الأمريكي، باستبدال منح القروض من قبل الرأسماليين والمصرفيين تحت اشراف وزارة الخارجية الأمريكية الذي كان معمول به قبل الحرب العالمية الثانية، وحل محله برنامج المساعدة الأمريكية الذي يقدم منح وقروض ومساعدات انمائية اقتصادية وعسكرية كجزء من السياسة الخارجية الامريكية إلى دول الممنوحة المساعدة، لما للمساعدة من مردود اقتصادي، وسياسي في فرض الهيمنة الأمريكية.

قائمة المصادر:

المصادر الاجنبية:

- Abelshauer, W. (1981). Wiederaufbau Vor dem Marshall Plan, in: Vierteljahrshefte fur Zeitgeschichte Band 29. German.
- Baker, J. C. (2002). the Bank for International Settlements Evolution and Evaluation. Praeger.
- Bark, G., & David R, D. (1989). A history of West Germany, Vol 1 (from shadow to substance). Oxford.
- Boemeke, F., Glaser, M., Gerald, D., & Elisabeth . (1998). The Treaty of Versailles: A Reassessment after 75 Years (Publications of the German Historical Institute). United Kingdom: Cambridge University Press.
- Cullather, N. (2007). The Foreign Policy of The Calorie, The American Historical Review (Vol, 112, No.2 ed.).
- Encyclopedia Britannica. (1975). london.
- Forsythe, D. P. (1989). Humanitarian Assistance in U.S. Foreign Policy(1947-1987). (B. N. Loescher, Ed.) Notre Dame, U.S.A.
- Henderson, D. R. (2002). German Economic Miracle. Retrieved from <https://www.econlib.org/library/Enc/GermanEconomicMiracle.html>.
- Heyde, P. (1998). Das Ende der Reparationen. Deutschland, Frankreich und der Youngplan 1929-1932. Paderborn : Schöningh.

- Kent, B. (1989). The Spoils of War: The Politics, Economics, and Diplomacy of Reparations(1918-1932). Oxford.
- Le Bor, A. (2013). the Shadowy History of the Secret Bank that Runs the World. Newyork.
- Link, W. (1970). Die amerikanische Stabilisierungspolitik in Deutschland 1921-1932. Düsseldorf: Droste Verlag.
- Nichols, Loescher, Bruce, & Gil. (1989). The Moral Nation: Humanitarianism and U.S. Foreign Policy Today. Notre Dame, U.S.A.
- Paterson, T., & other. (2000). American Foreign relation a History since 1895 (Vol. II Ed.5th ed.). Boston.
- Payne, C. (2011, Aug 7). Economic Revival of West Germany in the 1950s and 1960s. Retrieved from www. e-ir. info.
- Steiner, Z. (2007). The Lights that Failed: European International History 1919-1933. United Kingdom: Oxford University Press.
- Strouse, J. (1999). Morgan: American Financier, Random House. U.S.A.
- Toussaint, E. (2006, Oct 24). the Marshall Plan and the Debt Agreement on German debt. Retrieved from cadtm.org.

المصادر العربية

- احسان عبد الهادي سلمان النائب. (٢٠٠٣). المسألة الألمانية من وحدتها إلى اعادة توحيدها. السليمانية.
- احمد الشيباني. (١٩٤٩). الإهداف الاستعمارية وراء مشروع مارشال، دار اليقظة العربية. دمشق.
- ارنست فولفو. (٢٠١٦). صندوق النقد الدولي (قوى عظمى في الساحة العالمية). (عدنان عباس علي، المترجمون) الكويت.

- ايوجين دافيدسون. (١٩٦٠). بعث ألمانيا. (شفيق اسعد فريد، المترجمون) اصدار جمعية الوعي القومي.
- باهر مردان. (٢٠١٤). الإستراتيجية الأمريكية الاهداف والوسائل والمؤسسات. بكين.
- ج. ب دروزيل. (١٩٦٦). التاريخ الدبلوماسي (تاريخ العالم من الحرب العالمية الثانية إلى يوم). (خيري حمادة، المترجمون) القاهرة.
- جمال البنا. (١٩٧٧). ظهور وسقوط جمهورية فايمار (مأساة التخبط في اتخاذ المواقف). القاهرة.
- جواد كاظم بكري. (٢٠١١م). فخ الاقتصاد الأمريكي الأزمة المالية ٢٠٠٨ (المجلد ط١). بيروت.
- جورج راسي. (١٩٧٧). الاشتراكية والشركات المتعددة الجنسيات. بغداد.
- رمزي زكي. (١٩٨٧م). التاريخ النقدي للتخلف، دراسة في اثر نظام النقد الدولي على التكون التاريخي للتخلف بدول العالم الثالث (الإصدار العدد ١٨١). الكويت: سلسلة عالم المعرفة.
- روبرت جي ماكمان. (٢٠١٤). الحرب الباردة، (مقدمة قصيرة جدا). (محمد فتحي خضر، المترجمون) مصر: مؤسسة هنادي.
- شادي عبد السلام. (٢٠٠٧). الولايات المتحدة الأمريكية. مصر.
- عبد العظيم رمضان. (١٩٩٧). تاريخ أوروبا والعالم الحديث (من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة). مصر.
- علي البديري. (٢٠٠٩). على هامش الأزمة الاقتصادية العالمية المعاصرة الأزمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩-١٩٣٣) وانعكاساتها على الدول الكبرى المؤثرة في النظام الدولي. مجلة مركز المستنصرية لدراسات العربية والدولية.
- محمد محمود السروجي. (٢٠٠٥). سياسة الولايات المتحدة الأمريكية منذ الاستقلال إلى منتصف القرن العشرين. الاسكندرية.
- مكسيم لوفانفر. (٢٠٠٦). السياسة الخارجية الأمريكية (المجلد ط١). بيروت.

المصادر المترجمة

- Ihsan Abdul Hadi Salman, MP. (2003). The German question from its unity to its reunification. Sulaymaniyah.
- Ahmed Al-Shaibani. (1949). The colonial goals behind the Marshall Project, Arab Vigilance House. Damascus.
- Ernst Volvo. (2016). The International Monetary Fund (a superpower in the global arena). (Adnan Abbas Ali, translators) Kuwait.
- Eugene Davidson. (1960). Resurrection of Germany. (Shafiq Asaad Farid, The Translators), published by the National Awareness Society.
- Baher Mardan. (2014). American strategy: goals, means, and institutions. Beijing.
- C. B Druzil. (1966). Diplomatic history (world history from World War II to today). (Khairy Hamada, The Translators) Cairo.
- Jamal Al-Banna. (1977). The rise and fall of the Weimar Republic (the tragedy of confusion in taking positions). Cairo.
- Jawad Kazem Bakri. (2011AD). The American Economy Trap The 2008 Financial Crisis (Vol. 1). Beirut.
- George Rassi. (1977). Socialism and multinational corporations. Baghdad.
- Ramzi Zaki. (1987 AD). The Monetary History of Underdevelopment, a study of the impact of the international monetary system on the historical formation of backwardness in Third World countries (Issue No. 181). Kuwait: World of Knowledge Series.
- Robert J. McMann. (2014). The Cold War, (a very short introduction). (Mohamed Fathi Khadr, the translators) Egypt: Hanadi Foundation.
- Shadi Abdel Salam. (2007). Woes United States of America. Egypt.
- Abdul Azim Ramadan. (1997). History of Europe and the modern world (from the emergence of the European bourgeoisie to the Cold War). Egypt.
- Ali Badri. (2009). On the sidelines of the contemporary global economic crisis, the global economic crisis (1929-1933) and its repercussions on the major countries influencing the international system. Journal of the Mustansiriya Center for Arab and International Studies.
- Muhammad Mahmoud Al-Sarouji. (2005). The policy of the United States of America from independence to the middle of the twentieth century. Alexandria.
- Maxime Lefebvre. (2006). American Foreign Policy (Vol. 1). Beirut .

دور الولايات المتحدة في الإطاحة بالرئيس الغاني
كوامي نكروما في ٢٤ شباط ١٩٦٦ وردود الفعل
الدولية .

The role of the United States in the overthrow of
Ghanaian President Kwame Nkrumah on February
24, 1966 and the international reactions.

م.د. ندى شهاب محمد هديب

Prepared by: M.D. Nada Shehab Muhammad Hadeeb

التخصص : التاريخ الحديث والمعاصر

Specialization: Modern and contemporary history

مكان العمل: المديرية العامة للتربية في محافظة الانبار / وزارة التربية

Place of work: General Directorate of Education in

Anbar Governorate / Ministry of Education

الايمل / dr.nadashehab1980@gmail.com

رقم الهاتف : ٠٧٨٢١٨٥٨١٨١

دور الولايات المتحدة في الإطاحة بالرئيس الغاني كوامي نكروما في ٢٤ شباط ١٩٦٦
وردود الفعل الدولية .

م.د. ندى شهاب محمد هديب

المستخلص

تناول البحث دور الولايات المتحدة في الإطاحة بالرئيس الغاني كوامي نكروما في ٢٤ شباط ١٩٦٦ وردود الفعل الدولية ، إذ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية اخذت حركات التحرر في العالم الثالث تستعر في سبيل نيل استقلال بلادها من الاستعمار فضلا عن وجود التنافس الدولي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي للحصول على مناطق النفوذ والسيطرة ، وفي خضم هذا المعترك برز الزعيم الغاني كوامي نكروما ليختط سياسة خاصة به ويميل نحو المعسكر الشيوعي ودول عدم الانحياز الامر الذي شكل تهديدا لمصالح الولايات المتحدة الامريكية فأخذت تتحين الفرص وتدبر الامور للتخلص منه .

عالج البحث نيل غانا الاستقلال عام ١٩٥٧ وبروز كوامي نكروما كزعيم سياسي حتى انتخابه رئيسا لغانا عام ١٩٦٠ ، وكيف ابتعد بسياساته عن الولايات المتحدة والغرب واقتربه من الاتحاد السوفيتي ودول عدم الانحياز ، كما عرض البحث الجيش الغاني وتكوينه وكيف تطور ومصادر تسليحه وكيف تسلم الغانيين قيادته وادارته ، وما علاقة الولايات المتحدة بقياداته .

تطرق البحث الى دور وكالة المخابرات المركزية والسفارة الامريكية في الاطاحة بكوامي نكروما وهذا ما كشفته التقارير والوثائق الامريكية ، التي اكدت على سقوط نكروما قبل عام من الانقلاب ، كما واستعرض البحث ردود الفعل والمواقف الاقليمية الدولية من الانقلاب العسكري الذي اطاح بنكروما .

الكلمات المفتاحية: كوامي نكروما ، غانا ، الولايات المتحدة الامريكية ، انقلاب ، افريقيا .

Abstract

The research dealt with the role of the United States in overthrowing Ghanaian President Kwame Nkrumah on February 24, 1966, and the international reactions, as after the end of World War II, liberation movements in the Third World began to rage in order to

gain their country's independence from colonialism, in addition to the existence of international competition between the United States and the Soviet Union to obtain Over areas of influence and control, and in the midst of this battle, Ghanaian leader Kwame Nkrumah emerged to plan his own policy and lean towards the communist camp and the non-aligned countries, which posed a threat to the interests of the United States of America, so it began to look for opportunities and contrive things to get rid of him.

The research dealt with Ghana's achievement of independence in 1957 and the emergence of Kwame Nkrumah as a political leader until his election as President of Ghana in 1960, and how he moved away from the United States and the West in his policies and closer to the Soviet Union and the non-aligned countries. The research also presented the Ghanaian army and its composition, how it developed, the sources of its armament, and how Ghanaians took over its leadership and management. What is the United States' relationship with its leaders .

The research touched on the role of the Central Intelligence Agency and the American embassy in the overthrow of Kwame Nkrumah, and this was revealed by American reports and documents, which confirmed the fall of Nkrumah a year before the coup. The research also reviewed the regional and international reactions and positions to the military coup that overthrew Nkrumah.

Keywords: Kwame Nkrumah, Ghana, United States of America, coup, Africa.

المقدمة

يعد الزعيم الغاني كوامي نكروما من المناضلين الأفارقة الأوائل ضد الاستعمار، وكان أول رئيس لغانا المستقلة، استحوذت الوحدة الأفريقية ودعم حركات التحرر، ومعاداة أنظمة الفصل العنصري على سياسات نكروما، وانجرفت البلاد في موجة من الترددي الاقتصادي وتراجع الحريات السياسية، ورأت الولايات المتحدة الأمريكية ان في ذلك تهديدا لمصالحها الاستراتيجية والاقتصادية، فضلا عن تهديد مصالحها ونفوذها في أفريقيا، فعملت مع حلفائها للإطاحة بنكروما والتخلص من ذلك التهديد.

انقسم البحث على مقدمة وأربعة محاور وخاتمة ، فجاء المحور الأول استقلال غانا وانتخاب كوامي نكروما رئيساً وابتعاده عن الولايات المتحدة ، وعرض المحور الثاني بدايات تحضير الانقلاب على نكروما والاهتمام الأمريكي ، وكرس المحور الثالث دور الـ CIA والسفارة الأمريكية في الإطاحة بكوامي نكروما ، وتضمن المحور الرابع ردود الأفعال الإقليمية والدولية تجاه الإطاحة بنكروما ، وتوصل الباحث الى حقائق مهمة جاءت في ثنايا البحث ، وتم عرضها في الخاتمة ، وثبت بالمصادر التي اعتمدت في انشائه .

أولاً: استقلال غانا وانتخاب كوامي نكروما رئيساً وابتعاده عن الولايات المتحدة .

مع بروز الحرب الباردة^(١) في أعقاب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ وسيطرتها على علاقات الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي اللذين برزا كأقوى قوتين في الساحة الدولية ، تسللت هذه الظاهرة إلى كل المناطق ، وتمكنت كل قوة من هاتين القوتين من حراسة منطقة نفوذها حراسة تامة تقريباً ، وترتب على ذلك تجميد الوضع القائم ، واستمراره لمدة طويلة حيث تمتعت خلاله كل كتلة باستقرار داخلي إلى حد كبير، كما امتدت المنافسة بين الكتلتين إلى الشرق الأقصى والشرق الأوسط وإفريقيا ولا سيما غانا ، وأخذت المنافسة شكل التداخل المباشر أو غير المباشر بواسطة أطراف ثابتة .

خضعت غانا للاستعمار البريطاني عام ١٨٩٦ ونالت استقلالها عام ١٩٥٧ ، بعد احتلال دام أكثر من ستين عاماً ، وكانت أولى المستعمرات التي استقلت في غرب أفريقيا ، وأعلنت غانا مع استقلالها تغيير اسمها من ساحل الذهب وهو الاسم الذي أطلقه المستعمرون الإنجليز عليها إلى غانا ، وجاء استقلال غانا نتوياً لمسيرة النضال الوطني التي قادها كوامي نكروما أول رئيس لجمهورية غانا المستقلة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وانتشار موجة التحرر الوطني بين الشعوب المحتلة في آسيا وإفريقيا^(٢).

لم يكن مفاجئاً للولايات المتحدة تبني نكروما نظام حكم اشتراكية ، إذ ترافق صعود غانا كدولة مستقلة عن الاستعمار وسط موجة من حركات التحرر في دول العالم الثالث المدعومة من السوفييت ، إذ كانت مصر تعيش حلم الدولة الاشتراكية ، وتوجهت الهند يساراً مع جواهر لال نهرو^(٣)، وثبت فيدل كاسترو^(٤) أركان الشيوعية في كوبا، وبينما كانت الحرب الباردة على أشدها بمعسكرين شرقي وغربي، نهض العالم الثالث بحركة دول عدم

الانحياز ، وعدّ نكروما أن دول أفريقيا المستقلة حديثاً، وتلك التي هي قيد الاستقلال كدول أميركا الجنوبية ، تمتعت باستقلال سيادي شكلي ، بينما تمسك دول الاستعمار السابقة بمفاصل الاقتصاد ، وتوجه سياسة مستعمراتها السابقة ، فبدأ مع قادة أفارقة ورواد حركات التحرر بمحاولات ترسيخ الوحدة الأفريقية وعدم الانحياز، بوصفهما أدوات أساسية لمقارعة الإمبريالية وإتمام مسيرة تحرر الشعوب^(٥).

فقدت الولايات المتحدة الأمل بكوامي نكروما ، ولم يعد بالنسبة لها النجم الأسود ، فميوه للمعسكر الشرقي وانحيازه الى الاتحاد السوفيتي جعلتها تتجه للبحث عن بديل في المنطقة ، وكانت نيجيريا هي هذا البديل ، حيث حصلت على استقلالها في أول تشرين الاول ١٩٦٠ ، ولكونها أغني وأكبر مساحة من غانا وأكثر انحيازاً للمعسكر الغربي، وعدت الأفضل بالنسبة للولايات المتحدة ، وباتت الأخيرة تصنع الأحداث وتتحين الفرص وتستغل ما يحدث من اخفاقات في غانا للقضاء على نكروما.

ثانياً: بدايات تحضير الانقلاب على نكروما والاهتمام الأمريكي

تعددت الأسباب التي هيأت الانقلاب على الرئيس كوامي نكروما (Kwame Nkrumah)^(٦) ، وكانت الأوضاع الداخلية السياسية والاقتصادية والعسكرية من بين تلك الأسباب التي ساهمت الولايات المتحدة فيها بدرجات مختلفة ، وبالنسبة للوضع الداخلي، فقد كانت غانا تتمتع ببنية تحتية أفضل من مثيلتها في أفريقيا ، ومستوي تعليمي أفضل ، وحرية الصحافة وبرلمان منتخب بشفافية ونزاهة ذي شعبية كبيرة ، ومع نيل الاستقلال كانت الدولة الجديدة معرضة لخطر الانقسام بسبب العصبية والانتماءات القبلية والإقليمية، والذي عكس الى حد كبير القلق والاهتمام الزائد بالقضايا المحلية ، والتي كانت سمة مميزة لسياسة غانا ، وأمكن السيطرة على تلك الانقسامات من خلال وضع دستور عام ١٩٥٧ ، الذي حافظ على وحدة الدولة ، وتم من خلاله تشكيل النظام السياسي للدولة الجديدة ، فكان دستورا توافقيا بين قادة حزب المؤتمر الشعبي وخصومهم السابقين عليهم في السلطة من خلال التوصل لتفاهم والبحث عن حل وسط ، وتقديم التنازلات^(٧) .

كان الجيش الغاني آنذاك مثل غالبية الجيوش الأفريقية المعاصرة ، هو في الأساس القوات الأمنية التي خلفتها الإدارة الاستعمارية ، وكانت تستخدم في مهام الأمن الداخلي

وحراسة الحدود أو العمليات العسكرية في الحربين العالميتين ، وبعد الاستقلال أصبح جيشاً وطنياً ولكن تحت هيمنة دولة الاستعمار، ولذلك كانت تركيبته تستجيب للمتطلبات الداخلية السياسية والاجتماعية العرقية والقبلية ومطالب السياسات الخارجية الاستعمارية الاحتكارية في أهدافهما وهذا ما أثر في سرعة استجابته فيما بعد الاستقلال لتدخلاته في الشؤون الداخلية من ناحية ، ومن ناحية إنجاز تلبية مطالب الغرب في سيطرة تلك النظم العسكرية على تلك الشؤون الداخلية بما يحقق أهدافه، وهذا ما أدى الى وجود ما سمي بظاهرة الانقلابات العسكرية وهو في شكل الانقلاب العسكري الذي حدث في غانا، وساعده وموله الغرب الاستعماري للسيطرة على الوضع الداخلي في البلد لكي ينال رغباته الاستغلالية من خلاله في ذلك البلد النامي^(٨).

وكانت بريطانيا هي مصدر التدريب والتسليح والتجهيز العسكري في غانا حتى عام ١٩٦٠ ، إذ بدأ تدريب الضباط الغانيين في الكليات العسكرية البريطانية، ابتداء من عام ١٩٥٣ ، حتى إنشاء الكلية الحربية الغانية في نيسان ١٩٦٠ ، بهدف الإسراع بعملية الأفرقة والمساعدة على التوسع المخطط للقوات المسلحة، وإن انقطعت العلاقات العسكرية البريطانية الغانية بعد عام ١٩٦٠ ، الى حد ما، لاختلاف الأهداف والتوجهات بينهما، وظهور قوي إقليمية ودولية جديدة على مسرح الأحداث أبدت الاستعداد لتدريب الجيش الغاني وإعداده وتسليحه ومدته بالخبرات الفنية حتى عام ١٩٦٦ الانقلاب في غانا، وهذا غير ما حدث على سبيل المثال للجيش في نيجيريا الذي ظل قوامه الأساسي يعتمد على الخبرات البريطانية ومن بعدها الأمريكية في التدريب والتسليح حتى عام ١٩٦٦ الانقلاب في نيجيريا ، وهذا ما ينقلنا الى نتيجة أنه رغم التغييرات الغانية في الشأن العسكري حدث الانقلاب ، وبينما رغم الجمود النيجيري في المجال العسكري حدث الانقلاب أيضاً، وهذا ما يفسر أن القيادة والنخب العسكرية الأفريقية أكثر فئات النخب الداخلية في السيطرة الغربية عليها واختراقها، لأن معها عنصر سيادة الأمن الوطني والقومي، وآلية القوة، اللتان ستؤديان بهما سريعا الى منافذ الثروة والسلطة دون ادني جهد في العمل السياسي الذي سيتطلب جهدا ووقتا طويلا، وخبرات متعددة للوصول الى آلية التغيير وهي الانتخابات وحسمها للتغيير السياسي^(٩).

ظلت المناصب العليا في الجيش الغاني بريطانية ، وفي جهاز الخدمة المدنية بالأساس وكخطوة من أجل الاحتفاظ بالجيش الغاني داخل الفلك الغربي ، أرسلت الولايات المتحدة بعثاتها العسكرية ليدرسون الغانيون لجذب انتباههم والتأثير على توجهاتهم ، ولكن عندما أيقن نكروما بسرعة فشل الجيش الغاني في الكونغو نتيجة اعتماده على القيادة البريطانية والتسليح البريطاني الأمريكي الغربي ، اتجه إلى دول المعسكر الشرقي ليقوم بإعادة تسليح وتدريب جيشه على أسس جديدة ، وانتهز هذا في زيارة ليونيد برجنيف Leonid Brezhnev^(١٠) لغانا في شباط ١٩٦١ ، والذي وعد بتلبية الاتحاد السوفييتي جميع احتياجات غانا في مجال التسليح^(١١).

وزاد التعاون العسكري بعد زيارته لدول المعسكر الشرقي في تموز ١٩٦١ ، باختيار بعض الغانيين وإرسالهم للتدريب في الكليات العسكرية في الاتحاد السوفييتي ، وهو ما حدا بقائد الجيش الغاني وهو بريطاني الجنسية بالقول ان من الأمور التي تثير الاستياء من وجهة النظر البريطانية ، التفكير في أن نفراً من الشيوعيين يدربون لاحتلال أماكنهم في جيش نكروما ، وفي الوقت الذي بدأ الاتحاد السوفييتي بتزويد غانا بجميع أنواع الأسلحة منذ عام ١٩٦١ ، تسلّمت الحكومة الغانية الطائرات السوفييتية ، وهذا ما حفز نكروما على إرسال البعثات العسكرية للتدريب في الصين والاتحاد السوفييتي وكوبا والعديد من دول المعسكر الشرقي^(١٢) ، وأبدى نكروما إعجابه كثيراً لاستجابة الاتحاد السوفييتي لطلبه من أجل الحصول على أسلحة ، لنقلها الى أنتوني جيزينجا (Antoine Gizenga)^(١٣) في ستانلي فيل ، أو استخدامها في أماكن أخرى^(١٤).

كان أكثر ما يقلق الولايات المتحدة في توجه غانا المتزايد تجاه الكتلة الشرقية هو إرسال الضباط الغانيين للتدريب في موسكو وضرورة تحذير نكروما بأن مثل هذا التدريب سيكون إشارة واضحة لتحرك غانا بعيدا عن موقف عدم الانحياز ، وقد يؤدي الى تنامي الضغوط داخل الكونغرس الأمريكي لوقف مساعدات الولايات المتحدة لغانا ، يؤكد ذلك قلق الولايات المتحدة المتزايد من تطور العلاقات العسكرية بين غانا والاتحاد السوفييتي ، وتعلم ان وجود هؤلاء داخل القوات المسلحة الغانية سيكون مشكلة بالغة الخطورة لتأثرهم بالأفكار

الشيوعية وامتد النشاط العسكري السوفييتي في غانا الى تدريب قوات الحرس الجمهوري الغاني في موسكو^(١٥).

ورغم أن المساعدات العسكرية لغانا لم تكن تقارن بما حصلت عليه دول أخرى من السوفييت، كالهند ومصر وسوريا، لكنها كانت كبيرة بالمقارنة باحتياجات غانا العسكرية في الوقت الذي تعرض فيه نكروما لضغوط كذلك من بعض حلفائه مثل عبد الناصر، للتخلص من سيطرة الضباط البريطانيين على قيادة وأفرع الجيش الغاني المختلفة، بالاعتماد على مصادر أسلحة ومستشارين من الاتحاد السوفييتي واستخدم نكروما المساعدات السوفيتية في تعزيز سيطرته داخل غانا^(١٦).

كان لمحور العلاقات الأمريكية النيجيرية اثرا في علاقات الاخيرة مع غانا ، ولذلك شكل الاتحاد السوفييتي ومصر معاً محورين من محاور الضد في وجودهما في غانا ، وذلك لتشابك العلاقات معها على العلاقات الغانية النيجيرية ، لأنه بالفعل رغم الدعايات الاستعمارية ضدتهما داخل الدول الأفريقية ، ويبدو أنه كما وراء نيجيريا الولايات المتحدة ، كان وراء مصر الاتحاد السوفييتي ، في كافة الميادين والمستويات والأصعدة ، فقد انجر بصراعيهما من الشرق الأوسط الى داخل القارة الأفريقية ، فلاك أن نقول أن مصر كانت المنفذ الرئيس للأهداف والتوجهات السوفيتية في معظم المناطق التي دخلتها في أفريقيا، وأن لم نحجب عن مصر دورها السياسي الخاص للعب لصالحها في بعض الأحيان منفصلة عن سياسة الاتحاد السوفييتي داخل القارة، ولكن كانت جميع الوسائل التكنولوجية والمالية يقوم بها الاتحاد السوفييتي إما مباشرة أو بطريق غير مباشر بتحميلها لمصر لتنفيذها في أفريقيا، نظرا لعدم قدرة مصر على تحملها، وبالتالي كان الدور المصري دائما يرتبط بنظيره السوفييتي، فلكي نبحت عن مصر لا بد أن نبحت عن الاتحاد السوفييتي والعكس صحيح، وهذا ما أنتج تخفيض في العلاقات المصرية النيجيرية وتضخيم في العلاقات المصرية الغانية ، وبمعنى آخر أن الدور السوفييتي المصري أثر في العلاقات الغانية النيجيرية كثيرا بالنقصان وليس بالتزايد ، وإذا ما نظرنا بالمقابل على الجانب الآخر من العلاقات السوفيتية والمصرية مع نيجيريا نجد نقصان في العلاقات لتنامي دور العلاقات الغربية النيجيرية ، في المقابل لم يقتصر الأمر على المساعدات والمستشارين ، بل امتد لحصول الاتحاد السوفيتي

على ميزة استراتيجية مهمة تمثلت في قاعدة جوية ، فضلاً عن توطيد نكروما العلاقات مع المخابرات السوفيتية وألمانيا الشرقية ، وهكذا خلصت واشنطن الى أن نكروما يمكنه آنذاك أن يهدد الوضع القائم في أفريقيا ، مما يؤثر على الدول الصديقة لها^(١٧) .

وكان ضباط القوات المسلحة في غانا الذين خططوا للانقلاب العسكري متحمسين لفكرة الانقلاب ، حتى أن الجنرال جوزيف آرثر أنكره (Joseph Arthur Ankrah)^(١٨) ، أحد قادة الانقلاب ورئيس الحكومة الجديدة بعده ، برر تدخل القوات المسلحة في شئون الدولة بأنه رد فعل طبيعي للتجاوزات والأخطاء التي تمت في نظام نكروما، والذي وصفه بأنه عصر انتشر فيه سوء الإدارة والتدبير وكبت الحريات والفوضى والتخبط الاقتصادي ، ومع هذا فإن محاولات نكروما لإضعاف وتجنيد الجيش والشرطة ربما كان الدافع الأساسي وراء حدوث الانقلاب، حيث انتقد الجنرال أنكره نكروما بسبب إنشاء جيش خاص لخدمة أهداف نكروما الشخصية التي تتلخص في سعيه لمعادلة التوازن أمام القوات المسلحة الغانية حتى يكون له نفوذ مقابل لها^(١٩) .

ثالثاً: دور الـ CIA والسفارة الأمريكية في الإطاحة بكوامي نكروما:

مهدت الأوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية التي شهدتها غانا، الطريق للإطاحة بنظام نكروما ، ولأسيما الوضع الاقتصادي الذي أضعف تأييد الشعب للنظام الحاكم ، ومن ثم فقد النظام أهم وسائل الحماية لمواجهة محاولات الانقلاب ، مما ساعد القوى الخارجية متمثلة في الولايات المتحدة ووكالة مخابراتها المركزية في أن تنفذ الانقلاب في الوقت المناسب ، وتعرض نكروما منذ زيارته للمعسكر الشرقي في تموز ١٩٦١ ، لعمليات اغتيال متعددة، وكانت الولايات المتحدة ترصد ذلك لإسقاط نظام نكروما، ولكن تقديرات وكالة المخابرات الأمريكية أشارت في ذلك الوقت الى أن هناك تأييداً شعبياً كبيراً لنكروما وأنه يستطيع أن يحافظ على قبضته على السلطة واستبعدت قيام الاجهزة الأمنية بمحاولة الإطاحة به لسيطرته القوية على الجهاز السياسي^(٢٠) .

كانت للمخابرات المركزية الأمريكية توقعات لما ستؤول اليه الاوضاع في غانا ورات أنه في كل الأحوال أن أي مجموعة تصل للسلطة فإنها على الأرجح ستتبع كثيراً من السياسات الراديكالية التي كان نكروما يؤمن بها ، وقد تطورت الأوضاع مع محاولة اغتيال

جديدة لنكروما في أول كانون الثاني ١٩٦٤ ، وكانت أصابع الاتهام تشير الى الولايات المتحدة، وبالفعل ازداد النقد الحاد للولايات المتحدة داخل غانا، وتكررت الاتهامات بتورطها في محاولة اغتيال نكروما، رغم نفي نكروما والحكومة الغانية تحريضهما على الولايات المتحدة ، ونفي الحكومة الأمريكية في ضلوعها في ذلك فبينما لم تقر الولايات المتحدة بتورطها في أية محاولات للإطاحة بنكروما، إلا أن العديد من الشواهد أشارت إلى عكس ذلك ، منها المشاركة المستمرة للمخابرات الأمريكية في الاجتماعات الخاصة بغانا من كانون الثاني ١٩٦٤ ، والتي كانت تعكس دور المخابرات في رسم سياسة الولايات المتحدة تجاه غانا ، وناقشوا فيه احتمالات الإطاحة بنظام نكروما ، وذلك في السادس من شباط ١٩٦٤ ، وبدأت الإدارة الأمريكية ومخابراتها تعد العدة لتنفيذ مهمة الإطاحة بنكروما، وذلك بتشويه صورته بالداخل والخارج ، من خلال برنامج محدد، أظهرته الوثائق، تضمن ضرورة بذل جهود مكثفة من خلال الحرب النفسية وغيرها من الوسائل من أجل تقليص المساندة التي يلقاها نكروما داخل غانا ، وشحن نفوس الشعب الغاني بفكرة ضرورة التخلص من نكروما لصالح استقلال بلادهم هذا على المستوى الداخلي، أما خارجياً، فقد تضمن البرنامج المقترح مخاطبة زعماء الدول الأفريقية الآخرين بأن نكروما يمثل مشكلة يجب عليهم مواجهتها وذلك لمصلحتهم القومية^(٢١).

وان من الشواهد التي تقر بتورط الولايات المتحدة في عملية الإطاحة بنكروما، اعتراف بعض الأعضاء البارزين في انقلاب عام ١٩٦٦ بالمسئولية عن الانقلاب للولايات المتحدة الأمريكية ، بل هناك اعترافات وتأكيدات من مصادر مختلفة تميل الى إثبات أن الانقلاب قد تم التفكير فيه بصورة رئيسة من قبل القومي، الغربية ودعم مصداقية المؤامرة ، وجاء الكشف من موظفي السفارة الأمريكية في غانا في ذلك الوقت عن أن الحكومة الأمريكية لها يد في الانقلاب وتشير بعض وثائق مجلس الأمن القومي ووكالة المخابرات المركزية الى أدلة تورط حكومة ليندون بينز جونسون (Lyndon B. Johnson)^(٢٢) في اسقاط نكروما^(٢٣).

وأشارت تقارير المخابرات الأمريكية خلال عام ١٩٦٥ ، الى وجود استياء متنامي لدى قوات الجيش والشرطة من النظام السياسي ، وقد تم تأجيل الانقلاب عدة مرات^(٢٤)، كما

أبلغت السفارة الأمريكية في غانا أيضاً عن وجود أحاديث تتردد بين الفينة والأخرى عن إشاعات بحدوث انقلاب وفي ١٠ شباط ١٩٦٥ ، كتب السفير وليام باتريك ماهوني (William P. Mahoney)^(٢٥) ، أن مؤامرة يجري الترتيب لها لقلب نظام نكروما في المستقبل القريب وأن الخطط لم تكتمل بعد ، وتوقع اخفاق هذه المؤامرة قبل التنفيذ ، ووفقاً لوثيقة وكالة المخابرات الأمريكية ، التي حملت عنوان انقلاب عسكري في غانا ، ظهر أن ماهوني وجون ماكوني مع شخصيات أخرى على صلة بعمليات التخطيط للانقلاب ضد نكروما وأدلووا بتصريحات في ١١ اذار ١٩٦٥ ، قبل أكثر من عام على الانقلاب عن لقاء في واشنطن لمناقشة إمكانية حدوث انقلاب عسكري في غانا، بسبب الحالة الحرجة للاقتصاد الغاني والضعف المستمر لموقف نكروما، وتحول الرأي العام ضده ، وقدم ماهوني تقريراً عن الخطط التي قدمها الجنرالات الغانيين ميشيل أوتو (Michelle Otto) وأنكرا ، ومفوض الشرطة جون هارلي (John.Harley) للإطاحة بالحكومة، وأشار إلى توقعه بعدم نجاح الانقلاب الذي يخططون له إلا أنه توقع بشكل أو بآخر أن يكون نكروما خارج الحكم خلال عام وأنه تم الاتفاق مبدئياً على وجود مجلس عسكري سيتولى زمام الأمور واستقر الرأي بين ماهوني وماكوني على تهيئة الأجواء للانقلاب بالتنسيق مع حكومات غربية أخرى لمنع المساعدات عن الحكومة في غانا وذلك لخلق نظام نكروما مالياً^(٢٦) .

وتوقع السفير أن تشهد المدة اللاحقة مع زيادة الضغط على نكروما المزيد من نوبات الغضب وأن الكثير منها سيكون موجهاً ضد الولايات المتحدة وكانت تقارير مكتب المخابرات الأمريكية آنذاك ترصد منحنيات المؤامرة واتخذ نكروما خلال شهر تموز ١٩٦٥ ، إجراءات مضادة نجحت في وقف المؤامرة في ذلك الوقت وكان تحرك نكروما المفاجئ نابغاً من مخاوفه التي تزايدت عقب نجاح سلسلة من الانقلابات العسكرية في مناطق أخرى في غرب أفريقيا فقد أشار تقرير للمخابرات الأمريكية في ١٥ كانون الثاني ١٩٦٦ ، إلى أن تتابع الانقلابات العسكرية في غرب أفريقيا كان بمثابة شرارة لانقلاب ضد نكروما وأن ضباط الجيش المتحزين كانوا جاهزين للتحرك منذ شهور ولكن التردد في اتخاذ القرار مكن نكروما من إفشال المؤامرة ووردت تقارير عن أن قائدي فرقتي الجيش ورئيس الشرطة كان يدبران لتحرك من أجل إقصاء نكروما أثناء جولته الآسيوية ، تحرك ضباط الجيش والشرطة

المعارضين لنكروما ، وأعلنت إحدى المحطات الإذاعية في أكرا في ٢٤ شباط ١٩٦٦ ، تولي الجيش مقاليد السلطة وعزل الرئيس نكروما بعد ثلاثة أيام من مغادرته أكرا حيث أغلق الجيش المجال الجوي لأكرا في وقت مبكر من يوم ٢٤ شباط ١٩٦٦ ، وأحكم سيطرته على الاتصالات اللاسلكية كما اقتحم معهد كوامي نكروما الأيديولوجي، وألقى القبض على أعضاء هيئة التدريس ولأذ الطلاب بالفرار وتم البحث عن جيوفري بينج (Geoffrey.Ping)^(٢٧) المحامي اليساري ومستشار الرئيس نكروما، كما أطلق الكولونيل كوتوكا E.K.Kotoka قائد إحدى فرقتي الجيش والذي ألقى بيان الانقلاب النار على حراس نكروما ، ووصل عدد القتلى ما بين ٢٠-٢٥ شخصاً في الهجوم ، وكان بينهم من ١٠-١٤ من الحرس الرئاسي المدرب في الاتحاد السوفييتي ، وتم حل الحزب السياسي الوحيد في غانا والوزارات والمؤسسات بما فيها الحكومة والبرلمان، وتمت عمليات القبض بنجاح كما دعا قادة الانقلاب الجنرال أنكرا ، الذي أقاله نكروما في ٢٨ تموز، لتولي منصب قائد القوات المسلحة على أن نكروما لم يعلم بالانقلاب إلا عند وصوله لبكين^(٢٨).

ولأهمية الدور الذي اداه السفراء الامريكان في غانا اورد جدولاً بأسماء من شغلوا هذا المنصب في غانا منذ استقلال غانا والى الانقلاب .

جدول اسماء السفراء الامريكان^(٢٩)

الاسم	تاريخ الولادة والوفاة	المنصب	تاريخ تسنمه المنصب	تاريخ مغادرة المنصب
دونالد ويكهام لام	١٩٩٦-١٩١٤	القائم بالأعمال	١٢ اذار ١٩٥٧	١٩ نيسان ١٩٥٧
بيتر روتر	١٩٨٩-١٩١٥	القائم بالأعمال	٢٥ نيسان ١٩٥٧	١٩ حزيران ١٩٥٧
ويلسون كلارك فليك	١٩٧٧-١٩٠٦	سفير فوق العادة	١٩ حزيران ١٩٥٧	٢١ تشرين الثاني ١٩٦٠
فرانسيس هنري راسل	١٩٨٩-١٩٠٤	سفير فوق العادة	٢٣ كانون الثاني ١٩٦١	١٣ اذار ١٩٦٢
ويليام باتريك ماهوني	٢٠٠٠-١٩١٦	سفير فوق العادة	٢٢ حزيران ١٩٦٢	٢٦ ايار ١٩٦٥
فرانكلين هول ويليامز	١٩٩٠-١٩١٧	سفير فوق العادة	١٧ كانون الثاني ١٩٦٦	٣ ايار ١٩٦٨

رابعاً: ردود الأفعال الإقليمية والدولية تجاه الإطاحة بنكروما

أ-ردود الفعل على المستوى الإقليمي :

أعلن راديو غانا بعد الإطاحة بنكروما أن الجنرال أنكرا سيتولى رئاسة مجلس التحرير الوطني الذي يتكون من سبعة أعضاء من رجال الجيش والشرطة ، وأن المجلس شكل لجاناً من أجل الإشراف على الإدارة والاقتصاد والشئون الخارجية.

حدث في نيجيريا انقلاباً عسكرياً في ١٥ كانون الثاني ١٩٦٦ ، أي قبل الإطاحة بنكروما بأكثر من شهر ، فرأى نكروما خصمه اللدود وهو ينهار أمامه بضربات الغرب الموجعة ، وأدى ذلك الانقلاب الى توجيه أصابع الاتهام الى الغرب الاستعماري وقوى الاستعمار الجديد ممثل في الولايات المتحدة الأمريكية وكانت أحاديثه الصحفية ومناقشاته الحوارية وتصريحاته السياسية مغلقة إلى حد ما بإطار من الفرح ، ليبرر على أن هذا المسار الطبيعي لنهاية العلاقات الوطيدة مع الغرب والولايات المتحدة الأمريكية بالأخص ، ونهاية السيطرة السياسية والتدخلات الغربية والاحتكارات الاستعمارية والتبعية الاقتصادية ، ونزع القرار السياسي ، وتشجيع النخب الفاسدة ، ثم تطرق بهذا بالمقارنة بالنموذج الغاني الاشتراكي الحر ، وتباهي بالوضع الغانية المستقلة ذات فكر سياسة عدم الانحياز في مقابل السير مع الغرب وتبعيته وتحقيق أهدافه ورغباته الاستعمارية كل هذه الأحاديث ولم يعلم نكروما ، أنه بعد شهر وحوالي عشرة أيام ستكرر التجربة الانقلابية في بلاده بمساعدة الغرب والولايات المتحدة (٣٠) .

وبالتالي فُرض على الطرف الإقليمي النيجيري الأقوى في المنطقة، ألا يري الانقلاب العسكري وانهيار التجربة النكرومية في غانا ليهلله ونجاحه ، وتأييده الذي ما ظل يحلم به طوال المدة من استقلاله وحتى وفاته في ١٥ كانون الثاني ١٩٦٦ ، عن طريق جعل بلاده نيجيريا ، مركز تدابير المؤامرات والمحاولات الدولية والإقليمية الانقلابية على النظام الغاني، خصمه التقليدي ومفترق طرق التحالفات الاستعمارية والشركات الاحتكارية والقرارات الغربية ضده ، ولكن كانت أشد الأطراف الإقليمية التي كانت موجهة ضد النظام الغاني ، وهي مجموعة الدول المتحدثة بالفرنسية، والممثلة في ساحل العاج ، كانت قد رأت انهيار التجربة النكرومية والتي شاركت في احداثها ودعمت مواقفها فضلاً عن اتحاد جنوب أفريقيا

، أما الدول التي تأثرت بالانقلاب الغاني وكانت لها تعليقات كثيرة لرفضه نهائيا كانت مصر وغينيا ومالي وتنزانيا.

ب- ردود الفعل على المستوى الدولي:

ادان الاتحاد السوفيتي هذا الانقلاب ، ووجه أصابع الاتهام إلى الولايات المتحدة والإمبريالية ،العالمية وأن هذا الانقلاب لم يكن يتم من دون إلهام ودعم من الخارج وكانت الآراء متوافقة تماما بين أعضاء منظمة حلف شمال الأطلسي على دعم الحكومة الغانية الجديدة وعلى أن التهديد القادم من غينيا ليس خطيراً^(٣١)، ولا شك فيه ان موقف السوفييت من الانقلاب كان طبيعيا ومتوقعا .

وأما عن موقف الولايات المتحدة الأمريكية فقد رحبت السلطات والصحافة بالانقلاب في غانا ، على أن الولايات المتحدة قررت أنها ستتوقف وتنتظر استطلاع ردود أفعال بعض الدول الأفريقية الأخرى ، قبل الاعتراف بالنظام الجديد في غانا، وألا تظهر حماسة للانقلاب لكي لا تمنح مصداقية للاتهامات الموجهة إليها بأنها مدبرة الانقلاب ،وفي الوقت ذاته حثت الإدارة الأمريكية في واشنطن السفارة الأمريكية في غانا بضرورة التحرك بأسرع ما يمكن لتفعيل علاقاتها مع النظام الجديد وأن تبقى اتصالاتها مع مجلس التحرير الوطني في السر ، وحذرت الإدارة الأمريكية بعدم الانصياع أو الالتزام لمجلس التحرير الوطني بأي تعهدات ، وبدأ موقف الإدارة الأمريكية من الانقلاب في غانا يظهر شيئا فشيئا ، وأن الإدارة الأمريكية تتوي مساعدة غانا على الوجه الأفضل لاستعادة توازنها وسيتوقف ذلك على أداء مجلس التحرير الوطني، كما أثنت الإدارة الأمريكية على الانقلاب لعدم إراقة الكثير من الدماء وما وصفته بالخطوات المتحضرة التي اتخذها مجلس التحرير الوطني تجاه مؤيدي غانا، وتأخر اعتراف الولايات المتحدة بعد اعتراف ليبيريا وملاوي وألمانيا الغربية ، ومنتظر ان تحذو حذوهما نيجيريا ودول الكومنولث ، وأن النظام الجديد لن يكون له أية مشاكل مع البلاد الأفريقية بمجرد أن تنتهي اجتماعات منظمة الوحدة الأفريقية في أديس أبابا وطلب الجنرال أنكرا من السفير الأمريكي بأن يبلغ الرئيس جونسون بأن غانا لن تنتظر أبداً مرة أخرى صوب الشرق^(٣٢) .

وعلى الجانب الآخر بدأت الصورة تتضح في غانا مع بداية اذار ١٩٦٦ ، وذلك بمعادة الشيوعية ومحاباة المعسكر الغربي وتأييده وأغلق النظام الانقلابي سفارته وبعثاته الخارجية في الدول غير الصديقة للولايات المتحدة ، وكأنه هبوب الرياح السعيد على الولايات المتحدة وأكدت الخطابات المتبادلة بين أنكرا رئيس مجلس التحرير الوطني والرئيس الأمريكي جونسون، ولاء قادة الانقلاب في غانا للولايات المتحدة وبالطبع كال أنكرا الاتهامات المعسكر الشرقي وهو الخط المشترك الذي تقابل وأعوانه فيه مع الولايات المتحدة، حتى أنه قال لجونسون "إن المجلس الوطني مصمم على إزالة جميع معالم التأثير الأيديولوجي الغريب من غانا وتحسين العلاقات مع الغرب وخاصة الولايات المتحدة ووعده المجلس بأن تعاد إدارة البلاد لسلطة مدنية وتشكيل لجنة اصلاح دستورية لوضع مشروع دستوري مقبول يرسى مبادئ الفصل بين السلطات الذي أهدره نكروما "وحزبه وعلى الجانب الآخر أيد جونسون أسباب الانقلاب ومدح إدراك أنكرا لمخاطر الثورة المضادة من جانب المصادر المعادية^(٣٣) .

ومن خلال ما تقدم نجد ان الولايات المتحدة كان لها دور بارز في الاطاحة بكوامي نكروما وذلك لان الاخير اتجه صوب الاتحاد السوفيتي وحلفاءه ، وتبنى نظاما اشتراكيا ، فضلا عن سياسة عدم الانحياز ، وابتعد كثيرا عن الولايات المتحدة والمعسكر الغربي وهذا بطبيعة الحال كان يمثل تحديا واضحا لسياسة الولايات المتحدة لا سيما وانها في خضم الحرب الباردة ، الامر الذي ادى بالولايات المتحدة للعمل على التخلص من نكروما وبالتالي الاطاحة به في الانقلاب العسكري .

الخاتمة

من خلال دراسة دور الولايات المتحدة في الإطاحة بالرئيس الغاني كوامي نكروما في ٢٤ شباط ١٩٦٦ وردود الفعل الدولية . توصلنا الى جملة من الاستنتاجات المهمة ابرزها :
اولا: خضعت غانا للاستعمار البريطاني منذ عام ١٨٩٦ واستقلت عام ١٩٥٧ ،
وغيرت اسمها مع استقلالها من ساحل الذهب وهو الاسم الذي أطلقه المستعمرون الإنجليز عليها إلى غانا ، وجاء

ثانيا: كان استقلال غانا تتويجاً لمسيرة النضال الوطني التي قادها كوامي نكروما وانتخب عام ١٩٦٠ أول رئيس لجمهورية غانا .

ثالثا: تبنى نكروما نظاما اشتراكيا في الحكم ، واقترب كثيرا من الاتحاد السوفيتي وحلفاءه بدأ مع قادة أفارقة ورواد حركات التحرر بمحاولات ترسيخ الوحدة الأفريقية وعدم الانحياز، بوصفهما أدوات أساسية لمقارعة الإمبريالية وإتمام مسيرة تحرر الشعوب .

رابعا: فقدت الولايات المتحدة الامل بنكروما ، ولهذا اختارت نيجيريا بديلا عن غانا حليفا استراتيجيا في المنطقة ، وبدأت بالعمل للإطاحة بنكروما ، لأنه اصبح يمثل تحديا وتهديدا لمصالح الولايات المتحدة في المنطقة .

خامسا: ادى السفراء الامريكان ولاسيما ويليام ماهوني دورا بارزا في الاطاحة بنكروما من خلال الاتصال بالقادة الانقلاب .

قائمة المصادر

اولا: المصادر العربية والمعربة

- ١- اسامة عبدالنواب محمد ، العلاقات بين مصر وغانا ١٩٥٧-١٩٦٦ ، سلسلة بحوث افريقية ٢ ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ٢٠١٤ .
- ٢- انتصار علي عبد نجم المشهداني ، جواهر لال نهرو ومواقفه من القضايا العربية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢ .
- ٣- رغيد هيثم منيب ، كوامي نكروما حياته ودوره السياسي في غانا (١٩٠٩-١٩٧٢) ، مجلة الرافدين كلية الآداب جامعة الموصل ، السنة ٢٠١٩ ، المجلد ٤٩ ، العدد ٧٨ .
- ٤- روبرت جيه ماکمان ، الحرب الباردة ، ترجمة محمد فتحي خضر ، مؤسسة هنداوي للنشر ، (د.م) ، ٢٠١٤ .
- ٥- سرى اسعد عبدالكريم الجبائي ، ليندون جونسون ودوره السياسي في الولايات المتحدة الامريكية (١٩٣٧ - ١٩٦٩) ، رسالة ماجستير كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة بابل ، ٢٠١٥ .
- ٦- ضياء الدين رحمة الله جبر ، فيدل كاسترو ودوره السياسي في كوبا حتى عام ١٩٧٦ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة بابل ، ٢٠١٩ .
- ٧- ظاهر جاسم محمد ، افريقيا ما وراء الصحراء من الاستعمار الى الاستقلال دراسة تاريخية ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .

- ٨- عبدالله عبدالرزاق ابراهيم واخرون ، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر ، دار الزهراء للنشر والتوزيع ، الرياض ، ٢٠٠٢ .
- ٩- عبدالوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، مج ٦ ، المؤسسة العربية للنشر والدراسات ، بيروت ، ١٩٩٠ .
- ١٠- عبده بدوي ، شخصيات افريقيا ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، (د.ت) .
- ١١- على متولي أحمد المتولي ، سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه غانا ١٩٥٧ ، ١٩٦٦ ، سلسلة بحوث افريقية ٥ ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ٢٠١٥ .
- ١٢- فراس البيطار ، الموسوعة السياسية والعسكرية ، ج ٢ ، دار اسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٣ .
- ١٣- ليونيد بريجنيف، سياسة الاتحاد السوفيتي الخارجية والوضع الدولي ، ترجمة : نيقولا شادي، دار الفارابي ، بيروت، د.ت .
- ١٤- مجدي عبده حماد ، اسرائيل وافريقيا دراسة في ادارة الصراع الدولي، دار المستقبل العربي، القاهرة ، ١٩٨٦ ،
- ١٥- مجموعة مؤلفين ، النار والجليد - الامبراطورية الحمراء من المهد إلى اللحد ، بيروت ، ١٩٩٢ .
- ١٦- الموقع الالكتروني:

https://en-m-wikipedia-org.translate.google.com/wiki/Geoffrey_Bing

١٧- الموقع الالكتروني : الوثائق الامريكية رؤساء البعثات الى غانا

https://history-state.gov.translate.google.com/departmenthistory/people/chiefsofmission/Ghana?_x_tr_sl=en&_x_tr_tl=ar&_x_tr_hl=ar&_x_tr_pto=sc

ثانيا: المصادر الاجنبية

- 1- Al-Hassan, Osman: Politicized Soldiers: Military intervention in the Politics of Ghana, 1966-1993, , Ph.D., Washington State University, 2004.
- 2- Boni, Yao Gebe: Ghana's Foreign Policy at independence implications for the 1966 Coup D'etat, the Journal of Pan African Studies, Vol. 2, No. 3. March 2008 .
- 3- Central Intelligence Agency, DCI (McCone) Files: Job 80-B01285A, DCI Memo for the Record, 1 Mar.-28 Apr. 1965 .

- 4- Department of State: President Nkrumah Prospective Visit to the U.S.S.R.: Intelligence Report, No. 8487, June 26, 1961, P.7
 - 5- FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1964-1968, VOLUME XXIV, AFRICA. ٢٥١, Memorandum of Conversation, 1. Washington, March 11, 1965 .
 - 6- Hoeane, Patricia Masilo: Economec aid: An Instrument of Soviet Foreign Policy: The Case of Ghana, 1957-1966, M.A Department of Political Science, Western Michigan University, 1981 .
 - 7- James, R. Millar, Encyclopedia of Russia history, U.S.A, 2003.
 - 8- Muehlenbeck, Philip Emil: Betting on the dark horses: John F. Kennedy is courting of African nationalist leaders, Ph.D., Faculty of Columbian College of Arts and Sciences, George Washington University, 2007 .
 - 9- Peterson, Clifford Errol: The Formative foreign Polisy Phase in India, Indonesia, Issrael, and Ghana, Ph.D., Political Science, International Law and Relation, Johns Hopkins University, 1969 .
 - 18-Rolf Italiaander, The New Leaders of Africa, the University of Michigan, 2006 .
 - 19- Whiting Kenneth L.: Ghana council tackles overhaul of economy: Soviet press credits C.I.A., British Intelligence, the Washington Post, Times Herald, Feb., 26, 1966 .
- William P Mahoney, Son of an immigrant: The memoirs of William P. Mahoney, Jr, u.s.a. 1995 .

الهوامش:

(١) الحرب الباردة: هي تنافس وصراع متعدد الجوانب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وحلفاءهما بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أنه لا يرقى الى الصدام العسكري المباشر، وجبهات ذلك الصراع كانت المجالات السياسية والاقتصادية وما عرف أيضاً بالحرب الدعائية القائمة على استخدام أجهزة الإعلام وسباق التسلح، وظهر مصطلح الحرب الباردة لأول مرة

في مداخلات الخبير المالي الأمريكي والمستشار الرئاسي بيرنارد باروخ B. Baruch في مناقشات الكونغرس الأمريكي عام ١٩٤٧، وازدادت وتيرة الحرب الباردة بعد أن أعلنت الولايات المتحدة عن مشروع مارشال ١٩٤٧-١٩٤٨ لتقديم المساعدات لبلدان أوروبا الغربية المتضررة من آثار الحرب العالمية الثانية خوفاً من وقوعها تحت تأثير الشيوعية التي كان يقودها الاتحاد السوفيتي ويسعى الى نشرها في أكبر عدد من بلدان أوروبا، وشهدت الحرب الباردة على مدى سنوات طويلة تطورات متعددة، منها تشكيل حلف شمال الاطلسي بقيادة الولايات المتحدة عام ١٩٤٩، وقيام الاتحاد السوفيتي بتشكيل حلف وارشو عام ١٩٥٥، إلا أن مظاهر الحرب الباردة بدأت بالاضمحلال خلال النصف الثاني من ثمانينات القرن العشرين أثناء إدارة الزعيم السوفيتي ميخائيل غورباتشوف (Mikhail Gorbachev) ، مما أدى في عام ١٩٩١ الى انهيار الاتحاد السوفيتي ، وبذلك أسدل الستار على ما عُرف بالحرب الباردة. للمزيد ينظر: روبرت جيه ماكمان ، الحرب الباردة ، ترجمة محمد فتحي خضر ، مؤسسة هندواي للنشر، (د.م) ، ٢٠١٤ .

(٢) عبدالله عبدالرزاق ابراهيم واخرون ، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر ، دار الزهراء للنشر والتوزيع ، الرياض ، ٢٠٠٢ ، ص ٣٠٣ ؛ عبده بدوي ، شخصيات افريقيا ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، (د.ت) ، ص ٦٨ .

(٣) جواهر لال نهرو (١٨٨٩-١٩٦٤): ولد لعائلة ثرية أرسلته إلى بريطانيا ليدرس القانون، حيث درس في مدرسة هارو في الكابيتول هيل، تلاها كلية ترينيتي في جامعة كمبردج، وعاد لبلاده بعد أن أتم دراسته ، اتجه إلى السياسة وأعجب بغاندي وتتلذذ على يديه سياسيا ودينيا ، تميز بالاشتراكية والعدالة ولم يكن متعصبا للهندوسية، وأسهم في إدخال الكهرباء للكثير من مناطق الهند المحرومة. أدخل الطاقة النووية للهند وشجع الصناعة الثقيلة وكذلك الصناعات المنزلية ، كما ضمن حريات والحقوق الاجتماعية للمرأة أسس مع عبد الناصر وسوكارنو وتيتو حركة عدم الانحياز. للمزيد ينظر: انتصار علي عبد نجم المشهداني ، جواهر لال نهرو ومواقفه من القضايا العربية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢ .

(٤) فيدل كاسترو (١٩٢٦-٢٠١٦) : سياسي كوبي ولد عام ١٩٢٦ ، وهو الابن الغير شرعي الثالث لوالده كاسترو اليخاندرو روز من الخادمة لينا روز غونزاليس ، درس القانون في

جامعة هافانا عام ١٩٥٠ ، قاد هجوماً فاشلاً على ثكنة المونكادا عام ١٩٥٣ ، أطاح بحكم الجنرال باتيستا عام ١٩٥٩ ، أصبح رئيساً لوزراء كوبا في شباط من نفس العام ، ظل في منصبه هذا حتى عام ١٩٧٦ ، عندها أصبح رئيساً لمجلس الدولة ورئيس الجمهورية ، اعتمد على الاتحاد السوفيتي حتى سقوط الأخير عام ١٩٩١ . للمزيد ينظر: ضياء الدين رحمة الله جبر ، فيدل كاسترو ودوره السياسي في كوبا حتى عام ١٩٧٦ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة بابل ، ٢٠١٩ .

(٥) ظاهر جاسم محمد ، افريقيا ما وراء الصحراء من الاستعمار الى الاستقلال دراسة تاريخية ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ١٦٧ .

(٦) كوامي نكروما (١٩٠٩ - ١٩٧٢): سياسي غاني ومناضل ضد الاستعمار لغانا وبرز دعاء الوحدة الافريقية ومن مؤسسي منظمة الوحدة الافريقية ، وكان أول رئيس لغانا المستقلة ، ولد في قرية نكروفول من قبيلة نوي ، تخرج بدار المعلمين في أكرا، وعمل أستاذاً إلى أن التحق عام ١٩٣٥ بجامعة لنكولن في الولايات المتحدة ، وفي عام ١٩٤٥ بمدرسة الاقتصاد في لندن، عاد نكروما الى غانا عام ١٩٤٧ ، وأصبح أمين عام مؤتمر شاطئ الذهب (غانا) الموحد وبدأ بالنضال لأجل الاستقلال فاعتقل عام ١٩٤٨ وترك المؤتمر ، وفي أواسط عام ١٩٤٩ أسس نكروما حزب المؤتمر الشعبي ، وفي عام ١٩٥٠ اعتقل نكروما مجدداً بعد سلسلة من الإضرابات وحكم عليه بالسجن ثلاث اعوام ، وفاز حزبه بالانتخابات البلدية والعامية في الانتخابات، وفاز وهو بالسجن بدائرة أكرا وبأكثريّة كاسحة، فأطلق سراحه وتولى رئاسة الوزراء في ١٩٥٢ ، ويوم ٦ آذار ١٩٥٧ أعلن استقلال شاطئ الذهب تحت اسم غانا، واختار نكروما النمط الاشتراكي، وفي عام ١٩٦٠ أقر دستور جمهورية غانا، وانتخب نكروما أول رئيس لها، وأعيد انتخابه عام ١٩٦٥، وانقلبت عليه مجموعة من الضباط أثناء سفره خارجية فالتجأ إلى غينيا ، وتوفي في رومانيا في ٢٧ نيسان ١٩٧٢ فأعلنت السلطات الغانية الحداد الرسمي، وبعد أن كان قد دفن في غينيا أعيد جثمانه إلى غانا، حيث شيع رسمياً، ولنكروما عدة مؤلفات . للمزيد ينظر: عبدالوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، مج ٦ ، المؤسسة العربية للنشر والدراسات ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص ٦٠٩-٦١٠ ؛ رغيد هيثم منيب ، كوامي نكروما حياته ودوره السياسي في غانا (١٩٠٩-١٩٧٢) ، مجلة الرافدين كلية الآداب جامعة الموصل ، السنة ٢٠١٩ ، المجلد ٤٩ ، العدد ٧٨ ، ص ٤٣٥-٤٣٨ .

(٧) علي متولي أحمد المتولي، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه غانا (١٩٥٧-١٩٦٦) ، سلسلة بحوث افريقية ٥ ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ٢٠١٥ ، ص٢٣٨ .

(٨) مجدي عبده حماد ، اسرائيل وافريقيا دراسة في ادارة الصراع الدولي، دار المستقبل العربي، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص٢٠٩ .

)⁹ (Hoeane, Patricia Masilo: Economec aid: An Instrument of Soviet Foreign Policy: The Case of Ghana,1957-1966, M.A Department of Political Science, Western Michigan University,1981, p.32 .

(١٠) ليونيد بريجنيف (١٩٠٦-١٩٨٢): رجل دولة وسياسي سوفيتي بارز ، ولد في مدينة

كامنسكوي في أوكرانيا، ودرس فيها ، تخرج من الكلية الزراعية عام ١٩٢٧ ، وعمل مهندسا،

التحق بالحزب الشيوعي عام ١٩٣١ ، خدم في الجيش الاحمر ، شغل عدة مناصب منها

كان رئيس الاتحاد السوفيتي للمدة ١٩٦٤-١٩٨٢ ولكن في المدة الاولى كان يشاركه اخرون

وامين عام الحزب الشيوعي بين عامي ١٩٦٤-١٩٨٢ ، ورئيسا لمجلس السوفييت الاعلى ،

اسهم في وضع اسس الدستور السوفيتي الجديد عام ١٩٧٧ . للمزيد ينظر: ليونيد بريجنيف،

سياسة الاتحاد السوفيتي الخارجية والوضع الدولي ، ترجمة : نيقولا شادي، دار الفارابي ،

بيروت، د.ت، ص٩-١٣ ؛ مجموعة مؤلفين ، النار والجليد - الامبراطورية الحمراء من

المهد إلى اللحد ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ص ٩٠-٩١ ؛ فراس البيطار ، الموسوعة السياسية

والعسكرية ، ج٢ ، دار اسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٣ ، ص٤٧٢-٤٧٣ ؛

.James, R. Millar, Encyclopedia of Russia history, U.S.A, 2003. p.170-171

)¹¹ (Muehlenbeck, Philip Emil: Betting on the dark horses: John F. Kennedy is courting of African nationalist leaders, Ph.D., Faculty of Columbian College of Arts and Sciences, George Washington University, 2007, p.109-110 .

)¹² (Al-Hassan, Osman: Politicized Soldiers: Military intervention in the Politics of Ghana, 1966-1993, , Ph.D., Washington State University,2004,p.115 .,

(^{١٣}) انتوني جيزينجا (١٩٢٥-٢٠١٩): ولد في قرية مبانزي الصغيرة في مقاطعة كويلو الحالية فيما كان يعرف آنذاك بالكونغو البلجيكية ، التحق بمدرسة ابتدائية تبشيرية كاثوليكية وتلقى تعليمه الثانوي في مدرستي كينزامبي ومايدي، أصبح كاهناً كاثوليكياً عام ١٩٤٧ ، ترك منصبه لأسباب شخصية وتولى عدة وظائف كتابية ومحاسبية، عمل مدرساً في مدرسة كاثوليكية ثانوية ، وتزوج من آن مبوبا، وأنجب منها أربعة أطفال ، ساعد جيزينجا في تنظيم حزب التضامن الأفريقي ، شغل منصب نائب رئيس وزراء لومومبا في جمهورية الكونغو ، واقتل من منصبه مع لومومبا ، توفي في كينشاسا . للمزيد ينظر :

Rolf Italiaander, The New Leaders of Africa, the University of Michigan, 2006,p,203 .

(^{١٤}) (Department of State: President Nkrumah Prospective Visit to the U.S.S.R.: Intelligence Report, No. 8487, June 26, 1961, P.7

(^{١٥}) (Al-Hassan, Osman: Op. Cit., P. 120

(^{١٦}) (Hoeane, Patricia Masilo: Op. Cit., PP. 64-65

(^{١٧}) مجدي عبده حماد، اسرائيل وافريقيا ، دراسة في ادارة الصراع الدولي ، دار المستقبل العربي، القاهرة ، ص٢٠٧ .

(^{١٨})الجنرال جوزيف آرثر أنكره (١٩١٥-١٩٩٢): ولد في ١٨ آب في أكرا لعائلة جا المكونة من صموئيل بول كوفي أنكراه ، مشرف الجمعية التبشيرية المسيحية وبياتريس أباشي كواينور وهي تاجرة ، بدأ دراسته في ١٩٢١ بمدرسة ويسليان ميثوديست في أكرا، وفي عام ١٩٣٢ التحق بأكاديمية أكرا ، حصل على شهادة مدرسة كامبريدج العليا في عام ١٩٣٧، ثم انضم إلى الخدمة المدنية في غانا ، انضم أنكراه إلى فوج جولد كوست في عام ١٩٣٩، عند اندلاع الحرب العالمية الثانية ، برتبة ضابط صف من الدرجة الثانية وأصبح الرجل الثاني في القيادة ،في ١٩٤٦، ذهب إلى وحدة تدريب الضباط في مارشفيلد في المملكة المتحدة وتخرج في ١٩٤٧ كأول ضابط أفريقي في جيش جولد كوست ، تدرج في الرتب إلى رتبة عقيد بحلول عام ١٩٦٠، أثناء عملية الأمم المتحدة في الكونغو ، كان قائد لواء القوة المتمركزة في لولوبورغ ، بعد تجربته في الكونغو، تمت ترقيته إلى رتبة عميد ثم لواء ليصبح أول قائد غاني لجيش غانا في عام ١٩٦١ ثم نائب رئيس أركان الدفاع ، تم فصله من

جيش غانا في تموز ١٩٦٥ للاشتباه في تورطه في مؤامرة انقلابية ، وأصبح أنكره رئيساً لبنك الاستثمار القومي بعد تركه الجيش، إلا أنه أصبح رئيس الدولة ورئيس مجلس التحرير الوطني بعد انقلاب ٢٤ شباط ١٩٦٦ ، في كانون الثاني ١٩٦٧ ، أُجبر على الاستقالة من منصب رئيس NLC ورئيس الدولة بسبب فضيحة رشوة . للمزيد ينظر: اسامة عبدالنواب محمد ، العلاقات بين مصر وغانا ١٩٥٧-١٩٦٦ ، سلسلة بحوث افريقية ٢ ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ٢٠١٤ ، ص ٥٤-٥٥ .

)¹⁹ (Peterson, Clifford Errol: The Formative foreign Polisy Phase in India, Indonesia, Issrael, and Ghana, Ph.D., Political Science, International Law and Relation, Johns Hopkins University, 1969, P.363

(^{٢٠}) على متولي أحمد المتولي ، سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه غانا ١٩٥٧ ، ١٩٦٦ ، سلسلة بحوث افريقية ٥ ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ٢٠١٥ ، ص ٢٦١ .

(^{٢١}) على متولي أحمد المتولي، المصدر السابق، ص ٢٦٣ .

(^{٢٢}) ليندون بينز جونسون (١٩٠٨-١٩٧٣): ولد جونسون في مزرعة في ستونوال في ولاية تكساس، ودرّس في مدرسة ثانوية ، وعمل كمساعد في الكونغرس قبل فوزه في انتخابات مجلس النواب في عام ١٩٣٧، وفاز في انتخابات مجلس الشيوخ في عام ١٩٤٨، وعين لبيتزعم أغلبية مجلس الشيوخ في عام ١٩٥١، عرف جونسون في مجلس الشيوخ بشخصيته الاستبدادية وأسلوبه الذي أطلق عليه معاملة جونسون ، أو إكراهه للسياسيين الأقوياء للدفع بالتشريعات، تم اختياره من قبل السيناتور جون كينيدي من ماساتشوستس ليكون زميله في تلك الانتخابات، ثم فاز الاثنان في الانتخابات وأدى جونسون اليمين كنائب للرئيس في ٢٠ كانون الثاني ١٩٦١، في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٣، خلف جونسون كينيدي رئيساً بعد اغتيال الأخير. وفاز جونسون في انتخابات عام ١٩٦٤. للمزيد ينظر: سري اسعد عبدالكريم الجبائي ، ليندون جونسون ودوره السياسي في الولايات المتحدة الامريكية (١٩٣٧ - ١٩٦٩)، رسالة ماجستير كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة بابل ، ٢٠١٥ .

)²³ (Boni, Yao Gebe:Ghana's Foreign Policy at independence implications for the 1966 Coup D'etat, the Journal of Pan African Studies, Vol. 2, No. 3. March 2008, P.173

)²⁴(Central Intelligence Agency, DCI (McCone) Files: Job 80-B01285A, DCI Memo for the Record, 1 Mar.-28 Apr. 1965 .

(^{٢٥}) وليام باتريك ماهوني(١٩١٦-٢٠٠٠): ولد في ٢٧ تشرين الثاني في مدينة بريسكوت، أريزونا ، اكمل تعليمه ، وهو والد ريتشارد ماهوني ، وابن دبليو بي ماهوني (وليام بي ماهوني الأب)، عمل في المحاماة ، وشغل منصب سفير الولايات المتحدة في غانا من عام ١٩٦٢ إلى عام ١٩٦٥ ، وعضو مجلس الشيوخ السابق عن ولاية أريزونا ، توفي في ٢٧ نيسان في مدينة فينيكي في اريزونا. للمزيد ينظر: William P Mahoney, Son of an immigrant: The memoirs of William P. Mahoney, Jr, u.s.a. 1995

)²⁶(Boni, Yao Gebe: Op. Cit., P.173؛ FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1964-1968, VOLUME XXIV, AFRICA.٢٥١,Memorandum of Conversation,1. Washington, March 11, 1965,

(^{٢٧}) جيوفري بينج(١٩٠٩-١٩٧٧): كان محامياً وسياسياً بريطانياً شغل منصب عضو حزب العمال في البرلمان عن هورنشيرتش من عام ١٩٤٥ إلى عام ١٩٥٥ ، ولد بينج في كريغافاد بالقرب من بلفاست ، وتلقى تعليمه في مدرسة روكبورت ومدرسة تونبريدج قبل أن يلتحق بكلية لينكولن، أكسفورد ، تخرج عام ١٩٣١، قبل أن يلتحق بجامعة برينستون ، حيث كان زميلاً زائراً ، وتم استدعاؤه إلى نقابة المحامين من المعبد الداخلي في عام ١٩٣٤ ، وكان دائماً راديكالياً وعضواً في اليسار الاشتراكي ، وكان نشطاً في جمعية هالدين والمجلس الوطني للحريات المدنية ، في الانتخابات العامة عام ١٩٤٥ ، ترشح بينج لحزب العمال في هورنشيرتش وفاز ، وظل في منصبه حتى عام ١٩٥٥ ، أصبح قريباً من كوامي نكروما ، أول رئيس لغانا ، وتم تعيينه مدعياً عاماً في غانا ، نُشرت مذكراته عن غانا. للمزيد ينظر: الموقع الإلكتروني: https://en-m-wikipedia-org.translate.google/wiki/Geoffrey_Bing

(^{٢٨}) على متولي أحمد المتولي، المصدر السابق، ص ٢٦٦.

(^{٢٩}) الجدول من عمل الباحثة بالاعتماد على الوثائق الامريكية رؤوساء البعثات الى غانا على الموقع الالكتروني :

<https://history-state->

[gov.translate.google.com/department/history/people/chiefs_of_mission/Ghana?
_x_tr_sl=en&_x_tr_tl=ar&_x_tr_hl=ar&_x_tr_pto=sc](https://history-state-gov.translate.google.com/department/history/people/chiefs_of_mission/Ghana?_x_tr_sl=en&_x_tr_tl=ar&_x_tr_hl=ar&_x_tr_pto=sc)

(^{٣٠}) على متولي أحمد المتولي، المصدر السابق، ص ٢٦٧.

(³¹) (Whiting Kenneth L.: Ghana council tackles overhaul of economy: Soviet press credits C.I.A., British Intelligence, the Washington Post, Times Herald, Feb., 26, 1966, P.9)

(^{٣٢}) على متولي أحمد المتولي ، المصدر السابق، ص ٢٦٩.

(^{٣٣}) Boni, Yao Gebe: Op. Cit., P.175 .

الاسرة الرومانية ودورها في التربية والتعليم

اصالة عادل محمد

أ.م.د. ميثم عبد الكاظم جواد النوري

الاسرة الرومانية ودورها في التربية والتعليم

اصالة عادل محمد

أ.م.د. ميثم عبد الكاظم جواد النوري

اولاً: سلطة الاسرة:

اطلق على مرحلة الطفولة المبكرة في المصادر اللاتينية مصطلحات عدة منها بوترا (puter) تعبر هذه الكلمة عن مرحلة أو فترة الطفل والطفولة في المصادر الأتينية وقد شاع استخدام مفردات أخرى مثل انفائس (infans) و انفانتاي (infantai) وذلك في بداية القرن الأول قبل الميلاد للدلالة عن فترة الطفولة. ^(١) شبه المفكرون الرومان حياة الفرد بالخط المستقيم ، والذي يبدأ بالولادة وينتهي بالموت ، وخلال هذه الفترة تتكون شخصية الفرد ، لذلك قسم الرومان حياة الطفل الى عدة مراحل ، تبدأ المرحلة الأولى من الولادة وتنتهي عند البلوغ ، وهي أهم مرحلة في حياة الانسان ، ومن أشهر هؤلاء المفكرين هوراس ، الذي قسم حياة الإنسان الى أربعة مراحل فقط ، هي الطفولة (puer) البلوغ (adolescens) الى 30 سنة ، الشباب (iuuenis) الى 45 سنة ، الشيخوخة (senior) اكبر من 60 سنة. ^(٢) قسمت مرحلة الطفولة ^(٣) أيضاً من أغلب المفكرين الى العديد من المراحل ، نوجزها بما يلي ، مرحلة الجنين أي الحمل ، مرحلة الرضيع ، تدوم لثلاث سنوات ، مرحلة الطفولة المبكرة التي تستمر الى سبع سنوات ، وبعدها تأتي مرحلة الطفولة المتأخرة التي تنتهي مع مرحلة البلوغ. ^(٤) تبدأ مرحلة الطفولة المتأخرة حين يبلغ الطفل سن السابعة من عمره ، فيصبح هنا الطفل أنضج بقليل أي ستكون لديه أفكار واسئلة ومعرفة ، ففي هذا السن تبدأ مسؤوليته الاجتماعية والثقافية والدينية ، حتى لخص لنا شيشرون هذه الفترة العمرية من سن الطفل فيذكر ، حين يبلغ الطفل سن السابعة من عمره ، فإنه يصبح مسؤول عن سلوكه الاجتماعي والأخلاقي ، ويعاقب على أخطائه ، فحين يصل الى هذه الفترة العمرية يبدأ مرحلة التعلم واكتساب الصفات والسلوك البشري من حوله ، فتغرس فيه الأخلاق الاجتماعية والتقاليد الثقافية ، وأيضا في هذا السن ينظم جنازياً الى عالم

الكبار ، فتطبق عليه الطقوس الخاصة بالبالغين ، مثل طقس الحرق والترميد ، لأن الرومان كانوا لا يحرقون الأطفال دون سن السابعة ، لأن أرواحهم كانت خالية من الشرور حسب إعتقادهم .^(٥) بالرغم من ذلك تضاربت الآراء حول تنشأة وتعليم الأطفال الرومان حيث ، لعبت كل من البيئة المحلية للطفل والنسيج الاجتماعي والديني وفيما بعد الاقتصادي دوراً مهماً في تنشأته الاجتماعية ، والأخيره هي مصطلح يستخدم لوصف الطرق التي تمكن الأطفال من التعلم والتطور داخل الأسرة الرومانية، وتحديد مكان لأنفسهم في العالم الذين يعيشون فيه .^(٦) حيث تشير بعض الآراء الى عدم وجود اهتماماً كبيراً بالرضع والأطفال الصغار حيث نجد في العالم الروماني القديم ممكن قتل الأطفال حديثي الولادة أو بيعهم .^(٧) وفي جانب اخر نجد هناك مايتعدى الى العقاب الجسدي للأطفال ، والأستغلال الجنسي ، عزز هذا النهج رد فعل عنيف من المؤرخين الذين أظهروا أن حب الوالدين وحماية أطفالهم موجودان حتى في المجتمعات القديمة .^(٨) هذا أيضا ينافي ما عثرت عليه من كلمات كثيره تصف فيها الشخصية الرومانية المحبه للوطن والانتماء والموسيقى وتكمن فيها المعاني الأخلاقيه من أرادة وحكمه ورأفة .^(٩) ومن المؤسف لاتوجد وثائق معاصرة من تلك الفتره حول تربية وتعليم الإطفال ، وكل ما ورد ألبنا مما وجدناه في بعض ثنايا المصادر الكلاسيكية التي تحدثت عن الأسرة بشكل عام ، الأ انه من البديهي أن التعليم يحدث بشكل تلقائي بسبب التناقل الثقافي للمعلومات بين الأجيال ، والذي شكلت أساس انطلاقه التعليم والتربية من الوالدين الى الطفل ، أذ يعد الاباء مرحلة التعليم الأولى لأطفالهم .^(١٠)

قبل الخوض في آلية التعليم وأنطلاقته الأولى لابد لنا من الأطلاع بنظرة عامة على مفهوم الاسرة ومن ثم الخوض في أدوارها التعليمية : منذ العصور القديمة لعبت الأمهات دوراً مهماً في التربية والتعليم الأسري وخاصة في المجتمع الأقطاعي القديم ، ومع ذلك فأن روما القديمة هي عكس ذلك ، أذ أنهم يعتقدون ان الأب هو رمز القوة ، وأن الشخصية القوية والحقوق والأداب معياراً ، لذلك كان الأباء يمتلكون تلك الصفات وتقع عليهم المسؤولية الأكبر في التعليم ، فلقد تمحورت العائلة الرومانية حول سلطة الأب (patria potestas) .^(١١) على أعضاء العائلة وماتتضمنه من صغار وكبار وأحرار وعبيد ، وهذا الحق أعطاه سلطة مطلقة لمراقبة حياة الجميع داخل الأسرة ، ومن حقوقه المتطرفة ، أنه

بأمكانه أن يختار تعريض الأطفال غير المرغوب فيهم للموت ، أو على الأقل التخلي عنهم.^(١٢) أي أخذه من المنزل وتركه على الطريق ليعيش أو يموت .^(١٣) كما يسيء للطفل جسدياً ، أو ان يحرمه من الميراث من خلال عملية التنازل .^(١٤) أو حتى بيعهم كعبيد ، وظهرت قوة رب الأسرة وسلطته بشكل واضح وصريح بعد ولادة الطفل مباشرة ، فحسب العرف الثابت ، تم وضع الطفل على الأرض عند قدميه ، فأذا قام برفعه بين ذراعيه ، فقد اعترف به ، وبذلك حصل على جميع الحقوق والأمتيازات التي تتطوي عليها العضوية في العائلة الرومانية ، أما اذ رفض أن يفعل ذلك ، حينئذ يصبح الطفل مرفوضاً ، بلا عائلة ومن دون حماية ، وأيضا له الحق في حبس أبه وجلده.^(١٥) وخير مثال على السلطة (potestas) مافعله تيتوس مانليوس^(١٦) ، الذي قتل ولده فقط لأنه خالف أوامره ، فأمر بأعدامه امام الجنود^(١٧) وهذا يعكس صورة سيئة للأب والأم يظهران فيها الكثير من القوة والقسوة في الكتابات الأدبية ، ولكن تصدر منها أحيانا صور أكثر دفئا وتكون أكثر شاعرية ، كما هو الحال ماضهر في الرسالة التي كتبها شيشرون يعرب فيها عن حزنه العميق بسبب وفاة أبه .^(١٨)

ومن خصائص السلطة الأبوية أنها كانت سلطة دائمة طيلة حياته يبقى محتفظاً بسلطته القانونية المطلقة ، وتدوم على الأبناء مهما بلغت أعمارهم او مكانتهم الاجتماعية ، أي حتى لو شغل الابن منصباً عاماً وطنياً رفيع المستوى أو أصبح محارباً أو مسؤولاً حكومياً يتمتع بسلطة ، فإن حقوق الأب تظل موجودة ، وهذا بما يخص الولد واما في حالة البنت أيضا تكون تحت سلطة الأب مهما علا شأنها ، الا في حالات وهي ، زواج البنت ، وهناك نوعان من الزواج ، الزواج مع السلطة ، وبموجبه تخضع الزوجة لسلطة زوجها أو والد زوجها ويدعى هذا الزواج مانوس (manus) وعليه تعامل المرأة كقطعة أثاث أنتقلت من يد الأب الى يد الزوج فتصبح الفتاة بلا حقوق هي وجميع ممتلكاتها تحت سيطرة زوجها.^(١٩) وهناك نوعان من هذا الزواج :

أ- زواج coemptio : وفي هذا الزواج يعطي الزوج مبلغ من المال الى والد زوجته ، وكأنه دفع ثمن زواجه منها ويتم بحضور خمسة شهود ، وحامل للميزان .

ب- زواج USUS : وهنا يعيش الأثنان أي الزوج والزوجة لمدة سنة كامله ، بدون سلطات ، وبعد أنتهاء السنه تصبح تحت سلطة الرجل .^(٢٠)

ت- الزواج من دون السلطة : وبموجبه تبقى الزوجه على حالتها الأولى قبل الزواج سواء كانت خاضعه تحت سلطة والدها ، وعليه لاتدخل تحت سلطة زوجها ، ويدعى هذا الزواج (sine manu) وعرف بالزواج الحر وفيه تحتفظ الفتاة بجميع ممتلكاتها ، وفي حالة الانفصال تستطيع أخذ كل أشياءها معها وتحتفظ بلقب (svi iuris) أي مستقلة .^(٢١)

ث- الزواج الديني : أو ما يسمى الكوم كونفيرياتيو (cum conferreatio) ومعناها أكل الكعكة كرمز لحلاوة الزواج ، ويتم تقديم قربان للأله جوبيتر^(٢٢) ، ثم تليها تلاوة الكاهن للأبتهاالات ، وكان هذا الزواج مخصصاً للكهنه والنبلاء.^(٢٣)

اما بالنسبه للولد فيحصل على حريته عند تبنيه من أسرة أخرى أو بتحريره.^(٢٤) وهو عمل قانوني يتجرد فيه الاب من سلطته على أبنائه فيكونوا مستقلين بحقوقهم ، وكان يتم في حالتين أما ان يكون كعقوبة للأبن العاق ، فيكون تحريره هو كنبذه من الأسرة وحرمانه من كافة الحقوق كالوراثة ، واما أن يكون التحرير كمكافأة للأبن الذي أثبت جدارته وأنه أصبح قادراً على تولي شؤونه بنفسه .^(٢٥) لكن تدريجياً وبمرور الوقت أصبح هناك قانون يمنع ويقف ضد حالات التنعيف التي ممكن أن يستخدمها الأب اتجاه أعضاء أسرته والحد منها.^(٢٦) وعندما تنتهي طفولة الطفل يتولى والده تعليمه ، فتشكل على أساسه علاقة رفقة بين الاب والأبن ، فيقوم الأب بتعليم أبنه مهارات البقاء المختلفة في حياتهم اليومية ، فيعد الأب رمز القوة والسلطة، وأقواله وأفعاله ومعارفه المتراكمة لها تأثير عميق في الأجيال المتعاقبة .^(٢٧)

- أما دور الأم (Mater) أن بناء هوية الأم وأدوارها في حياة أطفالها ، في الفتره القديمة على الأقل ، أقل تعقيداً أو أهمية من الأب .^(٢٨)

حيث لم يكن للأم في العصر القديم أي حق في الوصاية على أولادها ، ولاحتى نفسها ، بعد وفاة زوجها ، حيث تنتقل الوصاية الى أكبر الذكور البالغين ، حيث عدت سلطة الوصاية والسلطة لاتمنح للأ للرجال .^(٢٩) وخير مثال اورده الحكمة الرومانية القديمة :

" رأسك البكر ليس لك بالكامل ، ثلث لأبيك ، وثلث لأمك ، أنت تمتلك الباقي ،
لاتقاومي والديك ، فقد سلموا حقوق الوصاية الى صهرهم مع مهرهم " . (٣٠)

ألا انه وجدت أدواراً أخرى لها داخل الأسرة والمجتمع فألى جانب مشاركتها زوجها في الجانب الاجتماعي والأحتفالات الدينية فكانت كذلك تتولى مهمة الأشراف وتعليم العبادة الخاصة بأسرتها . (٣١) ومشاركة الجميع تفاصيل الأحتفالات والميلاد ، الى جانب استشارتها في أمور وأدارة شؤون المنزل . (٣٢) رغم ذلك تم أستبعاد النساء من الحياة السياسية الأ في بعض الأحيان ، ككاهنات ، إذ لا يمكنهم على سبيل المثال ، أن يصبحوا قضاة أو حتى التصويت في الانتخابات ، كانت السلطة السياسية تمارس بشكل عام من قبل النساء فقط إذا كن زوجات أو أقارب شخص في السلطة ، لكن لم يبقى الوضع على حاله ، فمنذ أواخر الجمهورية أكتسبت النساء قدراً أكبر من الحرية في إدارة أعمالهن وشؤونهن المالية . (٣٣)

أما المرأة الريفية ، فهي امرأة مجاهدة بما تملكه الكلمة من معنى فهي مشغولة بالعمل الشاق اليوم بأكمله ، من رعاية الحيوانات والدواجن الى تجهيز الطعام لزوجها والعاملين معه في حقل الزراعة ، الى الاهتمام بأولادها وتربيتهم وتعليمهم الامور الحياتية الاولى وتلبية أحتياجاتهم المستمرة . (٣٤)

والعنصر الأسري الأخر فيتمثل في الأبناء (Liberi) : لضمان أستمرار النسل الأسري ، وأذ لم يكن للأب وريث فأبستطاعته أن يحصل على ولداً بالتبني (adoptio) (٣٥) تنتقل اليه السلطة بعد وفاته . (٣٦) ومن الناحية القانونية كان الأبناء ينتمون الى والدهم سواء ذكور أو أناث ، من ناحية الأسم والمكانة ، وكذلك حقهم في وراثة والدهم اذا لم يكن لديه وصية ، لذا كان ينتمي الأبناء الى عائلة الوالد وليس عائلة الأم . (٣٧) يتمثل عمل الولد في مساعدة والده خارج المنزل ، اما البنت تقوم بمساعدة والدتها في الأمور المنزلية ، بسبب تواجدها المستمر داخل المنزل . (٣٨) وكانت تربيتهم تحتاج الى نظام صارم وتعليم مستمر لكي يكونوا خير الأبناء ، وغالباً ما جادل علماء نفس الأطفال والمعلمين المعاصرين بأن الفترة الحاسمة لتكوين الشخصية تبدأ من الولادة وحتى سن الثلاث سنوات ، وعليه لاينبغي أن نقلل من مرونة الأطفال وقدرتهم على التكيف . (٣٩) علي سبيل المثال منع الأولاد من

النوم لساعات طويلة ، لأعتقادهم بأن كثرة النوم تعلم الأبناء على الكسل والخمول ، وأيضا تشير المصادر الكلاسيكية الى الدور التي تبذله الأمهات في تربية وتعليم أبنائها ، فهي تشارك في العملية التعليمية وبناء شخصية أولادها .^(٤٠) ولكي يتعلموا كيف يصبحوا رجال حقيقيين وجنود أقياء يجب عدم الأفراط في التعامل معهم بعاطفة كبيرة ، وكان يربي أطفال العبيد والأحرار معاً ويلعبون معاً وذلك لأعتقاد الرومان بأنه لا بد من العبد أن ينشأ مع سيده المستقبلي كأصدقاء وبالتالي يكون أكثر وفاء له عند الكبر .^(٤١) وبعد السنوات السبع الأولى التي كانت الأم تبذل قصارى جهدها في رعاية أبنائها ، يتولى الأب زمام الأمور في تعليم أولاده ، من قواعد ونظافة واداب السلوك ، واساطير الأبطال ، ويصحبوهم معهم في مكان عملهم وفي الشوارع والى منصة الخطباء وفي المعسكرات .^(٤٢) كذلك كانت هناك مجموعة واسعة من المناسبات التي كان فيها الأطفال قادرين على الاختلاط ومراقبة أقرانهم والبالغين من فئتهم ، وتعلم بعض التقاليد والعادات الرومانية العامة والخاصة ، تضمنت هذه المناسبات ، حفلات العشاء ، وأعياد الميلاد ، وبلوغ سن الرشد ، وحفلات الزفاف ، والجنائز وغيرها من الاحتفالات الدينية ، والمهرجانات ، والألعاب، والانتصارات وغيرها من الاحتفالات العامة ، وحضور اجتماعات مجلس الشيوخ بالنسبة لابناء الطبقة النبيلة .^(٤٣) ولا بد للأشارة أن لبناء مجتمع قويم ، يجب أن يكون الطفل من أب وأم شرعيين ، وليس أنجاب أطفال عن طريق الزنا ، لأن عار الولادة سيلاحقهم طوال حياتهم ، وينظر الى هؤلاء الأطفال بأستحغار لأنهم أساس في الرذيلة وكثرة الفساد والجريمة لأنهم غير شرعيين وسيكونون معلقين بين الأم والأب إذ وجد أو اعترف فيه ، فهذه الحياة تفرض عليهم أجواء غير ملائمة ، فتحرمهم من الثقة بالنفس والحكمة ورجاحة العقل واتزان النفس ، وذلك على عكس الذين ولدوا من أبوين شرعيين مرموقين ممثلين بالثقة النفس والأخلاق الفاضلة ، وأيضا يجب أن ترضع الأم أبنها بنفسها لأن حنان الأم يأتي من أعماق الرحم أما المربيات فما هن إلا مرتزقات وحنانهن حنان مصطنع ومنفعي .^(٤٤) وأن واجب الأباء توفير ما يضمن سلامة الجسد والروح والأخلاق لأنها نقاط أساسية لنشأة وتعليم الطفل الحكيم ونمو نكائه وتفكيره القويم ، وبهذا يلاحظ الرومان أن المفكرين الرومان رأوا أن التربية السليمة تعتمد على تعليم الفضيلة والأخلاق وليس على تكديس الثروة والاموال ، ولهذا حرصوا على نصح

أفراد المجتمع ، بعدم أنجاب الأطفال بطريقة غير شرعية ، وضرورة تعليم الأبناء العدل وملازمة الجد والنشاط وتجنب الخمول والكسل حتى يثبت وجوده كمواطن حر ، وأيضا تجنب القلق وسرعة الغضب ، وعدم التلفظ بألفاظ المتسولين ومشردي الشوارع ، أما من ناحية الأباء فعليهم بالتحلي بالصبر والهدوء في حالة ارتكاب أبنائهم الأخطاء ، وأبداء التجاهل لبعض العيوب ، والأهم من ذلك أن يمتنع الأباء عن ارتكاب أي أخطاء أمام صغارهم ، ومحاولة تأدية واجبهم بالشكل الصحيح ، حتى يقتدي الأبناء منهم ويصبحوا لهم قدوة .^(٤٥) وهذا يدل ما للعائلة من تأثير كبير على بناء ونشأة الأبناء وبرز فيهم الصفات الحسنة والتعليم الصحيح والعكس كذلك^(٤٦)

اما العبيد (servi) : والذين عدو جزء من الاسرة الرومانية وبمقارنة الصفة التي أطلقت عليهم مانسكيوم (Mancipium) فقد دلت على الأستحواذ .^(٤٧) وتميزت العائلة الرومانية بوجود العبيد ضمن أفرادها وأحد ممتلكاتها ، إذا يعتبر العبد شيئاً مملوكاً لميراث صاحبه تماماً كالمنزل أو الماشية ، فيتجرد العبد من أمواله ومن شخصيته القانونية ، أي شخص ليس له أسم عائلي تتم فيه الأشاره إليه ، فيعطى له أسم من سيده ، وكذلك في حالة تعرضه للظلم من شخص غير سيده لا يستطيع ان يقاضيه ، فيقوم سيده بتقاضي بدلاً عنه وياخذ التعويض لنفسه ، وفي حالة اعتداء العبد هو بنفسه على الغير ترفع الدعوى على سيده الذي يقوم بدوره بدفع الغرامه وفي كل الأحوال يكون تحت سلطة سيده (Dominica potestas) .^(٤٨) وحتى علاقاته الزوجيه وماينتج عنها من أطفال يكونوا ملكاً لسيده .^(٤٩) وكان يطلق عليهم باللاتينية (vernae)^(٥٠) وكان العبيد أما احرار تم بيعهم بسبب الديون ، وأما اسرى حرب يتم شرائهم بأسعار بخسه ، لغرض الخدمة ، كالعامل في المنازل أو المزارع .^(٥١)

ثانياً: طبقات المجتمع ودورها في التربية والتعليم الروماني :

أ- الطبقة العامة (plebe) : وتضم هذه الطبقة العوائل الفقيرة من الأحرار ذوي الدخل المحدود وأصحاب الحرف والعاملين في الزراعة إضافة الى أصحاب الأراضي.^(٥٢) قد وجدت بعض الحالات الخاصة ضمن الطبقة العامة ، حيث تقوم بعض العوائل بالتخلي عن

أطفالهم ، حيث كانت هناك مواقع معروفة لأيداع الأطفال المرفوضين ، على سبيل المثال أسواق الخضار ، خزانات المياه بالقرب من القنوات المائية ، والمعابد ، ومفترق الطرق ، واكوام القمامة ، ادى القلق المتزايد بأعداد هؤلاء الأطفال المرفوضين الى أن تقوم الحكومة الرومانية بأقناع الأسر بأختيار أماكن أمنه لأيواء هؤلاء الأطفال سواء كان في مشفى عام أو ملجأ بدلاً من صناديق القمامة ، حيث يمكن الاستفادة منهم بعد تربيتهم وتعليمهم كعبيد ، وقد أصبح الكثير منهم ذا شأن في الحياة العامة، ومثال على ذلك الثري فيرجيلْيوس أفريساس الذي كان عبداً معتقاً والذي أصبح فيما بعد من احد الأثرياء فأبنتى له ضريحاً مكعب الشكل ذو فتحات واسعة تمثل فوهات الفرن ، على مقربة من المدخل الأعظم في روما وذلك في أواخر العهد الجمهوري .^(٥٣) أما من الناحية القانونية للشخص عند الولادة فلم تتغير في حقوق الوالدين على هؤلاء الأطفال وبالتالي سمح هذا القانون للعائلة باستعادة أبنائها لاحقاً إذ تمكن من تقديم دليل كافٍ ، وخير دليل أحد المعلمين انطونيوس غنيفو^(٥٤) في مجموعة مدارس يوليوس قيصر .^(٥٥) تم أستعادته من قبل والدته بعد أن نشأ كعبد وحصل على حريته عن طريق العتق ، لكنه رفض والدته وفضل الاحتفاظ ، بالوضع المحرر الذي جعله كمعلم جيد^(٥٦) ، وقد داب الرومان منذ البداية على أنتاج أطفال وجنود أقوى ، وكان لابد من تحميم الرضيع يومياً وتدليكه وبعدها تقيطه ، وذلك بلفه بإحكام في قطعة قماش حتى لا يستطيع الحركة ، مع ربط ساقيه وذراعيه بالعصي حتى لا ينحني ، ولأيفك الا حين تحميمه ، وأول عضو يفك هو ذراعه الأيمن ، وأثناء الحمام تقوم المربية ، بفرك رأس الطفل بشكل دائري وعادتها يرتدون ، لباس أرجواني أحمر قبل بلوغهم سن ١٦ عاماً وذلك لتميزهم عن البالغين، ويتم تعليمهم بشكل صارم من قبل والدهم حتى سنه ١٦ أو ١٧ عاماً ، عندما يصبحوا مواطنين رسميين في روما ، يجب عليهم أرتداء رداء البالغين ، توغا فليريليس ، وهو رداء يرتديه الطفل الروماني عند مرحلة البلوغ ، وعادة مايكون أبيض اللون .^(٥٧) كان الرومان لا يحبون اللين في تربية وتعليم الطفل ، حيث يحمونهم بالماء البارد ويمنعونهم طوال فترة الطفولة من أخذ حمامات دافئة خوفاً من أن يجعلهم ناعمين وضعفاء ، وأشار بلوتارخس (plutarcus)^(٥٨) أن كاتو برغم من مسؤولياته الكثيرة ، ألا أنه كان يحظر

حمام أبنه وقماطه كل يوم ، وهذا أن دل على شيء ، فيدل على أهمية هذه اللحظة في صنع المواطن الروماني في المستقبل .^(٥٩)

عرف المجتمع الروماني في العهد الملكي بأنه مجتمعاً رعوياً بسيطاً ، فقد شغلت الزراعة وتربية الماشية والأغنام حيزاً كبيراً من أهتماماته وأوقاته ، فأن موارد المجتمع كان يعتمد على الزراعة وتربية الحيوان .^(٦٠) فكان من الضروري تعليم وتدريب الأطفال على كل ما هو نافع ويخدم مصلحة الأسرة وبخاصة ما هو ضروري لحياتهم اليومية .

وعليه قيام الإباء بتعليم أولادهم فن الزراعة ، حيث تم تدريبهم على قلب التربة بإستخدام المعول ، وغرسها .^(٦١) وكذلك تعلموا عن السماد الطبيعي لمعالجة التربة وأهميته للنباتات البقولية ، وأيضاً معرفة أنواع النباتات التي لا يمكن زراعتها في غير مواسمها ، وكيفية ري المزروعات .^(٦٢)

أما ما يخص الصناعة فلم يهمل الرومان تناقل المعرفة العلمية والثقافية بشكل تلقائي من خلال إنشاء المصنوعات اليدوية وأستخدامها ، حيث تلعب الثقافة المادية دوراً مهماً في تأسيس وتعزيز الأدوار الاجتماعية للأطفال أثناء الطفولة.^(٦٣) حيث تم التعرف على الأطفال كمتدربين في صناعة الفخار ، اذ يمكن رؤية بصمات الأطفال في الأواني الفخارية .^(٦٤) اذ كان تعليم الأطفال على صناعة الفخار أمر ضروري لأستخداماته الكثيرة في الحياة الرومانية .^(٦٥)

وكان المنزل أيضاً في العصور القديمة ، وخاصة المنزل الريفي ، هو عبارة عن مصنع صغير الحجم ، حيث تم صنع معظم ملابس الأسرة هناك ، وبالتالي يجب أن تتعلم البنات كيفية عمل الصوف والكتان ، فغالباً ما كان يتم شراء الصوف في حالة الخام ، وهنا دور الأم في تعليم وتوجيه بناتها في كيفية تنظيفه ، وذلك بوضع درع فخاري يسمى ايبني ترون (epinetron) على الركبة وفرك الألياف فوقه ، ثم تأتي المرحلة الثانية في تعليمهن صناعة القماش وهي الغزل ، ولأجل ذلك تم استخدام آلة لف ومغزل دائري مصنوع من الطين ، كذلك تعلمن التطريز على الملابس الفاخرة ، اذ تتفخر بعض العائلات المحافظه في روما بأرتداء الملابس المصنوعة في المنزل.^(٦٦)

اما على الجانب الديني كان للرومان آلهة كثيرة ، حتى قيل لايعرف دين قط بلغ فيه عدد الآلهة ما بلغه لدى الرومان ، وقد قدرها البعض بثلاثين ألفاً ، أعتتت بمختلف جوانب الحياة ، وكان يقدم لهذه الآلهة قرابين مثل الحيوانات أو عسل النحل أو الجبن أو كعكة مقدسة ، وكان بأعتقادهم أنه بمقدار ما تقدم لها ستأخذ منها.^(٦٧) وكان الدين يأخذ حيز كبير من حياة العائلة الرومانية مثلها مثل الديانات الأخرى في العصور القديمة ، فكان لكل أسرة عبادة آلهة عدة ومنها : جانس أويانس (Janus)^(٦٨) حارس الباب ولار فاميليارس (Iar familiaris) حامي الأرض والبيت وبناتس (Penates) حماة مخازن الحبوب ، ومارس (Mars)^(٦٩) باعث النشاط والحيوية ، وغيرها من الآلهة .^(٧٠) وعم الأعتقاد أن روما وما وصلت إليه من عظمة ورقية كان بفضل الأرضاء المتبادل بين الآلهة والناس ، وأعتبرت الديانة الرومانية فرعاً من فروع الإدارة مهمته تنظيم العلاقات بين المواطنين والآلهة الراحية.^(٧١) فكانت هناك واجبات نحو الآلهة ويجب تعليمها للأطفال للقيام بها ، فكانوا هولاء يعتقدون أن سلامتهم ورخائهم متوقفان على أرضاء هذه الآلهة ، فقاموا بتعليم الأولاد الصلوات التي تقرء قبل كل وجبه ، والتضحيات والنذور والطقوس الأخرى ، وكان رب الأسرة بمثابة الكاهن في المعبد والأولاد هم سدنته .^(٧٢) وكان يعلم الأولاد أن الآلهة تعتبر القدوة الصامته ، وأن نار الموقد التي لاتخمد هي رمز الآلهة فستا (Vesta)^(٧٣) وكذلك يعلمهم انها الشعلة المقدسة التي ترمز الى حياة الاسرة ودوامها ، ومن أجل ذلك كان من الواجب عليهم أن لاتنطفئ هذه النار .^(٧٤) وكان واجباً مقدساً على رب الأسرة أن يحرص أن لايطفئ النار ليلاً ونهاراً ، وويل للبيت الذي أنطفأ فيه ، لذا كانوا يقومون كل مساء بتغطية الجمر بالرماد لمنع أستهلاكه بالكامل ، في الصباح كانت الرعاية الأولى هي أحياء هذه النار ببضعة أعصان ، وتتوقف النار عن التوهج على المذبح فقط عندما تهلك الأسرة بأكملها ، الموقد المنطفئ ، العائلة المنطفئة ، تعبيرات مترادفة بين القدماء .^(٧٥) أبدي رب الأسرة عناية كبيرة في تعليم الواجبات الدينية لأبناءه ، وذلك للحماية من أي خلل في الطقوس من شأنه أن يحول دون أغداق النعمة الألهية على الأسرة ، كانت الوجبة العائلية بمثابة أحتفال ديني ، لأن الرومان أعتقدوا أن الآلهة والبشر يتشاركون في نفس الوجبة ، وأثناء الوجبة الرئيسة ، كان على أحد الأبناء أن يغادر المائدة ويرمي القليل من الخبز في

النار ، حتى أن الرومان اعتبروا مائدة العشاء العائلي شيئاً مقدساً مشحوناً بالقوة الروحية ، وهكذا كان يجب عليهم ترك بعض الطعام ربما تكون قطعة من الخبز على المائدة كقربان^(٧٦). لم يكن هناك قواعد موحدة أو طقوس مشتركة لهذا الدين المحلي ، كانت كل عائلة مستقلة تماماً ، ولم يكن لأي قوة خارجية الحق في تنظيم الحفل أو العقيدة ، لم يكن هناك كاهن آخر غير الأب ولم يكن يعرف أي تسلسل هرمي ، في الواقع ، كان لكل عائلة طقوسها الخاصة بها ، وأحتفالاتها الخاصة ، وصيغ صلاتها ، وتراتيلها ، كان الأب الممثل الوحيد لدينه والكاهن الوحيد لدينه ، وله وحده الحق في تعليمه ، ولايستطيع ان يعلمه إلا لأبنه^(٧٧). ولم تطرأ تغييرات كثيرة على التعليم الديني في النصف الأول من العهد الجمهوري بأستثناء المؤثرات الأتروسكية ، ذلك أنهم كان الرومان يرسلون أبناءهم الى أتوريا لدراسة التعاليم الأتروسكية^(٧٨). إضافة الى ذلك نجد أيضاً التأثيرات الأغريقية متمثلة في الأله الديوسكوري^(٧٩) وهو أله توأم للأخوين كاستور (castor) والأله بولوكس pollux، حيث أدخلت عبادتهما الى روما عام ٤٨٤ قبل الميلاد وبني لهما معبد في الفوروم ، وبالرغم من امتلاكهم لأله الطب والشفاء ، أدخلت عبادة اله الشفاء الاغريقي اسكليبيوس asclepios والذي سماه الرومان ايسقولاببيوس ، وذلك بعد تفشي مرض الطاعون في روما عام ٢٩٣ قبل الميلاد^(٨٠).

ب: الطبقة الأرستقراطية:

وكذلك يطلق عليهم الباتريسيا (patriciat) أو النبلاء ، كانوا يعدون من العوائل الثرية الكبرى ، تفرعت هذه العائلات الى عائلات أصغر تخضع الى سلطات أب العائلة (pater family)^(٨١) وكذلك ينتمي الى هذه الطبقة أعضاء السيناتور أو مجلس الشيوخ ، وتعد مزيج من أغنياء الخواص وبعض أغنياء طبقة العوام والذين وصلوا الى السلطة عن طريق الترقى في الوظائف العامة وبالتالي الى مجلس الشيوخ^(٨٢). ومن شروط هذه الطبقة أن يمتلك صاحبها القوة الاقتصادية والعلم والثقافة والسياسية والأراضي ومختلف والأملك أساس هذه الطبقة^(٨٣). إضافة الى ذلك يجب على الفرد أمتلاك التعليم العالي والثقافة والنزاهة وأن يكون

خطيب لكي يتقلد أحد الوظائف العليا ، والضيهور بمظهر المهيب ، ويكون حسن المظهر ذو لباس يميزه عن باقي العامة ، إضافة الى هذا تولي حكم الولايات الذي اعتبر أهم مصادر الثروة، وكذلك مهنة المحاماة ، التي كانت تدر مكاسب طائلة ، كشيخرون الذي لم يرث من عائلته الكثير ، لكن أمتهانه للمحاماة منحه ثروة طائلة .^(٨٤)

وقد اختلف التعليم البدائي في الاسرة الارستقراطية عن التعليم المتبع عند الطبقات العامة، حيث استخدمت العوائل الأرستقراطية لرعاية أطفالهم الرضع الممرضات الناطقات باللغة اليونانية ، ولكن كانت ضمن شروط ومواصفات معينة ، وذلك بما يتعلق بعمرها والصحة البدنية والمعايير الأخلاقية ، وهذا طبيعي في المحافظه على صحة الطفل ونموه بشكل سليم فبالتالي هي عامل مؤثر في نشأة الطفل .^(٨٥) وبدورهن يعلمن الأطفال أسس الخطابة الأولى ، من خلال الكلام وسرد القصص الأسطورية اليونانية ، وقد وجدنا استمرار عمل تلك الممرضات لفترات أطول ما بعد فطام الطفل كمربيات، وهناك حالات من الروابط الحنونه طويلة الأمد بين الممرضة والأسرة ككل ، وهذه التوقعات تنعكس في الأدبيات ، حيث تقدم الأدبيات والأدلة القانونية أمثلة على أصحاب الامتتان الذين كافؤا الممرضات بالحرية والهدايا ، علي سبيل المثال يسجل بليني هديته الى ممرضته السابقه ، ويعتقد أن هذه المشاعر والوفاء التي تمتلكها هذه الممرضات لأسيادهن ،ربما لم تكن من نابع الولاء أكثر من مصلحه ذاتيه أو حماية شخصية ، ومع ذلك يعتبر هذا عاملاً أكثر ايجابية في التطور من الأهمال والقسوة التي يعاملون بها الأسرى الى الاهتمام والتقدير .^(٨٦) كما وجدت أشارات الى عدد من النساء عملن كمعلمات ومصنفات شعر ، أما نساء العبيد فكن يعملن في شتى أنواع العمل^(٨٧) .

كانت بنات العوائل الأرستقراطية قد تعلمن بعض تعقيدات إدارة المنزل الكبير من خلال مراقبة والدتها ، ويتم استكمال تعليمها من قبل طاقم عبيد عند الكبر .^(٨٨) لكن وبشكل عام عاشت المرأة الرومانية في عالم يهيمن عليه الذكور ، فلقد كان تعليم الشباب ضروري ، فكان بهدف اعدادهم لتولي المناصب العامة السياسية والعسكرية والقانونية ، عكس الفتيات اللواتي تربن على تقاليد الزواج والأمومة فقط ، فكان التعليم يقتصر على إدارة المنزل وتربية الأطفال ، فعدم وجود هدف معين لتعليم الفتيات ، والسن المكبر للزواج لمعظم البنات

الرومانيات في منتصف أو أواخر سن المراهقة ، تسبب في أن يكون تعليمهن أقل شمولاً وأكثر عشوائية من تعليم أقرنهن الذكور .^(٨٩) وايضاً اذا كان الأب رجلاً ذا مكانة عالية ويقوم في المدن، وقف الصبي الى جانبه في قاعته حيث كان يستقبل ضيوفه ، وتعلم التعرف على وجوههم واسمائهم ورتبهم وأكتسب معرفه عملية بالسياسية وشؤونها ، وإذ كان الأب عضواً في مجلس الشيوخ^(٩٠) ، رافقه الى المجلس لسماع المناقشات والأستماع الى الخطباء العضاء في ذلك الوقت ، ويمكن أن يذهب معه الى المنتدى عندما يكون مدافعاً أو معنياً بمحاكمه علنية .^(٩١) وايضاً علم الأب أولاده جزء كبير من الرياضات الرجولية مثل ركوب الخيل ، والسباحه والمصارعة والملاكمة ، ففي مثل هذه التدريبات ، تم الحفاظ على القوه وخفة الحركة .^(٩٢)

وخير مثال على التعليم في العوائل الأرستقراطية هو شخصية (كاتو) فهو نموذج جيد للأباء وكيفية توجيه وتعليم أبنائهم اذ بالرغم أن هذه المسؤولية كانت تسند في كثير من الأحيان الى العبيد المتعلمين ، وفي الواقع كان كاتو يمتلك مثل هذا العبد رجل يدعى تشيلو ، والذي كان مدرساً متمرساً ، ومع ذلك لم يعتقد كاتو أنه من المناسب يتم تعليم أبنه من قبل عبد عادي ، لذلك تكفل كاتو بتعليم أبنه بنفسه ، وشدد كاتو على اللياقة البدنية من خلال كيفية رمي الرمح ، وكيفية القتال من على ظهور الخيل ، وكيفية الملاكمة ، وكذلك كيفية البقاء على قيد الحياة في درجات الحرارة الشديدة والبرودة .^(٩٣) اذ يذكر أن الرومان كانوا يستمتعون بالتدريبات البدنية العنيفة منها المصارعة حتى الموت ومصارعة الثيران وبقية الحيوانات المتوحشة كما ذكرناها سابقاً.^(٩٤)

ولم يقتصر التعليم البدائي على الأبوين فقط ، فبسبب وفاة أحد الوالدين او تكرار حالات الطلاق وما تليها من زيجات جديدة ، وماحوته الأسرة من زيجات سابقة ، وأندماج الأبناء الطبيعيين أو المتبنين ، ففي مثل هذا السياق المعقد والمتطور بأستمرار ، غالباً ما كان يتم تنفيذ المهام الأبوية في التعليم من قبل شخصيات ثانوية مثل العمات والجندات وغيرهم من الأقارب مع مهمة الأشراف على العملية التعليمية للطفل .^(٩٥)

ويبدو أن الكتابة والقراءة لم تكن السمة المميزة للتعليم في بادئ الأمر حيث لم يكن هناك قلق بشأن الفوارق الدقيقة بين التدريب والتنشئة الاجتماعية والتعليم ، كالتى أصبحت

شائعة في الوقت الحاضر.^(٩٦) اذ كانوا مهتمين بالتدريب الأخلاقي والعملي للأطفال أكثر من اهتمامهم بنموهم الذهني ، لذا كان يتوقع من الأطفال القيام بالأعمال المنزلية والمساعدة في الأعمال التجارية العائلية ، وكانوا يخضعون لتأديب قاسي عندما يسيئون التصرف.^(٩٧)

أذن العائلة هي اللبنة الأساسية للتعليم البدائي في المجتمع الروماني من حيث التثقيف والتعليم وأن كان بأبسط حالاته . حيث كان مفهوم التعليم لدى الرومان ، هو تربية وتعليم الطفل على كل مايعتقدون أنه نافع مفيد وأساسي لهم في الحياة سواء من ناحية العمل أو الخطابة ، كذلك كانت الحروب إحدى الوسائل في أنفتاحهم على ثقافات وطرق التعليم جديدة ساعدت على الأنطلاق الفعلي والتحويلي من تعليم بدائي الى تعليم رسمي تشرف عليه مؤسسات الدولة .

الهوامش:

- (1) V. DASEN. CHILDBIRTH AND INFANCY IN GREEK AND ROMAN ANTIQUITY, A COMPANION TO FAMILIES IN THE GREEK AND ROMAN WORLDS, CHAPTER 18, EDITED BY BERYL RAWSON, 2011, P291-314.
- (2) B. RAWSON, CHILDREN AND CHILDHOOD IN ROMAN ITALY, OXFORD UNIVERSITY PRESS, NEW YORK, 2003, P136.
- (3) ينظر شكل رقم (٧).
- (4) SAINT AUGUSTIN, LES CONFESSIOS, VI, TRAD : M. PÉRONNE, ÉD : LOUIS VIVÉS, PARIS, 1870,P7 .
- (5) B. RAWSON, CHILDREN AND CHILDHOOD IN ROMAN ITALY, (OXFORD UNIVERSITY, NEW YORK) PRESS: 2003, P136 .
- (6) GRUBBS, THE OXFORD HANDBOOK OF CHLLDHOOD, P264.
- (7) ADKINS, HANDBOOK TO LIFE IN ANCIENT ROME, P 378 .
- (8) PHANG, SARA ELISE, DAILY LIFE OF WOMEN IN ANCIENT ROME, GREENWOOD, CALIFORNIA, 2022) P46.

ALBRECHT, MICHAEL VON, A HISTORY OF ROMAN LITERATURE ⁽⁹⁾
FROM LIVIUS ANDRONICUS TO BOEETHIUS (NEW
YORK: LIBRARY OF CONGRES, 1997) P34-36.:

⁽¹⁰⁾ SLUITER , LNEKE , THE PARENTAL TEACHING MODEL
, LANGUAGE INSTRUCTION AND LINGUISTICS INNOVATION ,
P2.

⁽¹¹⁾ MATZ, DAILY LIFE OF THE ANCIENT ROMANS , PG71.

⁽¹²⁾ حرم قانون الألواح الاثني عشر تخلي الأب عن أولاده الذكور أكثر من ثلاث مرات ، وعن
الأنث وأحفاده من الذكور والأنث أكثر من مره واحدة ، كما أنه حرم فيما بعد قتل
الأطفال ، والغبي هذا الحق تماماً في العهد الإمبراطوري ، فترة حكم الإمبراطور جوستينيان
. البرازي ، محمد محسن ، محاضرات في الحقوق الرومانية ، (مؤسسة هنداي سي سي أي
سي : ٢٠١٧) ص ٩٧ .

⁽¹³⁾ وقد يكون مصيره أسوء من الموت ، حيث يقع هؤلاء الأطفال في أغلب الأحيان في أيدي
التجار المتسولين ، والذين دربوا الأطفال على نفس المهنة ، وبالتالي قاموا بتشويه ضحاياهم
بقسوة ، وذلك من أجل إثارة الشفقة المارين أصحاب الصدقات .

JOHNSTON , HAROLD WHETSTONE , THE PRIVATE LIFE OF THE
ROMANS, (CHICAGO: SCOTT FORESMAN AND COMPANY ,
1903) P65.

⁽¹⁴⁾ CURCHIN, LEONARD , THE ROMAN FAMILY: RECENT
INTERPRETATIONS, (ZEPHYRUS : UNIVERSIDED DE
SALAMANCA , 2000) P541
SANTORELLI
BIAGIO , ANATOMIE DELLA PATERNITÀ PADRI FAMIGLIA
NELLA CULTURA ROMANA (EDIZIONI GRIFO, 2019) .

⁽¹⁵⁾ JOHNSTON ,, THE PRIVATE LIFE OF THE ROMANS, P. 64.

⁽¹⁶⁾ تيتوس مانليوس : تيتوس مانليوس (TITUS MANLIUS): وهو احد القادة الابطال
المشهورين من أيام العصر الجمهوري في تحقيق الأنتصار في حروب روما مع الغاليين ،
عين قنصلاً لثلاث مرات كانت المره الأولى عام ٣٤٧ ق.م والثانية عام ٣٤٤ ق.م والثالثة
عام ٣٤٠ ق.م ، كما تم تعيينه ديكتاتوراً لثلاث مرات أيضاً ، وكان معروف بفضائله

الأخلاقية وحزمه في اتخاذ القرار وشدته في العمل ، حيث اعدم ابنه بعد أن عصى أوامره في احد المعارك ، وكان يعتبر أنتصاراته واخلاقه وقيمه أنموذجاً يحتذى به أحفاده من بعده.

TYLORXILY, ROSS AND T.ROBERTS. BROUGHT ON, THE ORDER OF THE TWO CONSULS NAMES IN THE YEARLY LISTS,)MEMOIRS OF AMERICAN ACADEMY IN ROME, 1949(, PP.11-14.

(17)GRUBBS , THE OXFORD HANDBOOK OF CHILDHOOD,

(18)ALDRETE , G.S , DAILY LIFE IN THE ROMAN CITY: ROME-POMPEII-AND OSTIA (USA:2004) P55.

(19)GARDNER , J.F , FAMILY AND FAMILIA IN ROMAN LAW AND LIFE, (OXFORD: 1998) P5-6 .

(20)DUCOS MICHÈLE, LA CONDITION DE LA FEMME ET LE MARIAGE À ROME ,1ER PARTIE, IN VITA LATINA, N°147, 1997, P5-6.

(21)DUCOS, MICHELE , LA CONDITION DE LA FEMME ET LE MARIAGE A ROME, (1ERPARTIE , IN : VITA LATINA , 1997) P5.

(٢٢) للأله جوبيتر (JUPITER) : هو أحد الألهة الرومانية هو اله السماء والبرق ، لديه عدة أسماء مختلفة منها ستاتور أي اله الصمود في المعركة ، وكذلك جوبيتر القارب ، حيث يقوم القائد المنتصر بتقديم القرابين له ، وأقيم له معبد كبير في الكابيتول، وتعتبر مركز الديانة القومية عند الرومان . عكاشة علي ، شحادة الناطور ، وجميل بيضون ، اليونان والرومان ، (عمان : دار الأمل ، ١٩٩١) ص ٢٣٢ .

(٢٣) كان أحد قوانين الألواح الأثني عشر هو عدم زواج الأرستقراطيين بأحد العامة ، وفي عام ٤٤٥ قبل الميلاد ، أقترح محامي العوام كايوس كانوليوس ، CAIUS CANULEUIS بإلغاء هذا القانون ، وبعد التصويت عليه بالموافقة صدر باسم قانون كانوليا وبموجبه أصبح الزواج ممكناً بين الفئتين =

=A.BOUCHÉ- LECLERCQ, MANUEL DES INSTITUIONS ROMAINES, LIBRAIRIE HACHETTE ET CIE, PARIS, 1889, P458.

(24) HAVLIN, PAUL, COURS ELEMENTAIRE DE DORIT ROMAIN , (PARIS ,1972) P.235.

(25) مسكوني ، صبيح ، القانون الروماني ، (بغداد : ١٩٦٨) ص ٩٥ .

(26) سهلب ، وميسون المرعشلي ، تاريخ العصور الكلاسيكية الرومانية ، ص ١٠٧ .

(27) YOMING, WANG , ANCIENT ROMAN PERIOD; FATHER ; TEACHER FAMILY EDUCATION, (UK: FRANCIS ACADEMIC,2018) P1110 .

(28) JOYE, SYLVIE, INCLUDERE ED ESCLUDERE NELLA FAMIGLIA : IL RUOLO DEL PADER (MILANO ,LED , 2016) P190.

(29) زانني ، محمود سلام ، المرأة عند الرومان ، (الإسكندرية : مكتبة القاهرة ، ١٩٥٨) ص ٢٢٦ .

(30) KAMM , ANTONY , AND GRAHAM , ABIGAIL , THE ROMANS , P3(USA : ROUTLEDGE, 2015) P 229 .

(31) ABBOTT, F.F. , SOCIETY AND POLITICSIN ANCIENT ROME , (NEWYORK : 1963) P 5-6 .

(32) DANIEL , W.B. , ROMAN PRIVATE LIFE AND IT'S SURVIVAL, (NEWYORK : 1963) P56-57.

(33) ADKINS , LESLEY AND A. ADKINS , ROY , HANDBOOK TO LIVE IN ANCIENT ROME, P376 .

(34) DANIEL , ROMAN PRIVATE LIFE , P 42-45 .

(35) التبني (ADOPTIO) هو إيجاد قرابة بين شخصين ليس لهما صلة في بعض ومحاولة انشاء رابطه بينهما كرابطة المولود من الزواج الشرعي ، وفائدته هي تمكين الشخص العاقر من الحصول على ذرية تخلد أسم العائلة ودينها الذي كان له في اعتقاد الرومان قديماً تأثيراً مادى في حياة الأموات ، وبذلك يتحول كل من الاسم والدين والمال للشخص المتبنى من بعد وفاة متبنيه . MELVILLE , OP. CIT, P140 .

(36) وخير دليل على ذلك هو تبني يوليوس قيصر لأوكتافيوس أغسطس حفيد أخته ليكون وريثه . عبد الزهرة ، الأمبراطور أوكتافيوس أغسطس ، ص ٣٩ - ٤٠ .

(٣٧) ومع ذلك ، فقد منحت التغييرات التي حدثت في القرن الثاني للأمهات بعض الحقوق في ممتلكات بعضهم بعضاً وذلك ما بما عكسته تعدد الأسماء وهذا الاعتراف الأكبر بالعلاقة = مع عائلة الام ، وعليه اصبح الأطفال الذين يولدون من زواج غير شرعي ، كانوا ينتمون الى الأم ، فأخذوا اسمها ومكانتها ، ولكن بما انها لم تكن قادرة على ممارسة سلطة الاب (POTESTAS) لذا كانوا يتمتعون بحكم ذاتي (مستقلون من الناحية القانونية . RAWSON, MARRIAGE, DIVORCE , P 26.

(٣٨) السعدني ، حضارة الرومان ، ص ٦٢-٦٣ .

(39) RAWSON, MARRIAGE, DIVORCE , P16 .

(٤٠) بلوتارخ ، تاريخ الأباطرة وفلاسفة الأغريق ، ص ١٥١ .

(٤١) سمعان ، الثقافة والتربية في العصور القديمة ، ص ٣٢٤ .

(٤٢) وخير مثال على ذلك كان الإمبراطور أغسطس يشرف بنفسه على تعليم أحفاده ، رغم كثرة مسؤولياته فكان لايقوم برحلة إلا اذا سبقوه لعربته أو في عربة ملاصقة بعربته ، هذه الشواهد وان كانت تدل على شيء فهي تثبت على عناية الأب والجد بتعليم الأبناء عناية بالغة ، SUETONIUS , OP. CIT, VOL. LL , P281.

(43) RAWSON, MARRIAGE , DIVORCE , P18 .

(44) PLUTARQUE, DE L'ÉDUCATION DES ENFANTS, HACHETTE, PARIS, 1870, T1, 2; 5.

(45) PLUTARQUE ,8 ; 17 ; 18 ; 20.

(٤٦) يعتبر الإمبراطور ماركوس أوريليوس هو خير دليل على ذلك حول من يتلقى تربية جيدة ويتعلم على الأخلاق الفاضلة ، فيعد أوريليوس من أكثر الأباطرة حكمة وعلماً ، وذلك يدل على ما تلقاه من تربية وتعليم جيدين ، حيث ذكر أوريليوس فضل عائلته عليه من خلال الأقتداء بهم ، ولم ينكر ذلك الفضل ، اذا يذكر أنه أخذ عن والدته التقوى والكرم والبساطة ، أما والده فأعطاه الحياة والصبر والحكمة والنشاط والحيوية ، وأخذ من جده الكرم واللفظ والتعامل مع الناس باللين والنعومة . عبد الله عبد الدائم ، التربية عبر التاريخ ، (لبنان : دار العلم للملايين ، ١٩٧٣) ص ٩٨-١٠٠ .

(٤٧) ومن المفردات الأخرى التي تشير الى العبد هي الكلمه الأكثر شيوعاً SERVUS وهي تطلق على النساء ، والتي يبدو أنها تأتي من اللغة الأترورية . ANDREAU , JEAN , AND DESCAT , RAYMOND , THE SLAVE IN GREECE AND

ROME , (LONDON: THE UNIVERSITY OF WISCONSIN , 1930)

P12

(٤٨) أيوب ، التاريخ الروماني ، ص ١٠٧ .

(49)BARROW , R. H , SLAVERY IN THE ROMAN EMPIRE ,(LONDON: 1928) P.45-50 .

(50)ANDREAU , THE SLAVE , P15 .

(٥١) علي ، التاريخ الروماني ، ص ١١٥ .

(٥٢) نشأت علاقة بين عوائل النبلاء وأصحاب الأراضي والعاملين بها وهي علاقة حماية من الجانب الأول من أي اعتداء قد يحصل لأصحاب هذه الأرض من الطبقة نفسها ، مقابل ما يحصلون عليه من فوائد من أصحاب الأراضي ، كان أساس هذه العلاقة هي المصالح المتبادلة بين الطرفين . للمزيد ينظر سهلب وميسون المرعشلي ، تاريخ العصور الكلاسيكية الرومانية ، ص ١٠٤ .

(٥٣) أريس ، مؤمن علي مؤمن ، الحياة الاجتماعية الرومانية خلال العهد الجمهوري (-27 133 ق.م) ، (رسالة ماجستير غير منشورة ، 2012) ص ٦٧ .

(٥٤) انطونيوس غنيفو : الذي اصبح مدرساً في منزل يوليوس قيصر عندما كان قيصر صبياً وذلك عام ٨٩ قبل الميلاد وكان عبداً وحصل على حريته من قبل والده بالتبني ، حصل بطريقة ما على التعليم واصبح ماهراً في كل من اللاتينية واليونانية ، وبعد ذلك اكتسب شهرته كمدرس .

BONNER, EDUCATION IN ANCIENT ROME , P26

(٥٥) يوليوس قيصر : غايوس يوليوس قيصر ينحدر من سلالة الملوك والآلهة ، ظهرت موهبته وطموحه منذ شبابه ، عارض سولا ودخل السجن لفترة قصيرة ، لكنه بقي محافظاً على علاقاته مع النبلاء ، لكنه دافع عن الطبقة العامة ، شكل مع حلفائه بومبيوس الكبير وكراسوس الحكم الثلاثي الأول ، قاد الجيوش في حروب الغال وحقق انتصار عظيم ، اصبح بعد ذلك حاكماً لروما سنة 49 ق.م يعتبر من ادهى سياسيين عصره ، وأبرز شخصية عسكرية في التاريخ ، وسبب ثورة تحويل روما من جمهورية الى امبراطورية وتغيير مسار التاريخ ، اغتيل في 15 مارس سنة 44 ق.م

KUTPER , KATHLEEN , ANCIENT ROME FROM ROMULUS TO THE VISIGOTH INVASION, (NEW YORK: ROSEN EDUCATIONAL SERVICES,2011) P.94-99 .

(56)RAWSON , BERYL,CHILDREN AND CHILDHOOD IN ROMAN ITALY ,(NEW YORK,OXFORD UNIVERSITY PRESS,2003)P118.

(57) GREGORY S. ALDERTE, DAILY LIFE IN THE ROMAN CITY: ROME, POMPEII, AND OSTIA, USA, 2004, P62.

(58) بلوتارخ (PLUTARCH) : (٥٠ - ١٢٠ م) كاتب ومؤرخ يوناني ، من عائلة يونانية ثرية ولها تأثير كبير في السلطات الحاكمة ، قضى الثلاثين عاماً من حياته كاهن في معبد دلفي ، وكان كاتب غزير الإنتاج ، أستخدم أعماله للتأثير على تعاون بين اليونان وروما ، وتتضمن مجموعة كتاباته أعمالاً فلسفية وبلاغية ، لكنه أشتهر بكتابة حياة الرجال المشهورين ، قام =بترتيب السير الذاتية في أزواج متوازية ، على سبيل المثال قام بتصوير الخطيبين اليوناني والروماني ديموستينيس وشيشرون جنباً الى جنب وذلك من أجل التباين والمقارنة .

N. G. L. Hammond and H. H. Scullard, The Oxford Classical Dictionary (Oxford: Oxford University Press, 1989):p 848-849.

(59)PLUTARQUE, VIE DE CATON L'ANCIEN, XX.

(٦٠) أيوب ، ابراهيم رزق الله ، التاريخ الروماني، (الشركة العالمية للكتاب ، ١٩٩٦) ، ص٢٨ .

(61)BRODHOLT, OP.CIT ,P22.

(62)BONNER,EDUCATION IN ANCIENT ROME,P3.

(63)BRODHOLT,INGRID,SOCIALIZATION OF INFANTS AND CHILDREN IN ROMAN BRITAIN AN ANALYSIS OF BURIAL CUSTOMS WITH SPECIAL FOCUS ON THE LANKHILLS CEMETERY ,(MASTER THESIS DEPARTMENT OF ARCHAEOLOGY, CONSERVATION, AND HISTORY, UNIVERSITY OF OSLO , SPRING 2012) P23.

(64)BRODHOLT, OP. CIT ,P22.

(٦٥) جاء في احدى الوثائق البريدية من عام (٢١٩م) عن سيده رومانية تدعى اوريليا أيبيا ، كانت تملك مصنعاً لصناعة الفخار ، وتبين أن احد صناعات الفخار يرغب بستأجاره وذلك عن طريق تقديم طلب ، نبذة من نص الوثيقة :

ÉKOUICICUC ÉTTIDÉXOMAL FUCOÚCACOAL ET' EVIAUTÓN EVA
ETI ATÒ A OUT TOU ÉVECTOTOS Y(ETOUS) ÖT KRTÀ CÈ
TÉTARTON MÉROS TOU ONTOS ΟΙΗΚΟΪ ΚΕΡΑΜΟΟ ΚΑΪ
ΤΗΥ €» ΑΪΤΪ ΚΑΡΕΙΝΟΓ ΚΑΪ ΚΑΡΑΡΙ» ،

ويتضح من ما سبق أن الوثيقة كانت عبارة عن عقده عمل بين الطرفين ملزمة بعدة شروط ، وهذا ان كان يدل على شيء ، فهو عن أهمية تعليم صناعة الفخار للأجيال القادمة في العصور القديمة ، الأبياري ، حسن أحمد حسن أحمد، المواطنين الرومان المقيمون في مصر منذ الفتح الروماني حتى صدور مرسوم أنطونيوس في عام ٢١٢ م (مكتبة تاريخ واثار دولة المماليك ، ١٩٩٣) ص ١٨٥-١٨٦ .

(٦٦) MCCLEES , HELEN , THE DAILY LIFE OF THE GREEK AND ROMANS, (UNITED STATES: 2022) P49-53 .

يذكر أن الأمبراطور أوغسطس قد ارتدى ، باستثناء المناسبات الخاصة ، الاعمال اليدوية لسيدات عائلته ، كمثل على البساطة في فترة الإسراف العام .

JOHNSTON , THE PRIVATE LIFE OF THE ROMANS , P73.

(٦٧) أحمد ، علي عجيبة ، دراسات في الأديان الوثنية ، (القاهرة : دار الأفاق العربية ، ٢٠٠٤) ص ١٨٠-١٨١

(٦٨) الأله جانوس (JANUS) : هو اله الألهة الحامي الطرق والبوابات ، ورمزه المفتاح الذي يفتح ويغلق الأبواب ويترد الصوص الذين يتلصصوا على البيوت ، تم تصويره مزدوج الوجه ، احدهم ينظر الى الأمام أي المستقبل والأخر ينظر الى الخلف أي الماضي نسب اليه الرومان عملية خلق الكون ولهذا اطلق أسمه على الشهر الأول من السنة (JANUARIES) كان له معبد خاص في الفوروم ، تفتح أبوابها وقت الحرب وتغلق وقت السلم .

DALY, KATHEEN N . , GREEK AND ROMAN MYTHOLOGY ATOZ ,(NEW YORK: 2009) P.80 .

(٦٩) مارس (MARS) : هو أله الزراعة والنباتات والخصب أله الربيع ، وأله القطعان ولهذا كان يعيش في الغابات والجبال ، وأله الحرب فيما بعد وجاءت واجباته الحربية متأخره

ولهذا كان الشرف يضاف على معبده قبل الشروع بأي حملة عسكرية ، وتقدم إليه الأضاحي قبل وبعد القتال ، وكان معبده على تل البلاتين ، حيث تودع رماحه ودروعه المقدسة الاثنتي عشر ، حيث كان يعتقد الرومان أنه يرافقهم في ساحات القتال لأنزال الرعب في قلوب أعدائهم . ELY , TALFOURD , THE GODS OF GREECE AND ROME , (NEW YORK:2003) P157-158.

(٧٠) أيوب ، التاريخ الروماني ، ص ٢٩ .

(٧١) أدريس ، الحياة الاجتماعية الرومانية خلال العهد الجمهوري ، ص ٨٥ .

(٧٢) عبداللطيف ، التاريخ الروماني ، ص ٢٠٦ .

(٧٣) الألهة فستا (VESTA) : هي آلهة الأرض والنار ، ومن ألمع وأنقى الألهة كشعلة النار لذلك كان رمزها النار واصل اسمها (سنسكريتي) من الشروق ، وقد بدأت عبادتها منذ عهد رومولوس ويحتفل بها في السابع من حزيران ، وفي هذا اليوم يفتح معبدها الذي لايدخله سوى الكاهنات من العذارى فيستا ، ويفتح للأمهات لتقديم النذر من الأطعمة المختلفة.الباوي ، حسين أحمد سلمان ، الأمبراطورية الرومانية دراسة في التاريخ والحضارة (753 ق.م - 476 م) ، (بغداد : ٢٠٢١) ص ٢٤٦ .

(٧٤) ديورانت ، ويل ، قصة الحضارة ، مج ٣ ، ص ٦٤-٦٥ .

(75)COULANGES , FUSTEL DE, A STUDY ON THE RELIGION LAWS AND INSTITUTIONS GREECE AND ROME ,TRY: SMALL , WILLARD , ED10 (BOSTON : LEE AND SHEPARD ,1901) P29

(76)DUNSTAN , WILLIAM E. , ANCIENT ROME ,(NEW YORK: ROWMAN & LITTLEFIELD PUBLISHERS, 2011) P.36.

(77)COULANGES, A STUDY ON THE RELIGION LAW , P46 .

(٧٨) أيوب ، التاريخ الروماني ، ص ٩٦ .

(٧٩) الألهة الديوسكوري (DIOSCURI) : أو ديوس كوروي في اليونانية، والتي تعني "شباب زيوس"، وهناك "ترنيمة هومرية". الذي يشيد بهم على أنهم "أبناء زيوس"، وكانت أسبارطة موطنهم ، حيث كانوا يعبدون عبادة معينة ، لقد كانوا يمثلون أرواح المحاربين الشباب الذين يمتطون الخيول في المعركة ، لأنه على الرغم من أن كاستور كان فارسًا أكثر شهرة من أخيه، إلا أن كلاهما كانا معروفين باسم "الراكبين على الجياد البيضاء". تحت اسم "CASTOR AND POLLUX" أو في بعض الأحيان ببساطة "CASTORES"،

انتشرت عبادتهم في وقت مبكر جدًا إلى روما، حيث كان يقام مهرجان كل عام في منتصف شهر يوليو، على شرفهما .

EVANS , ARTS & HUMANITIES THROUGH THE ERAS , P308 .

(^{٨٠}) الماجدي ، خزعل ، المعتقدات الرومانية ، (دار الشرق ، ٢٠٠٦) ص ١٢١ .

(^{٨١}) أيامار ، أندرية ، وأوبواية ، جانين ، تاريخ الحضارات العام روما وإمبراطوريتها ، مج ٢ ، ط ٢ ، (باريس : منشورات عويدات ، ١٩٨٦) ص ١٥٦ .

(^{٨٢}) الصفدي ، هشام ، تاريخ الرومان في العصور الملكية الجمهورية الأبراطورية حتى عهد الامبراطور قسطنطين ، (بيروت : الفكر الحديث ، ١٩٦٧) ص ١٩٩ .

(^{٨٣}) الشيخ ، حسين ، الرومان ، (الأسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٥) ص ١٧٩ .

(^{٨٤}) نصحي ، إبراهيم ، تاريخ الرومان ، ج ١ ، ط ٢ ، (منشورات الجامعة الليبية ، ١٩٧٨) ص ٩٥ .

(⁸⁵)SPARREBOOM, ANNA , WET-NURSING IN THE ROMAN EMPIRE INDIFFERENCE ,AND EFFICIENCY AND AFFECTION (THESIS M-PHIL. OUDHEIDSTUDIES ,VU UNIVERSITY ,AMSTERDAM ,2009) P25.

(⁸⁶) BRODHOLT ,SOCIALIZATION OF INFANTS AND CHILDREN IN ROMAN,P123

(⁸⁷)F.R.COWLL, LIFE IN ANCIENT ROME, PUBLISHED BY THE BERKLEY PUBLISHING GROUP, 1961, P111.

(⁸⁸)FANTHAM, ELAINE , WOMEN OF THE ANCIENT WORLD JULIA AUGUSTI THE EMPEROR'S DAUGHTER,(USA : ROUTLEDGE , 2006) P1

(⁸⁹)HEMELRIJK , A. EMILY , THE EDUCATION OF WOMEN IN ANCIENT ROME (NEWYORK : 2015) P.293

(⁹⁰) مجلس الشيوخ : ربما كان مجلس الشيوخ موجوداً في ظل النظام الملكي وعمل كمجلس استشاري للملك ، ومن الأسم نستدل على أنه يتكون من رجال كبار السن ، الذين يجب أن يكون عمرهم ومعرفتهم بالتقاليد محل تقدير كبير في المجتمع ، كان يتألف من أعضاء من العائلات القيادية ، اعدادهم غير معروفه خلال الجمهورية المبكرة ، لكن تشير بعض

خلال الجمهورية الوسطى ، كان يطلق 300المصادر القديمة الى أن عددهم كان حوالي (THE FATHERS AND THE ENROLLED على أعضائها بشكل جماعي اسم) مما يشير الى أن مجلس الشيوخ كان يتألف في البداية من مجموعتين مختلفتين ، أثناء الجمهورية نصح مجلس الشيوخ كل من القضاة والشعب الروماني ، على الرغم ان الشعب من الناحية النظرية يتمتع بالسيادة وأن مجلس الشيوخ يقدم المشورة فقط ، إلا انه في الممارسة الفعلية كان لمجلس الشيوخ سلطة هائلة بسبب المكانة الاجتماعية لأعضائه .
KUTPER , ANCIENT ROME, P27.

(91)JOHNSTON , THE PRIVATE LIFE OF THE ROMANS , P.73.

(92)JOHNSTON, SAME SOURCE , P74.

(93)MATZ, DAVID , DAIL LIFE OF THE ANCIENT ROMANS,
(GREENWOOD:LONDON,2002) P4.

(٩٤) زايد ، التربية والتعليم ، ص ٢٠١ .

(95)ALBANS,MELA , EDUCAZIONE E FORMAZIONE NELLA DOMUS
AUGUSTA , (ANNALI DELLA FACOLTÀ DELLA FORMAZIONE
,UNIVERSITÀ DEGLI STUDI STUDI CATANIA, 2015) P35.

(96)BLOOMER,W.MARTIN,A COMPANION TO ANCIENT EDUCATION
(WILEY BLACKWELL:USA,2015),P282.

(97)CURCHIN,, THE ROMAN FAMILY, P539..

الأطماع الإسرائيلية في مضيق باب المندب

١٩٩٥ - ١٩٦٧

Israeli ambitions in Bab al-Mandab Strait 1967 -
1995

م. د. صفاء كاظم عباس

M . Dr. Safaa Kazem Abbas

مديرية تربية بغداد الكرخ / ٢

Baghdad Directorate of Education Karkh /2

م. د. صفاء كاظم عباس

الخلاصة:

كانت ومازالت اليمن حاضرة بقوة في أجندة الأطماع الإسرائيلية بسبب الموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به، والتحكّم في مضيق باب المندب، والذي يعد بمثابة مجمع الأمن الإقليمي وهمزة الوصل بين الشرق والغرب، وتعززت أطماع إسرائيل بعد وعد بلفور المشؤم عام ١٩١٧، والذي منحهم وطناً بديلاً في فلسطين المحتلة بعد قرونٍ من الشتات والتهيه، وكانت اليمن قبل صدور الوعد إحدى البلدان المتداولة في أوساط اليهود لإقامة دولتهم الموعودة، لهرطقات دينية تدعي وجود الهيكل السليماني فيها، ويعود التواجد الإسرائيلي في باب المندب إلى ستينيات القرن الماضي، وتحديداً عندما قررت بريطانيا، وعلى وقع ضربات المقاومة اليمنية وتوسع حجم العمليات الفدائية، الرحيل من عدن ومن المحافظات الجنوبية في اليمن، قبل ذلك كانت إسرائيل قد نسجت خيوط العلاقة مع دولة إثيوبيا، واستفادت منها في إيجاد موطئ قدم لها في منطقة جنوب البحر الأحمر، عبر استئجار جزر إثيوبية، أعقبته محاولات التمدد والتوسع للسيطرة على مضيق باب المندب .

أن أهتمام إسرائيل بالوضع في باب المندب والذي يمثل مفتاح الدخول للبحر الأحمر بالنسبة للسياسة الإسرائيلية ليس بجديد إذ كانت تطرح نفسها دائماً بمثابة الدولة المشاطئة لتلك المنطقة الحيوية من العالم، ولم تكن عملية القرصنة الارتيرية وأحتلال أرخبيل حنيش، الا عملية مشبوهة تقف ورائها إسرائيل كأنداز لليمن ولغيرها بعدم اجراء أية تعديلات في موازين القوى عبر البحر الاحمر حتى تبقى اليد الاسرائيلية فاعلة في تلك المنطقة الحيوية من العالم .

الكلمات المفتاحية / إسرائيل , اليمن , أرتيريا, باب المندب , البحر الأحمر

Keywords: Israel, Yemen, Eritrea, Bab al-Mandab, Red Sea

Abstract

Yemen was and still is strongly present in the agenda of Israeli ambitions because of its strategic location and control of the Bab al-Mandab Strait, which is considered a complex of regional security and a link between East and West. Israel's ambitions were reinforced after the ominous Balfour Declaration in 1917, which gave them an alternative homeland in Palestine. Occupied after centuries of diaspora and wandering, and before the promise was issued, Yemen was one of the countries circulating among the Jews to establish their promised state, due to religious heresies claiming the existence of the Sulaymani Temple in it, and the Israeli presence in Bab al-Mandab dates back to the sixties of the last century, specifically when Britain decided, and on the impact of the blows of the resistance Yemen and the expansion of the size of the commando operations, the departure from Aden and from the southern governorates of Yemen. Before that, Israel had woven the threads of the relationship with the state of Ethiopia, and benefited from it in finding a foothold for it in the southern Red Sea region, by renting Ethiopian islands, followed by attempts to expand and expand to control on the Bab al-Mandab Strait .

Israel's interest in the situation in Bab al-Mandab, which represents the key to entering the Red Sea in relation to dynastic politics, is not new, as it has always presented itself as the coastal state of that vital region of the world. Not to make any adjustments in the balance of power across the Red Sea so that the Israeli hand remains active in that vital region of the world .

المقدمة:

تعد دراسة مواضيع أهمية الممرات المائية الدولية من الدراسات الحيوية والمتجددة في التاريخ الحديث والمعاصر, لأسيما اذا كانت تلك الممرات الدولية تمثل نقطة ثقل مهمه في الجيوسياسي اقليميا ودوليا, وبالنظر للأهمية الاستراتيجية التي يحظى بها البحر الأحمر وخاصة جنوبه في مضيق باب المندب اتجه الطامعون لاحكام السيطرة على ذلك المضيق

عن طريق احتلال الجزر المهمة التي تقع فيه وبخاصة تلك الجزر التي تقع في جنوبه لذلك فقد تعرضت تلك الجزر للأحتلال الإقليمي والدولي الاستعماري عبر التاريخ القديم والحديث. وأرتبطت أهمية مضيق باب المندب الأستراتيجية بالعديد من الجوانب الجغرافية والاقتصادية والسياسية وغيرها وتأثرت بها العديد من الكيانات السياسية في الوطن العربي والقارة الأفريقية، وتتبع تلك الأهمية من الصراع الذي يدور حول باب المندب، كما انه ممر الناقلات النفطية والحربية والتجارية، كما أنه مفتاح قناة السويس، والذي يأخذ بعداً مهماً في التأثيرات المستقبلية للصراع العربي (الإسرائيلي)، وقد ازدادت أهمية مضيق باب المندب بعد تعاظم الاكتشافات النفطية في المنطقة ولمرور ناقلات النفط عبره الى الدول الصناعية، ومن هذا المفهوم جاء اختيار عنوان البحث ليكون (الأطماع الإسرائيلية في مضيق باب المندب ١٩٦٧ - ١٩٩٥)، وقسم البحث الى ثلاث مباحث وخاتمة أذ تطرقنا في المبحث الأول الى إعطاء لمحة تاريخية عن الأطماع الإسرائيلية تجاه مضيق باب المندب حتى عام ١٩٦٧، وجاء المبحث الثاني ليوضح التحرك الإسرائيلي لفرض السيطرة على مضيق باب المندب بين ١٩٦٧ - ١٩٧٨ وركز على أهمية ذلك التحرك متزامنا مع الحروب العربية الإسرائيلية وصولا الى عقد معاهدة كامب ديفيد عام ١٩٧٨، اما المبحث الثالث فقد تناول الدور الإسرائيلي في مضيق باب المندب ١٩٧٩ - ١٩٩٥ موضحا الأطماع الإسرائيلية وحلمها في السيطرة على تلك المنطقة الحيوية من العالم من خلال تأجيج الخلافات بين الدول المطلة على جانبي المضيق وأثارة المشاكل البحرية وصولا الى المواجهة العسكرية والتحريك الأرتيري لأحتلال جزر حنيش اليمنية ودور إسرائيل في تلك المواجهه العسكرية بين الطرفين، فيما جاءت الخاتمة لتوضح أهم الأستنتاجات التي توصلنا اليها من خلال دراسة الموضوع .

المبحث الأول / لمحة تاريخية عن الأطماع الإسرائيلية تجاه مضيق باب المندب حتى عام

١٩٦٧

أستمد المدخل الجنوبي للبحر الأحمر (مضيق باب المندب) أهمية أسترراتيجية مهمة نظرا لموقعه الجغرافي المميز، أذ يقع مضيق باب المندب بين الزاوية الجنوبية الغربية لشبه الجزيرة العربية حيث تشرف عليه اليمن، وبين أفريقيا حيث تشرف عليه كل من ارتيريا

وجيبوتي وهو يربط البحر الأحمر بخليج عدن والمحيط الهندي، كما انه الممر المائي الذي يوصل بين المحيط الهندي والبحر المتوسط عن طريق البحر الأحمر ثم قناة السويس (١). فهو بمثابة شريان لنقل النفط من الخليج العربي الى اوربا واسرائيل، كونه يعتبر قناة وصل من الناحية الاقتصادية والعسكرية بين البحر المتوسط والمحيط الهندي عن طريق قناة السويس اذ تحصل اسرائيل على نسبة كبيرة من احتياجاتها من النفط، ويتضح من ذلك ان غلق المضيق سيؤثر على الصناعات في اوربا وعلى اقتصاديات الاقطار المطلة عليه، كما أنه المتحكم في مداخل ومخارج البحر المتوسط والخليج العربي فأن اي تحرك في البحر المتوسط ينتهي الى باب المندب عبر قناة السويس والبحر الاحمر، كما ان اي تحرك في الخليج العربي ينتهي في مضيق باب المندب عن طريق مضيق هرمز، خليج عمان، المحيط الهندي، خليج عدن، باب المندب (٢).

ويبلغ الطول الكلي للمضيق من مينائي (المخا) وعصب الاريتري الى الجنوب الشرقي (المدخل الجنوبي) حوالي (٩٠ كم)، وعرضه (٢٤ كم)، وقد يضيق حتى يصل (١٩,٥ كم) في الجنوب الشرقي، (أنظر خريطة رقم ١)، وتعد جزيرة بريم (ميون) التي تبلغ مساحتها (١٢,٨ كم ٢) هي الموقع الأكثر استراتيجية داخل المضيق نفسه نظراً لتحكمها في مدخل البحر الاحمر الجنوبي وقربها من الاراضي اليمنية اذ لا تبعد عنه سوى (٤,٨ كم)، وقربها من الساحل الافريقي حيث تبعد عنه (٣٣ كم)، وهي الان تحت سيادة اليمن، يبلغ طولها (٥ كم) ويسكنها عدد قليل من السكان لا يتجاوزون الـ (٢٠٠٠ نسمة) يزاولون مهنة التجارة والصيد، ذلك الموقع بالنسبة لتلك الجزيرة أعطاها أهمية كونها قسمت المضيق الى ممرين احدهما شرقي صغير يطلق عليه اسم (باب اسكندر)، ويبلغ عرضه (٣,٨ كم) واخر غربي كبير يسمى احياناً (ممر ميون) (٣).



خريطة رقم (١) توضح الأهمية الاستراتيجية لمضيق باب المندب

وأضفت إطلالة اليمن على مضيق باب المندب وامتلاكها لجزيرة بريم فيه وأرخبيل حنيش وجزيرة (سوقطرة) أهمية استراتيجية قصوى وذلك لقدرتها على السيطرة على السابلة البحرية المارة خلال البحرين من وإلى أوروبا والشرق الأقصى، كما أن أهمية المضائق والقنوات البحرية معرضة للتغيير وفقاً للتغيرات السياسية في العالم فقد قلت أهمية مضيق باب المندب بعد ان تحولت طرق التجارة إلى أوروبا من الشرق إلى رأس الرجاء الصالح وجنوب أفريقيا في منتصف القرن الخامس عشر، ولكن قد عادت أهميته الإستراتيجية منذ بداية القرن العشرين في أعقاب افتتاح قناة السويس وتدفق نفط منطقة الخليج العربي حتى وان أشرفت اليمن على مضيق باب المندب فما زالت الدول الكبرى تعمل على حرية الملاحة فيها بالاتفاقيات تارة وبالتهديد العسكري تارة أخرى، حتى تقلل من أهمية الدول المتشاطئة عليها^(٤)، وأرتبطت الأطماع الإسرائيلية في البحر الأحمر بالأهداف الاستعمارية الغربية والتي تعود إلى الأيام الأولى لإنشاء إسرائيل في قلب الوطن العربي واستمرار دعمها، وعرقلة نهوض العرب والحيلولة دون تقدمهم ووحدتهم، ولأن لعنة الجغرافيا وضعت اليمن في إطار

جغرافي مهم وحيوي لمصالح الولايات المتحدة، بسبب التحكم في مضيق باب المندب، لذا لا يمكن الحديث عن السياسة الأميركية في منطقة حيوية بالنسبة إليها من دون الإشارة إلى مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي يستهدف تقسيم المقسم وتجزئة المجرأ على أنقاض اتفاق "سايكس - بيكو" عام ١٩١٧، والذي أستخدم بالنهاية إعادة هندسة المنطقة العربية بما يتناسب مع مصلحة إسرائيل، وإشراكها ضمن نظام شرق أوسطي تؤدي فيه دوراً واسعاً، وهو الهدف الجامع لصفحة القرن ومشاريع التطبيع، ومن أهم الأهداف الكبرى للمشروع الصهيوني، التي تم وضعها في قائمة بنك الأهداف العبرية هو تحويل البحر الأحمر إلى بحيرة يهودية، انطلاقاً من زعمهم بأن "بحر سوف" المذكور في سفر الخروج هو البحر الأحمر، وبالتالي فهو حق تاريخي لليهود بمقتضى النص التوراتي (٥) .

وقبل احتلال فلسطين، تم طرح أسماء عدة أماكن قريبة من البحر الأحمر لتكون وطناً لليهود منها اليمن وأثيوبيا وجنوب السودان، لكن وقع الاختيار في الأخير على فلسطين المحتلة ومع بداية ظهور الوكالة الإسرائيلية، تم استمالت العديد من يهود اليمن، وترغيبهم بالهجرة الى فلسطين المحتلة، مقابل منحهم وعوداً بمزايا، سرعان ما تبخرت مع بداية وصولهم الى فلسطين المحتلة، ونشطت العديد من المنظمات اليهودية الأوربية في اليمن، تحت مبرر تحسين وضع يهود اليمن، وشهد العام ١٩١٧، أول نشاط أسرائيلي في اليمن، تمثل في زيارة "شموئيل يفنئالي" مبعوث "منظمة العامل الصغير" الإسرائيلية، وسكرتير "منظمة الاستيلاء على الأراضي"، منتحلاً صفة حاخام فلسطيني، ونجح بالفعل في اقناع عدة أسر من يهود اليمن بالهجرة إلى فلسطين المحتلة، وبدأت هجرة يهود اليمن الى فلسطين المحتلة بعد صدور وعد بلفور عام ١٩١٧، والذي بموجبه منحت بريطانيا فلسطين لليهود كي يقيموا عليها دولتهم، وكانت هجرة يهود اليمن عادة ما تتم بصورة سرية، وفردية، ومنقطعة، وغير منتظمة، وبعضهم جاء الى فلسطين قبل ذلك (٦) .

وبالتوازي مع تكثيف التحركات الإسرائيلية لإيجاد موطئ قدم في القرن الأفريقي وباب المندب تحديداً لأسباب تتعلق بالحفاظ على الوجود الأسرائيلي وبالفعل نجحت شركة (SIA) الزراعية الإسرائيلية عام ١٩٢٠، في افتتاح مشاريع استثمارية في غرب أرتيريا، وبعد ترسيخ وجودها في فلسطين المحتلة، تنامى الوجود الأسرائيلي في المناطق المحيطة بباب المندب،

وتوثقت علاقاته بأثيوبيا، ونجح في استئجار عدة موانئ في القرن الأفريقي، وإقامة قواعد عسكرية، ومراكز رقابة استخبارية^(٧)، وفي عام ١٩٢٣، تنبه الإمام (يحيى حميد الدين) لنشاط الوكالات اليهودية، فأصدر قانوناً يمنع اليهود من السفر إلى فلسطين، ومع ذلك استمرت الهجرة بشكل سري ومتقطع، وكان يهود اليمن الجماعة اليهودية العربية الوحيدة التي تواجدت بأعداد كبيرة في فلسطين المحتلة، وهاجر جزء كبير منهم أيضاً إلى بريطانيا^(٨).

وفي تشرين الثاني عام ١٩٤٧، صدر قرار الأمم المتحدة رقم (١٨١) الخاص بتقسيم فلسطين المحتلة بين اليهود الغاصبين وأصحاب الأرض والحق، فصوتت المملكة المتوكلية اليمنية ضد ذلك القرار الجائر، والذي بموجبه أصبح الكيان اللقيط واقع يتمتع بشرعية دولية عوراء، على العرب قبوله والتعايش معه، ذلك القبول بحاجة إلى تخليق أنظمة خانعة وخاضعة، وفي العام نفسه وقعت مجزرة ليهود عدن، فاستغلت الوكالة الإسرائيلية تلك المجزرة، ونجحت في تهجير نحو (٥٠ ألف يهودي) يمني إلى فلسطين المحتلة بما أُسمي حينها بعملية (بساط الريح) أو ما يعرف عبرياً بعملية (ميكترزي تايمان)، وهي أول عمل أمني إسرائيلي في اليمن، بدأ التحضير لها في عام ١٩٤٤، بالتنسيق مع الاحتلال البريطاني في عدن، واستمرت بعدها الوكالة بنقل من تبقى من يهود اليمن بالتنسيق بين المؤسسات الأميركية والصهيونية داخل فلسطين المحتلة، وتكفلت الحكومة الأميركية بتغطية نفقات إعادة توطينهم داخل فلسطين المحتلة، ونفقات عمليات نقلهم من اليمن، وكانت تتم عادة بطرق سرية، وبصورة متقطعة، وغير منتظمة، باستثناء عملية بساط الريح، وكان عدد اليهود في العام ١٩٤٨ نحو ٥٥٠٠٠ نسمة يعيشون في شمال اليمن، و٨٠٠٠ في آخر مستعمرة بريطانية من عدن^(٩)، ومما يحسب للإمام يحيى إلزام اليهود ببيع ممتلكاتهم قبل مغادرة اليمن، ما يجعل مخطط استعادة أملاكهم في المحافظات الشمالية والغربية ساقط قانونياً^(١٠)، وعبر أول رئيس لحكومة إسرائيل (ديفيد بن غوريون) عن تطلعات إسرائيل إلى السيطرة على البحر الأحمر في عام ١٩٤٩، إذ قال "اننا محاصرون من البر.. والبحر هو طريق المرور الوحيد إلى العالم والاتصال بالقارات، وإن تطور ايلات سيكون هدفاً رئيسياً نوجه إليه خطواتنا"^(١١)، وقد شعرت الدول العربية المظلة على البحر الأحمر بالخطر

فقامت مصر بالتعاون مع السعودية عام ١٩٥٠، من أجل منح الأولى عدة جزر ذات أهمية استراتيجية وتتحكم في مدخل خليج العقبة وهما جزيرتا 'تيران' و'صنافير' تحت السيطرة العسكرية المصرية والهدف من ذلك تقييد الملاحة الاسرائيلية، وكان ذلك الاجراء من ضمن الدوافع التي أدت إلى العدوان الثلاثي ١٩٥٦، وأفادت إسرائيل من حروبها الواسعة ضد الدول العربية في ادعاء ما يسمى في حينه (حق المرور البري في خليج العقبة وفي مضائق تيران التي تربط الخليج بالبحر الأحمر) مع العلم أن مضائق تيران، تعد مياها إقليمية عربية وقد ركزت إسرائيل جهودها إبان العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، في احتلال شرم الشيخ وبدعم من الولايات المتحدة الأمريكية وحصلت إسرائيل على امتياز المرور عبر مضائق تيران وخليج العقبة وبتجاه البحر الأحمر والمحيط الهندي أي إلى آسيا وإفريقيا وكان لذلك الإجراء دور كبير في نجاحها في توسيع نطاق علاقاتها السياسية والعسكرية والاقتصادية مع العديد من دول آسيا وإفريقيا، وجاء التمدد الإسرائيلي في القرن الأفريقي انطلاقاً من الاستراتيجية الاسرائيلية تجاه تلك المنطقة، والتي عبر عنها الدبلوماسي العبري الشهير "والتر إيتان" حينما قال: "إن أمن إسرائيل من أمن وحرية بوابتها على البحر الأحمر ويجب الدفاع عن تلك البوابة مهما كلف الثمن، وتوظيفها لخدمة مشروع تهويد البحر الأحمر، وتأمين بوابة الدموع في باب المندب" (١٢) .

وفي المدة الممتدة من ١٩٥٦ - ١٩٦٧ نشطت إسرائيل في البحر الاحمر إذ شكلت تهديدا خطيرا على المنطقة وعدت اليمن نفسها في تلك المدة طرفا من اطراف الصراع العربي - الاسرائيلي وتجلى ذلك في موقف السياسة اليمنية في اثناء الحروب التي دارت بين العرب واسرائيل فقد طرحت اليمن في الجامعة العربية النشاطات الصهيونية على الساحل الارتريري وقرب باب المندب وعلى أثر ذلك تحركت الجامعة العربية وتحققت من الطرح واثبت لها استئجار الكيان الصهيوني من اثيوبيا جزر (أبوالطير وحالب ودهلك) وبالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية، وفي ١٦ أيار ١٩٦٧، أدى انسحاب قوات الطوارئ الدولية من شرم الشيخ وقد عبر عن خطورة الوضع الذي خلفه ذلك الإنسحاب الدولي في حينه ما قاله المندوب البريطاني في مجلس الأمن: "أن مسألة السماح بحرية المرور في خليج العقبة لا تعني الدول المحيطة بالخليج فقط، بل تمس مصالح جميع الدول البحرية في الحقيقة لم تكن

القضية السلام في الشرق الأوسط بل فعالية النظام الدولي الذي علينا جميعاً إحترامه" (١٣)، ذلك الأنسحاب الذي جاء بناءً على طلب مصر، التي فرضت حصاراً على إسرائيل بأحتلال خليج العقبة ثم إقفال مضائق تيران بوجه الملاحة الإسرائيلية إلى أندلاع الحرب في ٥ حزيران من العام نفسه بين العرب وإسرائيل، وقيام إسرائيل بعمل عسكري واسع النطاق، انتزع فيه اراض عربية جديدة، إلا أن قرار مجلس الأمن الدولي الرقم (٢٤٢) الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧، بعد توقّف الحرب، أكّد ضرورة ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة (١٤) .

أدركت الدول العربية والتي عرفت بدول الطوق والدول المطلة على البحر الاحمر الخطر المحدق بها وادركت مدى أهمية البحر الاحمر بالنسبة للاستراتيجية العربية ولاسيما مضيق باب المندب الذي شكل أهمية حيوية بوصفه حلقة وصل بين الكيان الصهيوني من ميناء ايلات وخليج العقبة إلى جنوب شرقي آسيا وأفريقيا.

المبحث الثاني/ التحرك الإسرائيلي لفرض السيطرة على مضيق باب المندب ١٩٦٧ -

١٩٧٨

شكل باب المندب منفذا للسفن المبحرة في البحر الأحمر باتجاه الشرق، وقد وقع هذا الباب الحيوي تحت السيطرة العربية منذ أن أستقلت محمية عدن البريطانية عام ١٩٦٧، وجيبوتي عام ١٩٧٧، فبات المدخل الجنوبي المؤدي إلى خليج العقبة وقناة السويس خاضعا في حينه لسلطة كل من جمهورية اليمن الديمقراطية، والجمهورية العربية اليمنية وجيبوتي، بينما سيطرت الصومال على قسم لا بأس به من سواحلها، أمّا إسرائيل فقد وجدت نفسها معنية بحركة الملاحة فيه على الرغم من بعدها عنه.

ويبدو أن ذلك المحيط الإقليمي المتنوع أبقى باب المندب في أجواء التوتر واحتمالات الصراع بسبب حال العداء بين الدول العربية وإسرائيل وكذلك بينها وبين اثيوبيا، ولكن باستثناء استخدام باب المندب من قبل العرب في عملية الحصار ضد إسرائيل العام ١٩٧٣، كانت الدول المحيطة بالممر الحيوي تجد مصلحتها في تخفيف احتمالات الصراع في محيطه، ربما لاعتبارات إقتصادية، وللملاحة الدولية، باعتبار أن موانئها في عدن والحديدة وجيبوتي وعصب ومصوع تجني منافع هائلة من حركة مرور السفن (١٥)، وكان باب المندب

قد خضع لمحاولات التدويل في عدة مناسبات، حيث فشلت بريطانيا قبيل إنسحابها من محمية عدن أن تضع جزيرة بريم التي تقفل البحر الأحمر تحت الحماية الدولية عام ١٩٦٧، كما فشلت محاولة مماثلة لتدويل بريم جرت عام ١٩٧١، بعد هجوم فلسطينيين على ناقلة نفط متجهة إلى ميناء إيلات الإسرائيلي، وكانت بريم قد اختارت أن تكون تحت سيادة جمهورية اليمن الديمقراطية بعد أن نالت إستقلالها عام ١٩٦٧، إلا أن فكرة تدويل باب المندب طرحت مجددًا بعد نجاح مصر وجمهورية اليمن الديمقراطية في فرض حصار على المضائق خلال حرب تشرين الثاني عام ١٩٧٣، ضد السفن المتجهة إلى مرفأ إيلات والعائدة منه^(١٦).

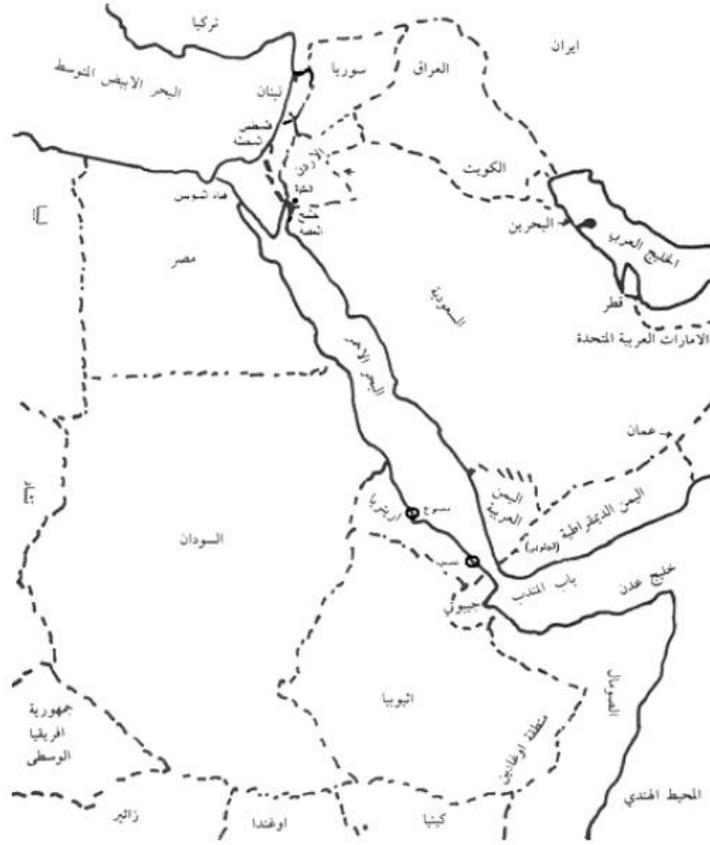
وبعد فشل خطط تدويل باب المندب، طرحت الدول العربية مسألة (السيطرة الإقليمية) على البحر الأحمر عام ١٩٧٧، فسعت مصر والسعودية والسودان بمباركة من الجامعة العربية إلى إقامة حلف يسيطر على الملاحة فيه، ويبدو أن ذلك الحلف قام مقابل إتحاد فدرالي سعت إلى تأسيسه كوبا بمباركة سوفياتية كان مقرراً أن يضم أثيوبيا والصومال وجمهورية اليمن الديمقراطية وجيبوتي لأجل الهدف عينه^(١٧).

أما إسرائيل، فقد سعت إلى تعزيز وجودها في البحر الأحمر، فاحتلت سيناء في الأعوام ١٩٥٦ و ١٩٦٧، ومنذ حرب عام ١٩٦٧، أدرك العرب أهمية البحر الأحمر كعمق استراتيجي في حربهم ضد إسرائيل، وبالمقابل تحوّل اهتمام إسرائيل باتجاه إفريقيا وجنوب شرق آسيا، ومنذ عام ١٩٧٠، إرتاب العرب من خطط إسرائيل الرامية إلى حرمانهم السيطرة على البحر الأحمر، وأدركوا أخطار النشاطات الإسرائيلية فيه، وزادت مخاوفهم مما وردهم من أخبار التحركات الإسرائيلية على الشاطئ الإريتري وقرب باب المندب، وصارت أوضاع البحر الأحمر المقلقة في أولويات اجتماعات الجامعة العربية عامي ١٩٧٠ - ١٩٧١، على التوالي بعد أن أثارت جمهوريتا اليمن الشمالية والجنوبية ودول عربية أخرى الأخطار الناجمة عن نشاطات إسرائيل في جزيرة حالب واستخدام جزيرة دهلك قاعدة عسكرية إسرائيلية، وقد تأكدت الجامعة العربية من ذلك بعد إرسالها لجنة مراقبين تحققت من الوجود الإسرائيلي في جزر أبو الطير وحالب ودهلك التي كانت إسرائيل قد استأجرتها من أثيوبيا^(١٨).

وبدأت ملامح استراتيجية عربية لمواجهة النشاط الإسرائيلي في البحر الأحمر تظهر عام ١٩٧٢، من خلال اهتمام العرب بعروبة إريتريا، ودعم مطالبة الصومال بأراضٍ لها في القرن الإفريقي، وتحصين جزيرة بريم ضد إسرائيل، وكذلك إطلاق دعوة إلى إنشاء قيادة بحرية عربية لمواجهة تغلغل إسرائيل في البحر الأحمر بوصفه جبهة مهمة وخطيرة في الصراع العربي مع إسرائيل، وفي أيلول ١٩٧٣، دعت الجامعة العربية في قرار لها إلى ترتيب انعقاد مؤتمر لأقطار البحر الأحمر العربية يتيح لها التوصل إلى مواقف مشتركة في شأن التعاون والتنسيق في ذلك الصدد (١٩).

ومع اندلاع حرب ٦ تشرين الاول ١٩٧٣، كان البحر الأحمر أحد عناصر خطة فرض الحصار على إسرائيل فقد بدأ حصار غير معلن على مضيق باب المندب منذ الأسبوع الثاني للحرب، حين أغلقت مصر بالتنسيق مع اليمنين ذلك الممر الحيوي، كما قامت قوة من اليمن الشمالي باحتلال بعض جزر البحر الأحمر لمنع إسرائيل من استخدامها لفك الحصار، وبعد الحصار الناجح الذي فرضته الدول العربية بإقفال باب المندب، وسعت إسرائيل من وجودها في البحر الأحمر، فطال جزر حالب ودهلك وحنيش الكبرى والصغرى وذقر، إلا أن وجودها تقلص بعد أن قطعت أثيوبيا علاقتها بإسرائيل في العام نفسه، واللافت في دروس حرب ١٩٧٣، أن احتلال إسرائيل لمضائق تيران لم يؤمن لها حرية الملاحة وسلامة المرور باتجاه أفريقيا والشرق الأقصى، فقد اعطى إغلاق باب المندب النتيجة عينها لناحية إحكام الحصار البحري على إسرائيل، وقد أفادت الدول العربية من ذلك، فقامت عام ١٩٧٤، بعد فك الحصار البحري عن إسرائيل بوضع جزيرة بريم تحت القيادة المصرية، باتفاق تدفع بموجبه السعودية ١٠ ملايين دولار سنوياً إلى جمهورية اليمن الديمقراطية (٢٠)، ومنذ مطلع عام ١٩٧٦، صار البحر الأحمر موضوع اهتمام عربي نظراً إلى دخول الدول الكبرى على خط الصراعات الإقليمية في تلك المنطقة، وسعت الدول العربية، ولا سيما (البحر-أحمرية)، (أنظر خريطة رقم ٢)، في اجتماعات متواصلة لقادتها إلى جعل البحر الأحمر بحيرة عربية، فتوجه خبراء عسكريون من مصر والسعودية إلى باب المندب للقيام بدراسات ميدانية حول توفير الأمن والحماية للمنطقة آنذاك، لتكون أساساً لتدابير الأمن العربي الجماعي في البحر الأحمر ضمن إطار معاهدة الدفاع العربي المشترك ودعا قادة

عرب كل من السعودية ومصر والسودان في قمم متلاحقة في جدة والسودان في العام نفسه إلى تعاون عسكري عربي في البحر



خريطة رقم (٢) توضح الدول المطلة على البحر الأحمر

الأحمر، وأكدوا تحويله إلى منطقة سلم بالنسبة إلى الدول جميعا مع إبقائه بمنأى عن استراتيجيات القوتين الأعظم وصراعاتهما^(٢١)، وشهد عام ١٩٧٧ تكثف الوجود السوفياتي والأميركي والكوبي في مياه البحر الأحمر، وترافق ذلك مع ازدياد النشاطات الإسرائيلية على الساحل الاثيوبي، وذلك ما استدعى تحركا عربيا لمواجهة الموقف المتوتر، فانعقدت قمة في الخرطوم في شباط حضرها قادة سوريا ومصر والسودان أكدوا خلالها على إبقاء البحر الأحمر بعيدا من الصراعات الدولية جعله مفتوحا في وجه الملاحة الدولية، وفي الاطار عينه، بذلت دول عربية كالسعودية والسودان ومصر جهودا كبيرة لمواجهة التحرك الكوبي لإقامة حلف موالٍ للسوفيات في حوض البحر الأحمر، يضم أثيوبيا واليمن الديمقراطية والصومال، وتكللت تلك الجهود بانعقاد قمة (تعز) في اليمن الشمالي في آذار ودعت إلى إبعاد

الصراعات الدولية عن المنطقة، وضرورة الحفاظ على البحر الأحمر كمنطقة سلم، وعلى استغلال ثروات البحر الأحمر لخير شعوب المنطقة (٢٢) .

وعلى صعيد آخر، إقترحت الدول البحر - أحمرية على القمة العربية المنعقدة في أيلول عام ١٩٧٧، مشروعاً دعى الى دعم الثورة الإريترية في حصولها على الاستقلال، وإلى مواجهة التحدي الإسرائيلي - الأثيوبي، بعد أن عادت الحرارة إلى تلك العلاقات بين البلدين بعد أن ساندت إسرائيل نظام اثيوبيا الماركسي عام ١٩٧٧، وتحذيرها لأثيوبيا من انفصال أريتريا بحجة أنها ستجعل البحر الأحمر بحيرة عربية، وحاولت إسرائيل بعد ذلك احتلال جزيرة بريم الاستراتيجية للسيطرة على باب المندب، لكنها واجهت ردة فعل مصرية فورية كانت ترجمتها بإرسال مدمرات إلى منطقة بريم لمواجهة أي حالة طارئة، إلا أن زيارة الرئيس المصري أنور السادات إلى إسرائيل، خفف من الاهتمام العربي بالخطط المقترحة تجاه البحر الأحمر، وبالمقابل كان لإسرائيل مصالح استراتيجية وعسكرية واقتصادية وبرزت سياستها التوسعية في البحر الأحمر، وبدأت بالظهور مع اتجاهها إلى الاهتمام بمنطقة النقب المشرفة على خليج العقبة، ثم الانطلاق منها إلى الخارج من ميناء إيلات، وحتى عام ١٩٧٨، كان البحر الأحمر طريقاً لناقلات النفط التي تنقل حاجات إسرائيل من إيران إلى ميناء إيلات (٢٣) .

لم يلبث أن القى الوضع الجيوسياسي بظلاله ليزيد الوضع تعقيداً مع أندلاع الثورة الإسلامية في إيران، والتي تسببت في قطع علاقات إسرائيل الوثيقة مع طهران وبالتالي خسارة الشريان الحيوي لمعظم أمدادات إسرائيل النفطية التي كان يتم شحنها عبر البحر الأحمر، فضلاً عن توقيع معاهدة السلام التي عقدها مع مصر، إلى تعديل سياسة إسرائيل في البحر الأحمر بعد أن حصلت على حرية الملاحة في خليج العقبة وقناة السويس، لكن إقفال باب المندب في وجه تلك الملاحة بقي هاجساً لديها كلما برزت دلائل حرب مع العرب.

المبحث الثالث / الدور الإسرائيلي في مضيق باب المندب ١٩٧٩ - ١٩٩٥

أدى اليمن دورا كبيرا في صياغة رؤية موحدة ضد التغلغل الإسرائيلي في البحر الأحمر عموما وفي محاولاته لوضع موطن قدم في مضيق باب المندب على وجه الخصوص وكان توجه السياسة الخارجية اليمنية توجهها إيجابيا هدفه إثارة قضية لها أهميتها فضلا عن تنبيه الاقطار العربية المطلة على البحر الاحمر وأدرك اليمن مبكراً الأطماع الإسرائيلية في المنطقة وسعيها إلى توطيد علاقاتها مع البلدان الافريقية القريبة في المدخل الجنوبي للبحر الاحمر.

وحذر اليمن من تزايد الوجود العسكري الاسرائيلي والاثيوبي في منطقة ساحل أرنتيريا وباب المندب بعدما باعت أثيوبيا الشريط الساحلي الارنتيري للمخابرات الإسرائيلية الأمر الذي يمكن إسرائيل من التهديد المباشر للجزر اليمنية والمضيق الجنوبي ولاسيما أن بعض الدول العربية سلكت سلوكا عدائيا تجاه بعض الدول الافريقية، وعدم بروز سياسة عربية واضحة المعالم تجاه منطقة البحر الاحمر والاهم من ذلك الخلافات العربية- العربية في المنطقة والتردي الذي أصاب العمل العربي المشترك وانعكس ايجابيا لصالح المخطط الإسرائيلي وحصوله على مكاسب سياسية خطيرة، تمثلت بمعاهدة كامب - ديفيد في ١٧ كانون الأول ١٩٧٨، وأتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل في ١٦ آذار ١٩٧٩، والتي جاءت بدورها للاعتراف بحرية إسرائيل في الملاحة في خليج العقبة ومضيقي تيران وقناة السويس مما أسهم في خلق حالة اختلال في التوازن الاقليمي واستمرار حالة عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي والأمني في تلك المنطقة الحيوية من العالم، وأصبحت إسرائيل تمارس دورا يفوق حجمها الفعلي ويتجاوز قدرتها المادية والمعنوية ووجدت المناخ المناسب لممارسة عدوانها على العرب وترسيخ وجودها في منطقة البحر الاحمر (٢٤).

على الصعيد ذاته صرح رئيس القوات البحرية الإسرائيلية (ميخائيل بركاي) "ان سيطرة مصر على قناة السويس لا يضع بين يديها سوى مفتاح واحد فقط في البحر الاحمر أما المفتاح الثاني ولاكثر أهمية من الناحية الاستراتيجية في باب المندب، ومن المحتمل أن يقع بين يدي إسرائيل أن هي عرفت كيف تطور سلاحها البحري في منطقة البحر الاحمر" (٢٥) ، في حين ذكر الكاتب اليهودي (الياهو ساليبتر)، عن استراتيجية إسرائيل في

البحر الاحمر قائلا : "أن المتخصصين بشؤون الدفاع الاسرائيلي والمخططين له يدركون جيدا مدى خطورة التهديد العربي المحقق بالبحر الاحمر مما يعطي أهمية خاصة للعلاقات الاسرائيلية مع الدول غير العربية الواقعة شرق افريقيا والتغيرات الدولية وأن إسرائيل وجدت مناخا افضل واكثر ملائمة أمام الاستراتيجية الاسرائيلية لتحقيق أمن اسرائيل من خلال التحالف الاستراتيجي مع الولايات المتحدة والتفوق العسكري اقليميا، وتعزيز العلاقات مع دول البحر الاحمر والقرن الافريقي لتأمين ملائمتها وبناء اقتصادها" (٢٦).

وأدركت إسرائيل أهمية البحر الأحمر أبان أندلاع حرب الخليج الأولى (١٩٨٠ - ١٩٨٨)، إذ أتجهت دول الخليج ومنها العراق والسعودية إلى تصدير نفطها من خلال مد أنابيب إلى سواحل البحر الأحمر، وعملت على تنفيذ خططها في زعزعت الأمن القومي لليمن من خلال القيام بممارسات عدوانية تمثلت بزرع إلغام بحرية في الممرات الدولية كان الهدف منها التشكيك في قدرة اليمن على حماية تلك الممرات البحرية، وذلك في توفير الحماية والخدمات التسهيلية والإرشادية ومهام الإنقاذ للسفن المارة، وقد يؤدي تعزيز ذلك إلى إيجاد المبررات للتواجد العسكري الأجنبي في الجزر اليمنية، سيما تلك الجزر المشرفة على الممرات، فقد كانت حجج بعض الدول والقوى الكبرى لأستمرار تواجدها العسكري في منطقة جنوب البحر الأحمر هو إدارة الفنارات الإرشادية في الجزر اليمنية وتسهيل حركة الملاحة وحمايتها (٢٧)، وشجعت إسرائيل طيلة أمد حرب الخليج الأولى عمليات القرصنة التي اضحت لها أبعاد استراتيجية تتذر بالخطر وتهدد واحدا من اهم الطرق البحرية في العالم فمن حيث الهجمات وذكرت المنظمة البحرية الدولية (I M O) في تقرير لها أن (٦١) هجوما لقرصنة صوماليين سجلت منذ مطلع أندلاع حرب الخليج الأولى، وقدرت المنظمة عدد القرصنة المنتشرين على طول السواحل الصومالية بنحو ١١٠٠ رجل موزعون في أربع مجموعات ومعظمهم من خفر السواحل السابقين ويستخدم القرصنة زوارق سريعة جدا وهم يملكون أسلحة رشاشة وقاذفات قنابل يدوية، وكانت الأصابع تشير الى أن إسرائيل تعد المحرك الخفي للقرصنة في منطقة جنوبي البحر الأحمر (٢٨)، والجدير بالذكر أن القرصنة لم يعودوا مجرد اشخاص انتهازيين او بيرزون لاسباب الفوضى العارمة في دولهم فحسب وانما هناك محرك خفي له أهدافه وأغراضه الخاصة فأن عملياتهم باتت أكثر ألقانا وتطورا،

ومن جهة أخرى حث مجلس الأمن الدولي الدول التي لديها سفن حربية في منطقة القرن الافريقي على القضاء على القرصنة في جنوبي البحر الأحمر، وفي ١٧ تشرين الأول ١٩٨٨، وافق مجلس الامن الدولي بالإجماع على القرار رقم ١١٣٢ المتعلق بتجريم القرصنة وفقا لاتفاقية روما المنعقدة في شهر شباط من العام ذاته (٢٩).

أدى انهيار الأتحاد السوفياتي، وما ترافق مع ذلك الحدث من متغيرات دولية كحرب الخليج الثانية إلى تشكل على أثرها نظام عالمي جديد أو ما سمي بالقطب الواحد، حيث أصبحت واشنطن هي القوى العظمى في العالم ومعها الدول الغربية الحليفة كبريطانيا وبالتأكيد إسرائيل، وأستمرت الاستراتيجية الإسرائيلية التي تطلعت إلى تحقيق تقدم ملموس للسيطرة على البحر الاحمر، ونجحت إسرائيل في الالتفاف على أستقلال أرتيريا وتوثيق العلاقة مع حكومتها وسارعت إلى تقديم الدعم للجناح الذي تزعمه (أسياس افروقي)، ففي عام ١٩٩١، زار وفد إسرائيلي اسمرة برئاسة (شئول شيه) فأستطلع الوضع في ارتيريا وجنوب البحر الاحمر ومن ثم وضعت إسرائيل خطة عاجلة للتحرك نحو افريقيا وقد ناقشها الكينست الإسرائيلي في ١٦ آذار ١٩٩٢، بجلسة سرية أستمرت خمس ساعات كان من أهم نتائجها (٣٠) :-

١- التحرك باتجاه أفريقيا عبر أرتيريا ومما يعني سرعة تطبيع العلاقات مع الدول الافريقية مثل اثيوبيا ونيجيريا وزامبيا وتوغو وموزمبيق وكينيا لمواجهة النفوذ العربي في افريقيا.

٢- تقوية الوجود العسكري الاسرائيلي في البحر الاحمر وفي أرتيريا وأثيوبيا عبر إرسال ١٧٠٠ خبير عسكري اسرائيلي إلى ارتيريا لتدريب الجيش الارتيري.

٣- تقوية العلاقات الاقتصادية بين أرتيريا وإسرائيل فالسيطرة على النخبة السياسية الثقافية في أرتيريا من خلال بناء القصور الفخمة وتقديم (٦٠) منحة دراسية لطلاب أرتيريا في إسرائيل فضلا عن تبادل الزيارات الاعلامية والثقافية.

كما قام وفد عسكري أمني واقتصادي بزيارة سرية إلى ارتيريا في ١٣ شباط ١٩٩٣، واستمرت الزيارة خمسة أيام أسفرت عن توقيع اتفاق مبدئي وبعدها جرى التوقيع عليه بشكل رسمي في تل ابيب في آذار من العام نفسه، بين (أسحاق رابين وأسياس افورقي) وقضى

الاتفاق بأن تتولى إسرائيل تزويد أسمره بالخبراء الزراعيين والعسكريين وأقامة البنية الاساسية الكاملة للمجتمع الارتيري مقابل السماح بالوجود العسكري الكامل لأسرائيل في أرتيريا وأعطاء الأسرائيليين وجهاز الموساد حرية الحركة والتنقل داخل الاقاليم الارتيرية وعلى أن ترفض أسمره أية أنشطة تعاون مشترك مع الدول العربية وتأجيل فكرة الانضمام إلى الجامعة العربية إلى أجل غير مسمى، وعلى أثر ذلك الاتفاق وصل عدد الجنود الأسرائيليين إلى ثلاثة الاف جندي واستقلوا قواعدهم العسكرية في الاقاليم القريبة من السودان واليمن ولاسيما قمة جبل سوركين القريبة من جزيرة ميون القريبة من مضيق باب المندب وكذلك جزيرة مدخل البحر الاحمر التي وضعت عليها رادارات مراقبة السفن المارة عبر باب المندب حيث تمر اكثر من ١٧ الف سفينة وحوالي ٣٠ % من الانتاج النفطي العالمي (٣١) .

على صعيد آخر قويت شوكة أرتيريا بعد تلك الاتفاقيات مع إسرائيل حتى باتت تستخدم لغة التهديد تجاه الجانب اليمني، وذلك في لقاءات عقدت بين الطرفين قبل أحتلال جزيرة حنيش، وحاولت اليمن من جانبها أحتواء الخلافات بالطرق السلمية فابتعثت وزير الخارجية (عبدالكريم الإرياني) ووفداً مرافقاً له إلى أسمره، مبدياً أستعداده لأحتواء الخلافات حول الحدود البحرية أو إتباع طرق التحكيم الدولي، كما وصف السفير اليمني في أسمره اللقاءات مع الجانب الإرتيري ذاكراً: "كنا نصدم عندما نلتقي بالجانب الإرتيري في لجنة المفاوضات فهم لا يملكون حديثاً عن الأزمة ولا عن وسائل حلها وإنما يملكون لغة التهديد المبطن ولغة الرفض للحوار وكانوا متسرعين جداً يختصرون الاجتماعات إلى خمس أو عشر دقائق" (٣٢)، يمكن القول ومن حديث السفير اليمني أن أرتيريا لم تكن إلا أداة بيد القوى الأجنبية وتحديداً إسرائيل، وحول العلاقة مع إسرائيل قام الرئيس الإرتيري بزيارة الى إسرائيل مطلع عام ١٩٩٣، كان ظاهرها تلقي العلاج، حيث التقى خلالها برئيس الوزراء الإسرائيلي (إسحاق رابين) الذي تعهد بدوره بتقديم الدعم لإرتيريا الذي سيشكل أنموذجاً أستراتيجياً في المنطقة، ومن نتائج تلك الزيارة عقد صفقة شراء أسلحة من إسرائيل وتزويد الجيش الإرتيري بمروحيات وقطع عسكرية مختلفة، إضافة إلى تدريب ما لا يقل عن أربعة آلاف جندي (٣٣).

من جانبها بدأت وسائل إعلام عربية ومراكز دراسات بتسليط الضوء على العلاقة بين النظام الإرتيري وإسرائيل، ما يؤكد تورط إسرائيل في أقدام أرتيريا لمحاولة السيطرة على الجزيرة اليمنية، وقد قوبلت تلك التناولات بنفي أسمرة، وقامت بعثة تابعة للجامعة العربية مكونة من خبراء مصريين بزيارة منطقة جنوب البحر الأحمر، حيث عادت إلى القاهرة بتقرير حذر من مخاطر التحركات الإسرائيلية في تلك المنطقة، غير أن القاهرة لم تعلن ذلك، حيث حرصت على أن تكون وسيطاً بين اليمن وإرتيريا، وهو ما دفعها إلى تحاشي التطرق أو إعلان تورط إسرائيل في القضية، غير أن القاهرة وعبر مصدر دبلوماسي أدلى بتصريحات تتعلق بالتواجد العسكري الإسرائيلي جنوب البحر الأحمر واصفاً إياها بمحاولة إيجاد موطئ قدم لها في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر وتحديداً في جزيرة دهلك لمراقبة حركة الملاحة (٣٤).

على صعيد آخر يمكن القول أن الاهتمام الأميركي بإرتيريا تضاعف عقب استقلالها من أثيوبيا، حيث قام نائب رئيس القيادة المركزية للبحرية الأميركية الأدميرال (دغولاس دي كانز)، بمعية عشرة من كبار الضباط في البحرية الأميركية، وذلك بزيارة ميناء مصوع والقيام بجولة في المنشآت بالجزر الإرتيرية وأبرزها في جزيرة دهلك في أب عام ١٩٩٣، كما قام الرئيس الإرتيري بزيارة لواشنطن في عام ١٩٩٤، وتحديداً في ٢٧ أيار وتمخض عن تلك الزيارة توقيع اتفاقاً مع أسمرة يقضي بتركيب رادار يقوم بتغطية المنطقة بأكملها وصولاً إلى إيران (٣٥)، ومن جانبها تمكنت اليمن بصعوبة من تجاوز أزمة حرب صيف ١٩٩٤، لتخرج من تلك الحرب منهكة اقتصادياً وعسكرياً مع استمرار حالة الانقسام السياسي وتفشى الفساد المالي والإداري وغياب الإرادة الحقيقية للإصلاح والتطوير والنهضة الشاملة، وبينما كانت صنعاء تحاول لملمة بعض تداعيات الحرب دون وجود استراتيجية شاملة لتحقيق الشراكة وجمع مختلف الفرقاء حول مشروع وطني جامع بما يعمل على تقوية تماسك الجبهة الداخلية وحلحلة آثار دوامات العنف والصراع، كانت المؤامرات لا تزال تحيط بالبلد من كل حذب وصوب سيما مع اضطراب العلاقة مع دول الجوار كالمملكة العربية السعودية على ضوء الموقف اليمني من حرب الخليج الثانية وكذلك بروز قضية الحدود من جديد

والتحديات السياسية التي تعصف بالمنطقة برمتها وكان أبرزها الانقسام العربي والتدخل الأجنبي سياسياً وعسكرياً (٣٦) .

وبما أن الدولة اليمنية لم تدرك بعد أنها دولة بحرية بامتياز ظلت مرهونة لصراعات الساسة وما ينتج عنها من تحديات اقتصادية ومعيشية وأوضاع عامة فلم يكن لديها أية خطط واضحة لتطوير القوات البحرية أو على الأقل أستغلال الموقع الحيوي واستثمار الثروة البحرية الهائلة في البحرين العربي والأحمر، الأمر الذي سيؤدي إلى القضاء تماماً على البطالة وتقوية الاقتصاد ورفع مستوى معيشة المواطنين وتحسين أداء الدولة بأجهزتها المختلفة، ناهيك من أن السلطات اليمنية لم تكن تدرك بعد مخاطر التواجد الأجنبي في البحر الأحمر ولم تستوعب بعد تداعيات النفوذ الإسرائيلي في المجال الحيوي لليمن وتحديداً في بلدان شرق أفريقيا (٣٧)، وسبق عملية الاحتلال بأيام محاولات من قبل زوارق بحرية إريتيرية في التعرض للحامية اليمنية ومطالبتها سرعة مغادرة الجزيرة ووجهت إنذاراً للحامية اليمنية في ١١ تشرين الثاني ١٩٩٥، والمواطنين بمغادرة الجزيرة وإيقاف عمل إحدى الشركات، إلا أن الجانب اليمني لم يعر تلك الأحداث أي اهتمام واكتفى بالتواصل دبلوماسياً مع السلطات الإريتيرية التي كانت مشغولة وقتها بتوطيد علاقتها مع إسرائيل وجلب الشركات الأميركية للتقيب على النفط في البحر الأحمر بما فيها جزر حنيش اليمنية، وفي منتصف تشرين الثاني، حاولت القوات الإريتيرية (دون المساعدة الإسرائيلية) احتلال جزيرة حنيش الكبرى بالقوة لكنها فشلت إذ تمكنت القوات اليمنية من أستعادة الجزيرة فقد كان ميزان القوة لا يتيح لإريتيريا النجاح والفاعلية باحتلال جزيرة حنيش بمفردها، ولذلك كانت تلك المحاولة لأحتلال جزيرة حنيش مفاجئاً وصادماً للسلطة وللنخبة السياسية وللرأي العام أكدت الشواهد أن مدى الاهتمام بالجزر اليمنية رغم أهميتها لم يرتق إلى المستوى المطلوب (٣٨)، وأشار التقرير الصادر عن اللجنة التابعة للجامعة العربية في تشرين الثاني عام ١٩٩٥، إلى وجود اتصالات إسرائيلية إريتيرية حول جزيرة حنيش اليمنية؛ بهدف إنشاء محطة مراقبة لاسلكية في جزيرة حنيش الكبرى؛ وذلك لمراقبة حركة السفن في الممرات الدولية القريبة من مضيق باب المندب، وهو ما أقدمت عليه أريتيريا بقيام قطع بحرية عسكرية تابعه لها بالهجوم على الحامية

العسكرية اليمنية في جزيرة حنيش مساء الجمعة ١٥ كانون الأول ١٩٩٥، ما أدى إلى أستشهاد ثلاث جنود وأحتلال الجزيرة من قبل إرتيريا (٣٩) .

إتخذت اليمن خطوات دبلوماسيةً للتعامل مع الأحتلال الأرتيري، أذ كثفت من التواصل مع العواصم العربية وحشدت لإدانة العدوان على الجزيرة وبالفعل صدرت بيانات أستتكار عن الجامعة العربية ، فضلا عن أدانات من دول عربية وإسلامية، الأمر الذي دفع عدة دول للتوسط، وأستقبلت صنعاء رئيس الوزراء الأثيوبي (زيناوي) الذي حمل وساطةً أثيوبية لحل الخلاف، غير أن الوساطة الأثيوبية لم تكن تتضمن أية إدانة للعدوان الإرتيري ولم تعترف بحق اليمن في الجزيرة، بل ذهبت إلى ما هو أبعد من ذلك حين طالبت اليمن بالانسحاب من جزر أخرى ضمن الأرخبيل بالتزامن مع انسحاب أرتيريا من جزيرة حنيش، ما عني في نهاية المطاف أفساح المجال للتدخل الأجنبي أو وضع قوات دولية في الجزر حتى انتهاء النزاع، وكانت الوساطة الأثيوبية تتدرج ضمن مخطط نزع السيادة اليمنية على الجزر المهمة والاستراتيجية في البحر الأحمر، وهو ما تنبته له اليمن في حينها، إذ تعاطت مع المبادرة بذكاء، فلم تقبلها أو ترفضها، غير أنها تركت لفاعلين إقليميين آخرين التدخل، فكانت الوساطة المصرية والتي تزامنت مع تدخل فرنسي لحل الخلاف بين البلدين^(٤٠) .

من جانبها رفضت الولايات المتحدة الأميركية إدانة العدوان الإرتيري على الجزر اليمنية، وتطور الموقف الأميركي من البرود واللامبالاة في التطرق للقضية إلى مطالبة اليمن ضمناً بالانسحاب من جزيرة زقر حتى يتم حل الخلاف مع أرتيريا، كل ذلك قبل أن تؤيد واشنطن وعن طريق المتحدث باسم خارجيتها المبادرة الفرنسية، أما الموقف الإسرائيلي فلم يصدر عن تل أبيب أي موقف، غير أن التحركات العسكرية ليس الإسرائيلية فحسب، بل والأميركية في منطقة جنوب البحر الأحمر، أشارت الى تورط أسرائيلي بل وأميركي، فقد تحدثت الصحف اليمنية عن مناورات عسكرية أميركية - أرتيرية، الأمر الذي دفع السفارة الأميركية بصنعاء إلى نفي تلك الأنباء^(٤١) .

ساد الاعتقاد بأن إسرائيل وراء العمل الرتييري، بهدف توسيع نفوذها في البحر الأحمر وإخضاع مدخله الجنوبي لسيطرتها، وكانت الحكومة الإسرائيلية قد أكدت على أنها تعلق أهمية كبرى على علاقتها مع إرتيريا ذات الموقع الاستراتيجي الذي يضمن اتصالات إسرائيل البحرية والجوية مع كل من أفريقيا والشرق الأقصى، وكان من مصلحة إسرائيل في السيطرة على حنيش الاستراتيجية، ومن الناحية العملية أقامت سياسة الحضور في البحر الأحمر قبل كل شيء على علاقات جيدة مع أثيوبيا، القوة الوحيدة غير الإسلامية في البحر الأحمر، ومع إرتيريا من بعدها كون إرتيريا بلداً صديقاً ويحتل موقعاً استراتيجياً في تلك المنطقة الحيوية من العالم .

الخاتمة:

نستنتج مما سبق أن إسرائيل كانت تطمح في السيطرة على المداخل الشمالية والجنوبية للبحر الأحمر فوجدت في مضيق باب المندب الوسيلة الرئيسية في ضمان وصولها الى المحيط الهندي وأفريقيا في ضل التوجه الإسرائيلي باتجاه الدول الأفريقية المطلة على المضيق مثل أثيوبيا لضمان عدم التفوق العربي اليميني على المضيق الذي عد الشريان الحيوي بالنسبة لإسرائيل، على صعيد اخر كانت هناك ثمة عوامل أقليمية ودولية تقف في وجه وضع سياسات مستقبلية عربية لمنطقة البحر الأحمر، وكان أهمها عاملان إثنان، أرتبط الأول بالتدخلات الدولية ولاسيما القوتين الكبريتين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة، والثاني عدم الاستقرار الأقليمي لأرتباط تلك المنطقة بالصراع العربي الإسرائيلي، ولعل حرية الملاحة في البحر الأحمر وممراته ومضائقه كانت دائماً أحد أسباب إندلاع النزاعات المحلية والإقليمية.

من جانبها أدركت الأقطار العربية وعلى الرغم من تلك العوائق أهمية وضع استراتيجية عربية موحدة وفعلة في البحر الأحمر، ووضعت عناوين مختلفة لها تناولت جعله على سبيل المثال لأ الحصر (بحيرة عربية)، وإبعاده عن الصراع الدولي، والعمل على مواجهة النفوذ الإسرائيلي الممتد إلى جزره وسواحله الأفريقية، كما نجحت في مراحل عديدة في التدخل في صراعات القرن الإفريقي وفشلت في بعضها، ولكنها أفلحت في أقفال باب المندب في وجه الملاحة الإسرائيلية لأحكام الحصار على إسرائيل في حربها عام ١٩٧٣.

إلا أن الأستراتيجية العربية في البحر الأحمر لم تحقق نجاحاً على المدى الطويل، فقد أدى غياب الموقف العربي الموحد اللازم لتنفيذ قرارات القمم والمؤتمرات العربية ذات الصلة، إلى إبقاء أهداف تلك السياسات الكبرى بعيدة المنال، وبقيت المعونات والمساعدات العربية المبدولة لأريتريا والصومال قاصرة عن تحقيق الغايات العربية، في حين فشلت سياسات العرب في ضم أريتريا إلى المجموعة العربية وتحقيق شريط ساحلي عربي طويل في القرن الأفريقي.

ما يحسب لليمن أنها بقيت الحاضر الغائب في القاموس الإسرائيلي، والأكثر تأريفاً لأحلامها الاستعمارية في منطقة تعج بالمسبحين والمستغفرين، لكن لا جدو من كل ذلك، ما دامت اليمن لازالت تغرد خارج السرب، وتمكنها في سنوات معدودة من قطع أنفاس الطامعين في تل أبيب، وتلقين أحذيتهم الإقليمية دروساً ستظل قبساً يستضيئ به الباحثين عن الحرية والكرامة والاستقلال والتحرر من التبعية والاستكبار لعقود، إن لم يكن لقرون قادمة.

قائمة المصادر

أولاً : الرسائل والأطاريح

- ١- شيماء طالب عبدالله المكصوصي، السياسة البريطانية تجاه دول البحر الأحمر ١٩٣٩-١٩٥٦، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية (أبن رشد)، جامعة بغداد، ٢٠٠٢ .
- ٢- عبد الكريم مسلم دخل الله الشواورة، الأهمية الاستراتيجية لخط الملاحة في المضائق العربية - هرمز - باب المندب - جبل طارق، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٣ .
- ٣- علي سلمان صايل الشيخ عيسى، العلاقات الإسرائيلية - الأرتية وأثرها على الأمن القومي العربي للفترة ١٩٩٣ - ١٩٩٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٠ .

٤- ميلود وضاحي, السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه دول أفريقيا (دراسة حالة القرن الأفريقي ١٩٩٠ - ٢٠١٣), رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الحقوق والعلوم السياسية, جامعة محمد بوضياف, المسيلية, ٢٠١٥.

ثانيا: الكتب العربية والمعربة

١- أجييه يونان جرجس, البحر الأحمر ومضايقه بين الحق العربي والصراع العالمي, مكتبة غريب, القاهرة, ١٩٧٩.

٢- صلاح الدين حافظ, صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي, منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت, ١٩٨٢.

٣- عبد المنعم عبد الوهاب وصبري فارس الهيتي, الجغرافية السياسية, دار الكتب, جامعة الموصل, ١٩٨٩.

٤- علي نعمة الحلو, الوجود الأمريكي الصهيوني في البحر الأحمر, منشورات النجف الأشرف, ١٩٧٤.

٥- محمود نعناعه, أسرائيل والبحر الأحمر, مكتبة الخانجي, القاهرة, ١٩٧٤.

ثالثا: الكتب الأجنبية

- 1- Kraft Joseph, Israel Foreign Policy on the shaiies of Bab al-Mandeb, Washinton, 2002.
- 2- Radllof David, Components of Israeli Forelgn polioy and Towards Red sea, M.A thesis, University of North Carollna, 2000.
- 3- Mordechai, Bab al- Mandeb the Strategic Balance and Israels Southern Approaches, London, 1999.
- 4- Abir Bell J. Bowyar, Bab al-Mandab Strategic Troubie spot, New York, 1980.
- 5- Campbell John, Ramblings Along the Red sea, the Eritrean Queestion, , Washinton , 1981.
- 6- Copley Gregory, the Concept of Israel As a Major Red sea, New York, 1990 .

رابعاً: البحوث والدراسات

- ١- أمال الشاذلي، الأطماع الإسرائيلية في القرن الأفريقي، السياسة الدولية، (مجلة)، العدد ٥٤، السنة ١٤، تشرين الثاني، ١٩٧٨.
- ٢- السيد عليوة، سياسة اليمن في البحر الحمر، السياسة الدولية (مجلة)، العدد ٥٤، السنة ١٤، تشرين الثاني، ١٩٧٨.
- ٣- عبد الزهرة شلش العنابي، "الجغرافية السياسية لمضيق باب المندب"، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، ملحق العدد ٥٢، ٢٠٠٨.
- ٤- علي الدين هلال، المن العربي والصراع الاستراتيجي في البحر الحمر، المستقبل العربي (مجلة)، السنة الثانية، العدد التاسع، أيلول ١٩٧٨.
- ٥- علي عبود راضي، الاستراتيجية الصهيونية في منطقة القرن الأفريقي، الامن القومي (مجلة)، بغداد، أيلول، ١٩٩١.
- ٦- محمد السماك، البحر الحمر صراع عربي - إسرائيلي - أمريكي - سوفيتي، الأسبوع العربي (مجلة)، العدد ٣٢، نيسان ١٩٧٨.

الهوامش:

- (١) عبد الكريم مسلم دخل الله الشاورة، الأهمية الاستراتيجية لخط الملاحة في المضائق العربية - هرمز - باب المندب - جبل طارق، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص ٨٧.
- (٢) المصدر نفسه، ص ٨٨.
- (٣) عبد الزهرة شلش العنابي، "الجغرافية السياسية لمضيق باب المندب"، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، ملحق العدد ٥٢، ٢٠٠٨، ص ٢١١.
- (٤) عبد المنعم عبد الوهاب وصبري فارس الهيبي، الجغرافية السياسية، دار الكتب، جامعة الموصل، ١٩٨٩، ص ٢٢٤.
- (٥) أمال الشاذلي، الأطماع الإسرائيلية في القرن الأفريقي، السياسة الدولية، (مجلة)، العدد ٥٤، السنة ١٤، تشرين الثاني، ١٩٧٨، ص ١٣٢.
- (٦) محمود نعاغ، إسرائيل والبحر الحمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٢٨.
- (٧) المصدر نفسه، ص ٢٩.

- (^٨) أجييه يونان جرجس، البحر الأحمر ومضايقه بين الحق العربي والصراع العالمي، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٩، ص ١٣.
- (^٩) شيماء طالب عبدالله المكصوصي، السياسة البريطانية تجاه دول البحر الأحمر ١٩٣٩ - ١٩٥٦، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية (أبن رشد)، جامعة بغداد، ٢٠٠٢، ص ٤٧.
- (^{١٠}) المصدر نفسه، ص ٤٨.
- (^{١١}) نقلا عن: علي نعمة الحلو، الوجود الأمريكي الصهيوني في البحر الأحمر، منشورات النجف الأشرف، ١٩٧٤، ص ٥١.
- (^{١٢}) نقلا عن: علي عبود راضي، الاستراتيجية الصهيونية في منطقة القرن الأفريقي، الامن القومي (مجلة)، بغداد، أيلول، ١٩٩١، ص ١١٠.
- (^{١٣}) نقلا عن: شيماء طالب عبدالله المكصوصي، المصدر السابق، ص ٨١.
- (^{١٤}) السيد عليوة، سياسة اليمن في البحر الأحمر، السياسة الدولية (مجلة)، العدد ٥٤، السنة ١٤، تشرين الثاني، ١٩٧٨، ص ١١٧.
- ¹⁵ (Gate – keepers, Washinton, 1978 ,p. 38. Stookey Robert, Red sea
- ¹⁶ (Ibid , p. 39.
- ¹⁷ (Bell J. Bowyar, Bab al-Mandab Strategic Troubie spot, New York, 1980,p.27.
- ¹⁸(, Op ,Cit, p. 28. Bell J. Bowyar
- ¹⁹ (Campbell John, Ramblings Along the Red sea, the Eritrean Queetion ,Washinton , 1981, p. 49.
- (^{٢٠}) علي الدين هلال، المن العربي والصراع الأستراتيجي في البحر الأحمر، المستقبل العربي (مجلة)، السنة الثانية، العدد التاسع، أيلول ١٩٧٨، ص ٩٢.
- (^{٢١}) علي الدين هلال، المصدر السابق، ص ٩٣.
- (^{٢٢}) محمد السماك، البحر الأحمر صراع عربي - أسرائيلي - أمريكي - سوفيتي، الأسبوع العربي (مجلة)، العدد ٣٢، نيساسان ١٩٧٨، ص ٦٣.
- (^{٢٣}) المصدر نفسه، ص ٦٤.
- (^{٢٤}) صلاح الدين حافظ، صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٢، ص ٧٤.

)²⁵ (Quoted in : Copley Gregory, the Concept of Israel As a Major Red sea, New York, 1990, p. 33.

)²⁶ (Kraft Joseph, Israel Foreign Policy on the shaies of Bab al- Mandeb, Washinton, 2002, p.78. : Quoted in :

)²⁷ (Ibid ,p. 79.

(^{٢٨}) صلاح الدين الحافظ , المصدر السابق, ص ٧٩.

(^{٢٩}) صلاح الدين الحافظ , المصدر السابق, ص ٨٠ .

(^{٣٠}) علي سلمان صايل الشيخ عيسى, العلاقات الإسرائيلية - الأرترية وأثرها على الأمن القومي العربي للفترة ١٩٩٣ - ١٩٩٩, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية العلوم السياسية, جامعة بغداد, ٢٠٠٠, ص ١٩.

(^{٣١}) المصدر نفسه, ص ٢٠ - ٢١.

(^{٣٢}) نقلا عن: علي سلمان صايل الشيخ عيسى, المصدر السابق, ص ٢٢.

)³³ (Campbell John, Op, Cit,p. 52.

(^{٣٤}) علي سلمان صايل الشيخ عيسى, المصدر السابق, ص ٢٣.

)³⁵ (Radllof David, Components of Israeli Forelgn polioy and Towards Red sea,M.A thesis,University of North Carrollna,2000,p. 72.

(^{٣٦}) علي سلمان صايل الشيخ عيسى, المصدر السابق, ص ٢٦.

)³⁷ (Op, Cit,p. 73. , Radllof David

)³⁸ (Mordechai, Bab al- Mandeb the Strategic Balance and Israels Southern Approaches, London, 1999,p.33. Abir

(^{٣٩}) ميلود وضاحي, السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه دول أفريقيا (دراسة حالة القرن الأفريقي ١٩٩٠ - ٢٠١٣), رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الحقوق والعلوم السياسية, جامعة محمد بوضياف, المسيلية, ٢٠١٥, ص ٤١.

)⁴⁰(Mordechai, Op, Cit,p.35. Abir

(^{٤١}) ميلود وضاحي, المصدر السابق, ص ٤٢.

تطور العلاقات التركية-السورية

٢٠٠٣-١٩٩٨

**Development of Turkish-Syrian
relations 1998-2003**

نهلة لطيف خلف

Nahla Latif Khalaf

أ.د. علاء طه ياسين

Prof Dr. Alaa Taha Yassin

نهلة لطيف خلف

أ. د. علاء طه ياسين

Abstract

In its contemporary history, Syria witnessed many transformations and new positions imposed by the nature of international changes. Turkish-Syrian relations were deteriorating and stabilizing with the nature of the internal political developments. The Turkish political scene was constantly looking forward to a clear Turkish position on its crucial issues, which took many forms and varied in their degree of danger to its security. Nationalist, the state of Syria has remained interconnected and influential in all its influences.

المقدمة:

شهدت سوريا في تاريخها المعاصر العديد من التحولات والمواقف الجديدة التي فرضتها طبيعة المتغيرات الدولية، وكانت العلاقات التركية السورية تتأزم وتستقر مع طبيعة التطورات السياسية البينية، وكان المشهد السياسي التركي يتطلع باستمرار الى موقف تركي واضح من قضاياها المصيرية، والتي تعددت اشكالها وتباينت درجة خطورتها على امنه القومي، فدولة سوريا ظلت مترابطة ومؤثرة في كل تأثيراتها، ومن هذا المنطلق جاء اختيار موضوع بحثنا ((تطور العلاقات التركية-السورية ١٩٩٨-٢٠٠٣))، التي سوف تتناول القضايا ذات الاهتمام بالعلاقات السياسية والاقتصادية التركية- السورية .

كلمات الافتتاحية:

علاقات، اسباب، علاقات اقتصادية، تطورات سياسية، بنود اتفاقية .

تطور العلاقات التركية-السورية ١٩٩٨-٢٠٠٣

اولاً: التقارب في العلاقات التركية - السورية ١٩٩٨-٢٠٠٢:

أخذت العلاقات التركية- السورية منحى إيجابياً تصاعدياً، إذ تحولت العلاقة بين البلدين من ذروة التوتر الى التقارب التدريجي، ثم المتسارع وصولاً الى الدخول في الحوار الاستراتيجي، إذ كان من نتائج الدخول في اتفاقيات اقتصادية وإعلامية وثقافية وتعليمية وسياسية^(١).

ومن أبرز نقاط الالتقاء في العلاقات السورية - التركية ومنها الآتي^(٢):

١- التوافق في حل المشكلات العالقة بالطرق السلمية : ومن ذلك مساعي تركيا للوساطة بين سوريا و(إسرائيل) عبر مفاوضات غير مباشرة . ودور سوريا في إزالة التوتر بين تركيا وأرمينيا واليونان .

٢- رؤية الطرفين لسلام واستقرار في منطقة الشرق الأوسط، ولاسيما لتحقيق تنمية اقتصادية تنهض بالبلدين .

٣- علمانية النظامين: ولاسيما في ظل تنوع عرقي - ديني متشابه في البلدين، وخشيتهما المشتركة من قيام حركات إسلامية متطرفة .

وتتمثل عوامل الالتقاء على مستوى البيئة الدولية من حضور النظام الدولي بقوة في تحديد السياسات الداخلية والخارجية للدول، فشكل البيئة الإطارية للعمل السياسي لمختلف الدول، كما أنه يضع حدوداً عليا ودنيا للسياسات الخارجية للدولتين، فيما تعد البيئة الإقليمية من أكثر المناطق اضطراباً وتداخلاً مع النظام العالمي، ويصعب إخضاعها بصورة مستمرة للنظام العالمي أو لإدارة القوى المهيمنة فيه^(٣).

وتظهر عوامل الالتقاء وتحسين العلاقات بين الدولتين ومنها الآتي:

١- **الجغرافيا السياسية والحدود:** تشكلت سورية وتركيا الحديتتان في مجال جغرافي وتاريخي وثقافي متقارب، ركزت التغييرات الإقليمية على احترام الحدود السياسية للدول، وتأكيد شرعية الدول الراهنة . وقد ساهمت الرؤى الجديدة للجغرافيا وخلال عام ٢٠٠٢ في خلق مزيد من الاستعداد لحلحلة مشكلات الحدود العالقة وضبط المشكلات الكامنة على الصعيد الإقليمي . أما على مستوى البيئة البيئية، فإن عوامل الجذب في العلاقات بينهما تظهر عبر تراكم التوتر في العلاقات بين سوريا وتركيا على مسار طويل من السياسات العدائية، التي تأسست بدورها على عدد كبير من عوامل التنافر، مثل الذاكرة التاريخية،

والنزاع على الجغرافيا، والموارد المائية، ومشكلة الأكراد، والسياسة الإقليمية، ولم تشهد العلاقات بين الدولتين أعمالاً عسكرية مهمة، وهذا يفسر نسبياً بعدم تحول التراكم السياسي والنفسي والتوترات البينية، الى تحولات نوعية في السياسة تؤدي الى استخدام العنف المسلح، ومن ثم اندلاع حروب صغيرة أو كبيرة بينهما^(٤).

اما ملف الحدود فتضمن مسألتين أساسيتين : الأولى ، تتمثل بالنزاع على الجغرافيا فيما يخص لواء اسكندرون والأراضي الأخرى التي احتلتها تركيا وضمتها إليها خلال النصف الأول من القرن العشرين . والثانية ، هي التدايعات السياسية والأمنية المفترضة لنفاديتها وهشاشتها^(٥).

ويحافظ ملف الحدود بين الدولتين على حال من عدم الترسيم، ولكنه لم يشهد تحولات جوهرية سلبية أو عنفية مادية ، بل إن ثمة تحولات نسبية تنطوي على دلالات يمكن عدها عوامل تقارب في العلاقات البينية، ذلك أن الدولتين لا تريدان الذهاب بعيداً في توتير وتسخين الملف الحدودي بما يمكن أن يؤدي الى نزاع عسكري أو حتى تحكيم دولي . وقد تحدث الرئيس السوري بشار الأسد، عن مقاربة إيجابية للعلاقات ككل ، وليس عن حسم نهائي للمشكلات الحدودية . وهذا يعني ان الطرفين يمكن ان ينظرا الموضوع بمنظار التواصل والتفاعل الإيجابي، وليس الفصل والانقطاع^(٦).

٢ - القوة : قد يكون من الصعب تعيين اتجاهات تقارب وتجاذب بصدد محدد القوة والميزان العسكري بين سوريا وتركيا، إلا أن الطرفين يدركان الثمن الفادح للحرب، ويعرفان - كل بحسب تجربته - العبء المركب ومتعدد الأشكال الذي يتمخض عنها، ولذا فإنهما يحاولان تداركهما ما أمكن، وإذا كانت تركيا قد هددت مراراً باستخدام القوة العسكرية تجاه سوريا، ولاسيما منذ تشرين الاول ١٩٩٨، إلا أن الأخيرة اتبعت سياسة مختلفة أثبتت جدواها من حيث نتائجها ، وهي شكل من أشكال الردع، تسمية الدراسات الاستراتيجية والأمنية بـ (الردع بالتطمين) أو المصالحة والتهدئة . كما أن الحدود التي يفرضها المجتمع الدولي على العمل العسكري، والقيود المفروضة - نسبياً وبشكل متفاوت على سياسات التسلح، والتعاون العسكري والأمني بين الدولتين، سواء في مجالات التدريب والتصنيع العسكري والمعلومات، أو في التنسيق الأمني في موضوع احتواء الحركة الكردية، وأيضاً احتواء الإرهاب والعنف

السياسي والديني، هي معطيات تدفع الدولتين الى حصر أو تجاهل بعض مصادر التهديد المتبادلة . فتوازن الضعف لا توازن القوة ، وتوازن الهواجس والمخاوف ، فضلاً على تفاوت الخبرة العسكرية، هي عوامل تساهم بفعالية في تكوين بيئة ثنائية غير مؤاتية للعمل العسكري، تدفع الى تسكين جبهات الخلاف^(٧).

٣- **السياسة الإقليمية :** على الرغم من اختلاف الرؤى بصدد القضايا الأساسية للمنطقة، إلا أن تأكيد تركيا، وان لم يكن ذلك بالقوة والوضوح الكافيين ، أن علاقاتها (بإسرائيل) ليس على حساب العرب، وإعلانها بصورة شبه مستمرة، ان السلام بين سوريا و(إسرائيل) يجب ان يتأسس على مبادئ الشرعية الدولية، وفي إطار إقليمي شامل، كما ان اهتمام تركيا بمسألة التسوية السياسية بين سوريا و(إسرائيل)، ودخولها على خط الوساطة بين الطرفين ، مؤشرات يمكن ان تظمن السياسة السورية^(٨) .

إن المتتبع للعلاقات السورية - التركية ربما يفضي الى ملاحظة الفصام النسبي بين السياسة وغير السياسة فيها، ولعل ذلك يمثل فرضية قابلة للاختبار كظاهرة بين دولتين ، على الرغم من كونها غير معقولة وغير مألوفة في العلاقات الإقليمية في الشرق الأوسط . ولم تقم سوريا بفرض إجراءات عقابية ذات طابع اقتصادي أو مقاطعة على تركيا أو الطلب من حلفائها اتخاذ إجراءات من هذا القبيل، بل كانت تحرص في أوج الأزمات معها، على تطوير العلاقات التجارية وغيرها^(٩).

٤- **القومية:** تشترك القوميتان العربية والتركية في ظروف النشوة والتكوين ، ويبدو أنهما اتسمتا منذ البداية بروح رسالة توافق كوني وإدماج وتكامل . وعلى الرغم من عوامل التنافر الكثيرة على المستوى القومي، إلا ان ثمة في المقابل اتجاهات تقارب وتجاذب قد لا تكون بالقدر نفسه من الوضوح والقوة، ولكنها تؤثر إيجابياً على العلاقات السورية - التركية . وقد انعكس ذلك على خطاب وسلوك سياستهما الخارجية ، وعلاقتهما الدولية، وفق عدد من المفردات التي تتعلق ب : المسألتين الكردية والعراقية ، ومسألة التعدد الاثني، وشرعنة السياسة والدولة، والتركيز على الفرص، وتجاهل القضايا الخلفية^(١٠).

وهناك عدة عوامل داخلية لكلا الدولتين والمتمثلة بالتجاذب على مستوى البيئة الوطنية قد تؤثر سلباً او ايجاباً على العلاقات الثنائية بين البلدين ومنها الآتي^(١١):

١- النظام السياسي والعسكري: ينطوي مفهوم النظام السياسي على مفردات أساسية تتشابه فيه الدولتان في اثنين منها ، وهما الدور الخاص لكل من الطبقة السياسية والمؤسسة العسكرية في إدارة البلاد .

ارادت تركيا المؤسسة العسكرية والبيروقراطية العليا تضبطان الاختلافات والخلافات الداخلية، أو تبقينها في حيز سياسي محدود الفعالية ، بما لا يسمح لضغط الرأي العام والجماعات السياسية الدينية أو القومية بإنفاذ اتجاهاتها المتشددة، محلياً وخارجياً، وأن تركيا تشهد تحولات في البعد السياسي تجعلها اكثر تقبلاً للهواجس السورية ، المتعلقة بعدد من القضايا معها، مثل المياه و(إسرائيل) والسلام الإقليمي^(١٢).

اما سوريا فقد نشطت العملية السياسية في عام ١٩٩٩ في إطار سياسة تهدف الى تجديد النظام السياسي، والنظر مجدداً في علاقات الحزب بالدولة ، وإعادة تقييم السياسة العامة وحصيلتها خلال العقود الماضية، ولعل هذا ما يجعل سوريا تتجاهل بعض القضايا الخلافية مع تركيا، كونها تشعر بأن إجراءات بناء الثقة معها تمثل حلاً مؤقتاً، وهذا يحافظ على مستوى من الاعتدال والتوازن في الآمال المعقودة على سياسة التقارب معها^(١٣) .

اما المؤسسة العسكرية فيصعب تحديد المؤشرات التي تدل على دور تقاربي للمؤسسة العسكرية في العلاقات بين سوريا وتركيا، وقد عرقلت الهواجس الأمنية خلال عدة سنوات إمكان تفاهم واسع بينهما ، ولكنهما على صعيد السياسة العملية أبدأت حرصاً متبادلاً على النوايا الحسنة^(١٤).

٢- الخصائص المجتمعية والقومية: أبدى الأتراك مقارنة اقتصادية لمشكلاتهم الداخلية، وقد أدى ذلك الى تركيز مزيد من الاهتمام على دور السياسة الخارجية في التحديث والتنمية ، إذ كانت تتركز في الجانب الاقتصادي، على مبادئ براغماتية تسمح بخرق أو خلخلة نسق السياسة العليا إذا ما حقق ذلك فوائد ومكاسب اقتصادية جوهرية .

أبدى السوريون مقارنة اقتصادية أولية لقضايا البلاد الداخلية والخارجية، وقد يكون ذلك مضافاً إليه المقاربة التقنية والمعلوماتية ، وهو جوهر المشروع السياسي للبلاد في تلك المرحلة، كما قامت خلال السنوات الماضية بتغييرات مهمة في الخطاب السياسي وبالتالي

فان السياسة الداخلية والخارجية ، أبرزت المعطيات والمصالح الاقتصادية أكثر مما كان في الماضي^(١٥).

تبنّت الدولة التركية الخيار الأمني، وليس السياسي في التعاطي مع القضية الكردية، كما حاولت تصدير مشكلاتها الى الخارج ، وكانت سوريا المتهم الأول بالتدخل في شؤونها الداخلية، ودعم المقاتلين الأكراد في صراعها ضدها^(١٦).

اما سوريا فيمكن ملاحظة تطورين مهمين على هذا الصعيد : الأول هو الانفتاح على الاتجاهات السياسية المحلية ، وإمكان إشراكها في الحياة السياسية في البلاد. والثاني هو الانفتاح على الحالة الكردية المحلية، وأما على الصعيد التماسك الاجتماعي ومستوى التطور القومي، فإن سوريا وتركيا تشهدان تغيرات نسبية لجهة القبول بالتعدد السياسي، ومن ثم الثقافي، على ان مستوى التطور القومي يبدو متقارباً نسبياً لجهة تأكيد الدولة الوطنية في سوريا^(١٧).

قاد تبلور القوميتين العربية والتركية الى تناقض في المعاني والمضامين التي تريد أن تمثلها كل قومية ، فأرادت القومية التركية ان تكون سبيلاً للتخلص من الإرث الشرقي والديني المتمثل بشكل خاص بالإسلام والعرب ، من اجل الانتماء الى علمانية غربية، وان تكون جزءاً من المحيط الأوروبي، وعلى العكس من ذلك ، فإن القومية العربية أرادت - جزئياً - أن تحتفظ بما يمثله الإسلام من مخزون ثقافي وحضاري للعرب، الذين احتفظوا على مر تاريخهم بدور الريادة الإسلامية ، في السلطة وفي التعبير اللغوي، ولم يستطع الأتراك تفهم مغزى عداة العرب للغرب والاستعمار^(١٨).

كانت كل من سوريا وتركيا تتنافسان على تحديد السياسة الإقليمية، اذ تنتهج سوريا سياسة فك الارتباط مع نظام الهيمنة العالمي، بينما تنتهج تركيا سياسة الاندماج به، غير أن المسألة الأهم من منظور الجغرافيا السياسية هي مسألة الحدود التي تتجاوزها الرؤية الأولى، اذ تقترض تثبيت الحدود السياسية الراهنة ، وهذا يعني منع سوريا من المطالبة بأراضيها المحتلة من قبل تركيا والمتمثلة بلواء اسكندرون وكيليكيا، اما الرؤية الثانية، فكانت تقترض ان تغيير الحدود يمكن ان يتم، ولكن في إطار اتفاق إقليمي وبرعاية المجموعة الدولية التي من المفترض ان ترى التسوية السياسية للصراع بين العرب و(إسرائيل)^(١٩) .

كانت الحياة السياسية في تركيا تقودها حكومة ائتلافية من المدة ما بين الثامن والعشرين من آذار ١٩٩٩ ولغاية الثامن عشر من تشرين الثاني ٢٠٠٢ تمخضت عن نتائج الانتخابات البرلمانية المبكرة التي جرت في عام ١٩٩٩ وكانت تضم أحزابا تتبنى سياسات اقتصادية متباينة فالفائزان الكبيران هما حزب اليسار الديمقراطي برئاسة بولند أجويد وحزب الحركة القومية برئاسة دولت بغجلي وكلاهما يفضلان مشاركة الدولة بتنمية الاقتصاد ويتناقض موقفهما نحو اعتماد اقتصاد السوق لدى شريكهما في الائتلاف حزب الوطن الأم^(٢٠).

ومن بين أهم الأحداث التي شهدتها تلك الحكومة هي الأزمة الاقتصادية التي حدثت في عام ٢٠٠١ وكان ابرز ملامحها هبوط سعر الليرة التركية بنسبة ٤٠% في يوم واحد وتم سحب ما بين (٦-٧) مليار دولار من احتياطي البنك الدولي خلال مدة أسبوعين لمواجهة التضخم البالغ (٩٠%) وقد تمخضت عن تلك الأزمة اندلاع المظاهرات في العديد من المدن التركية فضلا عن أحداث أخرى منها تدهور صحة رئيس الوزراء التركي بولند أجويد والفساد المالي والإداري في البلاد^(٢١).

انتهت تلك الحكومة بصورة فوضوية وقد أسفر ذلك الوضع عن رفض كبير للطبقة السياسية الحاكمة، إذ تميزت تلك الأزمة بهروب كثيف لرأس المال الذي قاد الى انهيار البورصة وإفلاس نحو اثني عشر مصرفا ومئات المؤسسات الصغيرة وبيوت التجار وارتفع معدل بطالة الشباب (اقل من ٢٥ سنة) من (٣,١٤%) عام ٢٠٠٠ الى (١٦,٧%) عام ٢٠٠١ مما أدى الى سقوط الحكومة^(٢٢).

قدم السيد رجب طيب اردوغان في آب عام ٢٠٠١ طلبا للترخيص لحزبه الذي أطلق عليه (حزب العدالة والتنمية) وقد ضم في الهيئة التأسيسية للحزب ثلاث عشر امرأة اربعة منهن مطربة وممثلة وطبيبة ومعلمة فضلا عن العديد من شخصيات حزب الفضيلة الذي تم حظر نشاطه السياسي وفئة أخرى جاءت من أحزاب قومية وعلمانية^(٢٣)، ونتيجة لذلك أعلن عن تأسيس الحزب في الرابع عشر من آب ٢٠٠١ في حفل بسيط في احد فنادق العاصمة التركية أنقرة دعي إليه الصحفيون وكانت قائمة الأعضاء المؤسسين تشمل اربعة وسبعون شخصا من الجامعيين والمتقنين ورجال القانون^(٢٤).

وذهب حسين بسلي وعمر اوزباي وهم مؤلفي كتاب (رجب طيب أردوغان : قصة زعيم) وهم من المقربين لاردوغان قولهم: ((كان هناك احدى وسبعون توقيعاً في عريضة تأسيس حزب العدالة والتنمية ثم انضم الى هذا العدد في اليوم ذاته ثلاث وخمسون نائباً من نواب حزب الشعب ليصبح بذلك عدد مجلس المؤسسين مئة واربع وعشرون عضواً))^(٢٥).

أما فيما يخص النساء فقد كانت القائمة تضم من ستة عشر - سبعة عشر امرأة وبإعادة النظر في القائمة وتقييم الأسماء المطروحة خفض العدد الى اثني عشر ثم الى الستة^(٢٦).

كان شعار المؤتمر التأسيسي للحزب تحت عنوان (العمل من اجل كل تركيا واستقطاب مختلف شرائح المجتمع) واستهل الحزب نشاطه انطلاقاً من ضريح أتاتورك في إشارة الى القبول بالعلمانية أساساً لنظام الحكم^(٢٧)، وفي ضوء تنوع تيارات حزب العدالة والتنمية لا يمكن وضع الحزب في خانة التيار الإسلامي لكنه بكل تأكيد يعد مدرسة جديدة في الفكر والممارسة لدى بعض الإسلاميين الأتراك وتأكيدها لذلك فقد أجد عبدالله كول قوله: ((إن حزبنا ليس حزباً دينياً ونحن نعمل على ضمان تمثيل الجميع وفي عداد مؤسسينا نساء محجبات ونساء سافرات ورجال ملتحمون وغير ملتحمون إن الحزب السياسي ليس وسيلة للتبليغ بل للخدمة)) كما أضاف اردوغان انه يتجنب استخدام مصطلح إسلامي فحزبه محافظ ديمقراطي ولانية للحزب أن يقيم نظاماً دينياً أو إسلامياً في تركيا^(٢٨).

جرت الانتخابات التشريعية في تركيا باشتراك (١٨) حزباً في الثالث من تشرين الثاني عام ٢٠٠٢ وظهرت النتائج بفوز حزب العدالة والتنمية وحزب الشعب الجمهوري، إذ حصل الأول برئاسة اردوغان على (٢٦٣) مقعداً من مجموع مقاعد البرلمان البالغة (٥٥٠) مقعداً بعد حصوله على نسبة (٢٩,٣٤%) من أصوات الناخبين في حين حصل الثاني برئاسة دينيز بايكال على (١٧٨) مقعداً بعد حصوله على نسبة (٣٩,١٩%) من أصوات الناخبين^(٢٩).

أما فيما يتعلق بمبادئ وتوجهات الحزب فيتضح من تصريحات اردوغان الذي ركز على النقاط ومنها الاتي^(٣٠):

- ١- التأكيد على أن الحريات والحقوق الأساسية مكفولة.
- ٢- المفهوم الخاطئ للعلمانية على أن العلمانية عدو للدين وقال سوف نعمل على مجابهة هذا المفهوم .
- ٣- الاحتياجات الأساسية الثلاث التي تفرض نفسها باستمرار (العدالة - الحرية - لقمة العيش).

اعتمدت تركيا في سياستها الخارجية منذ تسلم حزب العدالة والتنمية السلطة عام ٢٠٠٢ استنادا الى رؤية العمق الاستراتيجي التركية التي وضعها الدكتور احمد داؤد اوغلو كبير مستشاري اردوغان لشؤون السياسة الخارجية على أن السياسة الخارجية التركية كانت تفتقر الى التوازن بسبب تركيزها المفرط على العلاقات مع الولايات المتحدة وأوروبا الى درجة إهمال مصالح تركيا مع دول الشرق الأوسط ومنها سوريا (٣١).

إذ كان لتصور اوغلو حول السياسة الخارجية الأثر البالغ في سياسة تركيا الداخلية وبالتحديد الاستقرار السياسي والاقتصادي للبلاد إذ أن الإصلاحات الداخلية وتنامي القوة الاقتصادية عملا على تمكين البلاد من الظهور بصفة المروج للسلام في المناطق المجاورة (٣٢).

ثانياً: تطور العلاقات التركية - السورية ٢٠٠٢-٢٠٠٣:

شهدت العلاقات التركية السورية تطورا ملحوظا منذ وصول حزب العدالة والتنمية الى السلطة في تركيا وتحسن العلاقات الثنائية بين البلدين في سياق تفاهم الحكومتين التركية والسورية حول إعادة تعريف كل دولة لوزنها ودورها الإقليمي في المنطقة، اذ تقف البلاد وسط متغيرات جيوسياسية وإستراتيجية جديدة ، ومن جهتها تدرك سوريا إنها لا تملك أسباب القوة السياسية والاقتصادية والإستراتيجية التي تملكها وبالتالي فان المطلوب منها هو تغيير النهج والتوجيهات بما يتوافق والمستجدات الجديدة في المنطقة وبما يعود الى تعزيز البيت السوري وتحصينه من التدخلات والضغط الخارجية، اذ إن العامل الجوهرى في تبدلات السياسة الخارجية التركية في عهد حكومة حزب العدالة والتنمية ومنها سياسة تركيا تجاه سوريا يمكن في محاولة تركيا الخروج من واقع الحصار الإقليمي الذي وصلت إليه في ظل ارتباط سياساتها بالولايات المتحدة الامريكية و(إسرائيل) وكلاهما لم تنفع في تقوية تركيا ولا

في جعلها تتغلب على مشاكلها الاقتصادية الأمر الذي رسخ القناعة لدى الأتراك بضرورة التخفيف من حدة القيد الأمريكي و(الإسرائيلي) وتفعيل علاقات تركيا بدول الجوار ومنها سوريا (٣٣).

زار رئيس الأركان السوري العماد حسن توركماني تركيا في عام ٢٠٠٢ ووقع اتفاقاً للتعاون الأمني ضمن تبادل المعلومات والتكنولوجيا والتدريب ، وإمكان إجراء مناورات عسكرية مشتركة (٣٤).

قامت السياسة الخارجية التركية على نظرية (تصغير المشاكل) مع دول الجوار بعد وصول حزب العدالة والتنمية الى الحكم في تركيا، الأمر الذي حقق نجاحاً كبيراً خلال مدة قصيرة من الزمن، وكان وزير الخارجية التركي احمد داوود أوغلو مهندس هذه النظرية، التي أدت الى علاقة أكثر من ممتازة مع كل من العراق وسوريا وإيران، وتحسن صورة تركيا في المنطقة العربية(٣٥).

إن مسار العلاقات التركية - السورية الذي تركز على التوجه القديم الذي ساد مرحلة (الحرب الباردة) والذي ازداد تفاقماً أيضاً في أزمة عبدالله أوجلان شكل نموذجاً للكسل والخمول على نحو قل أن يرى له مثيل بين دولتين متجاورتين، ولا ينتمي الى أي مفهوم أو رؤية دبلوماسية عقلانية، فلدى الدولتين أطول حدود سياسية برية مشتركة تحتل فيها تركيا موقع البوابة المفتوحة على شمال سوريا وغربها، بينما تحتل سوريا موقع البوابة المفتوحة على جنوب تركيا، وتعد هاتان الدولتان ساحة صدام بينما تتوافر لدهما القدرات والإمكانات اللازمة لإقامة علاقات وثيقة ومثمرة في مجالات الزراعة والتجارة والنقل ، فضلاً عن استخدام المناطق المائية المشتركة(٣٦).

تزايد الاهتمام التركي في منطقة الشرق الأوسط وقضاياها، لا سيما بعد وصول حزب العدالة والتنمية الى السلطة في تركيا، وحرصت قيادات الحكومة الجديدة على تأكيد تبنيهم رؤية مختلفة نوعياً لسياسة تركيا وعلاقاتها الخارجية . وعزز من هذا الاهتمام ما شهدته عناصر القوة التركية من تطورات إيجابية خلال هذه المدة، لا سيما في أبعادها الاقتصادية ، اذ نجحت تركيا في احتلال المرتبة الأولى بين اقتصادات المنطقة (والسادسة عشرة على المستوى العالمي) من حيث حجم الناتج المحلي الإجمالي . وصاحب ذلك زيارة حضور

الدور التركي ونشاطه في العديد من القضايا المحورية في المنطقة ، سواء فيما يتعلق بالقضية العراقية ، أو الصراع العربي - (الإسرائيلي)، أو أزمة البرنامج النووي الإيراني، أو طرح تركيا كنموذج في قضايا الإصلاح في المنطقة بأبعادها المختلفة ، وغيرها من القضايا^(٣٧)، وقد أثار هذا الدور التركي النشاط ، بأبعاده المتعددة ، الجدل حول طبيعته وحقيقة الدوافع المحركة له بين اتجاهات تبرز الطابع البراغماتي للسياسة التركية ، وتركيزها على تحقيق المصالح الوطنية ، وفقاً لحسابات قصيرة الأمد ، وأخرى تؤكد تحول السياسة الخارجية التركية نحو الشرق في إطار استعادة تركيا ذاتها الحضارية الإسلامية تحت قيادة حزب ذي مرجعية إسلامية . وثالثة تؤكد استمرارية التوجه الغربي لتركيا وأدوارها بالوكالة في المنطقة ، مع ارتباط نشاط تركيا بمساعيها لزيادة أهميتها الاستراتيجية لتعزيز فرص انضمامها للاتحاد الأوروبي^(٣٨)، إلا أن التطورات الحاصلة خلال تسعينيات القرن العشرين غيرت التصور الاستراتيجي التركي ، لناحية تصور حاكم للشرق الأوسط في المخيلة الاستراتيجية التركية بأن أنقرة تستطيع ترجمة نفوذها الإقليمي الى نفوذ إضافي يضغط على الاتحاد الأوروبي ، ويساير طموحاته ومصالحه في المنطقة^(٣٩).

اوجد وزير الخارجية التركي احمد داوود أوغلو انه : ((لا يمكن لتركيا الدولة التي ظهرت على الأرضية التاريخية والجيوسياسية للدولة العثمانية، أن تقصر مجال تخطيطها أو تفكيرها الدفاعي داخل حدودها القانونية فحسب . وفرض هذا الإرث التاريخي الذي تمتلكه تركيا عليها ضرورة التدخل في أي وقت في قضايا متعددة خارج حدودها))^(٤٠).

ورأى وزير الخارجية التركي احمد داوود اوغلو ان سياسة الانفتاح على الدول غير الغربية ، دون صراع مباشر مع الغرب ، والنظر الى الروابط الدينية كدرع يحفظ الدولة من الانشاقات الاثنية، التي يعتقد أنها تغذى من أجل حسابات ومصالح استراتيجية للدول الغربية، تعبر عن تواصل مع السياسات الإسلامية التي كانت موجودة أواخر القرن التاسع عشر^(٤١).

تسعى تركيا لتصبح قوة إقليمية في منطقة شرق المتوسط وشبه جزيرة البلقان، مما قد يزيد من تعقيد علاقاتها مع الاتحاد الأوروبي، ولكن من شأنه أيضاً ، في حال إدارة الأمر بصورة بناءة ، ان يساهم في توفير الاستقرار لأكثر مناطق أوروبا ومع ذلك ، فإن التدهور

في العلاقات بين تركيا والاتحاد الأوروبي بالذات ، مضافاً إليه التهميش الزاحف لتركيا ، في عملية إقامة بنيان أمني أوروبي جديد ، قد يفضي الى حدوث اغتراب تركي دائم عن أوروبا^(٤٢).

إن وضع تركيا القوي اقتصاديا وسياسيا سيفرض نفسه على الاتحاد الأوروبي، فالدول الغربية تطلب من تركيا دعم مواقفها في المنطقة ، مقابل تسهيل انضمام تركيا الى الاتحاد الأوروبي . وقد بدا واضحاً أنه كلما زاد انخراط تركيا في ملفات الشرق الأوسط ، كلما ازداد الطلب الأوروبي عليها وارتفعت أسهمها كحليف يجب استرضائه والاعتماد عليه . أما عندما تكون تركيا مغمورة ولم تحتل لنفسها وبنفسها موقعاً استراتيجياً مؤثراً فإن الاتحاد الأوروبي سيستمر في رفض قبولها في الاتحاد وسيبقى انضمامها له مجرد حلم، فإذا لم تحاول تركيا ان تبذل الجهود من اجل الأخذ بعين الاعتبار جميع الصعوبات التي تنتج عن هذا التوجه السياسي ، فإنها ستفقد شخصيتها واعتبارها وتبقى عنصراً سلبياً على هامش المحور الذي يشكله الآخرون^(٤٣)، لذا يرى اوغلو ان على تركيا ألا تقع في خطأ الابتعاد عن هذه المناطق بالجري وراء إغراءات الدخول في الاتحاد الأوروبي ، أو إقامة علاقات مع الأحلاف البعيدة كما حصل في الماضي، فالثقل السياسي والاقتصادي والثقافي التركي في الساحة الدولية ، سيتحدد وفقاً لقوة تأثير تركيا في هذه المناطق القريبة، وان الوحدة الداخلية لتركيا مرتبطة بشكل مباشر بالعوامل الموجودة في هذه المناطق، إذ لا يمكن لدولة الأناضول ان تحافظ على وحدتها في هذه الساحة الجيوسياسية الحساسة، أو أن تفتتح على العالم الخارجي، إذا لم تكن مؤثرة في التطورات التي تحدث في البلقان والقوقاز والشرق الأوسط^(٤٤).

نجحت تركيا في أن تكون عنصراً فاعلاً في منطقة الشرق الأوسط ، مستفيدة من الفراغ الناجم عن ضعف الموقف العربي ، ومن رغبة الأفرقاء العرب أنفسهم في جذب تركيا الى جانبهم ، ظناً من كل طرف أن يستطيع استخدام القوة التركية لإضعاف الآخر ، ولإضعاف النفوذ الإيراني المتنامي أيضاً^(٤٥)، وقد توافرت العديد من العوامل التي أتاحت لتركيا ان تكون جزءاً من صورة الشرق الأوسط ومحيطها الإقليمي عموماً، وعلى مستوى الشرق الأوسط ، من أهمها خصوصاً^(٤٦).

انعكس التوجه العلماني السابق الحاد والضغطات الموجهة الى الحالة الإسلامية، سلباً ، على علاقة تركيا بالعالم الإسلامي المتوجس من مفهوم العلمنة كنموذج معاد للدين ، وفقاً لآليات تطبيقه في تركيا سابقاً^(٤٧).

اتسم الموقف التركي الوسيط والحيادي من كل أطراف النزاعات سواء العربية البينية، أو العربية - (الإسرائيلية)، أو الإسلامية البينية ، أو الإسلامية - الغربية . ومنطلق هذه السياسة ، أن اية علاقة مع قوة طرف في نزاع لا تعني معاداة القوى الأخرى الأطراف في ذات النزاع^(٤٨).

لاقى الحضور التركي قبولاً مميزاً في الساحة العربية تحديداً ، وقد تفاوتت عوامله تبعاً لظروف الأطراف العربية، إذ تزامن ظهور الدور التركي مع الاحتلال الأمريكي للعراق ٢٠٠٣ ، وترافقه بتهديدات عسكرية أمريكية لبعض الدول العربية، ولاسيما سوريا، فكان لمعارضة تركيا غزو العراق انطلاقةً من أخطار التقسيم ، أن وجد العرب والأتراك أنفسهم في خندق واحد ، فسوريا وتركيا، معنيتان بعدم نشوء دولة كردية في شمال العراق ، فيما أقطار عربية أخرى خشيت على أنظمتها من شعارات الديمقراطية الأمريكية^(٤٩).

ويمكن تقسيم الأسباب الدافعة لدور تركي إقليمي في المنطقة الى أسباب موضوعية وأخرى ذاتية . ويأتي في مقدمة الاسباب الموضوعية الاتي^(٥٠):

١- تتمدد تركيا إقليمياً في المنطقة بتكاليف سياسية أقل بكثير من العائد السياسي الذي تجنيه ، بحيث إن الجدوى الاستراتيجية من لعب هذا الدور تكون متحققة تماماً في حال الشرق الأوسط . وتكفي الإشارة هنا الى الدور الإقليمي الإيراني ، الذي استثمرت فيه إيران مالياً وإيديولوجياً لبناء شبكة من التحالفات مع الدول والحركات والأحزاب السياسية لمدة ثلاثين عاماً .

٢- توافر تاريخ مشترك بين تركيا والعرب ، ووجود تقارب ثقافي وحضاري وديني بين تركيا والدول العربية ، وهو ما لا يجعل تركيا عنصراً وافداً الى المنطقة، ويسهل قيامها بهذا الدور^(٥١).

٣- الفراغ الكبير في المنطقة، نتيجة انهيار ما سمي النظام الإقليمي العربي ، خصوصاً عقب احتلال العراق ٢٠٠٣ .

٤- إن الشرق الأوسط هو المجال الجغرافي الوحيد في جوار تركيا الذي يمكنها فيه لعب دور إقليمي بارز دون الاصطدام بقوى عالمية ، بالمقارنة بالقوقاز حيث النفوذ الروسي ، أو في ألبانيا والبوسنة حيث نفوذ دول أوروبا الوسطى .

٥- ترسم تركيا سياستها الإقليمية بغطاء وتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية وباعتبارها ثقلاً موازياً للدور الإقليمي الإيراني الذي لا ترضى عنه الولايات المتحدة الأمريكية حتى مع تأكيد تركيا المستمر أنها لا تتواجه مع إيران في المنطقة^(٥٢) .

بالإضافة الى البنود آفة الذكر فإن انهيار الاتحاد السوفيتي شكل فرصة أمام تركيا للتوجه والانفتاح على المنطقة العربية وتوطيد علاقاتها مع دولها عبر البوابة السورية، وعلى الخصوص بعد أن فقدت سوريا دعماً أساسياً (الاتحاد السوفيتي) ، مما جعل القيادة السورية تتعامل بشكل عقلائي مع هذه الظروف .

فيما تقوم الأسباب الذاتية التركية لدورها الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط على أساس المصالح الوطنية التركية، اذ لعبت المصالح الأمنية التركية دور إقليمي في المنطقة ، وهذا يعني المشاركة في تحديد الأولويات الإقليمية ، والوصول بخطوط الدفاعات التركية الى أبعد نطاق ممكن من الراضي التركية ، التي كانت تاريخياً عرضة لعمليات إرهابية ، سواء على خلفية سياسية مثل المشكلة الكردية أو الأرمنية، أو على خلفية إيديولوجية مثل عمليات الجماعات الدينية الإرهابية المتشددة التي تنشط في دول جوارها الجغرافي، فضلا عن حاجة تركيا الماسة الى النفط والغاز العربي نتيجة تعاظم قدرات الاقتصاد التركي وطموحها لتصبح معبراً لإمدادات الطاقة الى أوروبا بما يعزز وضعيتها الاستراتيجية والاقتصادية^(٥٣) .

تشكل الدول العربية سوقاً واسعة للسلع التركية التي تحظى في المنطقة بتنافسية لا تحظى بها بالصورة في السوق الأوروبية، فضلا عن إن تركيا تسعى لأن تكون الدول العربية عمقاً للدولة التركية اقتصادياً واستراتيجياً في حال رفض الاتحاد الأوروبي انضمامه إليه، لذلك أدركت تركيا أهمية سوريا ودورها في المنطقة ، واقتنعت بأن سوريا بالنسبة لتركيا هي المفتاح الرئيسي للانفتاح على منطقة الشرق الأوسط والعالم العربي ، كما أن سوريا من أهم دول المنطقة ودون دورها ومساهماتها لا يمكن تحقيق الأمن والاستقرار والسلام في الشرق الأوسط ، فتعاملت تركيا مع هذه الحقائق وتجاوبت مع نهج سوريا تجاه مشكلات المنطقة

ودعت الى تعزيز الحوار معها. وعدت أن سوريا قادرة على إيصال وجهة النظر التركية الى الدول العربية، كما أن تركيا أرادت الانفتاح على سوريا بسبب التقارب في وجهات النظر حول رفضهما المشترك لإقامة دولة كردية على أجزاء من أراضي الدولتين^(٥٤).

ثالثاً: اثر الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ على العلاقات السورية - التركية:

وضعت المصالح التركية والسورية في مواجهة السياسات الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، الى استمرار تركيا وسوريا في التقارب على كافة المستويات ، فقد كان عام ٢٠٠٠ مناسبة لتوسيع ودعم التفاعلات والزيارات الرسمية اذ قام نائب الرئيس السوري آنذاك عبد الحليم خدام بزيارة الى أنقرة مطلع تشرين الثاني ٢٠٠٠ كأول زيارة مهمة وعلى مستوى عالي، وفي محادثاته مع القادة الأتراك تعهدت كل من سوريا وتركيا بالعمل على صياغة اتفاق (إعلان مبادئ) تساعد على توجيه العلاقات بينهما في المستقبل ، وفي حزيران عام ٢٠٠٢ زار رئيس الأركان السوري آنذاك حسن تركماني ووقع الطرفان التركي والسوري اتفاقاً للتعاون الأمني تضمن تبادل المعلومات والتكنولوجيا والتدريب وإمكانية إجراء مناورات عسكرية مشتركة ، وبعد هذا الاتفاق العسكري التركي - السوري جاء الفوز الكاسح لحزب العدالة والتنمية في انتخابات الثالث من تشرين الثاني ٢٠٠٢ ليعطي العلاقات التركية السورية زخماً وقوة لم تشهدها من قبل ، وقد افتتح عبد الله غول زيارته الخارجية بزيارة دمشق التي حظي فيها بحفاوة بالغة^(٥٥).

أن الحكومتين التركية والسورية تفاهمتا حول إعادة تعريف كل دولة لوزنها ودورها الإقليمي في المنطقة ، ففي تركيا هناك إجماع على أنه في مرحلة ما بعد الاحتلال الأمريكي للعراق تقف البلاد وسط متغيرات جيوسياسية واستراتيجية جديدة ومن خلالها تدرك سوريا أنها لا تملك أسباب القوة السياسية والاقتصادية والاستراتيجية التي تملكها تركيا ، فكان لا بد من تغير النهج والتوجيهات بما يتوافق والمستجدات الجديدة^(٥٦).

أدى غزو العراق عام ٢٠٠٣ دوراً مهماً في صوغ الوعي التركي لطبيعة المرحلة المقبلة من جانب ، وفي التقارب الشديد بين تركيا وسوريا نظراً للهواجس المشتركة ، فأن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى لاستغلال أحداث الحادي عشر من أيلول لا للانقضاض على القاعدة بل لتفتيت العالمين العربي والإسلامي خدمة لأمن (إسرائيل) والسيطرة على

مناجم النفط ، فضلا عن جعل تركيا إحدى الدول المستهدفة في مرحلة لاحقة من خلال ترسيخ النزاعات العريقة والمذهبية والدينية ، لذا كان غزو العراق عام ٢٠٠٣ مفصلياً في اكتمال النظرة التركية الى خطورة السياسة الأمريكية من عدة جوانب^(٥٧).

أظهر غزو الولايات المتحدة الأمريكية للعراق أن أحد أهدافه هو ترسيخ الانقسام العرقي من خلال فيدرالية كردية تفتح لاحقاً على دولة مستقلة ، لا تهدد فقط وحدة العراق بل وحدة الكيانات المتجاورة وفي مقدمتها سوريا وتركيا وإيران ، وبالتالي فإن العامل الكردي كان ولا يزال من العوامل المقربة بين تركيا وسوريا^(٥٨).

أظهرت التطورات السياسية دوراً (إسرائيلياً) مركزياً في شمال العراق في دعم الأكراد وتدريبهم ، الأمر الذي وثقته المصادر الغربية ، وهذا ما يفيد بأن مصدر الخطر المشترك على سوريا وتركيا هو (إسرائيل)، وأظهرت التطورات أن الدول الإسلامية مستهدفة الواحدة تلو الأخرى، ولقد جاءت التهديدات الأمريكية لسورية وإيران لتدق قاموس الخطر بالنسبة لتركيا^(٥٩).

أوجد الاحتلال الأمريكي للعراق مخاوف جدية لدى الدولتين التركية والسورية، من تداعيات هذا احتلال ظهور الصراعات الاثنية والطائفية والمذهبية في المنطقة العربية . بعد ذلك تحسنت العلاقات بين تركيا وسوريا بصورة كبيرة بسبب تبادل الزيارات بين الدولتين، اذ عبر الرئيس التركي احمد نجات سيزار بقوله : ((إن زيارتكم لها صبغة تاريخية ومعزى خاص))^(٦٠).

شدد الرئيس السوري بشار الأسد على ضرورة تفعيل سبل التعاون المشترك بين الدولتين في جميع المجالات ، ولا سيما ان العلاقات السياسية بين الطرفين انتقلت من مرحلة عدم الثقة الى مرحلة الثقة المتبادلة ، والتي يجب استثمارها في توليد استقرار سياسي يسود المنطقة^(٦١). لذلك ومنذ تغيير الخريطة العراقية بعد حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ ومن ثم الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، وظهور معادلات داخلية وإقليمية ودولية جديدة ، ارتسمت على امتداد السنوات اللاحقة ، مجموعة من الثوابت التركية تجاه الوضع في العراق ، وعلى الرغم من تبدل الحكومات والخريطة البرلمانية في تركيا ، إلا أن هناك

مجموعة من الثوابت تشكل في جزء منها جامعاً مشتركاً في بعضها بين سوريا وتركيا ومنها الآتي (٦٢):

١- منع إقامة دولة كردية مستقلة في شمال العراق ، انطلاقاً من أن مثل هذه الدولة رسمياً، سيشحج أكراد تركيا على الاحتذاء بأشقائهم في العراق ، والسعي الجدي الى تحقيق الانفصال عن تركيا ، أو على الأقل إقامة حكم ذاتي ، مادام مثل هذا الهدف اصبح واقعاً في شمال العراق . فتركيا تعارض حتى منح أكراد العراق حكماً ذاتياً واسعاً يمكن أن يفتح الباب لاحقاً أمام استقلال كامل . فهي ترى أن اعلان دولة كردية مستقلة في شمال العراق يشكل سبباً للحرب ، ووجود الجيش التركي في بعض مناطق شمال العراق ، وإن كان يستهدف مواجهة قوات حزب العمال الكردستاني ، إلا أنه يمثل في الوقت نفسه مراقبة لحركة الأكراد العراقيين ، منعاً لأية مفاجآت .

٢. الحفاظ على وحدة الأراضي العراقية ، وذلك انطلاقاً من أن تقسيم العراق سيفتح باب تقسيم كل الدول المجاورة له ، بما فيها تركيا .

٣. إن التفكك السياسي والعربي للعراق شجع تركيا على المطالبة ، بمنح تركمان العراق - منطقة كركوك - حقوقاً ثقافية وحكماً ذاتياً ، وألا يكونوا تابعين الى منطقة الحكم الذاتي الكردي المحتملة في المستقبل ، وذلك ليبقى التركمان جيباً تركيا داخل العراق ، سواءً تجاه بغداد ، أو تجاه الأكراد .

٤- منع تشكيل العراق أي تهديد مستقبلي لتركيا ، وإذا كانت تركيا مع عراق موحد ، إلا أنها ضد ظهور عراق قوي (٦٣) .

إن القيادة السورية رأت أن الولايات المتحدة الأمريكية في احتلالها للعراق عام ٢٠٠٣ تهدف الى السيطرة على المنطقة العربية ، ومن ثم الاعتداء على سوريا، كما رأت فيه القيادة السورية دعماً (لإسرائيل) وخدمة لها، ورسم خارطة جديدة للشرق الأوسط . وبسبب ذلك كان على القيادة السورية ان تقف بقوة ضد الاحتلال الأمريكي للعراق (٦٤). ووفقاً لوزير الخارجية التركي احمد داوود اوغلو فإن: ((النظامين السياسي والديموغرافي في العراق معقدان جداً ، فهناك السنة العرب في وسط البلاد ، والسنة الأكراد في الشمال ، والعرب الشيعة في الجنوب، وبالتالي فإن عنصر التوازن في العراق هم العرب السنة . فيما أنهم سنة ، فإن

لديهم قاسماً مشتركاً مع الأكراد ، وبما أنهم عرب ، فإن لديهم قاسماً مشتركاً مع الشيعة العرب . فيجب أن يكون هناك نظام سياسي في العراق مبني على السنة العرب ، لضمان الأمن وضمان نظام سياسي مستمر في هذه البلاد))^(٦٥).

نشطت حركة المنظمات الحزبية والجماهيرية في تركيا ، ضد العدوان الأمريكي على العراق، وشكلت الأحزاب السياسية والمنظمات المهنية والشعبية (مجلس التنسيق) ضد العدوان على العراق ، والذي يضم حوالي مئة واربعون منظمة تركية ، عملت على مطالبة الحكومة الجديدة (العدالة والتنمية) بزعامة رجب طيب أردوغان، بعدم الانجرار وراء المواقف الأمريكية والمشاركة في الحرب. وصرح على جانجي رئيس مجلس التنسيق بأن القضية لم تعد قضية إقليمية ، بل قضية تهمة جميع دول العالم ، واصفاً تلك الحرب (بالقذارة) التي تجلب البؤس والدمار للمنطقة^(٦٦). ويعكس الموقف التركي ما قبل احتلال العراق ، موقفاً متزناً تجاه علاقة حسن الجوار في ظاهره ، ولكن سمة استراتيجية تركيا (المساومة) في السلوك السياسي الخارجي، تبعث على الريبة والشك من حيث المصادقية . ويمكن ملاحظة تصريحات المسؤولين الأتراك بشأن رفضهم لموضوع الحرب الأمريكية على العراق ، وما نجم من موقف معاكس إثر الزيارات الأمريكية المتعددة لتركيا . مما دفع الأتراك الى الاصطفاف وقبول فكرة الاشتراك الى جانب الولايات المتحدة الأمريكية في حال اندلاع حرب، بعد المساومة ، من خلال المطالبة بدفع خمسة وعشرين مليون دولار، وهذا يعكس حجم الخسائر الذي تتعرض لها تركيا في حال اندلاع الحرب^(٦٧).

كانت شروط تركيا لدخول الحرب على العراق الى جانب التحالف الدولي ، وبلغة المساومة منها الآتي^(٦٨):

- ١- التعهد بعدم قيام دولة كردية في شمال العراق .
- ٢- يمكن لتركيا الدخول في الأراضي العراقية لمسافة ٧٥ كم ، وأن تحصل على ١٠% من النفط العراقي .
- ٣- تبقى كل من الموصل وكركوك ، خالية من أية قوات ، سوى عدد محدود من القوات الأمريكية .

وفي ظل عدم وجود ضمانات كردية وعوامل أخرى ، واصلت تركيا رهانها على أنه لا حرب من دونها ، بل ربما أكد إلحاح الإدارة الأمريكية على مشاركة تركيا بالحرب ، هذا الانطباع لدى الأتراك ، الى أن وجه الرئيس الامريكى بوش إنذاره فجر الثلاثاء في الثامن عشر من آذار ٢٠٠٣ الى الرئيس العراقي صدام حسين، وأدرك الأتراك أن رهانهم قد سقط، فاجتمعوا على عجل مساء ذلك اليوم وقرروا بالإجماع (رئيس الجمهورية ، ورئيس الحكومة ، ووزير الخارجية ، ورئيس أركان الجيش) أن يبلغوا الإدارة الأمريكية بأنهم سيشاركون في الحرب ، وسيفتحون جبهة شمالية ، وأن مذكرة ستقدم للبرلمان خلال ساعات للموافقة عليها، لكن يبدو أن ذلك تم بعد أن حسمت واشنطن قرارها بشن الحرب ، اعتماداً على جبهة واحدة هي الجبهة الجنوبية . لذا، كان جواب كولن باول لعبد الله غول عندما ابغاه بقرار الدولة التركية المشاركة في الحرب: ((شكراً، لسنا بحاجة لكم، لكن اذا كنتم تريدون المساعدة فافتحوا ممراً جويّاً لطائراتنا)) (٦٩).

تمكنت الحكومة التركية من جمع ست قوى إقليمية (تركيا ، مصر ، سوريا، السعودية، إيران، الأردن ، فيما بقيت الكويت خارجاً) في سلسلة مؤتمرات إقليمية وقبل اسابيع من احتلال العراق، اسفرت هذه المبادرة عن صدور (إعلان اسطنبول) والذي كان يهدف لتفادي أي هجوم عسكري أمريكي على العراق ، وعلى الرغم من أن بعض المحللين في الولايات المتحدة الأمريكية و تركيا عدوا أن الدافع وراء هذه المبادرة كان إسلامياً . إلا أن الواقع هو أن هذه المبادرات لم تستند الى التضامن الإسلامي بقدر ما انطلقت من إدراك ذاتي تركي متنام لتكون أنقرة قوة إقليمية قيادية، في إطار العثمانية الجديدة المستندة الى الثقة بالنفس والتمسك بالمصالح القومية . لكن في نهاية المطاف فشلت مبادرة تركيا الطموحة في التوصل الى أية نتائج ملموسة ، واسفرت المحادثات بين أنقرة وواشنطن عن عرض قدمته الولايات المتحدة الأمريكية قضى بتقديم منح وقروض الى تركيا بقيمة خمسة عشر مليون دولار، إضافة الى اتفاق يمكن بموجبه لعشرين ألف جندي تركي دخول شمال العراق لحماية المصالح التركية هناك . إلا أن البرلمان التركي صوت بفارق ضئيل ضد فتح جبة الشمال لمهاجمة بغداد انطلاقاً من تركيا(٧٠).

ازداد التنسيق السوري - التركي بعد احتلال العراق وجاء ذلك بتصريح الصحف السورية بهذا الصدد: ((أنه تأكيداً لقناعة الرئيسين الأسد وغول ، جرى الاتفاق على تعميق أواصر التعاون بين البلدين الجارين، والارتقاء بها خدمة لمصالحهما))^(٧١).

يتضح مما سبق ان الموقف التركي تجاه العراق ولاسيما فيما يتعلق بوحدته واستقراره وشكله المستقبلي ، مع الثوابت السورية تجاه العراق والمنطقة ككل هو ما أسهم بتعزيز التعاون بين الجانبين ، وفتح افاق جديدة للتقارب فيما بينهما ، أسهمت في خلق مجال سياسي تركي في المنطقة عبر البوابتين السورية والعراقية، وعبر التنسيق السياسي بين الطرفين والانفتاح الاقتصادي التركي عربياً عبر البوابة السورية .

الخاتمة:

من خلال ما تم ذكره في البحث تم التوصل الى النتائج الآتية:

أولاً: يغلب على العلاقات التركية السورية صفة التوتر بين الحين والآخر بسبب عدم التوصل لبناء علاقات ثابتة وارتباط المؤسسات التركية السياسية والاقتصادية والأمنية .

ثانياً : تبين ان المرحلة ما بين اتفاق أضنه عام ١٩٩٨ حتى عام ٢٠٠٢ كانت مرحلة جيدة ابتدأها الرئيس التركي السابق احمد نجدت سيزر وأكمل مسيرتها حزب العدالة والتنمية الذي بني رؤية العمق الاستراتيجي لتركيا ومنها التواصل مع سوريا وحل قضية إيواء زعيم حزب العمال الكردستاني عبدالله أوجلان وإخراجه من سوريا واعتقاله في كينيا عام ١٩٩٩ وان هذا التطور في العلاقات كان في صالح تركيا أكثر مما كان في صالح سوريا وخاصة في المجالات الاقتصادية .

ثالثاً: أخذت العلاقات التركية السورية منحى إيجابياً تصاعدياً، اذ تحولت العلاقة بين البلدين من ذروة التوتر الى التقارب التدريجي، ثم المتسارع وصولاً الى الدخول في الحوار الاستراتيجي، اذ كان من نتائج الدخول في اتفاقيات اقتصادية وإعلامية وثقافية وتعليمية وسياسية.

رابعاً : إن الزيارات المكثفة التي قام بها كبار مسؤولي الدولتين ابتداء من الرئيس التركي السابق احمد نجدت سيزر والرئيس عبدالله كول والرئيس السوري بشار الأسد هو من

اجل إقامة علاقات صداقة وتعاون ، وتأمل سوريا من هذه العلاقة إن لا تكون سياسة تركيا المتوافقة مع (إسرائيل).

خامساً : شهدت العلاقات التركية السورية تطورا ملحوظا منذ وصول حزب العدالة والتنمية الى السلطة في تركيا وتحسن العلاقات الثنائية بين البلدين في سياق تفاهم الحكومتين التركية والسورية حول إعادة تعريف كل دولة لوزنها ودورها الإقليمي في المنطقة.

الهوامش:

(١) سيف محمد امين، السياسة التركية تجاه البلاد العربية ١٩٩٠-٢٠٠٣، دار الاكليل للمنشورات، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٤٥.

(٢) محمد ناصر العجلاني، أسباب التوجه التركي الجديد نحو المشرق، دمشق، (د-ت)، ص ٣٧ - ٤٢.

(٣) عقيل سعيد محفوظ ، سورية وتركيا: الواقع الراهن واحتمالات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٦٩ - ٧٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٤ - ٧٥.

(٥) سالم عز الدين المنصور، تركيا ومحيطها الاقليمي، مركز الدراسات العربية، القاهرة، ٢٠١١، ص ٤٩.

(٦) عقيل سعيد محفوظ، المصدر السابق، ص ٧٥ - ٧٦.

(٧) سالم عز الدين المنصور، المصدر السابق، ص ٥١.

(٨) مبارك محمد بشير، تركيا في زمن التحول، دار الجبل، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٨٧.

(٩) امين الصياد، العلاقات الثنائية بين تركيا ومحيطها الاقليمي ١٩٩٠-٢٠١١، دار صابرون، بيروت، ٢٠١٦، ص ٣٨.

(١٠) مبارك محمد بشير، المصدر السابق، ص ٩٠.

(١١) عقيل سعيد محفوظ، المصدر السابق، ص ٧٧ - ٧٨.

(١٢) عديلة هاشم ، تركيا والسلام في الشرق الاوسط، مجلة العربي، العدد ٩٨، الكويت، ٢٠١٠، ص ٢٥-٢٦.

(١٣) عقيل سعيد محفوظ، المصدر السابق، ص ٨١.

- (١٤) امين الصياد، المصدر السابق، ص ٤٠.
- (١٥) احمد نوري النعيمي وآخرون، العلاقات العربية التركية، حوار مستقبلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٨٤.
- (١٦) خورشيد دلي، الازمة السورية وآفاق التصعيد التركي، مجلة الوحدة الإسلامية، السنة ١١، العدد ١٢١، يناير ٢٠١٢م، ص ٣٣.
- (١٧) مبارك محمد بشير، المصدر السابق، ص ١٠١.
- (١٨) خالد زيادة وآخرون، الثوابت والمتغيرات السياسية في حركة الوعي الجماعي القومي العربي والتركي منذ إعلان الجمهورية التركية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥، ص ١٠٢.
- (١٩) احمد نوري النعيمي وآخرون، المصدر السابق، ص ٨٧.
- (٢٠) هاينتس كرامر، تركيا المتغيرة تبحث عن ثوب جديد، ترجمة: فاضل جكتر، (د-م)، ٢٠١٥، ص ٣٧.
- (21) Cuneyt Arcayurek, Bir Ozgurluk Tutkunu, Bulnt Ecevit ,Baski Istanbul, 2006, p. 373-374.
- (٢٢) ميشال نوفل، عودة تركيا الى الشرق: الاتجاهات الجديدة للسياسة التركية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٠، ص ٦٥.
- (٢٣) مصطفى محمد الطحان، تركيا التي عرفت من السلطان الى نجم الدين اربكان ١٨٤٢ - ٢٠٠٦، ج ٢، (د-م)، ٢٠٠٦، ص ٣٥٧.
- (٢٤) نوال عبدالجبار الطائي، تجربة حزب العدالة والتنمية في تركيا، سلسلة شؤون إقليمية، العدد ١٣، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، ٢٠٠٧، ص ٢.
- (٢٥) حسين بسلي وعمر اوزباي، رجب طيب أردوغان (قصة زعيم)، ترجمة: طارق عبدالجليل، مراجعة رمضان يلدرم، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١١، ص ٣٢٣.
- (٢٦) المصدر نفسه، ص ٣١٣.
- (٢٧) مصطفى محمد الطحان، المصدر السابق، ص ٥٨.
- (٢٨) سعد عبدالعزيز مسلط، المشروع السياسي لحزب العدالة والتنمية في تركيا، وحدة البحوث السياسية، رقم الملف ٤٨٦، أرشيف مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، ٢٠٠٨، ص ٨.
- (٢٩) زياد عزيز حميد الجليبي، الانتخابات التشريعية في تركيا ٣ تشرين الثاني ٢٠٠٢، نشرة متابعات تركية، العدد ٩، السنة الأولى، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، ٢٠٠٢، ص ١.

- (٣٠) ابراهيم خليل العلاف ، السياسة العربية لحزب العدالة والتنمية التركي ، نشرة متابعات إقليمية، العدد ١١، السنة الأولى، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل ، ٢٠٠٣، ص ١ .
- (٣١) جلال ورغي ، الحركة الإسلامية التركية : معالم التجربة وحدود المنوال في العالم العربي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ٢٠١٠، ص ٥٥ .
- (٣٢) احمد داؤد اوغلو ، العمق الاستراتيجي : موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية ، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبدالجليل ، مراجعة: بشير نافع وبرهان كوروغلو، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ٢٠١٠، ص ٥٧ .
- (٣٣) بولنت اراس ، عهد داؤد اوغلو في السياسة الخارجية التركية، ترجمة: أنور محمود نجم نشرة ترجمات إقليمية ، العدد ١٣ ، السنة ٢ ، مج ١ ، مركز الدراسات الإقليمية ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٩، ص ١ .
- (٣٤) لقمان عمر محمود النعيمي ، سياسة تركيا تجاه سوريا وإيران ٢٠٠٣ - ٢٠٠٧ ، نشرة الرائد الإقليمي ، العدد ٢٢ ، مركز الدراسات الإقليمية ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٨، ص ٢ .
- (٣٥) مصطفى محمد الطحان ، المصدر السابق، ص ١٠٩ .
- (٣٦) صالح عبد سعد، العلاقات التركية السورية (المحددات والآفاق) ، مركز الدراسات العربية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٨٥ .
- (٣٧) جلال ورغي ، المصدر السابق، ص ٦٤ .
- (٣٨) علي جلال معوض ، الارتباك : تحليل اولي للدور التركي في ظل الثورات العربية ، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٨٥ ، تموز ٢٠١١ ، ص ٦٠ .
- (٣٩) مصطفى اللباد ، العلاقات الإيرانية - التركية وانعكاساتها على المنطقة ، شؤون عربية ، العدد ١٢٧، خريف ٢٠٠٦ ، ص ٩٤ .
- (٤٠) احمد داوود أوغلو ، المصدر السابق، ص ٦٣ .
- (٤١) المصدر نفسه ، ص ١١١ .
- (٤٢) هاينتس كرامر ، المصدر السابق ، ص ١٦ .
- (٤٣) احمد داوود اوغلو ، المصدر السابق ، ص ١١٧ .
- (٤٤) احمد داوود اوغلو ، المصدر السابق، ص ١٤٥ .
- (٤٥) محمد نور الدين ، تركيا بين تحديات الداخل وتحولات الخارج ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٣٨٩ ، تموز ٢٠١١ ، ص ١١٣ .

- (٤٦) محمد نور الدين ، تركيا الى أين ؟ .. دور وتحديات ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٣٦٤ ، حزيران ٢٠٠٩ ، ص ٤٧ - ٥٠ .
- (٤٧) محمد نور الدين ، المصدر السابق، ١٢٦ .
- (٤٨) محمد نور الدين ، تركيا بين تحديات الداخل وتحولات الخارج، ص ١١٤ .
- (٤٩) محمد نور الدين ، تركيا الى أين ؟ .. دور وتحديات ، ص ٥٢ .
- (٥٠) مصطفى اللباد ، أوروبا وسياسة تركيا الشرق أوسطية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٨٢ ، تشرين أول ٢٠١٠ ، ص ٩٧ .
- (٥١) مصطفى اللباد ، أوروبا وسياسة تركيا الشرق أوسطية ، ص ٩٧ .
- (٥٢) المصدر نفسه ، ص ٩٨ .
- (٥٣) مصطفى اللباد ، أوروبا وسياسة تركيا الشرق أوسطية ، ص ٩٨ .
- (٥٤) محمد نور الدين ، تركيا بين تحديات الداخل وتحولات الخارج، ص ١٢٤ .
- (٥٥) محمد التلوي ، السياسة الخارجية التركية تجاه سورية ٢٠٠٢-٢٠٠٨ ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، غزة ، جامعة الأزهر ، ٢٠١١ ، ص ٣٢ - ٣٣ .
- (٥٦) هاينتس كرامر ، المصدر السابق ، ص ٧٧ .
- (٥٧) محمد نور الدين ، تركيا الصيغة والدور ، رياض الريس للكتب والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .
- (٥٨) بحر الدين مسعودي، الأزمة السورية في السياسة الخارجية الروسية والتركية (٢٠١١ - ٢٠١٩)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ٢٠١٩ ، ص ٤٥؛ محمد عبد العاطي التلوي، السياسة الخارجية التركية تجاه سوريا من (٢٠٠٢ - ٢٠٠٨)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، دراسات الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأزهر، غزة ، ٢٠١١ ، ص ٢٨ .
- (٥٩) محمد نور الدين ، تركيا الصيغة والدور، ص ٢٩٨ .
- (٦٠) حسن محلي ، الأسد في أنقرة وجبهة مشتركة ، صحيفة المستقبل اللبنانية ، ٧ كانون الثاني ٢٠٠٤ .
- (٦١) محمد نور الدين ، تركيا الصيغة والدور، ص ٢٩٩ .
- (٦٢) محمد نور الدين ، النتائج والتداعيات تركيا، احتلال العراق وتداعياته عربياً وإقليمياً ودولياً ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٤٠٨ - ٤٠٩ .
- (٦٣) محمد نور الدين ، النتائج والتداعيات تركيا، احتلال العراق وتداعياته عربياً وإقليمياً ودولياً ، ص ٤٠٩ .

(٦٤) المصدر نفسه ، ص ٤١٠ .

(٦٥) وليد رضوان ، العلاقات العربية - التركية ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ٨٧ .

(٦٦) محمود السامرائي ، المساومة في السياسة الخارجية التركية ، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ١٣، ٢٠٠٧، ص ٨٥ .

(٦٧) محمود السامرائي ، المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٦٨) Volker perthes, Turkey's Role in the Middle East : An Outsiders Prespective (Ankara : The Transatlantic Academy Conference, June 10, 2010, p3.

(٦٩) محمد نور الدين ، النتائج والتداعيات تركيا ، ص ٤١٦ .

(٧٠) عمر تشينار ، سياسة تركيا في الشرق الأوسط : بين الكمالية والعثمانية الجديدة ، أوراق كارنيغي، العدد ١٠ ، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، مركز الشرق الأوسط، واشنطن أيلول ٢٠٠٨ ، ص ٢٠ - ٢١ .

(٧١) وليد رضوان ، العلاقات العربية - التركية ، المصدر السابق ، ص ٣٧٩ .

المصادر الاجنبية:

1. Saif Muhammad Amin, Turkish Policy towards the Arab Countries 1990-2003, Dar Al-Akleel for Publications, Cairo, 2004,
2. Muhammad Nasser Al-Ajlani, Reasons for the New Turkish Orientation towards the East, Damascus, (D-T,)
3. Aqeel Saeed Mahfoud, Syria and Turkey: Current Reality and Future Possibilities, Center for Arab Unity Studies, Cairo, 2009,
4. Salem Ezz El-Din Al-Mansour, Türkiye and its Regional Environment, Center for Arab Studies, Cairo, 2011.
5. Mubarak Muhammad Bashir, Turkey in a Time of Transformation, Dar Al-Jabal, Beirut, 2009, p. 87.
6. Amin Al-Sayyad, Bilateral Relations between Türkiye and its Regional Environment 1990-2011, Dar Sabron, Beirut, 2016

7. Adila Hashem, Turkey and Peace in the Middle East, Al-Arabi Magazine, Issue 98, Kuwait, 2010
8. Ahmed Nouri Al-Nuaimi and others, Arab-Turkish Relations, Future Dialogue, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 2006,
9. Khurshid Dalli, The Syrian Crisis and the Prospects of the Turkish Escalation, Al-Wahda Al-Islami Magazine, Year 11, Issue 121, January 2012
10. Khaled Ziadeh and others, Political Constants and Variables in the Movement of Arab and Turkish National Collective Consciousness Since the Declaration of the Turkish Republic, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 1995.
11. Heinz Kramer, A Changing Turkey Searches for a New Dress, translated by: Fadil Çekter, (D-M), 2015
12. Mustafa Muhammad al-Tahan, The Turkey that was Known from the Sultan to Necmettin Erbakan 1842 - 2006, Part 2, (D-M), 2006
13. Michel Nofal, Turkey's Return to the East: New Directions for Turkish Policy, Arab House of Science Publishers, Beirut, 2010.

التعاون الامريكي -السعودي لمواجهة انتشار
الشيوعية في اليمن الجنوبي ١٩٤٥-١٩٩٠

رقية سالم صاحب
أ.م.د. جمانة محمد راشد

رقية سالم صاحب

أ.م.د. جمانة محمد راشد

المقدمة

شهد اليمن الجنوبى العديد من التطورات كان ابرزها خضوعه للاحتلال البريطانى من عام ١٨٣٩ و كانت بريطانيا تتحكم بسياسة اليمن الجنوبى الداخلى و الخارجى بحكم وقوعه تحت سيطرتها و ارتباط امراء اماراته المختلفة بالعديد من المعاهدات معها حتى تمكن اليمن الجنوبى عام ١٩٦٧ من الحصول على الاستقلال و اصبح يعرف بأسم جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ومنذ بداية استقلالها منحت جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية علاقتها مع الاتحاد السوفيتى أهمية كبيرة خاصة بعد حصولها على مساعدات عسكرية و اقتصادية منه وكان اول دولة تعترف بأستقلاله عن السيطرة البريطانية ، الأمر الذى اثار الولايات المتحدة الامريكىة و بعض دول المنطقة وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية لذا ستعاون الدولتين لمواجهة انتشار الشيوعية ووضع حد للنفوذ السوفيتى فى جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية منذ بداية استقلالها وحتى عام ١٩٩٠.

إشكالية البحث

اهتمت الولايات المتحدة الامريكىة بوصفها احدى القوى العظمى فى فترة الدراسة بوضع حد للنفوذ السوفيتى فى جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية لمنع وصول الاتحاد السوفيتى لمصادر النفطية فى الخليج العربى لذا تعاونت مع المملكة العربية السعودية بحكم علاقتها القوية بالمعسكر الغربى لمواجهة السوفيت فى الجمهورية الجديدة.

فرضية البحث

يقوم البحث على فرضية مفادها كيف اثر التعاون الامريكى _ السعودى لمواجهة انتشار الشيوعية فى اليمن الجنوبى على الوضع السياسى فى هذا البلد كذلك ماهى التطورات التى خلقها هذا التعاون؟

أهمية البحث

تتبع أهمية البحث من فكرة مفادها ان علاقة جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية مع الاتحاد السوفيتى اصبحت مصدر قلق وتهديد للولايات المتحدة الامريكىة و المملكة العربىة السعودىة لذا تبحث الدراسة فى الوضع الخطر الذى سببته هذه العلاقة للولايات المتحدة الامريكىة والمملكة العربىة السعودىة.

اهداف البحث

يهدف البحث الى:

- ١- معرفة الاوضاع السياسىة فى اليمن الجنوبى من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٦٧
- ٢-البحث فى التعاون الامريكى _السعودى لمواجهة انتشار الشيوعية فى اليمن الجنوبى وتأثيره على الأوضاع السياسىة لليمن الجنوبى و الشمالى
- ٣-البحث فى النتائج التى افرزها هذا التعاون على الوضع الداخلى لليمن الجنوبى

الهيكلية

يقسم البحث الى مقدمة وخاتمة بالإضافة الى عدة محاور وهى كالتالى:

- ١-المحور الاول:الأوضاع السياسىة فى اليمن الجنوبى ١٩٤٥-١٩٦٧
- ٢- المحور الثانى:التعاون الامريكى-السعودى لمواجهة انتشار الشيوعية فى اليمن الجنوبى ١٩٦٧-١٩٩٠.

المحور الأول

الأوضاع السياسىة فى اليمن الجنوبى ١٩٤٥-١٩٦٧

خضع اليمن الجنوبى للاحتلال البريطانى من عام ١٨٣٩ و اجبرت بريطانيا سلطان لحج على توقيع معاهدة صداقة مع شركة الهند الشرقىة فى ١٨ حزيران ١٨٣٩ تحولت هذه

المعاهدة تدريجيا الى معاهدة حماية(١) واستمرت بريطانيا بعقد معاهدات الحماية من عام ١٨٣٩ حتى عام ١٩١٤ تمكنت خلالها من فرض سيطرتها على جميع اليمن الجنوبي(٢) و مع قيام الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨)،عقدت بريطانيا معاهدة في اذار ١٩١٤ مع الدولة العثمانية لفصل عدن ومحمياتها عن اليمن العثمانية (٣)

و مع انتهاء الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٨ و دخول الامام يحيى حميد الدين (٤)الى اليمن الشمالي واعترف به كوريث للادارة العثمانية و اعلانه عن نيته في توحيد جميع الاراضي العثمانية (٥) وبالفعل تمكنت قوات الامام يحيى من تحرير اجزاء واسعة من القسم الغربي من اليمن الشمالي ردت بريطانيا على هذه العمليات بالقصف المستمر من عام ١٩٢٨-١٩٣٤ على المدن المنتفضة (٦)

لذا اضطر الامام يحيى الى التوقيع على معاهدة صنعاء مع بريطانيا في ١١ شباط ١٩٣٤ التي نصت على انسحاب قوات الامام يحيى من المناطق الحدودية ، و الابقاء على الوضع الراهن في المحميات الجنوبية لمدة ٤٠ عاما ، و اعتراف بريطانيا بالامام يحيى ملكا على اليمن (١)وفي الاول من نيسان ١٩٣٧ تحولت عدن الى مستعمرة تابعة للتاج البريطاني و تدار من الحاكم البريطاني المقيم فيها (٢) فضلا عن قيام السلطات البريطانية بتقسيم الامارات الجنوبية الى محمية عدن الغربية و محمية عدن الشرقية ،مع الابقاء على عدن كعاصمة ادارية و اقتصادية ، واستحدثت بريطانيا نظام تشريعي في عدن يتألف من مجلسين وهو المجلس التنفيذي الذي يرأسه الحاكم البريطاني ، و المجلس التشريعي الذي يتألف من ١٦ عضوا (٣)

وفي عام ١٩٣٨ وقعت بريطانيا معاهدة الاستشارة مع سلطان القعيطي في امارة حضرموت وفرض هذا النوع من المعاهدات على الامارات الاخرى التي بلغ عددها ١٣ معاهدة وبموجب هذه المعاهدات تولى المستشارين البريطانيين السلطة الكاملة في جنوب اليمن ،وتولى الامراء امور الدين و الفقه فقط (٤)

و مع اندلاع الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، حاولت بريطانيا كسب ود اليمن لاسيما بعد دخول ايطاليا الحرب عام ١٩٤٠ وخشيتها من قيام ايطاليا باستخدام ميناء عدن لشن العمليات الحربية ضد القوات البريطانية(٥)

لذا تضاعفت اهمية عدن الاستراتيجية في السياسة البريطانية اثناء الحرب و بعدها بسبب موقعها الذي يربط بين اوربا و الشرق الاقصى (٦)، وفقدان بريطانيا للكثير من قواعدها في الشرق الاقصى وجنوب اسيا بعد الحرب العالمية الثانية ومنها الهند التي استقلت عام ١٩٤٧ وتقسيم شبه القارة الهندية (١)

ثم جاء الانسحاب البريطاني من اليونان و خروجها من فلسطين عام ١٩٤٨ وتسليم دورها الى الولايات المتحدة الامريكية رغبت بريطانيا بالاحتفاظ ببعض القواعد المهمة ومنها عدن و سنغافورة (٢) لذلك فكرت بريطانيا في انشاء اتحاد فيدرالي

تضم فيه جميع المستعمرات الخاضعة لها مع احتفاظها بحكمها الذاتي (٣) وقد واجه هذا القرار معارضة شديدة ضد بريطانيا خاصة من اليمن الشمالي كون هذا المشروع يعارض بنود معاهدة صنعاء لعام ١٩٣٤، و احتجت الجامعة العربية على القرار وتحولت القضية الى مجلس الامن (٤)

ومن اجل امتصاص نقمة الجماهير العربية اعلنت بريطانيا في نيسان ١٩٥٥ بأن مشروع الاتحاد مجرد اقتراح، فهدأت الأوضاع غير ان هذا الهدوء لم يستمر طويلا بسبب رغبة بريطانيا في ضم الدول العربية لمشروع (حلف بغداد)(٥) لجعل هذه الدول العربية تخضع لأشرافها(٦)

وبعد فشل العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ رغبت بريطانيا بتعزيز سياستها الدفاعية في المنطقة وتم نقل المقر العام لقيادة الشرق الاوسط من قبرص الى عدن(٧)

وفي العام نفسه ١٩٥٦ تم التوقيع على ميثاق امن جدة(١) بين كل الرئيس جمال عبد الناصر (٢) و الملك سعود بن عبد العزيز(٣) و الامام احمد بن يحيى حميد الدين (٤) لأتخاذ التدابير الدفاعية في حالة تعرض هذه البلدان للخطر، ثم جاءت ثورة ١٩٥٨ في العراق(٥) و ما رافقها من انتشار الأفكار القومية العربية الذي كان لها تأثير كبير على

اليمن الجنوبي(٦) لذلك تعجلت بريطانيا بتكوين الاتحاد الفيدرالي (٧)لرغبتها بالاحتفاظ بعدن بكل الوسائل خاصة بعد ان فقدت قواعدها في قناة السويس(١) لذا وفي ١١ شباط ١٩٥٩ اعلنت بريطانيا عن قيام اتحاد امارات الجنوب العربي ، واحتفظت لنفسها بمسؤولية الدفاع و السياسة الخارجية للاتحاد(٢) تبع اعلان قيام الاتحاد ، قيام السلطات البريطانية باعلان حالة الطوارئ وسن قانون الصحافة واغلقت العديد من الصحف الوطنية (٣)وفي بداية العام ١٩٦٠ تقدمت السلطات البريطانية بقانون يحد من الاضرابات في المستقبل، رد عمال عدن على هذا القانون بالاضراب في ١٥ اب ١٩٦٠ (٤)

وفي هذا الوقت تشكلت حركة القوميين العرب وبدأت بسلسلة من العمليات العسكرية والجهادية لتحرير عدن والامارات الجنوبية الاخرى (٥)

ومع قيام ثورة ايلول ١٩٦٢ (٦)في اليمن الشمالي وقيام ابناء الجنوب بنجدة الجمهوريين في الشمال ، ساندت بريطانيا الملكيين في الشمال بسبب تخوفها من امتداد الثورة الى الجنوب اليمني(٧) و اعترضت الجامعة العربية على المساعدات التي تقدمها بريطانيا للقوات الملكية في الشمال وطالبت بتصفية القواعد البريطانية العسكرية في اليمن(٨)

دفعت هذه التطورات وقيام الجمهورية في الشمال الحركة الوطنية في اليمن لتوحيد صفوفها ففي ٢٤ شباط ١٩٦٣ عقدت الجبهة القومية لتحرير اليمن الجنوبي مؤتمر لتشكل جبهة موحدة لأعلان الكفاح المسلح ضد بريطانيا وفي ١٩ اب ١٩٦٣ تم تشكيل الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل (١) واندلعت الانتفاضة في اب ١٩٦٣ التي كانت في البداية احتجاج ضد سياسة بريطانيا في تصفية استقلال بعض القبائل والحاقها بالقبائل المجاورة وفي ١٤ تشرين الاول ١٩٦٣ اندلعت الثورة في جبال ردفان التي يمكن اعتبارها البداية الفعلية للثورة اليمنية الجنوبية(٢)

نتيجة لذلك اعلنت بريطانيا عن عقد مؤتمر في لندن في اب ١٩٦٤ للوصول الى حل لتهدئة الاوضاع في اليمن الجنوبي غير ان المؤتمر فشل في التوصل الى حلول ترضي الطرفين(٣)

وفى ١٠ نيسان ١٩٦٤ وافقت لجنة تصفية الاستعمار التابعة للامم المتحدة على ازالة القواعد البريطانىة فى الجنوب المحتل غير ان بريطانيا مع الولايات المتحدة الامريكىة رفضتا القرار (٤)

وفى ٢٤ نيسان ١٩٦٤ زار عبد الناصر صنعاء (٥) واعلن فى مؤتمر شعبى انه يؤيد ثورة الجنوب اليمنى ضد بريطانيا (٦) ادت هذه التصريحات الى اندلاع اشتباكات مسلحة واستخدمت بريطانيا القنابل لفض الاشتباكات التى ادت الى مصرع الكثير من المتظاهرين (٧)

ولوضع حد للاشتباكات اصدرت بريطانيا قانون الطوارئ فى بداية العام ١٩٦٥ الذى حظرت بموجبه نشاط الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل واعتبرتها حركة ارهابية(٨)

لذلك كثف الثوار من هجماتهم وحدثت عمليات اغتيال واسعة استهدفت شخصيات يمنية ودبلوماسيين بريطانيين ردت بريطانيا على ذلك بفرض حظر التجوال فى عدن والغاء حكومة عدن وجعلت عدن تدار من قبل المندوب السامى البريطانى(٩) وعقدت بريطانيا مؤتمر لندن الثانى الذى فشل كسابقه فى التوصل الى حل(١٠)

وفى نيسان ١٩٦٦ تم الاعلان عن التوصل الى حب فى مفاوضات بيروت بخصوص عدن خاصة بعد اعلان بريطانيا عن نيتها الانسحاب من الخليج العربى فى موعد لايتجاوز عام ١٩٦٨(١)

وبعد الهجوم الصهيونى على مصر عام ١٩٦٧ ونكسة حزيران(٢) قامت على اثرها المظاهرات فى عدن وتوسعت الاشتباكات فى داخل عدن وخارجها(٣)

لذلك اعلن وزير الخارجية البريطانى جورج براون فى ٢ تشرين الثانى ١٩٦٧ فى مجلس العموم ، ان بريطانيا قررت منح الجنوب العربى الاستقلال فى النصف الثانى من تشرين الثانى ١٩٦٧(٤)

وفى ٣٠ تشرين الثانى ١٩٦٧ تم توقيع وثيقة الاستقلال بعد مفاوضات استمرت ثمانى ايام وبموجبها تم تسليم السلطات الى جمهورية جنوب اليمن الشعبىة واعلن انسحاب اخر جندى بريطانى من عدن(٥).

المبحث الثانى

التعاون الامريكى السعودى لمواجهة انتشار الشيوعية فى اليمن الجنوبى ١٩٦٧-١٩٩٠
منذ بداية عهد الاستقلال حصلت جمهورية اليمن الجنوبىة الشعبىة على اهتمام القوى العظمى انذاك الولايات المتحدة الامريكىة و الاتحاد السوفيتى ، الذى اعترف بالجمهورية الجديدة فى ٣ كانون الاول ١٩٦٧ اي بعد ثلاثة ايام من استقلالها(١)
بينما اعترفت الولايات المتحدة الامريكىة بجمهورية اليمن الجنوبىة الشعبىة فى ٧ كانون الاول ١٩٦٧(٢) ومع بداية استقلالها استعانت جمهورية اليمن الجنوبىة الشعبىة بالخبراء السوفيت لتدريب قواتها العسكرية لاسيما بعد طرد الخبراء البريطانيين(٣) كما استعانت بخبراء من كوبا و المانيا الشرقىة لتدريب القوات الشعبىة بأيعاز من الاتحاد السوفيتى، كما ساهم الاتحاد السوفيتى فى اقامة المزارع الحكومىة وانشاء السدود فى جمهورية اليمن الجنوبىة الشعبىة(٤)

نتيجة لذلك وقفت الولايات المتحدة الامريكىة موقف عدائى ضد جمهورية اليمن الجنوبىة الشعبىة وقامت بتقديم المساعدات للمعارضة فيها عام ١٩٦٨ ، ووجهت وزارة الخارجية اليمنية الجنوبىة الشعبىة اتهاما للولايات المتحدة الامريكىة بتقديم الاسلحة للحركات المناوئة(٥) اما المملكة العربىة السعودىة فلم تعترف بقيام الجمهورية الجديدة بسبب اختلاف السياسة بين الدولتين فجمهورية اليمن الجنوبىة الشعبىة انتهجت سياسة اشتراكىة متطرفة فضلا عن ان المملكة العربىة السعودىة كانت تحتفظ بعلاقات جيدة مع المعسكر الغربى وتعتبر نفسها مسؤولة عن استقرار الاوضاع فى الخليج العربى وشبه الجزيرة العربىة لذلك اتسمت العلاقات بين البلدين بالتوتر وانعدام الثقة(١) لذلك عندما اندلعت الثورة فى حضرموت فى ايار ١٩٦٨ من قبل الجناح اليسارى للجبهة القومىة بزعامة عبد الفتاح اسماعيل(٢) ضد الرئيس قحطان الشعبى قدمت المملكة العربىة السعودىة مساعدات للثورة

وارسلت المرتزقة (٣) مما ادى الى نشوب نزاع حدودى بين الطرفين فى تشرين الثانى ١٩٦٩ بسبب ادعاء كل من الطرفين بمنطقة وديعة كجزء من اراضيه (٤) ووقعت اشتباكات بين الطرفين مما دفع المملكة العربية السعودية الى طلب المساعدة من القوات الامريكىة و البريطانىة الامر الذى ساهم بتحقيق النصر لها على حساب جمهورىة اليمن الجنوبىة الشعبىة (٥)

ادت هزيمة حرب الوديعة الى اندلاع العديد من الانتفاضات التى دفعت الجبهة القومىة الى عزل قحطان الشعبى بحجة تصفىة الشيوعىين فى ٢٣ حزيران ١٩٦٩ ووضع البلاد تحت حكم مجلس رئاسى مؤلف من ثلاثة اشخاص يرأسه سالم ربيع على (٦) وعبد الفتاح اسماعيل امينا للجبهة القومىة ومحمد على هيثم (٧) رئيسا للوزراء ثم حل محله على ناصر محمد (٨)

وبموجب دستور عام ١٩٧٠ تم تغيير اسم البلاد من جمهورىة اليمن الجنوبىة الشعبىة الى جمهورىة اليمن الديمقراطىة الشعبىة وزادت سيطرة العناصر الشيوعية (١) فى هذا الوقت اردات الولايات المتحدة الامريكىة ملء الفراغ الذى احده الانسحاب البريطانى من الخليج العربى عام ١٩٦٨ ، لكن ليس بوجود امريكى مباشر انما بالاعتماد على ايران و المملكة العربية السعودية فى البداية (٢)

لذا وقع اختيار الولايات المتحدة الامريكىة على ايران لكونها مهياة اكثر من المملكة العربية السعودية وتستطيع حماية جميع امارات الخليج العربى بما فيها السعودىة (٣)

وفى هذا الوقت وتحديدا عام ١٩٧٣ وبعد اندلاع الحرب العربية الصهيونىة رغبت جمهورىة اليمن الديمقراطىة الشعبىة فى تحسين علاقاتها مع دول الجزيرة العربية والتخلص من عزلتها ، وحاولت المملكة العربية السعودية احتواء جمهورىة اليمن الديمقراطىة الشعبىة واشترطت مقابل الاعتراف بها كدولة مستقلة ان تخفف من اندفاعها تجاه الاتحاد السوفيتى (٤) غير ان حصول جمهورىة اليمن الديمقراطىة الشعبىة على مساعدات مالية واقتصادىة والزيارات المتبادلة بينها وبين الاتحاد السوفيتى من عام ١٩٧١ حتى عام ١٩٧٦ (٥) اثرت على موقف المملكة العربية السعودية من قيام التبادل الدبلوماسى مع

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ومنعتها من اقامة علاقات دبلوماسية معها حتى اذار ١٩٧٦ وبوساطة كويتية تم اقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين وتبادل التمثيل الدبلوماسى (٦)

لم تستمر تحسن العلاقات طويلا ففي ٢٢ حزيران ١٩٧٨ اعدم الرئيس اليمنى الشمالى احمد الغشمى (١) واتهمت حكومة صنعاء بأن عدن تقف وراء حادثة الاغتيال هذه لذلك صدر قرار من الجامعة العربية الى مقاطعة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية مما دفعها الى توثيق علاقاتها مع الاتحاد السوفيتى (٢) وتوج هذا التقارب بعقد معاهدة تحالف بين الجانبين فى ٢٥ تشرين الاول ١٩٧٩ (٣)

كما تعرضت المملكة العربية السعودية الى هجمات من جماعات مدعومة من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية فى اواخر عام ١٩٧٩ التى قامت بالهجوم على المسجد الحرام ومكة المكرمة واستولت عليها (٤) كذلك تقرب الرئيس اليمنى الشمالى على عبد الله صالح (٥) من حكومة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية الذى طلبت منه اقالة المستشارين السعوديين واستقدام مستشارين سوفيت (٦) فضلا عن عقده صفقة للأسلحة مع الاتحاد السوفيتى (٧)

لذا واستجابة لتلك التطورات وخوفها من تعرض مصادرها النفطية للخطر قامت الولايات المتحدة الامريكى الى انشاء ما يعرف بقوة التدخل السريع فى الخليج العربى لتأمين وصول الامدادات النفطية اليها وعقد صفقة تسليح مع المملكة العربية السعودية وتزويدها بطائرات F 15 (٨) واتهمت وكالة المخابرات المركزية بتقرير صدر عنها عام ١٩٨٢ حكومة اليمن الديمقراطية الشعبية بتوفير المعسكرات لتدريب الجماعات الارهابية الدولية وتعاونت مع المملكة العربية السعودية لأرسال العناصر للقيام بالعمليات التخريبية فى اليمن الديمقراطية الشعبية (١) مع ذلك بدأت الاوضاع بالتحسن مع الولايات المتحدة الامريكى مع بدأ مباحثات الوحدة بين جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية و جمهورية اليمن الشمالية عام ١٩٨٣ غير ان المباحثات توقفت بسبب احداث عام ١٩٨٦ فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (٢)

وقد خشيت الولايات المتحدة الامريكىة على مصادرها النفطية خشية تعرضها الى هجوم من قبل جماعات مدعومة من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية لذا بدأت الولايات المتحدة الامريكىة فى تقديم المساعدات للعصابات المناهضة للشيوعية والعمل على ايجاد جماعات اذا وجب الأمر(٣) اما المملكة العربية السعودية فقد دعت الى ايقاف القتال واللجوء للحل السلمى(٤)

بدأت الاوضاع بالتحسن مع بداية العام ١٩٨٨ واستأنفت مباحثات الوحدة (٥) التى انتهت بالتوقيع على اتفاق عدن التاريخى (اتفاق الوحدة) فى ٣٠ تشرين الثانى ١٩٨٩(٦) عارضت المملكة العربية السعودية الوحدة كونها ترغب فى ترسيم الحدود مع كل من صنعاء و عدن على حدة ومارست ضغوطا على الشركات الفرنسية المنقبة عن النفط فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية لوقف اعمالها(٧) كما دعى زعماء الدين المؤيدين للمملكة العربية السعودية الى الوقوف ضد الوحدة واطلقوا تصريحات عديدة رفضوا فيها الوحدة بسبب تخوفهم من انتشار الشيوعية من الجنوب الى الشمال(٨) اما الولايات المتحدة الامريكىة فقد رحبت بالوحدة اليمنية وتم اعلان قيام الجمهورية اليمنية فى ٢٢ ايار ١٩٩٠(١).

الخاتمة واهم الاستنتاجات

بعد دراسة اوضاع اليمن السياسية ومعرفة التعاون الامريكى -السعودى توصل البحث الى استنتاجات تمثلت فى

- ١- خضع اليمن الجنوبى للاحتلال البريطانى من عام ١٨٣٩ وفرضت عليه مجموعة من معاهدات الحماية التى تبذل اسمها الى معاهدات استشارة ولم يتمكن من الحصول على استقلاله الا بعد ثورة مسلحة انتهت الوجود البريطانى فيه عام ١٩٦٧
- ٢- بعد الاستقلال حصل اليمن الجنوبى الذى اصبح يعرف بجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية على اهتمام القوى العظمى انذاك الولايات المتحدة الامريكىة و الاتحاد السوفيتى

٣-تقربت جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية من الاتحاد السوفيتى وحصلت منه على مساعدات اقتصادية وعسكرية ادت بالتدرج الى التغلغل الشيوعى فيها وتوثيق العلاقات مع الاتحاد السوفيتى

٤-ادى تقرب جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية من الاتحاد السوفيتى الى اثاره كل من الولايات المتحدة الامريكىة التى كانت تريد ابعاد النفوذ السوفيتى عن الخليج العربى ومصادرها النفطية والمملكة العربية السعودىة التى كانت ترى فى الشيوعية والاتحاد السوفيتى عدو لها بحكم زعامتها للعالم الاسلامى كذلك علاقاتها القوية بالولايات المتحدة الامريكىة

٥-دعمت الولايات المتحدة الامريكىة والمملكة العربية السعودىة المعارضة داخل جمهورية اليمن الجنوبية الديمقراطىة الشعبية وقدمت المساعدات لها

٦-ادى التدخل الخارجى فى جمهورية اليمن الديمقراطىة الشعبية الى اندلاع حرب اهلىة فى كانون الثانى عام ١٩٨٦ ودخلت البلاد فى دوامة من الصراعات لم تنتهى حتى بدأ مباحثات الوحدة مع اليمن الشمالى

٧-مع اعلان الوحدة اليمنية عارضت المملكة العربية السعودىة بشدة الوحدة بسبب رغبتها فى ترسيم الحدود مع كل من صنعاء و عدن على حدا كما خشيت من انتشار الشيوعية من الجنوب الى الشمال وبالتالي وصول التيارات الشيوعية الى المملكة العربية السعودىة واستمرت التدخلات السعودىة فى الوضع الداخلى لجمهورية اليمن

٨-رحبت الولايات المتحدة الامريكىة بالوحدة اليمنية وتم اعلان قيام الجمهورية اليمنية فى

٢٢ ايار ١٩٩٠

قائمة المصادر

الوثائق المشورة

- 1- Fco,1489,10,Border Between Saudi Arabia and South Yemen,6 october,1970
- 2- F .R.U.S .vol, xvlll,middle East Region,washington, Janu, 1980
- 3- F .R.U.S .vol, xvlll,middle East Region,washington, march, 1980

المذكرات الشخصية

- 1- عبد المنعم خليل،مذكرات عبد المنعم خليل (حروب مصر المعاصرة)،الكرمة،القاهرة،٢٠١٦
- 2-مذكرات الشيخ عبد الله بن حسين الاحمر، قضايا و مواقف، ط ٢، دار الكتب اليمنية، صنعاء ، ٢٠٠٨
- 3-مذكرات الرئيس نيكسون،الحرب الحقيقية،ترجمة سهيل زكار،دار حسان،دمشق ١٩٨٣،

الاطاريح و الرسائل الجامعية

- 1-اياد ترکان ابراهيم الدليمي ، النشاط السوفيتي تجاه شطري اليمن و الموقف العربي و الدولي منه (١٩٦٢-١٩٧٩)، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية _ جامعة ديالى ، ٢٠٠٦
- 2-خلف راجح المالكي، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، الخصائص الجيوبوليتيكية للموقع الجغرافي واثرها في علاقاتها الدولية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية _ جامعة البصرة ، ١٩٨٩
- 3-داود سلمان عبد علو،العلاقات السعودية اليمنية (١٩٩٠-٢٠٠٠)، رسالة ماجستير غير منشورة،المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية-الجامعة المستنصرية،٢٠٠٦

التعاون الامريكى -السعودى لمواجهة انتشار الشيوعية فى اليمن الجنوبى

١٩٩٥-١٩٩٥

٤-سعد جاسم محمد التميمى، السياسة الامريكىة تجاه جمهورىة اليمن الديمقراطىة الشعبىة ١٩٦٧-١٩٩٥، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الانسانىة _جامعة البصرة، ٢٠١٩

٥-سمىرة اسماعىل جاسم الحسون، العلاقات المصرىة _ السعودىة ١٩٦٤-١٩٧٥، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب _ جامعة البصرة، ٢٠٠٨

٦-شروق سعود عبد الخنجر، علاقات جمهورىة اليمن الديمقراطىة الشعبىة بالاتحاد السوفىتى ١٩٦٧-١٩٨٦، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانىة _ جامعة البصرة، ٢٠٢١

٧-صادق جابر على، الموقف العربى و الدولى من ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ فى العراق، أطروحة دكتوراه غير منشورة، المعهد العالى للدراسات السياسىة و الدولىة _ الجامعة المستنصرىة، ٢٠٠٥

٨-طرفى هاجر، سياسة جمال عبد الناصر تجاه القضاىا العربىة ١٩٥٤-١٩٧٥، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانىة و الاجتماعىة _ جامعة محمد بوضىاف، ٢٠١٩

٩-لمى عباس محمد، العلاقات السياسىة المصرىة _ السعودىة (١٩٥٨-١٩٧٥)، دراسة تاريخىة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب _ جامعة الكوفة، ٢٠١٠

الكتب باللغة العربىة

١-ابراهيم خلف العبىدى، الحركة الوطنىة فى الجنوب اليمنى (١٩٤٥-١٩٦٧)، بغداد، ١٩٧٩

٢-امىن سعىد، تاريخ الدولة السعودىة عهد سعود بن عبد العزىز، ج٣، ط١، دار الكاتب العربى، بىروت ١٩٦٤

٣-جاد طه، سياسة برىطانىا فى جنوب اليمن، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٩

التعاون الامريكى -السعودي لمواجهة انتشار الشيوعية في اليمن الجنوبي

١٩٩٥-١٩٩٠

- ٤-رياض نجيب الرئيس، رياح الجنوب ، اليمن و دوره في الجزيرة العربية ١٩٩٠-
١٩٩٧، ط ١، رياض الرئيس للكتب، بيروت، ١٩٩٨
- ٥-سعيد احمد الجناحي،الحركة الوطنية اليمنية من الثورة الى الوحدة،ط ١،مركز الامل
للدراسات و النشر،عدن،١٩٩٢
- ٦-: سلطان ناجي ، التاريخ العسكري لليمن ١٨٣٩-١٩٦٧، ط ٢، دار العودة،
بيروت، ١٩٨٨
- ٧-سيد مصطفى سالم ،تكوين اليمن الحديث(اليمن و الامام يحيى) ١٩٠٤-١٩٤٨،ط
٤،دار الأمين للنشر والتوزيع،القاهرة،١٩٩٣
- ٨-عبد الله بن احمد الثور، الجنوب اليمني من الاحتلال الى الاستقلال الى الوحدة، ط
١، مطبعة المدني، القاهرة ، ١٩٨٦
- ٩-علي الصراف ،اليمن الجنوبي الحياة السياسية من الاستعمار الى الوحدة،ط ١،مكتبة
رياض الرئيس للكتب و النشر،لندن،١٩٩٢
- ١٠- فاروق عثمان اباطة ،بريطانيا و الحركة الوطنية في الشطر الجنوبي من اليمن
١٩٣٩-١٩٦٧
- ١١- قحطان محمد الشعبي،الاستعمار البريطاني و معركتنا العربية في جنوب
اليمن،دار النصر، القاهرة،د.ت
- ١٢- محمد جمال باروت،حركة القوميين العرب ،النشأة التطور المصائر،ط ١،المركز
العربي للدراسات الاستراتيجية ،دمشق،١٩٩٧
- ١٣- محمد حسن العيدروس،دراسات في الخليج العربي والجزيرة العربية ،دار الكتاب
الحديث،القاهرة،٢٠٠٨
- ١٤ محمد كمال عبد الحميد ،الاستعمار البريطاني في جنوب الجزيرة العربية ،ط
٢،المكتبة التاريخية اليمنية، صنعاء،د.ت
- ١٥ نجيب سعيد ابو عز الدين،الامارات اليمنية الجنوبية ،١٩٣٧-١٩٤٧،ط ١،دار
الباحث،بيروت،١٩٨٩

١٦- نصره عبد الله البستكى، امن الخليج من عزو الكويت الى غزو العراق ،ط

١،المؤسسة العربيه للدراسات و النشر، بيروت، ٢٠٠٣

الكتب العربيه

١-فالكوفاء، السياسه الاستعماريه فى جنوب اليمن، ترجمه عمر الجاوي، ط ١، المكتبه

التاريخيه اليمنيه ، صنعاء، د.ت

٢-فيتالى ناؤومكين، الجبهه القوميه فى الكفاح من اجل استقلال اليمن الجنوبيه و

الديمقراطيه الوطنيه ، ترجمه سليم توما، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٤

٣-مجموعه مؤلفين سوفيت،تاريخ الاقطار العربيه المعاصر ١٩١٧-١٩٧٠،ترجمه

سليم توما ، اكاديميه العلوم فى الاتحاد السوفيتي ،معهد الاستشراق،موسكو،دار

التقدم، د.ت

٤-محمد عمر الحبشى،اليمن الجنوبى سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا منذ ١٩٣٧ حتى

قيام جمهوريه اليمن الجنوبيه الشعبيه،ترجمه خليل احمد خليل،دار الطليعه

،بيروت،د.ت

البحوث المنشوره

١- اسحق عزيز فريج،الولايات المتحده الامريكيه و اتفاقيتا كامب ديفيد فى وضوء وثائق

وكاله المخابرات المركزيه الامريكيه،١٩٧٧-١٩٧٨، مجله المؤرخ

المصري،٥٧٤، ج ١،القاهره،٢٠٢٠

٢- ثابت صالح اليزيدي و علي محمد باسعد،العلاقات اليمنيه البريطانيه بعد احداث

١٩٢٨ وحتى معاهده صنعاء ١٩٣٤،مجله الاندلس للعلوم الانسانيه و الاجتماعيه-

جامعه الاندلس ، ع ٢،مج ٧ ، ٢٠١٤

٣-سمير محمد العبدلي،الوحده اليمنيه و النظام الإقليمي العربى، ط ٢، مركز الدراسات

و البحوث اليمنى، صنعاء، ٢٠١٠

٤-صالح عباس ناصر الطائي ، انسحاب العراق من حلف بغداد ١٩٥٩ ، دراسه تحليليه

لجريده الثوره البغداديه ، مجله جامعه بابل للعلوم الإنسانيه ، ع ٧، مج ٢٧ ، ٢٠١٩

٥- عليه عبد الحسين سيد، اثر استقلال الهند و باكستان على اقليم البنغال و موقف الولايات المتحدة الامريكية منه عام ١٩٤٧ ،مجلة ابحات ميسان ،ع ١٨، مج ٩، ميسان ،٢٠١٣

الموسوعات

- ١- الموسوعة اليمنية، ج١، ط ٢، مؤسسة عفيف الثقافية، صنعاء، ٢٠٠٣
- ٢- الموسوعة اليمنية، ج٢، ط ٢، مؤسسة عفيف الثقافية، صنعاء، ٢٠٠٣
- ٣- الموسوعة اليمنية، ج٣، ط ٢، مؤسسة عفيف الثقافية، صنعاء، ٢٠٠٣
- ٤- الموسوعة اليمنية، ج٤، ط ٢، مؤسسة عفيف الثقافية، صنعاء، ٢٠٠٣

الصحف

- ١- الاهرام، ع ٢٨٢٤٥، ١٠ نيسان ١٩٦٤
- ٢- الاهرام ،ع ٢٨٢٥٩، نيسان ١٩٦٤
- ٣- الاهرام ،ع ٢٨٢٦٠، نيسان ١٩٦٤
- ٤- الاهرام، ع ٢٨٢٦١، ١٩٦٤
- ٥- الاهرام، ع ٢٨٥١٦، كانون الثانى ١٩٦٥
- ٦- الاهرام ، ع ٢٩٥٧٤، تشرين الثانى ١٩٦٧
- ٧- الاخبار، ع ٤٢١٤٢، كانون الثانى ١٩٦٦

شبكة المعلومات الدولية (Internet)

1- WWW.Wikipedia.org

الهوامش:

- ١- علي الصراف ،اليمن الجنوبى الحياة السياسية من الاستعمار الى الوحدة،ط ١،مكتبة رياض الرئيس للكتب و النشر،لندن،١٩٩٢،ص ٣١
- ٢- محمد عمر الحبشى،اليمن الجنوبى سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا منذ ١٩٣٧ حتى قيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية،ترجمة خليل احمد خليل،دار الطليعة ،بيروت،د.ت، ص ص ١٧-١٩
- ٣- علي الصراف،المصدر السابق،ص٣٧
- ٤- يحيى حميد الدين (١٨٦٩-١٩٤٨)،هو يحيى بن الامام منصور بن الامام حميد الدين ،مؤسس الدولة اليمنية الحديثة ،ولد فى صنعاء عام ١٨٦٩ ،ببيع اماما لليمن عام ١٩٠٤ ،حكم اليمن حكما فرديا مطلقا واتبع سياسة العزلة عن العالم الخارجى حتى اغتياله عام ١٩٤٨ ،للمزيد ينظر:سيد مصطفى سالم ،تكوين اليمن الحديث (اليمن و الامام يحيى) (١٩٠٤-١٩٤٨،ط ٤،دار الأمين للنشر والتوزيع،القاهرة،١٩٩٣
- ٥- مجموعة مؤلفين سوفيين،تاريخ الاقطار العربية المعاصر ١٩١٧-١٩٧٠ ،ترجمة سليم توما ،اكاديمية العلوم فى الاتحاد السوفيتى ،معهد الاستشراق،موسكو،دار التقدم، د.ت، ص ص ٥٦٥-٥٦٦
- ٦- المصدر نفسه ،ص ٥٦٦.
- ٧- ثابت صالح اليزيدى و علي محمد باسعد،العلاقات اليمنية البريطانية بعد احداث ١٩٢٨ وحتى معاهدة صنعاء ١٩٣٤،مجلة الاندلس للعلوم الانسانية و الاجتماعية-جامعة الاندلس ،ع ٢،مج ٧ ، ٢٠١٤ ،ص ١٩
- ٨- محمد عمر الحبشى ،المصدر السابق،ص٢٦
- ٩- علي الصراف،المصدر السابق،ص ص ٤١-٤٣
- ١٠- مجموعة مؤلفين سوفيين،تاريخ الاقطار العربية المعاصر،ص ٥٦٧

التعاون الأمريكي -السعودي لمواجهة انتشار الشيوعية في اليمن الجنوبي

١٩٩٥-١٩٩٥

- ١١- محمد كمال عبد الحميد ،الاستعمار البريطاني في جنوب الجزيرة العربية ،ط ٢،المكتبة التاريخية اليمنية، صنعاء،د.ت،ص ٢٦
- ١٢- فاروق عثمان اباطة ،بريطانيا و الحركة الوطنية في الشطر الجنوبي من اليمن ١٩٣٩-١٩٦٧،د.ن،د.م،١٩٨٨،ص ١٣
- ١٣- عليه عبد الحسين سيد،اثر استقلال الهند و باكستان على اقليم البنغال و موقف الولايات المتحدة الامريكية منه عام ١٩٤٧ ،مجلة اباحث ميسان ،ع ١٨ ،مج ٩ ،ميسان ،٢٠١٣،ص ٥
- ١٤- فاروق عثمان اباطة،المصدر السابق،ص ١٤
- ١٥- نجيب سعيد ابو عز الدين،الامارات اليمنية الجنوبية ،١٩٣٧-١٩٤٧،ط ١،دار الباحث،بيروت،١٩٨٩،ص ١٠٠
- ١٦- محمد عمر الحبشي،المصدر السابق،ص ٥٥
- ١٧- حلف بغداد(حلف الدفاع عن الشرق الاوسط) عقد هذا الحلف في ٢٤ شباط ١٩٥٥ وضم كل من العراق وتركيا وبريطانيا و إيران وباكستان اما الولايات المتحدة الامريكية فقد شجعت الحلف الا انها لم تتضمن اليه ، ونص ميثاق الحلف على تعاون الدول ضد الخطر السوفيتي ، للمزيد ينظر: صالح عباس ناصر الطائي ، انسحاب العراق من حلف بغداد ١٩٥٩ ، دراسة تحليلية لجريدة الثورة البغدادية ، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية ، ع ٧ ،مج ٢٧ ، ٢٠١٩ ، ص ص ٢٥٢-٢٦٣
- ١٨- محمد عمر الحبشي ، المصدر السابق، ص ص ٥٥-٥٦
- ١٩- علي الصراف ، المصدر السابق، ص ص ٤٧-٤٨
- ٢٠- ميثاق امن جدة: ميثاق عقد في ٢١ نيسان ١٩٥٦ بين كل من السعودية و مصر واليمن ثم انضمت الاردن للميثاق عام ١٩٥٨،ونص على الدفاع المشترك عن الدول المنضمة لهذا الميثاق ، و اتخاذ التدابير الوقائية و الدفاعية في حالة

- الحرب. للمزيد ينظر: امين سعيد ، تاريخ الدولة السعودية عهد سعود بن عبد العزيز ، ج٣، ط١، دار الكاتب العربى ، بيروت، ١٩٦٤، ص ص١٣٩-١٤٤
- ٢١- جمال عبد الناصر (١٩١٨-) رئيس مصر ، تولى الحكم فى مصر عام ١٩٥٦ واتبع النظام الاشتراكى فى حكم مصر ومن اهم انجازاته ، تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ ، ووضع حجر الاساس لبناء السد العالى ، توفي عام ١٩٧٠، طرفى هاجر، سياسة جمال عبد الناصر تجاه القضايا العربية ١٩٥٤-١٩٧٠، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية _ جامعة محمد بوضياف، ٢٠١٩، ص ص ٢١-٢٤
- ٢٢- سعود بن عبد العزيز (١٩٠٢-١٩٦٩)، الملك الثانى للدولة السعودية الثالثة ، تولى الحكم عام ١٩٥٣ عقب وفاة والده الملك عبد العزيز بن سعود ، استمر فى الحكم حتى تم عزله وتتنصيب اخيه الملك فيصل عام ١٩٦٤. لى عباس محمد ، العلاقات السياسية المصرية _ السعودية (١٩٥٨-١٩٧٠)، دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب _ جامعة الكوفة ، ٢٠١٠، ص ١٨
- ٢٣- الامام احمد : (١٨٩٥-١٩٦٢)، احمد بن يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين ، ملك اليمن تولى الامامة فى اليمن عقب اغتيال والده الامام يحيى عام ١٩٤٨ ، سار على سياسة العزلة الا انه دخل فى تحالفات خارجية ، واجه حكمه انقلاب عام ١٩٥٥ الا انه فشل بعد ثلاثة ايام توفي عام ١٩٦٢. الموسوعة اليمنية، ج ٢، ط ٢، مؤسسة عفيف الثقافية ، صنعاء، ٢٠٠٣ ص ص ١٢٠٨-١٢١٠
- ٢٤- فى ١٤ تموز ١٩٥٨ اندلعت الثورة التى قام بها تنظيم الضباط الاحرار واعلنت سقوط النظام الملكى وقيام الجمهورية فى العراق. للمزيد ينظر: صادق جابر على، الموقف العربى و الدولى من ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ فى العراق ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، المعهد العالى للدراسات السياسية و الدولية _ الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٥، ص ص ٣٩-٤٣
- ٢٥- علي الصراف، المصدر السابق، ص ٥١

- ٢٦- نجيب سعيد ابو عز الدين، المصدر السابق، ص ص ١١٠-١١٢
- ٢٧- فالكوفا، السياسة الاستعمارية فى جنوب اليمن، ترجمة عمر الجاوى، ط ١، المكتبة التاريخية اليمنية ، صنعاء، د.ت، ص ٧
- ٢٨- فيتالى ناؤومكين، الجبهة القومية فى الكفاح من اجل استقلال اليمن الجنوبية و الديمقراطية الوطنية ، ترجمة سليم توما، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٤، ص ١٥
- ٢٩- قحطان محمد الشعبى، الاستعمار البريطانى و معركتنا العربية فى جنوب اليمن، دار النصر، القاهرة، د.ت، ص ١٤٠
- ٣٠- جاد طه، سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٣٦٣
- ٣١- محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب ،النشأة التطور المصائر، ط ١، المركز العربى للدراسات الاستراتيجية ،دمشق، ١٩٩٧، ص ٣٥٦
- ٣٢- ثورة قامت فى ٢٦ ايلول ١٩٦٢ فى اليمن الشمالى ، على يد عبد الله السلال التى اعلنت سقوط النظام الملكى و قيام الجمهورية ، للمزيد حول الثورة ينظر : سلطان ناجى ، التاريخ العسكرى لليمن ١٨٣٩-١٩٦٧، ط ٢، دار العودة، بيروت، ١٩٨٨
- ٣٣- فالكوفا، المصدر السابق، ص ٧
- ٣٤- ابراهيم خلف العبيدى، الحركة الوطنية فى الجنوب اليمنى (١٩٤٥-١٩٦٧)، بغداد، ١٩٧٩، ص ٢٩٤
- ٣٥- محمد جمال باروت، المصدر السابق، ص ص ٣٥٢-٣٥٨
- ٣٦- نجيب سعيد ابو عز الدين ، المصدر السابق، ص ١٣٨
- ٣٧- الاهرام، ع ٢٨٢٤٥، ١٠ نيسان ١٩٦٤
- ٣٨- عبد الله بن احمد الثور، الجنوب اليمنى من الاحتلال الى الاستقلال الى الوحدة، ط ١، مطبعة المدني، القاهرة ، ١٩٨٦، ص ٢٨٨
- ٣٩- الاهرام، ع ٢٨٢٥٩، نيسان ١٩٦٤

- ٤٠- الاهرام ، ع ٢٨٢٦٠ ، نيسان ١٩٦٤
- ٤١- الاهرام ، ع ٢٨٢٦١ ، ١٩٦٤
- ٤٢- الاهرام ، ع ٢٨٥١٦ ، كانون الثانى ١٩٦٥
- ٤٣- عبد الله بن احمد الثور ، المصدر السابق ، ص ٣٨٨
- ٤٤- الاخبار ، ع ٤٢١٤٢ ، كانون الثانى ١٩٦٦
- ٤٥- عبد الله بن احمد الثور ، المصدر السابق ، ص ص ٢٩٧-٢٩٨
- ٤٦- حرب قامت بين القوات العربيه و القوات الصهيونية فى ٦ حزيران ١٩٦٧ بقيام سلاح الجو الاسرائيلى بقصف جميع مطارات الدلتا و الغردقة وانتهت فى ١٠ حزيران ١٩٦٧ بهزيمة الدول العربيه ، عبد المنعم خليل ، مذكرات عبد المنعم خليل (حروب مصر المعاصرة) ، الكرمة ، القاهرة ، ٢٠١٦ ، ص ص ١٤٥-١٦٥
- ٤٧- عبد الله بن احمد الثور ، المصدر السابق ، ص ص ٣٠٠-٣٠١
- ٤٨- سميرة اسماعيل جاسم الحسون ، العلاقات المصرية _ السعوديه ١٩٦٤-١٩٧٠ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب _ جامعة البصرة ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٢٢
- ٤٩- الاهرام ، ع ٢٩٥٧٤ ، تشرين الثانى ١٩٦٧
- ٥٠- اياد تركان ابراهيم الدليمي ، النشاط السوفيتى تجاه شطري اليمن و الموقف العربى و الدولى منه (١٩٦٢-١٩٧٩) ، رساله ماجستير غير منشورة ، كلية التربية _ جامعة ديالى ، ٢٠٠٦ ، ص ٧٦
- ٥١- مجموعه مؤلفين سوفيت ، المصدر السابق ، ص ص ٢٠٩-٢١٠
- ٥٢- خلف راجح المالكي ، جمهوريه اليمن الديمقراطيه الشعبيه ، الخصائص الجيوبوليتيكيه للموقع الجغرافى و اثرها فى علاقاتها الدوليه ، رساله ماجستير غير منشورة ، كلية التربية _ جامعة البصرة ، ١٩٨٩ ، ص ٥٣
- ٥٣- خلف راجح المالكي ، المصدر السابق ، ص ص ١٢٣-١٢٥
- ٥٤- مؤلفين سوفيت ، المصدر السابق ، ص ص ٢٠٩-٢١٠
- ٥٥- خلف راجح المالكي ، المصدر السابق ، ص ١٥٦

٥٦- عبد الفتاح اسماعيل(١٩٣٩-١٩٨٦)،سياسي يماني جنوبي،وبدأ حياته السياسية بانضمامه الى حركة القوميين العرب ،انتخب رئيسا لهيئة مجلس الشعب الاعلى عام ١٩٧٨،وادی دورا مهما في مباحثات الوحدة عام ١٩٧٩،اتهم بتدبير انقلاب ضد الرئيس علي ناصر محمد عام ١٩٨٦ .للمزيد ينظر:الموسوعة اليمنية ،ج،١، ط ٢، مؤسسة عفيف الثقافية،صنعاء،٢٠٠٣،ص ص ٣٠٩-٣١٨

٥٧- مجموعة مؤلفين سوفيت ، تاريخ اليمن ، المصدر السابق، ص ص٢١٨-٢١٩

٥٨- سعد جاسم محمد التميمي ،السياسة الامريكية تجاه جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ١٩٦٧-١٩٩٠، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية للعلوم الانسانية _جامعة البصرة،٢٠١٩، ص ص٧٠-٧٣

59- Fco,1489,10,Border Between Saudi Arabia and South Yemen,6 october,1970,p 3

٦٠- سالم ربيع علي،سياسي يماني جنوبي،انضم الى حركة القوميين العرب عام ١٩٥٩،انتخب لرئاسة المجلس المكون من ثلاثة اشخاص لحكم اليمن الجنوبي عام ١٩٦٩ وبقي في المنصب حتى اعدامه في عام ١٩٧٨،للمزيد ينظر،الموسوعة اليمنية،ج ٣، ط ٢، مؤسسة عفيف الثقافية،صنعاء،٢٠٠٣،ص ص ٢١٢١-٢١٢٣

٦١- محمد علي هيثم (١٩٤٠-١٩٩٣)،سياسي يماني جنوبي ،تولى منصب وزير الداخلية عام ١٩٦٧ ،اصبح عضوا في مجلس رئاسة الدولة عام ١٩٦٩ وبقي في المنصب حتى غادر الى القاهرة عام ١٩٧٢،وبعد الوحدة تولى منصب وزير التأمينات عام ١٩٩٣،للمزيد ينظر:الموسوعة اليمنية،ج ٤،ط ٢، مؤسسة عفيف الثقافية،صنعاء،٢٠٠٣،ص٣١٠٧

٦٢- علي ناصر محمد،سياسي يماني جنوبي ،شارك بالعمليات القتالية ضد الوجود البريطاني ،اصبح رئيسا للوزراء عام ١٩٧١،ثم رئيسا للجمهورية عام ١٩٨٠ حتى نفي من عدن عام ١٩٨٦.للمزيد ينظر،ايداد تركان ابراهيم،المصدر السابق،ص ٨٣

- ٦٣- اياد تركان ابراهيم ، المصدر السابق، ص ص ٨٢-١٠١
- ٦٤- مذكرات الرئيس نيكسون،الحرب الحقيقية،ترجمة سهيل زكار،دار حسان،دمشق
١٩٨٣،ص ٧٥
- ٦٥- محمد حسن العيدروس،دراسات في الخليج العربي والجزيرة العربية ،دار الكتاب
الحديث،القاهرة،٢٠٠٨،ص ٢٧٩
- ٦٦- شروق سعود عبد الخنجر، علاقات جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية بالاتحاد
السوفيتي ١٩٦٧-١٩٨٦، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية للعلوم
الإنسانية _ جامعة البصرة ،٢٠٢١، ص ص ١٦٦-١٧٣
- ٦٧- اياد تركان ابراهيم، المصدر السابق، ص ص ٩٨-١٠٦
- ٦٨- نصره عبد الله البستكي، امن الخليج من عزو الكويت الى غزو العراق ،ط
١،المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ٢٠٠٣،ص ٥٨
- ٦٩- احمد الغشمي،سياسي يماني ،عين رئيسا لهيئة الاركان العامة المسلحة عام
١٩٧٤،ثم رئيسا لليمن الشمالي حتى اغتياله عام ١٩٧٨،للمزيد ينظر،اياد تركان
ابراهيم،المصدر السابق،ص ٨٩
- ٧٠- اسحق عزيز فريخ،الولايات المتحدة الامريكية و اتفاقيتا كامب ديفيد في وضوء
وثائق وكالة المخابرات المركزية الامريكية ،١٩٧٧-١٩٧٨، مجلة المؤرخ
المصري،ع ٥٧،ج ١،القاهرة،٢٠٢٠، ص ص ٢٧٤-٢٩٧
- ٧١- اياد تركان ابراهيم ، المصدر السابق، ص ص ١٠٦-١٠٩
- ٧٢- مذكرات نيكسون، المصدر السابق، ص ٨١
- ٧٣- علي عبد الله صالح،اول رئيس للجمهورية اليمنية بعد توحيدها،تدرج في العدي من
المناصب العسكرية حتى تولى منصب قائد القوات المسلحة اليمنية عام
١٩٧٨،بقي في الحكم حتى تم عزله عام ٢٠١٢ WWW.Wikipedia.org.
- 6-F .R.U.S .vol, xviii,middle East Region,washington, Janu, 1980,
pp 885-887

7-F .R.U.S .vol, xvlll,middle East Region,washington, march,
1980

- ٧٤-٨-مذكرات نيكسون ، المصدر السابق ، ص ٧٦.
- ٧٥- سعد جاسم محمد التميمي ، المصدر السابق، ص ص ١٦٥-١٦٠.
- ٧٦- مذكرات الشيخ عبد الله بن حسين الاحمر، قضايا و مواقف، ط ٢، دار الكتب
اليمنية، صنعاء ، ٢٠٠٨، ص ص ٢٤٩-٢٥٠.
- ٧٧- سعد جاسم محمد التميمي ، المصدر السابق، ص ص ١٨١-١٩٠.
- ٧٨- داود سلمان عبد علو،العلاقات السعودية اليمنية (١٩٩٠-٢٠٠٠)، رسالة
ماجستير غير منشورة،المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية-الجامعة
المستصرية،٢٠٠٦، ص ص ٥٨-٥٩.
- ٧٩- سعيد احمد الجناحي ،الحركة الوطنية اليمنية من الثورة الى الوحدة،ط ١،مركز
الامل للدراسات و النشر،عدن،١٩٩٢، ص ٥٨٢.
- ٨٠- رياض نجيب الريس، رياح الجنوب ، اليمن و دوره في الجزيرة العربية ١٩٩٠-
١٩٩٧، ط ١، رياض الريس للكتب، بيروت، ١٩٩٨، ص ٨٨.
- ٨١- سمير محمد العبدلي، الوحدة اليمنية و النظام الإقليمي العربي، ط ٢، مركز
الدراسات و البحوث اليمني، صنعاء، ٢٠١٠، ص ٣٢٠.
- ٨٢- داود سلمان عبد علو، المصدر السابق، ص ٧٦.
- ٨٣- سعد جاسم محمد التميمي، ص ١٩٧.

ملاحح من سيرة بني أمية

Features of the biography of Bani Umayyah

علي خير الله خيون

أ.د. مثنى فليلف الفضلي

جامعة بغداد / كلية تربية ابن رشد للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

ali.khair2205m@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

٠٧٧٣٦٥٥٩٨٣٦

ملاح من سيرة بني أمية

علي خير الله خيون
أ.د. مثنى فليفل الفضلي

الملخص

يعد تاريخ بنو أمية من أكثر التواريخ المزيفة في التاريخ الإسلامي، فالقارئ لصفحات التاريخ يجد انهم وضعوا تاريخ يمجدهم ويزيف الحقائق التاريخية ويحرف فكل مفاصل العصر الاموي، ونتج من تاريخهم وسيرتهم رمزاً للطغيان والجبرون والتحريف لأحكام الله وسنة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا احد يجاريهم في ذلك، فكانت بدايتهم من معاوية بن أبي سفيان عام ٤١هـ/٦٦٠م وانتهت عند آخر حاكم أموي مروان بن محمد عام ١٣٢هـ/٧٤٩م، فكان لا بد من التحدث في ذلك لبيان الحقائق التاريخية فعرض هذا البحث سياسة الملاح المنافية للإسلام لأبنو أمية في الجوانب الاجتماعية، وشمل الانحراف السلوكي لبني أمية وعمالهم من خلال وسائل الأتس والطرب وشرب الخمر والزنا والتي انتهجها من حكم من بعدهم واستمر هذه البدع كعادات عند الحكام المسلمين اللاحقين، ولا زالت تنخر وتستم في المجتمع الإسلامي.

Summary

The history of Banu Umayyah is one of the most fake dates in Islamic history, as I was in order to glorify them and falsify historical facts and distortion in the Islamic call, and resulted from their history and biography a symbol of tyranny and algebra and distortion of the provisions of God and the Sunnah of the Prophet Muhammad, may God bless him and his family and grant him peace, and no one matches them in that, so their beginning was from Muawiyah bin Abi Sufyan in 41 AH and ended at the Social, and included the behavioral deviation of the Umayyads and their workers through the means of Anas and Tarab and drinking alcohol and adultery, which was pursued by the rule of those after them and continued these heresies as habits

of the subsequent Muslim rulers, and still gnaws and continues in the Islamic society.

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أما بعد.

يعرف التاريخ بأنه عبارة عن حقائق حصلت في الماضي وبقيت أجزاء منه مندثرة بين سطور الصفحات، ومن بين هذه الحقائق هو تاريخ بني أمية الذي حرف وكتب من أجل تمجيدهم وتلميع سيرهم لأغراض أما دينية أو سياسية، مبتعدين عن الحقيقة والأمانة التاريخية وبهذا الصدد تم كتابة جزء بسيط في البحث عن سيرتهم وانحرافاتهم عن الدين الإسلامي والشرع المقدس، وقسم البحث إلى ثلاث مباحث وضح **المبحث الأول وسائل الأُنس والطرب** التي كانت منتشرة في مجالس بني أمية وعمالهم مدى حبهم للهو وسماع المحرمات التي نهى الدين الإسلامي عنها، أما **المبحث الثاني سلط الضوء على مجالس الخمر** التي رافقت مجالس الأُنس والطرب، راجعين بذلك إلى العصر الجاهلي، وتحريفهم للقرآن الكريم من أجل شرعية شرب الخمر أمام الملأ في المجالس، **في حين أن المبحث الثالث تكلم عن الزنا لدى الأسرة الأموية**، التي رافقت بنو أمية منذ أيام الجاهلية حتى نهاية حكمهم، طامسين حرمتهم وعقوباته وآثاره على باقي العامة والخاصة، وفي البحث هذا سنوضح اهم سيرة بنو أمية في استحداثهم لوسائل الأُنس والطرب ومجالس الخمر وقيامهم بالزنا، واعتمد في توثيق هذه الوقائع والأحداث عن مجموعة من المصادر المهمة في التاريخ.

المبحث الأول

وسائل الأُنس والطرب

جاء الأُنس في اللغة بالضم وهو من إنسي الإنسان شقهُ الأيسر وهو ضد الوحشة، والاستئناس والأُنس والتأُنس واحد، وقد أنستُ بفلان وأنس الصوت أي سمعه، (الفراهيدي، العين، ٢٠٠٥م، ص ٤٤)، ومما لا شك فيه ان الغناء والطرب والرقص قد انتشر في العصر الاموي، نتيجة اقبال الخلفاء عليها وتشجيعهم لمجالس الغناء والطرب، فيذكر المؤرخون ان معاوية ويزيد ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان وهشام ومروان بن محمد لا يظهرون للندماء، حيث اتخذوا بينهم حجابا حتى لا يطلع الندماء والحاشية على ما يفعلونه، فيقوم الخليفة بالرقص واظهار الحركات مع الجواري تحت نشوة الطرب، (ابن الازرق، تاريخ الفاروقي، ١٣٧٩هـ، ص ٢١).

وكان معاوية بن ابي سفيان يستمع الى غناء بديح المغني، وكثرا ما كان يحضره الى مجالسه لسمع اغانيه، واصبح مجلسه لا يخلو منه يغنيه حتى اخذ معاوية يحرك يديه ورجليه، وقال له مره: "داو أذني من علتها"، (ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٤٠٧هـ، ج ٩ ص ٢١؛ الابشيهي، المستطرف، ١٤١٩هـ، ص ٣٩٥)، فيذكر ان معاوية بن ابي سفيان ذات ليلة سمع غناء عند ابنه يزيد فأعجبه، وفي الصباح قال له: "من كان ملهيك البارحة، فقال له يزيد: ذاك سائب خاثر، قال: إذا فاخر له من العطاء"، (المبرد، الكامل في اللغة والادب، ١٤٠٩هـ، ج ١ ص ٥٢٩؛ ابن عبد ربه، ج ٧ ص ٥٣).

وكان والى جانب حباة كان ليزيد بن عبد الملك جارية اخرى تدعى سلامة القس، وكانت جميلة الوجه طويلة القامة وحسنة الصوت، فكان يزيد يخلو بها لسمع صوتها الحسن، واحيانا يأمر بمجلس الأُنس والطرب والرقص وشرب الخمر، فتغني الجارية سلامة وهي تحتسي الخمر مع يزيد والندماء في مجلس الخلافة، (البلاذري، جمل من انساب الاشراف، ١٤١٧هـ، ج ٨ ص ٢٥٦؛ الاصفهاني، الاغاني، ١٤١٥هـ، ج ٨ ص ٤٥٤).

ويعتبر محمد بن سليمان من اطرب الناس في زمانه، واشتهر بصوته الحسن وغنائه الجميل حتى ذاع صيته خلال العصر الاموي، فاصبح على اثرها المغني للوليد بن يزيد فكان لا يخلو مجلسه من غنائه، وقد نال من الوليد الاموال والهدايا التي جعلت له شأن كبير

بين افراد الاسرة الاموية, (البلاذري, ج ٩ ص ١٥٨ ؛ الزمخشري, ربيع الابرار, ١٩٩٨م, ج ٣ ص ١٤١).

ومما عرف عن الوليد بن يزيد السفاهة وشرب الخمر والملاهي, فكان يضرب له مجموعة من المخنثين الذين قد نالوا محل اعجاب لهم لدى الوليد, فيجمع المغنيين ويحثهم على الغناء والطرب ويصرف عليهم مبالغ كبيرة, فضم مجلس الوليد الجواري والمغنين والمخنثين كل من عرف عنه الفسق والفجور والانحلال الاخلاقي, (الدينوري, المعارف, ١٩٩٢م, ص ٤٦٥ ؛ كشاجم, ادب النديم, ١٤٢٩هـ, ص ١١٠).

وكان للوليد العديد من الغلمان والجواري وهذا ما عرف عنه الحكام الامويين من اقتناءهم, ومن هؤلاء الغلام اشتهر غلام له عرف عنه حسن الغناء والطرب وهو ابو كامل الغزلي, فكان الوليد معجبا به فغنى الكثير من الاشعار, (الاصفهاني, ج ٧ ص ٧٧ ؛ القاضي النعمان, المناقب والمثالب, ١٤٣٢هـ, ص ٣٧١).

وحمل الوليد معه الى مكة الخمر وكلاب الصيد في صناديق وعلى عدد كبير من الجمال والبغال وذلك سنة ١١٦هـ/٧٣٤م, وصنع قبة على قدر الكعبة وحملها معه لينصبها عليها حتى يمارس هوايته المفضلة من مظاهر الفسق والفجور, وجمع المغنين واللات الملاهي واخذ يطرب ويشرب الخمر ويلهو ويلعب في مكة المكرمة, (ابن الجوزي, المنتظم في تاريخ الأمم والملوك, ١٩٩٢م, ج ٧ ص ٢٣٦ ؛ ابن الاثير, الكامل في التاريخ, ٢٠٠٩م ج ٥ ص ١٢٤).

ويذكر ان الوليد بن يزيد كان يعاشر الجواري في قصره وفي كل مكان متاح له, وكانت تعرض عليه الجواري فيختار منهن ما يعجبه والتي ترضي رغباته وفواحشه, وقد عرضت عليه جارية مغنية اعجبتة من ابرز الجواري القصر, فطلب منها ان تغني فغنت له ثم طلب منها ان تعيد غنائها, فطرب الوليد مما سمع منها واخذ يرقص ثم امر باكرامها, (الاصفهاني, ج ٧ ص ٣٩).

وفي الحقيقة ان ما تم ذكره من اعمال الفسق والفجور والمجون التي سلكها بنوا امية هي شيء قليل من كثير, فلا سيتغرب القارئ الكريم من هذه الاعمال المخلة بالمبادئ الاسلامية والقيم الاجتماعية والاخلاقية, فهكذا هم بنو امية ومنهجهم الهدام لكل ما جاء به

الشرع الاسلامي, فخالقوا قوله تعالى: ﴿... وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَنَّمَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ , (سورة الانعام, الآية ١٥١).

وكان من الطبيعي ان تنعكس وسائل الانس والطرب على عمال بنو امية وولاتهم وحاشيتهم, نتيجة فسق وفجور حكام الاسرة الاموية, فأصبح شرب الخمر والتشبيب بالنساء واللهو واللعب والغناء والرقص والتخنث واللواط من المظاهر السائدة خلال العصر الاموي, حتى امتلأت بلاد المسلمين من مشرقها الى مغربها بالمغنين والمغنيات وشرب الخمر وارتكاب الفواحش, (المسعودي, مروج الذهب ومعادن الجوهر, ٢٠١٠م, ج ٣ ص ٧).

ان اتباع بنو امية وعمالهم سياسة التسامح مع مرتكبي الفواحش ادى الى انتشارها في المجتمع الاسلامي, ففي مدينة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) شاع الغناء والطرب, فكان احد العلماء والفقهاء مر فسمع مغنية تنغي للنخاسين فشكى امرهم الى عبدالله بن جعفر بن ابي طالب, (ابن حمدون, التذكرة الحمدونية, ١٩٩٦م, ج ٩ ص ٤١).

ومن الملاحظ على النعمان بن بشير سماعه للغناء والطرب, ففي خلافة يزيد بن معاوية (٦٧٩هـ/٦٧٩م - ٦٨٣هـ/٦٨٣م) دخل النعمان المدينة, فسأل عن ابرز المغنين فيها و اشاروا عليه بعزة الميلاء المغنية, فقال لهم: "والله لقد أخفقت أذناي من الغناء فأسمعوني", (الاصفهاني, ج ٣ ص ١٢؛ النويري, نهاية الارب في فنون الادب, ١٤٢٣هـ, ج ٤ ص ١٩٠).

وفي خلافة عبد الملك بن مروان ولى ابان بن عثمان على الحجاز سنة ٦٩٩هـ/٦٩٩م, وعندما وصل الى المدينة خرج لها اهلها ومنهم المغني طويس, وطلب من الامير ابان ان يضرب له بالدف ويغنيه, فغناه طويس حتى طرب ابان وكاد ان يطير من شدة الطرب واخذ يصفق له, (ابن عبد ربه, ج ٧ ص ٣٠؛ الاصفهاني, ج ٤ ص ٤٠٧).

ومن الملاحظ ان الفساد الاخلاقي قد انتشر في كل مفاصل الدولة الاموية, نتيجة ارتكاب خلفاء بنو امية الفواحش والفجور, فلا يكاد يخلو عامل من عمالهم من ارتكابه للفواحش, فكان قتيبة بن مسلم عامل خراسان سنة ٧٠٥هـ/٧٠٥م ممن سمع الغناء وطرب له, فيحضر في مجلسه المغني معبد ويطلب منه الغناء, (المبرد, ج ١ ص ٥٣٥).

من المؤكد ان استماع الخلفاء الامويين للغناء واقامة مجالس للطرب, وجد من خلالها المغنين فرصتهم في ممارسة الغناء بحرية تامة, فكان طويس اول من غنى بالعربي في المدينة المنورة واقام بها الحفلات ومجالس الطرب, تحت مباركة وحماية السلطة الاموية فيها, (البيهقي, المحاسن والمساوي, ١٤٢٠هـ, ص ٢٧١ ؛ العسكري, الاوائل, ١٤٠٨هـ, ص ٣٩٧).

ويعتبر حنين الحيري النصراني من ابرز المغنين في العصر الاموي, وبعد ان اكمل هشام بن عبد الملك الحج مع عدليه الابرش الكلبى اعترضه حنين في ظهر الكوفة, وكان حنين يحمل العود والزامر ويلبس قلنسوة طويلة, وبعد ان عرفه هشام امر بحمله بمحمل واخذ يغنيه على طول الطريق الى الشام, (الصفدي, الوافي بالوفيات, ٢٠٠٠م, ج ١٣ ص ١٣٠). وانتشر الطرب والغناء في سائر الدولة الاموي, ومن العجيب ان مدينة رسول الله (صلى اله عليه واله وسلم) ومكة المكرمة كانتا موطننا لمجالس الغناء, فقد اباح بنو امية وعمالهم مظاهر الفسق والفجور فيهما, فشاع في بيوت اهله الطرب والغناء وظهر المغنين امثال معبد والغريض وابن سريج وحماد وابن عائشة وطويس وغيرهم, (الجاحظ, الرسائل الجاحظ, ٢٠٠٢م, ص ٢٨٥ ؛ الفاكهي, أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه, ١٤١٤هـ, ج ٣ ص ٣٠). وبعد ان اصبح الغناء والشراب مباح في المدينة بمباركة الخلافة الاموية, انتشرت مجالس الطرب والغناء فيها بصورة علنية, وكان في المدينة مغنية تعرف بالذلفاء قد زارها ابا دهب الجمحي و ابو السائب المخزومي, فغنت لهم قصائد من شعراء حتى امسوا ليلتهم معها, وفي صبيحة يومهم ندما على ما قاما به من الفسق حتى اخذا بالبكاء, (الاصفهاني, ج ١ ص ٢٣٦).

ومن مما لاشك فيه ان شيوع الغناء والطرب عن خلفاء بنو امية, قد ورث ابنائهم وعمالهم وقضاتهم والمجتمع هذه المظاهر المخالفة للشرع الاسلامي, فيذكر ان فتيان بني امية كانوا يذهبون الى المدينة ومكة المكرمة للاستماع للغناء والطرب, فجلسوا عند المغنين ابن سريج ومعبد ومالك بن ابي السمح يسمعون لهم, (الاصفهاني, ج ١ ص ٢٣٢ ؛ ابن الطقطقي, الفخري في اداب السلطانية, ١٤١٨هـ, ص ١٣٣), أبعد هذا الفسوق في الحرمين الشريفين فسوق؟ فماذا يقول المدافعون عن بني امية بعد هذا!!!.

المبحث الثاني

مجالس الخمر

الخمر لغة: من المخامرة وهو ما غشي المخمور من الخمار والسكر في قلبه, وسميت خمرا لأنها تخامر العقل, (الفراهيدي, ص ٢٧٦ ؛ الفارابي, ١١١ ؛ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, ١٩٥٦م, ج ٢ ص ٦٤٩), وقد حرم الله تعالى الخمر بصورة نهائية ومطلقة بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾, (سورة المائدة, الآية ٩٠).

أ- الخمر لدى الأسرة الاموية:

كانت بداية شرب الخمر واقامة مجالس له والتجاهر به في خلافة عمر بن الخطاب (١٣هـ/٦٣٤م-٢٣هـ/٦٤٣م), حيث كان يزيد بن ابي سفيان اميرا على الشام سنة ١٤هـ/٦٣٥م, وكان معه اخيه معاوية وبعد ان غزوا غزوة جلسوا يطربون ويغنون وقسموا الغنائم, وكانت هنالك جارية جميلة قد وقعت بيد رجل من المسلمين, وامر معاوية بأخذ الجارية ووهبها الى يزيد, فغضب الرجل وشكى امره الى ابا ذر الغفاري, وكان ابا ذر شديدا معهم فقال لهم: "اني سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يقول: ان اول من يبدل سنتي رجل من بني امية, فقال يزيد: انا ذلك الرجل؟ فقال: لا, فامر برد الجارية الى الرجل", (البيهقي, دلائل النبوة, ١٤٠٥هـ, ج ٦ ص ٤٦٧ ؛ ابن عساكر, تاريخ مدينة دمشق, ١٤١٥هـ, ج ٦٥ ص ٢٥٠).

ودخل عبدالله بن بريدة مع ابيه على معاوية بن ابي سفيان, فجلسوا على الفراش واكلوا الطعام ثم قدم معاوية الخمر فشرب منه معاوية وقال: "ما شربته منذ حرمه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)", (ابن عساكر, ج ٢٧ ص ١٣٧ ؛ الذهبي, سير اعلام النبلاء, ١٩٨٥م, ج ٣ ص ٢٥٦).

واستمر الحال في خلافة عثمان بن عفان (٢٣هـ/٦٤٣م-٣٥هـ/٦٥٥م) حيث كان معاوية اميرا على الشام, فمرت قطارة تحمل خمرا على عبد الرحمن بن سهل الانصاري تعود الى معاوية, فأخذ عبد الرحمن رمحه فبقر كل راوية منها ودخل في صراع مع غلمانها, فلما علم معاوية بذلك قال: "دعوه فانه شيخ قد ذهب عقله, فرد عليه عبد الرحمن: كذب والله

ما ذهب عقلي لكن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) نهانا ان ندخله في بطوننا واسقيتنا, و أحلف بالله لئن أنا بقيت حتى أرى في معاوية ما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لأبقرن بطنه، أو لأموتنّ دونه", (ابن الاثير, اسد الغابة, ١٩٩٤م, ج ٣ ص ٤٥٣ ؛ ابن حجر, الاصابة في تمييز الصحابة, ١٤١٥م, ج ٤ ص ٢٦٤).

وكان عبادة بن الصامت في الشام وممرت عليه قطارة ابل تحمل الخمر, فقال: "ما هذا أزييت؟ فقيل له: لا خمر تباع لمعاوية, فعمل عبادة على بقرها, وعندما علم معاوية بذلك ارسل الى ابو هريرة فقال له: الا تمسك عنا اخاك عبادة بن الصامت ففي النهار يفسد على اهل الذمة شرابهم, وفي الليل يجلس في المسجد يشتم اعراضنا ويعيبنا", فقدم ابو هريرة نحو عبادة, فقال له: "يا عبادة ما لك ولمعاوية ذره وما حمل", (العسكري, ص ١٨٨ ؛ الدياربركي, تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس, د.ن, ج ٢ ص ٢٦٩).

وقد وفد المسور بن مخرمة على يزيد ن معاوية في الشام سنة ٦٢هـ/٦٨١م, فشهد عليه بفسقه وفجوره وشربه للخمر عند اهل المدينة, فكتب يزيد الى عامله فيها ان يضرب مسورا, فقال الشاعر:

أيشربها صهباء كالمسك ريحها أبو خالد ويضرب الحدّ مسور,

(ابن حبيب, المنمق في أخبار قریش, ١٩٨٥م, ص ٣٩٨ ؛ البلاذري, ج ٥ ص ٣٣٨), واشتهر يزيد بن معاوية بالفسق والفجور, فكان شاربا للخمر ملاعبا للقردة والفهود, قاتل النفس المحترمة, هاتك الحرمات والمقدسات, مرتكب الكبائر والزنا, فخالف القران واتبع الكهان, حتى اجمع من المؤرخون بقولهم: "انه كان يتناول المسكر ويفعل المنكر فتح دولته بقتل الحسين الشهيد(عليه السلام) وختمها بواقعة الحرة, فمقته الناس ولم يبارك في عمره", (الذهبي, ج ٥ ص ٦ ؛ ابن حجر, الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة, ١٤١٤هـ, ج ٢ ص ٣٦٥).

واضحى الاخطل في حضرة عبد الملك بن مروان (٦٥هـ/٦٨٤م-٨٦هـ/٧٠٥م) ينشده شعرا, فطلب خمرا ليروي عطشة بعد ان يبس حلقه, ثم خرج فوجد خادما لعبد الملك فقال له: "ويلك! إن أمير المؤمنين استنشدني وقد بح صوتي, فاسقني شربة خمر فسقاه, فقال: اعدله بأخر فسقاه آخر, فقال: تركتهما يعتركان في بطني, اسقني ثالثا فسقاه ثالثا,

فقال: تركتني أمشي على واحدة، اعدل ميلي برابع فسقاه رابعا فدخل على عبد الملك فأنشده، فقال عبد الملك: خذ بيده يا غلام فأخرجه، ثم ألق عليه من الخلع ما يغمره، وأحسن جائزته، وقال: إن لكل قوم شاعرا وإن شاعر بني أمية الأخطل"، (الاصفهاني، ج ٨ ص ٤٢٦ ؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ٢٠٠٣م، ج ٢ ص ١٠٥٥).

وكان عبد الملك يلقب بحمامة المسجد قبل تولي منصب الخلافة، وبعد ان استلم منصب الخلافة تغير الحال فأخذ بالشرب وارتكاب الفواحش، فحين سأل احدهم: "بلغني يا أمير المؤمنين أنك شربت الطلاء بعد العبادة والنسك؟ قال: و الدماء يا أبا محمد فنستغفر الله"، (البلاذري، ج ٧ ص ٢٣٧ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ٢٠٠٤م، ص ٢٥٤).

اما عمر بن عبد العزيز (٧٩٩هـ/٧١٧م - ١٠١هـ/٧١٩م) عرف عنه انه لا يشرب الخمر في خلافته، لكنه اباح شرابه في البيوت والحانات، فأعطى اوامره لصاحب الشرطة بعدم ملاحقة شراب الخمر، (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢٠٠١م، ج ٧ ص ٣٥٦).

وكان حماد الراوية متعلقا بيزيد بن عبد الملك، وبعد وفاة استدعاه هشام بن عبد الملك (١٠٥هـ/٧٢٣م - ١٢٥هـ/٧٤٢م) فحين دخل عليه وجد معه جاريتان لم يرى مثلهما في اذن كل واحدة منهما فيهما لؤلؤتان، وكان سبب استدعائه له حول بيت من الشعر قاله فقراً له حماد القصيدة، ثم طرب هشام وقال: "أحسنت يا حمّاد، و الله، يا جارية: اسقيه، فسقتني شربة ذهب بثلاث عقلي"، (التنوخي، الفرج بعد الشدة، دن، ج ٤ ص ٢٨٩ ؛ الحموي، معجم الادباء، ١٩٩٣م، ج ٣ ص ١٢٠٣).

ومما يلفت النظر وفي ظل هذه الدولة التي تدعي بالإسلام، نجد ان الفسوق قد وصل الى زوجاتهم فهذه ام حكيم بنت يحيى زوجة هشام بن عبد الملك مدمنة على الشراب، فكانت تحتسي الخمر بكثرة حتى اشتهرت بين الناس، وكان لها كأس تشرب به عرف بكأس ام حكيم، (البلاذري، ج ٤ ص ٢٦٥ ؛ الاصفهاني، ج ١٦ ص ٤٥٢).

ولخص التنوخي حياة خلفاء بني امية وهم مدمنون على شرب الخمر فقال: " أما في عهد الأمويين، فإنّ يزيد بن معاوية كان يدمن شرب الخمر، فلا يمسي إلا سكران، و لا يصبح إلا مخمورا، و كان عبد الملك يسكر في كلّ شهر مرة، حتى لا يعقل في السماء هو أو في الماء، و كان الوليد بن عبد الملك يشرب يوما، و يدع يوما، و كان سليمان ابن عبد

الملك، يشرب في كل ثلاث ليال ليلة، و كان هشام يسكر في كلّ جمعة، و كان يزيد بن عبد الملك و الوليد بن يزيد يدمنان الشرب و اللهو، و كان مروان بن محمد يشرب ليلة الثلاثاء و ليلة السبت"، (التنوخي، ج ٢ ص ٢٥٠).

ب- اثر مجالس الخمر على العمال والولاة والمجتمع:

كانت بداية شرب الخمر لعمال بني امية في زمن الخلفاء الراشدين، حيث نال هؤلاء العمال صلاحيات واسعة ومناصب رفيعة في الدولة، ففي سنة ٢٥هـ/٦٤٥م ولي الوليد بن عقبة الكوفة من قبل الخليفة عثمان بن عفان، فصلى بالمسلمين صلاة الفجر وهو سكران، وقد زاد في عدد ركعات الصلاة الى اربعا ثم قال: "هل أزيدكم؟"، (ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، ١٤١٠هـ، ج ٣ ص ٩٧٥؛ المسعودي، ج ٢ ص ٣٥٢).

وفي خلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) شرب النجاشي الخمر في شهر رمضان سنة ٣٨هـ/٦٥٩م، فأقام عليه الامام علي (عليه السلام) الحد وفق الشرع الاسلامي، مما جعل النجاشي يفكر في الرحيل الى مكان يكثر فيه الفسق والفجور ومخالفة الاسلام، فلجئ الى الشام تحت حكم معاوية بن ابي سفيان، فصار يشرب الخمر جهرا ويكثر منه، (الثقفي، الغارات، ١٣٩٥هـ، ج ٢ ص ٥٢١؛ ابن اعثم، الفتوح، ١٤١١هـ، ج ٢ ص ٥١٦).

ومن المؤكد ان شيوع ظاهرة شرب الخمر عند اهل الشام كانت بموافقة الخلافة الاموية، فهذا عبد الرحمن بن سيحان ممن شرب الخمر ويسوقه الى معاوية بن ابي سفيان، وقد ضربه مروان بن الحكم لشربه الخمر، وبعد ان سمع بذلك معاوية ارسل كتابا الى مروان قال فيه: "أما بعد فإنك ضربت عبد الرحمن بن سيحان في نبيذ أهل الشام الذي يستعملونه و ليس بحرام حين كان حلفه إلى أبي سفيان و أيم الله! لو كان حليفا للحكم ما ضربته فأبطل عنه الحدّ قبل أن أضرب معه من أخذت معه، (ابن حبيب، ص ٢٥٢؛ الاصفهاني، ج ٢ ص ٤٩٦).

وممن شرب الخمر حارثة بن بدر مع عبيد الله وسلم بني زياد، حيث شربوا الخمر في ليلة فأكثرها منه حتى اصبح وجه حارثة شديد الحمرة، وفي الصباح حين اقبل على زياد

سأله فقال: "مالك يا حارثة؟ فقال: أكلت البارحة رمانا فأكثرته، قال: قد عرفت مع من أكلته، و لكنهم قشروه و أكلته بقشره فأصارك إلى ما ترى"، (الاصفهاني، ج ٨ ص ٤٩٩).
وعرف عن عبيد الله بن زياد شربه للخمر والمسكر، فكان لا يختلف عن منهج بني ساداته بني امية، والدليل على ذلك هو ما قاله مسلم بن عقيل فيه: "اولم نكن نعمل بذلك فيهم اذ انت بالمدينة تشرب الخمر"، (المبرد، ج ١ ص ٤٨١ ؛ الزمخشري، ج ٢ ص ٥٠).
وعند تولى بشر بن مروان أمرة الكوفة سنة ٦٧٢هـ/٦٩١م طلب من ابي بردة بن ابي موسى ان يأتيه بزوجة، فأقترح عليه هند بنت أسماء بن خارجة، وعندما تزوجها سألت هند حاشية بشر عنه فاقترحوا عليها الشراب، ثم ارسلت غلاما لها ليحمل له شرابا جيدا، وقدمت له الشراب فشرب الخمر حتى اكثر منهو (البلاذري، ج ٦ ص ٣٢٠ ؛ الالفهاني، ج ٢٠ ص ٤٥٨).

ان شرب الخمر والمتاجرة به من الامور المخالفة للشرع الاسلامي، فقد حرم الاسلام شرب الخمر من خلال القران الكريم والسنة النبوية الشريفة، فعن ابن عباس قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): "من شرب مسكرا من الشراب لم يقبل الله له صلاة اربعين يوما"، (ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٢٠٠١م، ج ٢٧ ص ١٩٧ ؛ النسائي، السنن الكبرى، ٢٠٠١م، ج ٥ ص ١٠٠).

المبحث الثالث

الزنا لدى الأسرة الأموية

الزنا لغة: قد اجمع اصحاب اللغة والمعاجم على معنى الزنا من المصدر يزنني زنا وهو وطئ المرأة من غير عقد شرعي، وقيل خرجت فلانة تزاني وتباغي أي تفجر، (الفراهيدي، ص ٣٩٨ ؛ الزبيدي، تاج العروس، د.ن، ج ٣٨ ص ٢٢٥)، ويعد الزنا من الكبائر ومن أعظم الجرائم الاخلاقية والاجتماعية، فقد بين الله تعالى ذلك بقوله: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، (سورة النور، الآية ٢).

يذكر ان بنو امية اشتهروا منذ زمن الجاهلية بالفسق والفجور، وممن عرف عنه الزنا واشتهر به هو جدهم امية بن عبد شمس، وممن اشتهر بالزنا وارتكاب الفواحش ابو سفيان، الذي عرف عنه اقباله على ذلك ويذكر ان زياد بن ابيه اتى بمرأة اراد ان يقتلها فتسترت

بثوبها، فقال لها: "أتسترين وقد هتك الله سترك؟ فقالت: أي والله أتستّر ولكنّ الله أبدى عورة أمك على لسانك، إذ أقررت أنّ أبا سفيان زنى بها"، (ابن طيفور، بلاغات النساء، د.ن، ص ١٩٨؛ البلاذري، ج ٦ ص ٨٧).

ومن عجائب بنو أمية بانهم يتفاخرون بأرتكاب الفواحش والزنا، فتخاصم ابا سفيان والعاص بن وائل في نسب زياد، فقال ابو سفيان: "أنا والله وضعته في رحم امّه سمية وما له أب غيري، فقال العاص: ليس هو كما تقول هو ابني فحكما امه فيه"، (ابن الكلبي، مثالب العرب، ١٤١٩هـ، ص ٧٩؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، د.ن، ج ١٦ ص ١٨١).

واشتهرت نساء بنو أمية بالزنا والبغي والفواحش، فعرف عن حمامة والزرقاء بنت موهب النابغة من العواهر المشهورات ذوات الرايات، وامنة بنت علقمة ام مروان وامها الصعبة بنت ابي طلحة ممن اشتهرن بالزنا والفواحش، (ابن الكلبي، ص ٧٦؛ النويري، ج ٢١ ص ٩٧). وتعتبر هند ام معاوية من النساء البغيات، حيث كانت تحب وتميل الى الرجال السودان طوال القامة، وكانت تمارس معهم الزنا فكلما ولد لها ولدا اسود قتلتها بدون رحمة، (ابن الكلبي، ص ٧٣؛ القاضي النعمان، ص ١٥٩).

كما نسب الزمخشري معاوية الى اربعة اشخاص، حيث ذكر: "وكان معاوية يعزى إلى أربعة: إلى مسافر بن أبي عمرو وإلى عمارة بن الوليد وإلى العباس بن عبد المطلب وإلى الصباح مغن أسود كان لعمارة، وكان أبو سفيان دميما قصيرا، وكان للصباح عسيفا لأبي سفيان شابا وسيما، فدعته هند إلى نفسها"، (الزمخشري، ج ٤ ص ٢٧٥؛ ابن ابي الحديد، ج ١ ص ٣٣٦).

ومما روي عن احد موالى معاوية الذين اخصاهم، قال: "اشترى لمعاوية جارية رومية بيضاء جميلة فأدخلتها عليه مجردة وبيده قضيب، فجعل يهوي به إلى متاعها (فرجها) ويقول هذا المتاع لو كان له متاع، اذهب بها إلى يزيد بن معاوية"، (ابن عساكر، ج ٧٠ ص ٢٣٨).

ويروى ان الضحاك بن قيس كان عند معاوية وكانت جارية من جواريه تغني، فطلب من ابن قيس الخلو مع الجارية وان لا يبرح مكانه، واقبلت فاخّته امرأة معاوية وامسكته مع

الجارية، فقال لها: "أكرمي اسراكم، فقالت: اسكت يا قواد"، (ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٨٦م، ج ٨ ص ١٤٠؛ ابن حجر، ج ٤ ص ١٩٦).

ويذكر ان الوليد بن عبد الملك (٧٠٥هـ/٧٠٥م - ٧١٤هـ/٧١٤م) وجد الشاعر وضاح مع زوجته ام البنين بنت عبد العزيز، التي عشقته لجماله ولظرافته وحسن خلقه حيث دخلت معه في علاقة غير شرعية، حتى ظفر بهما الوليد فعاقبهما، (البلاذري، ج ٨ ص ٨٩؛ ابن حمدون، ج ٩ ص ٢٣٢).

وان ما يقوم به خلفاء بني امية من الخلاعة والمجون كان ينعكس على حاشيتهم بالدرجة الاولى، ففي خلافة هشام بن عبد الملك (٧٢٣هـ/٧٢٣م - ٧٤٣هـ/٧٤٣م) ذهب للحج مع قواده وحاشيته، وكان احد قواده من اهل الشام قد نزل عند المغني دلال فغناه، ثم دخل على امرأة جميلة كانت على سرسر مشرف بارز، ثم دخلت عليه جارية شديدة الجمال واخذ يضع يده على كل مفاتن الجارية، فطلب منها ان تخلع ملابسها واخذ يضرب بيده على عجزتها وصدورها، (الاصفهاني، ج ٤ ص ٥٤٣؛ ابن حمدون، ج ٨ ص ٢٦٧).

واشتهر الوليد بن يزيد في فترة حكمه (٧٤٣هـ/٧٤٣م - ٧٤٤هـ/٧٤٤م) اقباله على المذات، فشرب الخمر واكثر منه واصبح مباح في ظل حكمه، وسمع الغناء واقام مجالس الطرب والرقص، وعاشر النساء واصبح مدمنا على الزنا وارتكاب المحارم، (البلاذري، ج ٩ ص ١٢٩؛ ابن اعثم، ج ٨ ص ٣٠٢).

وفي موقف يجسد فسق وفجور الوليد بن يزيد في خلافته سنة ٧٤٤هـ/٧٤٤م، حيث دار حوار بينه وبين يزيد بن عنبة، فقال له الاخير: "ما ننقم عليك في أنفسنا ولكن ننقم عليك في انتهاك ما حرم الله وشرب الخمر، ونكاح أمهات أولاد أبيك (زوجة الاب)، واستخفافك بالدين"، (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٠١٢م، ج ٤ ص ٢٤٣؛ الازدي، تاريخ، ج ٢ ص ٣٢١).

وكان للأحنف بن قيس ابن شتم جارية لسعد بن ابي وقاص، فغضبت الجارية وردت عليه قائلة: "والله لو كنت زانية لأتيت أباك بابن مثلك"، (الدينوري، ص ٤٢٤؛ ابن طيفور، ص ٢٢٨؛ الابي، نثر الدر في المحاضرات، ٢٠٠٤م، ج ٤ ص ٧٤).

الخاتمة :-

مع كل تلك الصور الشنيعة التي هلكت كل الاستار والتي ضربت الشارع الاسلامي عرض الحائط, فلم يبق بنو امية على فاجرة او فسوق او شائبة صغيرة كانت ام كبيرة, ينتقدها القاصي والداني في الاسلامي وحتى في الاعراف العربية والعشائرية القيمة لا وقد عملوا بها, واعتقد ان اسفل ما فعله واشنع ما قاموا به وهم وادعيائهم عبر التاريخ, والذين يدافعون عنهم الدفاع المستميت, اقول اقذر ما فعلوه وهم يدعون الاسلام, والاسلام منهم بريء براءة الذئب من قميص يوسف (عليه السلام) هو نكاح المحرمات.

ومما هو عجب كل العجب ان ما عرف بخلفاء بنو امية قد مارسوا الشذوذ الجنسي دون حياء, وامام انظار مجلس الخلافة كما هو الحال في مجلس الوليد بن يزيد.

واتبع ما عرف بخلفاء بني امية وعلى نهجهم المنحرف سار ولاتهم وعمالهم سياسة التسامح في الالات الفجور والفواحش الامر الذي ادى الى انتشارها بين عامة المجتمع الشامي, والملفت الى النظر اننا لم نجد من هم يدعون حمله الشرع الاسلامي من العلماء والفقهاء في وفق موقف مناصرا للإسلام, فهم بهذا الموقف السلبي كانوا عاملا في نشر تلك الفواحش فلم يبق من الاسلام قراءتنا ووفق ما اطلعنا عليه, أي موقف لهؤلاء العلماء الفقهاء والذين يدعون انهم حمل الدين الاسلامي والعمل بما جاء به.

وذلك قد توضح كل الوضوح من موقف ابي هريرة من عبادة بن الصامت الذي منع بيع الخمر لمعاوية بن ابي سفيان, الذي ارسل الى ابي هريرة وطلب منه ان يمنع اخاه من ذلك, فقال ابو هريرة: "يا عبادة ما لك ولمعاوية ذره وما يحمل", هكذا موقف ابي هريرة الذي والى يومنا يترضون عليه كونه صاحب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وناقل احاديثه. ومما يؤكد على انتشار مجالس اللهو والطرب والتي لم تقتصر على بلاد الشام بل وصل ذلك الفجور الى مدينة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم), وهم بفعلهم هذا هو اصرار على حقدهم للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) وعدم الايمان به وبالتالي فهم خارج ملة الاسلام, بل وحتى موطن ومنبع الرسالة المحمدية في مكة قد صارت ساحة للفسوق والفجور الاموي, كما هو الحال على سبيل المثال لا حصر زمن المدعي بالخلافة الوليد بن

عبد الملك, وهو في احد مواسم حجه, وعلى هذا النهج سار العمال كما فعل الحارث بن خالد المخزومي حتى صارت المدينة وطن لبعض المغنيات كالذلفاء.

ويبدو ان بلاد الشام ومن معاوية بن ابي سفيان قد اصبحت مكانا لكل الفاسقين فكان امانا لهم وذلك واضحا عندما اجرى الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) اقامة الحد على الشاعر النجاشي بعد شربه للخمر, فما كان الا الهروب الى بلاد الشام وهذا دليل لا شك فيه ان معاوية وهو يدعي الخلافة المسلمين مع ممارساته الشنيعة كان يرحب بما هو على شاكله, وكما يقول المثل "الطيور على اشكالها تقع".

ولقد وصلت من الديوثه وصور الخلاعة مما لا يخطر على بال احد, هو الجرأة بعد ان تأخذ الخمر كل مأخذ, هو احدهم معاشره زوجة من كان ثمل مثله فيا له من تاريخ يفجر به بنو امية وادعياؤهم حتى في يومنا هذا.

ان سياسة معاوية ومن بعده قد نجحت نجاحا مبهرا في اشاعت كل انواع الفجور حتى شمل ما يحب ان تكون افضل الشرائح, الا وهي شريحة القضاة وهذا ما شهدناه بعد ان كلف معاوية ابن اخته هذا المنصب المهم.

قائمة المصادر:-

١. القران الكريم
- ❖ الابشيهي, بهاء الدين ابو الفتح محمد بن علي (١٤٤٦هـ/١٤٤٦م)
٢. المستطرف, تح: سعيد محمد لحام, ط١, عالم الكتب, بيروت ١٤١٩هـ.
- ❖ ابن أبي الحديد, عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني البغدادي (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)
٣. شرح نهج البلاغة, تح: محمد ابو الفضل ابراهيم, ط١, مكتبة المرعشي, قم المقدسة.
- ❖ ابن اعثم الكوفي, أبي محمد أحمد (ت ٣١٤هـ/٩٢٦م)
٤. الفتوح, تح: علي شيري, ط١, دار الاضواء بيروت, ١٤١١هـ.
- ❖ ابن الأثير, أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)
٥. الكامل في التاريخ, اعداد: الدكتور سمير شمس, ط١, دار صادر, بيروت, ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م.

- ❖ ابن الكلبي، ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م)
٦. مثالب العرب، تح: نجاح الطائي، ط١، دار الهدى، بيروت، ١٤١٩هـ.
- ❖ ابن الجوزي، ابي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي
البغدادي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)
٧. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر
عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م
- ❖ ابن الطقطقي، صفي الدين محمد بن تاج الدين علي (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م)
٨. الفخري في ادب السلطانية، تح: عبد القادر محمد، ط١، دار القلم العربي، حلب،
١٤١٨هـ.
- ❖ ابن حبيب، محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م)
٩. المنمق في أخبار قريش، تح: خورشيد أحمد فاروق، ط١، عالم الكتب، بيروت،
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ❖ ابن حجر العسقلاني، ابي الفضل احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)
١٠. الاصابة في تمييز الصحابة، تح: علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية،
بيروت ١٤١٥هـ.
١١. الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، ط١، دار الجيلو بيروت، ١٤١٤هـ.
- ❖ ابن حمدون، بهاء الدين محمد بن حسن (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م))
١٢. التذكرة الحمدونية، تح: بكر عباس، ط١، دار صادر، بيروت ١٩٩٦م.
- ❖ ابن حنبل، أبي عبد الله أحمد (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م)
١٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط١،
مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- ❖ ابن سعد، محمد (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م)
١٤. الطبقات الكبرى، تح: الدكتور علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة،
١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- ❖ ابن شبة، ابو زيد عمر بن شبة النميري البصري (ت ٢٦٢هـ/٨٧٥م)

١٥. تاريخ المدينة المنورة، تح: فهيم محمد شلتوت، ط١، دار الفكر، قم المقدسة، ١٤١٠هـ.
- ❖ ابن طيفور، ابي الفضل احمد بن ابي الطاهر (٢٨٠هـ/٨٩٣م)
١٦. بلاغات النساء، ط١، الشريف الرضي، قم المقدسة.
- ❖ ابن عبد ربه، احمد بن محمد الاندلسي (٣٢٨هـ/٩٣٩م)
١٧. العقد الفريد، تح: مفيد محمد، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- ❖ ابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (٥٧١هـ/١١٧٥م)
١٨. تاريخ مدينه دمشق، تح: علي شيري، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ❖ ابن كثير، ابي الفداء اسماعيل، (٧٧٤هـ/١٢٧٢م)
١٩. البداية ونهاية، اعداد: خليل شحادة، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ/٩٨٦م.
- ❖ الابي، أبو سعد منصور بن الحسين الرازي (٤٢١هـ/١٠٣٠م)
٢٠. نثر الدر في المحاضرات، تح: خالد عبد الغني محفوظ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
- ❖ الازدي، ابي زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم، (٣٣٤هـ/٩٤٥م)
٢١. تاريخ الموصل، تح: احمد عبدالله محمود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ.
- ❖ الأصفهاني، أبي الفرج علي بن الحسين بن محمد بن احمد (٣٥٦هـ/٩٦٦م)
٢٢. الاغانى، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ❖ البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ/٨٩٢م)
٢٣. جمل من انساب الاشراف، تح: سهيل زكريا، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ.
- ❖ البيهقي، ابراهيم بن محمد (٣٢٠هـ/٩٣٣م)
٢٤. المحاسن والمساوي، اعداد: عدنان علي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ❖ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرُوْجِردِي الخراساني (٤٥٨هـ/١٠٦٥م)

٢٥. دلائل النبوة، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ❖ الثقفي، أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الكوفي (٢٨٣هـ/١٩٦م)
٢٦. الغارات، تح: جلال الدين محدث، ط١، الرابطة الوطنية للآثار، طهران، ١٣٩٥هـ.
- ❖ الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)
٢٧. رسائل الجاحظ، تح: علي بو ملح، ط٢، دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ❖ الدياربكري، حسين بن محمد بن الحسن (٩٦٦هـ/١٥٥٨م)
٢٨. تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس، ط١، دار صادر، بيروت.
- ❖ الدينوري، ابي حنيفة احمد بن داود (٢٨٢هـ/٨٩٥م)
٢٩. المعارف، تح: ثروه عكاشه، ط٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، قاهره، ١٩٩٢م.
- ❖ الذهبي، شمس الدين بن محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)
٣٠. سير أعلام النبلاء، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٣١. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: الدكتور بشار عوَّاد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م.
- ❖ الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)
٣٢. تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- ❖ الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد (٥٣٨هـ/١١٤٤م)
٣٣. ربيع الأبرار ونصوص الأختار، تح: عبد الأمير مهنا، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ❖ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)
٣٤. تاريخ الخلفاء، تح: حمدي الدمرداش، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- ❖ الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)
٣٥. الوافي بالوفيات، تح: احمد الأرنؤوط، دار احياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- ❖ الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) ٣٦. تاريخ الرسل والملوك، ط ٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
- ❖ العسكري، ابي هلال، (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م) ٣٧. الاوائل، تح: محمد السيد وكيل، ط ١، دار البشير، طنطا، ١٤٠٨هـ.
- ❖ الفارابي، ابي نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٨هـ/١٠٠٧م) ٣٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ❖ الفاكهي، ابي عبد الله محمد بن اسحاق بن ابي العباس المكي، (ت ٢٧٢هـ/٨٨٥م) ٣٩. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تح: د. عبد الملك عبد الله دهيش، ط ٢، دار خضر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- ❖ الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م) ٤٠. العين، ط ٢، دار احياء التراث العربي، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- ❖ القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد التميمي المغربي (ت ٣٦٣هـ/٩٧٣م) ٤١. المناقب والمثالب، تح: ماجد احمد عطيه، ط ١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٣٢هـ.
- ❖ المبرد، ابي العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٦هـ/٨٩٩م) ٤٢. الكامل في اللغة والادب، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ.
- ❖ المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/٩٥٦م) ٤٣. مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح: عبد الامير علي مهنا، ط ٢، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- ❖ النسائي، ابي عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ/٩١٥م) ٤٤. السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، ط ١، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- ❖ النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) ٤٥. نهاية الارب في فنون الادب، ط ١، وزارة الثقافة والارشاد القومي القاهرة.

ملاح من سيرة بني أمية

❖ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد لله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي
(١٢٢٦هـ/١٢٢٩م)

٤٦. معجم الأدياء، تح: احسان عباس، ط١، دار الغرب الاسلامي بيروت، ١٩٩٣م.

❖ كشاجم، ابو الفتح محمود بن حسين الرملي السندي (ت٣٦٠هـ/٩٦٩م)

٤٧. ادب النديم، تح: نبوي عبد الواحد شعلان، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٩هـ.

دوافع الفتح الاسلامي للقسطنطينية - الدافع الديني

م. أيمن طلعت عبدالرزاق

مدرس: طالبة دكتوراه، كلية الآداب - قسم التاريخ،
جامعة صلاح الدين - أربيل - اقليم كردستان، العراق

الايمل: iman.abalrazak@su.edu.krd

رقم الموبايل: ٠٧٥٠٤٧٠٠٥٨٩

نیشتمان بشیر محمد

أستاذ: أستاذة في كلية الآداب - قسم التاريخ -
جامعة صلاح الدين - أربيل، اقليم كردستان، العراق

الايمل: nishtiman.mohammad@su.edu.krd

رقم الموبايل: ٠٧٥٠٤٦٣١٤٩١

دوافع الفتح الاسلامي للقسطنطينية - الدافع الديني

م. أيمن طلعت عبدالرزاق
الاستاذة. نيشتمان بشير محمد

الملخص

نشأت القسطنطينية على أنها أول عاصمة بيزنطية أعلنت المسيحية كدين رسمي للامبراطورية البيزنطية وبذلك تكون قد أمدت النصرانية لأول مرة بعاصمة تنطلق منها المسيحية إلى الجهات كافة، وكما هو معروف في الإسلام بأن الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس اقترن بالإيمان بالله ورسوله، ذلك لأنه يحمل أهداف سامية من حماية العقيدة والدفاع عنها، ونشر الإسلام، وذلك نظراً لعالمية الدعوة الإسلامية، لذا أصبح الدافع الديني للفتوحات الإسلامية تجاه القسطنطينية واجهة رئيسية لكافة الحملات الأموية والعباسية والعثمانية.

فتضمن بحثنا هذا أحد أهم دوافع الفتح الاسلامي للقسطنطينية ألا وهو الدافع الديني وذلك للفترة الأموية والعباسية والعثمانية وأوضحنا فيها أوجه التشابه والاختلاف بين الفترات التاريخية المتعاقبة، وكيف كان دافع الجهاد يمر بمد وجزر كبير حتى تم الفتح الكبير، كما تضمن بحثنا الخاتمة وقائمة الهوامش ثم قائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: فتح القسطنطينية، القوى الاسلامية، خطب الاستنفا، العلماء والفقهاء.

Motives for the Islamic conquest of Constantinople - Religious motivation

Research extracted from doctoral thesis

Lect. Iman Talaat Abdul- Razzaq

**Lecturer: PhD student, Faculty of Arts - Department of History,
Salahaddin University - Erbil - Kurdistan Region, Iraq**

Email: iman.abalrazak@su.edu.krd Mobile number: 07504700589

Prof. Dr. Nishtman Bashir Muhammad

Abstract

Constantinople arose as the first Byzantine capital to declare Christianity as the official religion of the Byzantine Empire. Thus, it provided Christianity for the first time with a capital from which Christianity spread to all directions. As is known in Islam, jihad for the sake of God with money and soul is associated with faith in God and His Messenger, because it carries lofty goals. From protecting and defending the faith, and spreading Islam, due to the universality of the Islamic call, so the religious motive of the Islamic conquests towards Constantinople became a main front for all the Umayyad, Abbasid and Ottoman campaigns.

Our research included one of the most important motives for the Islamic conquest of Constantinople, which is the religious motive for the Umayyad, Abbasid, and Ottoman periods. We explained in it the similarities and differences between the successive historical periods, and how the motive for jihad went through great ebbs and flows until the great conquest took place. Our research also included the conclusion, a list of Endnote, and then a list of sources, and references.

Key words: Conquest of Constantinople, Islamic forces, motivational speeches, scholars and jurists.

١. المقدمة:

شرع الجهاد في الإسلام من اجل أهداف سامية، فرغم سماحته وعفوه لابد له من قوة تتطلق بها في الأرض لتحرير الانسان وأول ما تصنعه هذه القوة ان تؤمن الذين يختارون عقيدة نظراً لعالمية الدعوة الإسلامية [إن هو إلا ذكر للعالمين] وقوله تعالى: [قل يا أيها الناس أني رسول الله اليكم جميعاً]^(١)، وكما قال تعالى: [وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا

مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ] (٢)، وكما قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾] (٣)، فربط الله ما بين الإيمان بالله ورسوله والجهاد بالمال والنفس والذي يعدُّ من وسائل مجاهدة الكفار، وغايته الأولى هو حماية العقيدة والدفاع عنها، كما يبين لنا القرآن الكريم أجر من يقوم بذلك بقوله تعالى: [وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا] (٤)، كما بين تقديم القتل لأن المؤمنين لا يتشبثون بالبقاء، ولا يحرصون على هذه الدنيا، لكنهم يحرصون فقط على دينهم أو يموتون دونه، خاصة وان مكانة الجهاد تتجلى من خلال الوصف الرباني لأولئك المجاهدين بأنفسهم واموالهم بأنهم الصادقون (٥)، وذلك ثواباً لجهادهم بأنفسهم (٦).

وفي المصادر الأساسية التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا وذلك للفترة الأموية والعباسية هو كتاب ابن عساكر والذي يحمل عنوان (تاريخ مدينة دمشق) و(ابن كثير) و(كتابة البداية والنهاية) و(الذهبي وكتابه تاريخ الإسلام) أما المراجع فكان إعتامدنا على كتاب الحدود الإسلامية البيزنطية) لمؤلفه ابراهيم العدوي، وكتاب (العلاقات العباسية البيزنطية) لمؤلفه موفق سالم نوري، وغيرها من الكتب والبحوث.

أما للفترة العثمانية فقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر الرئيسية المكتوبة باللغة العثمانية والتركية اللاتينية والتي كانت من اهمها كتاب طاشكبري زادة والذي يحمل عنوان (الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)، وكما اعتمدنا على الكاتب ادرنوي وكتابه (تواريخ آل عثمان) و Ibni-kemal وكتابه (Tevarih Ali Osman, Defter) وكتاب فون هامر المؤرخ النمساوي وهو بعنوان (دولت عثمانية تاريخي) وغيره هذا بالإضافة إلى مجموعة أخرى من المراجع والبحوث التركية والأجنبية المختلفة والتي حصلنا عليها من المتاحف التركية في اسطنبول وذلك لإغناء بحثنا ومن الله التوفيق.

الدافع الديني في العهد الأموي:

كان الجهاد حافزاً مهماً للفتوحات الإسلامية، لذا نرى ان الفتوحات الأموية كانت مكملة للفتوح الإسلامية الأولى التي استهدفت اساساً كسر الحواجز التي كانت حائلاً اما ابلاغ الرسالة الإسلامية وتوسيع رقعته بانضمام امم جديدة إليه، وإذا كانت الظروف قد املت

على الخلافة الأموية ان ترد على المخاطر البيزنطية والاعتداءات المتكررة لهم على حدود دار الإسلام وعلى مختلف الجبهات ومهما اختلف المؤرخون في تفسيرهم لحركة الفتح في العصر الأموي وتسويغها، فإنها تظل جزءاً مكملاً للفتوح الإسلامية^(٧).

فلم تكد الأوضاع تستتب بعد تولي معاوية ابن ابي سفيان الخلافة في عام الجماعة (٤١هـ / ٦٦١م) حتى بدأ بالجهاد ضد الروم البيزنطيين وضد امم الشرك الأخرى، فعَدَّ الجهاد من اسبقيات عمل الخلافة. كما ذكر ابن كثير: ((فكانت سوق الجهاد قائمةً في بني أمية، ليس لهم شغل إلا ذلك، قد علت كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وبرها وبحرها))^(٨).

ما يدل على أهمية دافع الجهاد لدى المسلمين والرغبة في نشر الإسلام هو تحمل المقاتلين المسلمين لفترات الحصار الطويلة التي كانت تفرض على القسطنطينية براً وبحراً، كحصار السبع سنوات (٥٤هـ - ٦٠هـ / ٦٧٤م - ٦٧٩م) وغيرها تحملوا من خلالها الكثير من الظروف الصعبة من مقاومة بيزنطية شديدة وحصانة المدينة والظروف المناخية الصعبة، والابتعاد عن الأهل والأموال وعن مقر الخلافة في الشام، ومن المواقف الجهادية الكثيرة لأولئك المقاتلة، هو موقف عبد الله بن محيريز الجمحي الفلسطيني^(٩)، الذي روي انه كان في بعث الصائفة يوماً ما في هذا العصر فمرض مرضاً شديداً، فأمر ابنه عبد الرحمن الذي رافقه مجاهداً أن يحمله ويسير به قدر ما يتمكن باتجاه ارض الروم، قال عبد الرحمن: ((فحملته فلم ازل اسير به وهو يقول: يا بني اسرع في السير، قلت: يا ابت انك شاك، قال: يا بني احب ان يكون اجلي بأرض الروم، ...))^(١٠).

وموقفاً جهادياً آخر هو موقف كعب الاحبار (كعب بن مانع بن هيسوع) الذي اصر على الخروج إلى أرض الروم جهاداً في سبيل الله على الرغم من مرضه^(١١)، والصحابي الجليل جابر بن عبد الله^(١٢) وهو جهادي اخر الذي اصر على السير ماشياً على قدميه لما خرج في احدى المدائن معللاً فعله هذا هو لسماعه حديث رسول الله (ص) يقول: ((من اغبرت قدماه في سبيل الله ساعة من نهار فهما حرام على النار))^(١٣).

فالجهد هو الذي جعل المقاتلين المسلمين أكثر اصراراً على حصار القسطنطينية وفتحها سنة (٤٩هـ/٦٦٩م) وما بعدها، يظهر ذلك من الموقف الجهادي الذي ابداه سفيان

بن عوف الغامدي حينما حمل بجنده على الروم المدافعين عن احد ابواب القسطنطينية ويدعى باب الذهب حتى افرعهم، مما دفعهم إلى الاستفسار فأجاب الجند المسلمين: ((جننا لنخرب مدينة الكفر ويخربها الله على ايدينا))^(١٤).

ولا ننسى أن نشير إلى نموذج مهم يدل على مدى تشبع نفوس المسلمين بروح الجهاد هو اصرار الصحابي الجليل ابي ايوب الانصاري والذي أنعم الله عليه بالشهادة هناك ودفن عند اسوار القسطنطينية(١٥)، والذي سوف نتحدث عنه في الصفحات القادمة.

خطب الاستتفار التي كان يوجهها الخلفاء الأمويون وقادتهم لجندهم حاثين اياهم على قتال الروم والوصول إلى عاصمتهم أيضاً تعتبر من المواقف الجهادية المهمة لمجابهة الروم، هنا نذكر ما قاله الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ / ٦٨٤م - ٧٠٥م) للمسلمين لما عزم على إرسالهم مع ابنه مسلمة لقتال الروم في احدى الحملات قائلاً: (ايها الناس ان العدو قد كلب عليكم وقد طمع فيكم وهنتم عليه لترككم الغزو، واستخفافكم بحق الله وتشاغلكم عن الجهاد في سبيل الله وقد علمتم ما وعد ربكم في الجهاد لعدوه...) ^(١٦).

كان الخليفة عبد الملك بن مروان قد دعا إلى الجهاد في سبيل الله، فوردوا عليه من جميع الأفاق، كما شاورهم في الاعداد لمواجهة الروم، مؤكداً على مبدأ الشورى في اتخاذ القرار العسكري والذي كان يعمل عليه الأمويين في ادارتهم للمعارك الحربية^(١٧).

ولا ننسى هنا ان نشير إلى دور القائد مسلمة بن عبد الملك والذي قام بفتح العديد من الحصون حول أطراف القسطنطينية والحصار الذي استمر ما يقارب السبع سنوات والذي سوف نتحدث عنه بالتفصيل في الصفحات اللاحقة، ذلك يبرهن أن أولاد الخلفاء انفسهم قد جازفوا بأرواحهم وانفسهم من اجل الفتح والجهاد^(١٨).

وكان قد حصل ان الروم البيزنطيين هاجموا سواحل حمص وسبوا جماعة من المسلمين وفيهم امرأه ذات ذكر انذاك فاستغضبوا الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ / ٧١٤ - ٧١٧م) فقال: ((ما هو إلا هذا نعزومهم ويغزوننا، والله لأغزونهم عزوة افتح فيها القسطنطينية، أو أموت دون ذلك))^(١٩).

كما يذكر في الشأن ذاته أن الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ / ٧١٧ - ٧١٩م) قد وجه جيشاً من قبله إلى ارض الروم مجاهدين فمشى معهم وودعهم واوصاهم

بقوله: ((اتقوا الله وقاتلوا اعداءه ابتغاء ثواب الآخرة فإن الاجر للصابرين، في البأساء والضراء وحين البأس))^(٢٠).

كانت ظروف الدولة الاموية تختلف عن ظروف الخلافة الراشدة ذلك لأن الدولة الاموية اسست كيانها ودولتها على الدم والقوة ومركز عاصمتها كانت مساعدة لها بحكم قربها من الحدود البيزنطية وتلامسها معها، لذا اخذت الجهاد واجهة لفتوحاتها الإسلامية وتوسيع نفوذها تجاه القسطنطينية.

ولما سقطت الخلافة الأموية سنة (١٣٢هـ/٧٥٠م) انتقلت مقاليد الحكم إلى العباسيين الذين ورثوا الصراع العسكري مع البيزنطيين.

هناك اسئلة تطرح نفسها اثناء طرحنا لهذا الموضوع:

أولاً: هل ظل دافع الجهاد قوياً مثلما كان في العهد الأموي؟

ثانياً: هل هدف العباسيين كانت القسطنطينية؟

ثالثاً: هل ان الفتح كان من ضمن مخططاتهم؟

٢. الدافع الديني في العهد العباسي:

نحاول الاجابة بقدر الامكان عن ذلك لأنه بقيام الخلافة العباسية عام (١٣٢هـ / ٧٥٠م)، بدأ عهد جديد في الدولة الإسلامية يختلف في كثير من خصائصه عن العصر الاموي من حيث مركز الخلافة ونظام الحكم يتمثل ذلك بانتقال مركز الخلافة من الشام إلى بغداد التي أسسها الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور عام (١٤٥هـ / ٧٦٢م) ولذلك اصبحت الخلافة الإسلامية بعيدة عن حدود الدولة البيزنطية^(٢١)، ومن اجل ذلك لم تعد وجهتها البحر المتوسط وعلى أثره لم تنشأ اسطولاً ضخماً يضاهي الاسطول الاموي، كما نحيث الشام وفتح القسطنطينية من أهدافها، بل توجهت نحو آسيا والشرق^(٢٢)، واكتفت فقط بنشيت مناطق حكمها وتحصين حدودها وثغورها^(٢٣) فقد كانت الحدود البيزنطية والعباسية ميداناً لنشاط حربي محدود.

وهنا نعرض بعض الأمثلة أو نعطي نماذج تبين طبيعة العلاقات العباسية البيزنطية:

انتهاز الامبراطور قسطنطين الخامس^(٢٤) فرصة انشغال العباسيين باقامة دولتهم، فاغار على منطقة الثغور وحاصر مدينة ملطية^(٢٥) والتي استسلم اهلها له^(٢٦)، فعمل الخليفة

المنصور على اعادة بنائها في نحو ستة شهور وتحصينها من جديد بحشد المقاتلين فيها وتزويدها بالسلاح واقطاعهم المزارع واقامة الحصون^(٢٧).

استمر ابنه المهدي (١٥٨ ١٦٩ هـ / ٧٧٥-٧٨٥ م) على سياسة والده المنصور لكن مع اختلاف وهو قيادته بنفسه لهذه الحملات الهجومية على حدود الدولة البيزنطية وذلك بقصد رفع الروح المعنوية للجيش الإسلامي، فقام بغزوتين ضد الروم كانت بقيادة ابنه هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣ هـ / ٧٨٦-٨٠٨ م) الأولى في عام (١٦٣ هـ / ٧٨٠ م)^(٢٨) والثانية كانت في سنة (١٦٥ هـ / ٧٨٢ م)^(٢٩) ورغم قوة الحملة الثانية وضعف الدولة البيزنطية فلم يستغل الرشيد هذه الفرصة ولم يدخل القسطنطينية رغم أنه كانت هدفه ويتمثل بتحسين الثغور وتوجيه الصوائف والشواتي المتواليمة، حتماً كانت هناك اسباباً عديدة وراء ذلك من أهمها:

- ١- ضعف الاسطول العباسي وعدم قدرة الجيش الصمود امام أسوار القسطنطينية.
- ٢- تفضيل تحصين الحدود، والحصول على الغنائم الكبيرة وعقد الهدن والحصول على الجزية وتثبيت وجودهم في السلطة.
- ٣- ربما الخشية على أرواح الجند المسلمين وعدم إراقة دماءهم أكثر في عمل غير مضمون النتيجة حيث أعطى فشل الامويين في فتح القسطنطينية درساً للعباسيين في عدم جدوى أية محاولة من هذا النوع^(٣٠).
- ٤- الحواجز الطبيعية والجغرافية المتمثلة بالمناخ والأرض والجبال والتمثلة بجبال طوروس^(٣١)، فكما يشير ابن خلدون ان العرب لا يتقبلون ولا يطيقون السكن إلا في المناطق السهلية، ولا يتحملون المرتفعات الباردة^(٣٢) التي كانت تعيق حركة الفتوحات.
- ٥- اتساع الإمبراطورية الإسلامية وهذا كان يستلزم جهداً كبيراً للسيطرة عليها وتأمين حدودها.
- ٦- كثرة الفتن والحركات الداخلية التي شغلت العباسيين طوال عهدهم، كاستمرار مناوأة أهل الشام للعباسيين لأنهم كانوا لا يزالون على ولائهم للأمويين، والحركات الفارسية العديدة المناوئة لهم الأمر الذي دعا إلى الإهتمام بالجبهة الداخلية على حساب الجبهة الخارجية.

استمرت سياسية العباسيين الأوائل (١٣٢هـ-٢٤٧هـ / ٧٤٩م-٨٦٠م) على هذا النمط وهو حماية الحدود وتحصين الثغور وإرسال حملات الصوائف والشواتي، بما معناه أن فتح القسطنطينية لم تكن ضمن أهدافهم وهذا يدل ان الدافع الديني لديهم كان ضعيفاً تجاه القسطنطينية وبان دافع الجهاد كانت اقوى لدى الأمويين، بل أن العباسيين اهتموا بالناحية السياسية أكثر بدليل انهم لم يفكروا في الفتح بقدر تفكيرهم بانتزاع الأراضي البيزنطية الواقعة جنوب آسيا الصغرى^(٣٣).

ورغم ان العباسيين لم تكن القسطنطينية من ضمن اهدافهم إلا أنهم سعوا إلى تحطيم المؤسستين العسكرية والاقتصادية للبيزنطيين، ليصبحوا عاجزين عن القيام بأية هجمات في مناطق الثغور ودفعتهم إلى طلب عقد الاتفاقات والهدن لهم^(٣٤)، أدى ذلك إلى تولد علاقات ثقافية واقتصادية بين الطرفين، ملخص العلاقة بين الجانبين البيزنطي والعباسي كان هو صراع سياسي اقتصادي بين الشرق والغرب وليس صراع ديني بين الإسلام والمسيحية.

أما في العهد العباسي الثاني (٢٤٧هـ - ٦٥٦هـ / ٨٦٠م - م) والذي تمثلت فيه بالضعف والفساد الإداري والسياسي وكثرة الفتن والمشاكل الداخلية جعلتها عاجزة عن تجهيز حملات خاصة تجاه القسطنطينية^(٣٥).

ومع ظهور الأتراك السلاجقة^(٣٦) في منتصف النصف الأول من القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي، قد اقتضى إعادة توزيع أدوار لعبة الحرب على الصعيد الإسلامي - البيزنطي بعد أن قبضوا على مقاليد الأمور في العهد العباسي الثاني وبدوا كحماة للخلافة العباسية التي وصلت إلى مرحلة الكهولة نتيجة الضعف الذي أصاب مؤسسة الخلافة في كافة ميادينها^(٣٧)، فتحول ميزان القوى لصالح الدولة البيزنطية بالأخص في عهد الأسرتين العمورية والمقدونية^(٣٨)، فأصبحوا بذلك يشكلون خطراً على ممتلكات الدولة العباسية، حتى ظهور السلاجقة الذين تولوا مهمة الوقوف ضد البيزنطيين والدفاع عن أراضي الخلافة الإسلامية مما ساعدهم على ذلك نشوئهم في آسيا الصغرى على تخوم الامبراطورية البيزنطية أدى إلى أن يكون هدفهم الأساسي منذ بدايات تأسيسهم هو فتح ابواب آسيا الصغرى أمام الزحف التركي وذلك لإيجاد موطأ قدم لهم فيها وبعدها توسيع حدود دولتهم، اتخذت تحركاتهم هذه صبغة دينية، فإتخذوا عنوان (الجهاد في سبيل الله)^(٣٩) لفتوحاتهم ضد

البيزنطيين، كما اعتبروا الحرب ضد الامبراطورية البيزنطية جهاداً يشن ضد أعداء الإسلام فاطلقوا لقب (غازي) على من يشترك في الحرب معهم وبذلك جمعوا اكبر عدد ممكن من الجنود من مختلف القبائل التركمانية^(٤٠) للإشتراك في حملاتهم ضد البيزنطيين^(٤١) فضلاً عن حصولهم على الغنائم والمكاسب المادية^(٤٢).

فبدأت الصدامات العسكرية بين الطرفين، كانت من أهمها معركة ملاذكرد^(٤٣) عام (٤٦٣ هـ / ١٠٧١م) تمكن السلاجقة من خلالها إلحاق هزيمة كبيرة بالبيزنطيين وأسر امبراطور الروم رومانوس الرابع (١٠٦٨م - ١٠٧١م)^(٤٤)

وتمكنهم من إجتياح اسيا الصغرى وبالتالي قطع المورد الرئيسي للجيش البيزنطي والذي أدى إلى تحطيم الهيبة العسكرية البيزنطية ناهيك عن الخسائر المادية والمعنوية الأخرى التي لحقت بهم ، والتي كانت سبباً في بداية نهاية الإمبراطورية البيزنطية^(٤٥)، انتصار السلاجقة في ملاذكرد والذي كان سببه رفع راية الجهاد دفعتهم إلى التخطيط للقيام بانجازات سياسية عسكرية ودينية مهمة من أهمها هو فتح القسطنطينية والقضاء على الإمبراطورية البيزنطية، لكن الصراعات الداخلية للسلاجقة قد حالت دون ذلك، بما معناه ان الدافع الديني وهو الجهاد أصبح ايضاً دافعاً قوياً في العهد السلجوقي أياً كان الغرض منه سواء مكاسب سياسية أو مادية والدليل على ذلك هو تحقيقهم لنصر كبير في صدامهم مع البيزنطيين والذي كان له اثر في إزالة الخطر البيزنطي المسيحي عن حدود الدولة الإسلامية^(٤٦).

هناك سؤال يطرح نفسه ألا وهو:

هل لو ظلت الدولة السلجوقية على قوتها كانت تتمكن من تحقيق الفتح الكبير ألا وهو فتح القسطنطينية وتحقيق نبوءة رسولنا الكريم (ص)؟
الإجابة على هذه الأسئلة سوف يتم في الفصول اللاحقة.
الدافع الديني في العهد العثماني:

بعد انهيار سلطة السلاجقة حمل العثمانيون لواء الإسلام والجهاد في آسيا الصغرى خلفاً لهم والذين شكلوا امتداداً لتقاليدهم فمثلت دولة اسلامية حافظت على تقاليد امبراطوريات الإسلام السابقة في اعتمادها القرآن مصدراً للتشريع وان كانت تحيد عن بنوده قليلاً أو كثيراً

ذلك لتأثرها من جهة أخرى بالنظم البيزنطية والأوربية، فقد احتفظت الدولة العثمانية بتلك النظرة الإسلامية التقليدية ذاتها التي تقسم العالم إلى دارين: دار الإسلام ودار الحرب، لهذا استمرت حروب الجهاد للعثمانيين طويلاً، فجيوشها جيوش الإسلام وقوانينها قوانين الإسلام يرافقهم طبقة من العلماء والفقهاء وعلى رأسهم مفتي الديار وهو شيخ الإسلام، فكانت لكلمتهم أهمية كبرى وقوة تتلاشى أمامها كل الاعتبارات^(٤٧).

هذه الطبقة من العلماء والفقهاء يسميهم المستشرق برنارد لويس بـ (طبقة الكهنوت) بل ويصر بتسمية علماء الإسلام بهذا الاسم، وذلك مخالف لأن هناك فرق شاسع بإعتبار ان العلماء والفقهاء والذين كان يطلق عليهم اسم (الملا) في العهد العثماني ليسوا وسطاء بين العبد وخالقه في الإسلام والذي هو عكس ما هو عليه في الديانة المسيحية^(٤٨).

كما يذكر برنارد لويس أنه كان من المؤلفين بين مسيحي أوروبا في زمن ما أن يستعملوا كلمة (ترك) كمرادف لكلمة مسلم، ويقولوا عن أي شخص اهتدى إلى الإسلام بأنه أصبح (تركاً)، فهذا يدل على أن الامبراطورية العثمانية منذ بدء نشؤها إلى نهاية أمرها كانت دولة ذات معالم إسلامية وجنودها حاربت البيزنطيين من أجل ترسيخ فكرة الإيمان^(٤٩).

وإما عن أصل تسمية العثمانيين فيرجع إلى نسل آل عثمان غازي ابن أرطغرل بن سليمان شاه بن قبال بن قزل بوغنه بن باي ور بن ايغولغ انما جن كوغار بن قيتنون بن باي صنقور... حيث يرجع الجد الثامن والثلاثون لهم إلى يافث بن نوح عليه السلام والذي كان نسله من العجم^(٥٠).

كان عثمان (٦٩٩هـ-٧٢٦هـ/١٣٠١م-١٣٢٧م) يبلغ من العمر (٢٤) سنة عند تسلمه السلطة^(٥١) وهو المؤسس للإمبراطورية العثمانية، ونسبة إليه يطلق أو أطلق الأتراك الذين عاشوا فيه اسم (عثمانيين) على أنفسهم وهو اللقب القومي الوحيد الذي يعرفونه^(٥٢).

عمل عثمان على تقريب العلماء والأتقياء وأنشأ لهم المدارس ذلك لكونه تعلق بهم منذ صغره، تبين لنا ذلك من خلال علاقته بالشيخ (اده بالي)^(٥٣) منذ صغره فكان كثير التردد عليه حتى أنه خطب ابنته (مال خاتون "باله خاتون")^(٥٤)، وفي إحدى الليالي كان عثمان ينام عند شيخه فرأى مناماً والذي أولاه الكتاب العثمانيين والأوربيين^(٥٥) اهتماماً كبيراً، ذلك لأنهم اعتبروه تنبؤاً بأن عثمان سوف يصبح مؤسس امبراطوريتهم وهذا الحلم يسرده لنا

المؤرخ النمساوي "فون هامر"^(٥٦) والطاشكيري زاده، وهنا نسرد ما جاء فيه، وفيه يحكي لنا بأن عثمان رأى في منامه شجرة حسنة انتصبت تحته أربع جبال أدرك فيها بأنها جبال القوقاز واطلس وطوروس وهاموس ومن جذورها تفجرت أربعة أنهار وهي دجلة والفرات والدانوب والنيل، تسير على مياهها السفن العالية والمواكب الكثيرة، وسفوح جبال مغطاة بالغابات والوديان الفخمة بقبابها واهراماتها ومسلاتها ومآذنها وأبراجها، ومن شرفاتها تنطلق اصوات الآذان وفجأة هبت رياح عظيمة حولت حدود السيوف نحو مدن مختلفة من العالم، لكن كانت بصفة خاصة تتجه نحو القسطنطينية، فبدت له وكأنها جوهرة بين ياقوتتين رزقاوين...، هنا ركز هامر حول الجزء المتعلق بالقسطنطينية والتي سقطت فيما بعد في يد حفيده محمد الفاتح^(٥٧). فهل أن هذه الرؤيا او الحلم نبأ عثمان بالفتح وتحقيق أكبر دولة إسلامية بعد إسقاطها لرمز المسيحية ألا وهي مدينة القسطنطينية، وبما سوف تصل إليه من المجد؟

حقيقة نود هنا ان نفسر هذا الحلم من وجهات نظر متعددة أولها بوجهة نظر تاريخية والثاني بوجهة نظر دينية، نأتي أولاً بتفسير هذا الحلم من منظور تاريخي، فرغم ان المؤرخ النمساوي هامر صاحب كتاب تاريخ الدولة العثمانية والذي يتكون من مجلدات عدة يعتبر من المصادر المهمة والمعتمدة حول التاريخ العثماني هو الذي سرد هذه الرؤيا ومؤرخين آخرين أمثال طاشكيري زاد وغيره، إلا أنه يبعثنا على التفكير في خشية ان تكون هذه الرؤيا من نسج الخيال ذلك في ان يكون عثمان قد تأثر بالزعماء الآخرين (غير الدين) أمثال قسطنطين الكبير (٢٢٨-٣٣٧م) مؤسس القسطنطينية وجنكيزخان (٥٤٩ - ٦٢٥ هـ / ١١٥٠ - ١٢٢٧م) مؤسس الإمبراطورية المغولية وغيرهم وذلك بإعطاء صفة العظمة والألوهية والنبوء بالغيب والعلاقة الخاصة مع السماء، فمثلاً أدعى قسطنطين الكبير بالألوهية لكونه يستمد سلطته من السماء^(٥٨).

وجنكيزخان زعيم المغول الذي عندما ولد وجد يديه مقبوضة على قطعة متجمدة من الدم فلما تداوله الحاضرون استغربوا وقالوا انه سوف يصبح ملكاً^(٥٩).

حقيقة من الممكن أن عثمان كان قد تأثر بهذه القصص بحكم قرب مراكز تواجدهم في آسيا الصغرى من القسطنطينية ومن المغول ذلك لوجود احتكاك جغرافي سياسي عسكري اقتصادي فيما بينهم.

أما من الوجهة الدينية فنرى انه لو كان هذا الحلم هو رؤيا فإنه يعتبر حقيقياً، ذلك لقول الرسول (ﷺ) بأن الرؤيا احدى المبشرات للمسلم بقوله: "إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن، ورؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة، وما كان من النبوة فإنه لا يكذب. قال محمد (ﷺ) : وانا ا قوله هذه. قال: وكان يقال: الرؤيا ثلاث: حديث النفس، وتخويف الشيطان، وبشرى من الله فمن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصه على احد وليقم فليصل"

وقال: "رؤيا المسلم يراها أو ترى له"، وفي حديث ابن مشهر "الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة" (٦٠).

وهناك وجهة نظر دينية أخرى وهو أنه لا يجوز مقارنة مسلم بغير دين، هنا يتضح لنا بأن السبب وراء اهتمام المؤرخين بهذه الرؤيا كان لغرض اعطاء صفة الشرعية والعظمة للعثمانيين باعتبار أنهم أحيوا الخلافة الإسلامية من جديد بعد إنهارها على أثر سقوط الخلافة العباسية سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) على يد المغول فكانوا السبب في تجديدها وإعادتها من خلال إحياء قوانين الإسلام فيها لقرون عديدة.

دافعاً آخر لإهتمام الكتاب العثمانيين (٦١) لمنام عثمان هو اسمه والذي كان يعني "كاسر العظام" إذ كان يطلق هذا الاسم على النسور الكبيرة المعروفة بـ (النسر الملكي) (Royal vulture) والذي يعد رمز السيادة والقوة الحربية في الشرق، كما أطلق عليه في التاريخ التركي اسم (قرة) الذي يدل على وسامته، وزيه كان كمحاربي الإسلام الأوائل مكون من العمامة المصنوعة من الكتان الأبيض وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على اتخاذه أحد مظاهر الإسلام المهمة (٦٢)، فكما يصفه مفتي مكة المكرمة (دحلان) بأنه: "سلطان مبارك خرج من صلبه السلاطين العظام الذين شيّدوا الإسلام وكان صحيح العقيدة على عقيدة أهل السنة يحب الصحابة وأهل البيت والعلماء والصالحين ويحسن إليهم ويعظمهم ويقوم بحقوقهم وكان شديد التعظيم لشعائر الدين وللقرآن العظيم" (٦٣).

كما يصفه نيقولو باربارو بأنه عرف بتسامحه وظل عالماً في ذاكرة أمته يظهر ذلك من صيغة الدعاء الذي كان الناس يدعوه بقولهم: "نسأل الله ان يكون صالحاً مثل عثمان"^(٦٤)،

كان عثمان أول أمير مستقل لقومه حكم (٢٧) عاماً، كما كان زعيماً لهم لـ (٣٩) عاماً، توفي وهو يبلغ من العمر (٦٩) عاماً، أسس إمارته في موقع إستراتيجي مهم يتحكم في الطرق القادمة من القسطنطينية إلى آسيا، وباعتبارهم ورثة للتقاليد الإسلامية السلجوقية، فكانوا على دراية بكفاءة النظم الإدارية والإقتصادية والعسكرية، وهو الأمر الذي ساعدهم فيما بعد بتحويل إمارتهم الصغيرة إلى إمبراطورية كبيرة^(٦٥).

كان عثمان قد أوصى ابنه أورخان غازي (٧٢٦-٧٦١هـ/١٣٢٧-١٢٦٠م) قبل وفاته بالحرص على الدين وإحترام العلماء والشفقة على الرعية ومداومة الجهاد^(٦٦).

فوجد أورخان قد استمر على سياسة والده ومن بعده درج السلاطين العثمانيين على سنة آبائهم من الحرص على الناحية الدينية، وإذا فرط أحدهم في المظهر الديني فإن العلماء كانوا ينبهون السلطان كما حدث مع السلطان مراد الأول (٧٦١-٧٩١هـ/١٣٦٠-١٣٨٩م) الذي لم يكن حريصاً على صلاة الجماعة ورفض القاضي شهادته لأنه لا يصلي الجماعة، فدفعه ذلك إلى بناء مسجد كبير في أدرنة تكفيراً عن ذنوبه.^(٦٧)

ومن مظاهر الإسلام للعثمانيين هي سياسة التسامح الديني الذي اتبعوه كأحد مقومات الجهاد العثماني ضد البيزنطيين، فمنذ الأيام الأولى من حكمهم والذي قاموا فيه بتوسيع حكمهم في آسيا الصغرى فتوطدت علاقتهم مع الكنيسة المسيحية حاولوا من خلالها إستمالة المسيحيين إلى جانبهم من خلال عقد اواصر المصاهرة مثال زواج أورخان غازي من فتاة مسيحية^(٦٨)، كما اتخذ ميخائيل ذا لحية نائباً له في ميادين الحرب^(٦٩)، اتبعت سياسة المساواة بينهم وبين المسلمين، أثمرت هذه السياسة تعلق الرعايا المسيحيين بالدولة العثمانية وتفضيل العيش في ظلهم، يتضح لنا ذلك من خلال العبارة التي تناقلها المسيحيون عن لوكاس ناتوراس الزعيم الديني البيزنطي حيث قال: "انه لخير لنا ان نرى العمامة التركية في القسطنطينية من ان نرى فيها تاج البابوية"^(٧٠)، وهنا نرى مدى تأثير العثمانيين بدول الخلافة الإسلامية السابقة والدولة الاموية والعباسية وخلفاؤها الذين عاملوا أهل الكتاب معاملة حسنة،

ففرى أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان استعمل في قصره طبيباً نصرانياً اسمه (ابن أقال) الذي كافأه معاوية بوضع الجزية عنه وتوليته خراج حمص، وعندما تم فتح مصر أبقوا فيها العمال البيزنطيين، وظلت الدولة حتى عهد الخليفة عبد الملك تدون باليونانية والفارسية والقبطية، كما ظل الدينار البيزنطي متداولاً حتى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، كما استعمل الخليفة سليمان بن عبد الملك لنفسه كاتباً نصرانياً. كما عين المنصور يهودياً اسمه (موسى) احد اثنين من جباة الخراج في بغداد، مع وجود زمرة من الأطباء اليهود والمسيحيين على صلة وثيقة بالحكام المسلمين^(٧١)، كما استعانوا بالمهندسين النصارى في تشييد المساجد الكبيرة والقصور فيقول ادم مثر: "إن ما يميز المملكة الإسلامية عن أوربا النصرانية في القرون الوسطى ان الأولى يسكنها عدد كبير من معتقي الأديان الأخرى عدا الإسلام، وليست كذلك الثانية"، فكانت لهذه السياسة أثرها الكبير في اعتناق الكثير منهم للإسلام^(٧٢)، فيظهر لنا أن سياسة التسامح الديني الذي اتبعه المسلمون كان تأثيره أقوى من الأسلحة الفتاكة، وذلك استناداً على الآية الكريمة: [لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ]^(٧٣)، وقوله: [أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ] "^(٧٤). وبذلك أنشأ العثمانيون امبراطورية متحررة تعامل كل الأديان والعقائد والاجناس بمقياس واحد، فجمعت بين المسيحيين والأرثوذكس بالبلقان والمسلمين بالأناضول في دولة واحدة.

إن المكانة السامية التي تبوأها رجال الدين من العلماء والمشايخ والمتصوفين لدى السلاطين العثمانيين دلّ ذلك على رغبة السلاطين في سيطرة الشريعة الإسلامية بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله ورفع راية الجهاد وذلك اقتداءً بدول الخلافة الإسلامية منذ صدر الإسلام، كما كان السلاطين يقفون خاشعين أمام العلماء، يستشيرونهم في اخطر الأمور وينفذون تعاليمهم، حتى أنهم كانوا يشاركونهم في ميادين القتال في طليعة الجيش إلى جانب السلطان يثيرون الحمية الدينية، ويتلون على الجنود آيات الجهاد والنصر مع بيان فضله في اعلاء كلمة الإسلام ونعمة الاستشهاد، حتى انهم كانوا يقاتلون مع الجنود مما زاد من هيبتهم في الدولة، ولدينا نماذج عديدة من هؤلاء العلماء الذين كانوا يرافقون السلاطين منذ صغرهم وذلك لغرض التعليم وتنشأتهم تنشأة اسلامية صحيحة، من هؤلاء المولى طورسون والذي كان من بلاد القرمان مختص بالتفسير والحديث والأصول، والشيخ العارف بالله مخلص بابا

والذي شارك عثمان غازي في فتوحاته، وابنه عاشق باشا، فكل سلطان عثماني كان محاطاً بمجموعة من هؤلاء العلماء^(٧٥)، نموذج اخر لمشاركة الشيوخ في المعارك وهو الشيخ البخارى وهو عم السلطان مراد الثاني (٨٢٤ - ٨٥٥هـ / ١٤٢١ - ١٤٥١م)، أخذ هذا الشيخ يبث روح الجهاد بين الجند مع جماعته من الشباب المتدين وأعلنوا أنهم يقودون المسلمين نحو فتح القسطنطينية^(٧٦).

ومن الضروري هنا أن نشير أن من غرس فكرة فتح القسطنطينية في عقل وفكر السلطان محمد الفاتح (٨٥٥-٨٨٥هـ / ١٤٥١ - ١٤٨١م) والذي كان محاطاً بالعلماء^(٧٧) هو مولاه ومعلمه من بينهم الشيخ اقا شمس الدين^(٧٨) (ت ٨٦٣هـ / ١٤٥٩م) والملا گوراني^(٧٩) (ت ٨٦٣هـ / ١٤٥٩م) والذين كانا لهما تأثيراً كبيراً في حياة السلطان محمد الفاتح من حيث تعليمه وتنشأته وختمه للقرآن وبيان فضل فتح القسطنطينية^(٨٠).

ففي احدى المرات زار مدينة ادرنة صوفي العصر الكبير صوفي معروف "الحاج بيرام ولي". (ت ٨٣٣هـ / ١٤٣٠م)^(٨١) والذي كان اقا شمس الدين قد تلقى تعليمه على يده، وقد استقبله السلطان مراد الثاني وطلب منه قائلاً: "يا شيخي أريد فتح القسطنطينية، فقد حاول جدّاي السلطان بايزيد وموسى شلبي فتحها، إلاّ أنهما لم يوفقا في ذلك، وأنا كذلك، أن القسطنطينية مهمة جداً لنا، فادع الله ان يكون الفتح على ايدينا".

ورد "الحاج بيرام ولي" على السلطان قائلاً: "مولاي السلطان، إنك لن تفتح هذه المدينة، وأنا أيضاً لن أشهد ذلك اليوم، لأن الفتح سيكون من نصيب هذا الأمير الذي لا يزال في المهد ومعه شيخه".

واشار الشيخ بذلك على الأمير "محمد شلبي" و"اقا شمس الدين"، أما في السنوات التالية نرى ان السلطان مراد وهو يشجع ابنه الأمير محمد بقوله: "يا محمد ستفتح القسطنطينية مع الشيخ اقا شمس الدين بإذن الله تعالى"^(٨٢).

كان الشيخ اقا شمس الدين من أحد معلمي السلطان محمد الفاتح كما هو معروف، في ذات ليلة بينما كان السلطان محمد يتلقى العلم من شيخه، دخل عليهما رسول يخبرهما بأن الجيش الصليبي قد اقتحم قلاع "عكا" و"صيدا" و"بيروت"، وأسروا الاف المسلمين وأخذوهن إلى ديارهم، فحزن السلطان محمد حزناً كبيراً، فواساه الشيخ اقا شمس الدين قائلاً:

"لاتحزن يا أميري، فانك ستفتح اسطنبول يوماً ما، فأعدل بين المجاهدين يوم النصر"، ثم نزع الشيخ عمامته ووضعها على رأس الأمير الصغير، وبشره بفتح اسطنبول، وقرأ عليه الأحاديث النبوية في الفتح والآيات القرآنية قائلاً:

[لكل أجل كتاب] ^(٨٣). هكذا رسخت فكرة الفتح في ذهن محمد الفاتح. ^(٨٤).

ومن العلماء الآخرين الذين كان لهم دور كبير في حياة السلطان محمد الفاتح هو الملا گوراني (ت ٨١٣-٨٩٣هـ / ١٤١٠ - ١٤٨٨م) ^(٨٥)، والذي تولى مهمة تعليم السلطان محمد الفاتح منذ صغره إذ كان يبلغ الفاتح الثانية عشرة من عمره عندما بدأ الملا گوراني بتعليمه والذي كان معروفاً بشدته وعلمه الوفير، لهذا إختاره السلطان مراد الثاني (٨٢٤-٨٥٥هـ / ١٤٢١-١٤٥١م) ^(٨٦) وذلك يضمن تعليم ولده المشاغب والعنيد والمتكاسل عن ختم القرآن وعن أداء مهامه العلمية، ذلك بتنشأته تنشأة علمية دينية يستطيع من خلالها حكم دولته العثمانية في المستقبل ^(٨٧).

وفي أول لقاء بين الملا گوراني والسلطان محمد الفاتح حمل معه المعلم الجديد (ملا گوراني) معه عصا خشبية لإخافة السلطان والذي فعلاً تعجب من تصرف الملا كوراني الذي اوضح له انه يستطيع ان يستعمله بإجازة والده السلطان مراد ذلك في حال تكاسله عن أداء واجباته العلمية والدينية ^(٨٨)، ومنذ ذلك اليوم بدأ السلطان الصغير بالدراسة حيث ختم القرآن ودراسة العلوم العقلية والنقلية المختلفة والأحاديث النبوية الشريفة ^(٨٩)، إذ حرص الملا كوراني على سرد الأحاديث النبوية التي تخص الفتح من ضمنه نبوءة الرسول (ص) عن فتح القسطنطينية ^(٩٠)، ومن ذلك الوقت ركز الفاتح على هذا الحديث وعمل ليلاً ونهاراً من أجل نيل شرف الفتح ^(٩١)، فكان للملا گوراني الفضل في بيان أهمية نيل شرف الفتح القسطنطينية ذلك من خلال دعمه المستمر له ومساندته وتشجيعه على إتخاذ خطوة الفتح في الوقت الذي كان هناك من حوله من الوزراء وغيرهم رافضين فكرة المجازفة بالفتح ^(٩٢)، فكان الملا كوراني من العلماء المفضلين عنده لهذا أوكله أهم الوظائف الدينية والعلمية عنده مثل مهمة شيخ الإسلام والقضاء والإفتاء ^(٩٣).

إذا يتضح لنا ومن خلال استعراضنا للمظاهر الإسلامية التي تمتعت بها الدولة العثمانية والتي اتخذتها واجهة لدولتها وسياستها يظهر لنا بأن دافع الجهاد بما معناه الدافع

الديني كان قد بلغ أوجه في عهدهم ذلك لأن سلاطينها الأوائل الذين جعلوا فتح القسطنطينية هدفهم الرئيسي منذ ان تولوا حكم مناطق آسيا الصغرى متخذين راية الجهاد في سبيل الله واجهة لكافة توسعاتهم رغم أهدافهم الخفية المتمثلة بالسياسية والاقتصادية عملوا بكل جهد أب عن جد من أجل تحقيق نبوءة الرسول (ص) وذلك من خلال فتح مدينة تلو الأخرى إلى أن تم الفتح الكبير، فما بدأه السلاجقة أكمله العثمانيين.

وهنا نرى ان دافع الجهاد أي الدافع الديني كانت تمر بمراحل المد والجزر بين العصور الاسلامية المختلفة ففي العصر الأموي كان قويا على عكس العصر العباسي والذي فيه قد قل دوره نظرا لظروف الخلافة العباسية والتي قد أشرنا إليها عد وبلغ ذروته في العهد العثماني، نبرهن على ذلك بعدد الحملات التي وجهت من قبل الخلفاء نحو القسطنطينية.

الخاتمة:

١- أعتبر الجهاد حافزاً للفتوحات الاسلامية التي استهدفت كسر الحواجز التي كانت حائلاً امام إبلاغ الرسالة الإسلامية وتوسيع رقعته بانضمام أمم جديدة إليه.

٢- كان دافع الجهاد من أهم الدوافع في العهد الأموي ما يدل على ذلك رغبة المسلمين في نشر الإسلام وتحمل المقاتلين المسلمين لفترات الحصار الطويلة التي كانت تفرض على القسطنطينية براً وبحراً، تحملوا من خلالها الظروف الصعبة من مقاومة بيزنطية وحصانة المدينة والظروف المناخية الصعبة، والإبتعاد عن الأهل والمجازفة بأرواحهم مقابل الشهادة، وما ميزها وجود الصحابة وأبناء الخلفاء في الحملات الموجهة تجاه القسطنطينية والذين كان لهم دورهم الملحوظ في تقوية روح الجهاد لدى المقاتلين والذي لم يكن موجوداً في الفترات الإسلامية اللاحقة، ومهما اختلف المؤرخون في تفسيرهم لحركة الفتح في العصر الأموي وتسويغها، فإنها تظل جزءاً مكماً للفتوح الاسلامية.

٣- غاب في العصر العباسي الإصرار الكبير على فتح القسطنطينية، يتضح لنا ذلك من خلال سياسة الدولة العباسية مع البيزنطيين والتي اتخذت طابع الهدن والإتفاقات والعلاقات السياسية والاكتفاء باخذ مبالغ ضخمة من جراء عقد الهدن دون الإهتمام

بتخصيص حملات فعلية تجاه القسطنطينية مما جعلها في موقف دفاعي على عكس الدولة الأموية لطالما كانت في موقف هجومي تجاه بيزنطا.

٤- كان دافع الجهاد واجهة رئيسية للفتوحات العثمانية والتي كانت دولة إسلامية في اغلب مظاهرها ونظمها وقوانينها، والتي خططت منذ بداية ظهورها لفتح القسطنطينية وتحقيق نبوءة رسولنا الكريم (ص) وفعلاً حققت الفتح وأسقطت إمبراطورية دامت إحدى عشرة قرن ووجدت بذلك عمر الخلافة الإسلامية لأربعة قرون أخرى.

قائمة الهوامش:

- (١) سورة التكويد، الآية ٢٦؛ سورة يوسف ، الآية ١٠٤ .
- (٢) سورة الأنفال، الآية ١٢ .
- (٣) سورة الصف، الآية ١٠ - ١١ .
- (٤) سورة النساء، الآية ٧٤ .
- (٥) سورة الحجرات، آية ١٥ .
- (٦) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، جامع البيان في معاني القرآن، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت من نسخة المطبعة الأميرية ببولاق، (١٩٧٨)، ج ٥، ص ١٤٦
- (٧) احسان صدقي الحمد، الحجاج بن يوسف الثقفي حياته وأراؤه السياسية، ط١، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٣، ص ٣٤٣؛ التكريتي، دوافع الفتوحات الاسلامية، ص ٥٨ .
- (٨) البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٨٦)، ج ٩، ص ٨٧ .
- (٩) عبدالله بن محيريز الفلسطيني: نزل الشام وسكن بيت المقدس تابعي ثقة من خيار المسلمين قيل انه مات في خلافة عمر بن عبد العزيز وقيل في خلافة الوليد بن عبد الملك. ينظر: ابن حجر: العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تهذيب التهذيب، دار احياء التراث العربي بيروت، (١٩٩٣)، ج ٣، ص ٢٦٤-٢٦٥ .
- ابن عساكر: ابو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين ابي سعيد بن غرامة العمروي، دار الفكر بيروت، (١٩٩٥)، ج ٣٥، ص ٦٠ .
- (١٠) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج ١٢، ص ٢٤١ .

(^{١٢}) جابر بن عبد الله بن عمر... بن سلمة الانصاري احد المكثرين للنبي (ص) له ولأبيه وصحبه وكان مع من شهد العقبة. ينظر: ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، طبعة جديدة، اعتنى بها الشيخ عادل احمد الرفاعي، دار احياء التراث العربي، لبنان، (١٩٩٦م)، ج١، ص ٣٧٧ - ٣٧٨.

(^{١٣}) أبو يعلى: احمد بن علي، مسند ابو يعلى، تحقيق: حسين سليم اسد، ط١، دار المأمون للتراث، دمشق، (١٩٨٤)، ج٢، ص ٢٤٢؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج١٨، ص ١١٧؛ ابن العديم: كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد العقيلي الحلبي (ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت (د.ت)، ج١٠، ص ٤٦٢٧ - ٤٦٢٨.

(^{١٤}) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٢١، ص ٣٥٠ - ٣٥١.

(^{١٥}) ابن أبي شيبة: ابو بكر عبدالله بن محمد بن ابي مشيبة الكوفي (ت ٢٣٥هـ/٨٤٩م)، مصنف ابن ابي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، (١٤٠٩هـ)، ج٥، ص ٢٧٤.

(^{١٦}) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٩، ص ١٦٧ - ١٦٨؛ ابن العديم: بغية الطلب، ج٤، ص ١٩٢٢ - ١٩٢٣.

(^{١٧}) ابن قتيبة: ابو عبدالله محمد بن مسلم (ت ٢٧٦ ع/ ٨٨٩م)، الإمامة و السياسة، اعتنى بطبعه: محمد محمود الرفاعي، مطبعة النيل، مصر، (١٩٠٤م)، ج٢، ص ٥١؛ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٤-٥، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ج٦، ص ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٧٢.

(^{١٨}) اليعقوبي: احمد بن ابي يعقوب بن واضح ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، مطبعة الحيديرية، النجف، (١٩٦٤)، ج٢، ج٢، ص ١٠١ - ١٩٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص ٤٢٦-٤٢٩؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ج٤، ص ٦٤.

(^{١٩}) الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٧هـ/ ١٣٤٧م)، تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير، مكتبة القدسي، القاهرة، (١٣٦٧هـ)، ج٦، ص ٦٩؛ الصفي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، (٢٠٠٠)، ج١٥، ص ٢٤٦.

(^{٢٠}) البلاذري: احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢)، انساب الأشراف، دار المعارف، مصر، (١٩٥٩)، ج٨، ص ١٥٦.

- (^{٢١}) ابن كثير: عماد الدين اسماعيل بن عمر (١٣٤٣هـ/٧٧٤م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية الإسلامية، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، الجيزة، (١٩٧٧)، ص ٢٩١؛ ابن العماد الحنبلي: ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي (١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في اخبار من مذهب، نشر مكتبة القدس، القاهرة، (د.ت)، ج١، ص ٢٤٤.
- (^{٢٢}) ابراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون البحر المتوسط بحيرة اسلامية، الدار القومية للطباعة والنشر، ط٢، مصر، (١٩٦٣م)، ج٢، ص ١٢٦؛ ابراهيم العدوي، الحدود الاسلامية البيزنطية، ص ٦٩.
- (^{٢٣}) الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص ٤٩٧؛ اسماعيل سيرهنك، حقائق الاخبار عن دول البحار، ج١، ص ٢٥٧.
- (^{٢٤}) قسطنطين الخامس: تولى الحكم بعد موت والده ليو الثالث (٩٩-١٢٤هـ/٧١٧-٧٤١م) تقدم على رأس حملة لقتال المسلمين سنة (١٢٥هـ/٧٤٢م) لكنه فشل، دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ص ١٣٣-١٣٤؛ السيد باز العريني، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٢)، ص ١٨٦-٢٢٠.
- (^{٢٥}) ملطية: مدينة من بناء الاسكندر، وهي في بلاد الروم وتتاخم بلاد الشام كما هي من اجل الثغور الاسلامية، امام الروضة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ١٩٥.
- (^{٢٦}) الذهبي، دول الاسلام، ج١، ص ٩١؛ عثمان فتحي، الحدود الاسلامية البيزنطية، الدار القومية للطباعة والنشر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (د.ط)، القاهرة، (د.ت)، ج٢، ص ١٢٦.
- (^{٢٧}) شاکر مصطفى، دولة بني العباس، الكويت (د.ت)، ج٢، ص ٣٠٢؛ احمد رشاد، جهاد الأمة الاسلامية لفتح القسطنطينية، بيان للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠٢٠، ص ٣٦.
- (^{٢٨}) الطبري، تاريخ الرسل، ج٩، ص ٣٤٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص ١٤٧.
- (^{٢٩}) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٤٠٢؛ الطبري، تاريخ الرسل، ٨٩٠، ص ١٤٨.
- (^{٣٠}) شاکر مصطفى، دولة بني العباس، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٣، ج١، ص ٣٣٦.
- (^{٣١}) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الاسلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١، ص ٢٠٣-٢٠٤؛ موفق سالم نوري، العلاقات العباسية البيزنطية، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (١٩٩٠م)، ص ٢٩٥.
- (^{٣٢}) ابن خلدون: حمد بن عبد الرحمن (٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، المقدمة، دار العودة، بيروت، (١٩٨١)، ج٢، ص ٣٣٦.

(^{٣٣}) الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص ٤٩٧؛ نيقولو باربارو، الفتح الاسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني ١٤٥٣م، دراسة وترجمة: حاتم الطحاوي، عين للدراسات والبحوث، ط١، (٢٠٠٢)، ص ١٢؛ رشاد، جهاد الأمة، ص ٣٦.

(^{٣٤}) الطبري، تاريخ الرسل، ج٨، ص ١٥٤؛ موفق سالم نوري، العلاقات العباسية البيزنطية، ص ١٩١-١٩٦.

(^{٣٥}) ابن الأثير: عز الدين بن الأثير الحسن بن علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣م) الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٨٧)، ص ١٠٣؛ عبد العزيز الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مطبعة السريان، بغداد، ١٩٤٥، ص ٦٠.

(^{٣٦}) عن السلاجقة ينظر: البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، بيروت، (د.ت)؛ صدر الدين علي بن ناصر الحسيني، زبدة التواريخ - أخبار الامراء والملوك السلجوقية، تحقيق: محمد نور الدين، دار اقرأ، بيروت، ١٩٨٥، ص ٣٣-٣٤؛ هارت: السلاجقة، دائرة المعارف الاسلامية، بيروت، (د.ت)، ج١٢، ص ٢٤-٣٩؛

Köymen MA., Selçuklular Devri Turk Tarihi, Ankara, 1983P Merçil Erdğan, Büyü Selçuklu,s 45-62 .

(³⁷) Genç süleyman, Fatimi - Abbasi - Slçukln Münasebetleri ve Besasirilsyani, Doktora Tezi, Izmir, 1995,s 95-129

(^{٣٨}) ابن العبري: أبي الفرج جمال الدين، تاريخ الزمان، ترجمة الأب اسحق ارملة، بيروت، ١٩٨٦، ص ٥٧؛ نيقولا باربارو، الفتح الاسلامي، ص ١٢؛ والتي تعود اصلها إلى حصن عمورية الواقع في اقليم فريجيا، والذي يقع على الطريق العسكري البيزنطي القديم المتجه من القسطنطينية إلى قيليقية.

* الأسرة العمورية (٨٢٠ - ٨٦٧م): وهي احدى الأسر الحاكمة في الامبراطورية البيزنطية عرفت بحكم اباطرتها الثلاثة وهم ميخائيل الثاني وثيوفيلوس وميخائيل الثالث الكبير أهم أحداث عصرهم تمثلت بظهور حركة توماس الصقلي، والصراع مع المسلمين بشأن جزيرة كريت، ينظر: محمد مؤنس عوض، الامبراطورية البيزنطية، ص ٢٣٧؛ موفق سالم نوري، العلاقات العباسية البيزنطية، ص ٢٢٦.

* الاسرة المقدونية: وهي احدى الأسر البيزنطية الحاكمة والتي جاءت بعد الأسرة العمورية إلى الحكم، لكن اختلفت عنها بطول مدة حكمها الذي استمر من النصف الثاني من القرن التاسع إلى ما زاد عن منتصف القرن الحادي عشر الميلادي (٨٦٧ - ١٠٥٧م)، امتازت بحكم عدد كبير من الأباطرة كان من اهمهم باسل الأول (٨٦٧ - ٨٨٦م)، وليو السادس (٨٨٦ - ٩١٢م)، أهم

أحداث عهدهم تمثلت بمواجهة حركة التوسع الإسلامي في الأديرياتيك ومواجهة حركة البولسيين، والإسهام القانوني، فقد اعتبر بعض المؤرخين عهدهم بمثابة العصر الذهبي للإمبراطورية، ينظر: محمد مؤنس عوض، الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٥١ - ٣٠١؛ عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ط، الاسكندرية، (١٩٦٧)، ص ١٤٢.

(٣٩) عبد المنعم حسنين، سلاجقة ايران والعراق، مكتبة الانجلو-المصرية، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٥١؛ نيشتمان بشير محمد، الكرد والسلاجقة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، ٢٠٠٠، ص ١٧٩.

(٤٠) عن القبائل التركمانية ينظر: محمد فؤاد كوپرلي، قيام الدولة العثمانية، ترجمة احمد سعيد سليمان، تقديم احمد عزت عبد الكريم، دار الكتاب العربي للطباعة، مصر، ١٩٦٧.

(٤١) رشيد الجميلي، الصراع بين السلاجقة والبيزنطيين، مجلة كلية التربية، جامعة بغداد، العدد ١، (٩٧٧هـ/١٩٧٨م)، ص ٢٠٢؛ محمد صالح الزبياري، سلاجقة الروم في اسيا الصغرى، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، أربيل، (١٩٩٩م)، ص ٤٠.

(42) Teachner, the turks and the Bizatine Empire, (Med), Vol. 4, pp 737-739.

(٤٣) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٠٨، ص ٩٩؛ حول اسم المنطقة ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٠٢؛ الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٠٧ - ١١٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٢٠ - ٢١؛ للمزيد ينظر:

Sevim Ali, Malazgitr Meydan Savaişi, TTK, Ankara, 1971 .

(٤٤) سبط ابن الجوزي: شمس الدين ابو المظفر يوسف (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مطبعة الجمعية التاريخية التركية، انقره، (١٩٦٨م)، ص ١٤٩؛ نيشتمان بشير محمد، الكرد والسلاجقة، ص ١٨٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٦٦؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٤٠ - ٤٤.

(٤٥) نيشتمان بشير محمد، الكرد والسلاجقة، ص ١٨٧.

Brain Todd Govey, Joshua B. Allfree, John Gairns, Road to Manzikert. By Zantine and Islamic War Fare 527-1071, Published in Great Britain in 2012, pp 240-241. 242-246.

(٤٦) محمد صالح الزبياري، سلاجقة الروم في اسيا الصغرى، ص ٤٤.

(٤٧) فؤاد كوپرلي، قيام الدولة العثمانية، ص ١١٦ - ١١٧؛ كار بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، العلم للملايين، بيروت.

(^{٤٨}) استنبول والحضارة الاسلامية، ترجمة: سيد رضوان علي، الدار السعودية للنشر، ط٢، جدة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ١٧٧.

(^{٤٩}) هسي.ح.م، العالم البيزنطي، ترجمة وتعليق: رافت عبد الحميد، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٨٧.

(^{٥٠}) أوج بن عادل القزاز كاتب الأدرنوي، تواريخ آل عثمان، برلين، دار الفنون مدرسلرندن، دوفتوزفرانس بابيغه ر، تصحيح وتطبيقه باقمشدر - بروسيه معارف نظارت جليل سنك، الشرق

كتابخانه سي، هانيس لافتر - هانوفر، ١٩٢٥؛ طقورزنجي عصر هجري مؤخرلندن، ص٤؛

Hoça sadeeddin Efendi, Tacü't-tevarih, Yalmlaştıran-İsmat parmaksuzoğlu, Kültür Bakanlığı yayinlari, ankara 1979, likinçi baski, 1,s 27-28.

(^{٥١}) اختلفت الروايات في اصل العثمانيين فهناك من يرجح اصلهم إلى بلاد الحجاز وانهم من المدينة

المنورة وان جدهم الأعلى هاجر منها بسبب ظروف المعيشة إلى قرمان (هذا ما ذكره العلامة السنجاري في تاريخه نقلاً عن صاحب دور الائتمان في اصل منبع آل عثمان، وكما ذكر انهم من

اشرف العشائر الاسلامية وبان جدهم اول من تسلطن منهم بالروم، لكن اغلب المؤرخين يرجحون ان اصلهم من قبيلة قاببي التركية وهوالأصح. شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: محمود

الأرنأؤوط، دار ابن كثير، دمشق، (د.ت)؛ ابن اياس: محمد بن احمد الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط٢، (د.ت)، القاهرة، (١٩٨٢، ج٥، ص ٣٦٤؛الدمشقي:شهاب الدين ابو الفلاح

(ت١٠٨٩هـ/١٦٧٦م)؛ احمد بن زيني دحلان، الدولة العثمانية الجزء من كتاب الفتوحات الاسلامية، مكتبة الحقيقة، استنبول، ٢٠١٢، ص٣؛ كوبرلي، قيام الدولة العثمانية، ص ١٢٠؛

جاويش، التحفة السنية، ص ١٢؛ سرهنك، الميرلاي اسماعيل، حقائق الأخبار عن دول البحار، الطبعة الأميرية، ط١، بولاق، مصر (١٣٤٢هـ)، ص ٤٨٢.

(^{٥٢}) ادوارد شيفرد كريسي، تاريخ الأتراك العثمانيين، ترجمة: احمد سالم سالم، دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، قطر، ٢٠١٩، ص١٣.

(^{٥٣}) اده بالي: (ت٩٦٨هـ /) وهو عماد الدين مصطفى بن ابراهيم بن اناج القرشيري، ولد في مدينة قرمان، رحل إلى الشام ودرس فيها الفقه والعلم، وبعد رجوعه تفرغ للتصوف، ويقال انه اول قاضي

في الدولة العثمانية، توفي في عام (٧٢٦هـ/١٣٢٦م). احمد بن مصطفى طاشكبري زاده، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٩٧٥)، ص ٦-٧.

s. 9, الأدرنوي، تواريخ آل عثمان، Ibin-Kamal, Tevarih Ali Osman. Defter, s.94; (⁵⁴)

وحول رجاحة الرأي الثاني برجع العثمانيين إلى قبيلة التركمانية والاستزادة بمعلومات حول بدايات تأسيسهم ينظر المصادر العثمانية والتركية:

s. 16-19, تواريخ آل عثمان, Ibtni-kemal, Tevarih Ali Osman, Defter, 1999, s.38,

Ismail Hakki Uzun çarşili, Osmanli Tarihi, turk tarih kurumu Basimevi, Ankara, 1988, Cilt 5, s. 97 – 113; Heath w: lowry Erkan Dönem osmanli Dewletinin Yapisi, cevir EN: Kivanç tangiyar Istabul Bilgi unversitesi yayınlari Istanbul, 2010, s.143.

(^{٥٥}) الادرنوي، تواريخ آل عثمان، ص ٨-٩؛ فيقول: "علم رؤياى خوب بلوردي كرامتي ظاهر اولمش" S، ٨. والذي يعني أن هذه الرؤية تبين كرامته أي بأنه شخص مبارك من اجل ذلك رأى هذه الرؤيا.

(^{٥٦}) Von Hammer, دولت عثمانية تاريخي, Vol. 1, Anadol, p. 49

(^{٥٧}) ادوارد شيفردكريسي، تاريخ الأتراك العثمانيين، ترجمة: احمد سالم سالم، دار جامعة محمد بن خليفة للنشر قطر، (٢٠١٩)، ص ١٣.

(^{٥٨}) دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (٢٠٠٣م)، ص ١٣٠؛ محمد مؤنس عوض، الامبراطورية البيزنطية، دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة، عين للدراسات والبحوث، مصر، (٢٠٠٧)، ص ١٤٢ - ١٤٣.

(^{٥٩}) ايمان طلعت الدباغ، نظم المغول الاجتماعية والدينية والعسكرية خلال القرنين (٧-٨هـ / ١٣-١٤م)، دار غيداء للنشر، الأردن، (٢٠١٩)، ص ٤٣-٤٤.

(^{٦٠}) الراوي أبي هريرة، الحديث: البخاري، ابو عبدالله محد بن اسماعيل الجعفي (ت ٢٥١هـ)، مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، (د.ت)، المصدر صحيح البخاري، ص ٧٠١٧، اخرجه البخاري ومسلم، ص ٢٢٦٣.

(^{٦١}) طاشكيري زاده، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ص ٧. يصف لنا المؤلف هذا اللحم بشكل مختلف تماماً عما يصفه لنا قُون هامر، ذلك بأنه رأى قمراً يخرج من حضن الشيخ أده بالي ودخل في حضنه وعند ذلك نبتت في سرتة شجرة عظيمة سدت أغصانها الأفاق وتحتها جبال عظيمة وانهاراً والبساتين والدواب، فقص على شيخه فقال له نلت مرتبة السلطنة وينتفع بها أولادك والمسلمين وعلى أثره زوجته ابنتي؛ الدحلان، الفتوحات الإسلامية، ج ٢، ص ٦.

(^{٦٢}) كريسي، تاريخ الأتراك، ص ١٤-١٥.

(^{٦٣}) الدولة العثمانية من كتاب الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، ج ٢، ص ٦.

(^{٦٤}) باربارو، الفتح الاسلامي للقسطنطينية، ص ١٥.

(^{٦٥}) الأدرنوي، تواريخ آل عثمان، ص ١٤؛ احمدي، داستان وتواريخ ملوك آل عثمان، Duzenliyan: Cifiçioğlu N. Atsiz, Turkiye yayinevi, Istanbul, 1925, s.9
اربع كتب اخرى موجودة في مجلد واحد من كتاب .şükruallah, Osmanli Tarihliri.

(٦٦) حسين خوجه بن علي بن سليمان، بشائر اهل الايمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق: محمد اسامة زيد، مج ١، القاهرة، دار ابن رجب، (٢٠١٤)، ص ١١١.

(٦٧) المعتصم بالله شعوط، جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين حتى فتح القسطنطينية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، (١٩٨٠)، ص ١٨.

(٦٨) Ismail Hakki: a digceneser, cilt. 1, s. 155-156.

(٦٩) هريبرت فيشر، تاريخ اوربا في العصور الوسطى، ترجمة: محمد مصطفى والسيد باز العريني وابراهيم العدوي، دار المعارف بمصر، (١٩٦٩م)، ق ٢، ص ٤٤٦.

(٧٠) نورمان بينز، الامبراطورية البيزنطية، ملحق ٢، ص ٣٩١-٣٩٢؛ الدحلان، الدولة العثمانية (الفتوحات الإسلامية)، ج ٢، ص ٢٠.

(٧١) ابن تيمية: الفتاوى شيخ الاسلام، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، أشرف الرئاسة لشؤون الحرمين الشريفين، ص ١٨ - ٤٢؛ أحمد امين، ضحى الاسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ص ٢٢٠.

(٧٢) عبد الرحمن عميري، الاستراتيجية الحربية في ادارة المعارك في الاسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (٢٠٠٦)، ص ٦٣-٦٤.

(٧٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٧٤) سورة يونس، الآية ٩٩.

(٧٥) طاشكيري زاده، الشقائق النعمانية، ص ٧-٨ وللاستزادة أكثر حول علماء الدولة العثمانية ينظر كتاب طاشكيري زاده السابق الذكر.

(٧٦) محمد فريد بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية، ط ١، القاهرة، (١٨٩٦)، ص ٥٥.

(٧٧) طاشكيري زاده، الشقائق العثمانية، ص ٧٠-٧١، إذ يذكر لنا اسماء هؤلاء العلماء أمثال: الملا

اياس الملا ابن مجيد، الملا خير الدين خليل بن قاسم والملا هوجه زادة؛ Hoça sadedin Efendi, tacü-tevü, ih, Vol/103-1052 ; Ali Bulut, Fatih sultan Mehmed, In, ALIMLE Limerverdigi Deger, Fatihsultat vakifunve sritesi 32, Istanbul, (2018), s. 117

(٧٨) الشيخ اقا شمس الدين: وهو شمس الدين محمد بن حمزة المعروف ب اقا شمس الدين، ولد سنة (١٣٩٨م) وتوفي سنة (١٤٥٩م)، توجه مع والده من الشام إلى الأناضول وفي السابعة من عمره توجه مع عائلته إلى اماسيا إذ كان والده شيخاً معروفاً حرص على تنشأة ابنه تنشأة دينية علمية عظيمة، درس اقا شمس الدين مهنة الطب، إذ ألف كتاباً ولأول مرة حول علم الفايروسات حتى أنه

لقب بـ (الطبيب) (Tabib- Ebdanve Tabib Iervan) (طبيب الأبدان وطبيب الأرواح) من قبل المؤرخين أمثال طاشكيري زاده وحتى يذكر لنا المؤرخ سعد الدين هوجه بان اقا شمس الدين عالج ابن السلطان مراد وهو سليمان حلبي عن طريق وزيره خليل باشا في ادرنة؛

Tacüt-tevarih, v 197 Taskoprülüzade, Osmanli Bilgnleri-Eş-Sakaikün Numaniyye Fiulema, Id- devleti P L-Osmaniyye (çev.Mahrremtan), Istanbul: izyay, s.194P Tdvl slam Anisklopedisi: 1989, Giltz, Sayfa. S. 299-302.

(^{٧٩}) الملا كوراني: اصل اسمه شهاب الدين احمد بن اسماعيل الكوراني، ولد في منطقة شاره زور سنة (١١٣٠هـ/١٤١٠م) تلقى تعليمه الأولي فيها بعدها توجه إلى العراق وفيها تتلمذ على يد العالم عمر القزويني، وكان لديه العديد من الألقاب مثل الشارة زوري، همداني شافعي، وقد عاصر الإمام المقرئ والمؤرخ والامام ببقاعي، حيث جاء ذكره في كتبهم: أ- احمد بن علي المقرئ تقي الدين (ت ٨٤٥هـ) درالعقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، احياء التراث العربي، وزارة الثقافة، سوريا (١٩٩٥)، مج ١، ص ٣٦٣، وحول عشيرة كوران ينظر: زرار صديق: هوزي كوران رولي سياسي وروشنبري كوفاري ئەكادیمی ههولیر ٢٠٠٦ " لا ١٧٧. ب- البقاعي (ت ٨٨٥هـ): عنوان الزمان تراجم الشوخ والأقران، حققه الدكتور حسن حشي مع ازييس زكا قرياقض، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، (٢٠٠١)، ص ٦٠؛

Evliya çelebi, syhatname, 1:71, indesli tipkibasim, Ankara: turk tarih Krumu yay, 2013, 1, 91b.

كان الملا كوران عاملاً في علم الاصول فقيهاً قرأ ببلاده، ثم ارتحل إلى القاهرة وتفقّه بها، وشهد له بأنه قرأ الحديث لا سيما صحيح البخاري، واتفق القراءات، حيث اجازة علماء عصره من بينهم ابن حجر العسقلاني، وشهدوا له بالفضيلة التامة، واخذوه معهم إلى بلاد الروم وهناك التقى بالسلطان مراد خان الذي اعجب به وولاه مدرسة جده في بروسا (بورصة). طاشكيري زاده، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ط ٥١؛ Hocasadeddin, Tacu-Tavarih, v170؛ ديدار عوسمان شيماء روسته م، ماموستاي محمد فاتيح (مه لا گوراني شاره زوروي) دار ايزمري ففتحى قوسته تتنينه (نسيته مبول) " چابخانهى هيڤئى " ههولير " ٢٠١٧ " ل ١٥.

(⁸⁰) Yakup şahiner, MOLLAGURANI'DEENŞEYH AKŞEMSEDDINE'E FETHIN HO GALARI 1423-1453. Araştırma makalesi, Atatürk Üniversitesi Edebiyat Fakültesi, Doi: 10.33140, anasay, (2019), s108-112.

(⁸¹) Yurd, A. Ihsan, Fatih sultan Mehmed Hanin Hocas, Şeyh Aksemseddin Hayati ve Eserleri, Istanbul: Fatihyay, 1972, XVII-XL IX, s31-35

جان البجونج، بصمات خالدة في التاريخ العثماني، ترجمة: عبيد الشناوي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٥م، ص ١٢-١٣.

(^{٨٢}) سهيل انور، رسائل اسطنبول، المجلد الثاني، اسطنبول، (١٩٩٥)، ص ١٥٢؛ جان البجونج، بصمات خالدة في التاريخ العثماني، ص ١٣.
(^{٨٣}) سورة الرعد، الآية ٣٨.

(^{٨٤}) Evliya Gelebi, Syahatnam, 1/24b.

ويذكر لنا مقاله اقا شمس الدين لسطانه بالتركي:

"ağlama padişahim küffarin bu Akkakal asından oldügi gonimet akidelerinedenve pişmiş helvalarından Istamblo'u Fethe e decegin günler pişmiş helva yersiz..."

أنور، رسائل اسطنبول، مج ٢، ص ١٥١؛ جان البجونج، بصمات خالدة، ص ١٤؛
Mehmet Yavuz, Istanbul' un Fethlve Akşemseddin, süleyman Demirel ü,Ün versitesi sosyal Bilimler Enstitusu Dergisi, 2017, Sayı 26, s. 180-200.

(^{٨٥}) السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ج ١، ص ٢٤٣.

(^{٨٦}) سعاد تلو خيرالله افندي، دولت عليه عثمانية، ص ٣٣-٨٤.

(^{٨٧}) Hoça Sadeddin , Tagüo-Tevarih, v 161; suhyeyl ünver fatihdevri, Ilim ve Sanat Bakimi Ndan, Istanbul Belediye, Matbassi, 1974, s. 85-86

(^{٨٨}) Ismail Hamidanişmed, Fatihim Haya Tive FetihTakvimi, Kanaimat Baast – Ankara, (1953), s7; Allblut Fatih Sultan Mehmed'in Alimer E Verdigi Deger, s. 124; Sakip Yildix, Fathin Hogasi Malla Guranive Tefsiri, Istanbul Sahaflar Kitap Sarayi Baski, 1988, s. 56.

(^{٨٩}) Hoca Sadeddin Efendi, Tagu-Tevarih, sv 71; Sakip Yildiz, Molla Gurani ve Istanbul fethind kirolu, Ataturk Universtesi, Sevinc Mat bassi, Ankara - 1979, Say 1, S. 128-129

(^{٩٠}) Yakup sahiner, Malla Guranidan Sey Akşemseddin, s. 113-124.

(^{٩١}) Topkapi Saray Arşivi E 10231, satir 12;

ديدار عوسمان وشه يما روستهم، ماموستای محه مه د فاتح، ل ١٤٤ - ١٤٥.

يوجد في هذا الأرشيف رسالة كتبها الملا كوراني قبل وفاته للسلطان بايزيد الثاني اشبه بالقصة وفيه سرد تاريخ حياته ودوره في ادخال فكرة الفتح بذهن الفاتح وللاستزادة أكثر ينظر:

SAKIP Yildz, Fatihin Hoçasi.s 56-60

(⁹²) Idris-ibitlisi, Haş̄t Behişt v11, Ketibe (çev. Muhammed Ibrahim Yidirim), Ankara Turk Tarih Kuruma yay, 2013, s. 105;

احمد شمشيرجيل، استنبول الفتح والفتح، ترجمة: زينب مريم اوزتساليك، سلسلة الثقافة والحضارة، اسطنبول، ٢٠١٦ ص - ٢٦٤
(⁹³) طاشكيري زاده، الشقائق النعمانية، ص ٥٣.

اثر الكاهن ودوره في اتخاذ القرار في
العراق القديم

اسماء جميل راضي

Ggrhasa2013@gmail.com

07710410508

أ. د. عامر حمزة الغريب

جامعة بغداد - كلية الآداب

التاريخ / التاريخ القديم

اثر الكاهن ودوره في اتخاذ القرار في العراق القديم

اسماء جميل راضي

أ. د. عامر حمزة الغريب

المستخلص

أن حكم علاقة السلطة الدينية، المتمثلة بالكهنة، بالسلطة السياسية المتمثلة بالملك ألا وهو التنافس بين السلطتين في أوقات معينة، بعد أن انفصلت الثانية عن الأولى من ناحية الوظائف والمهام التي يتوجب على كل طرف أن يؤديها. ففي الأوقات التي كانت فيها السلطة السياسية على درجة كافية من القوة بحيث تستطيع أن تجعل السلطة الدينية تسير تحت جناحها فقد كانت علاقة الطرفين علاقة حسنة، أما في الأوقات التي تكون فيها السلطة السياسية ضعيفة، فان السلطة الدينية كانت تحاول الاستفادة من هذا الضعف لتجعل من الملك تابعاً لها، وإلا قامت بإبعاده عن ممارسة السلطة.

الكلمات المفتاحية: الكهنة ، الالهة ، الملك ،بلاد الرافدين

Alathir Alkahin Aldawaarih fi Abtikar Aleiraq Alqadim

University of Dr. Amer Hamza Al Al-Gharib
Baghdad College of Arts -

Researcher. Asmaa Jamil Radi
University of Baghdad College of Arts

Ggrhasa2013@gmail.com

Almustakhlās

Ana hukm ealaqat alsultat aldiyniati, almutamathilat bialkahanati, bialsultat alsiyasiat almutamathilat bialmalik 'ala wahu altanafus bayn alsultatayn fi 'awqat mueayanatin, baed 'an ainfasalat althaaniat ean al'uwlaa min nahiat alwazayif walmahami alati yatawajab ealaa kuli taraf 'an yuadiyaha. fafi al'awqat alati kanat fiha alsultat alsiyasiat ealaa darajat kafiya min alquaat bihayth tastatie 'an tajeal alsultat aldiyniat tasir taht janahiha faqad kanat ealaqat altarafayn ealaqatan hasanatan, 'amaa fi al'awqat alati takun fiha alsultat alsiyasiat daeifatan, fan alsultat aldiyniat kanat tuhawil

alaistifadat min hadha alduef litajeal min almalik tabiean liha, w'ila qamat bi'iibeadih ean mumarasat alsultati.

Key words: priests, gods, king, Mesopotamia.

المقدمة

يعد موضوع اثر الكاهن ودوره في اتخاذ القرار في العراق القديم من المواضيع المهمة كونه يسلط الضوء على تفاصيل ذات اهمية تتعلق بالواقع السياسي للبلاد الرافدين وقد تطرقت العديد من الدراسات الى مواضيع تتعلق بالكاهن والالهة والملك لكنها هذه الدراسات لم تأتي بشي من التفصيل حول اثر الكاهن في اتخاذ القرار عبر المراحل تاريخ العراق القديم وقسم البحث الى محورين جاء المحور الاول بعنوان (بداية نشأة الكهانة في بلاد الرافدين) تضمن المحور الاول جذور الكهانة في البلاد الرافدين وتطورات التي مرت بها عبر مراحل التاريخية في لعراق القديم في حين حمل المحور الثاني بعنوان: (الدور السياسي للكاهن في البلاد الرافدين) وقد سلط هذا المحور الضوء على مكانه الكاهن واثره في الواقع السياسي في العراق القديم وقد اعتمد البحث على ومصادر عديدة ومتنوعه اغنت البحث بالمعلومات المهمة التي اظهرته البحث بهذا الشكل .

المحور الاول

١ - بداية نشأة الكهانة في بلاد الرافدين

لم يكن هناك في العصور السومرية الاولى حد فاصل ما بين منصب والملكية .^(١) وأطلق حكام لكش على أنفسهم لقب أنسي (وكيل الرب) الذي يوضح العلاقة بين الإله والملك وسمي كوديا نفسه كاهن نينكرسو وتلقب لوكال زاكيزي بلقب كاهن نيسابا الأعظم.^(٢) ومن الصعب معرفة بدء منصب الكاهن، ففي إناء الوركاء النذري من العصر شبه الكتابي نلاحظ رجالا عراة يقدمون الأضاحي في الغالب هم كهنة، مما قد يدل على عدم ممارسة الكهانة، وربما كان الملوك في البداية الكهانة ، فكان لقب كلكامش في البداية ابن الأعظم ثم الملك. وكان انيتارزي قبل اعتلائه عرش لكش كاهنا والمعروف عن أورنانشة أول حاكم على لكش أنه كان عرافا في الأصل .^(٣) ومن الجدير بالذكر أن علاقة السلطة الدينية، المتمثلة بالكهنة، بالسلطة السياسية المتمثلة بالملك كانت تقوم على اساس التنافس

بين السلطتين في أوقات معينة، اذ ادى انفصال السلطة السياسية عن الدينية من ناحية الوظائف والمهام الى شيوع ظاهرة التنافس بينهما ،ولما كان ميزان القوى يميل لصالح السلطة السياسية وتتحرك السلطة الدينية تحت لوائها فان العلاقة بين الطرفين تكون حسنة، أما في حال كانت السلطة السياسية ضعيفة، فان السلطة الدينية كانت تسعى لاستغلال ذلك الضعف وتوظيفه لصالحها من خلال جعل الملك تابعا لها، وفي حال تعذر لها تحقيق ذلك فأنها لا تتوانى من ابعاده من اداء مهامه كملك ومن ثم عزله .

وعلى الرغم من حالة التنافس القائمة بين السلطتين الا ان ذلك لا يعني غياب التعاون التام بين السلطتين ،فقد كان الكهنة ينعمون بالامتيازات الكثيرة جراء خدمتهم للآلهة حتى انهم شكلوا مجتمعا مغلقا له قوانينه وحقوقه وتقاليده الخاصة، ويتأتى كل ذلك من واردات المعبد والتجارة والايدياع، فضلاً عن القرابين التي كانت تقدم إلى الآلهة^(٤) وقد ادى تضخم عوائد رجال الدين الى ادراكهم أهمية سيادة الطاعة في المجتمع وتحقيق الانسجام والرضى بين افراده وكان دافعهم في ذلك يلتقي مع دافع جميع الأغنياء بالحفاظ على تلك المكتسبات التي تمتعوا بها والمحافظة على استمرار نمط العيش بما يضمن لهم بقاء حياة الرفاهية المادية التي كانت تتم على حساب استغلال الفلاحين والعبيد.

وبناءً على ذلك يمكن القول ان تحقيق الامن في المجتمع كان يصب في خدمة الكهنة الامر الذي افضى الى خلق حافزا" مهم للتعاون مع السلطة السياسية المعنية بتحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع. وقد وصف أحد الباحثين هذا التعاون القائم ما بين الملوك والكهنة بالقول: ((غير أن التاج والمعبد لم يكونا مؤسستين متناحرتين بأي شكل من الأشكال اذ كان الملك يعد تقليديا الرئيس الأعلى للكهنة)).^(٥) وعلى الرغم من وجود مبالغة في هذا النص الا اننا نؤكد في المحصلة النهائية من ان التعاون ما بين السلطتين كان قائما. اذ ذكر الأستاذ هورست كلنغل ما نصه: (بعد انهيار سلالة اور الثالثة تغيرت تدريجياً وظيفة المعابد. فلم تعد المكان الذي يكون وحدة مع المدينة حيث تحولت من بيت الآلهة إلى قصر الآلهة وانضوت تحت السيادة الملكية تماماً حتى صارت تشكل دعماً للحكم وكان الملك بالمقابل يقدم الرعاية والمكافآت المجزية للكهنة)^(٦)

ويتضح مما تقدم ان هناك تعاون واضح ما بين الكهنة والملوك، وهذا التعاون لا ينفى وجود اختلاف وتنافس ما بين السلطتين، الامر الذي أنتج منها سياسياً خاصاً في العراق القديم شكّل الدين ركيزته الأساسية (٧).

بناء على ذلك يكون الحاكم قد اكتسب مزيداً من السلطة والشرعية، بهدف فرض إرادته على المحكومين الذين لم يعد لهم الحق في الاعتراض أو الثورة على ممارسات الملوك الذين كانوا يحكمون باسم الإله الأعلى وفق شروط معينة (٨). لقد استمر الكهنة في تقديم العون الفكري للسلطة السياسية على وفق المصلحة الاخيرة، وبتأثير من الملوك أدى الكهنة دوراً هاماً في رفع شأن بعض الآلهة كمر دوخ وآشور ليكونا في مصاف الآلهة الرئيسية أمثال أنو و انليل، وقام هؤلاء بإعادة ترتيب أنساب الآلهة من أجل إضفاء الصفات والخصال التي كانت للآلهة العظيمة على الآلهة الصغيرة التي صارت على رأس مجمع الآلهة. وقد هدف الملوك من هذه المناورة، التي تمت بمساعدة الكهنة، إلى القول بأن الإله مردوخ بالنسبة لبابل، وآشور في بلاد آشور مفوضان من الإلهين أنو وانليل، وبموجب هذا التفويض قاما بتفويض ملوك بابل وآشور لحكم البلاد. وبهذه الطريقة أضفى الملوك شرعية على سلطتهم (٩). إن الدور المؤثر للكهنة في تقرير شؤون الدولة، جعل الملوك يقومون بتعيين أبنائهم وبناتهم أو أحد أفراد العائلة المالكة الآخرين في منصب الكاهن الأعلى في المعابد التي كان لآلهتها شأن كبير، وبكلام أكثر دقة كان لكهننتها تأثير كبير دينياً وسياسياً، وقد ابتدأت هذه العملية منذ عصر فجر السلالات واستمرت في العصور التالية، فقد قام الملك سرجون الأكدي بتنصيب ابنته انخيدوانا كاهنة عليا في معبد الإله نانا (سين) في مدينة اور، فضلاً عن كونها كاهنة في معبد الإله أنو في مدينة الوركاء، واستمرت تشغل هذا المنصب حتى زمن حكم الملك نرام - سين الذي عين ابنته خلفاً لها في المنصب (١٠). كما عين هذا الملك (نرام - سين) ابنه (لييت - ابلي) (Leit - abli) كاهناً أعظم للإله مدينة مرد، ووضع ابناً آخر له في المنصب نفسه للإله (توتو) (Tutu). وهذا ما فعله اور - باو مع ابنه، فضلاً عن اورنمو، وجعل (ريم - سين) اخته كاهنة عظيمة في معبد الإله (نانا)، وعين آشور - بانيبال أخويه كاهنين أعظمين، أما نبونائيد فقد قام بتعيين أمه

كاهنة عظمى لمعبد الإله سين في حران(. كما عين ابنته (بيل - شلتي - ننا) (- Bēl Shalti - Nana) كاهنة عليا في معبد الإله سين في مدينة اور^(١١).

إن وضع أحد أفراد العائلة المالكة على رأس المؤسسة الدينية مثل خطوة سياسية مهمة لاحتواء المؤسسة الدينية، وجعلها تسير ضمن سلطة الدولة فمن جهة تتخلص، وفي أقل تقدير تقلل، السلطة السياسية من منافسة الكهنة لها، ومن جهة ثانية تضمن دعم وتأييد المؤسسة الدينية التي صار أفراد من العائلة المالكة يتمتعون بنفوذ كبير فيها، وكانت هناك أهمية خاصة لبعض التعيينات في منصب الكاهن الأعلى، فحين عين الملك سرجون الأكدي ابنته انخيدوانا في هذا المنصب، كان هدفه الاستفادة من هذا المنصب الديني لتحقيق هدف سياسي، وهو تعزيز الوحدة السياسية للبلاد التي تمت على يديه عن طريق إقامة وحدة في الطقوس والشعائر الدينية بين المراكز الدينية في المدن الرئيسية، لهذا جاء تعيينها كاهنة لإلهين من أهم آلهة السومريين. كما أن وجود والدة الملك نبونائيد في منصب الكاهنة العليا في معبد الإله (سين) في حران وابنته في معبد مدينة اور لأهمية هذا الإله في المشروع الديني السياسي للملك^(١٢).

المحور الثاني

الدور السياسي للكاهن في البلاد الرافدين

كان الشخص الذي يتقلد منصب الكاهن الأعلى يحظى بامتيازات دنيوية على قدر كبير من الأهمية إلى جانب اختصاصاته الدينية. وقد شملت هذه الامتيازات الجانب السياسي والاقتصادي، فعلى سبيل المثال كان الكاهن الأعلى في لكش يشغل منصب الايشاكو (الحاكم)، وكونه الكاهن الأعلى للإله ننكرسو فقد سيطر على مخازن غلال المدينة والتحكم بغذاء السكان. كما أن الكاهن الأعلى هو الذي كان يقوم بمراقبة توزيع الأراضي على السكان وتعيين المهام المتوجبة عليهم فيما يخص أعمال السخرة المتعلقة بالأرض الخاصة بالمعبد، أو حفر قنوات الري وتطهيرها، وهناك مجال آخر كان للكهنة دور كبير ومؤثر فيه، هو المشاركة في رسم سياسة الدولة عن طريق الوحي الإلهي، فقد تخصص صنف من الكهنة وهم العرافون (ايزو) (ì-ZU) و (آزو) (A-ZU) في السومرية، و(بارو) (bārû) في الاكدية، ومفسرو الرؤى والاحلام (ENSÍ) في السومرية، و(edammûm)

و (šāilūm) في الأكديّة) بهذا الأمر، مدعين بأنهم يستطيعون معرفة إرادة الآلهة وما تقرره في القضايا السياسية المهمة، وقد كان لثقة الملك بتنبؤات هؤلاء دور مهم في تسيير شؤون الدولة^(١٣). وهذه الثقة هي نتاج التعاون بين الجانبين، كون السلطة السياسية استقادت من هؤلاء في إضفاء شرعية على عملها السياسي، لاسيما أن أحدا من الشعب لم يكن ليشارك بهؤلاء العرافين بدعوى أن تفسيراتهم للأحداث تأتي عن طريق الوحي، فضلاً عن أن تلك التنبؤات كانت تتماشى في أغلب الأحيان مع مشيئة الملك. أي كانت مهمتهم تهيئة الشعب لقبول قرارات الملك باضفاء قدسية منشأها السماوي (الوحي)

ويمكن ملاحظة الدور المهم لكاهن (البارو) وما يقدمه من خدمات للدولة من خلال الأوصاف التي أطلقت عليه كالأستاذ (Ummiānūm) والذي يجلس إلى جانب الملك (wāšib mahrika šarrim) والذي يمشي في مقدمة الجيش (واللقب الأخير الذي يحمله العراف (المستشار)^(١٤) يؤكد على أنه كان موظفا لدى الملك يأتّم في النهاية بأمر الأخير، ويحرص على إرضائه. وجاءتنا من بلاد آشور مجموعة رسائل كتبها رئيس العرافين إلى الملك الآشوري، و كان هذا العراف يعمل في الخدمة الملكية ويتولى مهمة تنظيم العرافين الآخرين، وقد التزم الملك بمنح العراف قطعة من الأرض ليعيش منها. وهذا يشير إلى أهمية هؤلاء العرافين في حياة الملك، كما وأن اعتماد العراف في معيشته على الملك يجعل نبوءته مطابقة لما يرغب به الملك عندما يتعلق الأمر بالقرارات المهمة التي استقر أمر الملك على قرار بشأنها^(١٥) أو حين لا يرغب الملك بشأن آخر. ويمكن إعطاء مثال على محاولة العراف إرضاء الملك، فمن المعروف أن ملوك العراق القديم كانوا يتطيرون من حدوث الكسوف والخسوف بَعْدَهُمَا نذير شؤم على البلاد والملك، لهذا حاول عراف الملك الآشوري اسرحدون تغيير حقيقة حدوث الكسوف حين كتب إلى الملك قائلاً:

لقد حدث كسوف غير أنه لم يكن مرئياً في العاصمة،

لقد مر بجانب مدينة الملك سيدي، لقد غطت الغيوم

مكان سكنائي لذا لانعرف إن حدث الكسوف أم لم يحدث.

عسى أن يبعث سيدي الملك إلى مدينة آشور والى بابل،

نفر، وبورسيا، يقينا تمت رؤيته في واحدة منها.^(١٦)

وليستمع الى التقارير المنتظمة، فالآلهة العظيمة التي تسكن مدينة الملك سيدي، ظلت السماء بالغيوم ومنعت رؤية الكسوف قائلة: دعا الملك سيدي يعرف بأن الكسوف لم يكن ضد الملك سيدي أو ضد بلاده. دع الملك يفرح (١٧).

الجدير بالذكر أن مؤسسات الدولة كانت تفضل استقاء معلوماتها عن طريق الكهانة المقصودة، وليس عن طريق الكهانة التي تستقى من الأحداث التي تتم بالمصادفة. وربما يكون ذلك بسبب أن الأولى يمكن تفسيرها وفق أجندة معينة، في حين أن الثانية متفق على تفسيرها مما يصعب على الكاهن التلاعب بها بسهولة، كما وأن القرارات السياسية لا تنتظر ظهور المصادفات. لهذا فالعراف يجهد نفسه في سبيل معرفة مبتغى الآلهة بخصوص أمر ما يتعلق بالملك، وحين يتعذر عليه معرفة ذلك بسبب إعراض الآلهة عنه تقدم ضحية للآلهة، ويغتسل العراف بماء التطهير ويرفع يديه بالدعاء طلبا لحالة الموقف. كما في النص الآتي:

"ياشمش ياسيد الحكم، ويا ادد سيد المعجزات.

إني أحمل لكما هذا الغزال الصغير الطاهر،

الذي عيناه رماديتان، ووجهه بهي وظفره بلا تشوه. (١٨)

وضعته أمه في الريف، وظلله الريف بعذوبته، كأب وأم، ولاحظه

الإله الشجاع ادد، فأمطر على مدار الأرض، وأنبت عشباً، ونما

العشب للحيوان، وفي الريف أكل الغزال الصغير من العشب، وشرب جذلا من مياه الينابيع الصافية...، لم يشتهه الذكر بعد. إني أقدمه لكما! (١٩).

لقد أقيمت قرارات السلطة السياسية على عاتق الآلهة التي تم معرفة إرادتها

عن طريق تكهن الكهنة كتعيين ولي العهد وكبار موظفي الدولة،

والقيام بالحملات العسكرية وموعدها، والمباشرة ببناء معبد أو قصر

وغير ذلك من الأمور المهمة) بما فيها تعيين الكاهن الأعلى،

فقد جاء في إحدى سنوات حكم الملك اورنمو: السنة التي أختير

فيها ابن الملك اورنمو من قبل الملك بواسطة

عرافة الاحشاء ككاهن أعلى (ابن) للالهة اننا. (٢٠)

ويذكر الملك نبونائيد بخصوص تعيين ابنته كاهنة عليا قائلاً:

"لقد استخرجت الفأل بخصوص ابنتي، التي هي من صلبي.

نصبت ابنتي التي هي من صلبي كاهنة اينتوم. (٢١)

وبعد أن ظهرت نتيجة الفأل إيجابية كانت معرفة الإرادة الإلهية ضرورية لتسمية من يشغل منصب الكاهن الأعلى، ذا الأهمية الكبيرة، ولكن الذي يعينه حقيقة كان الملك، الذي يدين له الكاهن الأعلى بالفضل في تولي هذا المنصب، وربما يكون في ذلك حافز آخر على تقديمه العون للملك. (٢٢) وبما ان الملك يتبع مشورة وقرارات الالهة وكما هو معروف وما الالهة الا هي المتمثلة بالكهنة وهي غطاء لتوجيهاتهم سواء عن طريق الطقوس الدينية او طرق الفال بانواعها والكهنة بهذا قد أدوا دورا مهما في نشوء النظام السياسي وتطويره، وطبع هذا النظام بالطابع الديني، واستمرارهم في دعم الحكام والملوك في توجهاتهم السياسية عندما انفصلت السلطة السياسية عن السلطة الدينية، ولاسيما عندما تكون علاقتهم بهؤلاء الملوك طيبة. وقد خولهم مركزهم الديني القيام بهذا الدور والتدخل في الشؤون السياسية.

والعراقي القديم يذهب ابعده من هذا في اعتقاده بالاصل الإلهي للسلطة السياسية . فهو يرى أن الالهة لاتحكم فقط جوهر السلطة السياسية هذه ، وانما تحكم ، فضلا عن هذا محتواها فالالهة التي تكون قد عينت العاهل الذي يقوم بممارسة السلطة السياسية التي تختص بها ، كمثل لا تتركه يحدد لها بملء اختياره محتواها . اذ ان الالهة تقوم بالتدخل لتحديد بنوع من الدقة والوضوح هذا الذي تنتظر منه أن يقوم به اثناء مدة حكمه . (٢٣) وكل ذلك يبدو طبيعيا اذا ما تذكرنا أن العاهل ليس اكثر من ممثل للالهة . وهكذا نرى الاخيرة في حدود تصور العراقي القديم ، بالتحديد المسبق لاعماله (٢٤) ، فكل ملك يجد نفسه ملزما أن يقوم بتحقيق مهمة الهية على الأرض وهذه المهمة كانت معقدة وصعبة للغاية . فهي لم تكن تتحدد بحدود العمل الباهر والنشاطات الآ على الورع ، كان يقوم بحملة انتقامية ، أو يقوم باعمار معبد مهجور ان هذه المهمة كانت تتجاوز ذلك لتغطي الحياة كاملة ومن ثم ، لتفرض على العاهل ، واجبات عديدة ازاء الالهة وازاء شعبه ، وازاء بلاده . و كانت ترى ان دورها في تنصيب الملك لا ينتهي الا بانتهائها من تحديد اعمال الملكية مسبقا ، لاشك

أن العراقي القديم كان يرى أن الوظيفة الملكية « هي أي كانت تتمتع في الأصل بالطابع الالهي . وعلى هذا فان من يمسك بهذه الوظيفة لا يشترط فيه أن يكون متمتعاً بطابع الهي » (٢٥) . ومع ذلك فانه من يمسك بهذه الوظيفة الالهية لا يمكن ، باى حال من الاحوال ، أن يكون انسانا عادي ؛ وانما لابد أن يكون انسانا متميزا ، بكلمة أو ضح ، لابد ان يكون انسانا مقدسا ، والقدسية التي يتميز بها العاهل لا تأتي عن الممارسات الدينية التي يقوم بها ،

كما لا تتأتى من التبجيل الذي يحاط به . وانما العاهل ، على العكس من هذا ، يقوم بمثل هذه الممارسات الدينية ، ويحظى بمثل هذا التبجيل لانه يتميز اولا بالقدسية . وليس أدل على هذا من احتفاظ الملوك بطابع القدسية على الرغم من من تخلي البعض منهم عن القيام بالممارسات الدينية مثلا. فالملوك الاقوياء ومنهم البابليون

كانوا قد تخلوا ، عن الكثير من الممارسات الدينية لصالح الكهنة ، واحتفظوا لأنفسهم بنوع من الرقابة الشكلية عليها . (٢٦) ولكن ذلك لم يحل دون أن يحتفظوا بطابع القدسية . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى حتى في فترات الضعف التي كانت تسود البلاد بين الحين والآخر لسبب من الأسباب كان يبقى محتفظا بطابع القدسية في اعين الناس . ان كل ذلك فسر أن الطابع المقدس للسلطة السياسية يكمن ، بالاحرى في شخص الملك نفسه . فالعاهل كان يبدو مخلوقا فريدا يحتل مركزا خاصا " مابين الالهة والناس وهو بالتالي يجسد العلاقة التي تقوم ما بين العالم الالهي والعالم الانساني، وربما يمكن القول بان العاهل كان يتميز بطبيعة مضاعفة فهو من جهة ممثل الالهة بين البشر ، وممثل البشر بين الالهة . (٢٧) وتبعا لشخصية الملوك وسيما مانجده في الملوك الاقوياء فهم من يمسكون زمام الامور واتخاذ القرارات في جميع الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والعامرية حيث تذكر رواية شعرية بشأن العاهل كوديا تنفيذ تعليمات نانشية بحذافيرها:

الراعي المخلص جوديا

يعرف كثيرا ,يصنع كثيرا

أحنى رأسه للكلمة التي نطقت بها نانشية اليه,

نزع الختم عن المخزن واخذ الخشب (٢٨)

ونجد الآشوريون ، حيث كان الحاكم الآشوري لم يدع نفسه باللقب الذي ترجمته (ملك) حتى القرن الرابع عشر باستثناء شمشي - ادد الأول ، وبدلاً من ذلك فقد استخدم المصطلح الذي يعني (نائب الإله اشور) ، مما يعكس مركزه ممثلاً للإله على الأرض . ولم يكن الملك الآشوري مقدساً تماماً ، إلا أنه كان ظل الإله الفعال . واننا نجد كتابة رسمية موجهة إلى الملك تقول ذلك بعدد من الكلمات نصها : (كان أبو الملك سيدي طيف الإله بيل والملك سيدي هو طيف الإله بيل أيضاً) . كما قد يسمى الملوك (شمس الشعب المقدسة) . وقد يمكن أن نسمي هؤلاء الحكام ملوكاً كهنة إذ كانوا يعدون ، ضمن حدود مدينة اشور ، ورثة الواجبات الدينية والسلطات الدنيوية^(٢٩) . ويتضمن ذلك كل القرارات التي تشرع في كافة المجالات إذ كانت بيد الملوك الآشوريين الأقوياء في بداية مرحلة ازدهار الدولة الآشورية ، وأما الكهنة ما هم إلا مؤسسة تابعة للملك ليس عليها سوى الموافقة فقط .

وخاصة بتوسع حدود دولة مدينة اشور لتصبح ما نعده بلاد اشور ، فقد توسعت سلطة حاكم اشور معها على المدن الأخرى المؤسسة منذ القدم ، وهي مدينة ارباخا واربيل ونيوى ، وعلى حدودها^(٣٠) . قبل مراحل الضعف التي مرت بها فيما بعد .

أما بخصوص فئة الكهنة فكانت تستفيد بلا أدنى شك من بعض فضلاً على الإمتيازات ، المرتبات العينية المقررة كانت هذه الفئة تهيمن على القرابين المقدمة إلى الآلهة ، فهذه القرابين كانت تقدم على أنها ثروة وليست أدوات تستعملها الآلهة أو القوى المقدسة المفترضة^(٣١) . وإذا كانت القرابين تشكل واحدة من عناصر الفائض الإجتماعي ، فإنها كانت تعود في قسط كبير منها إلى الكهنة في شكل إنفاق وإن لم يكن هذا الفائض ينفق على الكهنة فقط ، وهناك لوح من ألواح العبادة في (سيبار) كان قد كتب من قبل (نابو - ابلا - ادين) لغرض أشعار كهنة الإله (شمس) بالحصة التي يتلقاها كل كاهن ، وتتجلى أهمية هذه الحصة من خلال الكشف عن مقدار القرابين المقدسة^(٣٢) .

وفوق هذا كانت فئة الكهنة لا سيما المراتب العليا منها تمتلك العقارات . فالعاهل (مانيشتوسو) كان قد منح كاهنة الإله شمس حقاً تستفيده لمصلحتها الخاصة . وعندما أعاد العاهل (اكوم - كاكريم) تشييد (الايلاجيلا) كان قد قام بنفس الوقت بتعيين دخولات المعبد ، كما عين هيئة كهانه تتمتع بمدخولات خاصة^(٣٣) .

فقد جاء في القرار ما يلي: «(نور)... الد (...)...، بيته،
وحقله، ومرعاه.... (إيلشا) (...).»

الذي يقوم بتطهير، بيته، وحقله، ومرعاه (...).»^(٣٤)

كما كانت كاهنة الإله (أ - مال) قد منحت كما تشير الألواح أرضا كما أن العاهل (اي - أولماش - شاكين - شومي) الذي أقام عبادة الآلهة (شمس) في سيبار) مكا كان بنفس الوقت قد قام بتثبيت القرابين التي تقدم إلى هذا كان قد تعرض للإنهيار، وعندما أعيد تشييده على يد الملك (نابو - ابلا - ادين) كان هذا الأخير قد ضمن التجهيزات المادية اللازمة و قد منح الكاهن مرعى في بابل»^(٣٥).

وهنا تتجلى أهمية الملك كونه يكون المصدر الرئيس في معيشتهم وصاحب الفضل في مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية بما يحصلون عليه من ثروات مادية وعينية تخص الأراضي والعقارات من قصور وحتى هياكل بعض المعابد وبساتين ومحاصيل ومعادن وبالتالي يكون ولاءهم للملك فقط وتنفيذ رغباته والموافقة عن كل القرارات التي يصدرها بموجب رغبة وموافقة الآلهة وهنا يكون الملك هو صاحب القرار الأول الذي لا يقبل المساس به لأنه مستند إلى الآلهة التي أعلنت موافقتها عنه.

وفي أزمنة الضعف الملوك كانت الكهنة هم اصحاب السيادة واتخاذ القرارات في شتى المجالات ولكن يبدو أن هذه الفئة لم تتردد عن الإستفادة من مراكز القوة التي كانت تجد نفسها فيها لتحقق المكاسب غير الشرعية، إن العاهل (اوروكاجينا) وهو يقود حركته الإصلاحية ضد (لوكالاندا) لم ينس أن يذكر بأن العناصر العليا من الكهنة كانت تتقاسم والملك وأصحاب المناصب العليا في الدولة عائدات الهياكل من شعير وأكسية وثمار. وتقول رواية الإصلاحات التي أدخلها هذا الملك: «كان الكاهن يقتلع الشجر، وينهب الثمر، في بستان ام الولد

الفقير ولكن من الآن فصاعد لن يطأ الكاهن أرض البستان

ولن يقتلع شجره أو ينهب ثماره» «عجول الآلهة كانت تستخدم

لري الأراضي الموهوبة (للايشاكو) ... الأقمشة، والطيور،

والسخال كان الكهنة يستولون عليها على أنها ضريبة يتقاضونها»^(٣٦)

حيث نجد في العصور السومرية اللاحقة وعندما زادت المهام الخاصة بممارسة السلطة السياسية، إن العاهل كان قد احتفظ لنفسه بلا أدنى شك بالسلطة الدينية العليا، ولكن فئة الكهنة هذه كانت قد استطاعت أن تتخلص شيئاً فشيئاً من الهيمنة التي كان يمارسها عليها العاهل بصفته هذه، ومنذ عهد العاهل (انتمينا) أخذت هذه الفئة تلعب دوراً مهماً في جميع الشؤون المتعلقة بالحكم، وكان هذا الدور يزداد أهمية كلما كانت السلطة السياسية تتعرض للوهن^(٣٧)، فقد راح بعض الكهنة يشغل منصب (الانسي) فقد كان (انسي) مدينة (اوما) كاهناً، وقد تربع الكاهن (ايتارزي) على عرش (لكش) ولا شك أن الكتابات المنقوشة التي ترجع إلى عهد العاهل (اوروكاجينا) تكشف عن الصراع الذي دار ما بين فئة الكهنة والفئات الأخرى في الطبقة الحاكمة لا سيما الملك من أجل الإستحواذ على السلطة السياسية^(٣٨). وبقيت السلطة التي تتمتع بها فئة الكهنة على مستوى الحكم غير ثابتة كما أشرنا إلى ذلك من قبل، ففي ازمة الأزمات كانت هذه الفئة تستفيد من ضعف السلطة السياسية لتخضع الملك لهيمنتها أو تبعده عن الحكم، فكثيراً ما كانت هذه الفئات تتهم الملك الضعيف بارتكاب الخطيئة من أجل أن تمارس عليه الحق الإلهي في الإنتقام. وهكذا نرى الملك (اويل - مردوك) ابن العاهل (نبوخذ نصر) يوصم بارتكاب الخطيئة من قبل هيئة كهنة (الاييز أجيلا) ليتم قتله على يدها، وكان العاهل (نبو نبيد) قد تعرض لاتهام مماثل، فقد تجرأ هذا الملك على أن يعلن عن تفوق الإله (سن) إله (حاران) في بابل، كما كان قد حاول أن يدخل بعض الطقوس الدينية القديمة، مما جعله يتعرض لنقد الكهنة ومعارضتهم له^(٣٩). إن فئة الكهنة لم تتردد عن إتهامه بممارسة عبادة مدنسة، وعندما هجم الفرس على بابل قامت هذه الفئة بفتح أبواب المدينة للغزاة بقدر ما أنهى هؤلاء حكم العاهل المذكور^(٤٠). وقد تعزز استقلال السلطة الدينية عن السلطة السياسية في العهد البابلي لا سيما في زمن حمورابي^(٤١).

إن الإستقلال الذي باتت تتمتع به هذه الفئة كان قد زاد بقدرما باتت تحتكر في يدها الطقوس الدينية، وكلما ضعف الملك فإنها كانت قد استطاعت إخضاع الملك، بدلالة هذه الطقوس ونفوذها فهذه الفئة كانت على المثال، قد احتكرت تفسير النذر بقدر ما باتت المختصة الوحيدة بشير و الأبراج السماوية، وعن هذا الطريق راحت تتصدى للكثير من

رغبات الملك (نبونائيد) كان قد أراد أن يصلح التاج الذي تقرب به^(٤٢)، قبل هذا الملك (تابو - ابل - ادين) من الإله (شمش) ، إله (سبيار) وفد رغب هذا الملك في صنعه من الذهب بيد أن شيوخ المدنية قاوموه، وقالوا بوجوب ترك شيء على حاله، فاستتباً ثلاث مرات عرافي إله (شمش) والإله (أداء) وقد أنكر هؤلاء عليه في المرات الثلاث عزمه ذلك فانصرف إلى إله (مردوك) وإذا بعرافيه يتبينون في كبد الضحية رفض الإله لكل تجديد في التاج، وأخيراً أذن الملك لأمر الشيوخ بناء على ما أفتى به العرافون^(٤٣).

الاستنتاجات

- ١- كان لرجال الدين الهيمنة واضحة على الملك وبالتحديد أولئك الذين اتسمت شخصيتهم بالضعف و صاحب هذه المهينة تعزيز مكانتهم الاقتصادية وهذا انعكس على ضعف شخصية الملك في اتخاذ قرار .
- ٢- كان تأثير الكهنة في معظم الاحيان في صالح الملك لكون العلاقة محكومة بالمصالح المتبادلة ما بين السلطة السياسية والكهنة وهي التي تضمن بقاء امتيازاتها ومصالحها الاقتصادية كلما زاد رضا الملك عنها.
- ٣- بلغ تأثير رجال دين على الملوك الضعفاء الى حد الذي جعلهم يتدخلون في شؤون الحكم فضلا عن حياة الملك الشخصية وهذا الامر انعكس على العلاقة ما بين الطرفين .
- ٤ - تشبثت الفئة الدينية بتحكمها بمنح رضا الآلهة عن قرارات هذا الملك حتى لو كانت ضد مصالح الشعب والاعراف الاجتماعية واصبحت هذه الفئة اداة طيعة في يد الملوك الاقوياء منهم للمصادقة على كل اوامره الملكية سواء العسكرية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية.

- (^١) الطعان، الفكر السياسي في تاريخ العراق القديم (بغداد، ١٩٨١) ص ١٥٩.
- (^٢) الاحمد، سامي سعيد، المعتقدات الدينية في العراق القديم مكتبة الرجس (بيروت، بلات)، ص ٥٠.
- (^٣) الاحمد، المعتقدات الدينية، ص ٥١.
- (^٤) أمين، بديعة، فكرة الصراع في الأدب السومري، (النجف، ٢٠٠٣)، ق ١، ص ٦٢.
- (^٥) رو، جورج، العراق القديم، ترجمة حسين علوان، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٨٤) ص ٢٣٦.
- (^٦) كلنغل، هو رست، حمورابي ملك عصره، ط ١، ترجمة غازي سعيد، (بغداد، ١٩٩٧)، ص ١٣٥.
- (^٧) Lambert, W.G., Babylonian Wisdom Literature, (London, 1967), p15
- (^٨) الطعان، الفكر السياسي، ص ١٦٠.
- (^٩) الجبوري، صلاح رميض، أدب الحكمة في أدب وادي الرافدين، دار الشؤون الثقافية، (بغداد، ٢٠٠٠)، ص ١٨٥.
- (^{١٠}) المصدر نفسه، ص ١٨٥.
- (^{١١}) رو، جورج، العراق القديم، ترجمة حسين علوان، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٨٤)، ص ٢٧٤.
- (^{١٢}) رو، جورج، العراق القديم، ص - ص ٢٩١-٢٩٢.
- Leemans, Ancient History, (New York – 1955), P. 42.
- (^{١٣}) علي، فاضل عبدالواحد، سومر أسطورة وملحمة، دارالشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٩٩٧)، ص ٥٣.
- (^{١٤}) الطعان، الفكر السياسي، ص ١٦٠.
- (^{١٥}) حنون، نائل، "مدينة مرد القديمة ونتائج التنقيب في ونة والصدوم"، (سومر، مج ٤٩، ١٩٩٧-١٩٩٨)، ص ٦٤-٩٧.
- (^{١٦}) المصدر نفسه، ص ٩٤.
- L. Oppenheim, Deictic – Ka – Kunu in Neo Babylonian, (New York – 1974), (JCS), Vol. 1, P. 121.
- (^{١٧}) لطعان، الفكر السياسي في تاريخ العراق القديم، ص ١٦٠-١٦٧.
- (^{١٨}) رشيد، فوزي، ألقاب الملك مر دوخ- شابك- زيري (سومر، مجلد ٣٦، ١٩٨٠)، ص ٥٧-

- (^{١٩}) المصدر نفسه, ص ٥٧-٥٨.
- (^{٢٠}) علي, عبدالواحد, سومر أسطورة وملحمة, ص ٥٣.
- (^{٢١}) المصدر نفسه, ص ٥٣.
- (^{٢٢}) الطعان, الفكر السياسي, ص- ص ١٦٠-١٦٧.
- (^{٢٣}) كونتينو, جورج, الحياة اليومية في بلاد بابل واشور, ترجمة: سليم طه, وبرهان عبد التكريتي, منشورات مطبعة المعرفة (بغداد, ١٩٧١), ص ٤٤٣-٤٤٥.
- (^{٢٤}) الطعان, عبد الرضا, الفكر السياسي في وادي الرافدين ووادي النيل, بغداد, مطبعة (جامعة بغداد ١٩٨٥), ص ٨٥.
- (^{٢٥}) دياكوف, وترافيموت, ملحمة كلكامس, ترجمة: عزيزحداد, مكتبة الصياد, (بغداد, ١٩٧٣), ص ٨٢.
- (^{٢٦}) الطعان, الفكر السياسي في وادي الرافدين ووادي النيل بغداد, ص ٨٥.
- (^{٢٧}) المصدر نفسه, ص ٨٦.
- (^{٢٨}) وهي من أكثر المقاطع الشعرية تدور حول امر متعلق بعلامة أو بأشارة يطلبها من ننجرسو لمعرفة مراد الالهة عن طريق الحلم لبناء المعبد ينظر كريم, صموئيل نوح, طقوس الجنس المقدس, عند السومريين, ترجمة: نهاد خياطة, دار علاء الدين (بيروت, بلا.ت), ص ٣٠.
- (^{٢٩}) ساكز, قوة اشور, ص ١١٠.
- (^{٣٠}) المصدر نفسه, ص ١١١.
- (^{٣١}) تشاليد, كوردين, التطور الاجتماعي, ترجمة: لطفي فطيم مؤسسة سجل العرب (القاهرة, ١٩٦٦), ص ٨٩.
- (^{٣٢}) الطعان, الفكر السياسي في العراق القديم, ص ١٦١.
- (^{٣٣}) المصدر نفسه, ص ١٦١.
- (^{٣٤}) Labat, R., Le Caractère Religieux De La Royaté Assyro- Babylonienne, (Paris 1939).p,209.
- (^{٣٥}) تشاليد, التطور الاجتماعي, ص ١٧٨;
- Labat, Le Caractère Religieux, p. 209.
- (^{٣٦}) الطعان, الفكر السياسي في العراق القديم, ص ١٦٢.

اثر الكاهن ودوره في اتخاذ القرار في العراق القديم

(^{٣٧}) ابراهيم ,نجيب ميخائيل, مصر والشرق الادنى القديم ,حضارة الشرق القديم .العراق فارس.ا.دار المعارف. (لقاهرة١٩٦٧) ص١٧٨.

(³⁸)Labat, Le Caractère Religieux p15.

(^{٣٩}) الطعان,الفكر السياسي في وادي الرافدين ووادي النيل,ص٨٧

(⁴⁰)Labat, , ., Le Caractère Religieux p 18 .

(^{٤١}) الطعان ,الفكر الساسي في العراق القديم ,ص١٦٤.

(^{٤٢}) المصدرنفسه ,ص١٦٤; Labat, Le Caractère Religieux, p 319.

(⁴³) Ipid, p.319 ; الطعان, الفكر السياسي في وادي الرافدين ووادي النيل,ص٨٧ ;

المصادر باللغة العربية

١. ابراهيم بنجيب ميخائيل، مصر والشرق الادنى القديم، حضارة الشرق القديم. العراق فارس، ا.دار المعارف. (لقاهرة ١٩٦٧)
٢. الاحمد، سامي سعيد، المعتقدات الدينية في العراق القديم مكتبة الرجس (بيروت، بلات).
٣. أمين، بديعة، فكرة الصراع في الأدب السومري، (النجف، ٢٠٠٣)، ق ١، ص ٦٢.
٤. تشاليد، كوردن، التطور الاجتماعي، ترجمة لطفي فطيم مؤسسة سجل العرب (القاهرة، ١٩٦٦).
٥. الجبوري، صلاح رميض، أدب الحكمة في أدب وادي الرافدين، دار الشؤون الثقافية، (بغداد، ٢٠٠٠).
٦. حنون، نائل، "مدينة مرد القديمة ونتائج التنقيب في ونة والصدوم"، (سومر، مج ٤٩، ١٩٩٧-١٩٩٨)، ص ٦٤-٩٧.
٧. دياكوف، وترافيموت، ملحمة كلكامش، ترجمة: عزيزحداد، مكتبة الصياد، (بغداد، ١٩٧٣).
٨. رشيد، فوزي، ألقاب الملك مر دوخ- شابك- زيري (سومر، مجلد ٣٦، ١٩٨٠).
٩. رو، جورج، العراق القديم، ترجمة حسين علوان، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٨٤)
١٠. رو، جورج، العراق القديم، ترجمة حسين علوان، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٨٤، ص ٢٧٤)
١١. ساكز، هاري، قوة آشور، ترجمة عامر سليمان، (بغداد، ١٩٩٩)،
١٢. الطعان، عبد الرضا، الفكر الساسي في تاريخ العراق القديم (بغداد، ١٩٨١).
١٣. الطعان، عبد الرضا، الفكر السياسي في وادي الرافدين ووادي النيل، بغداد، مطبعة) جامعة بغداد، (١٩٨٥).
١٤. علي، فاضل عبدالواحد، سومرأسطورة وملحمة، دارالشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٩٩٧).
١٥. كريم، صموئيل نوح، طقوس الجنس المقدس، عند السومريين، ترجمة: نهاد خياطة، دار علاء الدين (بيروت، بلات).

١٦. كلنغل, هو رست, حمورابي ملك عصره, ط١, ترجمة غازي سعيد, (بغداد, ١٩٩٧).
١٧. كونتينو, جورج, الحياة اليومية في بلاد بابل واشور, ترجمة: سليم طه, وبرهان عبد التكريتي, منشورات مطبعة المعرفة, (بغداد, ١٩٧١)

المصادر باللغة الانكليزية

1. L. Oppenheim, Deictic – Ka – Kunu in Neo Babylonian, (New York, 1974)
2. Lambat, R., Le Caractère Religieux De La Royatè Assyro-Babylonienne, (Paris 1939)..
3. Lambert, W.G., Babylonian Wisdem Litreature, (London, 1967.)
4. Leemans, Ancient History, (New York – 1955).

الصراع على السلطة في العهد القاجاري إبان
حكم أغا خان نوري ١٨٥١ - ١٨٥٨

The struggle for power in the Qajar era
during the rule of Aga Khan Nuri 1851 - 1858

م. م. أسعد علي سليمان

M. M. Asaad Ali Suleiman

جامعة الأنبار Anbar University

الصراع على السلطة في العهد القاجاري إبان حكم آغا خان نوري ١٨٥١ - ١٨٥٨

م. م أسعد علي سليمان

الخلاصة

برزت في إيران خلال تاريخها الحديث العديد من الشخصيات لاسيما التي ظهرت في العهد القاجاري، ومنها شخصية (آغا خان نوري) التي عدت من أهم تلك الشخصيات التي كان لها دور بارز في إيران، ومن هنا جاء إهتمامنا بدراسة هذه الشخصية التاريخية فدراسة الشخصيات السياسية أهمية كبيرة جدًا في الدراسات التاريخية، جاء ذلك من مُنطلق فلسفة " دور الرجل في التاريخ " فالإنسان هو صانع الحدث التاريخي، ولفهم الحدث وملايساته وأسباب حدوثه لابد لنا من معرفة طبيعة الشخصية التي صنعت ذلك الحدث معرفة تامة، وكان نوري من تلك الشخصيات التي ساهمت مساهمة فعالة في صنع الحدث المميز في تاريخ إيران الحديث، فوضع بصمة واضحة انعكست نتائجها في تاريخ إيران، إذ عد من الشخصيات الوطنية، لاسيما حول أسلوب تعامله مع مختلف التحديات التي واجهته البلاد من قبل الطامعين بالعرش والقوى الأجنبية، إلا أن التقاء مصالح تلك الجهات أحبطت توجهاته ومشروعه الوطني.

الكلمات المفتاحية / إيران، العهد القاجاري، فتح علي شاه، ناصر الدين شاه، أمير

كبير

Keywords: Iran, Qajarera, constitutional revolution, Fath Ali Shah, Nasir al-Din Shah, Amir Kabir

Abstract

Many personalities have emerged in Iran during its modern history, especially those who appeared in the Qajar era, including the personality of, who was considered one of the most important figures who had a prominent role in Iran. Hence our interest in studying this historical figure, as studying political figures is of great importance. Very important in historical studies, this came from the standpoint of

the philosophy of “the role of man in history.” Man is the maker of the historical event, and to understand the event, its circumstances, and the reasons for its occurrence, we must fully know the nature of the personality that created that event, and Sultan Ali Khan is one of those personalities who contributed. He was effective in creating a distinctive event in the modern history of Iran. He left a clear mark, the results of which were reflected in the history of Iran, as he was considered one of the national figures, especially regarding the way he dealt with the various challenges faced by the country from those aspiring to the throne and foreign powers. However, the convergence of the interests of those parties thwarted the tendencies of That man and his national project

المقدمة

كان سجل حياة آغا خان نوري مليء بالحوادث والصراعات في مرحلة شهدت التنافس الدولي على إيران، وأدى نوري دوراً مهماً في تلك المرحلة التي عدت من أهم مراحل تاريخ إيران السياسي الحديث، تمثلت بمعاصرته عهد فتح علي شاه كذلك حكم محمد شاه فضلاً عن توليه الصدارة في عهد ناصر الدين شاه، إذ كانت مرحلة حرجية ومهمة ومليئة بالأحداث والصراعات، استطاع نوري أن يشق طريقه ويترك آثاره في تاريخ الدولة القاجارية التي حكمت إيران، ولأنه صار قريباً من أصحاب السلطة، لاسيما والده، لذا أحب السلطة وسعى للوصول إليها وتحقق له ذلك عندما أوكلت إليه الأعمال التي كانت لوالده في خدمة العائلة القاجارية، وأصبح أحد قادتها البارزين إذ احتل نوري مناصب مهمة في عهود ثلاثة من شاهات إيران وصولاً إلى منصب وزير الداخلية وصدراً اعظم في عهد ناصر الدين شاه للمدة (١٨٥١ - ١٨٥٨) والتي يمكن وصفها أن صح التعبير بأنها (سبع سنين مخصبات)، إذ باتت إيران في عهده أكثر انفتاحاً على الغرب الراسمالي وتحول نشاطها الاقتصادي من الاكتفاء الذاتي إلى الانتاج من أجل السوق مما أحدث تحولاً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وعلى الرغم من النتائج الايجابية لذلك الانفتاح، إلا أنه زاد من الضغط البريطاني الروسي في طهران من أجل الحصول على مزيد من الامتيازات والذي القى بظلاله على تردي الأوضاع الداخلية في إيران ناهيك عن اطماع

حكام إيران في اشباع رغباتهم الشخصية التي لاتعرف الحدود فارهقوا كاهل البلاد بالقروض الاجنبية .

ولأهمية هذه الشخصية التي لم يتطرق إليها الباحثون الأكاديميون على الرغم من دراسة العديد من الرسائل والأطاريح تطورات التاريخ الإيراني الحديث، علماً أن هذه الشخصية بالذات نادراً ما وردت فيها لمجرد أشارات هنا وهناك، وأن هذه الدراسة لم تتناول تاريخاً فحسب، وإنما تناولت من خلال حياته صورة لتاريخ عصر وتاريخ التنافس الروسي البريطاني في تلك المرحلة المهمة من تاريخ إيران وهنا تطلب أن يكون التسلسل التاريخي ووحدة الموضوع وتحليل الأحداث منهجاً تاريخياً لدراسة الموضوع .

حتمت طبيعة الاحداث تقسيم البحث الى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة تطرقنا في المبحث الاول الى (ولادته ونشأته وتدرجه الوظيفي)، فيما سلط الضوء في المبحث الثاني على (سياسته الداخلية أبان توليه منصب الصدارة العظمى)، اما المبحث الثالث فتناول (قضية هرات وأثرها على حكومة آغا خان نوري) فيما عنيت الخاتمة بأهم ما توصلنا اليه من استنتاجات جاءت في خاتمة البحث .

المبحث الأول : ولادته ونشأته وتدرجه الوظيفي

الميرزا نصر الله خان نوري الملقب بأعتماد الدولة، المعروف بالميرزا آغا خان نوري احد رجال العهد القاجاري، ولد في مدينة نور في مازندران عام ١٨٠٦، من اسرة معروفة ومشهورة، والده اسد الله خان من الشخصيات المعروفة بأسم (خواجهات ال نوري) ويعود نسبه الى عبد السلام بن صالح المعروف بأسم الخواجة ابا الصلت الهروي الذي كان من اقرب المقربين وصاحب اسرار الامام علي بن موسى الرضا (ع) وكان والده من اوائل الشخصيات الذين انظموا الى آغا محمد خان عندما طلب جمع القوات وبات من المقربين له، واستطاع شق الصفوف حتى وصل الى منصب كاتب الجند الذي كان يعد من المناصب العسكرية المهمة انذاك وعند وفاته اوكل المنصب الى ابنه آغا خان نوري الذي عمل لمدة ثلاثة وثلاثون عاما في بلاط ثلاثة من شاهات إيران^(١)، إذ دخل في خدمه الاسرة القاجارية كاتباً لديوان الجند تحت اشراف اللهيار خان (اصف الدولة)^(٢)، ومنذ ايامه الاولى كان لديه انحياز

تام لبريطانية فضلا عن انه كان شابا ذكيا فطنا وعلى استعداد تام لتنفيذ الاوامر وكان لطيف اللسان وتمكن من اترج في المناصب في بلاط الدولة القاجارية (٣).

خلال حكم فتح علي شاه تمكن من تسلم العديد من المناصب والاشغال الرسمية وحصل على الكثير من الاوسمة والالقباب وبات من اقرب المقربين للشاه وفي عام ١٨٢٩, تقلد منصب ادارة شؤون الجيش الذي يعد من المناصب المهمة انذاك وسرعان ما تدرج في المناصب حتى تقلد منصب رئيس الديوان العسكري عام ١٨٣٦, واستطاع في عهد محمد شاه الاحتفاظ في هذا المنصب لنفسه وتمكن ابان تلك المدة الحصول على الاموال الكثيرة فضلا عن الاراضي الزراعية الواسعة والكثير من الثروات وبذلك بدأ الميرزا آغا خان نوري يضع اقدامه على اعتاب المناصب العالية السامية بعدها تم توليه منصب وزارة الحربيه في حكومة الحاج ميرزا آغاسي (٤).

اتسمت الاحوال العامة في ايران ابان حكم محمد شاه تحديدا بالتدخل الاجنبي في الشؤون الداخلية وبشكل سافر وعلى وجه الخصوص من قبل بريطانيا التي استطاعت عن طريق سفارتها التقرب الى عدد كبير من كبار رجال البلاط القاجاري اذ كانت تسعى من اجل النفوذ والسيطرة على اجهزة الدولة ويعد الميرزا نوري احد تلكم الرجال والذي صار خلال مدة قصيرة احد العاملين البريطانيين في ايران حتى انه قبل بالتبعية البريطانية من اجل السعي للحصول على منصب الصدر الاعظم ولاجل الوصول الى هدفه بات يتقرب من الحلقات المقربة من زوجه محمد علي شاه مهد عليا (٥), واصبح الوسيلة بينها وبين السفارة البريطانية (٦).

صارت الصلة بين زوجه محمد شاه والميرزا نوري الى علاقة قوية اذ كانت تفضي له بكل اسرار الدولة واولا باول وكان الميرزا بدوره ينقل تلك الاسرار الى السفارة البريطانية بسرعة حتى ورد في مستندات وزارة الخارجية البريطانية ان نوري كان ينقل كل الاسرار المكتومة والسرية للغاية الخاصة بقرارات الدولة والمفاوضات التي تجري بين الشاه والصدر الاعظم الحاج آغاسي انذاك, الذي كان مطلعاً على كل تصرفات نوري لذا امر بالقبض عليه عندما كان نوري خارجا من السفارة البريطانية في احد الليالي وتم القاء القبض عليه بعد كسب موافقة الشاه وتم ابعاده الى مدينة كاشان, وبعد وفاة محمد شاه ولحين

وصول ولي العهد ناصر الدين^(٧)، الذي كان مقيماً في تبريز ليكون شاهاً على إيران تولت الأم مهدياً إدارة شؤون الدولة ولمدة أربعين يوماً بمساعدة بعض رجال الدولة والأمراء، إذ كانت حكومة أقليمية في طهران كانت بمثابة حكومة إنتقالية ومجلساً لإدارة البلاد وبعد عزل الصدر الأعظم الحاج آغاسي ترك الميرزا نوري كاشان عائداً إلى طهران لكنه تعرض للمسألة القانونية من قبل الصدر الأعظم أمير كبير في عهد ناصر الدين شاه والذي أمر بعودته إلى كاشان^(٨).

توجه الميرزا نوري إلى السفارة البريطانية وأعلن اللجوء فيها واتصل بالوزير المفوض البريطاني مع والده شاه وجعلها واسطة بينه وبين الشاه وعلى اثر ذلك تمت عودته إلى البلاط، وتذكر المصادر التاريخية بأن حماية السفارة البريطانية لشخص نوري كانت كبيرة لدرجة لم يكن بإمكان لا الشاه ولا الصدر الأعظم أمير كبير طرده من طهران وذلك بسبب حجم التهديد التي صرحت به السفارة البريطانية والتي تلخصت بقاء نوري أو قطع ارتباط السفارة بإيران، يتضح لنا قوة العلاقة بين نوري والسفارة البريطانية وكأنه أحد رعاياها نجد ذلك من خلال ازدياد نشاط نوري في التجسس ضد بلاده وحينها قرر أمير كبير معاقبته وابعاده عن طهران وهنا تدخلت بريطانيا وبشكل علني من خلال تصريح السفير البريطاني جستن شيل^(٩)، حمايته والدفاع عنه في مستند رسمي أدى بأخراجه من السجن ومنع ابعاده وتسقيط التهم المنسوبة إليه، بعدها ازدادت مؤامراته وفسائسه وبصورة علنية بالتنسيق مع والده الشاه ناصر الدين^(١٠).

أدت إصلاحات أمير كبير وما تضمنته من نفع وأزدهار، إلى إثارة الأقطاعيين والمنتفذين وغيرهم من الرجعيين، إذ بدأت تنظر بحذر إلى إصلاحاته وتحركت الدول الطامعة في إيران وعلى رأسها الحكومة البريطانية، التي لم يرق لها محاولات أمير كبير الجادة في تأسيس دولة عصرية قائمة على القانون والعدالة الاجتماعية في إيران، لدعم عملاتها بجميع الوسائل الممكنة للضغط على الشاه وإيغار صدره ضد أمير كبير، حتى ملأوا ذهن الشاه بالشك والريبة من أنجازاته وسمو مكانته وأرتفاع سمعته بين الأوساط الشعبية، فصوروا له أنه يخطط من أجل أنتزاع السلطة منه^(١١)، كان على رأس المحرضين للشاه والدته مهدياً، وكل من آغا خان نوري وشيرخان عين الملك رئيس قبيلة قاجار،

وكان من أهم أسباب عدااء أولئك له قيامه ومنذ بداية أستلام مهام منصبه بالحد من نفوذهم وتقليل سيطرتهم على شؤون البلاد كافة، وعلى الرغم من ذلك أُجبر أمير كبير على تقبل نوري في حكومته، ولم يستطع تجنّب شرور مهد عليا^(١٢)، ونفوذها وسيطرتها وبالأخص في التأثير في ناصر الدين شاه، فأخذ الأثنان ينتظران الفرصة المناسبة للإيقاع به فبالنسبة لمهد عليا لم تكن تراعي حُرمة العائلة الملكية وهيبتها، فكانت تتصرف حسب أهوائها، إذ كانت مُبتلية بالأنحراف الجنسي، وعندما علم أمير كبير بذلك من مصادره الموثوقة، حمل الخبر بكل سرية الى شخص الشاه، فوقف الأخير حائراً، فأقترح عليه أستهداف والدته والأطاحه بها لرفع العار عن العائلة الملكية^(١٣)، وصل هذا الخبر الى أسماع نوري فنقله فوراً الى الملكة الأم مُستخدماً ذلك كحُجة على أمير كبير، فأجتمع على ذلك جميع من خالف سياسة وشخصية أمير كبير وتوحدت مساعيهم للنيل منه وعلى أثر ذلك توجه نوري الى الشاه سراً، وأخبره بأن أمير كبير يريد تلويث يد الشاه بدم والدته أولاً ومن ثم أتخاذ ذلك حُجة لخلعه لكونه غير لائقاً لمنصبه وأثرت أقاويل نوري في الشاه وأخذت الظنون تجتاح ذهنه فبدأ يتغير على صدره الاعظم وحين علم الاخير بواسطة جواسيسه السريين بأمر اللقاءات المُتكررة والأحاديث التي جرت بين نوري والشاه، وأحس بتغير سلوك الشاه تجاهه، وأدرك ضرورة التخلص من نوري فوراً، فقام بعزله من منصبه، وهياً الأسباب لتنفيذ حُكم الأعدام به الا ان تدخل السفارة البريطانية حال دون ذلك إذ طلب السفير البريطاني شيل من أمير كبير في لقاءٍ خاص تمّ بينهما بضرورة صرف النظر عن أعدام نوري، وأنتهى اللقاء بأخذ شيل وثيقة خطية منه تحفظ فيها روح نوري وتبعده عن الخطر^(١٤).

أتت المحاولات الخبيثة لخصوم الصدر الاعظم أكلها ووجدت لها صدًى واسعاً لدى مسامع الشاه ، فضلاً عن الأخبار المُلققة من قبل مهد عليا ونوري، ومما زاد الطين بلة إن أمير كبير كان غالباً ما يُقدم نصائحه للشاه الشاب بصيغة الأمر ويقوم بمعظم أعماله دون الرجوع اليه، نال أعداء أمير كبير منه عبر وشاية بأنه يرغب في وضع عباس ميرزا على كُرسي السلطنة بدلاً من الشاه ، فأستقرت في صدره الظنون أصدر الشاه فرماناً بعزله من منصب الصدارة في ١٥ تشرين الثاني ١٨٥١، ومنحه أمانة الجيش، وفي ٢١ تشرين الثاني عُزل أمير كبير من مركز صدارته ومن المهام والمناصب المُناطة به كافة، ومُنع من

التدخل في الأمور الداخلية والخارجية (١٥).

وفي ٢٤ تشرين الثاني ١٨٥١، أصدر ناصر الدين شاه أمراً بتولي آغا خان نوري منصب الصدر الاعظم وهو ما سنتطرق اليه في المبحث الثاني .

المبحث الثاني : سياسته الداخلية أبان توليه منصب الصدارة العظمى

كانت جميع الظروف مُهيأة ومُعدة لوصول نوري الى منصب الصدارة اذ كتب شيل بعد يوم واحد من عزل امير كبير الى وزارة الخارجية البريطانية ما هو نصه : " لقد توقعت قبل عدة أشهر وقد أظلمتكم على ذلك أيضاً بسرية ، بأن اعتماد الدولة نوري سيصل للصدارة" (١٦)، وهذا ما يؤكد وجود المؤامرة على شخص ومنصب أمير كبير، فكيف توقع شيل علماً ان ناصر الدين شاه كان ولعدة أيام قبل عزل أمير كبير قلقاً في تعيينه لمنصب الصدر الاعظم اذ لم يُطرح موضوع تغيير الحكومة قط، ولم يكن من المُحتمل بأن يحل محل امير كبير شخصاً آخر وعليه أمر الشاه من نوري بأن يكتب للسفارة البريطانية يعلمهم بخروجه من التبعية لهم وعلى الرغم من رضوخ نوري لطلب الشاه مكرها الا انه طلب التماسا من الشاه مفاده انه في حالة تقصير شخصنا في الصدارة على الشاه ان يصدر اوامره بتحتيتنا دون قتلنا وحماية روحنا من اي اذى (١٧) .

شكل نوري الحكومه واحتفظ فضلا عن منصبه بوزارة الحربية الا ان الشاه طلب منه ايكال المنصب الاخير الى امين الجند عنايت الله وبعد موت الاخير اوكل المنصب الى داود خان ابن آغا خان نوري وهو ابن خمسة عشر ربيعا، وكان نوري متخوفا من عودة امير كبير الى منصبه ، وقد أشار شيل في أحد تقاريره الى ذلك قائلاً " إن رئيس الوزراء الجديد سيواجه الكثير من المشاكل ، أولها أن أمير كبير يمتلك القدرة والنفوذ الكافي لإدارة وقيادة الجيوش كله " (١٨)، وعلى اثر ذلك أدرك نوري إن وجود أمير كبير على قيد الحياة يُشكل خطراً على مستقبله السياسي لذلك واصل مع أعوانه المتآمرين بتهيأة الإجراءات والأدعاءات المُغرضة والكاذبة الأخرى ضده والتي كانت عبارة عن مُقدمات لأصدار حكم القتل فيه وسعى نوري جاهداً للقضاء على أمير كبير، عبر بث الأشاعات والأجراءات الزائفة كونه عميلا لروسيا، من خلال أن السفير الروسي طلب من الأمبراطور الروسي أن

يتقبل أمير كبير كلاجي رسمي عنده ويوفر له الحماية الكافية ويتسارع الاحداث اصدر الشاه امرا بقتله في ١٢ كانون الثاني ١٨٥٢^(١٩)، وبذلك النهاية الماساوية تكون ايران قد فقدت واحدا من اكثر رجالها اخلاصا وحماسا نحو التطور والتقدم .

حل نوري في منصب الصدارة في الوقت الذي كانت الإصلاحات التي حققها أمير كبيرتسير بقوة والذي لم يتمكن من ترجمتها في سبيل تطوير الجيش ترجمة علمية وذلك من خلال سياسة العزل والتعيين التي مارسها بحق الجيش، إذ جاء بقيادة عسكريين تتقصمهم الكفاءة المطلوبة في القيادة وكانت رغبتهم الأساسية هي تكديس الثروة وكان عهده دعوة صريحة للنشاط البريطاني في إيران وأخذ البريطانيون يتدخلون في تعيين الضباط في دار الفنون فكان من الطبيعي ان يكون هؤلاء الضباط رهن إشارة بريطانيا وطوع يدها، فتحولت المؤسسات الإيرانية لاسيما العسكرية بما فيها دار الفنون التي أراد منها أمير كبير خدمة البلاد إلى النقيض من ذلك ووجدت الأيدي الأجنبية فيها سبيلاً للتدخل في الشؤون الإيرانية خدمة للمصالح الإستعمارية^(٢٠) .

قام نوري بأجراء تغييرات واسعة في البلاد ومنح المناصب المهمة لابناءه والمقربين اليه وكان ينصح الشاه للاستمتاع بحياته ويرغبه بالانصراف للهو واللعب وقضاء الوقت في الاستراحة ولم يمض وقت على توليه الصدارة حتى هزت ايران حادثة محاولة اغتيال الشاه عام ١٨٥٣، من قبل انصار الحركة البابية^(٢١)، في منطقة شيراز وانتهت المحاولة بالقبض على الفاعلين وعددهم ستة اشخاص وتم قتلهم بطريقة مشينة وتشير المصادر التاريخية الى ان نوري كان له علاقة برؤساء البابية من خلال انه عندما تم نفي نوري من طهران ابان حكومة اغاسي ومصادرة امواله لم يكن لنوري القدرة على دفع الغرامات المالية المترتبة عليه لذا قام نصر الله خان بهاء الذي كان يعد احد اصدقائه وله علاقة اسرية به وهما في الاصل من نفس مسقط الرأس لذا اسرع الى مساعدته ووهب له الاموال اللازمة التي كان يحتاجها نوري خلال مدة النفي، كما تشير تلك المصادر الى ان نوري كان يعترض على الاجراءات التي قام بها امير كبير في محاربة البابين وابعاد رئيسهم السيد حسين علي باب وابعاد نصر الله خان بهاء الى العراق ولكنه عاد الى طهران بعد تولي نوري للصدارة والذي استقبله بشكل لائق وبكل ترحيب واستضافه في بيت شقيقه جعفر قلي

خان وبعد ذلك ارسله الى قرية أفجة التي كان من جملة ممتلكات نوري في منطقة شيرمان في شمال طهران, وسمح لاتباعه وانصاره بزيارته ومقابلته (٢٢).

مما لاشك فيه ان البايين كانوا مستبشرين من وصول نوري للصدارة وكانوا يعتبرون صداقته لهم مهمة بالنسبة لاعمالهم والوصول الى اهدافهم وحسب الشواهد التاريخية ان نوري كان ينوي ولاجل تثبيت مكانته في الصدارة اجراء مصالحة بين البايين والدولة القاجارية لكن الحدث الذي طفى على السطح هو قيام اتباع البابية بالمحاولة الفاشلة لاغتيال ناصر الدين شاه باطلاق النار عليه وبعد التحقيقات تبين ان نصر الله خان بهاء كان وراء الحادث , وفي تلك الاثناء كانت سمعة بهاء سيئة لدى اغلب الجماهير الايرانية وباتت تلك الحادثة سدا منيعا في طريق المصالحة بينه وبين القاجاريين (٢٣).

ادى تطور الاحداث الى هروب بهاء واللجوء لدار زوج شقيقته الميرزا مجيد اهي الذي كان يعمل كاتبا في السفارة الروسية في منطقة زركنده وهي المنطقة السياحية للسفارة الروسية والذي توسط له لدى السفير الروسي الذي قرر مساعدته ومنع زجه في السجن وكذلك قرر ابعاده من ايران من جهة ثانية قامت الحكومة الايرانية بتكليف من الشاه لشخص الميرزا حاجي علي خان حاجب الدولة الذي كان يعمل المسؤول الاول على الخدمات العامة في البلاط القاجاري, اذ قام بالقاء القبض على بهاء على الرغم من تواجده في منطقة امنه نسبيا واتهم بانه وراء محاولة الاغتيال فضلا عن اتهامه بمقتل امير كبير الصدر الاعظم السابق فيما القى نوري جأماً غضبه على حاجب الدولة وصمم على تقديم الاستقاله او عزل حاجب الدولة لكن الشاه صمم على الدفاع عن حاجب الدولة فضلا عن تمسكه بنوري في منصب الصدارة من جهة اخرى (٢٤).

كل تلك الاحداث القت بظلالها على المجتمع الايراني فقام بعض الكتاب البهائيين بالانحياز الى شخص نوري في كتاباتهم وصمموا مواصلة تاييدهم له, من جهة ثانية ان اغلب الشعب لم يكن راضيا على سياسة نوري الذي لم يترك اثرا يحمد عليه وعدت علاقته بالبهائية وصمه سوداء في تاريخه السياسي (٢٥), ويذكر الميرزا مهدي خان بيان الملك في رسالة بعثها الى الشاه اوضح فيها عداء الميرزا نوري وافراد اسرته لايران وان على الشاه عدم قبول اي من ابناء نوري بالوظائف العليا والمهام الكبيرة كونهم غير نافعين للوطن وليس لهم

سوى الضرر المادي والمعنوي وسؤ الاذى حتى وصفهم بالبيت الشعري الذي مامعناه (على الرغم من ان ابليس له وجه انسان لذا لاتعطي يدك لمصافحة كل يد تكون) (٢٦) .

لم يكن آغا خان نوري رجل دولة لانه لم يمتلك الخبرة والكفاءة الادارية ولذلك ارهق ميزانية الدولة بالصرف غير المبرر على مظاهر الابهة ,حتى ان الحكومة الايرانية اضطرت الى اخذ قرض بمبلغ خمسة ملايين باون من بريطانية عام ١٨٥٢ , على ان تسدده من العوائد الكمركية في الموانئ الايرانية المطلة على ساحل الخليج العربي (٢٧) .

تحت وطأة تلك الظروف التي كانت تمر بها ايران انذاك اراد نوري التخفيف من ضجر ناصر الدين شاه وعزلته فوجه انظاره نحو هرات وفي الوقت نفسه اراد التخلص من التبعية البريطانية ,وهو ما سنسلط الضؤ عليه في المبحث القادم .

المبحث الثالث : قضية هرات وأثرها في حكومة آغا خان نوري

شكلت هرات (٢٨) , ارضية مناسبة للمناورات البريطانية - الروسية فسياسة بريطانية كانت واضحة تجاه ايران والتي تاثرت بتطورات الاحداث في هرات ,نتيجة محاولات الحكومة الايرانية بشتى الوسائل توحيد المقاطعة الافغانية ومحاولة ضمها تحت المظلة الايرانية ,في الوقت نفسه كلفت قضية هرات الجانب البريطاني خسائر كبيرة وخلقت مشاكل كبيرة للسياسة البريطانييين ,فضلا عن رغبة روسيا اثاره الخلافات بين ايران وجارتها افغانستان في سبيل الحصول على موطن قدم لها في الاراضي الايرانية وامتدادها نحو التوسع في اسيا الوسطى (٢٩) .

بعد وصول ميرزا آغا خان نوري إلى السلطة تحولت المطامع الإيرانية تجاه هرات، فأرسلت إيران قواتها لهذا الغرض واحتلت المدينة دون مقاومة وأصدر ناصر الدين شاه مرسوماً نص على إلحاق هرات بإيران بعد وفاة حاكمها يار محمد خان على ان يكون ابنه صيد محمد خان (٣٠) ، حاكماً عليها باسم الحكومة الإيرانية لاسيما وان الاخير اعلن ولائه لايران خوفا من تعرضه لغزو كهندل خان حاكم قندهار ,ولم يكن من المعقول ان تقف بريطانيا مكتوفة الأيدي أمام احتلال إيران لهرات التي تعدها حجر الزاوية في الدفاع عن الهند لذا عارضت بريطانيا إجراءات الحكومة الإيرانية إلى الحد الذي هددت فيه بانسحاب

البعثة البريطانية في طهران، وإعادة احتلال جزيرة خرج في الخليج العربي، الأمر الذي دفع بالحكومة الإيرانية الإذعان إلى التهديد البريطاني وعلى إثر ذلك تم التوصل إلى اتفاق في الخامس والعشرين من كانون الأول ١٨٥٣، تقرر بموجبه ان تتنازل إيران عن إدعاءاتها في هرات إلا ان ذلك لم يضع حداً للتوجهات الإيرانية نحو هرات ، فقد شجعت حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦)^(٣١)، بين الدولة العثمانية وروسيا على إستئناف إيران لخططها تجاه هرات وقامت القوات الإيرانية باحتلال هرات في آذار ١٨٥٦، عندها لم تتأخر بريطانيا بتنفيذ تهديداتها وقامت بإعلان الحرب على إيران في الأول من تشرين الأول من العام نفسه^(٣٢) .

وخلال مرحلة الإستعدادات الإيرانية للحرب كانت القوات البريطانية قد احتلت جزيرة خرج في الرابع من كانون الأول وبوشهر في شباط ١٨٥٧، كما احتلت المحمرة في السادس والعشرين من آذار ١٨٥٧^(٣٣) .

أثار احتلال القوات البريطانية لجزيرة خرج وبوشهر، ردود فعل متباينة لدى المسؤولين الإيرانيين فهناك من عارض استمرار الحرب لأنها في غير صالح إيران، لاسيما وان بريطانيا دولة قوية وذات امكانيات هائلة فضلا عن تدهور اوضاع إيران الاقتصادية والعسكرية، وهناك من اعتقد بأستمرار الحرب كون ان بريطانيا لا تستطيع الاستمرار في الحرب نتيجة لوجود معارضة قوية في الهند نتيجة لاندلاع ثورة ضد السياسة البريطانية في الهند، واستطاع اصحاب الرأي الثاني كسب ناصر الدين شاه الى جانبهم^(٣٤) .

بهدف رفع الروح المعنوية للقوات الإيرانية المنهارة، طالب آغا خان نوري من رجال الدين إعلان الجهاد، الا ان هذه الدعوة لم تلق استجابة من معظم الإيرانيين كونهم ادركوا ان استمرار الحرب معناه فرض مزيد من الضرائب، فضلا عن ادانتها من بعض القادة العسكريين وموظفي الدولة وكبار التجار حتى ان البعض وصفها بأنها دعوة محتقرة^(٣٥) .

وأصبح الجيش الإيراني يتهاوى أمام تقدم القوات البريطانية مخلفاً ورائه القتلى والأسلحة والأعتدة وامام تلك الظروف كتب نوري الى فروج خان في باريس حثه للتوصل الى حل للنزاع وعقد معاهدة الصلح قائلاً "نحن لانملك القشون (الجيش الإيراني) ولا نملك المال والإيرانيون خائفون، في ذلك الامان تسامح مادام الوقت لم يمض بعد ولم يخرج الامر من ايدينا، ابذل جهدك واحسم الامر كما يبدو لك وكلما خففت في الشروط خدمت

ولي نعمتك ودولتك ومالم تفعله فواضح انك لم تستطع فعله" (٣٦)، وأخيراً وجدت القوات الإيرانية نفسها عاجزة عن الوقوف أمام التقدم البريطاني الأمر الذي دفعها للجنوح نحو السلم وتم عقد معاهدة باريس في الرابع من آذار ١٨٥٧، التي تمت المصادقة عليها في الثاني من أيار من العام نفسه وبموجبها خسرت إيران وإلى الأبد هرات وصدرت الأوامر للقوات الإيرانية بمغادرة هرات في حين أمرت القوات البريطانية بالعودة إلى الهند (٣٧).

على الرغم من الانتقادات التي وجهت لإيران في تسرعها لانتهاء الحرب وعقد معاهدة سلام مع بريطانيا، إلا أن الحقيقة أنها لم تكن تملك خياراً أمام انهيار الروح المعنوية وتردي أوضاعها الاقتصادية.

ألقت الحرب الإيرانية - البريطانية بآثارها السلبية على الأوضاع الإيرانية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وبدأ الخناق يزيد على ناصر الدين شاه إذ غدت الأمور صعبة للغاية وابقن الشاه عدم كفاءة نوري في إدارة أمور البلاد فضلاً عن عدم كفاءته في التعامل تجاه قضية هرات كذلك تتصل بريطانيا عن حمايته بعدما حصلت على مبتغاها من الامتيازات حتى أنها أعلنت بأن كل ماجرى كانت بسبب افعال نوري كونه اغلق الطرق للتفاهم واتهموه بأنه مواليا للسياسة الروسية وخلال مؤتمر القسطنطينية طالبوا الحكومة الإيرانية بعزله من منصبه، فضلاً عن زيادة السخط الشعبي تجاه سياسته والاعتراض المتزايد من قبل المعارضين له كان على رأسهم عزيز خان قائد القوات المسلحة الإيرانية ومستوفي الممالك وديبير الملك وحاجي علي خان حاجب الدولة وميرزا صادق خان القائم مقام فضلاً عن تنكر مهد عليا عن تأييده وحمايته وعداوة جيران خانم الزوجة المفضلة لدى ناصر الدين شاه لاعتقادها بأن نوري كان وراء عدم تنصيب ابنها الامير عباس ميرزا ولياً للعهد (٣٨).

كل تلك الاسباب هياة الارضية المناسبة لعزله في تشرين الثاني ١٨٥٨، من منصب الصدارة وتشكيل مجلس خاص تدار من خلاله أمور البلاد، وغادر نوري بعد عزله طهران متوجها الى بعض الضياع التابعة له في قريته ادران في رباط كريم، وتمت مصادرة بعض الممتلكات الخاصة بنوري مثل الجيبة الطويلة التي كان يرتديها والتي كانت مرصعة بالجواهر الثمينة فضلاً عن مصادرة مقتنياته الخاصة مثل حافظة الاقلام والمحبرة الخاصة به وكذلك العصا المرصعة بالجواهر وميدالياته الخاصة والوسمه التي كان قد تقلدها سابقاً،

فضلا عن دفعه غرامه مالية كبيرة واجبر على تسليم قطعة ارض كبيرة للدولة تقع في ادران وتحتوي على مباني كبيرة والتي مازالت بقاياها موجودة الى الان , وبقي نوري منفيا مبعدا من مدينة الى اخرى من يزد الى اصفهان الى قم لمدة ستة اعوام حتى وافاه الاجل في الثامن والعشرين من كانون الاول ١٨٦٤, عن عمر ناهز التسع والخمسون عاما ودفن في كربلاء المقدسة (٣٩).

وفي تقييم لشخصية آغا خان نوري نذكر ماجاء به (جوزيف كنت ارثر دو كوينو) الكاتب وخبير الشرق الاوسط والمحقق السياسي الفرنسي الذي تولى ابان منتصف القرن التاسع عشر ولمدة ثلاثة اعوام العمل في السفارة الفرنسية في ايران, اذ وصف نوري بأنه شخصا مشهورا في بذاءة اللسان ويتميز في التكلم خلف الآخرين (الغيبية) لدى الشاه حتى كان ينقل الاخبار والاحاديث من الاسرة القاجارية الى الشاه بغية ابعاد او تقريب هذا الطرف او ذلك, وكان يشجع ناصر الدين شاه لقضاء اوقاته في الترفيه وشرب الخمر وممارسه المجون وقضاء الاوقات السعيدة بين النساء, من جهة ثانية ذكر دو كوينو بأن نوري كان ينام في ساعات الصباح الاولى فقط ويقضي كل النهار وقيام الليل تقريبا في انجاز جميع الاعمال بنفسه اذ كان يعتقد ان وزرائه هم مجرد اسماء فقط وليس لهم اي اهمية (٤٠).

الخاتمة

عدت شخصية آغا خان نوري من الشخصيات التي يمكن وصفها بالمتناقضة اذ انه لم يسر على سياسة واحدة, فهو من شاب ذكي وطموح ويرنو ببصره نحو المناصب وعلى استعداد لتنفيذ الاوامر وهذا يعطي انطبعا عن كونه شخصا مخلصا في عمله تجاة خدمة الاسرة القاجارية والامة الايرانية, لكن في حقيقة الامر ان شخصية نوري الازدواجية كانت تحمل في طياتها الاخلاص لشخص بريطانية وخدمة مصالحها على حساب وطنه الام وهو الخط الذي سار عليه منذ تولية منصب كاتب للجند, اذ انه كان مقتنعا في بعض الاوقات بضرورة التعاون مع أحدهما, فقد تعاون مع بريطانيا من منطلق عدم التعارض مع مصالح إيران في وقت كانت الدول الكبرى هي التي تقرر مسار الأحداث وتحسم نتائجها, ومن هنا جاءت مساعدة بريطانيا لآغا خان نوري في وصوله إلى الصدارة.

من جهة ثانية نجد ان مدة حكم آغا خان نوري كانت مليئة بالتطورات وتحكيم النفوذ السياسي والاقتصادي والعسكري لبريطانية فكل شي رغبته به بريطانيا حصلت عليه بل واكثر من ذلك نتيجة لتعاون نوري في تقديم كل ما يوسع في خدمة مصالحها وتلبية متطلباتها، حتى بات ينفذ كل ما تأمر به بريطانيا وبدقة متناهية ونتيجة لهذا الانغماس في السياسة البريطانية كان يتقاضى الاموال جراء خدماته حتى تم وصفه بأنه احد اعضاء منظمة (كراندلشر) اي المجلس العظيم البريطاني (الماسونية) ، وتحول واقع السياسة الخارجية لإيران إلى أحد الأسباب الأساسية لآغا خان نوري لتغلغل النفوذ الأجنبي في إيران، فقد أنصبت جهوده منذ توليه منصب الصدارة العظمى على انتهاج سياسة خارجية تهدف إلى خلق نوع من التوازن في إقامة القنصليات الأجنبية في بلاده والتي بات تأثيرها على الإيرانيين الى تدخل تلك الدول في شؤون البلاد الداخلية .

أصبح آغا خان نوري بعد توليه منصب الصدارة الصانع الأول للقرارات السياسية في إيران وليس الشاه، ولم يدرك أن السياسة في وقت الاحتراب الداخلي والتنافس على السلطة لا يمكن في كل الأحوال أن تكون نفسها في وقت السلم والهدوء الداخلي، ففي وقت الاقتتال الداخلي تضيق مساحة المرونة إلى أدنى حد، ولهذا كان آغا خان نوري يبادر باتخاذ القرارات والتي تكون صادرة من بريطانيا بالدرجة الاولى وأستمر في تلك السياسة الأمر الذي أستغله أعدائه بتشويه سمعته أمام الشاه.

على الرغم من كل ما قدمه لبريطانية الا ان عجلة عمله لم تكن لتستمر في الدوران في فلك السياسة البريطانية لذا القى بنفسه في احضان الروس خاصة بعد رضوخ ايران لبود معاهدة باريس المشينه والتي كان لها الاثر السيء على واقع الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية الإيرانية.

قائمة المصادر

أولاً : الرسائل والأطاريح

- ١- علي خضير عباس المشايخي ، إيران في عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨-١٨٩٦ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٧ .
- ٢- مسلم محمد حمزة العميدي ، امير كبير انموذجا للتحديث في ايران اواسط القرن التاسع عشر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٧ .

ثانياً : الكتب العربية والمعربة

- ١- عبد الرزاق الحسيني البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم ، ط٣ ، صور ، ١٩٦٩ .
- ٢- كاظم باقر علي ، البحرية الفارسية في الخليج العربي (دراسة لواقعها البحري ١٨٤٨ - ١٩٠٧) ، البصرة ، ١٩٨٤ .

٣- محمد علاء الدين منصور ، تاريخ ايران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية الى نهاية الدولة القاجارية (١٨٢٠-١٩٢٥) ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

٤- هيرت فيشر ، تاريخ أوروبا الحديث ١٧٨٩-١٩٥٠ ، تعريب احمد نجيب هاشم ووديع الضبع ، ط٧ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

ثالثاً : الكتب الفارسية

- ١- أبو القاسم طاهري ، تاريخ روابط بازركاني وسياسي إيران وانكليس ، جلد دوم ، تهران ، ١٣٥٤ .
- ٢- ازغا محمد خان ، اخر عصر ناصر الدين شاه ، جاب دوم ، تهران ، ١٣٢١ .
- ٣- اسماعيل راينين ، حقوق بكيران انكليش در ايران ، بي جاب ، ١٣٢٧ .
- ٤- باقر عاقل ، خاندان هاي حكومتكر إيران قاجارية - بهلوية ، تهران ، ١٣٨٠ .
- ٥- جهانكيز قائم مقام ، تاريخ تحولات سياسي نظام ايران راز اغار قرن يازدهم ، تهران ، ١٣٢٦ .
- ٦- حسن اعظام قدسي ، اعظام وزارة ، كتاب خاطرات من باورشن شدن تاريخ صد ساله ، جلد اول ، تهران ، ١٣٢٤ .

- ٧- حسين سعادت نوري ، رجال دورة قاجار ، تهران ، انتشارات وحيد ، ١٣٦٤ .
- ٨- سيد علي ال داود، نامه هاي امير كبير ، به انضمام رساله نوادر امير ، جاب اول تهران ، ١٣٣٧ .
- ٩- عبد الله مستوفي ، شرح زندكاني من تاريخ اجتماعي واداري ، دورة قاجار ، جلد اول تهران ، ١٣٢٢ .
- ١٠- محمد محمود ، تاريخ روابط سياسي ايران وانكليس ، در قرن نوزدهم ، جلد دوم رسوم چهارم ، تهران ، ١٣٦٦ .
- ١١- منيزه ربيعي ، سرگذشت ناصر الدين شاه ، تهران ، ١٣٨٤ .
- ١٢- مهدي بامداد ، تاريخ رجال ايران در قرن ١٢ . ١٣ . ١٤ هجري ، جلد دوم ، تهران ، ١٣٦٦ .
- ١٣- موسى نجفي ، تاريخ تحولات سياسي ايران ، در (دين ، دولت ، تجدد) ، طهران ، ١٣٧٨ .

رابعاً: الكتب الأجنبية

- 1- Algar Hamid , Religion and State in Iran 1785-1906 , Los Angeles , 1969 .
- 2- SyKes Percy , A History of Persia , Vol . II , Third Edition , London , 1958
- 3- Avery , Peter , Modern Iran , London , 1967 .
- 4- Binder , Leonard , Iran , Berkeley , 1962 .
- 5-Boyle John A . , Persia . History and Heritage , London , 1978 .
- 6-Busse, H., History of Persian Under Qajar Rull , Translated From The Persian of Hasan Efasa is Farsnama- ye Naseri , New York , 1972 .
- 7-Curzon , George N., Persia and the Persian Question , Vol .I, Second Impression , London , 1966 .
- 8- Keddie , N. R . , Roots Of Revolution . An Interpretive History Of Modern Iran , Los Angeles , 1981 .

- 9- Markham , C . R . , A General Sketch of The History of Persia , Nether Lands , 1977 .
- 10- Nirumand Bahaman , Iran The New Imprialism in Action , Translated by : Leanard Mins , New York, 1969.

الهوامش:

(١) موسى نجفي، تاريخ تحولات سياسي ايران ، در (دين ، دولت ، تجدد) ، طهران، ١٣٧٨، ص ٨٨.

(٢) اللهياري (حبيب الله) خان آصف الدولة الكوزائي الأبن الأكبر لميرزا محمد خان الملقب بركن الدولة ، صهر فتح علي شاه وخال محمد شاه ، أذ تزوج آصف الدولة من الأبنة الخامسة لفتح علي وهي حاجية مريم خانم وكانت ثمره هذا الزواج محمد حسن خان الملقب بسالار، وفي نفس الوقت تزوج فتح علي شاه من گوهر خانم (جوهر خانم) شقيقة آصف الدولة ، وتزوج عباس ميرزا أبن فتح علي شاه من الشقيقة الأخرى لآصف الدولة وكانت ثمره زواجه محمد شاه واشقائه بهمن مرزا وقهرمان مرزا ، تولى اللهياري خان منصب والده فأصبح حاجباً أعلى للقصر في بلاط فتح علي شاه ، وبسبب خيانة عبد الله خان أمين الدولة الصدر الأعظم ، قام فتح علي شاه بمنح هذا المنصب الى اللهياري خان للمدة مابين العام ١٨٢٥ - ١٨٢٨ م ، وعين ولده حسن خان أميراً وحاجباً أعلى للبلاط الملكي ، كان اللهياري خان موضع تبجيل وتقدير عباس مرزا الذي كان يسميه المعتمد ، ومن بعده محمد شاه الذي كان يخاطبه بالخال العزيز، كان اللهياري خان جشعاً مُخادعاً جباناً منفوراً من الرعية ، تربطه علاقة وثيقة بأولياء أمور الحكومة البريطانية ، إذ خدم مصالحها باخلاص ، وكانت له اليد الطولى في إثارة الحرب مع روسيا في العام ١٨٢٦ - ١٨٢٨ التي أنهت بهزيمة منكرة لايران وعقد معاهدة تركمانجاي ، أتهم بالخيانة العظمى وعُزل عن منصبه لعدم صموده أمام القوات الروسية وترجيحه الفرار بدل الثبات في ميدان الحرب ، وبقي يطمع بالرجوع لهذا المنصب طول حياته ، وعندما يئس من نيل مبتغاه حرض ابنه سالار على الثورة والعصيان ضد الحكومة المركزية ، أرتبط آصف الدولة بمصالح بريطانيا أرتباطاً وثيقاً فكان له دوراً رئيسياً في إثارة الغوغاء وعامة الناس ضد السفارة الروسية والتي أدت الى مقتل سفيرها غريبويدوف ، ينظر : مهدي بامداد ، تاريخ رجال ايران در قرن ١٢ . ١٣ . ١٤ هجري ، جلد دوم ، تهران ، ١٩٦٦، ص ١٥٤_١٥٥.

(٣) موسى نجفي ، منبع قبلي ، ص ٨٩.

(٤) ميرزا اغاسي : هو ملا عباس بيات ايرواني والملقب بـ(أخوند) من طائفة بيات ، ولد في ايروان (يريفان) في العام ١٧٨٣ ، أخذ والده في مطلع شبابه للدراسة في كربلاء وتخرج منها ١٨٠١ في ، التحق ببلاط عباس مرزا ، فكان معلماً ورفيقاً لمحمد مرزا وعندما أصبح الأخير شاهاً حاز اغاسي

سُمعة عالية لدى الشاه ولكنه كان رجلاً جاهلاً بأمور عصره وإدارة البلاد ، أتخذ من السب والشتم مسلكاً في تعامله مع مرؤوسيه ، مؤمناً بالخرافات والسحر والشعوذة ، ومن مهزلة القدر ان محمد شاه كان مؤمناً بقدرات صدره الاعظم وأعتقد بان له كرامات ، كانت مدة صدارته نقمة على ايران واصاب البلاد الانحطاط والفساد لمزيد من المعلومات عن شخصية ميرزا اغاسي ، ينظر : حسين سعادت نوري ، رجال دورة قاجار ، تهران ، انتشارات وحيد ، ١٣٦٤ ، ص ١٢٠ .

(٥) مهد عليا : أسمها الأصلي جهان (دنيا) ابنة الامير محمد قاسم خان ابن سليمان خان قاجار ، وامها بيگم جان خانم ابنة فتح علي شاه قاجار ، ولدت في ١٨٠٥ ، تزوجت من محمد شاه وكان ثمره الزواج ناصر الدين شاه وعزت الدولة ، وبعد جلوس ابنها على عرش السلطنة لقبتم بمهد عليا وأزدادت قوة ونفوذاً ، خالف أمير كبير في مرحلة وزارته القصيرة تدخلها في شؤون البلاد واطهر ذلك بشدة وحال دون تزايد نشاطها السياسي ، فانضمت الى قائمة أعدائه والمناوئين له ، حتى عُدت واحداً من الأسباب الحقيقية التي أدت الى تحيته من منصبه ومقتله بما أمتلكته من سطوة ونفوذ كبير في تلك المرحلة ، لم تكن مهد عليا جميلة في الظاهر ولكنها كانت تمتلك مواهب معنوية كثيرة كانت لها معرفة تامة باللغة والاداب والقواعد الفارسية والعربية ، وكانت تمتلك مكتبة تضم العديد من الكتب الادبية والتاريخية وعلى الكثير من الدواوين الشعرية ، وعلى الرغم من قيامها بالاعمال المنافية للاخلاق والحشمة وسوء سمعتها ، الا انها كانت معروفة ايضاً بقيامها بفرائضها الدينية ، فقد ذُكر انها كانت تجمع سيدات المجتمع على مائدة الافطار في شهر رمضان ، وبعدها يقومون جميعاً بقراءة القرآن واطعام اعمال ليلي الأحياء وقراءة الدعاء ، توفيت مهد عليا في ١٨٧٣ ، ينظر : سيد علي ال داود ، نامه هاي امير كبير ، به انضمام رسالة نوادر امير ، جاب اول ، تهران ، ١٣٧٢ ، ص ٣٧٤ .

(٦) هامان منبع ، ص ٣٧٥ .

(٧) ناصر الدين شاه : هو الابن الأكبر لمحمد شاه بن عباس ميرزا ، ولد في ١٧ تموز ١٨٣١ م ، وكان ولياً للعهد وحاكماً على ولاية أذربيجان الشمالية ، أعلن ناصر الدين شاه في ٢٩ تشرين الأول ١٨٤٨ شاهاً على إيران ، وحكم لمدة ٤٩ عام ، وهو أطول عهد الشاهات القاجار ، يقسم حكمه إلى ثلاثة مراحل ، مرحلة الفوضى (١٨٤٨-١٨٥٧) ، ومرحلة الهدوء النسبي (١٨٥٨-١٨٨٩) ، ومرحلة الامتيازات الأجنبية (١٨٨٩-١٨٩٦) ، سارت البلاد في عهده إلى الهاوية على الرغم من أدعائه الإصلاح والتطور ، اغتيل عام ١٨٩٦ ، للمزيد من التفاصيل عن أحوال إيران في عهد ناصر الدين شاه ينظر : علي خضير عباس المشايخي ، إيران في عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨-١٨٩٦ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٧ .

- (^٨) فرهاد حسن زادة ، منبع قبلي ، ص ٨٥.
- (^٩) جستن شيل : ولد في ٢ كانون الاول ١٨٠٣ ، جاء الى طهران بصفة موظف في السفارة البريطانية في ١٦ شباط ١٨٣٦ ، وبقي في منصبه هذا حتى ١٤ تشرين الثاني ١٨٤٤ ، نال شيل منصب المندوب السامي في أيلول ١٨٤٤ ، وقد قدم أوراق أعتماده الى ناصر الدين شاه في العام نفسه ، غادر طهران بسبب أصابته بالمرض في الاول من آذار ١٨٥٣ ، ودخل الى طرابزون في ٢٣ آذار . تقاعد شيل في ٣ أيلول ١٨٥٤ ، ووفاه الأجل في ١٧ نيسان ١٨٧١ ، ينظر : سيد علي آل داود ، منبع قبلي ، ص ٣٦٤ .
- (^{١٠}) منيزه ربيعي ، سرگذشت ناصر الدين شاه ، تهران ، ١٣٨٤ ؛ علي خضير عباس المشايخي ، المصدر السابق ، ص ٦٦ .
- (^{١١}) للاطلاع على اصلاحات امير كبير في ايران ، ينظر : مسلم محمد حمزة العميدي ، امير كبير انموذجا للتحديث في ايران اواسط القرن التاسع عشر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص ٨٩_١٥٢ .
- (^{١٢}) لم تكن مهدي علي وفاق مع أمير كبير ، ولم تنظر له نظرة حسنة ولم ترض على زواج أبنيتها منه ، وكانت تحتج في الظاهر في عدائها له بأنه من عائلة متواضعة ، وفي حقيقة الأمر إن أمير كبير قطع عليها طريق أفعالها ونفوذها الباطل ، وسد على بعض أعمال لهورها وخاصة إنها لم تستطع أن تحيا حياة شريفة بعيداً عن موائد السفراء الاجانب ، ولهذا كانت على عدا له وأرادت بكل وسيلة أن تجلس مكانه آغا خان نوري لأنه يتوافق مع أعمالها وأخلاقها ، ينظر : محمد علاء الدين منصور ، تاريخ ايران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية الى نهاية الدولة القاجارية (١٨٢٠_١٩٢٥) ، القاهرة ، ص ٨١٩ .
- (^{١٣}) مسلم محمد حمزة العميدي ، المصدر السابق ، ص ١٦٩ .
- (^{١٤}) محمد محمود ، تاريخ روابط سياسي ايران وانكليس ، در قرن نوزدهم ، جلد دوم رسوم جهارم ، تهران ، ١٣٦٦ ، ص ١٢٣ .
- (^{١٥}) يذكر علي خضير عباس المشايخي : ان امر عزله هو يوم الحادي والعشرين من تشرين الثاني ١٨٥١ ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ ، اما بلالك وهو احد اعضاء الهيئة التعليمية التي تعاقد معها امير كبير فقد كتب في مذكراته "دخلنا طهران في الرابع والعشرين من تشرين الثاني ١٨٥١ واستقبلنا ببرود وعلمنا ان هناك تحركات ضدنا وان البلاط غاضب على مبرزا تقي خان جراء المؤامرات من لدن والده الشاه التي تعد من اقوى خصوم امير كبير والذي كان عند وصولنا يمضي يومه الثاني

من عزله "مقتبس من: جهانكيز قائم مقام , تاريخ تحولات سياسي نظام ايران راز اغار قرن يازدهم , تهران , ١٣٢٦ , ص ٧٥ .

(^{١٦}) Algar Hamid , Religion and State in Iran 1785-1906 , Los Angeles , 1969,p.47 .

(^{١٧}) Avery Peter , Modern Iran , London , 1967,p.119.

(^{١٨}) Binder Leonard , Iran , Berkeley , 1962,p.134.

(^{١٩}) لم ينج امير كبير من مؤامرات خصومه حتى بعد نفيه الى كاشان , فلم يهدأ لهم بال الى ان تمكنوا من استدراج الشاه الشاب في ليلة حمراء مع "مين اقدس " احدى عشيقات الشاه والتي استطاعت الحصول على امر اعدام امير كبير والذي نفذ بشكل سريع وبصورة بشعة . للمزيد ينظر : حسن اعظام قدسي , اعظام وزارة , كتاب خاطرات من باورشن شدن تاريخ صد سالة , جلد اول , تهران , ١٣٢٤ , ص ٧٣ .

(^{٢٠}) Boyle John A . Persia , History and Heritage , London , 1978, p.158.

(^{٢١}) ترجع تلك الحركة الى مؤسسها علي محمد رضا الشيرازي الذي ولد عام ١٨١٩ في شيراز , وتلمذ على يد كاظم الرشتي , وبعد ان فشل في نشر افكاره في كربلاء المقدسة ووفاة استاذ الرشتي , توجه الى ايران وادعى انه الباب الى الامام المهدي المنتظر(عج) واثارت افكاره حفيظة المخلصين من علماء الدين فامر ناصر الدين شاه سجنه في تبريز , وبعد ان قام اتباعه باثارة الفوضى والاضطرابات تم اعدامه في التاسع من تموز ١٨٥٠ , للمزيد ينظر : عبد الرزاق الحسيني البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم , ط ٣ , صور , ١٩٦٩ , ص ١٢٢ .

(^{٢٢}) اسماعيل رئين , حقوق بكيران انكليش در ايران , بي جاب , ١٣٢٧ , ص ٢٥١ .

(^{٢٣}) خان ملك ساساني , سيا ستكران دورة قاجار , تهران , ص ٦٤ .

(^{٢٤}) حسين سعادة نوري , منبع قبلي , ص ١٢٧ .

(^{٢٥}) خان ملك ساساني , منبع قبلي , ص ٦٦ .

(^{٢٦}) محمد محمود , منبع قبلي , ص ١٣١ .

(^{٢٧}) كاظم باقر علي , البحرية الفارسية في الخليج العربي دراسة لواقعها البحري ١٨٤٨ - ١٩٠٧ , البصرة , ١٩٨٤ , ص ٦٠ .

(^{٢٨}) تعد هرات اجدى المناطق الاستراتيجية المهمة كونها تقع على الطريق الذي يصل ما بين افغانستان والهند ومشهد وقندهار , فضلا عن قربها من ممر خيبر الذي تسلكه القوافل التجارية وقتذاك , لذلك

حرصت بريطانيا من جانبها على المحافظة على تلك المنطقة المهمة لسياستها وعدم وقوعها بيد أعدائها . ينظر :

Busse, H, History of Persian Under Qajar Rull , Translated From The Persian of Hasan Efasa is Farsnama- ye Naseri , New York , 1972,p.67.

²⁹⁾ (Curzon George N., Persia and the Persian Question , Vol .I, Second Impression , London , 1966,p.44.

^(٣٠) صيد محمد خان : هو ابن يار محمد حان حاكم هرات ، خلف والده في الحكم في ٨ حزيران ١٨٥١ وهو في العشرين من عمره ، وصفته أغلب المصادر التاريخية بالسفاهة والفسوق . ينظر: أبو القاسم طاهري ، تاريخ روابط بازركاني وسياسي إيران وانكليلس ، جلد دوم ، تهران ، ١٣٥٤ ، ص ٣٢١ .

^(٣١) حرب القرم : وقعت في شبه جزيرة القرم بين روسيا من جهة والدولة العثمانية وبجانبها بريطانيا وفرنسا وإيطاليا من جهة أخرى مع موقف نمساوي محايد ، انتهت بمعاهدة باريس للصلح في ٣٠ آذار/١٨٥٦م ببعض التنازلات الروسية لصالح العثمانيين مع تغيرات إقليمية في البلقان . ينظر: هيربرت فيشر ، تاريخ أوروبا الحديث ١٧٨٩-١٩٥٠ ، تعريب احمد نجيب هاشم ووديع الضبع ، ط٧ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٢٢٥-٢٢٧ .

^(٣٢) محمود محمود ، منبع قبلي ، ص ٥٣١ .

^(٣٣) عبد الله مستوفي ، شرح زندكاني من تاريخ اجتماعي واداري ، دورة قاجار ، جلد اول ، تهران ، ١٣٢٢ ، ص ٨٣ .

^(٣٤) ابو القاسم طاهري ، منبع قبلي ، ص ٣٨٧ .

^(٣٥) خان ملك ساساني ، منبع قبلي ، ص ٦٩ .

^(٣٦) مقتبس من : ابو القاسم طاهري ، منبع قبلي ، ص ٣٨٩ .

³⁷⁾ (Keddie N. R . , Roots Of Revolution An Interpretive History Of Modern Iran , Los Angeles , 1981, p .122.

^(٣٨) عباس ميرزا: الأخ الأصغر والغير الشقيق للشاه أشتهر بلقب ملك آرا ، وهو الابن الثاني والقريب جداً لمحمد شاه لقبه بنائب السلطنة أمه الزوجة الحبيبة والمؤتمنة لوالده ، وكانت الوحيدة التي يعتمد عليها زوجها في كل شي، فأضمرت مهد عليا لذلك الحقد والعداوة لها ولأبنها بعد وفاة محمد الشاه أصبحت أم عباس ميرزا قلقة ومضطربة من احتمال سَم مهد عليا لأبنها ، لذا طلبت حماية نائب السفير البريطاني، واللجؤ الى السفارة البريطانية فضمنت سلامتها وسلامة ولدها لم يكن عباس

ميرزا متوافقاً مع ناصر الدين شاه ، وقد رحلَ الى الأراضي العثمانية لعدة سنين ، وكان قد طلب الحماية من الدولة العثمانية حينها دعاه أخوه الشاه في العام ١٨٧٨ الى طهران ، وعينه قائمقام زنجان ثم قزوین . أصبح فيما بعد وزيراً للتجارة ، ينظر : باقر عاقلی ، خاندان هاي حكومتكر إيران قاجارية - بهلوية ، تهران ، ١٣٨٠ ، ص١٥٢ .

(^{٣٩}) ازغا محمد خان ، اخر عصر ناصر الدين شاه، جاب دوم ، تهران ، ١٣٢١ ، ص ٨٠ .

⁴⁰) (Markham C . R . , A General Sketch of The History of Persia , Nether Lands , 1977, p.68.

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

م.م. ماجد طلال حسن هاشم

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

م. م. ماجد طلال حسن هاشم

الملخص:

تمثل دراسة طبيعة نظام الحكم في الممالك اليمنية القديمة، واثرها على نظام الحكم في عصر الحكام الأوائل للممالك اليمنية القديمة المسمون ب(المكارب)، بأنه كان نظاماً دينياً (ثيوقراطياً) مختلفاً عن النظام الذي ساد لاحقاً في عصر الملوك، وتم بعد ذلك بيان أسلوب تعاقب الحكام على السلطة، ثم دراسة ظاهرة الحضور الفاعل للقوى الاجتماعية في السلطة، الذي جسده دور المجالس المتعددة ذات الصلاحيات الواسعة، وهو الأمر الذي حال دون إمكانية انفراد الحكام بالسلطة أو تمتعهم بسلطات مطلقة، وبيان ملامح السلطات العامة في الدولة: التنفيذية، والتشريعية، والقضائية، حيث تبين وجود نظام متميز للإدارة المحلية يقوم على منح صلاحيات واسعة لأجهزة الحكم المحلي في إطار التبعية للملك وأجهزة الدولة المركزية.

**Ruling systems and their impact on the
ancient Yemeni kingdoms**

Assist .Majid Talal Hassan Hashem

Abstract:

The study of the nature of the system of governance in the ancient Yemeni kingdoms, and its effect on the system of government in the era of the early rulers of the ancient Yemeni kingdoms called the "macarab," was a religious system different from the system that prevailed later in the era of kings, Rulers on power, And then study the phenomenon of the active presence of social forces in power, which was embodied by the role of multiple councils with broad powers, which prevented the possibility of individual rulers or power of absolute powers, And the statement of the public authorities in the state: executive, legislative and judicial, where the existence of a

distinct system of local administration is based on the granting of broad powers to the organs of local government in the context of subordination to the king and the organs of the central state.

المبحث الأول: مملكة معين:

تعد المملكة المعينية من الممالك اليمنية التي ازدهرت بين (١٣٠٠ - ٦٣٠ ق.م)^(١)، وقد ساعدت الأحوال الطبيعية إلى ظهورها ، وجاءت أخبارها من الكتابات المدونة في الكتب الكلاسيكية (كتب اليونان والرومان)^(٢). أما المؤلفات العربية الإسلامية فلا علم لها بهذه المملكة ، ولكنها عرفت إسم (معين) على أنه محفد من محافد اليمن وحصن ومدينة^(٣). ان مملكة معين طبقاً للنقوش التي تركت في شمال اليمن حول معين قد قامت في منطقة الجوف بين نجران وحضرموت في منطقة سهلية غرينية اشتهرت بنخيلها وأخشابها ومراعيها، وتعتمد هذه المنطقة على مياه الأمطار الساقطة فتكون سيولاً تسيل في الأودية ، فضلاً عن الحماية التي وفرتها الجبال تحيط بها من جهات ثلاث ، مما تشكل حماية طبيعية لها ، وكل هذه العوامل ساعدت ان تكون منطقة الجوف مركزاً حضارياً هاماً^(٤). وكانت عاصمتها هي (قرنا) وهي التي عرفت فيما بعد بمدينة (السوداء) أو تسمى (قرن) أو (قرنو) (Karna). وقد اقامت جنوب بلاد الجوف^(٥). وأقدم من ذكر المعينيين الجغرافي اليوناني ايراتوسيتش (Eratosthenes) وهي تقع شمال سبأ وقتبان وحضرموت ، وقد بقيت مملكة معين وشعبها غير معروفة المعالم حتى زار يوسف هالفي منطقة الجوف بين عامي (١٨٦٩-١٨٧٠م)^(٦)، وحصل على عدد كبير من الكتابات المعينية ، واختلف علماء الآثار في تحديد تاريخ ظهور ونهاية هذه المملكة، فأمثال العالم جلازر وهؤمل وفير وفلبي يقولون بقدم المعينيين والقتبانين وحضارتهم ، وان تاريخ معين يعود إلى حدود الألف الثاني قبل الميلاد ، فهومل يرجع تاريخ ظهورها إلى (١٥٠٠-١٢٠٠ ق.م)، ونهايتها عام (٧٠٠ ق.م)، أما فلبي فيرجع ظهورها إلى (١٤٠٠ ق.م) ونهايتها عام (٦٣٠ ق.م) وفي الواقع هذا موضع جدل بين علماء الآثار لأنهم يعتمدون على النقوش المصدر الرئيس في تاريخ مملكة معين ، وما دامت التنقيبات مستمرة اذ ستكشف لنا الكثير عن تاريخ ظهورها^(٧)، وإن المملكة الأولى المعينية قد اتسعت من الخليج إلى شاطئ الحجاز .

ويظهر ان عبد شمس (سبأ) ورث المملكة المعينية التي اصبحت بعهد مملكة سبأ وأوصلها إلى أوج ازدهارها ببناء سد مأرب الشهير ، وانتقلت بذلك العاصمة من معين إلى مأرب ثم ضمت مملكة معين إلى سبأ التي تمثل أوج الحضارة العربية في جنوب شبه الجزيرة العربية^(٨)، ويرجع البعض أصل المعينيين إلى العراق الذين عاشوا فيما بين النهرين واختلطوا بجيرانهم السومريين أو الأكاديين من سكان أعالي جزيرة العرب ولما ضاقت بهم سبل العيش بظهور دولة حمورابي في بابل هاجروا مع غيرهم إلى جزيرة العرب وظلوا ينتقلون في أرجائها حتى استقر بهم المقام في منطقة الجوف الجنوبية بين نجران وحضرموت واتخذوا من مدينة قرناو عاصمة لهم.^(٩)

وكان للمعنيين نشاط تجاري واسع ويعود ذلك إلى نقوش معينة ولحيانية عثر عليها في العلا (موضع ددان) بأعالي الحجاز ، واقاموا مستوطنة تابعة لهم على طريق القوافل ، إذ انهم سيطروا حينذاك على طول الطريق من الجوف ونجران إلى فلسطين ، فقد ذكرهم سترابو إلى جانب الحضارمة والسبئيين والقتبانين ويقول: (ان ارضهم تقع في الجزء المحاذي للبحر الأحمر)^(١٠)، إذ أوجد المعينيون نظام تأمين الطرق التجارية من خلال حماية القوافل من الاعتداءات التي تتعرض لها وكان يدير هذه المراكز التجارية التي انشأها المعينيون نائب الملك^(١١)، وقد عثر على نقش معينى والمعرف بنقش (جلزر) والذي يؤيد دور المعينيين بالتجارة من خلال موضوعه الرئيس وهي عودة قافلة كبرى سالمة إلى (قرناو) أهم مدن معين ، ومثل هذه القوافل التي كانت تشبه الحملة العسكرية في حجمها وتسليحها حتى تستطيع ان تواجه الأخطار التي تتعرض لها وهناك في النص ما يشير إلى ان تلك القافلة كانت تجارتها مع مصر وكان تعامل تجار معين ووسطائها مع مصر، وقد استقر بعضهم فيها ومنهم رجل يدعى (زيد ايل بن زيد) ودفن في مصر من خلال الكتابات المنقوشة على قبره في خط المسند انه عمل في خدمة أحد المعابد المصرية حين تولى توريد بعض المنتجات العربية اليها مثل (المر) مقابل ما كان يصدره إلى بلاده من المنسوجات المصرية ، ويؤرخ هذا النص في حوالي عام (٢٦٣ ق.م) خلال عهد بطليموس الثاني أو بعده^(١٢)، وأول من أوجد طريق تأمين الطرق التجارية هم المعينيون لتأمين طرق التجارة.^(١٣)

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

ولياقوت الحموي رأي في إقامة مملكة معين في حدود الألف الثاني قبل الميلاد فنشأت لهم حضارة راقية هناك اعتمدت على الزراعة والتجارة بسبب تمتع المنطقة بمناخ معتدل وملائم لازدهار الزراعة وتمتعها بموقع مهم على طرق التجارة المعروفة آنذاك.^(١٤)

أما عن نظام الحكم في معين فقد تعاقبت على حكم معين خمس أسر حاكمة ولم تحتفظ النصوص بالقباب حكامها الأوائل الا انهم مثل جيرانهم ، فقد طبعت سلطتهم بطابع ديني ، فتلقب الحكام بلقب (مزود) والذي كان يعني من يزود المعبودات أو المعابد بالقرابين أو من يزود دولته بخيراتها، ونظراً لثراء دولة معين فقد كانت هدفاً لحكام سبأ والذين دخلوا معها بحروب لنهب خيراتها^(١٥)، وفي بداية القرن الرابع قبل الميلاد بدأت العصور الملكية في معين وتلقب ملوكها بعدة ألقاب بعد استرداد كيانها من سبأ مثل صدق (ص د ق) التي تعني اصدق ، اعدل ، مصدقة^(١٦) وريام (ر ي م) بمعنى (اشرف على) اي ارتبطت الصيغة بمنصب الى جانب الملك^(١٧) وجد مجلس يتكون من مشايخ القبائل وسمي هذا المجلس بـ(مسد مفعن) بمعنى المجلس المنيع^(١٨)، وكان الحكم وراثياً ينتقل من الأب إلى الابن. والمجتمع كان يتكون من طبقات الأشراف والفلاحين والعبيد واصحاب الحرف^(١٩) . فانت لهم علاقات تجارية مع بعض الممالك الشمالية.^(٢٠)

كان نظام الحكم في معين لا مركزياً فقد كان يمثل الملك في كل مقاطعة نائباً له يلقب بلقب (كبير) والتي جاءت بصيغة (ك ب ر) أي صاحب المنصب الإداري الأعلى في شعب وبمعنى راقب أو اشرف على الشيء (^(٢١) ويتبعه مجلس نيابي يعرف باسم (سود) أي (مسود) (م س و د) يجتمع فيه الأشراف للحكم بين الناس وتقرير الضرائب وعلان الحرب ، وكان إلى جانب ذلك حامية عسكرية تتبع لنائب الملك، ومن أهم المقاطعات المعينية التي قامت خارج قرناو مقاطعة واحة ديدان (العلا) في الناحية الشمالية الغربية من الجزيرة العربية ومقاطعة واحة معان فتم تعيين نائب للملك (كبير) في كل واحدة منها وكان يقوم بجمع الضرائب وارسالها إلى (قرناو) ،^(٢٢)

اتبع ملوك معين الأسلوب المتبع والشائع في ممالك اليمن القديم ، وهو إنهم تسموا بأسماء ملكية ذات طابع مقدس أو ديني ، وكما اشرك الكثيرون منهم ابناؤهم في الحكم ويرجع وجود مجلس يتكون من رؤساء العشائر والأسر الشريفة بجوار الملك ، اذ كانت إلى

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

جانب مدينة قرناو العاصمة ومدينة نشق (البيضاء) ومدينة نشن أو (نشان) توجد مدينة يثل (براقش حالياً) التي تعد المركز الديني لمعين^(٢٣)، وإن الحكم في معين وراثياً ينتقل من الأب إلى الابن وقد يتولى الولد والوالد الحكم في وقت واحد وإن الحكم في معين كان أشبه بالحكم اللامركزي ، أي أن كل منطقة لها نظامها الخاص بها ولها من يمثلها في الحكومة المركزية (٢٤).

وتدل النقوش المصرية القديمة على وجود علاقات تجارية كبيرة بين المملكة المعينية وبين كل من مصر الفرعونية ، فكانت القوافل التجارية تحمل البخور إلى تلك البلاد، وتجلب ما يرد من منتجات من الشرق الأقصى عبر المحيط الهندي إلى معين ، فضلاً عن ذلك كانت موجودة جالية معينية تقيم في مصر من أيام بطليموس الثاني حيث تقوم بالإشراف على تزويد معابد مصر بالبخور^(٢٥). وكانت معين مملكة تجارة وسلام أكثر مما هي دولة حرب ، ومما أدى ذلك إلى امتداد نفوذها إلى معظم شبه الجزيرة العربية وخارجها ، أي انه نفوذ تجاري أكثر مما هو نفوذ سيطرة وحكم، واستخدموا (نهر الخالد) في الجوف والاستفادة منه في تنظيم طرق الري واصبحت الجوف مفرخة من مفاخر عصرهم ، وقد اضطرتهم حضارتهم إلى الكتابة فاقتبسوا الأبجدية الفينيقية لشهرتها، بالنسبة إلى الحرف المسماري ثم تنوعت الأبجدية الفينيقية حتى تحولت إلى الحرف المسند المشهور^(٢٦).

كان ملوك معين يتلقبون بلقب (مزواد) في بدايات حكم معين ، كما كان في سبأ يسمون (مكرب) واللقبان يتضمنان بعض الكهانة ، فضلاً عن الحكومة فيكون المراد بقولهم (مزواد معين) أي حاكم معين وكاهنها^(٢٧)، أما أسماء الملوك التي عرفت في هذه المملكة هي "يثعبل صادق - وقه إيل يثبع - إيليفع يشير - حفنوم ريام - إيليفع يتوش - اليفع واقه - وقه إيل صادق - أبيكرب يثبع - عميدع نابط - إيليفع ريام - هوفاعث - ايبندع كليكوب صادق - صقر يائع - يثعيل ريام - تبكرب - أثيدع حفنوم" وتعد مملكة معين من أقدم الممالك اليمنية وبلغت حدودها أعالي الحجاز وجنوب فلسطين^(٢٨).

وملوك معين كانوا في الأصل ملوك كهنة^(٢٩)، إذ كانت سلطتهم مستمدة من الآلهة ومن واجباتهم خدمة المعبد وإدارة شؤونه ومصالحه وبسبب زيادة الرقعة الجغرافية وتوسع الأعمال السياسية التي كانوا يؤدونها اضطرتهم إلى تسليم إدارة للكهنة والتفرغ للسياسة

والحكم ، فأصبحوا ملوكاً ، على الرغم من مشاركتهم في الحكم كبار الكهنة والملوك ورؤساء العشائر وحكام المدن والمقاطعات في اتخاذ القرارات ثم يصدرن أحكامهم على شكل أوامر ومراسيم تفتتح بأسماء الهة معينة ثم يذكر اسم الملك وتعلن كتابته ليطلع عليها الناس^(٣٠)، وكان ملوك معين يتخذون مجالس للشورى تدعى (مزود)، اذ كان من واجبات هذا المجلس البت بالأمور والفصل في الخلافات بين أتباعهم وكانوا يسجلون أيام تأسيس المجالس والترميمات والتحسينات التي يدخلونها على بناية المجلس.^(٣١)

وذكر المصادر ان عدد ملوك معين ٢٢ ملكاً ويتكونون من خمس سلالات ، كان الحكم فيها وراثياً والترتيب بحسب ما عثر عليه في النقوش وليس بترتيب زمني ومنها " (سلالة اليفع: ١- اليفع بقيس، ٢- اليفع ياسر، ٣- اليفع يثع ٤- اليفع ريام) و(سلالة وقه: ١- وقه ال يثع ٢- وقه ال نبط ٣- آل صديق) و(سلالة أب يدع: ١- اب يدع يثع ٢- اب يدع ريام ٣- حفن اب يدع ريام) و(سلالة يثع آل صديق: ١- يثع آل صديق ٢- يثع آل ريام) و(سلالة كرب: ١- خال كرب صديق ٢- هرفعت بن اليثع ريام ٣- خال كرب ٤- معدى كرب بن اليثع يثع ٥- يثع كرب بن آل ريام ٦- ابو كرب ٧- ام يثع ابو كرب ٨- يثع كرب ٩- ثوب). و(سلالة اب يدع: ١- اب يدع يثع ٢- اب يدع ريام ٣- حفن اب يدع ريام)."^(٣٢)

ويلخص جميع الباحثين والمؤرخين تاريخ معين في ان التجارة كانت السبب الأول في ثراء معين لأنها كانت تفرض ضرائب على البضائع التي تمر بها وان النظام الحكومي فيها كان اقطاعياً أو ما شابه ذلك ونفوذها السياسي كان يمتد إلى بلاد كثيرة حيث وجدوا بعض نقوش واختام معينة في جنوب فلسطين، وان المعينيين كانوا يمتلكون نفس اللغة التي يتكلم بها السبأيون باختلاف اللهجة وان نظام الوراثة في الحكم كان متبعاً من خلال تكرار نفس الاسماء الملكية ، وان اسماء آلهة معين تشبه الآلهة البابلية ومنها (ود)^(٣٣)، واستمرت معين في مسيرتها السياسية حتى دب الوهن والضعف واشتد بأس جيرانها وتجرت عليها كل من قنبان وسبأ فبدأت قنبان باقتطاع جزء من اراضيها وأجبرتها على عقد حلف معها^(٣٤). استمر المعينيون في السيطرة على الوضع السياسي في اليمن القديم حتى وصول السبئيين وفرضوا سيطرتهم ، مستغلين الضعف الذي دب فيها، فأخذوا يوسعون نفوذهم على حساب

هذه المملكة بعد تقوية نفوذهم ، وإقامة دولتهم على انقاضها وورثوا لغتها وديانها وتقاليدها^(٣٥)، ولكن الانكماش السياسي لم يؤد إلى وقف نشاط المعينيين في مجالات التجارة فاستمروا في نشاطهم التجاري، يؤدون دورهم فيها ويجنون مكاسبهم تحت طاعة دولة سبأ القوية^(٣٦)، ولا يعني هذا انقراض شعب معين بانقراض حكومته وذهابه من عالم الوجود إذ ورد اسم المعينيين في عدد من الكتابات المعينية التي يرجع تاريخها إلى ما بعد سقوط حكومتهم.^(٣٧)

المبحث الثاني: مملكة سبأ:

تقع سبأ في شمالي اليمن في منطقة الجوف^(٣٨) بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام وكانت مدينة محصنة^(٣٩)، بناها يشجب بن يعرب بن قحطان^(٤٠)، وكانت كثيرة الأهل طيبة الهواء عذبة الماء كثيرة الأشجار كثيرة المياه من السيول فبنى فيها سد مأرب الشهير بين الجبلين بالصخر والقار استفادت منه القرى والمزارع^(٤١)، ولقد حظيت سبأ بأهمية بارزة بين الممالك التي ظهرت في جنوب شبه الجزيرة العربية^(٤٢)، وورد ذكر هذه الملكة في القرآن الكريم ، أدى إلى علو مكانتها كبيرة عند العرب في ذلك الوقت وما وصلت إليه من شهرة وضمت إليها المرتفعات والهضاب شمالاً حتى الجوف ويصعب رسم الحدود السياسية لهذه المملكة ، فقد كانت تتوسع في فترة قوتها وتتقلص في ضعفها، وهناك وجهة نظر ان السبئيين كانوا أسبق من المعينيين وذلك من خلال النصوص القديمة التي ورد فيها اسمهم ورأي آخر يشير إلى تعاصر السبئيين والمعينيين ومن المحتمل ان المملكتين قد قامتا في آن واحد أو في وقت متقارب.^(٤٣)

فكانت معين في الشمال وسبأ في الجنوب^(٤٤)، وان بلاد العربية الجنوبية هي الموطن الأصلي للسبئيين ، وانهم أول من سكن جنوب الجزيرة العربية وانشأوا فيها العمران الحضاري^(٤٥)، كما ورد ذكر سبأ في التوراة^(٤٦) والكتب اليونانية والرومانية ، كما ورد ذكرها في نص سومري (Sa-Ba-A) (Saba)، يعود إلى سلالة أور في حوالي عام (٢٥٠٠ ق.م) ، وهو أقدم نص تاريخي يرد فيه اسم سبأ.^(٤٧)

جاء ذكرها في أخبار (آشور) للملك (سرجون الثاني) عام (٧٢١ - ٧٠٥ ق.م) إذ كانت من بين الأمم التي فرض عليها الاتاوة ومنها (فرعون مصر) و(ثعمر السبئي) ، مما يدل هذا على وجود السبئيين في القرن الثامن قبل الميلاد .^(٤٨)

تمكن الحاكم السبئي (كرب ال وتر) من تأسيس مملكة كبيرة ، نجح في بسط سلطته على جميع البلاد في جنوب الجزيرة العربية ، ومد نفوذه على جميع الأراضي المجاورة له وضمها الى مملكته^(٤٩) ، ومن ثم بسط سيطرته على طرق التجارة الرئيسية التي تصل ما بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها^(٥٠) . كان نظام الحكم في سبأ قائماً على أساس التقسيمات القبلية ، وعلى مبدأ نظام التناوب العام لسلطة المملكة بين قبيلة وأخرى ، وكان يشمل كافة الجوانب الاجتماعية والسياسية والدينية ، وتذكر النقوش انه هناك ثلاثة مكربيين كانوا حكاماً مؤقتين للمملكة وممثلين للقبائل المختلفة^(٥١) ، وكان يحكم سبأ أفراداً يحملون لقب مكرب وفي الحالات النادرة (ملك) ، وان لهاتين الوظيفتين صلاحيات محددة ، فحكام سبأ (المكاربة) لم يكونوا يمتلكون السلطة العليا ، لكنهم فقط ممثلون لهذه الهيئات العليا ذات السيادة وهذا ما يظهر في النقوش ذات الطابع القانوني، وترينا كيف كان عليه تركيب وهيئة مجلس الكبار ، وكقاعدة عامة فمهمات الحكم تناط بالمكربيين ، وهم يسيرون مهام المملكة كالإنشاءات والأعمال ذات الطابع الاجتماعي من جمع الضرائب ، والعناية بالعبادات الدينية ، ومن اجل الاعداد للحروب واجراء إصلاحات في الضرائب حينها يعين حاكم مزود بصلاحيات (ملك) ، ويتضح ان المكاربة لا يحملون لقب (ملك) ولكنهم يقومون بأعمال تعد من صلاحيات الملوك ، لذلك فالمملكة السبئية في بداية الألف الأول ق.م تقف امامنا كاتحاد قبلي ، نشأ من ثلاث قبائل حتى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد^(٥٢) . وفي نهاية الألف الثاني وبداية الألف الأول قبل الميلاد توسع الزراعة وازدهرت التجارة مما ادى الى بروز الفوارق الطبقيّة وظهور الملكية الخاصة على الأرض ، مما ادى الى تحول الاتحاد القبلي إلى مملكة ، فبدأت المشروعات التشييدية الضخمة للمدن مثل المعابد وشبكات الري في القرن الثامن والسابع قبل الميلاد ، ففي هذه الفترة بدأ تقسيم المملكة بحسب ملكيات الأرض وبحسب العرف القبلي فالدور الاساس الذي تلعبه المدن التي سكنها عناصر من مختلف القبائل وامتلكت هذه المدن على اطراف سبأ ممتلكات (اقطاعيات) صغيرة محلية ، ولكن على الرغم

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

من ظهور المجتمع القبلي ، فقد ظلت هيئات واعراف ومؤسسات الاتحاد القبلي مجلس الكبار أو الكبراء والتقسيمات القبلية معمولاً فيها ، وفي نهاية النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد تعاضمت سلطة المملكة بصورة عامة بعد التغيرات التي طرأت في المجتمع السبئي فتنامت السلطة التشريعية للحكام.^(٥٣)

ويلاحظ في التشريعات البسيطة (يدع ال بين إن كرب آل وتر) إن حمل الألقاب أمر مهم بالنسبة للملوك ، فلقب (مكرب) و(ملك) في تغير قائماً من الألف الثاني قبل الميلاد إلى الألف الأول قبل الميلاد^(٥٤) ، فلقب حكام سبأ لم يبق ثابتاً فيما بعد بل تغير من عصر إلى آخر ، بحسب الظروف التي تعيشها المملكة لذلك مر الحكم بعدة أدوار.^(٥٥)

ففي بدايات الألف الأول يبدأ العصر الأول والذي تلقب فيه حكام سبأ بلقب مكرب من عام (٨٠٠ ق.م - ٦٥٠ ق.م)^(٥٦) ، اذ يعد المكرب (سمه علي وتر) أقدم مكرب وصل إلينا اسمه^(٥٧) . وهناك اختلاف في تحديد بداية عهد المكاربة ونهايته^(٥٨) ، فالبعض يتوقع بدايته في القرن العاشر قبل الميلاد ، والبعض الآخر يرجعه إلى أواسط القرن الثامن قبل الميلاد في حين جعل والبعض نهايته إلى منتصف القرن السابع قبل الميلاد ، ويرجع الاختلاف إلى عدم وجود تاريخ محدد نستطيع منه معرفة بداية ونهاية حكم مملكة سبأ^(٥٩) ، وبعد مرحلة المكاربة بدأ مرحلة (ملوك سبأ) والتي تلقب بها حكام سبأ بلقب ملك سبأ وتمتد هذه المرحلة تقريباً من (٦٥٠ ق.م - ١١٥ ق.م)^(٦٠) ، اذ انتقل الحكم من (صرواح) عاصمة المكربيين إلى (مأرب) العاصمة الجديدة ، واتخذ الملوك من قصر (سالحين) مقراً لحكمهم^(٦١) . ويعد عصر المكاربة بداية مرحلة جديدة ، اذ لقب حكام (سبأ) بلقب (ملك سبأ وذي ريدان) والتي تبدأ من (١١٥ ق.م - ٣٠٠ م) والذي بدأ بضم ريدان إلى سبأ وقد أطلق البعض على هذا العصر بأسم المملكة الحميرية الأولى^(٦٢) ، بعد ذلك بدأ حكام اليمن يلقبون بلقب (ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات واعرابها في المرتفعات وفي التهائم) ، ويعد هذا آخر دور للحكم في اليمن ، والذي يمتد من (٣٠٠ - ٥٢٥ م) ، اذ تعرضت البلاد للغزو الحبشي ومن ثم الفارسي ، ومن أعظم ملكات سبأ هي (بلقيس) والتي ورد ذكرها في لقرآن الكريم مع سيدنا سليمان (عليه السلام)^(٦٣) . وذكرت سبأ في التوراة اذ وردت في الاصحاح العاشر عندما بلغت أخبار سليمان واعلائه لاسم الرب مسامح ملكة سبأ فأنتت إلى (أورشليم) القدس

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

بموكب عظيم وجميل بجمال حاملة محملة بالأطياب والذهب والاحجارة الكريمة وامتحنته بمسائل كثيرة ، فاخبرها بكل كلامها فلما رأت حكمة سليمان وقصره ، قالت له ان الأخبار التي بلغتني لم اصدقها حتى ابصرتها بعيني في ارضك وحكمتك، وكانت أخباراً صحيحة^(٦٤). ولكن لم يذكر اسم ملكة سبأ ، وإنما ورد كونها ملكة في حين ذكرها أهل الأخبار في ان اسمها هو بلقيس بنت هداد بنت شرحبيل بن عمرو بن الراءش ، وكانت افضل الناس في زمانها وأعقلهم وأحزمهم^(٦٥) . اذ تولت السلطة بعد ابيها ، ولأنها من نسل حمير بن سبأ فأنفق عليها السبئيون بولايتها عليهم^(٦٦) واتبعت النظام الذي كان سائداً في عصره ، الذي يتكون ، فضلاً عن الملك كان هناك مجلس استشاري الى جانبه ، ورد ذكره في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾^(٦٧) عندما جاء الهدد وبلغها رسالة نبي الله سليمان (عليه السلام) فقامت بجمع المجلس وهو الملاء واستشارتهم في الأمر.^(٦٨)

ويظهر أن الذين اتخذوا اسم والدها الهداد ، إنما اخذوا ذلك الاسم من الهدد الطير الذي ورد في القرآن الكريم والذي نقل نبأ ملكة سبأ إلى النبي سليمان (عليه السلام)^(٦٩). وحين تفقد النبي سليمان (عليه السلام) الهدد ذات يوم فلم يجده ، فلما جاء اليه أخبره انه جاء من سبأ وانه وجد امرأة تملكهم وتحكمهم وانها وقومها يسجدون للشمس^(٧٠) . بعث النبي سليمان (عليه السلام) بكتاب القاه للملكة يطلب فيه الا تعلقوا الملكة وتتعاظم عليه ، وان تأتي اليه مُسلمة ، وعند وصول الكتاب إليها جمعت الملكة قومها وشاورهم في الأمر فقالوا : نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد وإنهم رهن إشارتها وأوامرها والأمر اليك أيتها الملكة في القتال أو تركه^(٧١). وقد حكمت بلقيس على بعض الآراء مائة وعشرين سنة^(٧٢). وقد أسلمت الملكة امام النبي سليمان (عليه السلام)^(٧٣)، ويمكن ان نستنتج ان الهدد رسول سليمان (عليه السلام) عرف اخبار مملكة جديدة لها من الثروة والغنى والقوة وتملكهم امرأة وان أهل المملكة كانوا يعبدون الشمس ، وان نظام الحكم فيها شورى غير استبدادي.^(٧٤)

وكان من أهم اسباب زوال مملكة سبأ تصدع سد مأرب الذي كان يعد السبب الرئيس في رخائهم وتقدم بلادهم ، وذلك لأنهم بغوا في الأرض ، وأكثروا فيها الفساد من كثرة النعم ونسوا ان الله عز وجل واهب النعم والخير الكثير فاراد الله ان يذيقهم وبال أمرهم

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

ليكونوا عبرة لغيرهم ومثلاً لمن يأتي من بعدهم فتهدم السد بأمر الله وفاض السيل العرم وحل الخراب بأراضي المملكة^(٧٥). كما جاء في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَيِّدٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِئَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ حَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾^(٧٦).

وكان تصدع سد مأرب في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد والذي يعد من اعظم المباني الاثرية الخالدة لمملكة (سبأ) ، والذي قام اكثر من ملك سبأ بصيانتته لاغراض اقتصادية. ايذاناً بسقوط مملكة سبأ النهائي وتفرق أكثر السكان من المنطقة الجنوبية لليمن القديم.^(٧٧)

المبحث الثالث: مملكة حضرموت :

تقع حضرموت في الجهة الغربية من جنوب شبه الجزيرة العربية ، وتمتد شرقاً إلى الربع الخالي ، ويرجع تاريخ قيامها إلى عام (١٠٢٠ ق.م - ٢٩٠م) على رأي (فيلبي) ويوافقه على ذلك (هومل) وكانت عاصمتها (شبوثة)^(٧٨)، وقد عاصرت حضرموت مملكة معين وسبأ ومازال إسمها يطلق الى الآن^(٧٩). وكذلك تقع على ساحل بحر العرب إلى الجنوب الشرقي من بلاد اليمن وتتصل حدودها بحدود دول اليمن الأخرى التي عاصر بعضها بعضاً ودخلت بعلاقات تجارية وسياسية مع جيرانها في ظل ظروف ومتغيرات متعددة ، وقد شكل وادي حضرموت الأقليم الرئيس الذي قامت عليه هذه المملكة.^(٨٠)

وقد اشار إلى هذا الوادي انه كان من أنسب مناطق الاستيطان في الجزيرة العربية خلال العصر البرونزي ، وان اتساعه وقرب مخزون المياه من سطحه بالاضافة إلى تربته الغرينية أتاحت لسكانيه استنبات المحاصيل الجيدة وانه من المحتمل ان هذا الوادي عرف الحياة البشرية قبل ان تعرفها المناطق الغربية من اليمن القديم^(٨١)، وانه من الجائز عندما بدأ استخدام قوافل الجمال في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد انه قد قامت تجارة نشطة بين حضرموت وبابل تبعتها بفترة قصيرة حوالي القرن العاشر قبل الميلاد حركة القوافل التجارية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها.^(٨٢)

ويستدل من النقوش التي كشفت عنها بعض الأمور التي توضح صلات حضرموت بالممالك المحيطة بها ولا يوجد تحديد زمني لعصر مملكة حضرموت فليس هناك اتفاق على بدايتها ونهايتها فهناك من يرجح بدايتها إلى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد بينما يرجعه البعض الآخر إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، ويذكر ان اسم حضرموت كان نسبةً لأحد الآلهة السامية القديمة وهو (موت)^(٨٣) ، وقام أحد كبار الموظفين وهو (شكم سلحان بن رضوان) ببناء سور وتحصينات وأبواب لحصن (قلت) الذي يشرف على وادي تقطعه الطرق القادمة من مدينة (حجر) والمؤدية إلى ميناء (قنا) وكذلك أنشأ أسوار وحواجز في ممرات الوادي الرئيسية لحماية منطقة (حجر) من أي غزو أجنبي ولاسيما غزو الحميريين الذين كانوا يهددون حضرموت ويتدخلون في شؤونها^(٨٤). لذلك لجأت حضرموت إلى سد الأودية وتحصين المدينة والتحكم بمرور الأشخاص إلى حضرموت^(٨٥)، ومن النقوش المهمة التي وصلتنا توضح صلاتها الخارجية بجيرانها نقش يرجع إلى عهد الملك (العزيلط) ملك حضرموت ، وقد دون في هذا النقش رجلاً من أشرف حمير بعث بهما ملك سبأ وذي ريدان للمشاركة في احتفال تتويج ملك حضرموت في حصن آنود ، ولكن لا نعرف تاريخ نشأة هذا التقليد في حضرموت ولا السبب الذي من أجله اختير حصن آنود لهذا الغرض، فربما كان وجود المبعوثين الحميريين دليلاً على ان العلاقات بين حضرموت وسبأ ودية^(٨٦)، ولذلك أرسل ملك سبأ وذي ريدان مبعوثين لتهنئة حليفه وصديقه ملك حضرموت بمناسبة تتويجه أو من ناحية اخرى ، قد يستدل وجود هذين المبعوثين ان ملك حضرموت كان يتولى سلطانه برضا من ملك سبأ^(٨٧)، وتدل الآثار المكتشفة في مدينة شبوة على تطوير وازدهار الزراعة في حضرموت فقد وجد بقايا من السدود التي كانت مقامة في وادي شبوة لحجز مياه الأمطار والاستفادة منها في ري المناطق المزروعة ، وكما اكتشف هناك بقايا من سدود وقنوات كانت تحمل المياه إلى المناطق البعيدة الصالحة للزراعة والمراعي.^(٨٨)

وكانت (قنا) التي تقع إلى الشرق من عدن قد تمثل الميناء التجاري الرئيس لمملكة حضرموت ، إذ يتم عن طريقه تصدير اللبان والبخور والمر بجزراً لذلك فقد اهتم بها ملوك حضرموت وأقاموا فيها حصن كبير وبني حوله سور من الحجارة والصخر والخشب وهو المعروف بحصن الغراب.^(٨٩)

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

ويعد أول ملك لها هو (صدق إيل) وقد عاصر هذا الملك المجموعة الثانية من ملوك معين ، فبدايتها بحدود عام ١٠٢٠ ق.م حسب رأي (فلبلي) و(هومل) وأما نهايتها فقد تكرر من خلال استعادتها لاستقلالها بعد ان فقدت استقلالها واندمجت في دولة معين بعد وفاة ملك حضرموت (معد يكرب) والذي تولى الحكم حوالي عام (٩٨٠ ق.م) واستمرت على هذا الحال ثلاثة قرون أي إلى نحو عام (٦٥٠ ق.م).^(٩٠)

إن الظروف الاقتصادية والسياسية قد جعلت قيام تشابه كبير بين أنظمة الحكم في دول اليمن القديم بسبب تشابه الظروف البيئية ، لذلك تدرج نظام الحكم فيها من حكم الكهنة (المكارب) إلى حكم دنيوي يستند على حكم الملوك^(٩١)، وقد تبين ان عدد من المكربين قد حكموا حضرموت قبل أن تتحول إلى مملكة^(٩٢)، ولكن تحول نظام الحكم إلى الملكية لم ينتزع الصفة الدينية بشكل كامل، فأن الملك في حضرموت وبقية ممالك الجنوب اليمن القديم لم ينفرد بالسلطة^(٩٣) ، وذلك لطبيعة الملكية الإقطاعية للأراضي الزراعية والتي كانت بيد الملك والأشراف ورؤساء القبائل بحيث اشترك مع الملك ممثلين عن هذه الفئات من المجتمع اليمني القديم ، اذ تم تشكيل المجالس الاستشارية الخاصة بذلك ، وان ملك حضرموت كان يستمد قوته من حقه المقدس لكنه كان يحكم المملكة حكماً دستورياً فإلى جانبه كان مجلس عام والمدن تحكمها حكومات محلية يديرها شخص يعين بالانتخاب ويعاونه مجلس من شيوخ المدينة.^(٩٤)

أما الشعب فكان شعباً ارسقراطياً يؤيد نظام الطبقات ، ويقر الرق وكان متسامحاً، يحترم المرأة ويقدر نظام الأسرة ، مخلصاً لملكه ووطنه، وكان الملك اذا قام لا يتلقب بلقب الا عند تتويجه، ولا يتوج إلا في حصن (انود) ويعرف الآن بحصن (عقلة) ، اي حضرموت ، ويشرف على وادٍ يتصل بتلال شبوة، ومن مدن حضرموت مدينة ميفعة العاصمة القديمة لها^(٩٥). أما عن نهاية مملكة حضرموت وكيف اصبحت جزءاً من مملكة سبأ وذي ريدان، فهناك اختلاف عند الباحثين ، فمنهم من يرى ان ذلك كان في عام (٢٩٠م) وآخرون يرون انه كان بعد عام (٣٠٠م)^(٩٦)، والبعض الآخر يرى استمرار المنافسة بين حضرموت ومملكة حمير واشتد هذا التنافس وتطور إلى حروب انتهت بانتصار الحميرين في عهد ملكهم

(شمر يهرعش الثالث) في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد والذي قام بضم حضرموت الى مملكته. (٩٧)

المبحث الرابع: مملكة قتبان :

تقع قتبان في جنوب اليمن بين حضرموت شرقاً وأوسان غرباً وتشرف جنوباً على بحر العرب أو المحيط الهندي ، وتتصل بالمرتفعات اليمنية وكانت تقوم بينها وبين البحر مملكة أوسان الصغيرة ، وأهم مدن قتبان (شقره) على ساحل المحيط الهندي^(٩٨)، وتعددت الروايات في تسمية قتبان فمنها انها موضع من نواحي عدن^(٩٩)، والبعض الآخر نسبها إلى اسم (قتبان بن ردمان بن وائل بن الغوث). (١٠٠)

أما رأي جواد علي فيتضح أنه لا صلة له في النسب بين حمير و قتبان في النصوص القتبانية والحميرية ، وإن هذا النسب وقع بسبب ضعف قتبان والتي اندمجت بعد فقدان استقلالها في حكومة سبأ وذي ريدان ، وهي الحكومة التي يطلق عليها اسم حمير ، وبسبب ان حمير قاومت الأحباش مما تركت أثراً في القصص العربية ، لذلك كله فقد عدت معظم القبائل التي كانت خاضعة لها من حمير ونسبت اليها ومنها قتبان^(١٠١)، واختلفت الآراء حول بداية ونهاية قتبان على الرغم من وجودها خلال مدة مملكتي معين وسبأ^(١٠٢). فيرى البعض ان تاريخها يمتد من القرن السادس قبل الميلاد حتى الحقبة الأولى من تاريخ ظهور المسيحية^(١٠٣)، وتاريخ الاستيطان يعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد^(١٠٤)، بينما في رأي آخر وضع تاريخ ظهورها بين ألف قبل الميلاد إلى القرن الثاني قبل الميلاد. ورأي آخر جعل بداية حكمها في نحو (٦٥٠ ق.م) ونهاية استقلالها كان حوالي القرن الثالث قبل الميلاد. (١٠٥)

تمكنت قتبان من بسط نفوذها على أوسان والمناطق المجاورة الأخرى وامتدت حتى بلغت حدود حضرموت ، وبعد سقوط معين تحالفت قتبان مع حضرموت وسبأ وان دل هذا على شيء فانه يدل على قوة ومكانة قتبان بين الممالك الجنوبية^(١٠٦)، وهي على ما يبدو قامت إلى الجنوب من مملكة سبأ ضمننت وادي (بيحان) ووادي (حريب) وعاصر كيانها السياسي في بعض عهوده بقية ممالك العربية الجنوبية (سبأ وحضرموت ومعين التنقيبات وأوسان). ومن نتائج البعثة الأمريكية الحديثة للباحثين البرت جام وفرانك البرايت وقد عثروا

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

على مخربشات قتبانية في هجر بن حميد ووادي قرع اتجهت سطورها من اليسار إلى اليمين مما يعني قدم عهدها ، فأرجعوا أسلوب كتابتها إلى القرن العاشر قبل الميلاد^(١٠٧)، وقد كان حكام قتبان يلقبون في بادئ الأمر بالمكربين، والذين كانوا يحملون الصفة الدينية والدينيوية وبعدها تلقبوا بلقب (ملك) عندما ازدادت سلطاتهم وتجاوزت حدود المعبد^(١٠٨)، وقد ذكر ان مملكة قتبان ومن خلال النصوص التي اكتشفها العلماء فيها على أن الملك (يدع أب ذبيان) أراد حمل لقب ملك مع لقب مكرب^(١٠٩) يعني انه كان ملكاً كاهناً ولكن اقتصر في فترة حكمه الأخير على لقب ملك^(١١٠)، اذ قام الملك يدع أب ذبيان بأعمال إنشائية ومن أهمها بناء المدخل الجنوبي لمدينة (تمنع) وتجديد بيت (ود وعثر) وإنشاء طريق عبر الجبال يصل بين (تمنع) عاصمة قتبان وبين أطراف المملكة وأمر كذلك بوضع التشريعات القانونية لرعايا مملكته، فقام مجلس المملكة المعروف باسم (المزود) والذي يتألف من رؤساء المدن والقبائل بتجهيز مسودات القوانين واللوائح وعرضها على الملك لأقرارها والأمر بتنفيذها، فالحق للملك وحده باصدار القوانين ونشرها. ^(١١١)

تعد (تمنع) من أهم مدن قتبان والتي اتخذوها عاصمة لهم ومركزاً لنشاطهم وتعرف (تمنع) اليوم بـ(كحلان) أو (هجر كحلان) وهي تقع على الضفة الشرقية لوادي (بيجان)^(١١٢)، وقد عرفت قتبان أن أراضيها خصبة وكثرة مياهها وبساتينها^(١١٣)، وقد ضمت إليها كل من وادي حريب غرباً ووادي ميلقه وأخذت دولة قتبان بالتوسع في رقعتها الجغرافية.^(١١٤)

كانت علاقة ملوك قتبان مع كهان المعابد قوية لدرجة ان المملكة منحت ادارة المعابد حق استغلال أراضي المملكة وفرضت على القبائل ضريبة، بلغت عُشر دخلها تقدم للمعابد كهبة ، ولذلك كان يسمون كهنة المعابد (المطعمون من الله) و(المطعمون على يد عم) و(عم) كبير آلهة قتبان وذلك لاعتقادهم ان الله قد فوضهم في إدارة أراضيه والأمور الدينيوية^(١١٥) . لذلك فان نظام الحكم في قتبان مان على مرحلتين اساسيتين الأولى حكم كهنة المعبد وكانوا يسمون باسم (مكرب) أي المقرب إلى الآلهة ، فالمكرب هو المقرب إلى الآلهة والشفيع اليها والوسيط بينها وبين الانسان ، اما المرحلة الثانية من نظام حكم مملكة قتبان فبدأت في حوالي القرن السادس قبل الميلاد حين تلقب المكرب بلقب ملك ، لذلك كان

هذا بداية وعلامة إن الحكم في قتبان بدأ يفقد طابعه الديني في عهد المكرب (يدع أب ذبيان) ويأخذ منحاً آخر دنيوياً ، وجاء هذا التطور بسبب تطور البنية الاقتصادية والاجتماعية في قتبان فبعد أن كان المعبد هو المسيطر على مجمل النشاطات الاقتصادية اخذت الاراضي تنتقل ملكيتها إلى الملك وبإشراف قبيلة قتبان المسيطرة على المجتمع وحلفائها ، وبذلك تحول النظام من ملكية المعبد للأراضي إلى نظام الملكية الاقطاعية لهذه الأراضي^(١١٦). فشملت الأراضي الممتدة من حضرموت في الشرق وسبأ في الشمال وأوسان في الغرب. اذ توسعت قتبان على حساب أوسان^(١١٧)، حتى وصلت البحر الأحمر عند باب المنذب^(١١٨).

ومن أهم النصوص ، نقوش مدينة (تمنع) عاصمة مملكة قتبان ، والذي جاء فيه ذكر اسم الملك (شهر هلال بن ذر أكرب) من ملوك قتبان المتأخرين^(١١٩)، اذ ورد في النص (قانون أصدره شهر هلال بن ذر أكرب) ملك قتبان لشعب قتبان وذو علس ومعين وذو عثم ، وهم أصحاب أرض شدوه ، وقد نظم هذا القانون واجبات هذه الشعوب نحو ملك قتبان وقواعد استغلال الأراضي وتعيين العمال فيها وكذلك الإشارة إلى العقوبات التي تقع على المخالفين.

وبعد هذه المرحلة تطور المنصب إلى مرحلة الملوك بعد تجاوز حدود المعبد ، فكان في قتبان المجالس القبلية والتي تمثل القبائل المختلفة في الهيئات التشريعية المتعددة وكان المجمع القبلي يعقد جلساته مرتين في العام وفي عاصمة المملكة ، وكان يوجد ممثلون لأصحاب الأراضي الخصبة والقبائل المنتظمة إليها ، وسكان المزارع والمراعي وكانت تمثلها السادة صاحبة الامتياز (مسود) ، وعدد كبير من بين أصحاب الأملاك (طبن) .^(١٢٠) أما المجالس الاستشارية فكانت مكونة من جميع القبائل ولم يحرم منها الا العبيد وإن المشاورات كانت تنتهي عادة بالموافقة على القوانين والمواضيع المعروضة وتبلغ القبائل بتلك القرارات اما الاجتماع الثاني للقبائل فكان الغرض منه الموافقة على هذه القوانين^(١٢١)، وتدل الآثار المكتشفة في قتبان في منطقة (تمنع) على مدى الاهتمام الذي حظيت به الزراعة من قبل ملوك قتبان وحكامها ، فوجد الكثير من السدود وتتصل بها قنوات وصهاريج لتوفير المياه لرقعة واسعة من الأراضي ، مما جعل منها منطقة خصبة كثيرة المياه يافعة البساتين ،

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

وأقاموا ملوك دولة قتبان نحو (٦٥) معبداً في العاصمة التي كانت من أكبر مدن الجنوب.^(١٢٢)

ومنذ نهاية القرن الثاني قبل الميلاد أخذ الحميريون يقطعون اجزاء من الأراضي التابعة لقتبان وبنهاية القرن الأول قبل الميلاد تمت سيطرت حمير على الأجزاء الساحلية وبذلك فقدت قتبان سيطرتها على التجارة البحرية^(١٢٣)، وبعد خراب عاصمة قتبان (تمنع) أقام القتبانيون عاصمة جديدة لهم وهي (حريب) في موضع هجر بن حميد اضطرت نتيجة لضعف حيلتها أن تتضم إلى حضرموت ، وحاربت إلى جانبها ضد مملكة سبأ ، وأصبحت هاتان المملكتان مركز ثقل في جنوب الجزيرة العربية .^(١٢٤) امتازت علاقة قتبان بجيرانها ممالك الجنوب خلال فترات حكمها بعلاقات توسع وانكماش ، وذلك من أجل السيطرة على الأراضي الزراعية وتوسيع نفوذهم ومن ثم السيطرة على الطرق التجارية.^(١٢٥)

وفي حوالي عام (٥٠ ق.م) تعرضت العاصمة (تمنع) لغزو من الخارج وقد استدل على ذلك البرايت من وجود طبقة الرماد التي تغطي ارض العاصمة ولعل الغزاة أحرقوا هذه المدينة ، وقد ذكر ان المدينة اشعلت فيها النيران نتيجة القتال بين قتبان وحضرموت وذلك بين عامي (١٠ - ٢٠ م)، وقد انتهت مملكة قتبان سياسياً بعد تدمير العاصمة (تمنع) واحتلت مملكة سبأ وذي ريدان جزء منها وقد احتلت مملكة حضر موت القسم الآخر.^(١٢٦)

المبحث الخامس: مملكة أوسان :

مملكة صغيرة ثرية قصيرة الأجل سميت بـ(أوسن) أو (أسان) ، وقد نشأت في جنوب غرب قتبان وامتدت في عصور ازدهارها ومجدها حتى حدود حضرموت، وقد كانت هذه المملكة في بداية أمرها منطقة رئيسة من مملكة قتبان قرب مدخل البحر الأحمر ، ثم انفصلت عنها في ظروف غامضة ، وجمعت الأطراف من حولها من أقاليم وقبائل (مسورا ويافع ولحج ودثينه وأبيان) ووفرت لنفسها وحلفائها كياناً مستقلاً جنباً إلى جنب مع قتبان^(١٢٧) . وهناك دلائل تشير إلى وقوعها في الجنوب من قتبان ، وربما في وادي مرخه وما حواليه وأخذت تتوسع على حساب جاراتها فاقتطعت جزء من بعض الأراضي القتبانية وأراضي حضرموت ، وقد نافست أوسان في أوج ازدهارها سبأ منافسة شديدة واستطاعت من احتكار التجارة البحرية ، سيما في السلع الإفريقية من خلال سيطرتها على الأجزاء الساحلية

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

من الشاطئين اليمني والافريقي^(١٢٨)، وقد كانت أوسان قبل استيلاء قنبان عليها واندماجها في حكومة قنبان مملكة ذات تجارة كبيرة مع إفريقية وتحكم أراضي اخرى ليست في الأصل من أوسان مثل (دهس) و(تبنو) و(كحد) وقد استدل على ذلك من خلال إطلاق اسم الساحل الأوساني على الساحل الإفريقي ، وإن الأوسانيين قد حكموه ونزحوا اليه بعضهم ليسكنه واصبح تابعاً إلى أوسان ، ولم يحدث هذا لو لم يكن الأوسانيون أقوياء ولهم أرض واسعة في العربية الجنوبية وذات عدد كبير من السكان ليتمكن من الاستيلاء على الساحل الأفريقي ، ويرجع زمن حكم الأوسانيين للساحل الأفريقي إلى ما قبل حوالي سنة (٤٠٠ ق.م) تقريباً.^(١٢٩)

ومما يدل على ان أوسان كانت مملكة ذات كيان بما عثر عليه من التماثيل الرخامية لبعض ملوكها ، وأخذوا من هذا دليل على أن شعب أوسان قد انفصل في يوم عن حكم ملوك قنبان أو ان الشعب الأوساني قد ثار على قنبان وانفصل عن حكمها فتكونت بذلك مملكة أوسان إلى ان ظهرت مملكة سبأ ، التي ضمت كلتا المملكتين قنبان وأوسان تحت حكمهم المباشر^(١٣٠). أما عن أهم الملوك الأوسانيين الذين عثر على تماثيلهم فهم أربعة وهم (يصدق إل ملك أوسان بن معد إل ملك أوسان) و(زيدم سيلان ملك أوسان بن معد آل ملك أوسان) و(معد ال سلحان ملك أوسان بن يصدق آل ملك أوسان) و(يصدق بن فرعم شرح عثت ملك أوسان بن معد آل ملك أوسان)^(١٣١)، لذلك نجحت أوسان في مراحل مختلفة من تاريخها السياسي في السيطرة على كثير من مناطق جنوب شبه الجزيرة العربية من خلال نشأتها في وادي (مرخة) أما معبوداتهم فقد لفت انتباه الأوسانيين الأجرام السماوية فعبدها مثل، الشمس والقمر والزهرة ، واقاموا لتلك المعبودات بيوتاً (المعابد) ، وقدموا لها القرابين لكسب رضاها وإبعاد أذاها عنهم ، وكانوا يقيمون الطقوس الدينية لكن لا تذكر النقوش الأوسانية ما يفيد عن كيفية تعبد الأوسانيين لأربابهم وتأديتهم لشعائهم وطقوسهم.^(١٣٢)

وقد عثر على كتابات أوسانية لامرأة اسمها (رثده) جاء فيها انها قدمت لسيدها (يصدق إيل فرعم شرح عن ملك أوسن) تمثالاً من الذهب يحفظ في معبد نعمان كما أمرها سيدها بذلك ، مما يدل على أنه كان عادة دينية شائعة في بلاد أوسان لتحفظ في المعابد ، وهذا الفن الأوساني المتمثل بالتماثيل النفيسة التي شغلت حيزاً مهماً في التاريخ^(١٣٣)، ولا تضيف

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

النقوش الأوسانية القليلة المعروفة شيئاً عن الناحية السياسية من حياة تلك المملكة فهي نقوش قصيرة تغلب عليها الصفة الدينية وقد ظلت أوسان القبيلة باقية بعد زوال حكومتها بفترة طويلة ، وان أول ظهور للملكية في أوسان كان حوالي عام (٢٣٠ ق.م) وظل هذا النظام باقياً حتى عام (١١٥ ق.م)^(١٣٤). وعرف الباحثون أسماء ثمانية من ملوك أوسان ، وعثر على تماثيل بعضها من الرخام كتبت على قاعدة كل واحدٍ إسم الملك الذي يمثله ، وقد استفاد من هذه التماثيل بالتعرف على نماذج ملابس الأوسانيين ، ومن الملوك لأوسان الذين لم يعثر على تماثيلهم الملك (مريو) ، والملك (معد "إيل سلحان بن زيدم) ، والملك (عم يثع لحن) والملك (فرعم زهما إل شرح) ضمت أوسان إلى سبأ وذي ريدان^(١٣٥)، وقد عثر على نص ذكر فيه خبر زحف قام به الملك السبئي (كرب إيل وتر) على بلاد أوسان واحتلاله مدناً ومناطق تابعة لها مثل (همان وأنعم ورياب ورثا وجردان ودنتت) ، وكان ملك قنبان حليفاً لسبأ في هذا الزمن انتقاماً من أوسان التي تمردت عليه وخرجت من سيطرته ، وقد كافأه الملك السبئي فأعاد إليه بعض ما استولى عليه من أقاليم أوسان^(١٣٦). واما عن نهاية هذه المملكة فيشير فيليبى الى ان النهاية السياسية أوسان حدثت في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، بينما افترض جاكلين بيرن بقائها إلى قبيل ميلاد المسيح، لكن المرجح إن أراضيها انطوت بعد ذلك تحت سيطرة دولة سبأ و ذو ريدان ودخلت معها وتحت إشرافها المناطق التي امتدت تجارتها أو ولايتها إليها على الساحل الأفريقي المواجه لها^(١٣٧)، فقد احتل السبئيون أرض أوسان وكانت نهايتها بحوالي (١١٥ ق.م).^(١٣٨)

المبحث السادس: مملكة حمير: (١٣٩)

يتميز هذا العصر من عصور التاريخ اليمني بأن الملوك قد حملوا فيه لقب (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات)^(١٤٠)، وشعب حمير قد لعب دوراً هاماً في سياسة العربية الجنوبية والذي لازال قائماً يلعب دوراً مهماً بين القبائل العربية الجنوبية ، وكانت حمير من القبائل المعروفة في العربية الجنوبية حتى وصل خبرها إلى اليونان والرومان فدعواها باسم (Homeritai) و (Omyritai) و (Omeritae) و (Hamiroei) ، وقد عدت حمير من أكثر الشعوب في العربية الجنوبية عدداً وعاصمتهم مدينة (Sapphar) ويقصد بها مدينة (ظفار) وعرفوا باسم (Hemer)^(١٤١). وقد برزت حمير خلال العصرين عصر (ملوك سبأ وذي

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

ريدان) وعصر (ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت)^(١٤٢)، وكانت بلاد حمير تقع بين منطقة نفوذ مملكة سبأ وبحر القلزم ولم تلبث مملكة حمير حتى ازدهرت وقويت شوكتها فتغلب الحميريون على السبئيين وصار ملوك حمير يلقبون بلقب (ملك سبأ و ذو ريدان) أي ملك سبأ وصاحب ريدان وبذلك قامت دولة حمير سنة (١١٥ ق.م) واتخذ ملوكها من (ظفار) عاصمة لهم وتنتسب حمير إلى (حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان) وهو أول من توج بالذهب^(١٤٣)، ومنذ عام (١١٥ ق.م) وقعت المنطقة في العربية الجنوبية بيد الحميرين بعد الاستفادة من الصراع الذي وقع بين سبأ والممالك الأخرى حتى استفاد من هذا الصراع الحميريون ، فأضعفوا سبأ وتم نقل مركز الحكم من العاصمة مأرب إلى ظفار ، لذلك أصبحت المنطقة بأكملها تحت سيادة حمير ، وهم الأسياد الجدد واحتفظوا بلقب (ملك سبأ وذي ريدان) حتى عام (٣٠٠م).^(١٤٤)

وتعد حمير هي آخر الممالك اليمنية التي حكمت جنوب الجزيرة العربية وأوضحها تاريخاً بالنسبة لما قبلها وفرعاً من مملكة سبأ ، وقد بدأت من ريدان (ظفار) ، أذ تمركز الريدانيون وأخذوا يجمعون قواهم لمحاربة ملوك سبأ وجرت بين الجانبين حروب عدة كانت الغلبة فيها للريدانيين الذين أضافوا لقب (ريدان) إلى لقب (ملوك سبأ) وأصبح ملكهم يدعى (ملك سبأ وريدان) ، وما كاد ملك الريدانيين يستتب حتى قامت همدان بثورتها المشهورة ضد الريدانيين بزعامة (ترم أيمن) ووالده أمير همدان (علهان نهفان) ودامت الحرب فترة من الزمن كانت نتيجتها انتصار (علهان نهفان) على الريدانيين في سنة ١١٥ ق.م وصار يدعى (ملك سبأ وريدان) ومؤسس المملكة الحميرية في اليمن.^(١٤٥)

وبذلك توحدت اليمن تحت سيادتهم وحملت حضارتهم إلى الحبشة ، وازدهرت بذلك حمير في العربية الجنوبية وتمتعت المملكة في هذا العصر بالاستقرار والازدهار الاقتصادي^(١٤٦)، "ولم يعثر الباحثون على اسم حمير في الكتابات التي يرجع عهدها إلى ما قبل الميلاد بمئات من السنين مع ورود أسماء قبائل كانت تقيم في المواضع التي نزل بها الحميريين مثل (حبان) (حبن) و(ذيب) ، وقد يرجع تاريخ تدوين هذه الكتابات إلى حوالي سنة (٤٠٠ ق.م) و(حبان) مدينة وأرض تقع غرب (ميفعه) على الطريق المؤدية إلى (شبوة) أما (ذيب) (ذيلب) فهي قبيلة كانت منازلها ما بين (عوالق الأحور) من الغرب ومنطقة (قنا)

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

وتتضمن (دلثا) ميفعة وهي من القبائل التي كانت تسكن القسم الشرقي من (حمير) أي الأراضي التي هاجمت منها حمير مملكة حضرموت^(١٤٧).

وبحكم موقع حمير وسكنهم على السواحل فقد سيطروا على التجارة البحرية^(١٤٨)، وكان الملك (الشرح يحضب) من أشهر ملوك العصر الحميري الأول الذي يمتد من (١١٥ ق.م - ٣٠٠ م) والذي تحدثت عنه المصادر العربية كثيراً ، وقد نسبت إليه خطأ بلقيس فزعمت بعضها إنها كانت ابنته والأخرى أنها كانت حفيدته^(١٤٩)، على أن حقيقة الأمر هو عدم انتماء بلقيس التي عاصرت سليمان بن داود (عليه السلام) إلى (الشرح يحضب) ملك سبأ وذو ريدان وذلك إن بلقيس عاشت في القرن العاشر قبل الميلاد والعصر الحميري يبدأ من القرن الثاني قبل الميلاد ، إذ كان (الشرح يحضب) مقاتلاً محارباً وذكر إنه قاتل في أيام أبيه (فرعم ينهب) حمير وحضرموت لتحرشهم بسبأ وغزؤهم لها^(١٥٠). وكانت قبيلة حمير قبيلة قوية ولها نفوذ كبير في آخر أيام سبأ وقبل ظهور المسيحية ويعد أول من حمل لقب (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانات) هو (شمر يهرعش) حوالي عام (٢٩٠م) ويبدو أنه اتصل بالحكم منذ أيام والده (ياسر يهنعم)^(١٥١).

ونظام الحكم في هذه المدة كان نظاماً ملكياً وراثياً ، وكان الملك عبارة عن رجل إقطاعي ونظام حكمه مزيج من النظام القبلي القديم ونظام الطبقات والملكية الإقطاعية^(١٥٢). وكان يشمل ملوك (سبأ وريدان) على طبقتين القئة الأولى هي التي حكمت اليمن من (١١٥ ق.م - ٣٠٠ م) وعدد ملوكها ١٨ ، وكان يدعى الملك منهم بـ(ملك سبأ وريدان) وكانت عاصمتهم (ظفار) أما الثانية والتي حكمت من عام (٣٠٠ م - ٥٢٥م) وعدد ملوكها (١٤) وكانوا يلقبون بالتابعة بـ(ملك سبأ وريدان وحضرموت ويمانات) ، وكان لها عاصمتان (ظفار) ثم (صنعا)^(١٥٣)، وفي القرن الأول وقعت عدة اضطرابات لم تستقر اليمن خلال هذه المدة من (١١٥ ق.م - ٣٠٠م) المرحلة الأولى من المملكة الحميرية^(١٥٤). بسبب الاضطرابات والحروب الداخلية ، فقد ظهرت بين القبائل العربية الجنوبية والوسطى خلال القرن الأول الميلادي روح التنافس الشديد ورغبة الانتشار واطماع الرياسة والسيادة لأسباب قد تكون تلك المحنة التي هزت كيان دولة سبأ خلال الحملة الرومانية عليها ، ورؤية دول الجنوب تتهاجر واحدة بعد الأخرى ، وزيادة ثراء منطقة على حساب أخرى نتيجة المنافسة على التجارة

أنظمة الحكم وأثرها على الممالك اليمنية القديمة

البحرية والبرية ، وقد يكون بسبب انتشار الخيول والقوات الراكبة بين رجال القبائل مما زاد من سرعة العدو .^(١٥٥)

كان من أهم مدن حمير هي (ظفار) وهي العاصمة، و(ذمار) و(صنعا) ومن أشهر القصور الحميرية قصر (غمدان) و(غيمان) و(كوكبان)^(١٥٦) أما المرحلة الثانية من عصر المملكة الحميرية فيبدأ من (٣٠٠ م - ٥٢٥م) وهو عصر (ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) وبدأ هذا العصر بنجاح الملك (شمر يهرعش) ملك سبأ وذي ريدان في إسقاط^(١٥٧) مملكة حضرموت وضم أراضيها تحت سيطرته ، واتخذه لقباً جديداً (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) واستحق بذلك ان يُطلق عليه في المصادر الإخبارية العربية لقب (تبع الأكبر)(شمر يهرعش)^(١٥٨) . وقد استطاع هذا الملك من تحقيق الوحدة السياسية لجنوب شبه الجزيرة العربية ، وان يزيد من إمكاناته وتوسيع حدوده واتصالاته^(١٥٩) . حكم بعد الملك (شمر يهرعش) الملك (ياسر يهنعم) وبعد ذلك تولى الحكم الملك (ذمار علي يهبر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) والذي أسس اسرة جديدة حكمت حوالي قرنين وقد خلفه ابنه (ثارات يهنعم بن ذمار ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) والذي عاد إلى اللقب القصير (ملك سبأ وذي ريدان) في بداية حكمه حسب ما جاء في نقش يعود تاريخه الى سنة (٣٦٩ م) وفي عهده تم تسجيل الانتهاء من الإصلاحات في سد مأرب .^(١٦٠)

ومن أهم أحداث هذا العصر هو دخول الديانة اليهودية، ومن ثم المسيحية إلى اليمن لتحل محل الديانة الوثنية^(١٦١) ، وبعد حكم الملك (ثارات يهنعم)، حكم الملك (كرب يهامن بن ثارات يهنعم ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) والذي طال عهده إلى ما بعد عام (٣٧٨م) خلفه ابنه (ابو كرب أسعد ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت واعرابهم في الاطواد والتهائم) وبذلك بدأ عصر جديد من تاريخ جنوب الجزيرة العربية القديم حتى اعتلى العرش الملك (أبو كرب أسعد) في أوائل القرن الخامس الميلادي لدولة حمير والذي أحدث تطوراً في الألقاب بإضافة جملة (واعرابها) في التهائم والجبال^(١٦٢) . ويرجع السبب في ذلك هو قيام هذا الملك بإخضاع الأعراب في الهضاب وجنوب نجد وتهامة ، وفرض سيطرته عليهم ، وبذلك فهو سار على نهج من قبله في اتخاذ الألقاب التي تدل على امتداد النفوذ وحدود المملكة^(١٦٣) ، وفي هذا العصر استطاع الأحباش من الدخول إلى اليمن في عام

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

(٣٤٠م) وهو الغزو الحبشي الأول ، واستمر هذا الاحتلال حتى عام (٣٧٨م)^(١٦٤)، تمكن أهل حمير من إخراج الأحباش خلال غزوهم الأول من خلال تظافر جهود جميع أطراف أهل اليمن في عام (٣٧٨م) ليبقى الحكم في اليمن تحت يد الحميرين حتى عام (٥٢٥م) وهو العام الذي استطاع الأحباش دخول اليمن للمرة الثانية واحتلالها^(١٦٥)، ليتمكنوا من قتل آخر ملك اعتلى عرش حمير الملك (زرعة ذو نواس بن تبان أسعد أبي كرب) والذي حكم من (٥١٥ - ٥٢٥م) وقد اشتهر في التاريخ (بذي نواس) كما اشتهر عهده بعهد الاحتلال الحبشي الثاني لليمن سنة (٥٢٥م).^(١٦٦)

الخاتمة:

تمكنا من تسليط الضوء على أنظمة الحكم في الممالك اليمنية، فكان للسلطة الدينية تأثيراً كبيراً على نظام الحكم في ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية ، وتمثل ذلك في أثر المعبد والذي يمثله المكرب أي المقرب إلى الآلهة ، إذ كانت سلطته مرتبطة بالمعبد ، فكان الحكم في مرحلة المكارب دينياً ، أما في مرحلة الملوك فقد انفصل الدين عن السياسة ، لكن هذا لا يعني انهم تخلوا عن الدين وهناك من تلقب اللقبين معاً، ان تطور نظام الحكم في اليمن فقد تحول من ديني (نظام حكم المكربين) إلى نظام (حكم الملوك) أي وراثي من الاب إلى الابن ، وانتقل إلى مرحلة اخرى وهي تشكيل المجالس التشريعية والقبليّة ومن ثم إلى نظام الأذواء والأقوال، فكانت للمرأة دوراً في النظام السياسي في اليمن القديم من خلال المناصب المختلفة التي شغلتها ، وتعد أنظمة الحكم الاستشارية والقبليّة جزءاً مهماً في إدارة شؤون البلاد متمثلة في اصدار القوانين والعفو عن محكومين ، إذ أن المجالس الاستشارية كانت تمثل نوعاً من أنظمة الحكم، إن ممالك الجنوب كانت تمتاز بالبلوغ السياسي ، وذلك من خلال اوضاع الحكم ، وقد وصلت إلى درجة من الرقي من خلال التعاملات الخارجية والعلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتحقيق التقدم والازدهار لهذه الممالك، تعد أنظمة الحكم في اليمن من الأنظمة المتطورة في المنطقة ، وذلك لوجود المجالس القبليّة والشورى ، إذ لم يكن للملك مطلق الصلاحيات بل مقيد بمجالس استشارية .

المصادر والمراجع :

١. أ. ج، لوندن، تطور نظام الدولة السبئية، ترجمة: سيف علي مقبل، (مجلة الثقافة الجديدة، وزارة الثقافة، عدن ، ١٩٨١م).
٢. ابن الأثير، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت ٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ (دار بيروت ، بيروت ، ١٩٦٥ م) .
٣. ابن خلدون ،عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ) ،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، (بيروت : دار الفكر ، ١٩٨١م) .
٤. ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٩٨٩م)، المعارف، تحقيق: ثروة عكاشة، ط٤، (دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م).
٥. احمد ، مصطفى أبو ضيف، دراسات في تاريخ الدولة العربية، ط٤، (دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٦م).
٦. اسماعيل ، حلمي محروس، الشرق العربي القديم ، ص٢٠٦؛ احمد ، دراسات في تاريخ الدولة العربية.
٧. إسماعيل، حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته، (الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٧م).
٨. اسماعيل، حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته، د. ط، (مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية ، ١٩٩٧م).
٩. بافقيه، محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣م).
١٠. برو ، ، توفيق ،تاريخ العرب القديم (دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٤ م) .
١١. البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام تاريخ الدول الجنوبية في اليمن.
١٢. البكر، منذر عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، (مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٠م).

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

١٣. البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت ٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تحقيق: أدريان وان ليون، (دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م).
١٤. بيتسون ، وآخرون ، المعجم السبئي، منشورات جامعة صنعاء من دار نشریات بيتر لوفان الجديدة، (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م).
١٥. ترسيبي، عدنان، اليمن وحضارة العرب، ط١، دار ومكتبة الحياة،(بيروت، لات).
١٦. الثور، عبدالله احمد ،هذه هي اليمن، ط٢، (بيروت، دار العودة، ١٩٧٩م).
١٧. الجرافي، عبد الله عبد الكريم، المقتطف من تاريخ اليمن، ط٢، (منشورات القصر الحديث، بيروت، ١٩٥٧م).
١٨. الجرو، أسمهان سعيد، الديانة عند قدماء اليمنيين، (مجلة دراسات يمنية، صنعاء، ١٩٩٢م).
١٩. الحداد، محمد يحيى ،تاريخ اليمن السياسي، ط٢، (دار وهران للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م).
٢٠. حسن، إبراهيم حسن، اليمن البلاد السعيدة ، (دار المعارف، مصر).
٢١. حسن، ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط١٤، (دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م).
٢٢. حسن، حسين الحاج، حضارة العرب في صدر الإسلام، ط١ (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٢م).
٢٣. حموده عبد الحميد حسين، تاريخ العرب قبل الإسلام، ط١، (دار الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م).
٢٤. دروزة ، احمد عزت ،تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار (بيروت : المطبعة العصرية ، ١٩٦١م) .
٢٥. الربيعي، فاضل، الشيطان والعرش ، رحلة النبي سليمان الى اليمن، ط١، ١٩٩٦.
٢٦. رودوكاناكيس، لينكولوس، الحياة العامة للدولة العربية الجنوبية من كتاب التاريخ العربي القديم، تر: فؤاد حسين علي، (لجنة البيان العربي، مصر، ١٩٥٨م).

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

٢٧. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، (ت ٥٣٨ هـ)، الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق: أحمد عبد التواب، د. ط، (دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٩٩م).
٢٨. سالم، السيد عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت، دار لبنان للطباعة والنشر، د.ت).
٢٩. سليم، أحمد أمين، تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة، (دار المعرفة الجامعية، القاهرة السويس، ١٩٩٧م).
٣٠. سوسة، العرب واليهود في التاريخ.
٣١. السيد، محمود عبد الباسط عطيه، الحياة الدينية في مملكة أوسان، (مجلة جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠١٤م)، مج ٢٦، ع ٢.
٣٢. شرف الدين، أحمد حسين، اليمن عبر التاريخ، ط ٢، (مطبعة السنة المحمدية، عابدين، ١٩٦٤م).
٣٣. الشيبه، عبد الله حسن، دراسات في تاريخ اليمن القديم، ط ١، (صنعاء، ٢٠٠٠م).
٣٤. الشيخ، حسين، العرب قبل الإسلام، (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣م).
٣٥. صالح، عبد العزيز، تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصور القديمة، (مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٩٢م).
٣٦. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت: ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط ٢، (دار المعارف، مصر، د.ت).
٣٧. عاقل، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، (جامعة دمشق، د.ت).
٣٨. عبد الله، يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، ط ٢، (دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م)، ج ٢.
٣٩. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ٢، (مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٩٣م)، ج ٢.
٤٠. العلي، صالح احمد، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام، (دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨١م).

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

٤١. الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الملوك، تم جمعه في جي سي سنتر، (مصر الجديدة، القاهرة)، الإصحاح، ١٠ من ١ - ٧.
٤٢. الكعبي، عبد الحكيم، موسوعة التاريخ الإسلامي، (دار اسامة، عمان، ٢٠٠٣م) ص ٤٦.
٤٣. لوندين، تطور نظام الدولة السبئية.
٤٤. المباكفوري، صفي عبد الرحمن، الرحيق المختوم، ط١، (دار الهلال، بيروت، د.ت).
٤٥. مسعود، جمال عبد الهادي محمد، جزيرة العرب، ط٣، (دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩٧م).
٤٦. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت: ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: كمال حسن مرعي، (المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٧م).
٤٧. معطي، علي، تاريخ العرب السياسي قبل الإسلام، ط١، (دار المنهل اللبناني، بيروت، ٢٠٠٤م).
٤٨. الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، (دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩٤م).
٤٩. مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، (دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٧٧م).
٥٠. ناصر الدين، محمد بن عبد الله أبي بكر بن محمد أحمد بن مجاهد (ت ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م)، توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة وانسابهم والقابهم وكناهم، تح: محمد نعيم العرقوسي، ط١، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م)، ج ٧.
٥١. نعمان، خلدون هزاع عبده، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عهد الملك شمر يهرعش، إصدارات (وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م).
٥٢. نلسن، ديتلف وآخرون، التاريخ العربي القديم، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت).

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

٥٣. الهمداني، أبو محمد الحسن بن يعقوب بن يوسف، (ت: ٣٣٤هـ / ٩٤٥م)، صفة جزيرة العرب، تح: محمد بن علي الأكوغ الحدالي، ط١، (مكتبة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٩٠م).
٥٤. ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، مج ١ ، (دار صادر ، بيروت، ١٩٧٧م)، ج ٥.
٥٥. اليعقوبي، احمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب (ت ٢٨٤هـ) ،تاريخ اليعقوبي (بيروت : دار صادر ، د.ت) ، ج ١.
56. Beeston, A.F. L, Kataban, The Encyclopedia of Islam, leiden, 1997, Volum/ V,p.
57. Philips, Wendell, Qataban and Sheba, London, 1955,.
58. Samme A. The Sabaen onomastie Lists Hamilton 3- 13 SRAS, 1962,

الهوامش:

- (١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد، ١٩٩٣م)، ج ٢، ص ٧٣.
- (٢) الكعبي، عبد الحكيم، موسوعة التاريخ الإسلامي، (دار اسامة ، عمان، ٢٠٠٣م) ص ٤٦.
- (٣) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٧٣.
- (٤) الهمداني، أبو محمد الحسن بن يعقوب بن يوسف، (ت: ٣٣٤هـ / ٩٤٥م)، صفة جزيرة العرب، تح: محمد بن علي الأكوغ الحدالي، ط١، (مكتبة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٩٠م)، ص ١٠٥.
- (٥) الحداد، محمد يحيى ،تاريخ اليمن السياسي، ط٢، (دار وهران للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م)، ص ٣٥.
- (٦) البكر، منذر عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، (مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٠م)، ص ١٧.
- (٧) البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ١٧١.
- (٨) ترسيبي، عدنان، اليمن وحضارة العرب، ط١، دار ومكتبة الحياة، (بيروت، لات)، ص ١٩.
- (٩) حموده عبد الحميد حسين، تاريخ العرب قبل الإسلام، ط١، (دار الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م)، ص ١٣.

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

- (١٠) نقلاً عن بافقيه، محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣م)، ص ٣٥.
- (١١) الشيخ، حسين، العرب قبل الإسلام، (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣ م)، ص ٧٧.
- (١٢) سليم، أحمد أمين، تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة، (دار المعرفة الجامعية، القاهرة السويس، ١٩٩٧م)، ص ٩٠.
- (١٣) إسماعيل، حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته، (الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٧م)، ص ١٩٢.
- (١٤) ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، مج ١، (دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م)، ج ٥، ص ١٦٠.
- (١٥) صالح، عبد العزيز، تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصور القديمة، (القاهرة، ١٩٨٨م)، ص ٩١.
- (١٦) بيتسون، وآخرون، المعجم السبئي، منشورات جامعة صنعاء من دار نشر يات بيترون لوفان الجديدة، (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م)، ص ١٤١.
- (١٧) بيتسون، وآخرون، المعجم السبئي، ص ١٢٠.
- (١٨) سليم، تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة، ص ٨٩.
- (١٩) مسعود، جمال عبد الهادي محمد، جزيرة العرب، ط ٣، (دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩٧م)، ج ١، ص ٣٤.
- (٢٠) الكعبي، عبد الحكيم، موسوعة التاريخ الإسلامي، (دار اسامة، عمان، ٢٠٠٣م)، ص ٤٧.
- (٢١) بيتسون، المعجم السبئي، ص ٧٦.
- (٢٢) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٣٩٧.
- (٢٣) سليم، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٧٣.
- (٢٤) الحداد، تاريخ اليمن السياسي، ص ٤٠.
- (٢٥) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٣٩٨.
- (٢٦) الحداد، تاريخ اليمن السياسي، ص ٣٦.
- (٢٧) نقلاً عن: شرف الدين، أحمد حسين، اليمن عبر التاريخ، ط ٢، (مطبعة السنة المحمدية، عابدين، ١٩٦٤م)، ج ١، ص ٢٠٦.
- (٢٨) الثور، عبدالله احمد، هذه هي اليمن، ط ٢، (بيروت، دار العودة، ١٩٧٩م)، ص ١١١.
- (٢٩) العلي، صالح احمد، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام، (دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨١م)، ص ٢٠.

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

- (٣٠) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ١٠٩.
- (٣١) الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، (دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩٤م)، ص ٧١.
- (٣٢) شرف الدين، احمد حسين، اليمن عبر التاريخ، ص ٥٧.
- (٣٣) الثور، هذه هي اليمن، ص ١١٦.
- (٣٤) صالح، عبد العزيز، تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصور القديمة، (مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٩٢م)، ص ٩٤.
- (٣٥) الكعبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص ٥٤.
- (٣٦) صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصور القديمة، ص ٨٤.
- (٣٧) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ١٠٦.
- (٣٨) الجوف: وهو منخفض من الارض يقع شمال شرق صنعاء . ينظر: الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ص ١٥٤-١٥٥.
- (٣٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص ٤٠.
- (٤٠) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، (ت ٥٣٨ هـ)، الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق: أحمد عبد التواب، د. ط، (دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٩٩م)، ج ١، ص ١٨٤.
- (٤١) سليم، معالم تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٨٣.
- (٤٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ١، ص ١٤٤.
- (٤٣) مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، (دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٧٧م)، ص ٢٦٧.
- (٤٤) مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص ٢٦٧.
- (٤٥) الثور، عبدالله، هذه هي اليمن، ص ١١٨.
- (٤٦) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٢٥٩؛ الثور، هذه هي اليمن، ص ١١٩.
- (٤٧) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٢٥٩.
- (٤٨) الثور، هذه هي اليمن، ص ١١٩.
- (٤٩) علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٢٥٩ ؛ سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص ٢٩٨.
- (٥٠) العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص ٢١.

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

(51) Samme A. The Sabaen onomastie Lists Hamilton 3- 13 SRAS, 1962, p.p. 395- 396.

(52) أ. ج، لوندنين، تطور نظام الدولة السبئية، ترجمة: سيف علي مقبل، (مجلة الثقافة الجديدة، وزارة الثقافة، عدن، ١٩٨١م)، ص ٩- ١٠.

(53) لوندنين، تطور نظام الدولة السبئية، ص ١١.

(54) لوندنين، تطور نظام الدولة السبئية، ص ١٢.

(55) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٢٦٧.

(56) حسن، إبراهيم حسن، اليمن البلاد السعيدة، (دار المعارف، مصر)، ص ١٦.

(57) اسماعيل، حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته، د. ط، (مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٧م)، ص ١٩٢.

(58) حسن، إبراهيم حسن، اليمن البلاد السعيدة، ص ١٧- ١٨.

(59) سليم، معالم تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٩٢.

(60) حسن، ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط ١٤، (دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م)، ج ١، ص ٢٥.

(61) احمد، مصطفى أبو ضيف، دراسات في تاريخ الدولة العربية، ط ٤، (دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٦م)، ص ٦١.

(62) المباكفوري، صفي عبد الرحمن، الرحيق المختوم، ط ١، (دار الهلال، بيروت، د.ت)، ص ١٦.

(63) الجرافي، عبد الله عبد الكريم، المقتطف من تاريخ اليمن، ط ٢، (منشورات القصر الحديث، بيروت، ١٩٥٧م)، ص ٧٠.

(64) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الملوك، تم جمعه في جي سي سنتر، (مصر الجديدة، القاهرة)، الإصحاح، ١٠ من ١ - ٧.

(65) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت: ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح:

كمال حسن مرعي، (المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٧م)، ج ١، ص ٣٩٢.

(66) ابن الأثير، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ (دار بيروت، بيروت، ١٩٦٥م)، ج ١، ص ١٧٧.

(67) سورة النمل: آية ٢٧.

(68) الربيعي، فاضل، الشيطان والعرش، رحلة النبي سليمان الى اليمن، ط ١، ١٩٩٦، ص ١٧٧.

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

- (٦٩) ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٩٨٩م)، المعارف، تحقيق: ثروة عكاشة، ط٤، (دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م)، ص٧٤٥.
- (٧٠) الثور، هذه هي اليمن، ص١٢٥.
- (٧١) الثور، هذه هي اليمن، ص١٢٥.
- (٧٢) اليعقوبي، احمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب (ت ٢٨٤هـ)، تاريخ اليعقوبي (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج١، ص١٦٨.
- (٧٣) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت: ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٢، (دار المعارف، مصر، د.ت)، ج١، ص٤٩٤.
- (٧٤) الثور، هذه هي اليمن، ص١٢٦.
- (٧٥) محمود، العرب قبل الإسلام، ص١٢٤.
- (٧٦) سورة سبأ الآيات من (١٥ - ١٧).
- (٧٧) الثور، هذه هي اليمن، ص١٣٦.
- (٧٨) نقلاً عن: شرف الدين، أحمد حسين، اليمن عبر التاريخ، ط٢، (مطبعة السنة المحمدية، عابدين، ١٩٦٤م)، ص٦١.
- (٧٩) سليم، معالم تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٧٤.
- (٨٠) صالح، عبد العزيز، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، (مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٩٢م)، ص٨٧.
- (٨١) الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٧٦.
- (٨٢) بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ص٥٠.
- (٨٣) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢، ص١٣٢.
- (٨٤) سليم، تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة، ص٩٦.
- (٨٥) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢، ص١٣٢؛ سليم، معالم تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٧٦.
- (٨٦) سليم، معالم تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٧٦.
- (٨٧) سليم، معالم تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٧٦.
- (٨٨) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢، ص١٦٢.
- (٨٩) سالم، السيد عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت، دار لبنان للطباعة والنشر، د.ت)، ص١١٦.

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

- (١٠) نقلا عن: الحداد، تاريخ اليمن السياسي، ص ٥٤.
- (١١) رودوكاناكيس، لينكولوس، الحياة العامة للدولة العربية الجنوبية من كتاب التاريخ العربي القديم، تر: فؤاد حسين علي، (لجنة البيان العربي، مصر، ١٩٥٨م)، ص ١٢٤.
- (١٢) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ١٣٦.
- (١٣) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ١٣٦؛ الحداد، تاريخ اليمن السياسي، ص ٦٠.
- (١٤) حسن، حسين الحاج، حضارة العرب في صدر الإسلام، ط ١ (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٢م)، ص ٢١٩.
- (١٥) الحداد، تاريخ اليمن السياسي، ص ٦٠.
- (١٦) سليم، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٧٧.
- (١٧) صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية، ص ٩٠.
- (١٨) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ١٧١؛ سليم، جوانب من تاريخ وحضارة العرب، ص ١٠٣.
- (١٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٤، ص ٩٢٣.
- (١٠٠) ناصر الدين، محمد بن عبد الله أبي بكر بن محمد أحمد بن مجاهد (ت ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م)، توضيح المشته في ضبط اسماء الرواة وانسابهم والقابهم وكناهم، تح: محمد نعيم العرقوسي، ط ١، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م)، ج ٧، ص ٤٤.
- (١٠١) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ١٧٣.
- (١٠٢) الشيخ، حسين، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٨٥.
- (103) Beeston, A.F. L, Kataban, The Encyclopedia of Islam, leiden, 1997, Volum/ V,p. 749.
- (١٠٤) الجرو، أسمهان سعيد، الديانة عند قدماء اليمنيين، (مجلة دراسات يمنية، صنعاء، ١٩٩٢م)، ص ١٣٦.
- (١٠٥) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٧٧.
- (106) Philips, Wendell, Qataban and Sheba, London, 1955, p.218.
- (١٠٧) صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية، ص ٦٣.
- (١٠٨) سليم، معالم تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٨١.
- (١٠٩) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٢٣٦-٢٣٨.
- (١١٠) محمود، العرب قبل الإسلام، ص ١١٧.

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

- (^{١١١}) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ١٨٩.
- (^{١١٢}) عبد الله، يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، ط ٢، (دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م)، ج ٢، ص ٢٣٦.
- (^{١١٣}) معطي، علي، تاريخ العرب السياسي قبل الإسلام، ط ١، (دار المنهل اللبناني بيروت، ٢٠٠٤م)، ص ١٨٨.
- (^{١١٤}) معطي، علي، تاريخ العرب السياسي قبل الإسلام، ص ١٨٨.
- (^{١١٥}) نلسن، ديتلف وآخرون، التاريخ العربي القديم، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت)، ص ١٤٩.
- (^{١١٦}) الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٧٤.
- (^{١١٧}) الشيبه، عبد الله حسن، دراسات في تاريخ اليمن القديم، ط ١، (صنعاء، ٢٠٠٠م)، ص ٣٥.
- (^{١١٨}) بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ص ٣٤.
- (^{١١٩}) محمود، العرب قبل الإسلام، ص ١١٨.
- (^{١٢٠}) طبن: وهم اصحاب الاملاك ويمثلون سكان المزارع والمراعي، ينظر: رودو كاناكيس، الحياة العامة، ص ١٣٣.
- (^{١٢١}) الحداد، تاريخ اليمن السياسي، ص ٤٩ - ٥١.
- (^{١٢٢}) محمود، العرب قبل الإسلام، ص ١١٨.
- (^{١٢٣}) بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ص ٤٣.
- (^{١٢٤}) الشيبه، دراسات في تاريخ اليمن القديم، ص ٤٤.
- (^{١٢٥}) الشيبه، دراسات في تاريخ اليمن القديم، ص ٤٤.
- (^{١٢٦}) البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام تاريخ الدول الجنوبية في اليمن، ص ١٩٩.
- (^{١٢٧}) صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية، ص ٩٣.
- (^{١٢٨}) بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ص ٣٠.
- (^{١٢٩}) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٥٠٢.
- (^{١٣٠}) صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية، ص ٩٣.
- (^{١٣١}) شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص ٩٠.
- (^{١٣٢}) السيد، محمود عبد الباسط عطيه، الحياة الدينية في مملكة أوسان، (مجلة جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠١٤م)، مج ٢٦، ع ٢، ص ١٤٣.
- (^{١٣٣}) دروزه، تاريخ الجنس العربي، ص ٧٩.
- (^{١٣٤}) بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ص ٣٢؛ الحداد، تاريخ اليمن السياسي، ص ٦٥.

- (١٣٥) الحداد، تاريخ اليمن السياسي، ص ٦٢ - ٦٣.
- (١٣٦) دروزة ، احمد عزت ،تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار (بيروت : المطبعة العصرية ، ١٩٦١ م) ، ص ٧٨.
- (١٣٧) صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية، ص ٩٥.
- (١٣٨) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٥٠٣.
- (١٣٩) حمير: اسم يرد في النقوش بصيغة (ح م ي ر م) ، وفي صيغة أخرى (أ ح م ر ن) ، ولفظة الجذر (حمر) ، وتقابل في اللغة الأحمر والحميريين . عبد الله ، أوراق من تاريخ اليمن ، ص ١٧٠-١٧١ . والمعنى في اللغة اليمنية القديمة نوع من العهد أ ميثاق ، حلف بين جماعات .
- بيستون ، المعجم السبئي ، مادة حمير
- (١٤٠) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٤٨.
- (١٤١) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٥١٠.
- (١٤٢) سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص ١٤.
- (١٤٣) محمود، العرب قبل الإسلام، ص ١٢٥.
- (١٤٤) البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت ٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تحقيق: أدريان وان ليون، (دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م)، ص ٣٦٧.
- (١٤٥) شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص ٩٠.
- (١٤٦) برو، ، توفيق ،تاريخ العرب القديم (دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٤ م) ، ص ٨٠.
- (١٤٧) علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٥١٢.
- (١٤٨) الكعبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص ٦.
- (١٤٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ص ٤٨٩.
- (١٥٠) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٤٢٣.
- (١٥١) مهران، تاريخ العرب القديم، ص ٣٠٠.
- (١٥٢) عاقل، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، (جامعة دمشق، د.ت)، ص ١٠١.
- (١٥٣) شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص ٩٠.
- (١٥٤) أحمد، دراسات في تاريخ الدولة العربية، ص ٦٥.
- (١٥٥) صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية، ص ١٧.
- (١٥٦) شرف الدين، اليمن عبر التاريخ ، ص ٩٧.

أنظمة الحكم واثرها على الممالك اليمنية القديمة

- (١٥٧) نعمان، خلدون هزاع عبده، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عهد الملك شمر يهرعش، إصدارات (وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م)، ص ٣٥.
- (١٥٨) (تبع الأكبر) هو اللقب الذي كان يطلق على كل من يملك اليمن والشحر وحضرموت، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (بيروت: دار الفكر، ١٩٨١م)، ص ٩٤.
- (١٥٩) صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية، ص ١١٣.
- (١٦٠) نعمان، خلدون هزاع عبده، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ص ٦٣.
- (١٦١) الكعبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص ٦٣.
- (١٦٢) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٥٧١.
- (١٦٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ص ٥٦٧.
- (١٦٤) سالم، تاريخ العرب في الجاهلية، ص ١٢٠.
- (١٦٥) اسماعيل، حلمي محروس، الشرق العربي القديم، ص ٢٠٦؛ احمد، دراسات في تاريخ الدولة العربية، ص ٦٩.
- (١٦٦) محمود، العرب قبل الإسلام، ص ١٢٩.

ايباك ودورها في رسم السياسة الخارجية الامريكية

**AIPAC and its role in shaping American
foreign policy**

م.م. دعاء حسين كرنوت

مديرية تربية الرصافة الاولى

٠٧٧٣٠٢٧٣٠٤٨

husseindodo21@gmail.com

ايباك ودورها في رسم السياسة الخارجية الامريكية

م.م. دعاء حسين كرنوت

الملخص:

تعد ايباك اكبر جماعات الضغط التي تمكن يهود الولايات المتحدة الامريكية من خلالها على التأثير في مجريات السياسة الامريكية لغرض دعم مصالح "اسرائيل"، اذ استطاعت ايباك احكام قبضتها على جميع الرؤساء الامريكيين والتأثير فيهم من خلال الانتخابات الرئاسية والتعهدات والضمانات التي يمنحها المرشح للرئاسة لأجل خدمة "اسرائيل" وكذلك من خلال وضعها شخصيات يهودية قريبة على الرئيس للتأثير في قراراته، كما انها نجحت في جعل سياسة الولايات المتحدة الخارجية بجانبها.

Abstract

AIPAC is considered the largest pressure group through which the Jews of the United States of America were able to influence the course of American politics for the purpose of supporting Israel's interests. AIPAC was able to tighten its grip on all American presidents and influence them through the presidential elections and the pledges and guarantees that the presidential candidate gives in favor of serving Israel, as well as through its positioning of figures. A Jew close to the president to influence his decisions, and she also succeeded in getting US foreign policy on her side.

المقدمة

تعد ايباك أقوى جماعات الضغط في الولايات المتحدة، وأكثرها تأثيراً على الكونغرس الأميركي تهدف إلى ضمان دعم أميركي متواصل لـ"اسرائيل"، ولعبت هذه المنظمة دور كبير وبارز في التأثير على السياسة الخارجية الامريكية سواء كان ذلك فيما يتعلق بالصراع العربي الاسرائيلي او فيما يخص المسائل الدولية، لايباك سياسة خاصة لتجنييد السياسة

الامريكية لخدمة مصالحها وبيدأ تأثيرها بشخص الرئيس نفسه فضلا عن الكونغرس الامريكي من خلال تحكمها بقوة الصوت اليهودي الذي يعد الفيصل في انتخاب الرئاسة، وبذلك تضمن وصول رئيس امريكي موالي للمصالح الاسرائيلية .

قسم البحث الى ثلاثة محاور تناول المحور الاول منظمة ايباك تأسيسها وهيكلتها، بينما اختص المحور الثاني دور الايباك في الانتخابات الرئاسية الامريكية، جاء المحور الثالث بعنوان دور ايباك في رسم السياسة الخارجية الامريكية، اعتمدت الدراسة على جملة مصادر في مقدمتها الكتب الانكليزية Kobby Barda، AIPAC's Grassroots Path ، to Congress: How Isaiah Kenen Built AIPAC to Be A Powerhouse ، فضلاً عن الكتب المترجمة ادوارد تيفنان، اللوبي القوه السياسية اليهودية والسياسة الخارجية الامريكية، ترجمة حسن عبد ربه المصري، لي اوبرين، المنظمات اليهودية الامريكية ونشاطها في دعم "اسرائيل"، ترجمة محمود زايد، كما رفدت الدراسة مجموعة من الرسائل والاطاريح أهمها اشرف حسين احمد الكرنز، منظمة الايباك وتأثيرها على السياسة الخارجية الامريكية تجاه الصراع الفلسطيني الاسرائيلي ٢٠٠١ - ٢٠١٢ ، رساله ماجستير غير منشوره ،جامعه الازهر، غزة، كما أفادت الباحثة مجموعة من المجلات والمقالات.

المحور الأول/ التأسيس والهيكلية

اسس اليهود منظمه ايباك (AIBAC) للشؤون والعلاقات العامة الامريكية الاسرائيلية بموجب القانون الامريكي لعام ١٩٤٦ الذي منح الحق لمختلف الجماعات السكانية في تشكيل مجموعات ضغط^(١)، رغم ان ((اسم اللجنة الاسرائيلية الامريكية)) لم يستخدم حتى عام ١٩٥٩ اذ كان هذا اللوبي^(٢) قائما منذ عام ١٩٥١ ففي تلك السنه انضم اشعيا (سي) كين (Isaiah "Si" Kenen)^(٣) بعد مناقشة مع الزعماء الاسرائيليين ابا ايبان (Abba Eban) وموشيه شاريت (Moshe Sharett) وتيدي كولك (Teddy" Kollek) الى المجلس الصهيوني الامريكي^(٤) لتحقيق هدف صريح هو شن حملة ضغط موالية ل"اسرائيل" وكان هدف هذا اللوبي المباشر زياده المساعدة الاقتصادية الامريكية ل"اسرائيل"^(٥).

تغير اسم اللوبي الى اللجنة الاسرائيلية الامريكية للشؤون العامة سنة ١٩٥٩ تحت ضغط من التنظيمات الدفاعية غير الصهيونية بالدرجة الاولى وقامت هذه المجموعات التي لم يكن بمقدورها الضغط بصورة دائمة بحكم اعفائها من الضرائب بدور رئيسي في تطور اللجنة الاسرائيلية الامريكية^(٦).

سجلت ايباك رسمياً ككيان قانوني مستقل خاص بها في الثالث من كانون الثاني ١٩٦٣ ، وبدأت في تعزيز أنشطتها وتعميق وجودها. تم افتتاح الفروع وبدأت عملياتها في جميع أنحاء الولايات المتحدة الامريكية، كما بدأ المجلس العمل في حرم الجامعات، مدرجاً الحاجة إلى التأثير على القيادة الأمريكية المستقبلية اليهود وغير اليهود على حد سواء وكان هدفها واضحاً: المحافظة على العلاقة بين "اسرائيل" والولايات المتحدة وتعزيزها^(٧).

ايباك من اهم المنظمات الصهيونية في الولايات المتحدة الامريكية لأنها المسؤولة عن التنسيق ووضع برامج العمل لكل المنظمات في الولايات المتحدة الامريكية وعن جمع التبرعات وتقديم الدعم ل"اسرائيل" وقد بدأت ميزانية ايباك بحوالي ٥٠٠٠٠٠ دولار يجرى تمويلها عن طريق الرسوم والهبات التي يدفعها اعضاء المنظمة ومنظمات اخرى، وتضم ايباك في عضويتها عدة منظمات صهيونية مثل بناي بريث، اللجنة اليهودية الامريكية والكونغرس اليهودي الامريكي وغيرها^(٨).

تمتلك الايباك امكانيات مالية هائلة تمكن اعضائها من التحكم باسواق المال والبورصة واسواق العقارات والسندات وصناعة الاعلام والانتاج السمعي والبصري، ونظراً لتلك الامكانيات كان من الطبيعي ان يفوق تأثير الايباك تأثير اي جماعة ضغط اخرى في الولايات المتحدة الامريكية، ومن نتائج ذلك ان امتد عمل المنظمة على نطاق واسع الى (البيت الابيض) ومختلف اجهزة صناعة القرار السياسي^(٩).

في سبيل تحقيق اهدافها بالتواصل مع المسؤولين تصدر ايباك عدة منشورات من أهمها:

- تقرير الشرق الادنى هو عبارة عن تقرير اسبوعي يوزع خاصة على اعضاء الكونغرس ومجلس الشيوخ وكبار موظفي الادارة ووسائل الاعلام والسفارات ومهمته الاساسية اظهار المقاومة الفلسطينية وحركات المقاومة الاخرى على انها ارهابا يجب القضاء عليه
- ملاحق الاخبار التشريعية هو تقرير نصف سنوي مفصل حول نشاطات الكونغرس ومجلس الشيوخ والهيئة التنفيذية لايباك والامم المتحدة
- اوراق ايباك وهي نشرات غير دورية تصدرها كلما طرأت حاجة الى ذلك^(١٠).

في اواخر الستينات اخذت الايباك توظف الشبان الناشطين وكان معظمهم على صلة بالكونغرس او المنظمات المحلية او المؤسسات اليهودية^(١١) وتعد هذه المنظمة ثاني اقوى جماعات الضغط في الولايات المتحدة الامريكية بعد الجمعية الامريكية للمتقاعدین^(١٢) وتضم هذه الجمعية حوالي ٤٥٠٠ من كبار الشخصيات اليهودية ويشارك في عضويتها اكثر من ٥٠,٠٠٠ عضو يتبرع كل فرد منهم بمبلغ يتراوح ٢٥ - ٥٠٠٠ دولار شهريا^(١٣).

تتسق مراكز منظمة ايباك نشاط الاعضاء المحليين بالتعاون الوثيق مع موظفي واشنطن ويدفع الاعضاء الحد الادنى من الرسوم البالغ ٣٥ دولار سنويا ويرون ان العضوية قد ارتفعت في عام ١٩٨٢ / ١٩٨٣ الى ٢٢,٠٠٠ الى ٤٤,٠٠٠^(١٤).

تدار ايباك من مجموعة من ١٨ مديرا معظمهم من قادة المنظمات اليهودية الكبرى يتم اختيار المكاتب كل سنتين من قبل لجنة تنفيذية تضم ٣٨ من رؤساء المنظمات اليهودية الامريكية الكبرى التي تدعي في عضويتها ما يقارب من خمس ملايين نسمة، مدرء ايباك يجتمعون مرة واحدة في كل شهر ويناقشون القضايا المهمة التي تتطلب رؤية واضحة، وفي الواقع ان المدرء عادة هم من الاثرياء والمؤثرين والاعضاء الذين يتمتعون باحترام واسع من الجالية اليهودية الامريكية، وبالمثل فان مكتب رئيس ايباك هو منصب شرفي والمدير التنفيذي لايباك هو المسؤول عن ادارة عمليات ايباك والمواقف الرسمية^(١٥).

ان المنصب الرئيسي داخل منظمة ايباك هو منصب المدير التنفيذي وهو المنصب الذي شغله كمن من عام (١٩٥٤ - ١٩٧٤) وقد خلفهم موريس اميتاي (Morris Amitay)

(١٦) وحل توماس داين (Thomas A. Dine) (١٧) محل اميتاي ١٩٨١، يشغل عادة منصب رئيس الايباك رجل ثري ونافذ يتمتع باحترام المؤسسة اليهودية الامريكية وينتمي اليها وكان اول رئيس الحاخام فيليب بيرنشتاين ودامت رئاسته حتى عام ١٩٦٨ اما ايرفينغ كين الذي ترأسها من ١٩٦٨ حتى ١٩٧١ وفي سنة ١٩٧٤ احتل كين هذا المنصب مدة عام لمجرد ان يصبح مأهولاً لعضوية مؤتمر الرؤساء وقد حل محله ادوارد ساندرز المحامي والزعيم المحلي من لوس انجلوس الذي لم يلبث ان استقال، وفي اذار ١٩٧٨ حل محله لورانس واينبرغ وهو رجل اعمال وزعيم محلي نشيط من لوس انجلوس وعمل في ذلك المنصب حتى عام ١٩٨٣ (١٨).

تحولت الايباك في عهد اميتاي وخليفته توم دين من منظمة ذات موازنة صغيرة الى منظمة كبيرة ذات قاعدة جماهيرية تجاوز موظفيها ال ١٥٠,٠٠٠ وبموازنة سنوية تأتي فقط من مساهمات خاصة ارتفعت من ٣٠٠,٠٠٠ دولار في عام ١٩٧٣ الى ما يقدر بين ٤٠ و ٥٠ مليون دولار في السنوات التي تليها (١٩).

يتركز اكبر عدد من الموظفين في تجمعات مبنى الكابيتول (٢٠) على الرغم انه لا يعد كمقراً محدداً للايباك الا انه يخضع لحراسة مشددة من ضباط يرتدون زي الرسمي وفيه اجهزة لمراقبة الدخول، الموظفون الباقين يتوزعون في سبع مناطق جغرافية في جميع انحاء الولايات المتحدة الامريكية بالاضافة الى مكتب في القدس اما ثلث الموظفين بواشنطن فيقومون بالمهام الكتابية والادارية اما الاخرين هم من الاختصاصيين في مجالات شتى بدءا من تحويل الاسلحة التقليدية الى السلاح المتطور ذو التكنولوجيا المنضمة (٢١).

من النشاطات المهمة التي تقوم بها منظمة ايباك هو المؤتمر السنوي الذي يعد من اكبر التجمعات لكبار الشخصيات في المجتمع اذ ينضم الى هذا المؤتمر زعماء من الكونغرس الامريكي الى جانب كبار صناع القرار الامريكي (٢٢) اصبح هذا المؤتمر الذي يعقد في ابريل من كل عام مكاناً يتبارى فيه المسؤولين الامريكيين ورجال الكونغرس ورؤساء الولايات المتحدة الامريكية لتقديم ولأهم لليهود الامريكيين ولقيادات اللوبي الصهيوني ووضع

انفسهم رهن اشارتهم حتى ان الرئيس الامريكي ورئيس الوزراء الصهيوني عادةً ما يكونون ضيوفاً في هذا المؤتمر^(٢٣).

ويتمثل في مجلس ادارة ايباك ٣٥ منظمة يهودية كبرى في انحاء الولايات المتحدة كافة ويمتد نفوذها من شركات صناعة السجائر الى شركات صناعة الاسلحة وقال George Paul جورج بول وكيل وزارة الخارجية الامريكية السابق " لا يقتصر الامر على مجرد نفوذ القوى لمؤيدي "اسرائيل" في الادارة الامريكية بل ان السلطات الامريكية لا تستطيع مناقشة اي قرار يمس المصالح الاسرائيلية دون ان تعلم به تل ابيب" فالنفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة قوي ومتغلغل ومنظمة ايباك لها صلات وثيقة بكل اعضاء الكونغرس الامريكي^(٢٤).

يمكن تقسيم الدوائر التي تعمل داخل منظمة ايباك الى الدوائر الاتية

- الدائرة التنفيذية: تعمل على التأثير في السلطة التنفيذية لصالح الاجنحة التشريعية لايباك.
- الدائرة التشريعية: تعمل لتكون مفتاح ايباك للتأثير على التشريعات ذات العلاقة ب"اسرائيل".
- دائرة البحث: تراقب كاهه قرارات الكونغرس ذات العلاقة ب"اسرائيل".
- التنمية السياسية: تقدم المعلومات لاعضاء الكونغرس والمنافسين حول القضايا الاسرائيلية.
- المراكز الاقليمية: وتلعب دور اساسي في خلق القاعدة الشعبية وتعزيز مشاركتها^(٢٥).

المحور الثاني/ دورها في الانتخابات الرئاسية الامريكية

يرتبط النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة الامريكية ارتباط وثيق بنظام الانتخابات الامريكية عموماً وبانتخابات الرئاسة الامريكية خصوصاً وذلك لان اتجاهات السياسة

الامريكية تتوقف بشكل كلي على نتائج هذه الانتخابات اذ ان الطائفة اليهودية على عكس بقية السكان تشارك بفعالية كبيرة في الانتخابات الامريكية المختلفة فتشكل بذلك جهة ضغط كبرى على الاحزاب والشخصيات السياسية الامريكية التي تطمح للفوز بالمناصب السياسية الرئيسية في البلاد^(٢٦).

وتؤثر الجماعات اليهودية في جذور المجتمع الامريكي اذا استغلت الجماعات الصهيونية فهمها العميق للعملية السياسية وطبيعة الصراع في النظام الامريكي وعملت على استغلالها لصالح "اسرائيل" واستغلت في ذلك تأييد الكونغرس والبيت الابيض وصانعي القرار بشكل عام الذين خضعوا للضغوط الصهيونية^(٢٧).

منح نظام الانتخابات المعمول به في الولايات المتحدة الامريكية اليهود فرصة كبيرة للتأثير على النظام السياسي من خلال التصويت الى جانب معين من الحزبين الامريكيين الجمهوري والديمقراطي وتمويل الحملات الانتخابية، رغم ان اليهود لا يشكلون الا 3% من التعداد السكاني الا انه من المفروض ان تلك النسبة القليلة لا تشكل اي قوة انتخابية في مفهوم الانتخابات من حيث المنظور السلبي الا ان اهميتهم تكمن في ان 90% من اليهود يقومون بالمشاركة في الانتخابات وهذا ما يجعل اصوات اليهود في الغالب تكون حاسمة لدرجة انها تقرر نتائج الانتخابات وهذا عامل لا يستهان به في التنافس بين المرشحين^(٢٨).

تحدث ويليام كواندت William Quandt العضو السابق في مجلس الامن القومي الامريكي عن نفوذ ايباك داخل الكونغرس قائلاً "ان ما بين 70 و 80% من اعضاء الكونغرس يؤيدون اي شيء يعتقدون ان ايباك تريده انما تريده ايباك هو الدعم الامريكي غير المشروط ل"اسرائيل" سواء كان في الامم المتحدة او مختلف المحافل الدولية وكذلك تدفق مستمر للمعونات ل"اسرائيل" وهي تحصل عليها باستمرار على شكل دفعات سنوية تقترحها لجان الكونغرس التي يتلقى جميع اعضاءها تقريبا تبرعات كبيرة لدعم حملاتهم الانتخابية"^(٢٩).

يركز اللوبي الاسرائيلي على شخص الرئيس لادراكه السلطات الكبيرة التي يملكها في مجال السياسة الخارجية ويتم هذا بطريقتين الاولى التأثير المباشر وذلك بوجود شخصية

يهودية في الادارات الامريكية، الطريقة الثانية التأثير غير المباشر وذلك في شخص الرئيس عن طريق انتخابات الرئاسة ولذا فقد وجهت الايباك جهودها نحو البيت الابيض مباشرة اذ جرت العادة ومنذ تولي فرانكلين روزفلت (Franklin Roosevelt) (٣٠) الرئاسة حتى الرئيس جونسون Lyndon B. Johnson (٣١) على وجود شخص الى جوار الرئيس بوزن سياسي ثقيل غالباً ما يكون يهودياً ومهمته الدفاع عن "اسرائيل" في اروقة الخارجية الامريكية ويكون هذا الشخص حلقة الوصل ما بين الرئيس والجالية اليهودية في الولايات المتحدة الامريكية (٣٢).

تحرص الايباك على ضمان حصول مؤيديها على دعم مالي قوي من مئات لجان العمل السياسية الموالية ل"اسرائيل"، اما اولئك الذين يبذون معادين ل"اسرائيل" فان ايباك تقوم بتوجيه المساهمات الداعمة لحملتهم الانتخابية لخصومهم وتقوم ايضاً بتنظيم حملات كتابة الرسائل وتشجيع محرري الصحف على اكثار المديح للمرشحين المواليين ل"اسرائيل"، في عام ١٩٨٤ تمكنت الايباك من الحاق الهزيمة بالسيناتور تشارلز بيرسي الذي كان برأي كبار شخصيات اللوبي انه لم يبد أي تعاطف واطهر العداء تجاه هواجس الاسرائيليين (٣٣).

ان نسبة ٧٦% من اليهود يقيمون في ١٦ مدينة ذات تجمع سكاني كبير والتي يكون مجموع حصتها من الاصوات ١٨١ صوتاً وهذه الاصوات تغري المرشح الذي يحتاج ٢٧٠ صوتاً للفوز وهذا ما يفسر سبب تنافس الحزبين على كسب الصوت اليهودي واعتماد اليهود على قوة هذا الصوت في حسم النتيجة الانتخابية في اي ولاية تشتد فيها المنافسة في الحملة الانتخابية، كما ان المرشح يبدأ حملته باعطاء الوعود ل"اسرائيل" والالتزامات السياسية والعسكرية والمالية وارضاءً لليهود وكسباً لصوتهم (٣٤).

كسب جونسون ٩٠% من الاصوات اليهودية ١٩٦٤ وهذه نسبة لم يحصل عليها اي رئيس امريكي سابق بمن فيهم اسلافه الثلاثة بما فيهم ترومان (Harry Truman) (٣٥) وايزنهاور Dwight D. Eisenhower (٣٦) وجون كينيدي John F. Kennedy (٣٧) كما ان منافسه الجمهوري باري غولدوتتر Barry Goldwater لم يحصل الا على ١٠% من تلك

الأصوات^(٣٨)، كما حصل جيمي كارتر Jimmy Carter^(٣٩) على ٧٥% من اصوات اليهود في ولاية نيويورك، واوهايو وبنسلفانيا^(٤٠).

والدليل على قوة الصوت اليهودي والموجه من الايباك في الولايات المتحدة الامريكية اذ استطاعت الايباك اعادة انتخاب ١٤ عضواً من اشد المؤيدين لـ "اسرائيل" لعضوية مجلس الشيوخ رغم التحدي والمنافسة من قبل مرشحين آخرين وذلك في عام ١٩٨٢ ومن اجل اقامة علاقات وطيدة مع اعضاء الكونغرس فقد اصبح من الطبيعي تكرار زيارة اعضاء ايباك بصورة منتظمة لاعضاء مجلسين النواب والشيوخ و ودائماً ما تكون لتلك الزيارات مقاصدها واهدافها^(٤١).

اما في ميدان الانتخابات الاتحادية فان اغلب اليهود يعطون اصواتهم للحزب الديمقراطي لانهم يرون فيه المعبر الافضل عن مصالح الاقليات الا ان لليهود تأثيراً فعالاً في كلا الحزبين الجمهوري والديمقراطي بفضل عضويتهم النشطة فيهما وتبرعاتهما المالية وشبكة علاقاتهما الواسعة مع دوائر الضغط والنفوذ فيهما، ويعمل اليهود داخل كلا الحزبين فلا يتقدم اي مرشح داخل حزبه الا اذا اعطى تعهدات افضل واكثر لليهود الولايات المتحدة ولمصالح "اسرائيل" والصهيونية وعند ذلك لا يهتم اليهود كثيراً بأي مرشح فاز بالرئاسة لان كلا المرشحين قد تمت السيطرة عليهم منذ البداية^(٤٢).

المحور الثالث/ دور ايباك في رسم السياسة الخارجية الامريكية

السبب الرئيسي المسؤول عن السياسة الخارجية المساندة لـ "اسرائيل" في الشرق الأوسط هي منظمة ايباك من خلال نشاطها في الكونغرس وفي الفرع التنفيذي، فضلاً عن تحكم وتأثير ايباك في وسائل الاعلام الامريكية والايواسط الاكاديمية من اجل ضمان ان تحتفظ الولايات المتحدة الامريكية بسياسة منحازة لـ "اسرائيل" دائماً^(٤٣).

شهد عام ١٩٦٧ ارتفاع حاد في نشاط ايباك اذا استطاعت هذه المؤسسة جذب انتباه المجتمع السياسي الامريكي لنجاح "اسرائيل" في هزيمة الجيوش العربية، ترسخت العلاقات الامريكية الاسرائيلية بشكل كبير خلال هذه المدة ونجحت ايباك في اقناع

السياسيين الامريكيين بأن "اسرائيل" افضل حليف استراتيجي للولايات المتحدة الامريكية في المنطقة نظراً لقوتها العسكرية ولممارستها سياسة ديمقراطية وخلال رئاسة رونالد ريغان (Ronald Reagan) (٤٤) ارتفع عدد اعضاءها الى حوالي ٤٠,٠٠٠ عضواً، وتضاعفت الميزانية السنوية للمنظمة ما بين (١٩٦٣-١٩٨١)، اذ كان معظم التمويل يأتي من التجمعات اليهودية الامريكية اما من خلال التبرعات او من خلال رسوم الاشتراكات ومبيعات اصدارات المنظمة (٤٥).

تتمثل قوة اللوبي الحقيقية في الشبكة اليهودية المنتشرة في جميع انحاء الولايات المتحدة الامريكية والتي تمتلك الكثير من النفوذ السياسي والاقتصادي والثقافي والديني ، وعندما يعرض امر يتعلق ب"اسرائيل" على الكونغرس تبدأ المنظمة مباشرة في تنبيه الف زعيم يهودي و ١٢,٠٠٠ عضو على الاقل متناثرين في جميع انحاء الولايات المتحدة الامريكية وعلى الفور ينشط اولئك القادة والاعضاء في الاتصال باصدقائهم محررين الخطابات والمساهمين المهمين في الحملة للضغط على ممثليهم في الهيئات التشريعية لتعبئة الرأي العام لمساندة "اسرائيل" (٤٦).

عندما يتعلق الامر ب"اسرائيل" او بالصراع العربي الاسرائيلي امام الكونغرس تقوم منظمة ايباك بارسال مذكرات الى قادة الجاليات اليهودية الامريكية في مختلف انحاء الولايات المتحدة الامريكية من اجل ابلاغهم باخر التطورات وهؤلاء بدورهم يقومون بالاتصال بأهم العناصر البارزة وخصوصاً تلك التي ترشح في الحملات الانتخابية وفي غضون وقت قصير يتم الاتصال باعضاء الكونغرس من اجل الحصول على الدعم اللازم كما تنهال الرسائل على هؤلاء الأعضاء في الدوائر الانتخابية تحت مسمى دعم القضية الاسرائيلية وهكذا يتم تكثيف حملة الاتصالات الشخصية الشاملة مع الاعضاء النافذين في الكونغرس (٤٧).

ارسل كينز رئيس الايباك بعد ثلاثة ايام فقط من تولي جونسون منصب رئيس الولايات المتحدة الامريكية مذكرة الى لجان المنظمة التنظيمية تحيي موقف جونسون من

عدد من القضايا اليهودية في السابق مثل قطع المساعدات الامريكية عن "اسرائيل" في عهد ايزنهاور^(٤٨).

عند اندلاع حرب حزيران ١٩٦٧ وفي اليوم الذي شنت فيه "اسرائيل" هجومها على مصر تلقى الرئيس جونسن رسالة مستعجلة من والت روستو Walt Rostow مستشار الامن القومي قال فيها ان ارثر كريم Arthur B.Krim (مستشار الرئيس) ذكر بان شحنات كثيرة من الاسلحة جرى اعدادها وجاهزة للانطلاق ل"اسرائيل" ولكنها موقوفة ويعتقد انه من المفيد جداً لو افرج عنهم وقد ظهرت على المذكرة ملاحظات يبدو انها بخط جونسون عن كامات ضد الغازات السامة وقطع غيار للرادار وصواريخ هوك وذخائر وغير ذلك^(٤٩) توسع خلال هذه الحرب حجم اللوبي وثروته ونفوذه بشكل كبير اذ ان النزاع حفز الجمهور الامريكي اليهودي كما لم يحفزه اي حدث منذ حرب انشاء الدولة عام ١٩٤٨ التي خاضتها "اسرائيل"^(٥٠).

بعد انتهاء تلك الحرب طالبت العناصر الموالية ل"اسرائيل" البيت الابيض عدم ارغام "اسرائيل" على الانسحاب من الاراضي التي احتلتها الا بعد موافقة الدول العربية على سلام دائم وعادل مع "اسرائيل"، وافق الرئيس جونسون على هذا المطلب بدون مناقشته في مجلس الامن القومي او في اي مؤسسة سياسية أخرى، رغم فوز ريتشارد نيكسون (Richard Nixon)^(٥١) في المرة الأولى عام ١٩٦٩ بدعم ضئيل من "اسرائيل" في ولايته الرئاسية الاولى الا ان اسحق رابين سفير "اسرائيل" في واشنطن ايده بصورة علنية في حملة اعادة انتخابه عام ١٩٧٢ وقد فاز نيكسون انذاك ب ٣٥% من اصوات اليهود اي بزيادة ٢٠ نقطة عن المرة الاولى قبل اربع سنوات^(٥٢).

ارسل ٧٦ شيخاً من اعضاء الكونغرس في ايار ١٩٧٥ رساله للرئيس السابق جيرالد فورد Gerald Ford^(٥٣) يقولون فيها نود منك ان تعلن هذا بوضوح كما هو واضح لنا ان الولايات المتحدة تقف بدافع من مصالحها الخاصة الى جانب "اسرائيل" في البحث عن السلام في المفاوضات المقبلة وان هذا الوعد يشكل الاساس لسياسة الولايات المتحدة في

المنطقة وهذه الرسالة التي وجهها اعضاء مجلس الشيوخ للرئيس كانت دعماً منهم لطلب ايباك توضيح السياسة الامريكية في الشرق الاوسط واعادة تأكيدها بوضوح (٥٤).

ومن ابرز الانجازات التي حققتها منظمة ايباك من خلال ضغطها على السياسة الخارجية الامريكية هي :

- وضع شروط غاية في التعقيد على بيع صواريخ هوك ارض جو للاردن.
- تتبنى قرار باعادة النظر في عضوية الولايات المتحدة في هيئة الامم المتحدة اذا طردت "اسرائيل" منها.
- منع الاعانات الامريكية عن منظمة اليونسكو بسبب موقفها المعادي ل"اسرائيل".
- تقديم المساعدة المادية للمهاجرين اليهود من الدول الشيوعية على ان تتلقى "اسرائيل" ٨٠% من هذه المساعدة.
- عقد اتفقيه مع البيت الابيض بعدم تصدير اسلحه لمصر عام ١٩٧٦ باستثناء ست طائرات نقل من طراز سي ١٣٠.
- تعديل الكونغرس لقانون الشركات تم بمقتضاه منع الشركات الامريكية من الانصياع لقوانين المقاطعة العربية وتهديد الشركات التي ترضخ للمقاطعة العربية بحرمانها من امتيازات كثيرة , كذلك اقرار برامج مساعدات كبيرة ل"اسرائيل" منها منحة عام ١٩٧٩ مبلغ ١,٧٨٥ مليون دولار ومبلغ مماثل عام ١٩٨٠ (٥٥).

صوتت لجنة العلاقات الخارجية بمجلس النواب في اذار ١٩٨٤ لصالح منح "اسرائيل" مساعدة عسكرية واقتصادية قدرها ٢,٥ مليار دولار ضمن ميزانية العام التالي وبعد عدة اسابيع صوت ١٦ من اعضاء لجنة العلاقات الخارجية بالكونغرس ضد عضوين فقط بالموافقة على المساعدة وزيادتها الى حجم ٢,٦ مليار دولار ولأول مرة في تاريخ العلاقات الامريكية الاسرائيلية يوافق المجلسان على اعتبار هذه المساعدة هبة لا ترد بما في ذلك مبلغ ال ٤٠٠ مليون دولار التي حصلت عليها "اسرائيل" عن طريق الطائرة لافي المتعددة

الاغراض التي تطمح "اسرائيل" ان يكون في مقدورها تسويقها في اسواق السلاح الدولية بحلول عام ١٩٩٠ وتعد هذه الخطوة مكملة لبدايات المشروع الذي وافقت عليه الادارة الامريكية عام ١٩٨٣ وتم الموافقة على المرسوم دون اعتراضات من جانب الكونغرس^(٥٦).

وقع رئيس الوزراء الاسرائيلي اسحاق شامير Yitzhak Shamir^(٥٧) مع الرئيس الامريكي ريغان اتفاقاً في ١٩٨٤ نص على تشكيل فريق مشترك من الجانبين يقوم بوضع جدول اعمال لتبادل الخدمات بين البلدين , عُد هذا الاتفاق احياء لعدد من الافكار الاستراتيجية التي كانت تطالب بها مثل تعاون جوي وبحري في المنطقة بين الجانبين، الاشتراك في تبادل المعلومات الاستخبارية، تخزين المعدات العسكرية الامريكية فوق الاراضي الاسرائيلية، تسهيلات لتخزين الذخيرة الامريكية، استيعاب الامدادات الطبية اللازمة للمستقبل، والاستفادة من امكانيات المستشفيات الاسرائيلية، اعاد هذا الاتفاق الى "اسرائيل" مكانتها كركيزة استراتيجية للولايات المتحدة الامريكية في الشرق الاوسط تلك المكانة التي كانت قد تأثرت بعض الشيء في اعقاب غزوها للبنان اما ايباك فرأت فيه تحالف رسمي بين البلدين^(٥٨).

من اجل ارضاء الايباك وافق كارتر على منح "اسرائيل" ١٠٦ مليار دولار لمساعدتها في انتاج دبابة شاريوت وتزويد "اسرائيل" ب ١٨ طائرة مروحية وعدد من طائرات اف ١٦ عام ١٩٧٧ خلال زياره بيجن الى واشنطن واستمرت المساعدات والدعم الامريكي ل "اسرائيل" في عهود ريغان وبوش الاب وكلينتون وبوش الابن^(٥٩).

فيما يتعلق بتحريك عجله السلام في الشرق الاوسط كانت جهود الايباك سلبية اذ انها عمدت الى محاصرة الجهود التي يحاول الرئيس بذلها للقيام بدور الوساطة فيه، وفي الوقت الذي كان فيه توماس دين من اوائل اللذين أيدو خطه ريغان للسلام كان العاملون في منظمته يشيرون في جلساتهم الخاصة ان وزارة الخارجية استدرجت ايباك الى هذا الموقف بعد وعد منها ان الملك حسين في طريقه لان يكون نسخة اخرى من السادات تضمنت هذه الحجة نوعاً من المخادعة لان ايباك كانت على ثقة تامة ان الملك حسين ابعد نفسه كلياً عن اتفاقية كامب ديفيد لان السادات سار اليها منفرداً وادار مفاوضاته حول تخليص سيناء

من الاحتلال وترك قضية الفلسطينيين والضفة الغربية المحتلة لتصبح محور اهتمام الاردن الرئيسي^(١٠).

اثناء انعقاد مؤتمر السياسة لمنظمة ايباك ١٩٨٢ طرح توماس دين عدة مطالب فيما يتعلق بالسياسة الامريكية تجاه "اسرائيل" والشرق الأوسط:

- ١- تحويل القروض الامريكية الى هبات
- ٢- لا اسلحة للاردن
- ٣- الدعم الامريكي عندما تجبر "اسرائيل" على الرد على التهديد في لبنان
- ٤- عمل امريكي لمعالجة دور الامم المتحدة السلبي.
- ٥- الغاء القرار الامريكي القاضي بشطب اسم العراق من لائحة الارهاب الدولي فضلا عن منع بيع طائرات نقل للعراق .
- ٦- وفي باب عملية السلام تمسك الولايات المتحدة باتفاقات كامب ديفيد واعادة تأكيد تحالفها مع "اسرائيل" عن طريق التعاون الاستراتيجي والضغط على الاردن والسعودية بما في ذلك معاقبتها على اعمالها العدائية والانتقام منها لشرائئهما الاسلحة من الاتحاد السوفيتي لبناء وتأييد لبنان قوي مستقل بعد طرد سوريا منه وتطور سياسه امريكية مستقلة في مجال الطاقة^(١١).

شملت القرارات السياسية الكاملة للمنظمة التي جرى اتخاذها سنة ١٩٨٣ ونشرت في تقرير الشرق الادنى على عدة نقاط منها :

- ٣- لا تتجاوز فوائد ديون "اسرائيل" السنوية المساعدة الداخلية التي تتلقاها في عام مالي واحد.
- ٤- منع بيع الاسلحة الامريكية للاردن ,عدم اعتراف امريكي بمنظمة التحرير الفلسطينية.
- ٥- عدم مشاركة تلك المنظمة في المفاوضات فضلاً عن ذلك ان على الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها شن الحرب على الشبكة الدولية التي تشمل منظمة التحرير الفلسطينية والاتحاد السوفيتي وليبيا.

6- كما ان القدس هي عاصمه "اسرائيل" وعلى الولايات المتحدة ان تنقل سفارتها اليها^(٦٢).

من ذلك نستنتج ان النفوذ اليهودي في عهد الرئيس جونسون قد زاد وتجلى في تعاطف الاخير مع "اسرائيل" واستجابته للمطالب الاسرائيلية وضمت ادارته رئيس المحكمة العليا فورتاس ووالث روستو المستشار الاول للشؤون الخارجية كما شهد عهد نكسون تأييداً كبيراً لـ "اسرائيل" ودعم مطلق، وتم وضع "اسرائيل" من طرف نكسون في منزلة موضع استراتيجي شامل وكان لكيسنجر دوراً مهماً في دعم "اسرائيل" خلال توليه مناصب في الادارات الامريكية المتعاقبة من ١٩٦٩ - ١٩٧٦، وقد كافئت الايباك نيكسون بأعادة انتخابه الا ان اعادة انتخابه لفتهر رئاسية ثانية لم تستمر بسبب فضيحة وترغيت^(٦٣)، بعد فوز جيرالد فورد في الانتخابات اظهر دعماً كبيراً لـ "اسرائيل" وعارض اي انسحاب "اسرائيل" من اي اراضي عربية وعند اعلان فورد في اذار ١٩٧٥ نيته اعادة تقييم سياسة الولايات المتحدة الامريكية في الشرق الاوسط قام اللوبي الموالي لـ "اسرائيل" بتوجيه مذكرة تحمل توقيع ٧٦ من اعضاء مجلس الشيوخ تطالبه بالتجاوب مع المطالب الاسرائيلية عسكرياً واقتصادياً^(٦٤).

رغم قوة تأثير ايباك في القرارات الاستراتيجية الامريكية الا ان هذا الضغط لم ينجح في بعض الأحيان ويتضح ذلك في صفقة طائرات الاواكس السعودية ورغم ان للولايات المتحدة الامريكية مصالح كبيرة لتزويد السعودية بالاسلحة الا ان "اسرائيل" ومناصريها عارضت مثل هذه المبيعات وكانت اعنف هذه المعارك تلك التي جرت عام ١٩٨١ حول قرار الرئيس ريغان ببيع خمس طائرات اواكس طائرات الانذار المبكر للسعودية بقيمة ٨,٥ مليار دولار اذا مارست ايباك حينها ضغطاً هائلاً على اعضاء الكونغرس من نواب وشيوخ لافشال الصفقة^(٦٥) ونجحت ايباك في الحصول على موافقه ٥٤ سيناتور و ٢٤١ نائب على ارسال خطاب للرئيس ريغان يعلنون فيه معارضتهم لصفقة الاواكس الا ان مجلس الشيوخ وافق في نهاية الامر على الصفقة باغلبية ٥٤ صوت مقابل ٤٤ صوت بعد نقاش طويل^(٦٦)

كان لابد لهذه المنظمة بعد خسارة معركة الاواكس ان تتحول كما قال توماس دين الى حركة جماهيرية لتسييس اليهود الامريكيين الذين كانوا اعضاء في اكثر التجمعات تنظيماً على مستوى الامة الامريكية و وعد اليهود الامريكيون قرار الكونغرس بالموافقة على بيع اسلحة الى السعودية دليلاً قوياً على تنامي قوة التيار الضاغط لصالح العرب وعلى ان اعداء "اسرائيل" في تزايد^(٦٧).

ان معالجة ايباك لضرب "اسرائيل" للمفاعل النووي العراقي في يونيو ١٩٨١ مثال واضح لنفوذ تلك المؤسسة وقد نشرت الايباك في اليوم التالي لضرب المفاعل مذكرة من خمس فقرات وزعت على كل سيناتور ورجل كونجرس في كابيتول هيل عنوانها (("اسرائيل" ضربت قدره المفاعل العراقي لان صدام حسين هدد بضرب تل ابيب بالقنابل)) واجرت حوالي ٦٠ مكالمة في ذلك اليوم لتقييم مدى الضرر الذي لحق بصورة "اسرائيل"، وقد ادان البيت الابيض ووزارة الخارجية "اسرائيل" اما الكونغرس فكان رد فعله مختلف فسرعان ما قبل وجهة النظر الاسرائيلية وقال اعضاءه ان الذي يستحق الادانة هم الايطاليين والفرنسيين الذين زودوا العراق بالمفاعل^(٦٨)

الخاتمة:

توصلت الدراسة الى نتائج عدة منها

- كانت منظمة الايباك تهدف بشكل واضح الى تحقيق المصالح الاسرائيلية من خلال توجيه سياسة الولايات المتحدة الخارجية بما يلائم مصالحها.
- استطاعت ايباك احكام قبضتها على جميع الرؤساء الامريكيين والتأثير فيهم من خلال الانتخابات الرئاسية والتعهدات والضمانات التي يعطيها المرشح للرئاسة لصالح خدمة "اسرائيل" وكذلك من خلال وضعها شخصيات يهودية قريبة على الرئيس للتأثير في قراراته.

ايباك ودورها في رسم السياسة الخارجية الامريكية

- نجحت في جعل سياسة الولايات المتحدة الخارجية بجانبها ويتضح ذلك في موقف الولايات المتحدة من ضرب المفاعل النووي العراقي ورفض "اسرائيل" تزويد الولايات المتحدة للاردن بالاسلحة.
- رغم قوة ونفوذ هذه المنظمة الا انها في بعض الحالات لم تستطع ادارة دفة السياسة الخارجية الامريكية لصالحها ولاحظنا ذلك في صفقة طائرات الاواكس السعودية.
- تعد هذه المنظمة اكثر المنظمات التي تمكنت من السيطرة على السياسة الخارجية لاغلب رؤساء الولايات المتحدة بدء من الرئيس الامريكي جون كيندي حتى رئاسة رونالد ريغان.

الهوامش:

(١) عبدالوهاب زيتون الاذرع الصهيونية في بيت الرئاسة الامريكية، مجلة الفكر السياسي سوريا العدد ٢٤ ،٢٠٠٦، ص٤٧.

(٢) اللوبي كلمة انجليزيه تعني الرواق او الردهة الامامية في فندق وتطلق كذلك على الردهة الكبرى في مجلس العموم البريطاني ومجلس الشيوخ الامريكي بحيث يستطيع الاعضاء ان يقابلوا الناس واصبحت الكلمة تطلق على جماعة الضغط التي يجلس ممثلوها في الردهة الكبرى ويحاولون التأثير على اعضاء هيئه تشريعيه ما في مجلس الشيوخ او مجلس النواب، ويذكر مصدر اخر ان كلمه اللوبي تعني مجموعة من العملاء والنشطاء الذين لهم مصالح خاصة ويمارسون الضغوط على الموظفين الرسميين خصوصا المشرعين وذلك للتأثير عليهم اثناء ممارسه عملهم ينظر:

مثنى فائق مرعى العبيدي ، اللوبي الصهيوني ودوره في الانتخابات الامريكية ، مجلة جامعه تكريت للعلوم الانسانية، مج ١٥ ،العدد ٩ ،٢٠٠٨ ،ص٤٩٩؛ رائد ارحيم محمد تأثير، اللوبي اليهودي في صنع السياسة الخارجية الامريكية (الحرب الامريكية على العراق ٢٠٠٣ انموذجا)، مجلة القادسية للقانون والعلوم السياسية، الديوانية مج ١٠، عدد ٢، ٢٠١٩، ص٤١٢.

(٣) اشعيا كينن: هو صحفي ومحامي يهودي كندي المولد، ولد ١٩٠٥ شغل منصب الامين العام للمؤتمر اليهودي الامريكي ١٩٤٣-١٩٤٧، وعمل مع الفريق الدبلوماسي للوكالة اليهودية في الامم المتحدة، تولى رئاسة منظمة ايباك من ١٩٥٤ الى ١٩٧٤، توفي في واشنطن ١٩٨٨، ينظر:

Kobby Barda، AIPAC's Grassroots Path to Congress: How Isaiah Kenen Built AIPAC to Be A Powerhouse،Tel Avev 2020،pp.3_5.

(٤) المجلس الصهيوني الامريكي عبارة عن مجموعة ضغط "اسرائيل"ية تأسست عام ١٩٤٩ وكانت تمثل تسع منظمات صهيونية على مستوى الدولة تهتم في المسائل المتعلقة تحديدا بالصهيونية بعد استقلال "اسرائيل" وتم تأسيسها كمنظمة شاملة ومعفاة من الضرائب ، ينظر:

Doreen Bierbrier، The American Zionist Emergency Council: An Analysis of a Pressure Group، American Jewish Historical Quarterly ، Vol. 60، No. 1، ZIONISM IN AMERICA (SEPTEMBER، 1970) ،p82.

(٥) لي اوبرين، المنظمات اليهودية الامريكية ونشاطها في دعم "اسرائيل"، ترجمة محمود زايد، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ١٩٨٦، ص ١٨٢.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٨٣.

(٧) Kobby Barda، op cit، p.4

(٨) سوسن طه، تأثير المنظمات الصهيونية (اللوبي اليهودي) في صناعه القرار السياسي في الولايات المتحدة، رساله ماجستير غير منشوره، جامعه بيرزيت، فلسطين ٢٠٠٦، ص ٥٧.

(٩) خالد حماد، سياسه الولايات المتحدة الامريكية تجاه عمليه السلام العربية الاسرائيلية ١٩٧٣ - ٢٠١٣، رساله ماجستير غير منشوره، جامعه الشرق الاوسط، كلية العلوم السياسية، الأردن ٢٠١٤، ص ٨٠.

(١٠) سوسن طه، المصدر السابق ، ص ٥٨.

(١١) لي اوبرين، المصدر السابق، ١٨٥.

(١٢) تأسست هذه الجمعية عام ١٩٥٨ على يد المدرس المتقاعد اثيل بيرسي اندروس بهدف مساعدة كبار السن الامريكيين على البقاء نشطين جسديا وفكريا من خلال خدمه الاخرين وتتمثل الوظائف الرئيسية لهذه الجمعية بكونها مناصرة تشريعية للمسنين على المستوى الفيدرالي ومستوى الولايات وتعمل على التأثير على اقرار التشريعات التي تؤثر على المواطنين المسنين:

<https://www.britannica.com>.

(١٣) نور الدين فلاك ،هند فخري سعيد، الاداءات الاعلامية للوبي الصهيوني الامريكي ودورها في تكريس خطاب الكراهية لدى الرأي العام الامريكي، مجله ابحاث كليه التربية الاساسية ، جامعة الموصل ، المجلد ١٨، العدد ٢ ، ٢٠٢٢، ص ٤٩٠.

(١٤) لي اوبرين، المصدر السابق، ص ١٨٥.

(١٥) اشرف حسين احمد الكرنز، منظمة الايباك وتأثيرها على السياسة الخارجية الامريكية تجاه الصراع الفلسطيني الاسرائيلي ٢٠٠١ - ٢٠١٢، رساله ماجستير غير منشوره ،جامعه الازهر، غزة، كليه الدراسات العليا، ٢٠١٧، ص ٥٧.

(١٦) موريس اميتاي: ولد في مانهاتن ١٩٣٦، اكمل دراسته في جامعة كولومبيا ١٩٥٨، حصل على شهادة القانون من جامعة هارفارد ١٩٦١ وعلى درجة الماجستير في الادارة العامة في السنة التالية، اصبح المدير التنفيذي لمنظمة ايباك في ١٩٧٤ وتركها في عام ١٩٨٠، توفي ٢٠٢٣، ينظر Emily Langer، Morris Amitay، ardent advocate for Israel، dies at 86 ، <https://www.washingtonpost.com/>

(١٧) توماس داين: ولد في اوهايو ١٩٤٠، اكمل تعليمه في جامعة كولجيت وحصل على البكالوريوس ١٩٦٢، اصبح المدير التنفيذي لايباك من ١٩٨٠ ل ١٩٩٣، عمل في الوكالة الامريكية للتنمية الدولية ١٩٩٣ ل ١٩٩٧ واصبح في ٢٠٠٥ الرئيس التنفيذي لاتحاد الجالية اليهودية في سان فرانسيسكو:

<https://www.pragueleadershipinstitute.com/index.html>

(١٨) لي اوبرين، المصدر السابق، ص ١٨٤-١٨٥.

(١٩) جون ج ميرشايمر، ستيفن م والت، اللوبي الاسرائيلي والسياسة الخارجية الامريكية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، د.ت ، ص ١٨٢.

(٢٠) هو مقر الكونغرس الامريكي ويعد من ابرز المعالم العمرانية في العاصمة الامريكية واشنطن استغرق تشييده ما يناهز ٧٠ عام يقع مبنى الكابيتول في العاصمة واشنطن فوق تلة تسمى كابيتول هيل وهي الجهة الشرقية من حديقة ناشونال مول اختارها اول رئيس امريكي وهو جورج واشنطن لتكون مقرا للمبنى ويتوسط المبنى منطقة كابيتول هيل التي تعتبر من اقدم واكبر التجمعات السكنية في واشنطن حيث يقطنها ٣٥،٠٠٠ نسمة في مساحة اقل من ميلين، للمزيد ينظر:

Paul Kelsey Williams، Gregory J. Alexander، Images of America Capitol Hill ،Arcadia Publishing، 2004.

(٢١) اشرف حسين، المصدر السابق، ص ٥٧.

(٢٢) هشام محمود الاقداحي، اللوبي وجماعات الضغط السياسي صراع المصالح والنفوذ والمال، مؤسسه شباب الجامعة، الاسكندرية، ٢٠١٢، ص ١٧.

(٢٣) نور الدين فلاك، المصدر السابق، ص ٤٨٩.

(٢٤) هشام محمود، المصدر السابق، ص ٢٥٠.

(٢٥) اشرف حسين، المصدر السابق، ص ٥٨.

(٢٦) فارس النداف، اللوبي الصهيوني واللوبي العربي دراسة مقارنة، مجله جامعه تشرين للبحوث والدراسات العلمية ، سوريا، المجلد ٣٦ العدد، ٢٠١٤، ص ١٧.

(٢٧) هشام محمود، المصدر السابق، ص ٢٤٩.

(^{٢٨}) رشا مجيد منديل الحاجم، سياسة الولايات المتحدة الامريكية اتجاه "اسرائيل" ١٩٧٣-١٩٨١، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الانسانية، ٢٠١٢، ص ١٥٢.

(^{٢٩}) سوسن طه، المصدر السابق، ص ٥٩.

(^{٣٠}) فرانكلين روزفلت (١٨٨٢-١٩٤٥): تخرج من جامعة هارفارد عام ١٩٠٤ اكمل دراسة القانون بجامعة كولومبيا بنيويورك عام ١٩٠٧، شغل منصب سكرتير مساعد وزير البحرية في عهد الرئيس ودر ولسون (١٩١٣-١٩٢١) ، وصل إلى الرئاسة الامريكية في عام ١٩٣٣ بعد انتخابه عن الحزب الديمقراطي، وهو الرئيس الثاني والثلاثون للولايات المتحدة الامريكية، انتخب لاربع دورات انتخابية متتالية ينظر:

Michael Heale، Franklin D. Roosevelt: The New Deal and War، New york، 2002، pp.1_5.

(^{٣١}) ليندون جونسون (١٩٠٨-١٩٧٣) الرئيس السادس والثلاثون للولايات المتحدة الامريكية ، ولد في ولاية تكساس في ٢٧ آب ١٩٠٨، تخرج من الجامعة ١٩٣٠، فاز بانتخابات مجلس الشيوخ عام ١٩٤٨، اصبح زعيم الاغلبية في مجلس الشيوخ ١٩٥١، ، تولى الرئاسة في ١٩٦٤ واستمرت ولايته حتى عام ١٩٦٨ ، توفي في ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٣:

Steven OBrien ، American Political Leaders: From Colonial Times to the Present، USA، 1991، pp.221-223.

(^{٣٢}) خالد حماد، المصدر السابق، ٧٦.

(^{٣٣}) جون جي ميرسهايمر ،ستيفن ام والت، امريكا المختطفة اللوبي الاسرائيلي وسياسه الولايات المتحدة الامريكية الخارجية، ترجمه فاضل جتكر ، مكتبه العبيكان، السعودية، ط ١، ٢٠٠٦، ص ٦٥.

(^{٣٤}) رشا منديل، المصدر السابق، ص ١٥٣.

(^{٣٥}) الرئيس الامريكي الثالث والثلاثون، عضو مجلس الشيوخ ، انتخب نائباً لرئيس الجمهورية في تشرين الثاني ١٩٤٤ عن الحزب الديمقراطي، في ١٢ نيسان ١٩٤٥ اصبح رئيساً واستمر في الرئاسة حتى عام ١٩٥٣، شهدت مدة توليه الرئاسة ازدياد التوتر بين الاتحاد السوفيتي والغرب. للمزيد ينظر:

روجر باركسن، موسوعة الحرب الحديثة، ترجمة سمير عبد الحليم الجلبي، ج ٢، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٩٠، ص ٦٠٧.

(^{٣٦}) دوايت ايزنهاور: ولد في ١٤ تشرين الاول ١٨٩٠ بولاية تكساس الامريكية وفي عام ١٩٣٥ التحق بمكتب رئيس اركان الجيش للعمل مع الجنرال دوجلاس ماك ارثر ، في ١٩٥٢ خاض ايزنهاور الانتخابات مرشح عن الحزب الجمهوري للرئاسة وكسبها بنسبة عالية من الاصوات، استمر في الرئاسة لفترتين متتاليتين (١٩٥٣-١٩٦١) ، توفي عن عمر ناهز الثامنة والسبعون في مدينة واشنطن ينظر:

مجموعة مؤلفين، موسوعة مشاهير العالم مشاهير القادة العسكريين والسياسيين، دار الصداقة العربية، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٢٤٤-٢٤٧.

(^{٣٧}) جون كيندي (١٩١٧-١٩٦٣) : ولد في بروكلين في ٢٩ ايار ١٩١٧ ، انتخب عام ١٩٤٦ عضو في المجلس النواب عن الحزب الديمقراطي، وتولى رسميا رئاسة الولايات المتحدة الامريكية في ٢٠ كانون الثاني ١٩٦١ ، وبذلك يكون الرئيس الاصغر سنا والكاثوليكي الوحيد الذي تبوأ مركز الرئاسة الامريكية وكان عمره عنده توليه الرئاسة ٤٤ عام ، اغتيل في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٣ ، ينظر:

Christian Hald-Mortensen، John F. Kennedy – Leadership Qualities That Moved A Nation، Submitted to the Graduate Faculty of Graduate School of Public and International Affairs، University of Pittsburgh In partial fulfillment Of the requirements for the degree of ‘Master in Public Administration، University of Pittsburgh، 2007، PP.24-28.

(^{٣٨}) كريم صبح، جماعات الضغط اليهودية وتنظيمها وتأثيرها في صنع القرار السياسي للولايات المتحدة الامريكية ١٩٤٥-١٩٦٩، اطروحة دكتوراه غير منشوره، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، ٢٠٠٥، ص٤٧٣.

(^{٣٩}) جيمي كارتر: سياسي امريكي من الحزب الديمقراطي الرئيس التاسع والثلاثون للولايات المتحدة الامريكية ولد في عام ١٩٢٤ في ولاية جورجيا تخرج من الأكاديمية العسكرية وانتخب في مجلس الشيوخ الأمريكي ١٩٦٢-١٩٦٦ بعدها أصبح حاكماً لولاية جورجيا عام ١٩٧٠ أصبح رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية في العشرين من كانون الثاني ١٩٧٧. للمزيد من التفاصيل انظر:

Jimmy Carter، A Full life Jimmy Carter، Simon&Schuster، USA، 2015، pp. 10-20 .

Ismail Fahmi، Negotiating for Peace in the middle east، Baltimore ، md، Johans Hopkins University، p.190.

(^{٤٠}) خالد حماد، المصدر السابق، ص٧٨.

(^{٤١}) المصدر نفسه، ص٧٤.

(^{٤٢}) شاهر اسماعيل الشاهر، اولويات السياسة الخارجية الامريكية بعد احداث ١١ ايلول ٢٠٠١، ط١، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠٠٩، ص ٦٩-٧٠.

(^{٤٣}) سوسن طه، المصدر السابق، ص ٦٥.

(^{٤٤}) الرئيس الاربعون للولايات المتحدة الامريكية ولد في تامبيكو الينوي عام ١٩١١ اصبح حاكم لولاية كاليفورنيا بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٧٥ انتخب كرئيس للولايات المتحدة عام ١٩٨٠ بقي في منصب الرئاسة حتى عام ١٩٨٩، ينظر:

Andrew L. Johns ،A Companion to Ronald Reagan،John Wiley & Sons، 2015،pp.9-28.

(^{٤٥}) هشام محمود، المصدر السابق، ص ١٦.

(^{٤٦}) المصدر نفسه، ص ٢٥٢.

(^{٤٧}) رشا منديل الحاجم، المصدر السابق، ص ١٥٢.

(^{٤٨}) كريم صبح ، المصدر السابق، ص ٤٦٥.

(^{٤٩}) بول فنديلي، المصدر السابق، ص ٢١٤.

(^{٥٠}) ستيفن والت، اللوبي الاسرائيلي ، المصدر السابق، ص ١٨١.

(^{٥١}) ريتشارد نيكسون (١٩١٣-١٩٩٤): رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابع والثلاثون (١٩٦٩-١٩٧٤) ولد في مدينة يوربا ليندا في كاليفورنيا عام ١٩١٣ تخرج من كلية الحقوق في جامعة دوك عام ١٩٣٧ شغل منصب نائب الرئيس الأمريكي ايزنهاور (١٩٥٣-١٩٦١) فاز في انتخابات الرئاسة الامريكية عن الحزب الجمهوري عام ١٩٦٨ ثم اعيد انتخابه عام ١٩٧٢ اضطر الى تقديم استقالته على اثر فضيحة ووترغيت عام ١٩٧٤، توفي في عام ١٩٩٤. للمزيد من التفاصيل انظر:

Hanes Sharon M. and Richard C. Hanes، Cold War Biographies، Vol 2، U. S. A، 2007، pp.354-365 ؛Freidel Frank، The Presidents of the United States of America، Washington، 1999، P.79.

(^{٥٢}) بول فنديلي، المصدر السابق، ص ٢١٥.

(^{٥٣}) الرئيس الثامن والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية ولد عام ١٩١٣. تخرج من جامعة ميشغان أنتخب عضواً في مجلس النواب الأمريكي للمدة (١٩٤٩-١٩٧٣) تولى الرئاسة الأمريكية في ١٠/ آب ١٩٧٤ بعد أن قدم نيكسون استقالته بسبب فضيحة ووترغيت :

Yanek Mieczkowski، Gerald Ford and the Challenges of the 1970s، University Press of Kentucky، 2005،pp.24_30

(^{٥٤}) هشام محمود، المصدر السابق، ص ٢٥٤.

(^{٥٥}) هشام محمود، المصدر السابق، ص ٢٥٧.

ايباك ودورها في رسم السياسة الخارجية الامريكية

(^{٥٦}) ادوارد تيفنان، اللوبي القوه السياسية اليهودية والسياسة الخارجية الامريكية، ترجمة حسن عبد ربه المصري، ط١، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٢٩٥-٢٩٦.

(^{٥٧}) اسحاق شامير (١٩١٥-٢٠١٢) : سياسي "اسرائيل"ي ولد في روسيا عام ١٩١٥ ، شغل منصب رئيس الكنيسيت بين عامي ١٩٧٧ و ١٩٨٠ ، شغل منصب وزير الخارجية بين عامي ١٩٨٠ و١٩٨٦ كما اصبح رئيسا للوزراء خلال فتره ١٩٨٣ و١٩٨٤ ايضا اصبح رئيس للوزراء من ١٩٨٦ و١٩٩٢، للمزيد ينظر:

Kristian Coates Ulrichsen ،A Dictionary of Politics in the Middle East ، First edition ،Oxford University Press، 2018،p.70.

(^{٥٨}) ادوارد تيفنان، المصدر السابق،ص٣٠٢.

(^{٥٩}) خالد حماد، المصدر السابق، ص٧٨.

(^{٦٠}) ادوارد تيفنان، المصدر السابق، ص٣٠٣.

(^{٦١}) لي اوبرين ، المصدر السابق، ص١٩٠.

(^{٦٢}) المصدر نفسه، ص١٩٢.

(^{٦٣}) فضيحة وترغيت: فضيحة سياسية أمريكية كبرى نشبت عن قيام قيادة الحزب الجمهوري بالتجسس على الحزب الديمقراطي بوساطة خمسة رجال تسللوا لمبنى ووترغيت مقر اللجنة القومية للحزب الديمقراطي في واشنطن عام ١٩٧٢ ابان الحملة الانتخابية الرئاسية وانكشف أمر هذه المحاولة، للمزيد ينظر:

Erika Wittekind ، Presidential Power: The Watergate Scandal and Limits to US Presidential Power، ABDO، United State،2012،p.88.

(^{٦٤}) خالد حماد، المصدر السابق، ص٧٧-٧٨.

(^{٦٥}) سوسن طه، المصدر السابق، ص٦٠.

(^{٦٦}) هشام محمود، المصدر السابق، ص٢٥٥.

(^{٦٧}) ادوارد تيفنان، المصدر السابق، ص٢٤٦.

(^{٦٨}) هشام محمود، المصدر السابق، ص٢٥٦.

قائمة المصادر

أولاً: الرسائل والاطاريح الجامعية

١. اشرف حسين احمد الكرنز، منظمة الايباك وتأثيرها على السياسة الخارجية الامريكية تجاه الصراع الفلسطيني الاسرائيلي ٢٠٠١ - ٢٠١٢ ، رساله ماجستير غير منشوره ،جامعه الازهر، غزة، كليه الدراسات العليا، ٢٠١٧.

٢. خالد حماد، سياسه الولايات المتحدة الامريكية تجاه عمليه السلام العربية الاسرائيلية ١٩٧٣ - ٢٠١٣ ، رساله ماجستير غير منشوره، جامعه الشرق الاوسط، كلية العلوم السياسية، الأردن ٢٠١٤.
٣. رشا مجيد منديل الحاجم، سياسة الولايات المتحدة الامريكية اتجاه "اسرائيل" ١٩٧٣-١٩٨١، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الانسانية، ٢٠١٢.
٤. سوسن طه، تأثير المنظمات الصهيونية (اللوبي اليهودي) في صناعه القرار السياسي في الولايات المتحدة، رساله ماجستير غير منشوره، جامعه بيرزيت، فلسطين ٢٠٠٦ .
٥. كريم صبح، جماعات الضغط اليهودية تنظيمها وتأثيرها في صنع القرار السياسي للولايات المتحدة الامريكية ١٩٤٥-١٩٦٩، اطروحة دكتوراه غير منشوره، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، ٢٠٠٥.

ثانياً: الكتب الاجنبية

1. Andrew L. Johns ،A Companion to Ronald Reagan،John Wiley & Sons، 2015.
2. Christian Hald-Mortensen، John F. Kennedy – Leadership Qualities That Moved A Nation، Submitted to the Graduate Faculty of Graduate School of Public and International Affairs،University of Pittsburgh In partial fulfillment Of the requirements for the degree of ‘Master in Public Administration، University of Pittsburgh، 2007.
3. Doreen Bierbrier، The American Zionist Emergency Council: An Analysis of a Pressure Group، American Jewish Historical Quarterly ، Vol. 60، No. 1، ZIONISM IN AMERICA (SEPTEMBER، 1970.
4. Erika Wittekind ، Presidential Power: The Watergate Scandal and Limits to US Presidential Power، ABDO، United State،2012.
5. Freidel Frank، The Presidents of the United States of America، Washington، 1999.
6. Hanes Sharon M. and Richard C. Hanes، Cold War Biographies، Vol 2، U. S. A، 2007.
7. Ismail Fahmi، Negotiating for Peace in the middle east، Baltimore ، md، Johans Hopkins University.
8. Jimmy Carter، A Full life Jimmy Carter، Simon&Schuster، USA، 2015 .
9. Kobby Barda، AIPAC’s Grassroots Path to Congress: How Isaiah Kenen Built AIPAC to Be A Powerhouse،Tel Avey 2020.
10. Kristian Coates Ulrichsen ،A Dictionary of Politics in the Middle East ، First edition ،Oxford University Press، 2018.
11. Michael Heale، Franklin D. Roosevelt: The New Deal and War، New york، 2002.

12. Paul Kelsey Williams، Gregory J. Alexander، Images of America Capitol Hill ،Arcadia Publishing، 2004.
13. Paul Kelsey Williams، Gregory J. Alexander، Images of America Capitol Hill ،Arcadia Publishing، 2004.
14. Steven OBrien ، American Political Leaders: From Colonial Times to the Present، USA، 1991.
15. Yanek Mieczkowski، Gerald Ford and the Challenges of the 1970s، University Press of Kentucky، 2005.

ثالثاً: الكتب العربية

١. ادوارد تيفنان، اللوبي القوه السياسية اليهودية والسياسة الخارجية الامريكية، ترجمة حسن عبد ربه المصري، ط١، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣.
٢. جون ج ميرشايمر، ستيفن م والت، اللوبي الاسرائيلي والسياسة الخارجية الامريكية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، د.ت.
٣. جون جي ميرسهايمر ،ستيفن ام والت، امريكا المختطفة اللوبي الاسرائيلي وسياسه الولايات المتحدة الامريكية الخارجية، ترجمه فاضل جتكر ، مكتبه العبيكان، السعودية، ط١، ٢٠٠٦.
٤. روجر باركسن، موسوعة الحرب الحديثه، ترجمة سمير عبد الحليم الجليبي، ج٢، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٩٠.
٥. شاهر اسماعيل الشاهر، اولويات السياسة الخارجية الامريكية بعد احداث ١١ ايلول ٢٠٠١ ، ط١، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠٠٩.
٦. هشام محمود الاقداحي، اللوبي وجماعات الضغط السياسي صراع المصالح والنفوذ والمال ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ١٩٨٦.
٧. مجموعة مؤلفين، موسوعة مشاهير العالم مشاهير القادة العسكريين والسياسيين، دار الصداقة العربية، بيروت، ٢٠٠٢.
٨. هشام محمود الاقداحي، اللوبي وجماعات الضغط السياسي صراع المصالح والنفوذ والمال، مؤسسه شباب الجامعة، الاسكندرية، ٢٠١٢.
٩. لي اوبرين، المنظمات اليهودية الامريكية ونشاطها في دعم "اسرائيل"، ترجمة محمود زايد مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ١٩٨٦، ص١٨٢.

رابعاً: البحوث والمقالات

١. رائد ارحيم محمد تأثير، اللوبي اليهودي في صنع السياسة الخارجية الامريكية (الحرب الامريكية على العراق ٢٠٠٣ نموذجاً)، مجلة القادسية للقانون والعلوم السياسية، الديوانية مج ١٠، العدد ٢، ٢٠١٩.
٢. عبدالوهاب زيتون الاندوع الصهيونية في بيت الرئاسة الامريكية، مجلة الفكر السياسي، سوريا العدد ٢٤، ٢٠٠٦.
٣. فارس النداف، اللوبي الصهيوني واللوبي العربي دراسة مقارنة، مجله جامعه تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سوريا، المجلد ٣٦ العدد ٤، ٢٠١٤.
٤. مثنى فائق مرعى العبيدي، اللوبي الصهيوني ودوره في الانتخابات الامريكية، مجلة جامعه تكريت للعلوم الانسانية، مج ١٥، العدد ٩، ٢٠٠٨.
٥. نور الدين فلاك، هند فخري سعيد، الاداءات الاعلامية للوبي الصهيوني الامريكي ودورها في تكريس خطاب الكراهية لدى الرأي العام الامريكي، مجله اباحث كليه التربية الاساسية، جامعة الموصل، المجلد ١٨، العدد ٢، ٢٠٢٢.

خامساً: شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)

1. <https://www.britannica.com>.
2. <https://www.pragueleadershipinstitute.com/index.html>.
3. <https://www.washingtonpost.com>.

العراق في ظل حكم الاتحاديين ١٩٠٨ - ١٩١٤

م. د. محمد رشيد غافل سالم
وزارة التربية/ مديرية تربية الكرخ الأولى
رقم الهاتف ٠٧٨٠٠٢٩٢١٥٧

م. د. محمد رشيد غافل سالم

ملخص البحث

يختص هذا البحث بدراسة تحليلية لأوضاع العراق في ظل حكم الاتحاديين " ١٩٠٨ - ١٩١٤", مسلطاً الضوء على تنامي الوعي الفكري لدى العراقيين المتمثل بتكوين الأحزاب والجمعيات العربية، وكذلك بروز فئة من الصالحين الذين عملوا على استنهاض الهمم لدى الشعوب للمناداة بالتححرر وتحقيق الاستقلال، دخل لعراق عام ١٩٠٨م حقبة جديدة من تاريخه السياسي ولم تكن هذه المدة هي افضل من سابقتها، فقد حكم حكما مباشرا ومتسلط من قبل الحزب الحاكم " الاتحاد والترقي" لنرى هل انهم أفضل ممن حكموا العراق في السابق، أم انهم الاسوء، ينقسم هذا البحث الى اربع مباحث:

يتضمن المبحث الاول: اوضاع العراق قبل حكم الاتحاديين، ثم يأتي عن موقف العراقيين من الانقلاب، وكيف كان ردود فعل العراقيين من الحكم. يتناول المبحث الثاني: الاجراءات التي اتبعتها الاتحاديون في العراق في طمس الهوية العربية لدى العراقيين، ثم تطرق الى موقف الاتحاديين من التعليم، أما المبحث الثالث: فقد تناول اجراءات الاتحاديون في العراق بعد أن لمسوا الرفض العراقي لحكمهم، وكيف كان موقفهم من الانتخابات التي زيفوها لخدمة انصارهم، ثم كيف كان موقفهم بعد المؤتمر العربي الاول في باريس ١٩١٣م، أما المبحث الرابع: فقد فصل انعطافا جديدا في تاريخ العراق، إذ كان الاستعمار الاجنبي متربصا له ومهيئا كل الامكانيات لتحقيق السيطرة الكاملة عليه، وقد تناول ايضا موقف العراقيين من الحرب العالمية الاولى وكيف اختلفت المواقف بين الداعم لبريطانيا واطماعها في العراق وبين معارض لها.

الكلمات المفتاحية: العراق، الحكم، الاتحاديين.

Iraq under the rule of the Federalists 1908-1914

Asst. Dr. Muhammad Rashid Ghafil Salem

Tel. 07800292157

Abstract

This research is concerned with an analytical study of the conditions of Iraq under the rule of the Federalists "1908-1914", shedding light on the growth of intellectual awareness among Iraqis represented by the formation of Arab parties and associations, as well as the emergence of a group of reformers who worked to arouse the spirits of the people to call for liberation and achieve independence. Iraq entered a new era in 1908 AD in its political history, and this period was not better than the previous one, as it was ruled directly and authoritarily by the ruling party "Union and Progress" to see if they were better than those who ruled Iraq in the past, or if they were worse. This research is divided into four sections:

The first section includes: The conditions of Iraq before the rule of the Federalists, then it comes to the position of the Iraqis towards the coup, and how the Iraqis reacted to the rule. The second section deals with the procedures followed by the Federalists in Iraq to obliterate the Arab identity of the Iraqis, then it touched on the position of the Federalists on education. As for the third section, it dealt with the procedures of the Federalists in Iraq after they sensed the Iraqi rejection of their rule, and what was their position on the elections that they falsified to serve their supporters, then what was their position after the first Arab conference in Paris in 1913 AD. As for the fourth section, it detailed a new turning point in the history of Iraq, as foreign colonialism was lying in wait for it and preparing all the possibilities to achieve complete control over it. It also dealt with the position of the Iraqis on the First World War and how the positions differed between those who supported Britain and its ambitions in Iraq and those who opposed it.

Keywords: Iraq, governance, federalists.

يختص هذا البحث بدراسة تحليلية لأوضاع العراق في ظل حكم الاتحاديين "١٩٠٨ - ١٩١٤"، مسلطاً الضوء على تنامي الوعي الفكري لدى العراقيين المتمثل بتكوين الأحزاب والجمعيات العربية، وكذلك بروز فئة من الصالحين الذين عملوا على استنهاض الهمم لدى الشعوب للمناداة بالتححرر وتحقيق الاستقلال.

دخل لعراق عام ١٩٠٨ م حقبة جديدة من تاريخه السياسي ولم تكن هذه المدة هي افضل من سابقتها، فقد حكم حكماً مباشراً ومتسلطاً من قبل الحزب الحاكم "الاتحاد والترقي" لنرى هل انهم أفضل ممن حكموا العراق في السابق، أم انهم الاسوء ينقسم هذا البحث الى اربع مباحث:

اذ يتناول المبحث الاول: اوضاع العراق قبل حكم الاتحاديين وكيف كان مؤيداً لكل المنادين بضرورة التخلص من الحكم العثماني، ثم يأتي بتفصيل عن موقف العراقيين من الانقلاب الذي قاده الاتحاديين في ٢٣ تموز ١٩٠٨، وكيف كان رد الفعل لدى العراقيين من الحكم الجديد.

ثم يأتي المبحث الثاني: بشرح مفصل عن الاجراءات التي اتبعتها الاتحاديون في العراق، وكيف كان لها الاثر في طمس الهوية العربية لدى العراقيين، وكيف أصيب الوطنيون بخيبة أمل من ذلك، ثم تطرقت الى موقف الاتحاديين من التعليم وكيف أنهم أدركوا خطورته، ليبدأ مرحلة جديدة وهي مرحلة "التتريك" وتناولت جه الرفض العراقي لهذه السياسة المعادية، وما هي الاشكال التي اتخذها هذا الرفض.

أما المبحث الثالث: فقد تناول اجراءات الاتحاديون في العراق بعد أن لمسوا الرفض العراقي لحكمهم، وكيف كان موقفهم من الانتخابات التي زيفوها لخدمة انصارهم، ثم كيف كان موقفهم بعد المؤتمر العربي الاول في باريس ١٩١٣ م.

أما المبحث الرابع: فقد فصل انعطافاً جديداً في تاريخ العراق، إذ كان الاستعمار الاجنبي متربصاً له ومهيئاً كل الامكانيات لتحقيق السيطرة الكاملة عليه، وقد تناول ايضا موقف العراقيين من الحرب العالمية الاولى وكيف اختلفت المواقف بين الداعم لبريطانيا واطماعها في العراق وبين معارض لها.

ثم ختم المبحث بدراسة عن الحالة الاقتصادية في العراق أبان حكم الاتحاديين "١٩٠٨ - ١٩١٤"، وكيف كان لهذا الحكم الأثر السيئ في تدهورها في جميع المستويات.

المبحث: الأول

اوضاع العراق قبل حكم الاتحاديين.

دخل العراق في حوز العثمانيين منذ نهاية ١٥٣٤م على يد السلطان القانوني، ودام حكمهم زهاء اربعة قرون، شهد خلالها العديد من الثورات والانتفاضات العربية ضد هذا الحكم.

منذ اوائل القرن السادس عشر خضعت الاقطار العربية ومنها العراق تحت سيطرة العثمانيين التي اقامة سلطتها على اساس ديني اسلامي يكون الولاء فيه للخليفة العثماني روحيا ووراثيا، وقد شعر العرب المسلمون في البداية بأنهم قد الحقوا بالنظام العثماني بعلاقة طبيعية لا تتباين مع تلك التي قادتهم في القرون الماضية الى العيش تحت السلالة العباسية والاموية، لكن شعورهم هذا تبدل بعد ما عانوا من وطأة الحكم العثماني ومساوئه التي نجم عنها انتشار الفساد والفضوى وفقدان الامن وتردي الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية^(١).

لم تكن الدولة العثمانية وحدها الطامعة بهذا البلد بل كان التنافس والصراع قائما مع الصفويين، لذلك لا غرابة بأن يصبح العراق ساحة لتصفية النفوذ بين الدولة العثمانية والصفويين، والذي نتج عنه اهمال ودمار في جميع المستويات الاقتصادية والاجتماعية، فلا للزراعة التي كانت سمة وادي الرافدين مكانة، ولا المدن التي كانت قبلة العلماء والتجار فائدة، فقد ساد الخراب والدمار، وفي القرن التاسع عشر برز تغير واضح في سياسة الدولة العثمانية كان له آثارا واضحة على العراق فقد كان للاصلاحات العثمانية دورا كبيرا في ظهور بواذر اليقظة، وخاصة مرسومي "كو لخانه ١٨٣٩ وهما يون ١٨٥٦" ليشهد العراق خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر الميلادي اول مرحلة تنظيمية له في العصر الحديث^(٢).

لم يشهد العراق حالة من الاستقرار النسبي الا في فترات قصيرة، ابرزها في عهد الوالي المصلح مدحت باشا اذ تم تعيين ١٨٦٩ - ١٨٧٢م واليا على العراق، الذي استند الى

قانون الولايات لسنة ١٨٦٤م، والذي أعاد الى العراق تكوين وحدة متماسكة ومترابطة، وقد كان للاصلاحات الكبيرة التي ابداهها الوالي مدحت باشا في العراق ذات اثر كبير في تبلور الحركة العلمية والثقافية في المجتمع العراقي اذ كان لأنشاء المدارس وازدياد المطابع وسهولة الاتصال بالعالم الخارجي وازدياد عدد القراء والمثقفين، والصحافة التي بدأ تدخل الى القارئ العراقي، كل هذا ساهم بشكل او باخر على تنامي الوعي العربي القومي لدى العراقيين ضد السيطرة العثمانية^(٣)، ومع بزوغ هذا التحرك الفكري والسياسي في العراق كانت الدولة العثمانية في اشد ضعفها، وولاياتها بدأت تسقط الواحدة تلو الاخرى، اضافة الى ذلك ازدادت محاولات المستعمرين الاوربيين للسيطرة على ممتلكات الدولة العثمانية، وامام هذا الضعف العثماني وازدياد المخاطر الاستعمارية ظهرت محاولات جديدة الاتراك لأجل اعادة تنظيم الامبراطورية من جديد واصلاحها وفقا لدستور كان يعتقدون بانه المنفذ والمخلص الوحيد لحالة الانحطاط والضعف الذي مرت بالدولة العثمانية^(٤).

الموقف في العراق قبل حكم الاتحاديين.

لقد كان للجمعيات العربية والاحزاب السرية والعلنية والمصلحين والصحف التي عملت على استنهاض الهمم في نفوس العراقيين والتذكر بأمجاد امتهم الماضية، كل هذا كان دافعا لهم للانضمام الى الجمعيات واحزاب معارضة للحكم العثماني، واهم هذه الاحزاب المعارضة هي "جمعية تركيا الفتاه" التي ضمت فئة من الدستوريين المعارضين لسياسة السلطان عبد الحميد الثاني، والتي اخذت على عاتقها القيام بانقلاب ٢٣ تموز ١٩٠٨^(٥)، الذي اجبر السلطان عبد الحميد الثاني على اعلان الدستور وعوده مجلس المبعوثات للانعقاد، واضطر بعدها الى التنازل عن العرش في ١٩٠٩^(٦).

لقد استطاعت "جمعية الاتحاد والترقي"^(٧)، بالفعل اجبار السلطان عبد الحميد الثاني في ٢٤ تموز ١٩٠٨م على اعلان الدستور الذي كان قد امر سابقا في ١٨٧٧م بوقف العمل به^(٨)، وكذلك احياء البرلمان ودعوة مجلس المبعوثات للانعقاد والذي افتتح في ١٧ كانون الاول ١٩٠٨م^(٩)، واضطر بعدها الى الاستقالة في ١٩٠٩م ليتولى السلطة بعده اخوه محمد رشاد في ٢٧ نيسان عام ١٩٠٩، الا انه في الحقيقة لم يكن يملك اي سلطة فعلية وانما

السلطة اصبحت بيد جمعية الاتحاد الترقية، وعدت الحكومة العثمانية تركية في مضمونها وقومية في عصبيتها^(١٠).

موقف العراقيين من الانقلاب الذي قاده الاتحاديين.

رحب العراقيون بالانقلاب الذي قاده جماعه الاتحاد والترقي في ٢٣ تموز ١٩٠٨م، والذي اطاح بالسلطان عبد الحميد الثاني، وبدأت فروع هذا الحزب تنتشر في العراق اذ افتتح اول فرع له في بغداد ١٩٠٨م، وكانت عضويته تقتصر على الموظفين وضباط الجيش ونسبه قليلة من العراقيين^(١١)، وبعدها انشا فرع اخر في البصرة والذي كان اقوى مما كان عليه في بغداد بفضل شعبية طالب النقيب، اذ بدأت في عام ١٩٠٨م مرحلة جديدة للأتراك، فبعد أن قضت هذه الثورة على رقابة النشر، واقبل الكتاب على التأليف، فنقلوا الى التركية تأليف اجنبية في الاجتماع والفلسفة والتاريخ وادركوا حينها ان لهم تراثا قوميا محترما يتمثل بتاريخ الاتراك الشرقيين القديم، وبذلك طغت النزعة القومية التركية على العنصر التركي^(١٢)، وانصرف بعض الكتاب الذين صاروا يزعمون أن الاتراك لم يكونوا اهل حرب نزال فقط، وانما اهل حضارة وعمران^(١٣).

لقد كان للانقلاب العثماني الذي قاده الاتحاديون في عام ١٩٠٨م، ردود فعل متباين في العراق، وتمثلت في عدة اتجاهات:

١- ابتهاج وسرور من قبل العراقيين الذين طالما حلموا بالتغيير او الدستور الذي يمكن ان يمنحهم نوع من الاستقلال وهم اصحاب الميول التقدمية والمتأثرين بأفكار المصلحين العرب.

٢- رفض واستياء وتخوف من جانب آخر، وهم الذين عدو الدستور خطرا على افكارهم المحافظة بعدما اعلن المساواة بين المسلمين وغيرهم من الاديان، وقد وجدوا من موقف الاتحاديين من الدين والخليفة تدميرا للوحدة الاسلامية بين العرب والعثمانيين، وتمثل هذا الموقف بعبد الرحمن الكيلاني الذي تزعم جماعة المشورة المعارضة للدستور^(١٤).

ومهما يكن من مواقف، فان الاتحاديون قد استلموا السلطة وبدأت مرحلة جديدة من تاريخ العراق لتثبت لنا هل انهم افضل ممن حكموا في السابق ام انهم الاسوء.

المبحث: الثاني.

الاجراءات التي اتبعها الاتحاديون في العراق.

أن الطابع العنصري لدى الاتحاديين الاترك كان يتناقض مع الطابع الاسلامي للعهد الذي سبقه, فقد تضائل دور العرب في تشكيلات الحكومة عما كان له في السابق, وظهرت المعاداة العنصرية التركية للقوميات العربية واضطهادها, وخير دليل على ذلك سياسة التتريك التي اتبعتها مع الولايات الخاضعة لها وخصوصا مع العراق^(١٥).

اذ شرعت حكومة الاتحاديين الى تأسيس فروع لها في المدن المهمة, وقد عملت تلك الفروع بمختلف الوسائل لأجل فرض افكار الاتحاديين وآرائهم السياسية, متخزين في سياستهم هذه اشكالا واضحة ومتميزة في تطبيق المركزية الشديدة في الادارة^(١٦). وقد تضمن برنامجهم السياسي الذي اعلن في ايلول عام ١٩٠٩م من قبل اللجنة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي تأكيدا على أن اللغة التركية هي اللغة الرسمية للدولة^(١٧), وابلغت لجنة الاتحاديين في الولايات العربية بأن تكون اللغة التركية هي اللغة الرسمية بينها وبين اللجنة المركزية, وفرضت على التجار العرب تقديم البيانات بالتركية والفرنسية, وكذلك نصت على أن تكون اللغة التركية هي لغة التعليم في المدارس الموحدة في جميع المراحل الدراسية^(١٨).

وبذلك اصيب الوطنيون والسياسيين في العراق بخيبة أمل وسرعان ما ذهبت تطلعاتهم القومية نحو الحرية والاستقلال ادراج الريح, ولا بد أن يظهر الرفض الواضح لهذه السياسات المعادية وخاصة وأن هذه الفترة شهدت اطلاق الحريات والفكر وفق مبادئ الدستور المعلن, وهنا برز دور الصحافة التي نشطت كثيرا عما كانت عليه قبل عام ١٩٠٨م, فبعد أن كانت لا تتجاوز الثلاثة صحف واحدة وهي الزوراء في بغداد عام ١٨٦٩م, والثانية في الموصل عام ١٨٨٥م, والثالثة في البصرة ١٨٨٩م, صارت بعد عام ١٩٠٨م, تصدر ما يقارب سبعين صحف في العراق^(١٩).

عملت بدورها على بلورة وعي العراقيين وتطوير افكارهم السياسية, وساعدت على سهولة الاتصال والاطلاع على مجريات الاحداث اتخذ الاتحاديون من

الاساليب التي ظهرت العداء للثقافة العربية، فقد قامت بالغاء القسم العربي الذي كانت تصدر منه جريدة الزوراء، فأصبحت الجريدة في ظلهم تصدر باللغة التركية فقط بعد أن كانت تصدر باللغتين العربية والتركية وهنا صار واضحا استعانتهم بالصحافة لنشر آرائهم ومبادئهم السياسية في الولايات العربية، اذ قام بعض اعوانهم بأصدار الصحف التي تخدم سياسة الاتحاديين وتنشر بأفكارهم، ومن تلك الصحف هي " بغداد، والتهديب، وتفكر" (٢٠)،

موقف الاتحاديين من التعليم في العراق.

ادرك الاتحاديون خطورة التعليم في تحقيق اهداف سياستهم فاهتموا به، وكانت لهم مواقف في ذلك، وفي مقدمتها حرصهم على أن تبقى اللغة التركية في جميع المدارس الحكومية في ولايات العراق، حتى انهم لم يسمحوا لمدرسة اهلية اسست في البصرة في ١٩٠٨م بالاستمرار بالتدريس باللغة العربية، وطلبوا من مؤسسها تغيير اسمها العربي وهو " تذي الحرية" الى اسم تركي وهو " ياد يكار حريت" واضطروه بعد سنة من افتتاحها الى التخلي عن ادارتها لفرع جمعية الاتحاد والترقي في البصرة الاشراف عليها وسميت " مدرسة الاتحاد والترقي" (٢١).

انتهج الاتحاديون بعد مدة قصيرة من الانقلاب عام ١٩٠٨م سياسة قائمة على استخدام المدارس كمركز انشر افكارهم ومبادئهم، وتمثلت تلك السياسة بأوسع اشكالها عندما افتتحوا عدد من المدارس الملحقة بجمعية الاتحاد والترقي حملت اسم " اتحاد وترقي مكتبي"، وحاولوا جعلها نموذجية في كل شيء، اذ اوكلت ادارة هذه المدارس تنظم شؤونها الى لجنة خاصة " قومسيون"، تم تشكيلها في كل مدرسة من هذه المدارس (٢٢)، وجرى اختبار معلمي هذه المدارس من بين اعضاء جمعية الاتحاد والترقي بهدف تلقين الطلبة اهداف ومبادئ جمعية الاتحاد والترقي (٢٣)، ومن بين هذه المدارس مدرسة الاتحاد والترقي في البصرة (٢٤)، ومدرسة في الموصل (٢٥)، والثالثة في السليمانية (٢٦)، وجرى افتتاح ٨ مدارس في بغداد خمس منها للذكور وثلاث للإناث (٢٧).

الرفض العربي لحكم الاتحاديين في العراق.

وردا على سياسة الاتحاديين التعليمية جرى افتتاح بعض المدارس الاهلية نذكر منها مدرسة الترقى والجعفري العثماني في بغداد^(٢٨), ودار العرفان الابتدائية في الموصل^(٢٩), وكان لهذا المدارس دورها في نشر الوعي القومي بين الطلاب وبث الشعور المعادي للاتحاديين, وقد استمرت هذه المدارس في ممارسة نشاطاتها السياسية والتعليمية حتى الاحتلال البريطاني للعراق^(٣٠).

ولقد اعتقد العراقيون والعرب أن الانقلاب الدستوري العثماني في ٢٣ تموز عام ١٩٠٨ فرصة لرفع الظلم عنهم ومساعدتهم في ادارة امورهم بنفسهم انطلاقا من المبادئ والشعارات التي رفعها الاتحاديون المتمثلة بالحرية والاخاء والمساواة لكن اعتقادهم لم يكن في محله اذ أن الاتحاديون سرعان ما تنكروا لمبادئهم وشعاراتهم وبدأوا يطبقون سياسة التتريك تجاه القوميات الغير تركية^(٣١), وكانت للسياسة العدائية التي اتبعها الاتحاديين ردود فعل متباينة في ولايات العراق متخزة جميعها الرفض لهذه السياسة بعدة طرق فمرة كانت عن طريق الجمعيات الاحزاب والنوادي العربية, ومرة عن طريق الانتماء للحزاب غير العربية المناوئة للاتحاديين وفي مقدمتها الحزب الحر المعتدل وحزب الحرية والائتلاف, ومرة عن طريق موقف العراقيين من الانتخابات النيابية ووقوف نوابهم بوجه سياسة الاتحاديين في المجلس النيابي^(٣٢).

المواقف التي اتخذها الرفض العراقي لحكم الاتحاديين.

بدأ الرفض العراقي لسياسة الاتحاديين باستقالتهم من عضوية حزب الاتحاد والترقي والبدء بتشكيل احزاب معارضة لهذه السياسات تمثلت في عدة مجالات, حيث أخذت تتجمع حول "حزب الحرية والائتلاف التركي" الذي افتتح فرعه في بغداد عام ١٩١١م, وتحولت هذه الجمعيات فيما بعد نتيجة لسياسة الاتراك العنصرية الى تكوين تجمعات عراقية ذات ارتباطات غربية وليس تركية وبرزها, النادي الوطني في بغداد عام ١٩١٢م, والجمعية الاصلاحية في البصرة عام ١٩١٢م, وكلاهما تتبنى افكار حزب "اللامركزية الذي تأسس في مصر^(٣٣).

وفي الموصل حيث قام سليمان فيضي وهو من القوميين العرب في البصرة من تشكيل جمعية قومية عربية وكان ذلك بتكليف من طالب النقيب الذي ارسله الى الموصل عام ١٩١٣م^(٣٤)، وقد انضمت الى هذه الجمعية شخصيات كبيرة امثال "ياسين الهاشمي، ومولود مخلص وبفضل قوته ارغمت الدولة العثمانية على عقد الاتفاق معه في عام ١٩١٤م، وعلي جودت، وعبدالله الدليمي واخرون، الا أن هذه الجمعية لم يكتب لها النجاح والاستمرار، لقد كان لطالب النقيب دور واضح في هذه الفترة فبعد أن لمس العداء الواضح للاتحاديين قرر الاستقالة من هذا الحزب وتكوين او الانضمام الى "حزب الحر المعتدل" الذي كان يقوده عبد الرحمن النقيب، وفي تموز عام ١٩١١م، اسس اول فرع عراقي "لحزب الحرية والائتلاف" الذي تشكل من العوائل الثيرة في البصرة وكانت اهدافه: تحقيق المساواة بين العرب والأتراك.^(٣٥)

وبعدها بتأسيس "الجمعية الاسلامية" في البصرة عام ١٩١٣م، والتي تحمل نفس النهج والافكار التي تبناها "حزب اللامركزية" في القاهرة، وتبنى في هذه الجمعية برنامجا جديدا يعترف فيه بسيادة الامبراطورية العثمانية على العراق الا أن يطالب بوجود أن يكون الولاة عراقيين وان تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة.^(٣٦)

المبحث: الثالث.

اجراءات الاتحاديين في العراق امام الرفض لحكمهم.

شهد العراق خلال فترة "١٩٠٨ - ١٩١٤" تطورات جديدة عبرت عن الرفض العراقي لسياسة الاتحاديين.

فبعد أن كان من المتوقع أن تجرى الانتخابات في ظل من الحرية، نجد أن الاتحاديين سرعان ما أظهروا العداء لكل القوميات الاخرى وخاصة العرب، فقد تدخل الاتحاديين في سير الانتخابات وزيفوها لكي يؤقنوا الاغلبية في المجلس.

وهنا بدأ السعي الى ممارسة حقهم بالقوة، وبدأت اولا بمطالب العراقيين قي "المنتدى الادبي"^(٣٧)، وهي أن يكون للعرب برلمان وحكومة خاصة بهم، وقد كان احد اسباب ميول الساسة العراقيون الى الانضمام الى الحزب "الحر المعدل" الذي تأسس في اسطنبول عام ١٩٠٩م^(٣٨)، هو أن المادة من منهجية نصت على التمثيل النسبي لمختلف القوميات في

الحكومة والبرلمان والدوائر الحكومية، إذ أتاحت ثورة الاتحاديين الفرصة امام العراقيين لممارسة اول تجربة برلمانية اسهمت بدورها في رفع وتنامي الوعي السياسي العراقي، فبعد أن اضطر السلطان عبد الحميد الثاني الى اعادة العمل بالدستور ودعوته الى مجلس المبعوثات للانقضاء، نجد هنا دور العراقيين في ممارسة حق الترشيح والانتخابات بأسلوب لم يسبق له مثيل، مما ساعدهم على خوض تجربة جديدة في الحياة السياسية العراقية، لم يحق تمثيل العراقيين في البرلمان الجديد بتباعد او ترحيب من قبل الاتحاديين، وانما تمثل بالعداء الشديد الى درجة الحقد على اعضائه وقده اتضح ذلك في معارضتهم لسياسة العراقيين، حتى أنهم عملوا على ابعاد طالب باشا عن كرسي النيابة حتى عملوا على اعادة انتخابات البصرة ثلاث مرات متتالية لأجل تغييره الا أنهم فشلوا بذلك، وفي الدورة الثانية بلغ تدخلهم الى درجة تعيين متصرف جديد هو "حسن كاظم بيك"، الا أن موقف الساسة العراقيين والعشائر وخاصة المنتفك رفضوا الازعان لرغبات المتصرف الاتحاديين، واسفرت الانتخابات عن فوز معارضي الاتحاديين وابرزهم: "عبدالله نديم صائب، وعبد الحميد الشاوي، وسليمان الفيضي" مما ادى بالمتصرف أن يقوم بالانتقام من ذلك محاولا تجريدهم من اراضيهم وفي بغداد اتخذ التعبير عن المعارضة للاتحاديين اشد وانكى، وفي بعضها اتخذ شكل الصدام المسلح مع السلطات المحلية، وهذا ما حصل مثلما حصل في الديوانية التي شهدت في الدورة الانتخابية الثانية حوادث اطلاق النار التي لم يسلم منها حتى متصرف اللواء^(٣٩).

إذا فقد عمل الاتحاديين شتى الوسائل والاساليب لا نجاح مرشحهم في انتخابات اعضاء مجلس المبعوثات في العراق، مستقلين قانون الانتخابات الذي يسمح لأي شخص مستكمل الشروط أن يرشح نفسه لعضوية المجلس النيابي من أي منطقة دون التقيد بكونه من ابنائها، ولم ينجحوا على الرغم من قيام الوالي "جمال بيك ١٩١١ - ١٩١٢" المعروف بشدته وقوته باتباع مختلف وسائل التهديد لا نجاح المرشحين الاتحاديين^(٤٠).

ومع اشتداد سياسة التعصب العنصري والبطش للاتحاديين تجاه العرب، اخذت قواهم تتوحد وتتجسد في المؤتمر العربي الاول الذي عقد في باريس عام ١٩١٣، والذي كان هدفه تعريف الرأي العام بمطالب العرب القومية والعمل على توحيد الجهود العربية الخالصة^(٤١).

وقد مثل العراق في هذا المؤتمر "توفيق السويدي, وسليمان عنبر", وتلقى ايضا برقيتنا تأييد من العراقي, الاولى من السيد طالب النقيب في البصرة, والثانية من بغداد والتي مثل مثلها" بكر صدقي"^(٤٢).

وحيال تفاقم هذه الازمة والمعارضة الفكرية والصحفية اتخذت حكومة الاتحاد والترقي قرارات هامة في ٢٤ كانون الاول عام ١٩١٤, منها اقصاء الضباط العرب من العاصمة, وتطوير الحركة الاصلاحية المعارضة, والغاء الاحزاب العربية كلها ومراقبة العناصر الاصلاحية وظلت هذه القرارات سرية ونفذت بالتدرج وبمهارة فائقة^(٤٣).

المبحث: الرابع.

الصراع العراقي - الاتحادي " وظهور الاطماع الاجنبية.

لم تدرك الدولة العثمانية الخطر الذي يحيط بها, لا ولا العراقيين الذين صار همهم الاكبر هو تحقيق الانفصال عن جسم الدولة العثمانية, وبين هذا وذاك كانت الاطماع الاجنبية وخاصة البريطانية تتغلغل في عروق العراق وهم نائمون.

قم وجود فئة من الذين يحاولون الانتقام والتخلص من العثمانيين يقابله الضعف المتدرج من قبل الاتحاديين, وجدت بريطانيا من ذلك ارضا خصبة لتزايد نفوذهم وسيطرتهم على العراق, وقد اوضح اللورد كيرزن في عام ١٨٩٢م اهمية العراق بقوله "بغداد تقع ضمن موانئ الخليج ويجب أن تدخل في ضمن السيادة البريطانية بلا منازع"^(٤٤), واكد على هذه الاهمية مرة اخرى في عام ١٩١١م اذ قال "من الخطأ نفترض أن مصالحنا السياسية تنحصر في الخليج بين البصرة وبغداد وانما تمتد شمالا الى بغداد نفسها"^(٤٥).

تأكيدا لهذه الاهمية بدأت الجهات السياسية الفكرية البريطانية بوضع الخطط العسكرية لاحتلال جنوب العراق قبل الحرب العالمية الاولى, فقد شكلت حكومة الهند لجنة رباعية في عام ١٩١١م لتقويم بدراسة الاجراءات التي يجب أن تتخذها لحماية مصالحها في العراق الجنوبي وقد خرجت اللجنة بتوجهاتها في كانون الثاني عام ١٩١٢م والتي اوصت باحتلال الفاو والبصرة, وعلى الرغم من عدم الاخذ بمقترحات هذه اللجنة في وقتها الا أن القناصل في بغداد والبصرة والموصل اخذو بأعداد اللازم تنفيذها لهذه المقترحات في المستقبل حيث

قاموا بجمع المعلومات عن الجيش العثماني بأعداده ومراكزه وكذلك جمع الخرائط التي تسهل لها عملياتهم العسكرية.

عندما بدأت الحرب العالمية الاولى في اب عام ١٩١٤ م, ودخول الدولة العثمانية الى جانب المانيا في تشرين الثاني عام ١٩١٤م, صدرت التعليمات البريطانية الى العميد ديلامين للتوجه الى الفاو^(٤٦), ونزلت القوات البريطانية في ٦ تشرين الثاني, وفي ٢٢ كانون الثاني دخلت هذه القوات البصرة ومنها بدأت بالتحرك نحو بغداد^(٤٧).

موقف العراقيين من الحرب العالمية الاولى, واسبابه.

امام موقف العراقيين من الحرب العالمية الاولى فقد أنقسم الى اتجاهين, حيث رأى القسم الاول ضرورة مساندة بريطانيا والاتفاق معها ضد الاتراك ولكن ضمن شروط محددة تتمثل بقيام ثورة عربية ضد الاتراك ومساندة بريطانيا مقابل تعهداها باعلان دولة عربية وكان يمثل هذا الاتجاه طالب النقيب الذي بادر في تشرين الاول عام ١٩١٤م الى الاتصال ببريطانيا.

الا أنه لم يحدث بينهم اي اتفاق او تعهد مما كانت سببا في أن يتوجوا خوفا وشكوكا من بريطانيا.

اما القسم الثاني, فهم الذين كانوا متأثرين بالنزعات الاصلاحات الاسلامية والذين قرر مساندة الاتراك للوقوف بوجه الاحتلال البريطاني.

وامام تسارع الاحداث وموقف الدولة العثمانية من القومييين العرب وثوراتهم وخاصة الاعدامات في سوريا بحق القومييين على يد " جمال باشا السفاح", والهزائم المتوالية للعثمانيين كل هذا ادى الى استحالة تحقيق التعاون مع الاتراك, وبذلك شجعت من تنامي الاقوال المناوئ بضرورة التقرب من بريطانيا, ومع كل هذا لم تتقدم القوات البريطانية الى العراق بسهولة, وبعده أن احتلت البصرة في ٥ ترين الثاني ١٩١٤م, وبعدها احتلت العمارة في ٣ حزيران عام ١٩١٥م, وبعدها احتلت الناصرية في ٢٥ تموز عام ١٩١٥م, بعد معارك دامية وبذلك الطوق حول الخليج العربي^(٤٨).

وبعد ذلك تعرضت الحملة البريطانية التي تقدمت نحو الكوت بقيادة الجنرال "طاووزند" الى انتكاسة كبيرة حيث قامت القوات العثمانية بمحاصرة القوات البريطانية البالغ عددها ١٣٠٩^(٤٩).

في ٢٩ نيسان عام ١٩١٥, وقد دام الحصار لمدة خمسة اشهر ولم تستطيع القوات البريطانية لاسترجاع مدينة الكوت مرة اخرى وتم اسير هذه القوات جميعها بما فيها قائد الحملة طاووزند الذي استسلم في ٢٩ نيسان عام ١٩١٦, الا أن العثمانيون لم يستثمروا هذا النصر ويزحفوا الى الجنوب لطر القوات البريطانية المنهارة, وأما ارسلوا قواتهم الى ايران لمحاربة القوات الروسية وهذا ما اضعف القوات العثمانية الموجودة في العراق والتي شجعت القوات البريطانية على استغلال ذلك وارسال حملة اخرى بقيادة الجنرال "ستانلي مود" في اوائل عام ١٩١٧م, وبعد معارك كبيرة اضطرت القوات العثمانية من الانسحاب من مدينة الكوت نحو المدائن الامر الذي شجع "ستانلي مود" على مواصلة التقدم نحو بغداد وتم له ذلك في ١١ اذار عام ١٩١٧م, ثم واصلا التقدم نحو مدينة سامراء ثم الرمادي وبعدها سارت الحملة نحو مدينة الموصل ودخلها دون قتال وتم عقد هدنة "مودروس"^(٥٠).

كان العراقيون يتأملون من الحرب العالمية الاولى فرصة للحصول على الاستقلال من خلال الثورة العربية على الدولة العثمانية التي وقفت الى جانب المانيا لكن الحلفاء بعد انتصارهم على المانيا وحلفائها نكثوا بوعودهم التي قطعوها" للشريف حسين بن علي"^(٥١), وهكذا انتهت العمليات العسكرية التي استمرت لأربعة سنوات دفع خلالها العراق الثمن الباهض حيث استنزفت رجاله وامواله في هذه الحرب التي جلبت الى العراق الولايات^(٥٢).

الحالة الاقتصادية في العراق خلال حكم الاتحاديين ١٩٠٨ - ١٩١٤.

شهد العراق خلال الحقبة الاخيرة من حكم العثمانيين تطور ملموس وتسايق خطير تمثل بالدول الاوربية التي وجدت من العراق طريقا لنقل البضائع الاجنبية وسقا لتصريف المنتوجات, وامام تنامي هذا التدخل كان يواجه عجز الدولة العثمانية عن مواجهة هذا النشاط الاستعماري^(٥٣).

بعد انقلاب الاتحاديون على السلطان عبد الحميد الثاني في عام ١٩٠٨, وعندما سيطروا الاتحاديين على الحكم, ولأنهم ادركوا أنه من العبث أن يظل مصدر تمويل الدولة

من الخراج والظرائب، اي تعيش الدولة في اقتصادها على الريع طالما استمر الاختلال الكبير في الميزان التجاري وميزان المدفوعات الناتج عن كون الدولة العثمانية كانت سوقا لتصريف البضائع الاجنبية ومصدر المواد الخام لها، مما افضى الى زيادة العجز المالي للدولة، ولذلك سعوا لأشراك الاهالي بشكل كبير في المسؤولية الاقتصادية وتوسيع القطاع الخاص لاسيما قطاع الصناعة، فأعفوا الآلات المستورة من الرسوم الكمركية^(٥٤)، واهتموا بتطوير طرق النقل البري والنهري، وهكذا تحدثت الدولة العثمانية اصلح لترجيح خياراتها الاقتصادية بصورة مرنة، فظهر في عهد "الوالي نجم الدين" ١٩٠٨ - ١٩٠٩، الزوارق التي تسير بمحركات في نهر دجلة، وقد شجع سكان بغداد على الاستفادة م ذلك عن طريق تأسيس شركة محلية للنقل النهري^(٥٥)، وفي عام ١٩١٢ تأسست شركة اهلية للسيارات لنقل الركاب بين بغداد وبعقوبة كانت تقطع المسافة في ٤٠ دقيقة واجرة الركاب خمسة فرنكات^(٥٦).

نشرت جرية الزوراء عام ١٩١٣ ما يؤكد تصميم الاتحاديين على الشروع باستكمال خطوات منهجهم الاقتصادي التي بدأوها في حكمهم، ولاسيما بعد انتهاء "الحروب الطرابلسية عام ١٩١١ - ١٩١٢، وحرب البلقان عام ١٩١٢ - ١٩١٣" فقاموا بتحويل الولاية حق اعطاء الاذن بإنشاء الترامواي المحجات الحديدية التي تسحبها الدواب^(٥٧).

وبعد تحسن طرق المواصلات وانشاء بعض خطوط الملاحة وبحكم موقعه المطل على الخليج العربي صار العراق سوقا مفتوحا للتغلغل الاقتصادي الاوربي، فبدأت البضائع الاستهلاكية المستورة تشكل سلاحا كبيرا يواجه البضائع المحلية التي بداء بالتدهور بسبب منافسة البضائع الاوربية، وهذا بدوره ادى الى تدمير الصناعات الوطنية وخاصة صناعة النسيج المشهود، ولم يقتصر الامر على صناعة النسيج فحسب وانما ليشمل ايضا صناعة النحاس المحلي الذي شهد فيما مضى ازدهارا كبيرا الا انه تقلص امام استيراد الاوربي المعدنية المطلية من اوربا^(٥٨)، ومن الغريب ايضا اننا نجد أن صناعة النفط المحلية في مندلي وهيت العجز امام منافسة نبط" باكو" الروسي ونبط الولايات المتحدة الامريكية، والذي ادى بها ان تغلق في ١٩١٠ في مندلي^(٥٩)، وهكذا ادى هذا التغلغل الاقتصادي الاوربي الى تحجيم الاقتصاد العراقي ومنعه من النمو والتطور.

الخاتمة والاستنتاجات.

. برز تغير واضح في سياسية الدولة العثمانية تجاه الوطن العربي خلال حكم الاتحاديين, اذ كان له الاثر الكبير في تنامي ظاهرة الرفض العربي لتلك السياسات معبرا من خلال تكوين الجمعيات والاحزاب التي اخذت على عاتقها التصدي لهذا الحكم, وبالتالي كان ذلك نقمة على الدولة العثمانية.

. فتح الانقلاب العثماني الذي قادة الاتحاديون الابواب ولأول مرة امام العراقيين لكي يدخلوا للمرة الاولى تجربة الانتخابات, وقد كشفت هذه التجربة عن وعيا لا مثيل له لدى العراقيين عن طريق مشاركتهم الفعالة في مجلس المبعوثات.

. كشف دخول العراقيين ومشاركتهم في مجلس المبعوثات حقدا وتآمرا من قبل الاتحاديين, وخاصة معارضي الحزب, وبذلك نمت هذه لدى العراقيين تشكيل احزاب وجمعيات معارضة لسياسة الاتحاديين عبرت من خلالها عن تنامي الوعي القومي العربي لديهم, مما ادى بهم بالمطالبة بضرورة منحهم للاستقلال.

. برزت الصحافة في هذه الفترة بنشاط لم يسبق له مثيل, اذ بدأت بانتقاد الولاة العثمانيين في بغداد, ومن ثم صارت تطالب صراحة بحقوق العراقيين وخاصة حقهم في التحرير والتخلص من السيطرة التركية, فضلا عن انها اتسمت ووصلت الى السبعين صحيفة بعد أن كانت قبل عام ١٩٠٨م لا تتجاوز الثلاث صحف.

. أن السياسة العنصرية والمركزية الشديدة التي اتبعها الاتحاديون في ادارة الولايات كان لها الاثر السيئ في تخلف الولايات العربية وتراجعها في جميع المستويات وخاصة العراق, وبذلك اصيب العراقيون بخيبة امل كبيرة بعد أن تعرضوا لشتى الاضطهادات من قبل هذه السياسة. كان من نتيجة السياسة التي اتبعها الاتحاديون, ومن ثم الرفض العراقي الشديد لها أن خلقت فجوة بين الجانبين ادت الى الصراع المستمر في الخفاء والعلن, وهذا بدوره قد ادى الى بروز ظاهرة الاستعمار الاجنبي للعراق وازدياد الاطماع فيه مستقلا بذلك حالة العداء والاهمال من قبل الاتحاديين.

. بعد أن رأينا السياسة المعادية للاتحاديين تجاه العراق, وبروز ظاهرة الاطماع الاجنبية فيه, نجد وللأسف ترحيبا من قبل بعض الاتجاهات العراقية, ظنا منهم بأن الوجود الاجنبي

ومساندته سوف يحول دون استمرار السياسة العثمانية المعادية، وبذلك كانت هذه المرحلة بمثابة انتكاسة كبيرة في تاريخ العراق، اخرجته من محنة الاتحاديين وادخلته في نفق الاحتلال المظلم.

اهم الاحزاب والجمعيات التي تشكلت في العراق في عهد حكم الاتحاديين ١٩٠٨ - ١٩١٤ , داخل العراق وخارجه.

. الجمعية العلمية والادبية في بغداد عام ١٩٠٧.

. جمعية اليد السوداء في اسطنبول عام ١٩٠٩ والتي نادى بسياسة العنف ضد اعضاء العرب في الاتحاد والترقي.

. جمعية الاخاء العربي - العثماني في اسطنبول عام ١٩٠٩.

. جمعية المنتدى العربي في اسطنبول عام ١٩٠٩.

. الجمعية القحطانية في اسطنبول عام ١٩٠٩.

. جمعية العربية الفتاة في باريس عام ١٩١١.

. الحزب الحر المعتدل فرع البصرة عام ١٩١١.

. حزب الحرية والائتلاف في بغداد عام ١٩١٢.

. حزب اللامركزية الادارية العثماني في القاهرة عام ١٩١٢.

. لجنة الاصلاح في بيروت عام ١٩١٢.

. جمعية العلم الاخضر في اسطنبول عام ١٩١٢.

. جمعية الاصلاح في البصرة عام ١٩١٢.

. النادي الوطني في بغداد عام ١٩١٢.

. جمعية العهد في اسطنبول عام ١٩١٣.

اشهر الصحف والمجلات التي كان لها دور كبير في العراق.

. صحيفة صدى بابل.

. صحيفة المصباح في بغداد، والرقيب.

. ومجلة "العلم، والهلال، والمقتطف، ولغة العرب".

المصادر

- أبراهيم خليل احمد, اوضاع التعليم في العراق بين سنتي ١٨٦٩ - ١٩١٤, التربية والتعليم, مجلة الموصل, عدد ٣, ٣ شباط ١٩٨١.
- أبراهيم خليل أحمد و خليل على مراد, دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر, جامعة الموصل, ١٩٩٢.
- ابراهيم خليل, وجعفر عباس حميدي, تاريخ العراق المعاصر, الموصل, دار الكتب للطباعة والنشر, ١٩٨٩.
- احمد ابراهيم خليل, ولاية الموصل, في تطوراتها السياسية ١٩٠٨ - ١٩١٨, رسالة ماجستير " غير منشورة" كلية الآداب, جامعة الموصل, ١٩٧٥.
- احمد بدوي كوران, تاريخ الثورة والاتحاد والترقي, اسطنبول, ١٩٤٨.
- أحمد بدوي كوران, تاريخ الثورة والشبان الترك, اسطنبول, ١٩٦٩.
- احمد صدقي شقيرات, تاريخ مؤسسة شيوخ الاسلام في العهد العثماني ٨٢٨هـ - ١٤٢٥ - ١٩٢٢م, المجلد الثاني, اربد, ٢٠٠٢.
- العماد مصطفى طلاس, الثورة العربية الكبرى, بيروت.
- العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥ - ١٩٣٠, ترجمة فؤاد قزانجي, تقديم ومراجع عبد الرزاق الحسني, دار الحرية, بغداد, ١٩٨٩.
- اورخان محمد علي, السلطان عبد الحميد الثاني حياته واحداث عصره, ط١, الانبار, ١٩٧٨.
- جميل موسى النجار, التعليم في العراق خلال العهد العثماني الاخير ١٨٦٩ - ١٩١٨, دار الشؤون الثقافية, ط١, بغداد, ٢٠٠٢.
- جورج أنطونيوس, يقظة العرب, تاريخ حركة العرب القومية, ترجمة. د ناصر الدين الاسدود, احسان عباس, ط٣, دار العلم للملايين, بيروت, ١٩٦٦.
- حسين لبيب, تاريخ المسلمة الشرقية, مصر, ١٩٢١.
- خيرية امين العمري, شخصيات عراقية, دار المعرفة, بغداد, ١٩٥٥.

- زين نور الدين زين، نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، ط٣، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٩.
- سعيد الافغاني، سبب خلع السلطان عبد الحميد.. وثيقة بتوقيعه، فريد مجهولة تصريح بسبب خلع السلطان وتقويض المملكة العثمانية، . . مجلة، العربي الكويتية، عدد ١٦٩، كانون الاول ١٩٧٢.
- شارل عيساوي، تاريخ الاقتصادي للشرق الاوسط وشمال افريقيا، ترجمة: سعد رحى، دار الحداثه، بيروت، ١٩٨٥.
- شارل عباوي، التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب ١٨٠٠ - ١٩١٤، ترجمة. د رؤوف عباس حامد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٠، ص ٢٧٢.
- صالح محمد العابد، العراق اواخر العهد العثماني " ١٨٧٢ - ١٩١٤.
- عبد القادر عبد الرزاق احمد، السياسة الخارجية التركية تجاخ العراق ١٩٥٨ - ١٩٦٧، رسالة ماجستير " غير منشوره" المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٤.
- عبد الرزاق عبد الدراجي، جعفر ابو التمن ودوره في الحركة الوطنية العراقية ١٩٠٨ - ١٩٤٥، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨.
- عبد الامير محسن جبار، قراءة معاصرة في السياسة العثمانية تجاه المنطقة العربية، مهد الدراسات السياسية والدولية، بحث غير منشور.
- عباس العزاوي، تاريخ العراق بين الاحتلالين، الجزء السابع والثامن، شركة التجارة والطباعة المحدودة، ج٢، بغداد، ١٩٥٥ - ١٩٥٦.
- علي الباركان، فصول من تاريخ التربية والتعليم، ذكريات ووثائق، بغداد، ١٩٩٢.
- علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية " عوامل النهوض واسباب السقوط"، المنصورة، ٢٠٠٦.
- علاء موسى كاظم نورس، عماد عبد السلام، العراق في التاريخ، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٣.

- عوني عبد الرحمن, العلاقات العراقية- التركية ١٩٣٢ - ١٩٥٨, رسالة ماجستير " غير منشوره" المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية, الجامعة المستنصرية, ١٩٨٥.
- غانم سعيد التعليم الاهلي في العراق بمرحلة الابتدائية والثانوية, تطور ومشكلات, بغداد, ١٩٧٠.
- كينيت ماكينزي, تركيا في مرحلة انتقالية, عرض وتعليق: محمد عيسى الشرقاوي, مجلة الرابية, العدد ١٩٣٨, قطر, ٢٦ اذار ١٩٨٦.
- لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم, الخدمات العامة في العراق ١٨٦٩ - ١٩١٨, اطروحة دكتوراه, غي منشوره" كلية الاداب, جامعة الموصل, ٢٠٠٣.
- كاظم قره بكر, جمعية الاتحاد والترقي ١٨٩٦ - ١٩٠٩, اسطنبول, ١٩٥٧.
- لانكلي, كاثلين ام, تصنيع العراق, ترجمة محمد حامد الطائي ود جطاب صكار العاني, دار التضامن, بغداد, ١٩٦٣.
- محمد سلمان حسن, التطورات الاقتصادية في العراق, التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي ١٨٦٤ - ١٩٥٨, ج ١, المكتبة المصرية, صيدا, بيروت.
- محمد حسن ال ياسين, لمحات في تاريخ الكاظمية, مطبعة المعارف, بغداد, ١٩٧٠.
- محمود ثابت الشاذلي, المسألة الشرقية دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية ١٢٩٩ - ١٩٢٣, مكتبة وهيبة, القاهرة, ١٩٨٩.
- مذكرات. سليمان فيضي, تحقيق وتقديم باسل سليمان فيضي, ط٤, شركة مطبعة الاديب, بغداد, ٢٠٠٠.
- مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني, تقديم وترجمة. د محمد حرب, ط٤, دار القلم, دمشق, ١٩٩٨.
- ميساء حامد الحاج سعيد, محمد رؤوف اللامي ١٨٩٠ - ١٩٦٨, دراسة تاريخية في نشاطه العلمي والسياسي, رسالة ماجستير " غير منشوره" كلية التربية, جامعة الموصل, ١٩٩٩.
- هاشم صالح التكريتي, ثورة الاتحاديين في ١٩٠٨, وموقف بريطانيا منها, بحث غير منشور.

- نور الدين حاطوم وآخرون، المدخل الى التاريخ، ف٩، دمشق، ١٩٦٥.
- وميض جمال عمر وآخرون، التطور السياسي المعاصر في العراق، بغداد.
- مجلة لغة العرب، المجلد ٣، ج ٦، تشرين الثاني، ١٩١٣.
- جريدة الزوراء، العراقية، عدد ٢٤٨٢، ٤ ايلول ١٩١٣.
- جريدة الرقيب، عدد ٢٤، ٢ جماد الاخر، ١٩٠٩.
- جريدة الرقيب، عدد ٢٤، ٢ جماد الاخر، ١٩٠٩.
- جريدة صدى بابل، عدد ١٣، ٥ تشرين الثاني، ١٩٠٩.
- جريدة الرقيب، عدد ٢٥، ٨ رجب، ١٩٠٩.

الهوامش:

- (١) عبد القادر عبد الرزاق احمد، السياسة الخارجية التركية تجاخ العراق ١٩٥٨ - ١٩٦٧، رسالة ماجستير " غير منشوره" المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٤، ص ٦١.
- (٢) علاء موسى كاظم نورس، عماد عبد السلام، العراق في التاريخ، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٣، ص ٦٤٢.
- (٣) عبد الامير محسن جبار، قراءة معاصرة في السياسة العثمانية تجاه المنطقة العربية، مهد الدراسات السياسية والدولية، بحث غير منشور، ص ٣.
- (٤) علاء موسى كاظم نورس، عماد عبد السلام، العراق في التاريخ، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٣، ص ٦٤٢.
- (٥) تشكلت اول نواة لهذه الجمعية في اسطنبول على يد ابراهيم تيمو وكانت في بدايتها باسم " تركيا الفتاه، ذكريات ابراهيم تيمو مؤسس جمعية الاتحاد والترقي والعضو ١/١ فيها عن الاتحاد والترقي، اسطنبول، ١٩٨٧، وميض جمال عمر وآخرون، التطور السياسي المعاصر في العراق، بغداد، ص ٣٦.
- (٦) هاشم صالح التكريتي، ثورة الاتحاديين في ١٩٠٨، وموقف بريطانيا منها، بحث غير منشور، ص ٧، وميض جمال عمر وآخرون، التطور السياسي المعاصر في العراق، بغداد، ص ٣٦.
- (٧) حسين لبيب، تاريخ المسئلة الشرقية، مصر، ١٩٢١، ص ٩٠.
- (٨) علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية " عوامل النهوض واسباب السقوط"، المنصورة، ٢٠٠٦، ص ٤٩، هاشم صالح التكريتي، ثورة الاتحاديين، المصدر سابق، ص ٧.
- (٩) اورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني حياته واحداث عصره، ط ١، الانبار، ١٩٧٨، ص ٣٢١.
- (١٠) سعيد الافغاني، سبب خلع السلطان عبد الحميد.. وثيقة بتوقيعه، فريد مجهولة تصريح بسبب خلع السلطان وتقويض المملكة العثمانية، مجلة، العربي الكويتية، عدد ١٦٩، كانون الاول ١٩٧٢، ص ١٥٤، علي محمد الصلابي، المصدر السابق، ص ٤١٧.

- (١١) احمد صدقي شقيريات, تاريخ مؤسسة شيوخ الاسلام في العهد العثماني ٨٢٨هـ - ١٤٢٥ - ١٩٢٢م, المجلد الثاني, اريد, ٢٠٠٢, ص ٣٣٦, وميض جمال عمر وآخرون, المصدر السابق, ص ٢٢٤.
- (١٢) نور الدين حاطوم وآخرون, المدخل الى التاريخ, ف٩, دمشق, ١٩٦٥, ص ٥٣٩, محمود ثابت الشاذلي, المسألة الشرقية دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية ١٢٩٩ - ١٩٢٣, مكتبة وهيبة, القاهرة, ١٩٨٩, ص ١٨٥.
- (١٣) نور الدين حاطوم وآخرون, المصدر سابق, ص ٥٢٨.
- (١٤) احمد بدوي كوران, تاريخ الثورة والاتحاد والترقي, اسطنبول, ١٩٤٨, ص ٣٠.
- (١٥) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني, تقديم وترجمة. د محمد حرب, ط٤, دار القلم, دمشق, ١٩٩٨, ص ١٣١.
- (١٦) زين نور الدين زين, نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية, ط٣, دار النهار للنشر, بيروت, ١٩٧٩, ص ٨١.
- (١٧) جميل موسى النجار, التعليم في العراق خلال العهد العثماني الاخير ١٨٦٩ - ١٩١٨, دار الشؤون الثقافية, بغداد, ٢٠٠٢, ص ٨٤.
- (١٨) احمد بدوي كوران, تاريخ الثورة والشبان الترك, اسطنبول, ١٩٦٩, مجلة لغة العرب, المجلد ٣, ج ٦, تشرين الثاني, ١٩١٣, ص ٣٣٢, جميل موسى النجار, المصدر سابق, ص ٨٥.
- (١٩) وميض جمال عمر وآخرون, المصدر سابق, ص ٤٠.
- (٢٠) جمال موسى النجار, التعليم في العراق, المصدر سابق, ص ٣١٥.
- (٢١) ابراهيم خليل احمد, اوضاع التعليم في العراق بين سنتي ١٨٦٩ - ١٩١٤, التربية والتعليم, مجلة الموصل, عدد ٣, ٣ شباط ١٩٨١, ص ٧١, كاظم قرة بكر, جمعية الاتحاد والترقي ١٨٩٦ - ١٩٠٩, اسطنبول, ١٩٩٣, جمال موسى النجار, المصدر سابق, ص ٣١٦.
- (٢٢) جريدة الرقيب, عدد ٢٤, ٢ جماد الاخر, ١٩٠٩, غانم سعيد, التعليم الاهلي في العراق بمرحلة الابتدائية والثانوية, تطور ومشكلات, بغداد, ١٩٧٠, ص ٤٤.
- (٢٣) ابراهيم خليل احمد, ولاية الموصل, في تطوراتها السياسية ١٩٠٨ - ١٩١٨, رسالة ماجستير " غير منشورة" كلية الآداب, جامعة الموصل, ١٩٧٥, ص ٣٩.
- (٢٤) جريدة الرقيب, عدد ٢٤, ٢ جماد الاخر, ١٩٠٩.
- (٢٥) ابراهيم خليل احمد, ولاية الموصل, المصدر سابق, ص ٣٩.
- (٢٦) جريدة صدى بابل, عدد ١٣, ٥ تشرين الثاني, ١٩٠٩.
- (٢٧) جريدة الرقيب, عدد ٢٥, ٨ رجب, ١٩٠٩, محمد حسن ال ياسين, لمحات في تاريخ الكاظمية, مطبعة المعارف, بغداد, ١٩٧٠, ص ٢٥.
- (٢٨) علي البازركان, فصول من تاريخ التربية والتعليم, ذكريات ووثائق, بغداد, ١٩٩٢, ص ٥٢ - ٦٠.

- (٢٩) ميساء حامد الحاج سعيد, محمد رؤوف اللامي ١٨٩٠ - ١٩٦٨, دراسة تاريخية في نشاطه العلمي والسياسي, رسالة ماجستير " غير منشوره" كلية التربية, جامعة الموصل, ١٩٩٩, ص ٨٥-٨٨.
- (٣٠) لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم, الخدمات العامة في العراق ١٨٦٩ - ١٩١٨, اطروحة دكتوراه, غي منشوره" كلية الاداب, جامعة الموصل, ٢٠٠٣, ص ٦٣.
- (٣١) أبراهيم خليل أحمد و خليل على مراد, دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر, جامعة الموصل, ١٩٩٢, ص ٢٢٢.
- (٣٢) جورج أنطونيوس, يقظة العرب, تاريخ حركة العرب القومية, ترجمة. د ناصر الدين الاسودد, احسان عباس, ط ٣, دار العلم للملايين, بيروت, ١٩٦٦, ص ١٤٩.
- (٣٣) وميض جمال عمر وآخرون, المصدر سابق, ص ٤٥.
- (٣٤) وميض جمال عمر وآخرون, المصدر سابق, ص ٤٧.
- (٣٥) مذكرات سليمان فيضي, المصدر سابق, ص ٧٧, خيرية امين العمري, شخصيات عراقية, دار المعرفة, بغداد, ١٩٥٥, ص ٢٣-٢٤, وميض جمال عمر وآخرون, المصدر سابق, ص ٤٧.
- (٣٦) العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥ - ١٩٣٠, ترجمة وتحرير فؤاد قزانجي, تقديم ومراجع عبد الرزاق الحسني, دار الحرية, بغداد, المادة رقم ١٣, ١٩٨٩, ص ١١٠, وميض جمال عمر وآخرون, المصدر سابق, ص ٤٩.
- (٣٧) وميض جمال عمر وآخرون, المصدر سابق, ص ٦٥.
- (٣٨) العماد مصطفى طلاس, الثورة العربية الكبرى, بيروت, ص ٦٥.
- (٣٩) هاشم صالح التكريتي, ثورة الاتحاديين في ١٩٠٨, وموقف بريطانيا منها, بحث غير منشور, ص ٧, جمال موسى النجار, المصدر سابق, ص ٣٢٩.
- (٤٠) جمال موسى النجار, المصدر سابق, ص ٣٢٩.
- (٤١) علي محمد الصلابي, المصدر سابق, ص ٤١٧.
- (٤٢) وميض جمال عمر وآخرون, المصدر سابق, ص ٤٠.
- (٤٣) مصطفى طلاس, المصدر سابق, ص ٨٦.
- (٤٤) ابراهيم خليل احمد, وجعفر عباس حميدي, تاريخ العراق المعاصر, الموصل, دار الكتب للطباعة والمشر, ١٩٨٩, ص ١٠.
- (٤٥) المصدر نفسه, ص ١٠.
- (٤٦) ابراهيم خليل وجعفر عباس, المصدر سابق, ص ١٠.
- (٤٧) المصدر نفسه, ص ١١.
- (٤٨) عبد الرزاق عبد الدراجي, جعفر ابو التمن ودوره في الحركة الوطنية العراقية ١٩٠٨ - ١٩٤٥, دار الحرية للطباعة, بغداد, ١٩٧٨, ص ١١, ابراهيم خليل وجعفر عباس, المصدر سابق, ص ١١.

- (٤٩) علاء موسى كاظم وعماد عبد السلام, المصدر سابق, ص ٦٦٣.
- (٥٠) ابراهيم خليل جعفر عباس, المصدر سابق, ص ١١.
- (٥١) عوني عبد الرحمن, العلاقات العراقية- التركية ١٩٣٢-١٩٥٨, رسالة ماجستير "غير منشورة" المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية, الجامعة المستنصرية, ١٩٨٥, ص ١٣.
- (٥٢) كينيت ماكينزي, تركيا في مرحلة انتقالية, عرض وتعليق: محمد عيسى الشرقاوي, مجلة الراية, العدد ١٩٣٨, ١٩٣٨, قطر, ٢٦ اذار ١٩٨٦, ص ٢٦, ابراهيم خليل جعفر عباس, المصدر سابق, ص ١١.
- (٥٣) محمد سلمان حسن, التطورات الاقتصادية في العراق, التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي ١٨٦٤-١٩٥٨, ج ١, المكتبة المصرية, صيدا, بيروت, ١٩٦٥, ص ٢٨٣.
- (٥٤) شارل عيساوي, تاريخ الاقتصادي للشرق الاوسط وشمال افريقيا, ترجمة: سعد رحمي, دار الحداثة, بيروت, ١٩٨٥, ص ٢٩٢.
- (٥٥) مذكرات. سليمان فيضي, تحقيق وتقديم باسل سليمان فيضي, ط ٤, شركة مطبعة الاديبي, بغداد, ٢٠٠٠, ص ٧٩.
- (٥٦) عباس العزاوي, تاريخ العراق بين الاحتلالين, الجزء السابع والثامن, شركة التجارة والطباعة المحدودة, ج ٢, بغداد, ١٩٥٥-١٩٥٦, ص ٢٤٠.
- (٥٧) جرية الزوراء, العراقية, عدد ٢٤٨٢, ٤ ايلول ١٩١٣, لانكلي, كاثلين ام, تصنيع العراق, ترجمة محمد حامد الطائي ود جطاب صكار العاني, دار التضامن, بغداد, ١٩٦٣, ص ٤٥.
- (٥٨) شارل عيساوي, التاريخ الاقتصادي للهِلال الخصيب ١٨٠٠-١٩١٤, ترجمة. د رؤوف عباس حامد, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, ١٩٩٠, ص ٢٧٢, علاء موسى كاظم وعماد عبد السلام, المصدر سابق, ص ٦٤٩.
- (٥٩) علاء موسى كاظم وعماد عبد السلام, المصدر سابق, ص ٦٤٩.

الجدور التاريخية للصحافة في مصر

اسراء علي عبد الكريم

قسم التاريخ/ كلية التربية ابن رشد/ جامعة بغداد

Israa.Ali2105m@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

أ.د. نغم سلام إبراهيم

قسم التاريخ/ كلية التربية ابن رشد/ جامعة بغداد

nagham.salam@ircoed.uobaghdad.edu.iq

الجدور التاريخية للصحافة في مصر

اسراء علي عبد الكريم

أ.د. نغم سلام إبراهيم

الملخص:

مرت الصحافة المصرية بالكثير من المراحل، يرى البعض أن بدايتها كانت مع مجيء الحملة الفرنسية بينما يرى البعض أن الصحافة في مصر بدأت في عهد محمد علي، حيث شهدت مصر منذ توليه عهدًا جديدًا، وبدأت مظاهر التجديد تظهر على الحياة في مصر فأمر بإصدار "جورنال الخديوي" التي تضمنت شؤون البلاد وماليتها إلى جانب بعض القصص مثل ألف ليلة وليلة ثم قام بتوسيع نطاقها عام ١٨٢٨ باستخدام مطبعة بولاق؛ لتتحول إلى "الوقائع المصرية" تحت إشرافه وصدر أول عدد منها بالتركية والعربية. واهتمت الصحيفة بنشر أوامر الحكومة، وأخبارها وإعلاناتها؛ بجانب أخبار مصر الداخلية والخارجية. وقد ساهمة نشأة وظهور الصحافة في القرن الواحد والعشرون إلى صحة فكرية لبناء الدولة الحديثة مع بزوغ تيارات فكرية جديدة إلى جانب وجود الاحتلال البريطاني لمصر خلال هذه الفترة وبعدها بدء التطور الفعلي في القرن العشرين من خلال المنافسة الذاتية للصحف مع وسائل الإعلام الأخرى.

الكلمات المفتاحية: مصر، الصحيفة، الحملة الفرنسية على مصر، محمد علي باشا.

Historical development of Press in Egypt

Researcher: Israa Ali Abdel Karim

University of Baghdad / College of Education - Ibn Rushd / Department of History.

Israa.Ali2105m@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

prof. Dr. Nagham Salam Ibrahim

University of Baghdad/College of Education - Ibn Rushd/Department of History.

nagham.salam@ircoed.uobaghdad.edu.iq

Abstract

The Egyptian press went through many stages. Some believe that its beginning was with the advent of the French campaign, while others believe that the press in Egypt began during the reign of Muhammad Ali. Since his accession, Egypt witnessed a new era, and signs of renewal began to appear in life in Egypt, so he ordered the issuance of the "Journal of the Khedive." "which included the country's affairs and finances, in addition to some stories such as One Thousand and One Nights, and then he expanded its scope in 1828 using the Bulaq printing press; It turned into "Egyptian Facts" under his supervision, and its first issue was published in Turkish and Arabic. The newspaper was concerned with publishing government orders, news and announcements. In addition to Egypt's internal and external news. The emergence and emergence of the press in the twenty-first century contributed to an intellectual awakening to build the modern state with the emergence of new intellectual trends, in addition to the presence of the British occupation of Egypt during this period, after which the actual development began in the twentieth century through the self-competition of newspapers with other media outlets.

Keywords: Egypt, newspaper, French campaign against Egypt, Muhammad Ali Pasha.

أولاً: مفهوم الصحافة:

تعددت تعريفات الصحافة إذ تعرف الصحافة لغةً هي الصحيفة، و الكتاب وجمعها صحائف و صحف هي في المعاجم الحديثة كالمنجد والوسيط، مهنة من يجمع الاخبار والآراء و ينشرها في صحيفة أو مجلة و الصحيفة إضمامة من الصفحات تصدر يومياً أوفي مواعيد منتظمة بأخبار السياسة و الاجتماع و الاقتصاد. (١)

فيما عرفها آخرون كونها المهنة القائمة على الجمع وتحليل الاخبار والتحقق من مصداقيتها ،وتقديمها للجمهور، وغالباً ما تكون تلك الاخبار مرتبطة بمستجدات الاحداث على الساحة السياسية ،أو المحلية أو الثقافية أو الرياضية أو الاجتماعية ، وغيرها. (٢) و تعرف أيضاً بأنها من تصنع الصحفي اما القائمون على هذا العمل فهم الصحفيون ، و كان أول من استعمل لفظ الصحافة بمعناها الحالي ،هو الشيخ نجيب الحداد (٣) ، صاحب صحيفة (لسان العرب) في الاسكندرية في مصر وحفيد ناصيف اليازجي (٤)، واليه يرجع الفضل ثم قلده سائر الصحفيين بعد ذلك. (٥)

ثانياً: نشأة الصحافة المصرية:

شكل الإعلام الوظيفة الأساسية التي أبرزت ظهور الصحافة وصاحبها منذ نشأتها الحديثة في أوروبا في القرن السادس عشر بعد اختراع المطبعة ، وجرى توظيف الصحافة والاعلام طبقاً لطبيعة الانظمة السياسية الحاكمة ونوعية النظم الاجتماعية التي تسيطر على مصادر القوة و النفوذ السياسية والاقتصادية علاوة على التركيب الحضاري والثقافي للمجتمع ككل، وقد تفاوتت وظائف الصحافة من مجتمع إلى آخر، وتراوحت بين الإعلان والتثقيف والترفيه في المجتمعات الرأسمالية، والتعبئة والتوعية والتنظيم الجماعي والنقد الذاتي في المجتمعات الاشتراكية، ومساندة قضايا التحرر الوطني والتنمية المستقلة في دول العالم الثالث^(٦)، وقد أضيفت إليها التوثيق كوظيفة أخرى ترتبت على ثورة المعلومات وألقت على أكتاف الصحافة المعاصرة مسؤولية تجديد المعلومات وملاحقتها، فالصحافة والتوثيق يمثلان نقطة الاقتراب الوظيفي بين كل من الصحافة والتاريخ، وبذلك عُدت الصحافة المعاصرة مرجعاً وثائقياً لا يمكن تجاهله أو الاستغناء كمصدر للتاريخ ومدى اعتماد المؤرخين على الصحف كمصادر أولية أو ثانوية للبحوث والدراسات التاريخية، وان اختلف المؤرخون بوجه عام في نظرهم إلى الدور الذي تقوم به الصحف في البحوث التاريخية، ولكنهم يجمعون على شيء واحد هو أهمية المعلومات التي تتضمنها الصحف، وعدم استغناء المؤرخ عنها مهما شابها من تحيزات أو مبالغات، فهي كانت ولا تزال مصدراً أولياً هاماً للتاريخ المحلي والدولي ولدراسة التطور الاجتماعي والسياسي والثقافي للمجتمع^(٧).

الصحافة المصرية كغيرها من الصحافة العربية والعالمية كان لها تاريخها الغني بالأفكار والآراء والمبادئ، وزاخر بالتيارات الفكرية والادبية والفنية والاجتماعية التي هي اغلبها انعكاس للواقع انذاك^(٨)، وتُعتبر مصر من أولى الدول التي عرفت الصحافة بمعناها المتداول منذ القرن التاسع عشر، فبقدم الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨^(٩) على مصر التي أحضرت معها مطبعة عربية وأخرى فرنسية لعمل دعاية لوجود الحملة الفرنسية في مصر^(١٠).

برز دور الصحافة العربية في اواخر القرن الثامن عشر في القاهرة، اذ لا يمكن انكار اثر الحملة الفرنسية على مصر في الصحافة العربية فعلى الرغم من الآثار السلبية للاحتلال

لكن الاثر الايجابي الوحيد كان دور البعثة العلمية التي كان لها الفضل في إصدار ثلاثة صحف بواسطة المطبعة التي جلبتها معها، صحيفتان باللغة الفرنسية، والثالثة باللغة العربية وأسمها الحوادث اليومية وكان محررها إسماعيل بن سعد الخشاب^(١١)، بينما يسميها آخرون بالتبنيه، وتوقفت هذه الصحف بجلاء القوات الفرنسية عام ١٨٠١^(١٢).

ثالثاً: تطور الصحافة المصرية في عهد محمد علي باشا:

بالرغم من ان صدور هاتين الصحيفتين التي صدرتا خلال الحملة الفرنسية يمثلان بداية للصحافة المصرية والا انها جذبت أنظار المصريين لوجود فكرة المطبعة والصحيفة^(١٣) مرت مصر بسلسلة من التطورات عقب اجلاء القوات الفرنسية من مصر عام ١٨٠٢ حتى الت الامور الى محمد علي باشا لمسك زمام السلطة فيها^(١٤)

وعندما آلت الأمور بيده وأمسك بها تمكن من إقامة دولة قوية في مصر^(١٥) لتكون الشعاع الذي ينير كل البلاد التي يتكلم أهلها اللغة العربية فقد حاول إعادة بناء مصر وفق النظم الأوروبية السائدة آنذاك وقام بأصلاّت مهمة بمختلف الميادين^(١٦).

و اهتم محمد علي باشا بالطباعة والترجمة ولاسيما الكتب الأوروبية، للاستفادة منها في المدارس والمؤسسات الأخرى التي تحتاج الكتب فأرسل بعثة إلى ايطاليا لتعلم فن الطباعة وسبك الحروف وعندما عادت البعثة انشأ مطبعة بولاق^(١٧) عام ١٨٢١، وبعدها انشأ مصنع لتصنيع الورق داخل مدينة بولاق من أجل الاستغناء عن استيراد الورق من الدول الأوروبية^(١٨) فشهد عصره حق التعبير والنشر لذلك اصدر عام ١٨٢٣ أوامره بأن لا تطبع مطبعة الا بإرادة الوالي اوبإذن منه مما جعل حق النشر مقيد بموافقه وعلى الرغم من ذلك شهد عهده كل حركة فكرية تروج للمبادئ الدستورية^(١٩).

كان لأنشاء المطابع هدف اخر هو ترجمة الكتب من خلال أعضاء البعثات التي عادت من اوربا من اللغات الاجنبية إلى اللغة العربية، وتم طبع ونشر العديد من الكتب في كثير من المجالات العلمية والإنسانية حتى بلغ عدد الكتب المترجمة في عهد محمد علي باشا على يد خريجي مدرسة الألسن ما يقارب ٢٠٠٠ كتاب^(٢٠).

في ظل حرصه على إيجاد أداة اتصال تجعل أركان الإدارة على علم بما يجري وتجعل كل طرف فيها على معرفة بالصلة بين مهامه ومهام غيره من الأطراف المعنية، ولهذا

الغرض انشأ محمد على (قلم الجرنال) ليعيد خلاصة بكل ما يدور على ارض مصر من أحداث تتصل بالإنتاج الزراعي والصناعي والتجارة والإدارة بشتى فروعها، لتتجمع لديه صورة كاملة عن ما يجري وما تم انجازه، بما يتيح له الوقوف على كل صغيرة وكبيرة في البلاد، وكان (الجرنال) يقدم لمحمد علي مخطوطاً، ثم أمر بطباعة نسخ منه بالعربية والتركية في مطبعة القلعة توزع على كبار الموظفين وحكام الأقاليم،^(٢١) ثم انشأت صحيفة (جورنال الخديوي)^(٢٢) في عام ١٨٢٧م ولم يكن صدورها محددًا بزمن معين، بل وفق ما يأمر به الباشا، ولكن لم تتجاوز الفترة بين صدور جرنال وآخر العشرة أيام، واستمر الحال على هذا المنوال حوالي عشرة سنوات، فكان يصدر من الجرنال نحو المائة نسخة، ولتصبح يومية، واحتوت إلى جانب الأخبار الرسمية الحكومية، موضوعات ترفيهياً مقتبساً من (ألف ليلة وليلة) أو غيرها من كتب الطرائف التراثية حتى قرر الباشا تحويل هذه الدورية إلى جريدة تسمى "الوقائع المصرية" تجمع بين أخبار الحكومة، وما يتصل بحياة المحكومين من عامة الشعب، لتوجه إلى كافة الناس، وكان عدد النسخ المطبوعة منها لا يتجاوز ٦٠٠ نسخة توزع على العلماء وتلاميذ المدارس الخصوصية (العليا)، وكبار الموظفين المدنيين والعسكريين في مصر والحجاز والشام والسودان، فلم تكن الصحيفة متاحة للبيع أو الاشتراك لعامة الجمهور، إذ أتيح لمن يتقاضى مرتباً يصل إلى (ألف قرش شهرياً) وأن يكون من المشتركين في الجريدة، كما أن من كان راتبه عشرة جنيهات شهرياً يعد من عناصر الإدارة الوسطى، ولكن ذلك لا يمنع أن يكون صغار الموظفين على إطلاع عليها من خلال النسخ التي تصل لرؤسائهم^(٢٣).

وسرعان ما أن تحولت في الثالث من كانون الاول عام ١٨٢٨م إلى (الوقائع المصرية)^(٢٤)، التي كان ينشر فيها القرارات الرسمية^(٢٥) وعدت الوقائع المصرية اول الصحف العربية صدورا

وليتبعها صدور الصحيفة العسكرية عام ١٨٣٣ وهي من أولى الصحف المتخصصة التي ارتبط ظهورها ببداية حملة الجيش المصري على الشام وأصر المسؤولون على أن يصدر منها خمسة عشر عددا كل شهر، واهتمت بالجيش وأنظمة تحديثه وانتصاراته ثم صدرت صحيفة (الحوادث التجارية والإعلانات الملكية) في تشرين الاول عام ١٨٤٨ كانت

اول صحيفة متخصصة بالجانب الاقتصادي ويعود الفضل في تأسيسها ابراهيم باشا نجل محمد علي باشا الذي تولى الحكم بعد مرض والده ، و صدر من هذه الصحيفة خمسة عشر عددا كان آخرها في شهر شباط عام ١٨٤٩ . (٢٦).

مرت الحركة الفكرية بفترة مظلمة في عهد عباس باشا وسعيد باشا فقد أقفلت المدارس والمصانع والقضاء على كل معالم النهضة لكن وصول الخديوي اسماعيل إلى الحكم عام ١٨٦٣ ظهر تطورا كبيرا في الحركة الفكرية فقد اهتم بالتعليم وشهدت البلاد افتتاح عدد كبير من المدارس الجديدة، وانشاء عدد من الأبنية الثقافية كدار الكتب (الكتب خانة الخديوية) التي انشئت عام ١٨٧٠ أصدر الخديوي اسماعيل أوامر بأن تكون الكتب تتداول باللغة العربية واهتم اسماعيل بصحيفة الوقائع اهتماما كبيرا ونظم أمورها وعين لها خيرة المحررين والعمال . (٢٧)

رابعا: تطور الصحافة المصرية في عهد الخديوي إسماعيل:

أما المرحلة الثانية من حياة الصحافة المصرية عرفت (الصحافة الشعبية) إذ ظهرت في عهد الخديوي إسماعيل (٢٨) وعاصرت تيارات سياسية واجتماعية وثقافية، اذ مارست الصحافة المصرية دور في الحركة الوطنية باعتبارها أداة شعبية جرى توظيفها في النضال الوطني كأداة مهمة لمساندة الشعب في تحقيق الاستقلال عن الدولة العثمانية وإقامة دولة مصرية (٢٩) ، اذ كان الخديوي اسماعيل مؤمنا بالصحافة إيمانا كبيرا وشديد الولع بأقتدائه بالأوروبيين في كل صغيرة وكبيرة كان اول من اراد أن يكون في مصر نظام الحكم مستقل ومظاهر التحضر والتمدن و اراد أن يكون لمصر مجالس نيابية كما هي في أوربا ولو لم تكن حقيقية، وإذ كانت في أوربا صحافة شعبية إلى جانب الصحافة الرسمية فلم لا تمتلك مصر أيضا صحافة شعبية ولو كانت في حقيقة الأمر صورة دقيقة من الصحف الرسمية ولذا اقترن ظهور الصحافة الشعبية بظهور الخديوي إسماعيل . (٣٠)

اهتم الخديوي إسماعيل بالصحافة العربية المستقلة في مصر معنويا وماديا، وكذلك الصحافة العربية في الشام وغيرها من البلاد العربية فشهد عهده ظهور الصحافة الحرة في مصر، فأسس الأديب والشاعر عبد الله أبي السعود تلميذ رفاة الطهطاوي صحيفة (وادي النيل) الأسبوعية عام ١٨٦٦ التي كانت تصدر مرتين في كل أسبوع وكانت تطبع في

مطبعة شعبية في القاهرة واهتمت للحوادث الداخلية واخبار الاسبوع واخبار مجلس الشورى وإعلانات عن الصحف الجديدة التي تصدر في مصر والشام وغيرها من أقطار العالم الإسلامي، وتناولت الصحيفة الاعلان عن مطبوعات جديدة والاعلان عن كتب رجال العلم والأدب واول كتاب اهتمت بنشر رحلة ابن بطوطة^(٣١). ولكن الخديوي ضاق ذرعاً بإفراطها في نقد سياسته، فعطلها عام ١٨٧٤ وأعاد عبد الله أبي السعود إصدارها باسم (نزهة الأفكار)، واسس ابنه محمد أبي السعود صحيفة أسبوعية كانت تصدر كل يومين عام ١٨٧٤ هي (روضة الأخبار)^(٣٢) التي ظلت تصدر حتى عام ١٨٧٨، وكانت انموذجا لتطور التحرير الصحفي وتنوعت مابين المقال السياسي، والأخبار، والمقالات الأدبية، والمقالات المترجمة عن الصحافة الفرنسية في اغلب الأحوال، ويدحض وجود هذه الصحف الثلاث المقولة الشائعة عند كل من يؤرخون للصحافة العربية في مصر من أن البداية للصحافة الشعبية (غير الحكومية) جاءت على أيدي الشاميين مثل لويس صابونجي صاحب صحيفة (النحلة) التي بدأت في بيروت أسبوعية عام ١٨٧٠ برعاية الخديوي إسماعيل، وحموي صاحب صحيفة (شعاع الكوكب) الإاسبوعية عام ١٨٧٦، ثم بشارة وسليم تقلا صاحب صحيفة (الأهرام) عام ١٨٧٦ فقد مارس المثقفون المصريون من تلاميذ رفاة الطهطاوي^(٣٣) وتلاميذ جمال الدين الأفغاني^(٣٤) ومحمد عبده^(٣٥)، دورا هاما في تاريخ الصحافة المصرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقامت على اكتافهم أعمال التحرير في الصحف التي صدرت في ذلك العصر، بما في ذلك الصحف التي أسسها الشاميين في مصر. والى جانب الصحافة الحرة كانت هناك صحفاً ومجلات أخرى شبه رسمية سجلت بداية الصحافة المتخصصة في مصر، مثل وصدرت في عهد الخديوي اسماعيل مجلة (يعسوب الطب)^(٣٦) عام ١٨٦٥ وكانت اول مجلة طبية متخصصة في تاريخ الصحافة العربية وأول صحيفة سمحت للنساء بالكتابة فيها، من خلال نشر مقالات القابلة جليلة برهان كمال وكانت أول صحيفة عربية يطلق عليها لفظ مجلة وكانت توزع على الاطباء وطلاب مدرسة الطب وتصدر باللغة العربية بدلا عن التركية وتوقفت عن الصدور عام ١٨٧٠، ثم مجلة (روضة المدارس)،^(٣٧) التي صدرت عام ١٨٧٠ وكانت رائدة الصحافة الثقافية في مصر، وتولى رئاسة تحريرها رفاة الطهطاوي^(٣٨) ثم توالى على اثر

ذلك الصحف العربية في الصدور في شتى الاقطار العربية، حتى بلغ عددها عام ١٨٧٠ سبعاً وعشرين صحيفة ومجلة، وهو عدد معتبر في إطار الزمان والمكان، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار انتشار الامية بين السكان في ذلك القرن وندرة عدد المتعلمين في الاقطار العربية. (٣٩)

وقد جمع المؤرخون على أن الصحافة الشعبية مارست دوراً مهماً في الحياة السياسية والثقافية وكانت انعكاساً لها إذ ساعدت على خلق المعارضة السياسية داخل مجلس الشورى وخارجه، كما ساعدت في بلورة الحركة الوطنية في عهد الخديوي اسماعيل مما يعني أن هذا النوع من الصحافة يبين مدى تأثير الصحافة على المجتمع. (٤٠)

أن هذه النهضة التي شهدتها الصحافة في عصر الخديوي إسماعيل كانت نقلة نوعية في تطور الصحافة العربية في مصر شملت تنوع المادة، وتنوع المضمون، وتطور التداول والتحرير، والإخراج الصحفي. وقد انعكس ذلك كله على الصحافة المصرية حتى الربع الأول من القرن العشرين (على أقل تقدير) (٤١).

خامساً: الصحافة المصرية خلال فترة الاحتلال البريطاني:

كان لتحديات الاحتلال البريطاني تأثيراً كبيراً على الصحافة في مصر فبعد هزيمة العربيين في معركة التل الكبير الأمر الذي أدى إلى دخول القوات البريطانية إلى القاهرة عام ١٨٨٢ وعلى أثر ذلك اختلف موقف الصحافة ما بين مؤيد ومعارض ومحايد للوجود البريطاني، ومن أهم صحف هذه المرحلة التنكيت والتبكيث والطائف والمفيد والنجاح والسفير والفسطاط ومصر والاهرام والإسكندرية. (٤٢)

اذ سرعان ما صدر الاحتلال البريطاني للقاهرة امراً في ٢٣ كانون الأول من ١٨٨٢ بإلغاء صحف الزمان ، والسفير، والطائف، والمفيد، والنجاح من البلاد واختفت النديم وهكذا وضع المحتلون البلاد في ذهول كبير واخرسوا السنة الثورة العربية وكتموا انفاسها ، واستمال الاحتلال اليه بعد ذلك بعض الصحف مثل صحيفة الأهرام (٤٣) وصحيفة المحروسة لسليم النقاش (٤٤) وبعض الصحف الوطنية مثل صحيفة الوطن لميخائيل عبد السيد، وظلت الصحافة المصرية في قنوطها مدة لا تقل عن عشر سنوات افاقت بعدها من هذه الحالة وعادت الى كفاحها ضد المحتل، والحق انه وان كان للاحتلال البريطاني كارثة على البلاد

فان له مع ذلك فضلا كبيرا على الحركة الوطنية المصرية، وذلك ان الاحتلال هو الذي بعث في المصريين ميلا قويا إلى المقاومة بكل الطرق الممكنة.^(٤٥)

فظهرت صحيفة الاعلام ١٨٨٤ وكانت تصدر ثلاث مرات في الاسبوع اما صحيفة البيان فصدرت في ٣ آذار ١٨٨٤ وكانت سياسية علمية ادبية تجارية تاريخية فكاوية^(٤٦)، وأنشئت صحيفة العروة الوثقى ١٨٨٤ وهي الصحيفة الوحيدة التي كانت تعبر عن التيار الوطني في تلك الفترة وقد تم لها ذلك في مدينة النور والحرية بعيدا عن رقابة السلطات الانجليزية ، ومع ذلك فقد حالت هذه السلطات دون وصول الصحيفة إلى الديار المصرية فلم تكن تصل إلى بعض المصريين الا بالطرق السرية.^(٤٧)

بدأت المواجهة بين الصحافة المصرية وقوات الاحتلال البريطاني في بدايات عام ١٨٨٤ عندما بدأت صحيفة الاهرام تهاجم الاحتلال وتنتقده بعد ان كانت من المؤيدين للاحتلال البريطاني للقاهرة عام ١٨٨٢ بالاضافة صحيفة العروة الوثقى التي قاومت مقاومة مابين بلاغة العبارة والسخط على السياسية الاستعمارية، الأمر الذي دفع الانكليز بالعمل على إيجاد صحف موالية تدعم موقفه في سياسته التوسعية من هذه الصحف صحيفة الإعلام التي صدرت عام ١٨٨٤ وقد صدرت صحيفة القاهرة في تشرين الثاني ١٨٨٥ وكانت تصدر مرتين أسبوع وهي صحيفة سياسية ، وفي عام ١٨٨٦ صدرت صحيفة القاهرة الحرة وكان هدفها انتقاد سياسة بريطانيا العظمى في الشرق وتقبيح اعمال الحكومة العثمانية^(٤٨). وكذلك بالاضافة الى صحيفة المقطم التي صدرت عام ١٨٨٩ التي اتخذت موقفا معاديا لحقوق المصريين في الاستقلال إلا أن المصريين قاموا بذلك وانشأوا صحفا وطنية من ابرزها صحيفة المؤيد التي صدرت عام ١٨٨٩ التي مثلت لسان الحركة الوطنية وبسبب الاوضاع الداخلية المضطربة، بوجود الاحتلال البريطاني زادت من قوة الصحافة الوطنية منها صحيفة الزمان وصدى الشرق والمحروسة والمقتطف والاتحاد المصري، وبعدها أصدرت الحركة الوطنية صحيفة اللواء عام ١٩٠٠ محررها مصطفى كامل لصياغة رأي عام مناهض للاحتلال فضلا عن أنها كانت بداية الزعامة السياسية لمصطفى كامل وأصبحت اللواء رافدا مهما للحركة الوطنية واخذت دورها في نشر الوعي الوطني وفضح ممارسات الاحتلال البريطاني .^(٤٩)

في الفترة الثانية من فترات الاحتلال وهي الواقعة بين ١٨٨٩ - ١٩١٤ حدثت احداث جسيمة زادت من قوة الصحافة الوطنية بالرغم من زيادة النفوذ البريطاني ومن قسوته في معاملة الصحافة .^(٥٠) ولما تولي الخديوي عباس حلمي الثاني^(٥١) الحكم عام ١٨٩٢ أعطيت الصحافة دفعة جديدة وصدر عدد كبير من الصحف والمجلات والتي اشترك في تمويلها الخديوي نفسه.^(٥٢) ظهرت الصحافة النسائية في مصر التي كانت اول بلد عربي ولدت فيه الصحافة النسائية حيث ظهرت مجلة الفتاة التي صدرت عام ١٨٩٢ الا انها لم تستمر سوى عامين^(٥٣)

لم تكن الصحافة حكرا على الرجال قبل الحرب العالمية الاولى اذ ثم مجلتي الفردوس ومراة حسناء عام ١٨٩٦ اللتان صدرتا لعام واحد فقط ثم مجلة انيس الجليس التي صدرت في الاسكندرية عام ١٨٩٨ وتوقفت عام ١٩٠٨ وسرعان ماظهرت مجلة العائلة عام ١٨٩٩ وكذلك مجلة الهوانم عام ١٩٠٠ ثم ظهرت مجلات المرأة في الاسلام وشجرة الدر والمرأة عام ١٩٠١ ومجلة الريحانة عام ١٩٠٧ ومجلة العفاف عام ١٩١٠ ومجلة فتاة النيل عام ١٩١٣ وعند توقف اصدار الصحف والمجلات النسائية خلال فترة الحرب العالمية الاولى بأستثناء مجلة هوانم التي صدرت في الاسكندرية عام ١٩١٨^(٥٤) الا ان هذه المجلات لم تستمر طويلا حيث تتوقف بعد فترات قصيرة من صدورها بسبب مجموعة من العادات والموروثات الثقافية التي تؤثر بصورة سلبية في تحديد دور وحقوق المرأة وموقف المجتمع منها^(٥٥)

كان للصحافة الوطنية تأثير مباشر على الرأي العام في مرحلة مقاومة الاحتلال البريطاني ، وكان الوضع في مصر قائم على تعدد التيارات السياسية موقف هذه التيارات من الاحتلال واثرت الصحافة في نشأة الاحزاب السياسية في مصر وأول حزب برز على الساحة المصرية هو حزب الأمة عام ١٩٠٧ واسس صحيفة (الجريدة) ، وقد انفردت الحياة الحزبية في مصر في ظل الاحتلال البريطاني أن اغلب الاحزاب خرجت من دور الصحف فبدلا من تنشأ الاحزاب صحفاً ناطقة بأسمها انشأت الصحف احزابا كتجسيد مادي لارائها^(٥٦)

شعر الوطنيون المصريون بالحاجة الى صحيفة جديدة لا تلتزم اللين في مقاومة الاحتلال البريطاني، كما تفعل المؤيد ولا تذبذب في سياستها كما تفعل الاهرام، بل تكون

صريحة عنيفة في مجابهة الانجليز ولذلك صدرت العديد من الصحف المهمة ومنها اللواء^(٥٧) وكذلك والاهالي عام ١٩١٠ الشعب في عام ١٩١٣ وصدرت صحيفة السفر^(٥٨) عام ١٩١٨ .

نجحت صحيفة اللواء خلال سنوات قليلة دخلت خلالها في معارك عنيفة مع الاحتلال البريطاني وان تصبح صحيفة مصر الأولى، بلغ عدد النسخ المباعة منها من ١٣_١٥ ألف نسخة^(٥٩)، وشغلت صفحاتها الأولى بالمقالات السياسية ولعبت الصحيفة دور كبير في بث الروح الوطنية بين أبناء الشعب المصري مما اكسبها مركزا خاصا في الحياة الحزبية لذا قرر الحزب الوطني عام ١٩٠٨ أن تصبح صحيفة اللواء الناطقة بأسم الحزب الوطني^(٦٠).

وقد سارت الصحافة المصرية في خطين واضحين حتى قيام الحرب العالمية الاولى هما خط الصحافة الوطنية وخط الصحافة المعتدلة، وقد استطاعت الصحافة الوطنية في هذه الفترة ان تهاجم الاسرة المالكة والاستعمار وطالبت بالدستور والجلء والبرلمان ودعت الى انشاء الجامعة وايدت قصة تحرير المرأة وحققت عددا من الانتصارات فقد اضطرت الحكومة الى عرض مشروع قناة السويس امام الجمعية العمومية، وساعدت الصحافة على انشاء عدد من الاحزاب التي انشأت وصدرت قبل تشكيلها فانشات صحيفة المؤيد حزب الاصلاح وصحيفة اللواء الحزب الوطني وصحيفة الجريدة حزب الامة وكان من ابرز مواقف الصحافة انذاك تعطيل صحيفة الشعب في اوج قوتها حتى لاتنتشر قرارات اعلان الحماية على مصر^(٦١).

توقفت الصحافة خلال الحرب العالمية الاولى عن مهمتها الوطنية، وركدت الصحافة المصرية وتقلصت تدريجيا ولم يبق منها حتى نهاية الحرب سوى الصحف المعتدلة مثل المقطم والاهرام والوطن وقد خفضت عدد صفحاتهم وحققت الصحافة المصرية في هذه الفترة تطورا هاما للاسلوب فقد انتقل من الاسلوب الركيك الى الاسلوب التلغرافي كما تطور المضمون من طريقة المقدمات والاسهاب والاستطراد الى الكتابة الواضحة البعيدة عن الانشائيات^(٦٢).

الخاتمة

١. بدأت الصحافة العربية منذ النهضة الأدبية الحديثة التي حلت في القرن التاسع عشر على مصر إثر غزو الغرب للشرق.
٢. ظهرت الصحافة في مصر حين أنشأت أول مطبعة حكومية في عام ١٨٢٢ ميلادياً على يد محمد علي باشا والتي تسمى بمطبعة بولاق، وكانت هذه المطبعة مختصة بطباعة دليل الإدارة الرسمي وكذلك طباعة كتيبات الجيش والكتب المدرسية.
٣. تعد مطبعة بولاق أول مطبعة عربية تم إنشائها من قبل المسلمون في مصر، كما أنها أول مطبعة حكومية يتم إنشائها في قارة أفريقيا، وذلك بعيداً عن المطابع قصيرة الأجل التي أنشأت على يد نابليون بونابرت أثناء غزوه لمصر والتي تم إنشائها في الأساس لهدف عسكري.
٤. أما في فترة الثورة العربية فقد كانت الصحف المصرية بمثابة مسرح سياسي وفكري بين مؤيدي ومعارضى الثورة.
٥. شهدت أقلام الصحافة في تلك الفترة تبدل المواقف السياسية والفكرية لأصحابها، وقد أدى ذلك إلى مد الشعب بأفكار نيرة ساعدته على تشكيل مواقفه القادمة.

الهوامش:

- (١) مجد الدين محمد يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مج ١، ط ١١، دار الحديث ، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٩١٦ ؛ السعيد مزروع و فاطمة الزهراء زيدان ، ماهية الصحافة المتخصصة والصحافة الرياضية ، بحث منشور ، مجلة علوم وتقنيات النشاط البدني الرياضي ، ع ١٤ ، ٢٠١٧ ، ص ١.
- (٢) ماهر عودة الشمايلة و محمد عزت اللحام وآخرون، الصحافة المتخصصة، ط ١، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ٢٠١٥، ص ١٥ - ١٦.
- (٣) نجيب الحداد : ولد في الخامس والعشرين شباط عام ١٨٦٧ في بيروت هو حفيد العلامة ناصيف اليازجي وانتقلت أسرته إلى الإسكندرية عام ١٨٧٣ درس فيها وكان شاعرا واديبا وصحفيًا ومن كتاب القصص، عمل في عدة صحف ومجلات، عين أستاذاً للغة العربية والفرنسية وبعدها انتقل الى صحيفة الاهرام لينضم إلى كتابها وله ديوانا شعريا وعدد من المسرحيات = المترجمة توفي عام ١٨٩٩، للمزيد ينظر : عادل الغضبان ، الشيخ نجيب الحداد ، دار المعارف، مصر، ١٩٥٣، ص ١٥ - ٢٥.

(٤) ناصيف اليازجي: أديب لبناني ذات الاصول السورية ولد عام ١٨٠٠ في لبنان كان والده كاتباً وطبيباً واديباً تلقى علومه الأولية على يد أبيه فجمع بذلك الصرف والنحو والبيان واللغة والشعر، وأتقن المنطق وكان له اطلاع واسع في الطب والفلسفة والشعر والفقهاء توفي عام 1871، للمزيد ينظر: سامي الدهان، قدماء معاصرون، دار المعارف، مصر، ١٩٦١، ص ١٤٨، ١٣٤؛ خير الدين الزركلي، موسوعة الإعلام، ج ٧، ط ١٥، دار العلم، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٥) محمد صاحب سلطان، وسائل الإعلام والاتصال، دراسة في النشأة والتطور، ط ١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ٢٠١٢، ص ٤٧ .

(٦) عواطف عبد الرحمن، هموم الصحافة والصحفيين في مصر، ط ١، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٠ .

(٧) عواطف عبد الرحمن، المصدر السابق، ص ١٠. وللمزيد يُنظر إلى: عواطف عبد الرحمن الصحيفة كوثيقة تاريخية، متى ولماذا، مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، يناير ١٩٨٢م؛ خليل صابات، وسائل الإعلام نشأتها وتطورها، ط ١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م؛ سمير عبد العزيز كرامي، الصحافة النسائية في الوطن العربي، ط ١، دار النهضة العربية، لبنان، ٢٠٠٨م، ص ٣١-٣٤ .

(٨) جبران اسكندر رفيق، تطور الصحافة المصرية منذ عهد محمد علي حتى نشأة الاحزاب السياسية، ١٨٠٥ - ١٩٠٧، بحث منشور، مجلة آداب الفراهيدي، ع ٢٢، ٢٠١٥، ص ٢٧٤ .

(٩) الحملة الفرنسية: عملية عسكرية قامت بها فرنسا بقيادة نابليون بونابرت على مصر عام ١٧٩٨ بهدف حماية المصالح الفرنسية ومنع انكلترا من الوصول الى الهند والسيطرة على الطرق التجارية واستمرت الحملة ثلاث سنوات انتهت عام ١٨٠١ بهزيمة فرنسا وانسحابها من مصر للمزيد ينظر الى: يسرى محمد عبد الهادي، اثر الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام في شبه الجزيرة العربية، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة ام القرى، كلية الشريعة، ٢٠٠١، ص ٢٠-٢٩ .

(١٠) عواطف عبد الرحمن ونجوى كامل، تاريخ الصحافة المصرية، ط ٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٤٢ .

(١١) اسماعيل بن سعد الخشاب: ولد عام ١٧٠٠ في القاهرة كان شاعراً واديباً ومؤرخاً ودرس في الازهر عمل في تدوين الحوادث أثناء حملة نابليون بونابرت على مصر كان احد اركان الحياة الأدبية في عصره توفي عام ١٨١٥ في القاهرة، للمزيد ينظر: طه وادي، الشعر والشعراء المجهولون في القرن التاسع عشر، ط ١، الشركة المصرية العامة للنشر، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٢٢٨-٢٣٦ .

(١٢) فتحي حسين عامر، تاريخ الصحافة العربية، ط ١، العربي للنشر، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ١٣ .

- (^{١٣}) ابراهيم عبدة ،تطور الصحافة المصرية ،ط٣،المطبعة النموذجية،مصر،١٩٥١،ص ٥٣ .
- (^{١٤}) عواطف عبد الرحمن ونجوى فؤاد ، المصدر السابق ،ص٤٥
- (^{١٥}) كان من خلال اتباع السياسة التثقيفية والتعليمية إذ اهتم اهتماما كبيرا بالحركة العلمية إلا كان على إيمان تام بأنه لا يستطيع أن يقيم دولة عصرية متقدمة، ذات إدارة فعالة واقتصاد مزدهر يدعمها ويحميها إلا بأعتماد نظام تعليمي مختلف عن النظام القديم فانفتحت مصر على العالم ولاسيما الدول الأوروبية لجلب الخبرات للمساهمة في تطوير الواقع المصري، واهتم بأرسال البعثات العلمية إلى الدول الأوروبية ، كان هدفه إنشاء دولة حديثة من خلال تعليم وتثقيف المجتمع ومن جهة أخرى الغرض من ارسال البعثات هو الاستغناء عن الخبرات الأوروبية الذين يكلفون مصر مبالغ كبيرة يتقاضونها للمزيد ينظر الى :عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي ، ط٥، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٩،ص٤٠٠-٤١٠
- (^{١٦}) محمد عبدة ،المصدر السابق،ص٢٦-٢٧
- (^{١٧}) مطبعة بولاق: بعد خروج الفرنسيين و استقر الأمر لمحمد علي أنشأ «المطبعة الأهلية» عام ١٨٢١، عرفت بمطبعة بولاق؛ لأنها وضعت بمدينة بولاق، أنشئت على أنقاض مطبعة بونايرت، وعهد بإدارتها إلى السوري نقولا مسابكي، وكان أول كتاب تمت طباعته (الصبغة) تُرجم من الإيطالية، وقاموس إيطالي عربي، وهو أيضا أول ما طبع ببولاق سنة ١٨٢٢ للمزيد من التفاصيل : جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مؤسسة هنداوي، مصر، ٢٠١٢، ص١٢٢٧ .
- (^{١٨}) عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث ،ط٢،دار النهضة العربية ،بيروت،١٩٨٠،ص٢٠١-٢٠٤ .
- (^{١٩}) ليلي محمد علي الحدي ، الصحافة ودورها التاريخي المعاصر ، المؤتمر الدولي السنوي لكلية الآداب : القوى الناعمة وصناعة المستقبل الناشر: جامعة عين شمس - كلية الآداب ، مج٢ ، ٢٠١٩ ، ص ٧٦٤ .
- (^{٢٠}) سامي صالح الصياد، محمد علي باشا والنهضة العلمية في مصر، بحث منشور، مجلة الدراسات التاريخية، عدد ١١، في تشرين الثاني ٢٠١٩، ص٣٦٩
- (^{٢١}) فتحي حسين عامر، المصدر السابق، ص١٤-١٩ .
- (^{٢٢}) جورنال الخديوي: تعد من أقدم الصحف الرسمية المصرية خاصة بالباشا أو الوالي ظهرت عام ١٨١٣ وكانت تطبع هذه الصحيفة في مطبعة القلعة وهي واحدة من المطابع التي انشاها محمد علي في مصر ولم تكن عدد النسخ تتجاوز المائة وتصدر باللغتين التركية والعربية وتشتمل على

الاخبار الحكومية فقط ، للمزيد ينظر : عبد اللطيف حمزة ، ، قصة الصحافة العربية في مصر منذ نشأتها إلى منتصف القرن العشرين، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، ٢٠١٩م ، ص ١٠-١١

(٢٣) جريدة أحوال مصرية ، السنة ٩ ، العدد ٣٦ ، اذار ٢٠٠٧.

(٢٤) الوقائع المصرية، صحيفة مصرية أسست عام ١٨٢٨م، بأمر من محمد علي باشا في القاهرة، صدر أول عدد منها في ٣ كانون الأول من عام ١٨٢٨م وكانت توزع على موظفي الدولة وضباط الجيش وطلاب البعثات، وصحيفة الوقائع المصرية أول صحيفة عربية في الشرق الأوسط، وألحقت بالجريدة الرسمية، وكانت الجريدة في البداية تنشر باللغة العربية والتركية العثمانية، حتى انفردت بها العربية فقط، وتتكون من اربع صفحات وللمزيد يُنظر: إبراهيم عبده، تاريخ الوقائع المصرية (جريدة)، ١٨٢٨-١٩٤٢م، ط٢، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٨٣.

(٢٥) فتحي حسين عامر، المصدر السابق، ص ١٣.

(٢٦) عواطف عبد الرحمن، نجوى كامل، المصدر السابق، ص ٥٣-٥٤ .

(٢٧) جبران اسكندر رفيق، المصدر السابق، ص ٢٧٨

(٢٨) الخديوي اسماعيل: ولد في الثاني عشر من كانون الثاني ١٨٣٠ في قصر المسافر خانة بالجمالية اهتم والده بتعليمه وثقيفه فتعلم على يد امهر الاساتذة في المدرسة الخاصة التي انشأها محمد علي لاولاده واحفاده تعلم فيها مبادئ العلوم والرياضيات واللغات قد أرسله والده وهو في سن الرابعة عشر إلى فيينا عاصمة النمسا، لكي يتعالج فيها من إصابته برمد صديدي، وأيضاً لاستكمال تعليمه ثم سافر الى فرنسا والتحق بمدرسة سان سيرو الحربية وعاد الى مصر عام ١٨٤٨ ثم اصبح والياً على مصر بعد وفاة الخديوي سعيد عام ١٨٦٣ وفي عهده تمت العديد من الاصلاحات في مختلف الجوانب تم عزله عن الحكم بموجب فرمان عثماني صدر عام ١٨٧٥ بسبب نزعه الاستقلالية في حكم مصر توفي عام ١٨٩٥ في اسطنبول للمزيد ينظر الى :هادي جبار حسون، الخديوي اسماعيل حياته ودوره السياسي والعسكري، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠١٤، ص ٧-٤٤

(٢٩) محمد سيد محمد، الصحافة سلطة رابعة...كيف؟، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٩، ص ١١.

(٣٠) عبد اللطيف احمد حمزة، الصحافة المصرية في مائة عام، دار القلم، القاهرة، د.ت ، ص ٢٥

(٣١) المصدر نفسه، ص ٢٧-٢٨ .

(٣٢) روضة الاخبار: صحيفة مصرية معدة لنشر الإعلانات الخصوصية والعمومية وكانت تتألف من أربع صفحات ظهرت عام ١٨٧٥ لصاحبها محمد افندي وامتازت الفترة التاريخية التي ظهرت فيها الصحيفة بهدوء سياسي في مصر ، للمزيد ينظر : عبد اللطيف ابراهيم، المصدر السابق، ص ٢٩-٣٠،

(^{٣٣}) رفاعة الطهطاوي : ولد عام ١٨٠١ امضى شبابه في الازهر وهو احد قادة النهضة العلمية في مصر وكان من ضمن البعثة التي لرسها محمد علي الى فرنسا لدراسة اللغات والعلوم الاوربية الحديثة وعند عودته الى مصر عمل بالترجمة اسس مدرسة الالسن وكانت اهم اغة تدرس فيها الفرنسية وتخرج على يده الكثير من نوابغ الطلاب ثم عين رئيس تحرير صحيفة الوقائع توفي عام ١٨٧٣ للمزيد ينظر الى ابراهيم عبدة ، اعلام الصحافة العربية ، وكالة الصحافة العربية ناشرون ، الجيزة ، ٢٠١٨ ، ص ٤٠،٣٣

(^{٣٤}) جمال الدين الافغاني : ولد عام ١٨٣٨ في قرية سعد اباد من اسرة ذات النسب الرفيع والمنزلة العالية في بلاد الافغان تعلم اللغة الافغانية والعربية ودرس مختلف العلوم ثم سافر الى مصر عام ١٨٧١ واهتدى اليه الكثير من اهل العلم الا ان الانكليز اخرجوه من مصر عام ١٨٧٩ اسافر الى باريس واقام ثلاث سنوات اسس خلالها جمعية العروة الوثقى توفي عام ١٨٩٧ للمزيد ينظر الى محمد قنديل مصطفى ، جمال الدين الافغاني ومحمد عبدة واثرهم في مسار الدعوة في مصر والبلاد الاسلامية، جامعة محمد بن سعود الاسلامية، القصيم، ١٩٧٩، ص ٨، ٢

(^{٣٥}) محمد عبدة : ولد عام ١٨٤٩ في مصر كان عالما دينيا وفقهه واحد دعاة النهضة والاصلاح في العالم العربي وكان احد تلامذة جمال الدين الافغاني كما كان كاتباً معروفاً وعمل في صحيفة الاهرام عام ١٨٧٦ تميزت كتابته بشكل ملحوظ نحو المسائل الاجتماعية الاجتماعي ودراساتها ثم عين محرراً في صحيفة الوقائع ثم رئيس التحرير لها توفي عام ١٩٠٥ للمزيد ينظر الى ابراهيم عبدة، اعلام الصحافة العربية ، المصدر السابق ، ص ٨٨، ٨٣

(^{٣٦}) يعسوب الطب: اول مجلة طبية ظهرت في العالم العربي صدرت في القاهرة عام ١٨٦٥ كانت مجلة شهرية وأسهم في تحرير المجلة اشهر الأطباء والصيدالة والكتاب في ذلك العصر وتوقفت عن الصدور عام ١٨٧٦ ، للمزيد ينظر : مجلة التراث العربي، ع ٣٥٤، في الأول من نيسان عام ١٩٨٩، ينظر إلى مقالها: المجالات الطبية العربية في القرن التاسع عشر .

(^{٣٧}) مجلة روضة المدارس: اول مجلة مصرية تعنى بالعلوم والاداب في البلاد صدر العدد الأول منها يوم السبت السابع عشر من نيسان عام ١٨٧٠ وكانت تصدر مرتين في الشهر ويطلع من كل عدد ٣٥٠ نسخة وزيدت إلى ٧٠٠ نسخة كانت مجلة ادبية علمية ثقافية لا صلة لها بالامور السياسية والاجتماعية للمزيد ينظر : عبد اللطيف حمزة، المصدر السابق، ص ٢١ - ٢٢ .

(^{٣٨}) صحيفة الأحوال مصرية ، السنة ٩ ، العدد ٣٦ ، اذار ٢٠٠٧ .

(^{٣٩}) جبران اسكندر رفيق ، المصدر السابق ، ص ٢٧٧ .

(^{٤٠}) جبران اسكندر رفيق ، المصدر السابق ، ص ٢٨٠

- (^{٤١}) جريدة أحوال مصرية ، المصدر السابق ، ص ٣ .
- (^{٤٢}) عبد العظيم رمضان ، اوراق في تاريخ مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص ٤٣ ، ٤١ ؛ عواطف عبد الرحمن ، نجوى كامل ، المصدر السابق ، ص ١٠٥ - ١٠٧ .
- (^{٤٣}) صحيفة الأهرام ، أسسها الأخوان (سليم وبشار تقلا) في السابع والعشرون من كانون الأول ١٨٧٥ ، بمدينة الإسكندرية بعد أن منحتهما حكومة "الخدويو إسماعيل" ترخيصاً لإصدار الجريدة وصدر العدد الأول في الخامس من آب ١٨٧٦ ، لتكون بذلك أقدم صحيفة عربية مستمرة في الصدور حتى الآن ، وبدأت الأهرام كصحيفة أسبوعية ، ولكن بعد مرور أقل من ٥ سنوات وتحديداً في الثالث من كانون الثاني عام ١٨٨١م تحولت إلى صحيفة يومية ، وضمت عددًا كبيراً من أعلام الصحافة والأدب ، وكانت اللسان الرسمي للحكومة المصرية ، وكانت مستقلة عند تأسيسها ، قبل أن يعمد الرئيس جمال عبد الناصر إلى تأميمها ، وللمزيد يُنظر : إبراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية (١٧٩٨-١٩٨١م) ، ط٣ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ٢٠٩ .
- (^{٤٤}) سليم النقاش : اديب لبناني من مواليد بيروت ذهب إلى الاسكندرية عام ١٨٧٦ عمل فيها بالتمثيل وله مسرحيات مترجمة ثم اصدر مع صديقه أديب اسحق ، صحيفة مصر عام ١٨٧٧ اث صحيفة التجارة وبعدها صحيفة المحروسة ، للمزيد ينظر : منير البعلبكي ، معجم إعلام المورد ، ك١ ، دار العلم ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ص ٤٥٦ - ٤٥٧ .
- (^{٤٥}) عبد اللطيف حمزة المصدر السابق ، ص ٨٨ - ٨٩ .
- (^{٤٦}) فيليب دي طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ج ٣ ، المطبعة الادبية بيروت ، ١٩١٤ ، ص ٢٤ .
- (^{٤٧}) عبد اللطيف حمزة ، المصدر السابق ، ص ٩٧ .
- (^{٤٨}) فيليب دي طرازي ، المصدر السابق ، ص ٢٦ - ٢٧ .
- (^{٤٩}) جبران اسكندر رفيق ، المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .
- (^{٥٠}) عبد اللطيف حمزة ، المصدر السابق ، ص ١٠٥ .
- (^{٥١}) عباس حلمي : وُلد بالأسكندرية يوم ٤ تموز عام ١٨٧٤ ، حكم مصر وهو قبل أن يبلغ الثامنة عشرة وبالتحديد يوم ٨ كانون الثاني ١٨٩٢ خلفاً لوالده الخديوي محمد توفيق ، ظلّ في الحكم حتى صدر قرار ملكي بريطاني قضى بعزله وتولية عمّه حسين كامل بن إسماعيل يوم ١٩ ايلول عام ١٩١٤ وبمقتضى هذا القرار انتقلت مصر من النظام الخديوي التابع بالاسم لدولة بني عثمان في اسطنبول إلى الحماية البريطانية وتغيّر اسم خديوي إلى سلطان بتبعية فعلية لإمبراطورية بريطانيا العظمى ، للمزيد ينظر : لورد كرومر ، عباس الثاني ، تر : ماجد محمد فتحي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠١٥ .

- (^{٥٢}) ليلي محمد علي الحدي ، المصدر السابق ، ص ٧٦٥ .
- (^{٥٣}) اسماعيل ابراهيم ، الصحافة النسائية في الوطن العربي ، ط١،الدار الدولية للنشر، القاهرة، ١٩٩٦، ص١٧-٢٤؛ درية شفيق، ابراهيم عبدة ، تطور النهضة النسائية في مصر من عهد محمد علي إلى عهد فاروق ،مكتبة الآداب ،القاهرة ،١٩٤٥، ص١٠٩-١١٣ .
- (^{٥٤}) اسماعيل ابراهيم ، الصحافة النسائية في الوطن العربي ، ط١،الدار الدولية للنشر، القاهرة، ١٩٩٦، ص١٧-٢٤؛ هاني جرجيس عياد ، تاريخ النسوية وتحولاتها مصر نموذجا ، مطبعة الإسكندرية ،القاهرة ، ٢٠٢٠ ، ص ٢٤-٢٨؛ هدى شعراوي ، مذكرات هدى شعراوي ، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢، ص٢٠٠
- (^{٥٥}) نبيل السمالوطي، الصحافة النسائية وتاريخها في مصر، ط١، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، ٢٠١٦، ص١٢٧
- (^{٥٦}) يونان لبيب رزق ،الحياة الحزبية في مصر، مكتبة الاتحاد المصرية ،القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢ ١٥ .
- (^{٥٧}) صحيفة اللواء: صدر العدد الأول منها يوم الثلاثاء الثاني من كانون الثاني عام ١٩٠٠ وقد حملت لواء الحركة الوطنية كانت صحيفة اللواء تحثُ الشعب على المطالبة بالاستقلال، وكانت أيضًا تطالب بالإصلاح داخل البلاد ، للمزيد ينظر : عبد اللطيف احمد حمزة، المصدر السابق، ص١٨٠-١٨٣
- (^{٥٨}) صحيفة السفر: هي صحيفة ادبية اجتماعية نقدية تصدر مرة كل اسبوع وظهر العدد الأول يوم الجمعة واحد وعشرون من شهر تموز عام ١٩١٥ في مدينة القاهرة وكان في تحريرها مجموعة من الشباب المثقف واكتفوا بهذا النشاط حتى قامت الثورة الكبرى عام ١٩١٩ ، للمزيد ينظر : عبد اللطيف حمزة ،الصحافة المصرية في مائة عام ،المصدر السابق ،ص٩٣-٩٤ .
- (^{٥٩}) المصدر نفسه ، ص ١٠٧ .
- (^{٦٠}) يونان لبيب رزق، المصدر السابق ،ص١٢٣-١٢٧ .
- (^{٦١}) انور الجندي ، الصحافة والاقلام المسمومة ، ط١ ، دار الاعتصام ،القاهرة، ١٩٨٠ ، ص٥٥
- (^{٦٢}) انور الجندي ، المصدر السابق ، ص٥٦-٥٧ .

توماس ولزي (١٤٧٣-١٥٣٠م) ولادته ونشأته وتعليمه

المشرفة

أ.م.د. ابتسام سلمان سعيد

ibtessam.said@coeduw.uobaghdad.edu.iq

الطالبة

جنان كاظم صالح

Janan.saleh2204m@coeduw.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد - كلية التربية للبنات - قسم التاريخ

جنان كاظم صالح

أ.م.د. ابتسام سلمان سعيد

الملخص:

تهدف الدراسة إلى إبراز أثر التغييرات السياسية والاجتماعية في نشأت المستشار توماس ولزي وتعليمه. المستشار توماس ولزي (١٤٧٣-١٥٣٠) كان شخصية بارزة في إنكلترا خلال عصر النهضة، اشتهر بكونه رجل دين وسياسي ذا نفوذ كبير. ولد ولزي في إبسويتش، إنكلترا، لأسرة متواضعة، ولكنه ارتقى بسرعة بفضل تعليمه الرفيع في جامعة أكسفورد.

بدأ ولزي مسيرته الكنسية كقس صغير، لكنه اكتسب سمعته بسرعة كبيرة بفضل ذكائه ومهاراته الإدارية. دخل خدمة الملك هنري السابع وأثر بعمله القيادي في عهده ولولا وجود الشخصيتين القويتين امبسون ودادلي القائمان بإدارة البلاد لكان وتوماس ولزي هو المتصدر في قيادة الدولة.

من ثم انتقل لخدمة ابنه الملك هنري الثامن. بفضل براعته، أصبح ولزي مستشاراً للملك وسرعان ما نال مناصباً رفيعةً منها رئيس أساقفة يورك والمستشار الأعلى لإنكلترا. **الكلمات المفتاحية:** توماس ولزي، عصر النهضة، أبستويتش، جامعة أكسفورد.

Summary:

The study aims to highlight the impact of political and social changes on the upbringing and education of Chancellor Thomas Wolsey. Chancellor Thomas Wolsey (1473-1530) was a prominent figure in England during the Renaissance, best known as a highly influential cleric and politician. Wolsey was born in Ipswich, England, to a modest family, but rose quickly thanks to his excellent education at Oxford University.

Woolsey began his church career as a junior pastor, but quickly gained his reputation thanks to his intelligence and administrative

skills. He entered the service of King Henry VII and influenced his leadership work during his reign. Had it not been for the presence of the two powerful figures Empson and Dudley running the country, Thomas Wolsey would have been the leader in leading the country.

Then he moved to serve his son, King Henry VIII. Thanks to his ingenuity, Wolsey became an advisor to the king and soon attained high positions, including Archbishop of York and High Chancellor of England.

Keywords: Thomas Wolsey, Renaissance, Upstwich, Oxford University.

المقدمة:

حظيت إنكلترا بمجموعة من الشخصيات البارزة في مجالات السياسة والاقتصاد والعلوم، الذين صنعوا تاريخها ونقلوا البلاد من مجرد مملكة بدائية إلى إمبراطورية لا تغيب الشمس عن مستعمراتها، ويأتي في مقدمة أولئك الأعلام المستشار توماس ولزي؛ إذ حققت البلاد في عهد حكومته إنجازات سياسية تمثلت في وضع إنكلترا في مصاف البلدان الأوروبية الأخرى بعد أن كانت متأخرة عن أقرب بلد عنها وهي فرنسا بمئة عام، ومما يشار إليه بهذا الصدد أن المستشار توماس ولزي أول سياسي أوروبي وضع مفهوم (ميزان القوى) ونفذه في مجال السياسة الأوروبية، إلى جانب ذلك، فقد نهضت حكومته بالمجتمع الإنكليزي ووضعت على اعتاب عصر النهضة، فقد سعى المستشار إلى إجراء تغييرات جوهرية في المؤسسات الحكومية وبضمنها الجامعات والمدارس، فضلاً عن اهتمامه بتطور الجانب العمراني للبلاد، جمع المستشار السلطتين الدينية والدنيوية، وحصل على لقب الكاردينال وأصبح يقف إلى جانب أحد عشر شخصاً آخرين في مجتمع الكرادلة الذين أنيطت بهم مهمات سامية في العالم المسيحي لعل أبرزها عملية اختيار البابا، حيث أراد الوصول إلى قمة الهرم الكنسي، لولا تخل إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة شارل الخامس عن عوده له في توليه منصب البابا.

مشكلة الدراسة:

تهدف الدراسة إلى إبراز التغييرات السياسية والاجتماعية في نشأة توماس ولزي وتعليمه.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في رُفد وإغناء المكتبة العربية بدراسة أكاديمية عن المستشار توماس ولزي (١٤٧٣-١٥٣٠م).

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تسلط الضوء على ولادة المستشار الإنكليزي ونشأته وتعليمه:

- التعرف على مسقط رأسه.
- عمل والده.
- وضعهم الاجتماعي.
- تعليمه الأولي.
- التحاقه بجامعة أكسفورد.
- مزايا عصر النهضة.

منهج الدراسة:

اقتضت الدراسة استخدام الباحثة المنهج الوصفي التحليلي في سرد الوقائع التاريخية وترتيب تسلسلها، وتحليل أحداثها لإعطاء صورة واضحة عن الشخصية.

أولاً. ولادته وعصره:

ولد (توماس ولزي) Thomas Walsey في مدينة (إبسوينش)^(١) Ipswich في آذار ١٤٧٣م من أبوان (روبرت ولزي) Robert Wolsey، و(جوان) Joan، وقد كان موطن والده الأصلي الذي نشأ فيه في ضاحية (كومبس) Camps في (ستيرنفيلد) Sternfield بالقرب من (فارنهام) Farnham في مقاطعة (سوفولك) Suffolk، مارس في قريته مهنة الزراعة، وتزوج من (جوان داوندي) Daundys التي تنتمي إلى إحدى العوائل الإقطاعية المؤثرة التي تملك أراضي واسعة في مقاطعة سوفولك^(٢).

نشأ والد توماس ولزي في عصر الفتنة واضطراب الأوضاع في إنكلترا الذي سبق، وأعقب (حرب الوردتين)^(٣) War of The Roses، التي خاضتها العائلات المالكة، والنبيلة فيما بينها مع فرقها المسلحة، واقتصرت تلك الحروب على عدد قليل من المقاطعات، وعلى الرغم من أن ستيرنفيلد كانت على بعد ثمانين ميلاً من أقرب ساحة معركة، إلا أنها عانت

من انهيار واسع النطاق في القانون والنظام أثناء الحروب، فعمت الفوضى في أرجاء المملكة، وعلت صيحات المواطنين ورفضوا الانصياع للقوانين المحلية، وهجر العديد مزارعهم، بعد أن تدهورت أوضاعهم، وكذلك الحال روبرت ولزي الذي قرر الانتقال مع زوجته إلى مدينة أبسويتش^(٤).

والسؤال الذي يثار هنا ما الأسباب التي جعلت روبرت ولزي يتوجه إلى مدينة إبسويتش دون غيرها من المدن؟ لأنه رأى في تلك المدينة فرصة كبيرة لكسب المال والارتقاء، لموقعها المتميز القريب من بحر الشمال، ولمينائها الجوي، الأمر الذي جعل من تلك المدينة مركزاً تجارياً هاماً، جعلها مركزاً لتجارة الصوف مع دوقية (بورغندي)^(٥) Burgonha الكبرى، التي امتدت من بحيرة (جنيف) Geneva. فكانت التجارة مع هولندا واحدة من أهم العوامل المؤثرة على التجار المحليين والأجانب نحو الثراء وتأثيرها حتى على السياسات الداخلية للأباطرة، وملوك إنكلترا^(٦). فلقد جلبت التجارة الرخاء إلى سوفولك عن طريق ميناء إبسويتش، لذلك حينما وصل روبرت ولزي افتتح محل جزارة في المدينة، وقد واجه عمله كجزار وراعياً للغنم صعوبات عديدة بسبب جهله بقوانين المدينة لكونه غريباً لذلك عانى لمدة من الزمن، فلم يكن يعلم أن مجلس البلدة قد خصص أياماً محددة لمزاولة تجارة بيع وذبح الأغنام للجزارين الجدد القادمين من مناطق أخرى، وبأنها وضعت غرامة مالية قدرها اثني عشر بنساً عن كل مخالفة. لذلك تم تغريمه في محكمة العمدة أكثر من مرة لتجاوزه القوانين^(٧)، إلا أن ذلك الأمر لم يثبط من عزمته بأن يصبح تاجراً ثرياً، وقد أسهمت الظروف السياسية في إنكلترا، والتي تزامنت مع عمله الجديد على نجاح عمله وتطويره، فقد تزوجت أخت الملك (أدوارد الرابع)^(٨) Edward IV (١٤٤٢-١٤٨٣م)، (مارغريت يورك)^(٩) Margaret of York من (شارل) Charles الجريء دوق بورغندي، فازدهرت على ضوء تلك المصاهرة تجارة الصوف وانتعشت الحالة الاقتصادية للبلاد، واستغل روبرت ولزي ذلك الانتعاش فمارس أكثر من عمل، فأصبح مالك نزل واسطبل، وصانع البيرة، ومربي الخنازير، بالإضافة إلى بيعه الصوف والماشية^(١٠)، وقد ساهم الهدوء السياسي الذي استمر أربعة عشر عاماً على بقاء الأوضاع الاقتصادية مزدهرة، وخصوصاً في إبسويتش التي كانت تصدر الصوف إلى (لندن)^(١١) London ومنها إلى المناطق المنخفضة عن

طريق (القنال الإنكليزي) English Channel، الذي يربط بحر الشمال بالمحيط الأطلسي^(١٢).

تحسنت الأوضاع المالية لوالد توماس ولزي بشكل ملحوظ، وتوجه لشراء بعض الأراضي من أجل استثمارها في مجالات أعماله التجارية المختلفة، شجعتة أحوال البلاد المتوجهة نحو أفضل سبل التجارة منها اهتمام الملك بإقامة علاقات تجارية مع (العصبة الهانسية)^(١٣) Hanseatic League والذي ساعد في تدفق الثروات، وبرزت الطبقة البرجوازية في إنكلترا فعمل على تطوير أعماله بشكل أكثر فعالية وربحية.

انجب روبرت ولزي أربعة أبناء، أكبرهم توماس، والثلاثة الآخرون ولدان وبنيت لم تذكر المصادر شيئاً عنهم إلا أنه على الأعم الأغلب أن توماس ولزي أهتم بهم ووظفهم حينما أصبح (الكاردينال) Cardinal^(١٤) فيما بعد، وقد حرص روبرت على تنشئة عائلة مثقفة تماشياً مع روح العصر، فالتعليم صار متاحاً لكل فئات المجتمع، ولم يعد مقتصراً على رجال الدين من قساوسة ورهبان دون سائر البشر في (العصور الوسطى)^(١٥) Middle Ages.

وكان للطبقة البرجوازية الدور الفعال في توعية، ونهضة المجتمع الإنكليزي بتشجيعها للطبقة المثقفة وإمدادهم بالمال من أجل انتشار الشعب من متاهات الجهل والتخلف والامية فانتشرت المدارس وترجمت العديد من الكتب اليونانية إلى اللغة المحلية الإنكليزية، بعد أن كانت (اللغة اللاتينية) Lingua latina هي لغة العلوم، والكتابة^(١٦)، والتي كانت لا يعرفها غالبية الشعب الإنكليزي، ومحصورة بطبقة رجال الدين، والمثقفين والأدباء^(١٧). فحرص روبرت ولزي على تعليم ابنائه، ودخولهم المدارس، وكان يرغب في أن يصبح ابنه الأكبر رجل دين ليحظى بالاحترام بين أفراد المجتمع، وقد كتب في وصيته في الثالث من أيلول ١٤٩٦م وهو نفس العام الذي توفي فيه، بتعيين ابنه ورجل يدعى (توماس كادي) Thomas Cady لتنفيذ الوصية التي احتوت على تقديم مبلغ سخي من المال للجمعيات الخيرية في الكنائس، وفضلاً عن ذلك اشترط على ابنه توماس أن يصبح قسيس في غضون عام من وفاته، لكي يقوم بترديد القداس على روحه مدة عام كامل، مقابل مبلغ (10) مارك^(١٨)، وأما في حال فشل ولزي في نيل درجة قس فنتاط المهمة بقسيس آخر يحصل

على المبلغ المالي نفسه، كذلك أوصى أن تؤول ثروته لزوجته جوان والتي تزوجت بعد مدة وجيزة من وفاته^(١٩).

لكن ماذا بشأن البند الذي يفرض فيه روبرت على ابنه توماس أن يكون قسيساً لإقامة القداس على روحه مقابل مبلغ مالي لمدة عام كامل؟

في البدء لم يكن توماس مؤهلاً لنيل درجة قس، فالقانون الكنسي كان يمنع إعطاء أي شخص تلك الدرجة إلا إذا بلغ سن الرابعة والعشرين^(٢٠)، وهو ما لم يتوفر بولزي الذي كان في سن الثالث والعشرين من عمره حينما توفي والده، وبعد خمسة أشهر من نفاذ الوصية، رُسم ولزي قسيساً على يد (أسقف سالزبورج) Salisbury Bishop في سنة ١٤٩٨م^(٢١).

أما عن سبب تأخره في الحصول على درجة القس، فهناك سببان أحدهما: تعنت مسؤولين سالزبورج في منحه الدرجة إلا بعد بلوغه السن القانوني، والآخر يعود إلى أن ولزي لم يسعَ بشكل جدي للحصول على تلك الرتبة الدينية فقد كان بإمكانه أن يقدم طلب استثناء شرط العمر إلا أنه لم يفعل وكان متردداً بسبب وقوعه في حب إحدى النساء ورغبته بالزواج منها.

أكدت الوصية بأن ولزي لم يكن فقيراً كما تذكر بعض المصادر، وإن والده يملك ثروة، إلا أن ما قصده المصادر عن أصله الوضيع قد يعود لكونه ليس من طبقة النبلاء. وبينت لنا كذلك تعلق والد ولزي بالكنيسة^(٢٢) وحرصه على إقامة المراسيم الكاثوليكية المتعلقة بمراسيم دفنه وما بعد موته وعلى مساعدته للفقراء والمحتاجين كإشارة على تدينه، فقد خدم والد توماس كنيسة (سانت نيكولاس) St. Nicholas المجاورة لمنزله سنوات عدّة، وكسب احترام وتقدير الأهالي له في السنوات الأخيرة من عمره^(٢٣)، وأثر ذلك الأمر في ولزي حينما كبر وساعده في اختيار طريقه في حياته المهنية كرجل دين وليس المحاماة، وأصبح موظف حكومي، فرجال الدين يتم توظيفهم من الحكومة إلا أن معاشاتهم تصرف لهم من الإيرادات التي تستحصلها الكنائس، وليس من خزينة الدولة.

- تعليمه:

أنمازت أوروبا الغربية عموماً وإنكلترا على وجه الخصوص بالاهتمام بالتعليم في العصور الوسطى وتأسيس العديد من المدارس والجامعات، وقد أسست الجامعات على

غرار الجامعات الإسلامية في الأندلس - ومن الجدير بالذكر ان نهضة أوروبا في العصور الوسطى يرجع الى الطلبة الأوربيين الذين درسوا في الجامعات الإسلامية ونقلوا معارف وعلوم العرب والمسلمين الى بلدانهم^(٢٤).

إلا أن جامعات العصور الوسطى كانت تمتاز بتقيّد الكنيسة للمناهج الدراسية والمراقبة الشديدة للتعليم، حتى جاءت بواخر (النهضة)^(٢٥) Renaissance في نهاية العصور الوسطى، على يد بعض العلماء من رجال الدين المتتورين الذين أدخلوا مواد جديدة لتدريسها في الجامعات كالعلوم والطب والحساب واللاهوت والفلسفة، واستخدموا في تدريسها طريقة المنهج العلمي التجريبي^(٢٦)، حتى غدى التعليم في أيام توماس ولزي يتمتع نوعا ما بالاستقلالية عن الكنيسة والتفكير الحر والمرونة .

وبدأت الجامعات بفتح أبوابها لجميع الطلبة الوافدين من شتى البلاد دون قيد أو شرط^(٢٧) تأسيا عما سبق؛ فإن ولزي دخل في طفولته المدرسة المحلية في بلده تدعى مدرسة ابسويتش النحوية Ipswich Grammar، التي تشرف عليها كنيسة القديس بطرس التي تجاور منزله، وقد تلقى دروسًا في اللغة اللاتينية، وعلومًا متنوعة^(٢٨).

وكانت المدرسة تفتقر الى أبسط مستلزمات التعليم فالكتب قليلة ومكلفة؛ لأنها كانت تنسخ يدويًا في إنكلترا عكس بقية دول أوروبا الغربية^(٢٩)، التي كانت تشهد تقدمًا أكبر في مجال نسخ الكتب. ولاسيما بعد قيام العالم الألماني (يوهان جوتنبرج Johannes Gutenberg ١٣٩٨ - ١٤٦٨م) بتطوير آلة الطباعة القديمة، بأخرى حديثة تستخدم الحروف المتحركة سنة ١٤٤٧، الذي أحدث تطويره ثورة أوقفت نسخ الكتب يدويًا^(٣٠)، إلا أن ذلك التطور لم يصل إلى إنكلترا إلا في سنة ١٥٠٠م .

ويرجع تأخر انكلترا الى انشغالها بالحروب الطويلة، وافتقار البلاد إلى الاستقرار السياسي^(٣١) ومن ثم عدم وجود حكومة منظمة تهتم بشؤون المملكة، وبالجانب التعليمي والمعرفي لمواطنيها، فبقيت الكنائس هي المسؤولة عن تأسيس المدارس في المدن والأرياف، أما المعلمون فهم من رجال الدين، لذلك الذين أشرفوا على تعليم توماس ولزي هم رجال الدين، تعلم على أيديهم القراءة والكتابة والحساب.

وكانت الألواح الخشبية هي التي تستخدم في الكتابة^(٣٢)، ولولا أن والد توماس رجلٌ محبٌ للتعليم، وميسور الحال لما أدخل ابنه المدرسة^(٣٣) ففرصة التعليم لم تكن متاحة للجميع ، فنتيجة لانتشار الفقر انتشر الجهل، فالأسر الفقيرة ترسل أولادها للعمل، فهي تنتظر لهم كمصدر للدخل، أما طبقة النبلاء فقد كانت تستأجر المعلمين الخاصين لتعليم أبنائها وبناتها في المنازل^(٣٤).

ولم تستفد بشكل كبير البلاد أبان الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي شهدته في أثناء حكم أدوارد الرابع، فيما يخص بإنشاء مدارس حكومية فقد كان توجه طبقة التجار نحو إقامة مدارس خاصة (أهلية) على نفقتهم، مقابل أن يعطي الطالب رسوماً مناسبة، ويشرف عليها رجال الدين أيضاً^(٣٥).

أظهر توماس ولزي عبقريته في المواد التي تعلمها جميعها، وأشاد أساتذته بذكائه الشديد، فقد اتقن اللغة اللاتينية، وشغف بكتب الفلسفة، وعلى الأخص فلسفة (توماس الأكويني)^(٣٦) Thomas Aquinos؛ لذلك قرر أساتذته كتابة رسالة توصية إلى الجامعة (جامعة أكسفورد)^(٣٧) Oxford University، لقبول توماس ولزي وهو في سن الحادية عشرة من عمره، للدراسة فيها، وقد دخل الجامعة سنة ١٤٨٤م^(٣٨)، وكان السن القانونية لارتياح الجامعة هو سن الرابعة عشر، ومدة الدراسة كانت اربع سنوات^(٣٩) أما عن سبب اختيار جامعة أكسفورد بالتحديد؛ لأنها الجامعة الأعلى شأنًا في إنكلترا ولكونها تستقبل الأذكى واللامعين^(٤٠)، وتؤكد المصادر أن ولزي لم يحظَ براعي من أصول نبيلة يرعاه حينما دخل الجامعة وإنما والده هو الذي تكفل بتكاليف جامعته ..

فالعادة المألوفة في ذلك الوقت في إنكلترا إرسال الأسر المتوسطة، وبعض الأسر النبيلة^(٤١) أبنائهم إلى الأسر النبيلة العريقة من أجل أن يحصل أولادهم على التعليم الجيد والفروسية والقيم النبيلة نستدل مما سبق أن والد توماس يعد رجلٌ ثاقب البصيرة وعلى يقين بقدرات ابنه ومواهبه العقلية، التي ستجعل منه شخصية مرموقة لذلك لم يبخل عليه، وتكفل بتعليمه على مستوى جيد، التحق توماس بكلية (سانت ماري المجدلية)^(٤٢) St. Mary Madalens Colege التي بناها (الأسقف واينفليت) Bishop Waynfleete ، قبل

أربعين سنة من . دخول توماس ولزي^(٤٣) وتخرج منها وهو بسن الخامسة عشرة^(٤٤) وقد استخدم في بنائها الحجر الثقيل.

وصمم لها باب ضخ، ونوافذها صممت من الخشب، وأرضية الكلية من الطين، أما قوانينها فهي صارمة ، ولكونها تحوي مساكن للطلبة فلم يكن يسمح لهم بالخروج بعد الثامنة مساءً في الشتاء، وفي التاسعة في فصل الصيف، ويمنع الطالب من الذهاب الى الحانات، ولا يسمح له بترك بعض المحاضرات ، ولا يجوز الضحك واللعب أو التحدث في المحاضرة، والتتمر على الآخرين، وتؤكد قوانينها الالتزام بالمواعيد وحضور قداس الصباح في الكنيسة، ولا يسمح لهم بممارسة ألعاب الحظ أو لعب الورق ، ما عدا لعبة الشطرنج المسموح للعب الطلاب والأساتذة بها^(٤٥).

واجه توماس ولزي صعوبات كبيرة مع زملائه في أثناء وجودهم في الكلية منها أن قاعة المحاضرات في فصل الشتاء لم تكن دافئة لخلوها من المواقد، ومدة المحاضرة طويلة تستمر لثلاث ساعات، يحضر الطالب ثلاث محاضرات في اليوم، وتكلفة الشموع باهظة؛ لذلك كان الجميع يقرؤون على ضوء شمعة واحدة، والعشاء يكون عند الساعة العاشرة تتبعه مناظرة تعقد باللغة اللاتينية تتناول مسائل الأخلاق، ويعطى للطالب وقتاً للأسترخاء، وكثيراً ما يعقد الأساتذة في قاعة الكلية ليلاً اجتماعات ترفيهية بأجواء دينية، إذ يغنون الترانيم ويسردون القصص، ويقرؤون كتب عجائب العالم وغرائب^(٤٦) .

امتدت مسيرة ولزي الأكاديمية على مدى سبع سنوات، أربع منها تسمى الدراسة الأولية لنيل درجة البكالوريوس، يدرس فيها قواعد اللغة اللاتينية، والمنطق ، والبلاغة، والرياضيات، والموسيقى^(٤٧)، أفاد كافنديش كاتب سيرته الشخصية من "أن ولزي أخبره أنه حصل على درجة البكالوريوس في سن الخامسة عشرة، وهو أمر نادر، وإنه حصل على مرتبة الشرف ولقب بصبي البكالوريوس"^(٤٨).

عكف ولزي على مواصلة تعليمة، فتقدم لدراسة الماجستير^(٤٩) التي كانت مدتها ثلاث سنوات^(٥٠)، يدرس فيها علم الفلك والفلسفة الطبيعية والأخلاقية والموسيقى، واتسمت ميوله في التعليم باتباعه للمدرسة القديمة وقد تجلى واضحاً من خلال حبه للفيلوسوف توما الاكويني ويُجرى لهم في السنة الأخيرة امتحان عملي يشمل المحاضرات والمناظرات^(٥١)،

القصد منها الكشف عن المستوى العلمي للطالب ومهاراته العقلية وتعمقه الفلسفي، وأغلب الكتب الفلسفية التي درست في تلك المدة هي كتب الفيلسوف أرسطو^(٥٢) لكونها تمتاز بالشمولية .

اجتاز ولزي الامتحان العملي بمهارة فائقة واعجب به أساتذته بتعمقه الفلسفي وبلاغته، وحاز على درجة الماجستير بالآداب . فأصبح أمامه خيارين لكي يتخصص (القانون أو اللاهوت) ، وقد حسم أمره بسرعة فاختر اللاهوت ، لرغبته في أن يكون رجل دين^(٥٣)؛ لأنه كان يدرك أن الكنيسة ما زالت هي الطريق الأعظم الى الشهرة، والحصول على الرتب العليا فيها يعنى الحصول على الثروة، ف شخصية ذكية وطموحة كشخصية توماس ولزي، كانت لابد من أن تتخرط في الكنيسة الكاثوليكية التي كانت تمثل ليست فقط قوة دينية فحسب بل قوة سياسية، يمثل فيها (البابا)^(٥٤) زعيماً روحياً للعالم المسيحي.

بعد ذلك انقطعت أخبار توماس ولزي، فلا يوجد سجل يذكر أية معلومات عنه حتى سن الخامسة والعشرين ، ولا يوجد ما يثبت عودته إلى ابسويتش أو أنه سافر الى دولة أوروبية لأكمال دراسته^(٥٥) ، وعلى الأخص (إيطاليا) Italy التي كانت جامعاتها تشهد إحياء التعليم الكلاسيكي، وأنظار الطبقة المثقفة كلها تتوجه إليها^(٥٦) . إلا أنه من المحتمل بقى في أكسفورد يعمل كمدرس خصوصي لأبناء الأوسر المترفة^(٥٧) .

ويتضح لنا كذلك بأنه لم يتعين بالحكومة كقس أو موظف حكومي، تؤكد سجلات كلية المجالية أن توماس حصل على الزمالة سنة ١٤٩٧م^(٥٨) ، وفي خريف العام نفسه، أعطي له منصب رئيساً للمدرسة النحوية الملحقة بالكلية، وعهد إليه بتدريس الفلسفة وقد كرس نفسه بالعمل الدؤوب من أجل إدارة تلك المدرسة^(٥٩).

يتضح لنا مما سبق أن الكنيسة هي التي تشرف على أمور الجامعات والحياة الفكرية، وليس للدولة شأناً يذكر، فثقل العملية التعليمية يقع برمته على كاهل طبقة رجال الدين من بناء المدارس، والجامعات، وإعداد المعلمين، والتدريسين الذين كانوا أصلاً من رجال الدين وقيامهم بوضع المناهج الدراسية والقوانين والانضباط، وغيرها من الأمور .

وتلمسنا كذلك أن الجامعات تحتفظ بأفضل ما لديها للطلاب المتفوقين، وتتبع أساليب متشددة مع الشبيبة المبتدئة ، ولوحظ أن ثمة غياب لما نسميه في وقتنا الحالي بالتعليم

الإعدادي، ويرجع ذلك الخلل بهيكلية التدرج التعليمي لما أدرجناه آنفاً من غياب أثر الحكومة في الجانب التعليمي.

ظهور الحركة الإنسانية في عصر ولزي:

تعد الحركة الفكرية من أهم مميزات عصر النهضة، ففي أواخر العصور الوسطى تحرر المجتمع الأوروبي نوعاً ما من تسلط الكنيسة الصارم على الحياة العامة فقد كانت هناك قيوداً على الفكر، وعلى كل ما يتصل به من ابتكارات أو محاولات للخروج عما ألفه المجتمع في ظل مفاهيم الكنيسة الخاطئة^(٦٠) القديمة لتفرض بها سلطتها الدينية وهيمنتها على عقول ورقاب الناس، وفي الوقت نفسه تحافظ على امتيازاتها ومصادر ثروتها ويبقى رجالها منعمين ومترفين على حساب الضعفاء والفقراء والمساكين^(٦١).

فقد تضافرت عدة عوامل لظهور الحركة الإنسانية الفكرية في أوروبا وتحديداً في إيطاليا أولاً منها: الحروب الصليبية التي استمرت حوالي القرنين من الزمن، والتي شاركت فيها طبقات المجتمع المختلفة، كان لها نتائج خطيرة بالشرق والغرب؛ فالأوروبيون اكتسبوا منها الخبرة بشؤون البلاد الإسلامية على السواء، وازدادت ثرواتهم المادية وملأت الثروة المتدفقة من الشرق المدن الإيطالية، فنشأت البرجوازية التي اهتمت بالحركة الثقافية ورعتها، ونتج أيضاً عن تلك الحروب توحيدها للعالم المسيحي^(٦٢)، واحتكوا الأوروبيين مع الحضارة العربية الإسلامية، فدرسوا فيها الطب العربي، والكيمياء والرياضيات، واكتسبوا معرفة بعلم الجغرافية^(٦٣).

وأدى طول مدة الحرب، إلى تمرد الشعوب الأوروبية على أوامر البابا ورفضوا القتال فاهتزت أركان الكنيسة إزاء ذلك التمرد، فضعفت، واصابها بين عامي ١٣٠٥-١٣٧٧ ما يسمى بالأسر البابوي، فيما فضل البابا ذو الأصل الفرنسي في الإقامة في فرنسا بدلاً من روما وتبعه البابوات الذين جاؤوا بعده، وتوج ذلك الضعف بالانشقاق الكبير سنة ١٣٧٨ م حينما رشح بابويين في آن واحد فانشغل رجال الدين في صراعاتهم وأطماعهم على الكرسي الرسولي^(٦٤) ففسح انشغالهم المجال أمام الطبقة المثقفة أن تبدي آرائها وأفكارها التحريرية وإن تركز على الإنسان واحتياجاته وحقوقه وواجباته بصورة صحيحة وفعلية بعد أن غيبت الكنيسة أثره واضطهدت حريته وإرادته باسم الدين والعقيدة المسيحية.

ومما أسهم في انبثاق تلك الحركة هو انتقال أعداد كبيرة من العلماء الأغريق إلى إيطاليا، ليحاضروا في جامعاتها دون قيد أو ضغط^(٦٥) وفيما فتحت الدولة العثمانية القسطنطينية سنة ١٤٥٣م^(٦٦)، أصبح تمازج بين الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية، ترتب عليه قيام المثقفين الأوربيين بقيام حركة الإحياء للعلوم اليونانية واللاغريقية القديمة، وساعدهم في ذلك اختراع المطبعة الحديثة في طبع العديد من النسخ فأصبحت في متناول أيدي الناس وبأسعار مناسبة ثم بدأت تتجه أقلام المفكرين والفلاسفة لاستخدام اللغات المحلية، والتقليل من استخدام اللغة اللاتينية التي كانت صعبة على عامة المجتمع، فازدادت شريحة المتعلمين والمثقفين في عموم أوروبا^(٦٧) ولكنها وصلت تلك الحركة متأخرة إلى إنكلترا في الربع الأخير من القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر بسبب انشغالها بالحروب الطويلة كما ذكرنا آنفًا.

تُعرف الحركة الإنسانية بأنها الدراسة التي تناولت حياة الإنسان من النواحي، والمجالات الأدبية والفنية والعلمية، أي هي الدراسة التي تهتم بإحياء العلوم الإنسانية. ونعنى هنا بالعلوم الإنسانية التي تناولها أدباء وفلاسفة وعلماء، وفنّيو اليونان والرومان. وتأسيسًا على ما ذكرنا برزت بشكل جلي شريحة عززت عملها العلمي لإحياء التراث الإنساني القديم اليوناني والروماني؛ فدرسوا المخطوطات القديمة التي حافظت عليها الكنيسة لسنوات طويلة وأطلق عليهم اسم الإنسانين أو المتأدبين^(٦٨).

ناهضت الأفكار الجديدة التي جاءت بها الحركة الجديدة، أفكار وتقاليد ومصالح القرون الوسطى الخاطئة المتمثلة في العقيدة الكاثوليكية والأرستقراطية الإقطاعية^(٦٩) وأعدتهم الكنيسة مخالفين للتعاليم المسيحية ووثنيين وأقامت من أجل ذلك محاكم التفتيش لقهر معارضيها^(٧٠). ولم تفلح أعمال الكنيسة الوحشية ضد تلك الشريحة المثقفة التي نجحت في نزع أغلال القدسية عن الواقع والطبيعة وأطلق العنان نحو الفكر الحر المستند إلى قاعدة المبادئ العامة للعلوم التاريخية والاجتماعية وكتب الفلاسفة اليونان والرومان، وليست على قاعدة العقيدة اللاهوتية المسيحية.

أما إنكلترا فكانت نهضتها قد اتخذت طابعًا دينيًا وهدف أساسًا إلى خدمة المسيحية، ولذلك لم تقتصر نهضتها على الفنون والآداب، بل شملت أيضًا الدين، فتركز الاهتمام في

دراسة اللاهوت والدراسات الدينية^(٧١) ووفد طلاب العلم الإنكليز إلى جامعات إيطاليا ودرسوا فيها كتب الأدب والفنون الإنسانية أمثال (وليم كروسين)^(٧٢) William Crocyn ١٤٦٤ - ١٥١٩م) . و(توماس ليناكر)^(٧٣) Thomas Linacre (١٤٦٠-١٥٤٠م) الذي درس في أكاديمية البندقية، و (وليم ليللي)^(٧٤) William Lilly (١٤٦٨-١٥٢١م) الذي درس اليونانية في روما و(جون كوليت)^(٧٥) John colet (١٤٦٧-١٥١٩م) الذي رحل الى ايطاليا في سنة - ١٤٩٣م، ودرس الدراسات الكلاسيكية هناك، وحينما رجع إلى إنكلترا بدأ يلقي محاضرات عن العهد الجديد سنة ١٤٩٧م، في أكسفورد^(٧٦) في الوقت الذي حصل توماس ولزي فيه على درجة الزمالة في كليته المجدلية، والذي شجع تلك النخبة على التوجه الى الدراسات الإنسانية يكمن في تسلم (أسرة آل تيودور) House of Tudor (١٤٨٥ - ١٦٠٣) الحكم في إنكلترا، التي أظهرت اهتمامًا ملحوظًا بالثقافة والتعليم ومواكبة نهضة الدول الأوروبية^(٧٧) .

حينما اعتلى (هنري الثامن)^(٧٨) Henry VIII (١٥٠٩-١٥٤٧م) العرش الإنكليزي شجع أكثر من والده (هنري السابع)^(٧٩) Henry VII على الحركة الثقافية، فرحب بفكرة كولت في تأسيس مدرسة جديدة لذلك سانهه بينما بنى المدرسة التي أطلق عليها (مدرسة القديس بولس) St. Pauls ، وبعد اتمامها، أجرى كولت اختبار لـ (مئة وخمسين) صبية لكي يدرسوا هناك الأدب الكلاسيكي واللاهوت المسيحي وعلم الأخلاق، وخالف كوليت التقاليد بتعيين مدرسين علمانيين في المدرسة، وكانت أول مدرسة غير اكليروسية في اوروبا. وقد واجه برنامجه معارضة من بعض أساتذة أكسفورد المتمسكين بعقائد المسيحية المتشددة بحجة أنه يؤدي إلى الشك الديني إلا أن الملك حكم ضدهم ومنح كوليت تشجيعه الكامل^(٨٠) وقد أطلق على هؤلاء المفكرين الإنكليز اسم مصلحو أكسفورد وكان لدعم توماس ولزي الذي كان وقتها مستشار الفضل الكبير لوقوف الملك معهم، وقد شغفوا بدراسة اللغة اليونانية والفكر اليوناني ونادوا بضرورة إطلاق الفكر الإنساني من القيود التي كانت تفرضها الكنيسة على حرية البحث العلمي وحرية الفكر وباتوا أولئك المصلحون متأثرين بروح النقد المنتشرة في عصرهم ، وعلى الرغم من أنهم لم يكونوا راضيين عن مساوئ

الكنيسة لكنهم لم يذهبوا الى حد المناادة بانفصالها عن روما^(٨١). وهذا ما كان يريح قلب توماس ولزي المتمسك بعقيدته الكاثوليكية وولائه للبابا في روما.

أما أكثر أعلام النهضة في إنكلترا شهرة فهو (توماس مور) Thomas More (١٤٧٧-١٥٣٥) درس العلوم الفكرية وعلم اللاهوت في جامعة أكسفورد، التقى هناك مع جون كوليت ودرسا على يد كروسين، وليناكر، وعملا محاضرين في الجامعة نفسها^(٨٢) ويعدّ مور سياسي وكاتب إنكليزي معروف ألف كتاب (اليوتوبيا)^(٨٣) Utopia ، وقد استوحى المؤلف فكرة هذا الكتاب من النظام الطبقي غير العادل لمجتمعه، فهاجم فيه سوء توزيع الثروة ودعا الى العدالة الاجتماعية ودعا الى السلام والاهتمام بالإنسان وتلبية أهم احتياجاته والى حرية العقيدة والتسامح الديني، وصف كوليت توماس مور بأنه أحد العباقرة التي أنجبته إنكلترا^(٨٤).

التقى مور (بأرازمس)^(٨٥) Erasmus (١٤٦٧-١٥٣٦ م) الهولندي، الذي زار إنكلترا في سنة ١٤٩٩ م ، وهو من أصحاب النزعة الإنسانية، وكان مورفي تلك السنة يدرس القانون، وتكونت بين الاثنين صداقة وقد أسهما في توجيه المجتمع على تقبل الأفكار الجديدة ونبذ الأفكار البالية القديمة ، وقد عمل ارازمس محاضراً في جامعة كامبريدج وأسهم في إدراج اللغة اليونانية في المنهج الدراسي للجامعة^(٨٦) لأول مرة وكون في الجامعة حلقة من دارسين نابغين بالدراسات الإنسانية .

نجح المفكرين والسياسيين الانسانيين من إدراج الدراسات الإنسانية في منهاج المدارس الانكليزية، وتعدّ مدرسة (القديس إنطوني) Anthon من المدارس الرائدة التي درست طلابها على وفق حركة التعلم الجديد، كما أصبحت (كلية كنيسة المسيح) College of Christ church ، من الأكاديميات المشهورة بذلك النظام^(٨٧)، وحظيت اللغة الإنكليزية^(٨٨) باهتمام الأدباء والنحويين، وفي مستهل القرن السادس عشر طرأت تغييرات جذرية على نظامي التهجئة واللفظ. وساعد دخول الطباعة إلى إنكلترا على يد (وليام كاستون)^(٨٩) William Caxton عاملاً حاسماً في تطوير اللغة الإنكليزية، فظهرت كتب ومؤلفات للنحاة والمتخصصين اللغويين، وقد وضع وليام ليللي كتاباً في النحو لطلبة كلية القديس بول في لندن، تم اعتماده كتاباً منهجياً مقرر للأستخدام في المدارس على نطاق المملكة كلها من

الملك هنري الثامن في سنة ١٥٢٣م^(٩٠). أدركت حكومات أسرة آل تيودور قيمة توسيع النظام التعليمية، وكان التوسع في التعليم يرجع الى رغبة الطبقات الوسطى في التعليم، وبنيت عدّة مدارس لاستيعاب أبناء الطبقة العاملة، فانتشر التعليم وبدأ^(٩١) توماس ولزي مستشار الملك بتشجيع الملك هنري الثامن على بناء مدارس تحت رقابة من الحكومة، وبنى توماس نفسه كلية في أكسفورد، ومدرسة في ابسويتش من أمواله الطائلة والإيرادات التي كانت تقدم له.

الخاتمة:

تضمنت النتائج الآتية:

- ❖ أسهمت الأوضاع المضطربة التي شهدتها إنكلترا أبان حرب الوردتين إلى استغلال والد توماس ولزي لتلك الأوضاع في امتحان أكثر من عمل.
- ❖ تأثر والد توماس ولزي ومواقفته لعصر النهضة من خلال إصراره على حصول ابنه على أفضل تعليم.
- ❖ انفراد توماس ولزي من بين أقرانه بالموهبة والذكاء العالي الذي أهله للدخول إلى جامعة أكسفورد الأعلى شأناً في إنكلترا.

هوامش البحث ومصادره:

(١) أبسويتش: مدينة تقع على بعد ستة وستين ميلاً شمال شرق لندن، أنها مدينة قديمة، وقد حرقها الدنماركيون مرتين الأولى في ٩٩١م، والثانية في سنة ١٠٠٠م، وقام وليام الفاتح (١٠٢٥-١٠٨٧) تعزيزها ببناء قلعة تحولت إلى انقاض منذ مدة طويلة، وهي إلى حد ما تحوي على العديد من المدارس التعليمية آنذاك. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Mandell Greighton, The life of cardinal Wolsey, A.L. Burt, New York, 1903, P.30.

(2) Charles W. Ferguson, Mine Enemies, The life of cardinal Wolsey, Publisher Bernhard M. Auer, New York, 1958, P.4.

(٣) حرب الوردتين: حرب أهلية حدثت بين أبناء (أدوارد الثالث) Edward III وأحفاده المتنافسين على العرش الإنجليزي، وقد مرت بمرحلتين، المرحلة الأولى استمرت ما بين (١٤٠٠-١٤٧١م)، وكانت بين عائلتي (لانكستر) Lancaster وال (Yark)، أما المرحلة الثانية بدأت ما بين (١٤٨٣-١٤٨٥م) وكانت بين عائلتي آل يورك، وآل تيودور (Tudor). للمزيد ينظر:
Alison Weir, The Wars of The Roses, Ballantini Boof, New York, 1996, PP.30.150.

(4) Jasper Ridley, Statesman and saint, The Viking press, New York, 1982, P.3.

(٥) دوقية بورغندي: إحدى مقاطعات (فرنسا) Franch، أعطاه الملك الفرنسي جون الثاني إلى ابنه فيليب الجريء خلال حرب المئة عام، وبمرور الوقت حصلت على استقلال ذاتي، وكانت في صراع مستمر مع الحكومة المركزية آخر دوقاتها شارل الجريء الذي توفي في سنة ١٤٧٧م فقسمت إقطاعاته بين زوجته مارغريت يورك وابنته ماري وأصبحت تحت من بحيرة جنيف إلى الجزء الجنوبي من هولندا حالياً. للمزيد ينظر التفاصيل:

Maurice Ashley, Great Britain to 1688, University of Michigan, New York, 1961, P.195.

(6) Jasper Ridley, Op. Cit, P.4.

(7) Charles W. Ferguson, Op. Cit, P.4.

(٨) أدوارد الرابع: أحد ملوك أسرة يورك ولد في (رون) Rouen في فرنسا، وكان الابن الثاني لريتشارد (دوق يورك) Duke York، الذي تربطه صلة الرحم مع العائلة المالكة في إنكلترا، طالب بالتاج الإنجليزي بعد مقتل والده وشقيقه سنة ١٤٦٠م، وأصبح الوريث للعرش مع عائلة يورك ودخل في معارك عديدة مع =عائلة لانكستر في حرب الوردتين، وانتصر عليهم وتولى العرش سنة ١٤٧١م لغاية وفاته ١٤٨٣م، وشهد حكمه ازدهاراً اقتصادياً وقيل أن بلاطه من أجمل البلاطات في العالم آنذاك. للمزيد ينظر:

Encyclopedia Britannica, Vol. 10, P.213.

(٩) مارغريت يورك: دوقة بورغندي، ولدت في الثالث من أيار ١٤٤٦م في إنكلترا وهي ابنة ريتشارد دوق يورك، وأمها سيسلي نيفيل تزوجت شارل الجريء دوق بورغندي في سنة ١٤٦٨م، مراعاة لرغبة والدته ايزابيلا Isabella إحدى حفيدات جون بيوفورت، التي رأت في زواجه من أميرة إنكليزية دعماً لتحالف إنكلترا وبورغندي ضد فرنسا، كانت مرغيت محبوبة لدى اليرغنديين وبعد وفاة زوجها سعت

بديبلوماسية وثباتها إلى تقوية نفوذ بورغندي وتحقيق الازدهار الاقتصادي لشعبها بعد وفاة أشقائها (أدوارد الرابع، ريتشارد الثالث) حقدت على التيورديين وعملت كل ما في وسعها لإسقاط حكمهم، توفيت في الثالث والعشرين من تشرين الثاني ١٥٠٣م في الفلاندرز عن عمر ناهز السابعة والخمسين سنة. للمزيد من التفاصيل:

Maurice Ashely, Op. Cit, P.195.

(10) Charles W. Ferguson, Op. Cit, PP.5-6.

(11) Brian Collins, Cardinal Thomas Wolsey Favorsor Bribes 1530, 2012, P.1.

(١٢) ليلي الصائغ، معالم تاريخ أوروبا في العصر الحديث، ط٤، منشور جامعة دمشق، سوريا، ١٩٩٨، ص١٢.

(١٣) العصابة الهانسية: تكونت العصابة من ائتلاف تجار شمال ألمانيا الذين نشطوا في تجارة البلطيق، وتجار (كولون) Cologne الذين تزعموا تجارة الأراضي المنخفضة وإنكلترا. وأصبحت تجارة مزدهرة بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر، فهيمنت على تجارة أوروبا، وبعد توسيع تجارة هذه العصابة طيلة القرنين، فأنها انحلت بين أواخر القرن الخامس عشر والقرن السابع عشر لأسباب تتعلق بظهور دول تجارية جديدة كالإنكليز والهولنديين. للمزيد ينظر: محمود عبد الواحد محمود، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الإنكليزية ١٦٠٠-١٦٦٨، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٣، ص١٢.

(١٤) الكاردينال: منصب ديني مهم يأتي في المرتبة الثانية في الأهمية من بعد منصب (البابا) Papas، يتم إعطاء هذا المنصب لرجال الدين من قبل البابا، ويصبح رجل الدين المنتخب أحد أعضاء مجلس الكرادلة في روما، ولهم الحق في انتخاب البابوات. للمزيد ينظر: زيد محمد حسين علي، توماس كرومويل ومشروع حل الأديرة في إنكلترا ١٥٣١-١٥٤٠، مراجعة وتقديم: محمد مظفر الأدهمي، دار أمل الجديدة، سورية، ٢٠٢٣، ص٥٠.

(١٥) العصور الوسطى: تحدد فترتها بشكل تقريبي من سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية في حوالي منتصف القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر، ويرى العديد من المؤرخين أن سنة ١٤٥٣ التي شهدت سقوط القسطنطينية على يد الدولة العثمانية هي انتهاء العصور الوسطى. للمزيد ينظر: ميلاد المقرحي، تاريخ أوروبا الحديث ١٤٥٣-١٨٤٨م، جامعة قان يونس، بنغازي، ١٩٩٦، ص١٨.

(١٦) محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ت، ص٢١.

(١٧) عبد الفتاح حسن أبو عليّة وإسماعيل أحمد ياغي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار المريخ، الرياض، ١٩٩٣، ص ١٩-٢٠.

(18) Ethelred L. launtion, Thomas Wolsey legate and Reformer, London and New York, 1902, P.17.

(19) Josef Grove, The History of The Life and Times of Cardinal Wolsey, Vol.1, Library of University of Michican, London, P.6.

(20) Hilaire Belloc, Wolsey, Fourth printing, J.B. Lippincott Company, Philadelphia and London, 1930, P.111.

(21) Neville Williams, The Cardinal and The Secretary Thomas Wolsey and Thomas Cromell, Machillan Publishing Co., Inc, New York, 1975, P.7

(٢٢) الكنيسة: المكان الذي تؤدي فيه الطقوس الدينية، ويجتمع فيه المسيحيون، فعندما أصبحت المسيحية الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية في القرن الرابع للميلاد تغيرت المعابد القديمة التي مارس فيها المسيحيون طقوسهم، إذ طليت جدرانها بطبقة من الجبس، ورسمت عليها صور القديسين، وتعد الكنيسة القديس بطرس المبنية في انطاكية- تقع في فلسطين- سنة ٣٧م أول كنيسة في العالم المسيحي. للمزيد ينظر: زيد محمد حسين علي، المصدر السابق، ص ٣٩.

(23) Neville Willimas, Op. Cit, P.6.

(٢٤) مفيد الزيدي ، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (٤٧٦-١٥٠٠م) ، ط ٣ ، ج ١ ، دار أسامة ، الأردن ٢٠٠٩ ، ص ٣٧٥ .

(٢٥) النهضة: هي مدة انتقال أوروبا من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، وكلمة النهضة تعني البعث الجديد، وقد ظهرت في إيطاليا في بدايتها وكان ذلك قبل منتصف القرن الرابع عشر ومنها انتقلت إلى أوروبا في ببطء شديد فلم تظهر إلا في أوائل القرن السادس عشر، وقد ظهرت بوادرها بظهور فكرة إحياء التراث القديم أو كما سماها المؤرخون حركة إحياء العلوم. للمزيد ينظر: عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٩٧، ص ٢٧.

(٢٦) عزمي بشارة، الدين والعلمانية في سياق تاريخي ، ج ٢، مج ١، المركز العربي للأبحاث والدراسة السياسية، بيروت، ٢٠١٥، ص ١٨٣.

(٢٧) مفيد الزيدي ، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ١٥٠٠-١٧٨٩ ، ج ٢ ، دار أسامة ، الأردن ٢٠٠٩ ص ٣٩٩ .

(28) Charles W. Ferguson , op.cit, p. 22.

(٢٩) سيف توفيق ابراهيم توماس مور سيرة سياسية وفكرية (١٤٧٨ - ١٥٣٥م) مراجعة وتقديم محمود عبد الواحد القيسي، دار عدنان ، العراق ، ٢٠٢٢ ، ص ٣٠ .

(٣٠) نبيل عبد الحميد عبد الجبار، تاريخ الفكر الاجتماعي ، دار دجلة ، بغداد ٢٠٠٩ ص ١٣٩

(٣١) عبد الفتاح حسن أبو عليّة وإسماعيل أحمد ياغي، المصدر السابق، ص ٤٧ .

(32) Charles w. Ferguson op.cit, p . 22

(33) Hitlerie Belloc , Op. Cit, P. 1-9..

(٣٤) عباس حسن عبيس الوسمي ، إنكلترا في عهد هنري السابع (١٤٨٥-١٥٠٩م)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠١٦، ص ١٦٩ .

(35) Charles w.Ferguson , op.cit, p. 23

(٣٦) توماس الاكويني : أستاذ اللاهوت الكاثوليكي في القرن الثالث عشر، ولد في جنوب إيطاليا، واستغل جميع ما تولد في المجتمع الأوروبي من نهضة باكتشاف مؤلفات أرسطو، إذ تعمق فيها ، وكان منهجها واضحا قويا الحجة ، شديد التمسك بالدين، سامي الاخلاق، ومن آرائه أن الإيمان الصحيح في الدنيا هو السبيل الوحيد للخلاص، والنعيم الدائم في الآخرة . لمزيد من التفاصيل ينظر : منتهى عذاب وهيب ، حركة الاصلاح الديني في انكلترا في عهد هنري الثامن (١٥٠٩ - ١٥٤٧) ، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الأول، الجامعة المستنصرية بغداد، ٢٠٠٧ ، ص ٣٣٨ .

(٣٧) جامعة أكسفورد: وهي من أقدم الجامعات الإنكليزية وأشهرها، انشئت حوالي سنة ١١٦٧م في مدينة أكسفورد الواقع في الجزء الجنوبي الشرقي من إنكلترا، وتقع على نهر التايمز Thames، على بعد (٥٤) ميلاً حوالي (٨٧) كم إلى الشمال الغربي من لندن. ينظر:

The New Encycopedia Britannic, Vol.9, P.28.

(38) Hilaire Belloc , op.cit, p. 1-9.

(39) Jasper Ridly, Op. Cit, P.5.

(٤٠) عباس حسين عبيد الوسمي، المصدر السابق ، ص ١٦٩

(٤١) سيف توفيق ابراهيم، المصدر السابق، ص ٣٤ .

(٤٢) كلية سانت ماري المجدلية: تأسست كلية ماري ماري المجدلية في جامعة أكسفورد على يد (ويليام واينفلت) William، أسقف وينشستر وفي سنة ١٤٤٨م، حصل على ترخيص ملكي لتأسيس قاعة أكاديمية في أكسفورد تحت رعاية القديسة مريم، وبعد مرور عشر سنوات أصدر ميثاقاً رسمياً بإنشاء

الكلية المعروفة باسم المجدلية، تم وضع حجر الأساس سنة ١٤٧٤ ويعتبر المبنى من أجمل مباني العصور الوسطى والحديثة. للمزيد ينظر:

Mandell Crieghton, Op. Cit, P.32.

(43) Ethelred L Tauntion, Op. Cit, p. 12.

(44) John Guy, Cardinal Wolsey Headstart History Papers, Oxford, 1998, P. 1.

(45) Charles W Ferguson, op. cit op, P.24.

(46) Charles w Ferguson, op. cit, p. 25.

(47) Folkston's Williams, Lives The English cardinals Including Historical Notices of the papat Court, London, 1868, p. 255.

(48) Neville Williams Op. Cit, P.6.

(49) Mandell Creighton, op. ci, p.32.

(50) Peter Gwyn, The King's Cardinal The Rise and Fall of Thomas Wolsey, Barrie and Jengins, London, 1990, P. 2.

(51) Charles W. Ferguson, op cit, P. 25.

(٥٢) أرسطو : أرسطو طاليس (بالإغريقية) هو ابن نيقوما خوس ، طبيب يوناني ، أمضى عشرين عامًا وتتلذذ على يد أفلاطون، عند موت معلمه غادر أثينا وذهب إلى أسوس مستوطنة على شاطئ آسيا الصغرى وتزوج هناك حوالي سنة ٣٣٥ ق.م أسس في أثينا مدرسة جديدة عرفت باسم المشائية، ومن أهم مؤلفاته التمهيد الفلسفة أو في الخير، إلى ديما نوكويس، أغاليط السفطائين وغيرها ، حكم عليه مجمع حكماء أثينا بالإعدام ومات معموداً سنة ٣١ ق.م، وللمزيد ينظر: شارل حلو، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، إعداد : ذروني ايلي ألفا، مراجعة : جورج نخل ، ج ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م؛ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي، مصر، ٢٠١٢.

(53) Eterled L. Taunaton, Op. Cit, P.13.

(٥٤) البابا: أصلها من الكلمة الإغريقية Paps وتعني الأب، أطلقت على أساقفة آسيا، وأصبحت لقباً لأسقف الإسكندرية سنة ٢٥٠م، وفيما بعد انتشرت في الكنيسة الغربية، وأطلقت روما الذي يمثل بابا الكنيسة الكاثوليكية في العالم، وهي بمثابة وظيفة شرف وولاية. ينظر: عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٤، ص١٠٦.

(55) Nevill Williams, Op. cit, P. 6.

(56) Folkestone Williams, op. cit, p. 247.

- (57) John Galt, Esd, The life and administration of Cardinal Wolsey, Third edition , London, 24 24, P. 8.
- (58) Nancy Lenz Harvey, Thomas Cardinal Wolsey, Macmillan Publishing Co., New York and London, 1980, P. 6.
- (59) Folkston Williams, op. cit, p. 249.
- (٦٠) شوقي الجمل وعبد الله الرازق ، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٣ .
- (٦١) محمد مظفر الادهمي، تاريخ أوروبا الحديث من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية القرون ١٦-١٨ ميلادية، طبع على نفقة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، د.ت، ص ٣٨.
- (٦٢) عبد العزيز سليمان نوار و محمود محمد جمال الدين من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، مصر، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، ص ٧.
- (٦٣) ميلاد المقرحي، المصدر السابق، ص ٢١.
- (٦٤) محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، دار المعرفة الجامعية ، مصر، د- ت ، ص ٢٣ .
- (٦٥) عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نواره، المصدر السابق، ص ١٣ .
- (٦٦) نور الدين بن حاطوم، تاريخ عصر النهضة الأوروبية، دار الفكر، دمشق، ١٩٦٨ ، ص ٢٢ .
- (٦٧) شوقي الجمل وعبد الله الرازق ، المصدر السابق، ص ٢٩ .
- (٦٨) عبد الفتاح أبو عليّة وإسماعيل ياغي ، المصدر السابق، ص ٢٩ .
- (٦٩) هاشم صالح التكريتي، محاضرات في تاريخ أوروبا الحديث، دار الحداثة، بغداد، ٢٠٢٠، ص ٥.
- (٧٠) رقية عليوش، دور الحركة الإنسانية في تطور الفكر السياسي والتاريخي في عصر النهضة، مجلة المعيار، مجلد ٢٧، عدد ٣ ، السنة ٢٠٢٣ ، ص ٨٤٥ .
- (٧١) ميلاد المقرحي، المصدر السابق، ص ٥٥ .
- (٧٢) وليم كروسين: إنساني إنكليزي ، درس في الكلية الجديدة (New College) في أكسفورد وأصبح معيدًا في علم اللاهوت في كلية مجدلين في سنة ١٤٨١ م ، وفي العام نفسه سافر إلى إيطاليا من أجل التعليم ودرس اليونانية في فلورنسا وروما على يد أنجلو بليز يانو Angelo paliziano وعاد إلى إنكلترا، درس في أكسفورد تحديدًا في كلية اكستر Exeter colege وكان أول شخص يدرس اليونانية بصورة عامة في إنكلترا . ينظر :

G. Charles Nauert, History Dictionary of Renaissance, New York, 2004, pp. 119 – 180.

(٧٣) توماس ليناكر : طبيب الملك هنري الثامن ، إنساني، نشأ في كانتريري و درس في أكسفورد قبل أن يذهب إلى فلورنسا (١٤٨٧ - ١٤٩٣) ، تعلم هناك اللغات الكلاسيكية على يد ديمتورز Demetrius ، وانجلو بليز وحصل على شهادة الدكتوراه في الطب سنة ١٤٩٧ من (بادوا) Padua وأصبح مدرسًا خاصًا لابنه الملك الأميرة ماري، أسس الكلية الملكية للأطباء سنة ١٥١٨م وترجم العديد من الكتب الخاصة بالطب من اليونانية إلى الإنكليزية. للمزيد ينظر :-

ibid, p. 239

(٧٤) وليم ليللي : إنساني إنكليزي ولد في سنة ١٤٦٨م في مقاطعة هامشير في جنوب إنكلترا، درس في جامعة أكسفورد ١٤٨٦م، وقرر الذهاب إلى الحج المقدس وعند عودته ذهب إلى جزيرة رودس في اليونان وبقي مدة تعرف على معاناة اللاجئين الذين قدموا إليها بعد سقوط القسطنطينية ، ثم سافر إلى إيطاليا وبعدها عاد إلى إنكلترا، أصبح صديقًا لكل من توماس مورو وجون كويت ووليام كروسين وايراز موس، وقام بتدريس اليونانية في لندن، ولديه أعمال أدبية مهمة في الأدب اللاتيني واليوناني استمر حتى القرن التاسع عشر في إنكلترا، أهمها كتاب (ايتون) للنحو اللاتيني وكان مدير مدرسة القديس بولس St. Paul's في الخامس والعشرين من شباط عام ١٥٢٢م .. للمزيد ينظر :

Encyclopedia Britannica , Vol.1, 14 , P.28.

(٧٥) جون كويت: عالم دين ورائدًا في التعليم ولد عام ١٤٦٧ في لندن، وأحد الشخصيات الإنسانية في عهد تيودور وهو من رواد النهضة الأوروبية ودعم النهضة الثقافية في إنكلترا وهو من أسرة غنية درس الرياضيات والفلسفة في أكسفورد وسافر إلى إيطاليا ودرس في جامعاتها لمدة ثلاث سنوات وأصبحت له معرفة = =واسعة بثقافة عصر النهضة والفكر الإغريقي، وعاد إلى إنكلترا وأصبح محاضرًا في جامعة أكسفورد منذ عام ١٤٩٩ ، وقام بإلقاء محاضراته في كنيسة القديس بولس حول الكنيسة وانتقد رجال الدين الفاسدين، واتهم بالهرطقة إلا أنه لم يحاكم للمزيد ينظر :

The New Encyclopedia Britannica, Vol.39, P. 44.

(76) Nevill Williams,op.cit, p. 7.

(٧٧) سيف توفيق إبراهيم ، المصدر السابق، ص ٣٧.

(٧٨) هنري الثامن : هو ابن الملك هنري يتودور، أول ملوك آل تيودور، ولد في الثامن والعشرين من حزيران سنة ١٤٩١م في كرينوج Greenwich قرب لندن، تولى هنري العرش سنة ١٥٠٩م شهد عهده بداية حركة النهضة وحركة الإصلاح الديني في إنكلترا، تزوج ست مرات على التوالي، الأولى

هي كاثرين أراغون Catherin بنت ملكي أسبانيا فرديناند وإيزبيللا، التي أنجبت له ماري التي تولت عرش إنكلترا فيما بعد (١٥٥٢ - ١٥٥٨م)، ومن اهم مميزات عصره أيضاً، محاولته مع مستشاره توماس ولزي للإفادة من الصراع الدائر بين الإمبراطورية الرومانية المقدسة وفرنسا. للمزيد ننظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج٧، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤، ص ١٥٤.

(٧٩) هنري السابع: ملك إنكلترا اعتلى العرش سنة ١٤٨٥ بعد انتصاره في معركة (بوزورث) Bosworth آخر معارك حرب الوردتين مؤسساً بذلك أسرة آل تيودور التي حكمت حتى سنة ١٦٠٣ وتعد بداية حكمه البداية الفعلية للحكم المركزي في إنكلترا وبداية التاريخ الإنكليزي الحديث، تزوج من ألزابيث يورك وأنجب منها أربعة أولاد، توفي سنة ١٥٠٩م. للمزيد ينظر: عدنان أمين محمد، حركة الإصلاح الديني في إنكلترا (١٥١٧-١٦٠٣)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٧، ص ٧٣.

(٨٠) ول وإبريل ديورانت، الإصلاح الديني وهو يروي تاريخ الحضارة الاوربية خارج إيطاليا من وكليف إلى لوثر ١٣٠٠-١٥١٧، ترجمة عبد الحميد يونس، ج ١، مج ٢٥، دار الجهد الكبير، بيروت و تونس، د - ت، ص ٥٩.

(٨١) أبتسام سلمان سعيد، ابتسام سلمان سعيد، السياسة الداخلية في انكلترا (١٥٠٩-١٥٤٧)، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة بغداد، ٢٠١٥، ص ١٠٤.

(٨٢) سيف توفيق إبراهيم، المصدر السابق، ص ٣٩.

(٨٣) اليوتوبيا: وهو كتاب توماس مور على شكل رواية (قصة خيالية صور فيها مملكة بلغت غاية الجمال والكمال في الآمال والأخلاق، والمعنى الحرفي لكلمة يوتوبيا يأتي بمعنى ليس لها مكان) (No Place)، والمعنى الاصطلاحي لها هو (المثالية)، للمزيد ننظر: برتر اندل رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة: محمد فقي الشقنيطي، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٤٦-٥١.

(٨٤) سيف توفيق إبراهيم، المصدر السابق، ص ٣٩.

(٨٥) ارازمس: من أصحاب النزعة الانسانية، كان ابناً غير شرعي لروجر غيرت ومرغريت وقد أثرت هذه الولادة على حياته المستقبلية، دخل الدير في خودا وسط هولندا، ثم ترك الدير وسافر إلى فرنسا وإنكلترا وإيطاليا وسويسرا واختلط بأصحاب النزعة الإنسانية في أوروبا وتوطدت علاقته بتوماس مور وجون كولت، دعاه الملك هنري الثامن إلى بلاطه فعاش في إنكلترا سنتين أراد الاستقرار في بال سنة ١٥٢١ ولكن نجاح حركة الإصلاح الديني أجبرته على المغادرة، فعاد إلى وطنه هولندا

وأصيب بمرض النقرس ، ففض عليه ومات في بال سنة ١٥٣٦. للمزيد ينظر : شارل الحلو، المصدر السابق ص ٦٧.

(٨٦) ابتسام سلمان سعيد، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٨٧) المصدر نفسه، ص ١٠٥.

(٨٨) اللغة الإنكليزية: إحدى لغات المجموعة الجرمانية ، وقد تطورت اللغة الإنكليزية عن الإنكليزية في العصور الوسطى التي انحدرت من الإنكليزية القديمة (الانكلوسكسونية) وهي ذات أربع لهجات النورثمبرية Northumbrian في الشمال والميرسية Marcia في المنطقة الوسطى، والسكسونية الغربية test Saxon في الجنوب الغربي، والكنيتية Kentish في الجنوب الشرقي ، وقد تمكنت اللهجة السكسونية الغربية من احتلال مكان الصدارة بين اللهجات الأخرى في أواخر القرن التاسع الميلادي بفعل النشاطات الثقافية لملوكها، أما الانتقال من اللغة الإنكليزية الوسطى إلى اللغة الإنكليزية الحديثة، فقد بدأ في أوائل القرن الخامس عشر بعد وفاة الشاعر الإنكليزي الكبير (تشوسر Chaucer) وشهد ذلك القرن تطورات مهمة تتلخص في ظهور الإنكليزية اللندنية وترسيخها بعد اختراع الطباعة التي دخلت إنكلترا سنة ١٤٧٥ قبل أن يحدثها العالم الألماني. للمزيد من التفاصيل ينظر :

Encyclopedia Britannica , Vol. 2, p. 811.

(٨٩) ولیم كاستون ولد في ١٤٢٢ - وتوفي في ١٤٩١ أحد رواد الطباعة في العالم وهو أول من أدخل الطباعة إلى إنجلترا. وكانت طباعة أول كتاب باللغة الإنجليزية على يديه عام ١٤٧٥ وهو الكتاب الرومانسي (Recuyell of the Historyes of Troye) وذلك بعد أن ترجمه كاستون نفسه من الفرنسية. كما ترجم العديد من الكتب إلى الإنجليزية وطبعها. وهو صاحب أول ملصق دعائي في إنجلترا، هذا الملصق تم تثبيته على أبواب الكنائس يعلن عن طرح كتاب في المكتبات، وكان ذلك في عام ١٤٧٥، توفي سنة ١٤٩٥م. ينظر: Encyclopedia Britannica, Op. Cit, Vol.2, P.811.

(٩٠) ابتسام سلمان سعيد ، المصدر السابق، ص ١٠٤

(91) Ken Powell and chris cook, English Historical facts 1485 1603, The Macmillan Press Ltd, London and BasingStoke ,1977, P.136

عادات وتقاليد الدفن عند الانباط في ضوء
المصادر الكتابية

Burial customs and traditions among the Nabataeans in light
of written sources.

م . حارث كريم جياذ السويداوي

المديرية العامة لتربية الانبار / متوسطة ابن زيدون للبنين

M . Harith Karim Jiyad Al-Suwaidawi/General Directorate of
Anbar Education/Ibn Zaidoun Middle School for Boys

عادات وتقاليد الدفن عند الانباط في ضوء المصادر الكتابية

م . حارث كريم جيايد السويدي

الكلمات المفتاحية: التقويم، الحضارة النبطية، الحياة الدينية، عادات الدفن، الطقوس

الجنائزية.

Keywords: calendar, Nabataean civilization, religious life, burial customs, funerary rituals.

المستخلص:

تعد الانباط من الممالك العربية الشمالية ، والتي اهتمت بعادات وتقاليد الدفن وطقوسها لديهم ،من خلال التعامل مع جثث موتاهم، وكذلك التعامل مع الميت من حيث إعداد القبور، ولكون عادات الدفن النبطية احدى جوانب الحياة الدينية . والتي رسمت هذه الحضارة ووضعتها على خارطة العالم القديم ،فمثلت تلك العادات منجزاً حضارياً في تاريخ العرب، لما يحمله من موروث ثقافي وديني واجتماعي تزهو به الحضارات العربية الاخرى.

Abstract

The Nabataeans are one of the northern Arab kingdoms, which paid attention to their burial customs, traditions and rituals, by dealing with the bodies of their dead, as well as dealing with the dead in terms of preparing graves, since Nabataean burial customs are one of the aspects of religious life. Which drew this civilization and placed it on the map of the ancient world. These customs represented a cultural achievement in the history of the Arabs, because of the cultural, religious and social heritage they carry that other Arab civilizations are proud of.

المقدمة:

تبدو اهمية دراسة الحياة الدينية للحضارة النبطية، وذلك لما تحتله من موقع بارز واساسي في مسار وتطور الحضارات بشكل عام، فشكلت الثقافة الدينية لدى الشعوب جزءاً مهماً في تشكيل الحياة الاجتماعية، إذ برزت دراسة عادات الدفن عند الانباط وطقوسها،

لكونها احدى مناحي الحياة الدينية التي ترسم هذه الحضارة وتضعها على خارطة العالم القديم، فكانت تلك العادات والتقاليد الدينية للمدافن تمثل منجزاً حضارياً متميزاً في تاريخ العرب، ولا سيما الانباط، لما تركه من موروث ثقافي وديني واجتماعي وسياسي تزهو به الحضارات العربية الاخرى، واخيراً إن دراسة هذا الموضوع سيوضح مدى تطور في الحضارة النبطية والجهود المبذولة من اجل الوصول بحضارتهم الى اعلى الدرجات والرقي بها مع الحضارات الاخرى، وقسمت الدراسة على ثلاثة مباحث تناول المبحث الاول عادات الدفن عند الانباط، اما المبحث الثاني فقد تضمن الطقوس الجنائزية النبطية وتطرق في المبحث الثالث عن مفهوم الحياة الاخرى عند الانباط، ثم جاءت الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الاول: عادات الدفن عند الانباط: (١).

تعد الانباط من الممالك العربية الشمالية التي اهتمت بعادات وتقاليد الدفن وطقوسها ، من خلال التعامل مع جثث موتاهم، وكذلك التعامل مع الميت من حيث إعداد القبور (٢). ثم اقامة النصب التذكارية (٣). والمحافظة على عدم التجاوز على القبور وتدنيها (٤). وذكر سترابو (٥). "بأنّ الانباط ينظرون الى موتاهم مثل ما ينظرون الى النفايات" (٦).

ونحن نقول بأنّ هذا الكلام غير صحيح فنلاحظ بأنّ اغلب الشواهد الأثرية التي وجدت عند الانباط ومدنها هي مدافن، فمارست طقوسها وعاداتها بشكل طبيعي. ومن انواع عادات الدفن عند الانباط هي:

١- الدفن في التوابيت الخشبية: إنّ الانباط كانت لديهم عادات دفن قديمة، كان لها الاثر المهم في حياتهم العامة إذ انتشرت عادة الدفن داخل التوابيت عند الرومان، فاستخدمت منذ المرحلة الاتروسكية (٧). المبكرة في بلادهم الاصلية (٨). وقد عثر على الكثير من بقايا التوابيت الخشبية في الانباط ومدنها، ولا سيما في البتراء (٩). والحميمة (١٠). وكذلك وجدت في كرنب (١١). والنقب (١٢). جنوب فلسطين (١٣). الواقعة على طريق المواصلات النبطية والواصلة الى ميناء غزة (١٤). فضلاً عن ذلك وجدت في المناطق المجاورة للأنباط، إذ عثر على توابيت خشبية في يهوذا (١٥). بالقرب من عين الجدي (١٦). غرب البحر الميت مُطعمه بالعظم (١٧).

وقد عثر أيضاً على توابيت خشبية في احدى القبور النبطية^(١٨). في خربة الذريح^(١٩). يتضح لنا بأن أغلب التوابيت الخشبية التي عثر عليها وجدت متحللة، بسبب وضعها مباشرة على ارضية المدفن، اما التوابيت التي وضعت في مدافن حجرية فكان حالها أفضل من التوابيت السابقة. لذلك نجد أن التوابيت الخشبية صنعت من خشب الارز، ولم تستخدم المسامير الحديدية إلا في ربط اللوح مع بعضها البعض، واستخدمت كذلك طريقة التعشيق^(٢٠).

٢- عادة حرق جثث الموتى:

ظهرت عند الانباط عادة من عادات الدفن لموتاهم، وهي عادة حرق جثث الموتى، والتي وجدت في الكثير من المواقع النبطية، تأثرت بشكل مباشر بالحضارة الرومانية، وقسمت طرق الحرق إلى انواع منها: أ- الحرق الجزئي، ب- الحرق المتكامل ج- الحرق بوساطة استخدام الجير غير المطفأ^(٢١). لذلك نجد أن عادة حرق جثث الموتى عند الانباط فهي غريبة وقليلة الاستخدام، وهذا يؤكد انهم اخذوها عن غيرهم من الشعوب، ولا سيما الرومان، سوى ما استخدم من الجير غير المطفأ لديهم بطرق منفردة، وهذه حالات الحرق تعود بداياتها منذ القرن الثالث قبل الميلاد، وحتى القرن الاول الميلادي، كانت هذه عادات الدفن السائدة عند الرومان^(٢٢).

فنأتي إلى تقسيمات الحرق للموتى عند الانباط من خلال تأثرهم بالرومان، ومنها:
أ- الحرق الجزئي: وجد هذا النوع من الحرق في منطقة المعيصرة^(٢٣). ووجد داخل هذا القبر كميات من العظام الادمية والحيوانية المحروقة ايضاً^(٢٤). وجد في مدفن ذو الشرى^(٢٥). وعلى عمق متر واحد اسفل الجثث المحروقة ثمانى جماجم وعظام متفحمة، ووجد ايضاً جماجم مكسورة قد تعرضت للحرق^(٢٦).

ب- الحرق المتكامل لجثث الموتى النبطية: وتسمى الكولومبيريا^(٢٧). وهي عبارة عن مدفن كبير، يقع تحت الارض، ويحتوي جدران المدفن هذا على الكوات^(٢٨). المستطيلة او نصف دائرية بعضها جنب بعض، وهذه الفجوات وظيفتها وضع رماد جثث المتوفى في صناديق او جرار، ويمثل هذا الحرق المرحلة الاخيرة من مراحل حرق جثث الموتى عند الانباط^(٢٩).

ج- الحرق بوساطة اسءءءام الجير غير المطفأ: انفرءء ءولة الانباط عى غيرها من الءول بحرق الموءى من ءلال اسءءءام الجير الغير مطفأ، وقء عئر عليه فى مءفن ءو الشرى والءى يقع على قمة جبل المعيصرة، وقء وءءء ءلالء جماعم لأطفال وضعت فوق بعضها، مع بقايا رماء الجءء والفحم^(٣٠).

يءضء مما سبق بأن يءضء ما سبق بان سبب حرق جءة المءوفى عىء الانباط باسءءءام هءه الطريفة ءامضاً، وغير معروف، لربما يعوء لأسباب مرضية مثل الطاعون او غيره من الامراض المعدية، لءلك نءء أن مائه الجير الغير مطفأ، تعمى بالقضاء على المواء العضىوية وحرقتها.

٣- الءءنيط عىء الانباط لمعالجة جءة المءوفى قبل الديق:

هءالك فرضية ممءمة لوءوء هءه الطريفة اسءءءمها الانباط من ءلال الاشارات البسيطة الءى ءرءء امءمال ووءوها عىءهم، ولكن فى ءقيقة الامر لا ءوءء اءلة قطعية ءول اسءءءام الانباط للءءنيط لمعالجة اجساد موءاهم قبل الديق، فنلاءظ ووء عظام بشرية مءءائرة على الارض فى إءءى ءجرات الديق فى مءائن صالح^(٣١). وعئر فى مءفن اءر على قطع ملبس واغطفية، اسءءءمء اكفاناً بوساطة القار، وكءلك رائءة الاءوية المءسءءمة فى الءءنيط^(٣٢).

وهءاك اشاراء عئر عليها فى ءربة الءريء، وهى ءرءبء بمعاملة الجسء للمءوفى قبل الديق، منها اجزاء جافة من الءماغ، انها اجزاء ءافه الءماغ وكءلك العئور على ءصلة شعر فى اءءى الجماعم، وكءلك وروء عملية الءءنيط عىء الانباط، بءكم انهم مسءءرءون مائه القار من البءر الميء والءى صءرء الى مصر باسءءءامها فى عملية الءءنيط^(٣٣).

٤- عاءه الديق الفرءية عىء الانباط: إن بناء القبور عىء الانباط قء صمءء لءءءوى

على جءة واءءة فقط، ومن ءلال الءءقياء الاثرية الءى وءءء فى الاءرن، فكانء السمة الءالبة للديق فى هءه المقبرة هو الديق الفرءى^(٣٤). يءضء لنا بانه لم يعئر على جءة مءنطة عىء الانباط، ولكن هءاك فرضياء اسءءءمء لمعالجة جءء المءوفى قبل الديق.

فكانء الجءء الموءوءة فى المقابر، وءءء ممءءة على الظهر، اما الرأس يءءه نءو الشرق، اما الاءى فءكون مءئية فوق المعدة، او مءءوءة على الجوانب، وءءءه جميع هءه

القبور نحو الشرق غرب، فقد بلغت ابعاد القبور نحو (٢٠٠ - ٢٥٠ سم X ٤٥ - ٧٥ سم)، وعمق القبر هو (٥٠ - ١٥٠ سم)، وتكون محفورة في الارض، ومبنية من الحجارة المشدبة^(٣٥). يتبين لنا بأن أغلب القبور الفردية التي عثر عليها وجدت في البتراء وكرنب والحميمة.

٥- عادات الدفن الجماعي عند الانباط: وجدت عادات الدفن الجماعي عند الانباط بشكل كبير وعادات الدفن هذه لم يكن فيها نظاماً معيناً، وإنما يرجع للرغبة الشخصية، وهذا يدل على وجود اسباب لاستخدام هذه الطريقة في الدفن للموتى، وربما تكون طريقة الدفن اجتماعية اي (شخص الاسرة او العائلة) او لأسباب انتشار الأوبئة والامراض او لأسباب العادات والتقاليد المتبعة لديهم^(٣٦). لقد وجدت عادات الدفن الجماعي في خربة الذريح، وقد وجدت القبور وهي تحتوي على العظام الهيكلية، وهذا يتم ايضاً في منطقة كرنب التي وجدت فيها دفن الموتى الجماعي^(٣٧). وكشفت لنا الشواهد الاثرية في مدينة البتراء عدد كبير من المقابر، وهي تحتوي على دفن جماعي، ومنها المدفن الذي له مدخل رأسي يؤدي الى حجرة الدفن، وظهرت على ارضية حجرة الدفن عظام بشرية^(٣٨).

يتضح مما سبق بأن المدافن النبطية قد احتوت على اربعة قبور وهي تحتوي على هياكل بشرية، واستخدمت المدافن لجمع العظام الكثير المتناثرة، فضلاً عن القبور المتنوعة التي احتوت على هيكلين متجاورين وموضوعين فوق بعضهما.

المبحث الثاني: الطقوس الجنائزية^(٣٩). النبطية:

لقد وجدت بعض الطقوس الجنائزية في بعض الاماكن النبطية، فكانت لها أهمية من حيث استخدامها، فقسمت الى اقسام منها:

اولاً: المضافات الجنائزية: تمثل المضافات الجنائزية جانباً مهماً في المملكة النبطية، إذ وجدت في مناطق مختلفة من المملكة النبطية، وتعددت استخداماتها، فنجد منها ما كان ملحقاً بالمباني، ومنها ما كان ملحقاً بالمباني الادارية، ووجدت نفسها في خربة الذريح، ومنها ما هو خاص بالبيوت، ومنها ما له علاقة بالديانة، ومنها ما يخص المضافات الجنائزية^(٤٠). تعد المضافات الجنائزية جزءاً لا يتجزأ من المقابر النبطية، فقد كانت مبنية

في الصخر داخل المقابر او خارجها، وقسم منها وجد ما هو في فصل الصيف وفصل الشتاء^(٤١).

من خلال ما تقدم فقد وجدت المضافات الجنائزية في اماكن مرتفعة، وهوائها الطلق، واحتوت على كوى منحوتة في الصخر، لوضع المصابيح وتمثيل الآلهة.

إذ اتخذت المضافات اشكالاً مختلفة، منها ما حفرت مقاعدها في الصخر على محيط ثلاث واجهات وسميت (تركلينيوم)،^(٤٢). ومنها ما حفرت مقاعدها على جهتين وسميت (بيكلينيوم)، ومنها ما اتخذت شكلاً دائرياً، وسميت (ستباديوم)، وكان الغرض من وجود هذه المضافات تقديم وجبة جنائزية عند دفن الموتى او تقديم مأدبة سنوياً لأحياء ذكرى المتوفى^(٤٣).

ثانياً: المناضد او (الموائد) الجنائزية^(٤٤). النبطية: وجدت هذه المناظر بأشكال مختلفة في مدينة البتراء منها المناضد المستطيلة الشكل، والمبنية من الحجارة بأحجام مختلفة، وكانت تحيط هذه المناضد المقبرة الرئيسية، اما بقية المناضد فكانت بالقرب من المقابر، وكانت مهمة هذه المناضد هو تقديم الطعام والذين يأتون به لتقديم العزاء وهم جالسين على الارضية الترابية^(٤٥). وقد عثر ايضاً على المصابيح الفخارية، والجرار، والاولاني، واطباق خزفية اثناء عملية الحفر بالقرب من هذه الموائد^(٤٦). وقد عثر على (١٤٣) كأس ذهبي لمائدة جنائزية، ويعتقد أنّ هذه الوليمة التي قدمت على شرف الاله اوبوداس^(٤٧).

ثالثاً: النصب التذكارية الجنائزية النبطية: وجدت هذه النصب التذكارية على شكل مسلات منحوتة في الصخر في المدن النبطية، عثر عليها في منطقه باب السيق^(٤٨)، حيث وجدت كتابات نبطية عليها اسم المتوفى، الذي احتفل بذكراه، واهم هذه المسلات هو هرم بأبعاد (٨٠ × ٤٠ سم)، موجود على قاعدة مكعبة، ووجدت عبارة هذا نقش (بترايوس ابن ثيريبتوس) وقد كُرمَ لأنه مات في جرش^(٤٩)، وهو من سكان الرقيم^(٥٠)، وهذا النقص صنع له ابوه (تيمو) بالتبني، وهو يمثل نصب تذكاري ليس له علاقة بالقبور إذ دفن هذا الشخص في جرش^(٥١). عملت الانباط على فصل النقص التذكاري عن المقبرة نفسها، وانهم تميزوا بها، وهذا ما نراه واضحاً في أم الجَمال^(٥٢)، ومادبا،^(٥٣) وتدمر،^(٥٤) فضلاً عن

العلاقة الةف وءذء بفن شكل المذفن وءءطفطه، والوضع الاقءصاءف والاجءماعف للمءوفف^(٥٥).

رابعاً: المرفقات الجنائزفة: لم ءهءم الانباط بالمرفقات الجنائزفة للمفء، لأنها لم ءعءر علف الكءفر منها فف مقابر البءراء، سوف ما عءر علفه هو (جرسفن برونزففن، وبعض الاساور، وبعض الاساور البرونزفة، وزجاجة كروفة للزفنة)^(٥٦). وكذلك عءر علف قءع نقءفة فف القبور ءابعة لمءفنة البءراء وءربة الذرفح، ووضءء فف فم المءوفف، وهف ضرفبة ءءفع لشارون^(٥٧). صاحب العربة الةف ءءقل المءوفف من القبر الف العالم الارضف، وكذلك عءر علف رقم طفنفة كان لها اهمفة فف المرفقات الجنائزفة^(٥٨).

المبءء ءالف: مفهوم الءفة الاءرة عذ الانباط:

لا فزال الءلاف والءءل قائماً ءول موقف الانباط من مفهوم ما بعء الموء، فقء وءذء مفاهفم لءف الانباط اءارء اهءماماً واضءاً، فكانء للأنباط معءقءاء بءفة ما بعء الموء من ءلال النقش الءف عءر علفه فف البءراء فعود الف عام (١٧ م)، وءاء ففه "ان ابناء وهب الهف قء اقاموا (بفء صلما)، اف بفء الاءرة"^(٥٩). افضا وءذء معءقءاء عذ الانباط، وهم ففءقءون بوءوء ءفة اءرى من ءلال اهءمامهم بمقابرهم وءرصهم علف بقائها صامءة، وكذلك وضعهم بعض المرفقات مع المءوفف من مءوءرات، واوان، وولائم قءسفة، لأن اهله ففءقءون انه سفسءءمها عذ انءقاله للءفة الاءرى^(٦٠). وقء وءذء بعض المفاهفم منها ما فشفر الف رمزفة الءالففن الةف وءذء فف قبور اهل الانباط، فف كرنب والنقب، وقء ءاءء لءضمن للروح عبوراً امناً عبر الءهالفز الف الءفة الاءرة، فضلاً عن وءوء بعض السراءفب والاقبفة ورموز مءءلفة، ءؤكد علف وءوء مفهوم الءفة الاءرة عنءهم، واكد ذلك ان افمان الانباط بالءفة الاءرة ءمءل فف القبور، وءعءبر من اهم مظاهر الءضارة النبطفة، من ءلال الاهءمام بالقبور وكلف بنائها، لم ءقوم لولا افمان الانباط بأهمفة مرءلة ما بعء الموء^(٦١). فءضء مما ءقءم بأن الانباط ففءقءون بوءوء ءفة اءرى ففءقل الفه مءوفف بعء ءفنه، ووضءهم القءع النقءفة فف فم المءوفف، لفءفعها ضرفبة لشارون صاحب العربة الءف سفنقله الف الءفة الاءرى.

الخاتمة

يتبين من خلال البحث فقد توصلنا الى النتائج الآتية:

١- صاحب انتقال الانباط من مرحلة البداوة الى مرحلة الاستقرار، هو تطور في جميع نواحي الحياة ولا سيما الحياة الدينية، اسهمت في تكوين هويتهم وتحديد معالمها، نتيجة احتكاكهم بالحضارات المجاورة.

٢- التأثير بالأفكار الدينية وعمليات البناء، فتركت اثراً مهماً بالحضارة النبطية، ولا سيما بالمؤثرات اليونانية والرومانية، فقد تركت اثراً واضحاً في حياة الانباط من جميع نواحيها.

٣- ظهرت لدى الانباط في معتقداتهم وتقاليدهم في كثير من النقوش والواجهات المنحوتة في الصخر، والتماثيل المنحوتة، والنقود النبطية وغيرها من العناصر، انعكست على ثقافة الانباط وشعبه والتي لا تزال حضارته قائمة الى الان.

٤- استخدمت ايضاً المسلات في العمارة الجنائزية عند الانباط والتي وجدت في المدن النبطية، ولا سيما البتراء وخربة الذريح والنقب والحميمة وغيرها، كان لها الاثر في الحضارة النبطية.

٥- يختص كل قبر بنصب تذكاري صنع على شكل مثلث من الحجر الكلسي المتقن الدق.

٦- وجدت بعض النقود الموضوعة في أفواه الأموات، ومن المحتمل أنهم زدودوا بها لتعينهم على الانتقال للعالم الآخر، وتعود هذه القبور للفترة (١١٠ - ١١٥ م) وظل المدفن طور الاستخدام حتى القرن الرابع الميلادي. ومن المحتمل أن مثل هذا الطقس انتقل للأنباط بتأثير العادات اليونانية، إذ أن النقود حسب مفهومهم كانت تدفع لحارس بوابة العالم السفلي، وعثر أيضاً على نقود ذهبية وغيرها مثل المجوهرات الذهبية.

٧- استخدم الأنباط الأكفان من القماش الكتاني والجلود، وعثر أيضاً على أحذية جلدية، وخرز واخلخال في القدم اليمنى لأنثى مما يشير إلى فهم غامض للحياة الآخرة.

٨- عرف الأنباط أو بعضهم عادة حرق الميت بالجير غير المطفأ، ويعمل الجير على إذابة الجثة وتكليسها، ويبدو أن هذه العادة عرفت بتأثير اليونانيين والرومان.

الهوامش:

(١) الانباط: وهم شعوب عربية هاجروا من جنوب شبه الجزيرة العربية واستقروا فى شرقى الأردن ضمن المناطق التابعة للادوميين، وقد ظهرت الاشارة الاولى للأنباط فى السجلات الآشورية التى تعود إلى الملك تجلات بلاسر الثالث (٧٤٤-٧٢٧ ق.م)، وبنى الأنباط المدن وأنشأوا القرى، فقد تميزت بلاد الأنباط بأنها بلاد جبلية قليلة المياه، وتكثر فيها المرتفعات الصخرية الوعرة والشعب، وقد انعكست هذه الطبيعة على النبط، وعرفت الأنباط بشدتها وقوتها، وساعدتهم البيئة الصخرية على صد هجوم الأعداء، وسماها اليونان بلاد العرب الصخرية وسميت بالبتراء، لأنها منحوتة فى الصخور، وعرفت فى المصادر العربية باسم الرقيم، بدليل أن أسماءهم عربية خالصة. ياقوت الحموي، شهاب الدين، أبو عبدالله (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، (بيروت، ١٩٧٧ م)، ج ٣، ص ٦٠؛ لانكستر، هاردنج، آثار الأردن، ترجمة: سليمان موسى، ط ٢، دائرة الآثار العامة الأردنية (عمان، ١٩٧٨ م)، ص ١١٧؛ فخري، احمد، اتجاهات حديثة فى دراسة تاريخ الانباط، مجلة حولية دائرة الآثار العامة، العدد ١٧، (عمان، ١٩٧٢ م)، ص ١٢؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ١، دار النفائس للنشر، (بيروت، ٢٠٠٩ م)، ص ٣٥٠.

(٢) wright, G.R.H. strabo on tuneray customs of in PEQ. 1969, p113

(٣) النصب التذكارية: وهى تمثل بناء او تمثال شيد لتخليد ذكرى شخص او حادثة ما لها اهمية تاريخية وعلمية، اقامت الانباط النصب التذكارية، وكان طوله (٥٠ متر)، ومنحوتة فى الجبال الوردية فى نهاية السيق، وهو بناء منحوت فى الصخر، ارتفاعه (٣٩ متر)، وعرضه (٢٨ متر). علي، جواد، المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام، ط ٢، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٧٦ م)، ج ٦، ص ٤١٦؛ نافع، محمد مبروك، تاريخ العرب قبل الاسلام، ط ١، مطبعة السعادة، (القاهرة، ١٩٥٢ م)، ص ١٤٤.

(٤) عباس، احسان، تاريخ دولة الانباط، ط ١، دار الشروق، (عمان، ١٩٨٧ م)، ص ١٣٩.

(٥) Strabo, The Geography of Strabo, Translated by Jones. H. wiliam

Heinemann Ltd, London), 16, 4, p26

(٦) Strabo, 16, 4, p26

(٧) المرحلة الاتروكسية: وهى احدى مراحل الحضارة الرومانية التى استمرت حتى القرن الاول الميلادى، وتقع على الساحل الغربى لشبه الجزيرة الايطالية، وسيطروا على اقليم اتروريا، وفرضوا لغتهم على اهله، ونشروا حضارتهم بينهم، واقاموا المدن فيها وتعرف اليوم بتوسكانا. نصحي، ابراهيم، تاريخ

الرومان منذ اقدم العصور حتى عام (١٣٣ ق.م)، (القاهرة، ١٩٨٣م)، ج١، ص٣٧؛ بهية، شاهين، اثار بحر ايجة وايطاليا، (الاسكندرية، ٢٠٠١م)، ص١١٠.

(^٨)Toynbee,J,M,C,Death and Burial in the Roman World,London,1971),p15.

(^٩) البتراء: تعتبر مدينة البتراء، عاصمة الأنباط، أسست البتراء تقريباً في عام ٣١٢ ق.م، وهي من أشهر المواقع الأثرية، تقع في محافظة معان جنوب الاردن، تشتهر بعمارتها المنحوتة بالصخور، ونظام قنوات جر المياه القديمة، أطلق عليها قديماً اسم (سلع)، كما سُميت بـ (المدينة الوردية)، نسبةً لألوان صخورها الملوتية. الاضطخري، أبو اسحاق محمد (ت ٣٤١ هـ)، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال (مصر، ١٩٦١م)، ص٤٧؛ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب، ج٣، ص٧٣

(^{١٠}) الحميمة: قرية أردنية تقع في العقبة في جنوب الاردن، عُرفت سابقاً باسم (حوارة)، استمر السكن فيها حتى نهاية العصر الأموي، اشتهرت قرية الحميمة بكونها معقل الحركة العباسية وانطلاقاً لقيام دولتهم، ونظراً لوقوعها على الطريق الممتدة من البتراء إلى أيلة (العقبة)، فقد ازدهرت الحميمة بسبب مرور القوافل التجارية بها، فاكسبت الحميمة مزيداً من الأهمية كمحطة تجارية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٠٧.

(^{١١}) كرنب: وهي قرية فلسطينية تقع في الجنوب الشرقي لمدينة بئر السبع، وكانت كرنب محاطة بسور علوه ثلاثة أمتار لصدّ الأعداء عنها، وكانت ملتقى طرق التجارة يتجه إلى القدس والعقبة وغزة. عباس، إحسان، تاريخ دولة الأنباط، ص٦٤.

(^{١٢}) النقب: نَقَبُ: بالفتح ثم السكون، وآخره باء موحدة: قرية باليمامة لبني عدي بن حنيفة. ونقب ضاحك: طريق يصعد في عارض اليمامة، و «النقب» صقع واسع من جنوب فلسطين. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٠٣؛ شُرَاب، محمد حسن، المعالم الأثرية في السنة والسيرة، ص٢٨٩.

(^{١٣}) فلسطين: وهي آخر كور الشام من ناحية مصر، قصبته البيت المقدس، وقيل إنها أول أجناد الشام من ناحية الغرب، وقيل: إنها سميت بفلسطين بن سام بن إرم بن سام بن نوح، عليه السلام، منطقة ذات حدود سياسية معينة في القرن الثاني للميلاد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٧٤.

(^{١٤})Parr,P,J.Excavations petra,1958-1959.p.E.Q.1960),p134.

(^{١٥}) يهوذا: وهو الاسم العبري التاريخي للمنطقة الجبلية في جنوب فلسطين، يعود الاسم في أصله إلى يهوذا الابن الرابع للنبي يعقوب (إسرائيل)، كما مملكة يهوذا التي استمرت بداية من عام (٩٣٤ ق.م. حتى ٥٨٦ ق.م)، تغير اسم المنطقة واتحدت مع سوريا الرومانية لتصبح جزءاً من مقاطعة سوريا فلسطين الرومانية بأمر من الإمبراطور الروماني المنتصر هادريان، تتميز يهوذا بكونها منطقة جبلية

جزء منها عبارة عن أراضٍ صحراوية. العجلوني، أحمد حسن، حضارة الأنباط من خلال نقوشهم، ص ٦١-٦٢؛ مياس، جيهان، التنظيمات العسكرية في ممالك العرب الشمالية، ص ٨.

(^{٦١}) عين جدي: اسم عبري معناه "عين الجدي" عين وبلدة معاً، كان اسمها أولاً حصون تامار، وهي على الشاطئ الغربي للبحر الميت، من نصيب سبط يهوذا، وبالقرب من القدس، وكانت تمر بالقرب منها طريق للقوافل محصورة بين البحر والجبل. وكان الأموريون يسكنونها في أيام إبراهيم (عليه السلام)، ولا يزال نبع عين جدي يحمل الاسم نفسه. وهو نبع فياض وتنحدر مياهه من علو شاهق، على جبل صخري، وعند أسفله أرض خصبة، لغزارة المياه، تزرع فيها الكروم والنخل والحناء. برو، توفيق، تاريخ العرب القديم، ط٢، دار الفكر، (دمشق، ١٩٩٦م)، ص ٩٩.

(^{٦٢}) Yadin, y, The Finds From the Barkikhba period in the cave of Letters Jerusalem, 1963), p123-124.

(^{٦٣}) الشديفات، يونس محمد، عادات الدفن النبطية في خربة الذريح، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة اليرموك، ١٩٩٤م)، ص ٦٣.

(^{٦٤}) خربة الذريح: وهي موقع أثري لقرية نبطية ومعبد نبطي ضخم، يقع في جنوب الأردن في مدينة الطفيلة، وأن معنى الذريح في العربية الهضاب، تميزت خربة الریح بموقعها الاستراتيجي الهام لوقوعها من القرب من طريق التجارة الرئيسي، بالإضافة لوقوعها على طرق التجارية الفرعية المتجهة إلى منطقة غور الأردن وفلسطين وغزة. وترجع أهمية الموقع كذلك وخاصة في الفترة النبطية. المحيسن، زيدون، الحضارة النبطية، ص ٦٣-٦٤؛ الشديفات، يونس، عادات الدفن النبطية، ص ٦٣.

(^{٦٥}) Negev, A, The Nabataean Necropolis of Mafsis kumub, I EJ21, 1971), p118.

(^{٦٦}) Negev, A, The Nabataean, op, cit, p118.

(^{٦٧}) الشديفات، يونس، عادات الدفن النبطية، ص ٦٣؛ ستاركي، جان، النبط، تر: محمود العبادي، مجلة حولية، دائرة الآثار العامة، (الأردن، ١٩٧٠م)، العدد ١٥، ص ٩٣؛ الحوت، محمود سليم، في طريق الميثولوجيا عند العرب، ط١، دار النهار للنشر، (بيروت، ١٩٩٥م)، ص ٤٦.

(^{٦٨}) المعصرة: إحدى قرى كسروان، اسم القرية عربي منسوب إلى معصرة صغيرة كانت موجودة فيها. الشديفات، يونس، عادات الدفن النبطية، ص ٦٣؛ ستاركي، جان، النبط، ص ٩٣؛

(^{٦٩}) Horsefield, G. And A: selapetra, The Rock of Edom and Nabatean, QDAP, VII, 1938. p115.

(^{٧٠}) ذو الشرى: وهو احد الآلهة التي عبدها الأنباط، إذ يمثل كبير الآلهة، وقد سمّي بهذا الاسم نسبة إلى منطقة الشراة، وحاميتها، ومعناه (سيد الجبال)، وهو أحد آلهة العرب قديماً، يعتبره الأنباط كبير الآلهة

،واله السماء ،كان معبوداً في المنطقة، حيث يظهر واضحاً في نقوش الأبنية في منطقة حوران السورية، وفي النقوش المنحوتة على الصخور في البتراء ومدائن صالح في شمال غرب الجزيرة العربية. الملاح، هاشم يحيى ،الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢٠١١م)، ص١٣٤

(^{٢٦})Horsefield,G,op,cit,p115

(^{٢٧}) الكولومبيريا:وهي احد الاحجار الكريمة الزمردية، وهي جبال قابلة للتحلل البيولوجي للرماد البشري للبالغين من أجل ترميم الجناز أو الدفن أو الكولومبيرية، وهي عبارة عن مدفن كبير، يقع تحت الارض، ويحتوي جدران المدفن هذا على الكوات المستطيلة او نصف دائرية بعضها جنب بعض. ستاركي،جان، الكتابات والنقوش النبطية، ج١، ص٦٧.

(^{٢٨}) الكوات:وهي عبارة عن خرق في الحائط مستطيل الشكل،استخدمه الانباط في دفن موتاهم. الشديفات، يونس، عادات الدفن النبطية، ص٦٤.

(^{٢٩})Horsefield,G,op,cit,p115

(^{٣٠})ستاركي،جان، الكتابات والنقوش النبطية وتاريخ سورية الجنوبية من شمال الاردن،تح:احمد عبد الكريم، وسالم العيس،وميشيل العيس،ط١،دار الاهالي(دمشق، ١٩٨٥م)، ج١، ص٦٧.

(^{٣١}) مدائن صالح: تقع شمال مدينة العلا، واديها الحجر، والحجر تسمى مدائن صالح ،وهي قرية صغيرة قليلة السكان، وبها كانت منازل عاد وثمود. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٢٠.

(^{٣٢})ستاركي،جان، الكتابات والنقوش النبطية، ج١، ص٦٧.

(^{٣٣}) الشديفات، يونس، عادات الدفن النبطية، ص٦٤-٦٦.

(^{٣٤}) الحموري، خالد، مملكة الانباط، دراسة في الاحوال الاجتماعية والاقتصادية، ط١، دار بيت الانباط،(الاردن،٢٠٠٢م)، ص١٢٣.

(^{٣٥}) خوري، لمياء، المنحوتات الحجرية النبطية في البتراء، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك،(الاردن،١٩٩٠م)، ص٨٦.

(^{٣٦})خوري، لمياء، المنحوتات الحجرية النبطية في البتراء، ص٨٦.

(^{٣٧}) داوو،الاب جرجس،اديان العرب قبل الاسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات،(بيروت، ١٩٨١م)، ص٥٧.

(^{٣٨})Negev,A,op,cit,p120.

(^{٣٩}) الطقوس الجنائزية: وهي احدى الطقوس الجنائزية الرومانية والتي تشتمل على شعائر الرومان الدينية المتعلقة بالجنازات، وحرق الموتى، وعمليات الدفن، كانت جزءاً من التقليد القديم ، عند وفاة شخص ما

في منزله، كان أفراد العائلة والأصدقاء الحميمون يتحلقون حول سرير الوفاة. عملاً بمعتقد اعتبر الروح مُعادلةً للنفس، يودع النسيب الأوثق صلةً الروح الخارجة من الجسد وداعاً أخيراً يرافقه قبلة أخيرة ثم يغلق العينين. يبدأ بعدها الأقرباء الرثاءات، منادين الفقيد باسمه، ثم يوضع الجثمان على الأرض، ويُغسل، ويُدهن. عكست هذه الممارسة وضع الأطفال حديثي الولادة على الأرض الجرداء، كانت المقابر الرومانية متموضعة خارج الجدار المقدس للمدن (بوميريوم). كانوا يزورونها بانتظام حاملين عطيات من طعام وخمر، ويقومون احتفالات خاصة خلال الأعياد الرومانية تشريعاً للميت، تظهر النصب الجنائزية في كافة أصقاع الإمبراطورية الرومانية، ومنقوشاتها مصدر مهم للمعلومات بالنسبة للأفراد والتاريخ غير المعروفين إلا بها. صافي، رحاب صالح، الانباط في سورية من القرن الأول قبل الميلاد وحتى القرن الثاني الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، (الجامعة اللبنانية، ٢٠٠٢م)، ص ٨٧-٩٣.

(٤٠) Horsefield, G, p102.

(٤١) صافي، رحاب صالح، الانباط في سورية، ص ٨٧-٩٣.

(٤٢) تركلينيوم: وهي إحدى المضافات الجنائزية، تميز بها الانباط من خلال ما قام به شخص من الانباط يدعى (عبدملكو)، فأقام القبر له ولعائلته في حدود القرن الأول الميلادي، وهو عبارة عن ثلاثة مصاطب متصلة معاً، ومع جدران الغرفة من الداخل كان يستخدم الاحتفال بذكرى الموتى وتمجيدهم. ستاركي، جان، النبط، ص ١١؛ الحموري، خالد، مملكة الانباط، ص ٤٠.

(٤٣) المحيسن، زيدون، الحضارة النبطية، ط ١، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، (الأردن، ٢٠٠٤م)، ص ٦٢.

(٤٤) المناضد (الموائد) الجنائزية: وهي حجارة من قطعة واحدة تتحت عليها أطباق وتعرف بالطاولة الجنائزية، تستعمل في عيد الأموات لمشاركتهم الطعام، والطقوس لتذكر و الترحم على الموتى. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ٦، ص ١٣٨؛ عباس، احسان، تاريخ الانباط، ص ١٢٧.

(٤٥) المحيسن، زيدون، الحضارة النبطية، ص ٦٣.

(٤٦) العتيبي، محمد سلطان، المعبد في شبه الجزيرة العربية، مفهومه وتطوره ووظيفته من القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي، ط ١، دار الوراق للنشر، (الرياض، ٢٠١٤م)، ص ١٠٠.

(٤٧) الاله ابوداس: وهو احد الالهة النبطية، وهو اسم شائع بين أمراء العرب، ومعناه "الفاضل" أو "المُرْضِي عنه"، قدمت موائد جنائزية على شرف الاله ابو داس لما له من مكانة عند الانباط. المحيسن، زيدون، الحضارة النبطية، ص ٦٣.

(^{٤٨}) باب السيق: وهو مبنى فريد في البترا مكون من طابقين، الطابق العلوي ويؤرخ إلى القرن الأول قبل الميلاد، وهو الطريق الرئيس المؤدي لمدينة البترا يبدأ عند السد وينتهي في الجهة المقابلة للخزنة ، وهو عبارة عن شق صخري يتلوى بطول حوالي (١٢٠٠م)، وبعرض (٣-١٢م)، ويصل ارتفاعه إلى حوالي (٨٠م)، الجزء الأكبر منه طبيعي وجزء آخر نحت من قبل الأنباط، في بداية السيق يمكن مشاهدة بقايا لقوس يمثل بوابة المدينة ، وعلى جانبي السيق توجد قنوات لجر المياه من عيون وادي موسى في الخارج إلى المدينة في الداخل .عباس، احسان، تاريخ الأنباط، ص٣٢-٣٣؛ ابو الحمام، عزام، الأنباط، ص٤٤.

(^{٤٩}) جرش: إحدى مدن الأنباط، تقع شمال الأردن، أطلق عليها العرب قديما اسم جرشو ، ومعناه المكان كثيف الأشجار، أما الإغريق والرومان فقد أسموها جراسا، ثم أعاد العرب تسميتها ب جرش ، فهي تعتبر جرش واحدة من أكثر مواقع العمارة الرومانية المحافظ عليها في العالم ، ولا تزال الشوارع معقدة، والحمامات والمسارح والساحات العامة والأقواس، جرش، وفي وسطها نهراً جارٍ يدير عدّة رُحى عامرةً، وهي في شرقي جبل السّواد من أرض البلقاء وحواران، ومن عمل دمشق وهي في جبلٍ يشتمل على ضياع وقُرى. ويُقال للجميع جبل جرش، اسم رجلٍ، وهو جرش بن عبد الله. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٢٦.

(^{٥٠}) الرقيم: إنّ تسمية الرقيم هو تحريف للاسم الأغرقي القديم (Arke) الذي يطلق على المدينة. السقا، احمد حجازي، تاريخ العرب القديم، مكتبة النهضة ، (القاهرة، ٢٠٠٨م)، ص٨٩.

(^{٥١}) المحيسن، زيدون، الحضارة النبطية، ص٦٣.

(^{٥٢}) ام الجمال: وهي مدينة رومانية أثرية تقع في شمال الأردن، وقد بُنيت هذه المدينة في إحدى مستوطنات النبطيين القديمة من الطوب البازلتية الأسود المدعم بقوالب مستطيلة من البازلت وازدهرت في القرن الأول قبل الميلاد ،وتتميز بأروع البوابات الحجرية وهي تعرف باسم الواحة السوداء، وذلك لما بها من أعداد كبيرة من الأحجار البركانية السوداء، تحيط بها المزارع الخضراء التي تعتمد في ريها على الآبار الجوفية والتي تضيء لونها طبيعياً يكسر سمرة المكان، وجفاف الصحراء ،وتعتبر أم الجمال إحدى المدن العشر في حلف الديكابولس الذي أقيم أيام اليونان والرومان، وكان يضم عشر مدن في المنطقة الواقعة عند ملتقى حدود الأردن وسوريا وفلسطين .عباس، احسان، تاريخ الأنباط، ص٨٣؛ الحموري، خالد، مملكة الأنباط، ص٥٣.

(^{٥٣}) مادبا: معناها مكان الطين، او المياه الهادئة، إحدى المدن النبطية، التي تقع جنوب الاردن، لعب موقع مادبا تاريخياً دور كبير في أهميتها، حيث كانت إحدى محطات طريق الملوك الذي يربط مصر ببلاد الشام، حيث يُعتبر أحد أقدم وأهم الطرق التجارية في منطقة الشرق الأوسط، كما اعتمد المؤابيون

وغيرهم من الأقباط في الدول القديمة على هذا الطريق للتجارة، وكذلك اشتهرت مادبا كثيراً بالفسيفساء، حتى سُميت بمدينة الفسيفساء. سابا، جورج، العزيمي، وروكس، مادبا وضواحيها، ط ٢، (الأردن، ١٩٩٠م)، ص ١٧؛ الذيب، منير، معجم أسماء المدن والقرى في بلاد الشام الجنوبية، دار العرب للنشر، (دمشق، ٢٠١٠م)، ص ٣٣٢.

(^{٤٤}) تدمر: تقع مدينة تدمر في قلب بادية سورية (بلاد الشام) حول نبع غزير المياه بين غرب نهر الفرات، وشرق نهر العاصي، وقيل سميت بتدمر بنت حسان ابن أذينة، وهي من عجائب الأبنية، موضوعة على العمدة الرخام، وتمتاز تدمر بموقعها الفريد وخصوبة أرضها، ولذرة مياهها، تحيط بها من كل الجهات صحراء شاسعة، كأنما الطبيعة شاءت أن تعزلها عن بقية العالم، وهذا ما حفظ لها استقلالها بين امبراطوريتين عظيمتين روما وفارس. كلينغل، هورست، آثار سورية القديمة، ترجمة: قاسم طوير، منشورات وزارة الثقافة (دمشق، ١٩٨٥ م)، ص ٩٧؛ زيدان، جرجي، العرب قبل الإسلام، ص ٩٨؛ البني، عدنان، الأسعد، خالد، تدمر أثرياً تاريخياً، سياحياً، ط ٣، (دمشق، ٢٠٠٣م)، ص ١١؛ محمد، علي مادون، تفاعلات حضارية على طريق الحرير، (دمشق، ١٩٩٥ م)، ص ٢١٦.

(^{٤٥}) سالم، عبد العزيز، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ط ١، مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية، ١٩٨٨م)، ص ٨٣.

(^{٤٦}) سالم، عبد العزيز، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص ٨٣.

(^{٤٧}) شارون: خارون: وهو حارس البوابة للعالم السفلي، يقوم بدفن المتوفى، وكانت أجرته تدفع من خلال وضع النقود في فم المتوفى، ونقله الى الحياة الآخرة. ابو الحمام، عزام، الانباط تاريخ وحضارة، ط ١، دار اسامة للنشر، (الأردن، ٢٠٠٩)، ص ١٥٢-١٥٣.

(^{٤٨}) المحيسن، زيدون، الحضارة النبطية، ص ٦٣.

(^{٤٩}) زيدان، جرجي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ١، دار الهلال، (القاهرة، ١٩٦٧م)، ج ٣، ص ٤٦.

(^{٥٠}) غرايبة، بسام، المعبودات النبطية من خلال نقوشهم، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة اليرموك، ١٩٩٣م)، ص ٥٣.

(^{٥١}) ابو الحمام، عزام، الانباط تاريخ وحضارة، ص ١٥٣-١٥٤.

عادات وتقاليد الدفن عند الانباط في ضوء المصادر الكتابية

قائمة المصادر والمراجع:

- ١- الاصطخري، أبو اسحاق محمد (ت ٣٤١ هـ)، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال (مصر، ١٩٦١ م).
- ٢- ياقوت الحموي، شهاب الدين، أبو عبدالله (ت ٦٢٦ هـ)، معجم البلدان، دار صادر، (بيروت، ١٩٧٧ م).
- ٣- بهية، شاهين، اثار بحر ايجة وايطاليا، (الاسكندرية، ٢٠٠١ م).
- ٤- برو، توفيق، تاريخ العرب القديم، ط٢، دار الفكر، (دمشق، ١٩٩٦ م).
- ٥- البني، عدنان، الأسعد، خالد، تدمر أثرياً تاريخياً، سياحياً، ط٣، (دمشق، ٢٠٠٣ م).
- ٦- ابو الحمام، عزام، الانباط تاريخ وحضارة، ط١، دار اسامة للنشر، (الاردن، ٢٠٠٩ م).
- ٧- الحموري، خالد، مملكة الانباط، دراسة في الاحوال الاجتماعية والاقتصادية، ط١، دار بيت الانباط، (الاردن، ٢٠٠٢ م).
- ٨- الحوت، محمود سليم، في طريق الميثولوجيا عند العرب، ط١، دار النهار للنشر، (بيروت، ١٩٩٥ م).
- ٩- خوري، لمياء، المنحوتات الحجرية النبطية في البتراء، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، (الاردن، ١٩٩٠ م).
- ١٠- داوود، الاب جرجس، اديان العرب قبل الاسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات، (بيروت، ١٩٨١ م).
- ١١- الذيب، منير، معجم اسماء المدن والقرى في بلاد الشام الجنوبية، دار العرب للنشر، (دمشق، ٢٠١٠ م).
- ١٢- زيدان، جرجي، تاريخ العرب قبل الاسلام، ط١، دار الهلال، (القاهرة، ١٩٦٧ م).
- ١٣- سابا، جورج، العزيزي، وروكس، مادبا وضواحيها، ط٢، (الاردن، ١٩٩٠ م).
- ١٤- سالم، عبد العزيز، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ط١، مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية، ١٩٨٨ م).
- ١٥- ستاركي، جان، الكتابات والنقوش النبطية وتاريخ سورية الجنوبية من شمال الاردن، تح: احمد عبد الكريم، وسالم العيس، وميشيل العيس، ط١، دار الاهالي (دمشق، ١٩٨٥ م).
- ١٦- ستاركي، جان، النبط، تر: محمود العبادي، مجلة حولية، دائرة الاثار العامة، (الاردن، ١٩٧٠ م).
- ١٧- السقا، احمد حجازي، تاريخ العرب القديم، مكتبة النهضة، (القاهرة، ٢٠٠٨ م).
- ١٨- شُرَّاب، محمد بن محمد حسن، المعالم الأثرية في السنة والسيرة، ط١، دار القلم، الدار الشامية (دمشق، بيروت، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م).

عادات وتقاليد الدفن عند الانباط في ضوء المصادر الكتابية

- ١٩- الشديفات، يونس محمد، عادات الدفن النبطية في خربة الذريح، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة اليرموك، ١٩٩٤م).
- ٢٠- صافي، رحاب صالح، الانباط في سورية من القرن الاول قبل الميلاد وحتى القرن الثاني الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، (الجامعة اللبنانية، ٢٠٠٢م).
- ٢١- طقوش، محمد سهيل، تاريخ العرب قبل الإسلام، ط١، دار النفائس للنشر، (بيروت، ٢٠٠٩م).
- ٢٢- عباس، احسان، تاريخ دولة الانباط، ط١، دار الشروق، (عمان، ١٩٨٧م).
- ٢٣- العتيبي، محمد سلطان، المعبد في شبه الجزيرة العربية، مفهومه وتطوره ووظيفته من القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي، ط١، دار الوراق للنشر، (الرياض، ٢٠١٤م).
- ٢٤- العجلوني، احمد، حضارة الانباط من خلال نقوشهم، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغات، (بغداد، ٢٠٠١م).
- ٢٥- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط٢، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٧٦م).
- ٢٦- غرايبة، بسام، المعبودات النبطية من خلال نقوشهم، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة اليرموك، ١٩٩٣م).
- ٢٧- فخري، احمد، اتجاهات حديثة في دراسة تاريخ الانباط، مجلة حولية دائرة الآثار العامة، العدد ١٧، (عمان، ١٩٧٢م).
- ٢٨- كلينغل، هورست، آثار سورية القديمة، ترجمة: قاسم طوير، منشورات وزارة الثقافة (دمشق، ١٩٨٥ م).
- ٢٩- لانكستر، هاردينج، آثار الأردن، ترجمة: سليمان موسى، ط٢، دائرة الآثار العامة الأردنية (عمان، ١٩٧٨م).
- ٣٠- محمد، علي مادون، تفاعلات حضارية على طريق الحرير، (دمشق، ١٩٩٥م).
- ٣١- المحيسن، زيدون، الحضارة النبطية، ط١، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، (الأردن، ٢٠٠٤م).
- ٣٢- الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط٢، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠١١م).
- ٣٣- مياس، جيهان احمد، التنظيمات العسكرية في ممالك العرب الشمالية (البتراء - تدمر - الحضر)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة صنعاء، ٢٠٠٩م).
- ٣٤- نافع، محمد مبروك، تاريخ العرب قبل الاسلام، ط١، مطبعة السعادة، (القاهرة، ١٩٥٢م).
- ٣٥- نصحي، ابراهيم، تاريخ الرومان منذ اقدم العصور حتى عام (١٣٣ق.م) ط١، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٨٣م).

- Horsefield,G.And A:selapetra, The Rock of Edom and
١-Nabatean,QDAP,VII,1938
٢-Negev,A,The Nabataean Necropolis of Mapsis kumub,I EJ,1971.
٣- Parr,P,J.Excavations petra,1958-1959,pEQ,1960 .
4-Strabo,The Geography of Strabo, Translated by Jones.H.wiliam,
Heinemannltd ,London,1967).
٥- Toynbee,J,M,C,Death and Burial in the Romin World,London,1971.
6- wright,G.R.H.strabo on tuneray customs of in PEQ.1969.
7- Yadin,y,The Finds From the Barkikhba period in the cave of Letters
(Jerusalem,1963).

مجلة ليلي دراسة في الموضوعات الاجتماعية
للمرأة العراقية (١٩٢٣ - ١٩٢٥ م)

م.م شيرين هادي ولي

الجامعة المستنصرية / رئاسة الجامعة - قسم شؤون الطلبة
والتسجيل

Sh-hadi@nomustansiriyah.edu.iq

م.م شيرين هادي ولي

الملخص.

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على مجلة ليلي التي تعد من المجلات الأولى التي سجلت بدايات الصحافة النسوية في العراق ويعزى إليها الفضل كونها مثلت احد العوامل المهمة في ظهور الحركة النسائية العربية وقد نشرت المجلة تحت شعار (على طريق نهضة المرأة العراقية وقد حاولت معالجة الواقع المرير الذي كانت تعانيه المرأة في ذلك الوقت وقد ناقشت العديد من الموضوعات الاجتماعية في مجال الثقافة والتعليم وشؤون الأسرة كما قادت حملة من أجل تحرير المرأة

الكلمات المفتاحية : (مجلة ليلي، بولينا حسون، المرأة العراقية)

Laila magaziner astudy of social Issues of iraq women 1923-1925

Shireen hadi deli

**Presidency of mustansiriya university department of students
affairs and registration .**

Sh-hadi@nomustansiriyah.edu.iq

Abstract:

The research aims to shed light on Laila magazine, which is one of the first magazines that record the beginnings of feminist journalism in Iraq and is credited with being one of the important factors in the emergence of the Arab women's movement. The magazine was published under the slogan (On the Road to the Renaissance of Iraqi Women) and attempted to address the bitter reality that women were suffering at that time. It discussed many social issues in the field of culture, education and family affairs and led a campaign for the liberation of women.

المقدمة

تمد مجلة ليلى من المجالات المهمة بشؤون المرأة العراقية ، وقد حاولت معالجة الواقع الاجتماعي الذي تعاني منه المرأة العراقية في تلك المرحلة ، فهي الوحيدة التي تتحدث بلسان المرأة العراقية انذاك ولم تكن من مجالات السلطة أو من تلك المجالات التي ساندت الحكم الملكي في العراق وهذا يعني انها أول عملة مهمة بشؤون المرأة في العراق . وأبرز مميزات مجلة ليلى أن مقالاتها فيها جانب من الوعظ والارشاد، وأغلب كتابها من النخب المثقفة.

من الاسباب التي دعت لأختيار موضوع المجلة ليلى دراسة في الموضوعات الاجتماعية للمرأة العراقية (١٩٢٣ - ١٩٢٥ م) ، ان غالبية الموضوعات التي طرقتها المجلة ناقشت شؤون المرأة العراقية ودعت إلى المطالبة بحقوقها و شجعت كتابها للنور في كتابة موضوعات تخص تعليم المرأة العراقية وتوعيتها - من خلال إعطاءها حقوقها كاملة مقارنة مع أقرانها من النساء في الوطن العربي، وقسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وقائمة ، تناول المبحث الأول الذي حمل عنوان (تأسيس أول مجلة عراقية نسائية) وبين ابرز كتابها وكتابتها وابرز المواضيع التي تطرقت لها المجلة. وناقش المبحث الثاني الذي كان عنوانه (موقف مجلة ليلى من تعليم المرأة العراقية الذي تمثل تشجيع المرأة العراقية على التعليم والقراءة ومحاربة الجهل والتخلف والمطالبة بحقوقها المسلوبة وأبسطها حقها في التعليم. ودرس المبحث الثالث (الخدمات الصحية في العراق) الذي بينت فيه انتشار الامراض وكيف التخلص منها من خلال الاهتمام المرأة بالواقع الصحي وتشجيعها على الاطلاع على ما يقيد صحتها وصحة أسرتها والمطالبة بتوفير الكوادر الطبية - النسائية وتوفير الادوية والمستلزمات الطبية.

اولا: اصدار اول مجلة عراقية نسوية

شهد العراق منذ تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١م بزعامة الملك فيصل الاول^(١) ظهور الصحافة النسوية لأول مرة في تاريخه إذ ساهمت المرأة في مجال الصحافة الى جانب الرجل وقد لعبت دوراً مهماً في هذا الجانب وقامت بالمطالبة بحقوقها والدعوة الى انصافها وركزت بشكل كبير على القضايا التي تخص دراستها

وتتقيفها وما تواجهه من عادات وتقاليد قيدت من حريتها , لذلك سعت الى ان تكون عنصر فعال وبناء في المجتمع من خلال اخذ دورها الملائم في مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية مقتدية بما وصلت اليه النساء في الوطن العربي والعالم العربي^(٢). لذلك تم اصدار اول مجلة نسائية عراقية وهي مجلة ليلي^(٣), التي اسستها السيدة بولينا حسون^(٤).

وقد بدأت فكرة اصدار مجلة نسوية عراقية تراود بولينا حسون بعد ان رأت جمود الصحافة النسوي في مصر والشام وأدركت بانها قد صارت احد اعمدة حركة تحرير المرأة انئذ وأن المحتوى الذي تنشره المجلات النسائية لا يقل تأثير واهمية عن النشاط الذي تقوم به الجمعيات النسائية للنهوض بوضع المرأة لذلك شرعت بولينا حسون الى تأسيس مجلة نسائية بعد ان حظيت بموافقة الملك فيصل على تأسيس هذه المجلة^(٥) ثانياً :- تسمية المجلة :

كانت الساحة الصحفية قبل صدور مجلة ليلي خالية من اي مجلة متخصصة في شؤون امرأة لذلك ارادت بولينا حسون اختيار اسم مميز لمجلتها فوقع اختيارها على فتاة العراق لكي يجذب الاسم القراء للمجلة , ولكن قبل فترة قصيرة من اصدارها قررت تغيير اسمها الى "ليلي" وقد ذكرت بولينا ان سبب اختيار اسم ليلي لمجلة في العدد الاول انها سمعت الشاعر جميل صدقي الزهاوي^(٦) يلقي قصيدة في منتدى التهذيب جاء فيها:

وأني ليلي مغرم وهي موطني

وعلي اقضي في غرامي بها نحبي

فهبطت كلمات ليلي والوطن على قلبي هبوط الوحي فأندفعت الى تسمية المجلة باسم ليلي^(٧).

وضعت مجلة ليلي شعار (على طريق نهضة المرأة العراقية) في صفحتها الاولى من اجل بيان صوت المرأة العراقية وقد كانت المجلة تبحث بكل جديد وما يتعلق بدور العلم والفن والادب , والاجتماع لاسيما تهذيب الفتاة وتربية الاولاد وصحة الاسرة وسائر ما يختص بتدبير المنزل ولاعلاقة لها في الامور السياسية وقد

كان اصدارها شهريا وتشرف عليها بولينا حسون كونها رئيسة التحرير , صدر العدد الاول من المجلة في تشرين الاول ١٩٢٣ , وكانت تطبع في شركة طبع حديثة ببغداد لصاحبها حسون مراد وشركائه وكانت بحجم ٢٥×١٥ سم وبلونين ابيض واسود ولم يتجاوز عدد صفحاتها ولكل عدد ٤٨ صفحة^(٨). وقد كتبت بولينا حسون في افتتاحية العدد الاول جاء فيها (ان البعض يعتقد بأن ظهور مجلة نسائية في العراق من الكماليات التي لا يحاجه اليها الان وان المناداة بنهضة المرأة العراقية نفخ الرماد فهولاء وامثالهم معتادون على اطفاء الارواح ولعلمهم من بقايا الوائدين^(٩)).

يذكر ان مجلة ليلي عنيت بشؤون الاسرة كما نادت لتحرير المرأة وتسيرلها حقوقها خاصة في التعليم والعمل , كما كانت تهدف الى ترقية المرأة خلقا وقد تضمن العدد الاول منها على مواضيع اهمها الثبات الحقيقي واطيب ساعة, ولى والاخيلية والشعر والعقل وتربية الاطفال ,ومتى تحيا الامة وحياة المدرسة وقانون صحة الحامل واخبار الضرائب ومقتطفات من المجلات , وكان ثمنها لايتجاوز ١٢ روبية في العاصمة بغداد و ١٤ روبية لانحاء العراق الاخرى , و ١٠ روبيات للمدارس ولىرة انكليزي للخارج^(١٠).

اعتمدت بولينا حسون بكتابة المقالات في مجلة ليلي ونشرها وكانت هذه المقالات بعضها يتم ارسالها لها عن طريق الكتاب الاخرون وبعضهاهي تقوم بكتابتها كما ان اغلب كتاب وكاتبات المجلة كانوا تحت اسم مستعار او كتابة اول حرفين من اسمهم , وذلك بسبب نفور ابناء المجتمع من بعض المقالات التي كانت تتخذ معاملة المرأة من قبل الرجل وبعض العادات الاجتماعية التي تؤثر على نهضة المرأة وتحط من قدرها وتهظم حقوقها وتبقيها بحالة التخلف^(١١).

قامت بولينا حسون قبل اصدار مجلة ليلي بعدة اشهر بعودتها الى بلدها العراق وانغمست بالحياة العامة وكانت احدى العضوات المؤسسات لنادي النهضة النسائية^(١٢). الذي افتتح في تشرين الثاني عام ١٩٢٣ م ,واخذت تجهر بأدائها حول تحرير المرأة ومساواتها بأخيها الرجل ومشاركته في بناء العراق ونهضته بعد

تشكيله دولته الحديثة^(١٣)، إذ صدر لمجلة ليلي عشرون عدداً بين عامي ١٩٢٣-١٩٢٥، إلى أن توقف إصدارها بعد هجوم ضار واجهته بولينا بسبب مجلاتها ونشاطها النسوي إذ نشرت المجلة في أعدادها العشرين موضوعات متعلقة بكافة القضايا الاجتماعية والثقافة وكان لها موضوعات في الفن والادب والصحة والتاريخ خصوصاً تاريخ الأمريكي، فضلاً عن تخصيص ابواب مقتطفات من الصحف والمجلات ومقالات التي تقدم النصج والارشاد لربات المنازل بهدف بقاء العلاقات داخل الاسرة^(١٤). كما خصصت مجلة ليلي باباً للشعر بعنوان (رنات الاوتار السحرية) وكانت اغلب القصائد المنشورة، في اعداد المجلة لشعراء عراقيين وعرب ولم يكن هناك نصيب لاي شاعرة عراقية او عربية بينما تم نشر قصائد الشعراء مثل جميل صدقي الزهاوي، ومعروف عبد الغني الرصافي وغيرهم ..^(١٥).

وكذلك في المقالات فقد كانت اغلبها لكتاب وصحفيين من الذكور ويتضح مما سبق ان هذا الامر يتعلق بنظرة المجتمع للنساء اللاتي يكتبن للصحافة وتخوف السواد الاعظم ومنهن النشر بأسمائهن ولذلك شاعت في ذلك الوقت ظاهرة التوقيع بالالقباب تخفي هوية الكاتبات او بأسماء رجال^(١٦).

ساهم الكثير من الكتاب والادباء في كتابة مقالات المجلة الى جانب بولينا حسون صاحبة المجلة ورئيسة تحريرها التي تحملت مسؤولية ما يتم كتابته من قبل الكتاب في تلك الفترة وخاصتاً ان اغلبهم كما نوهنا سابقاً كانوا مجهولين الهوية وهذا الامر جعل من الصعب على الباحث التعرف او الحصول على اي معلومات تجعل القراء يطلعون على كتاب المجلة، وذلك لان اغلب الاسماء كانت تكتب باسماء رمزية نذكر مقالة ارسلتها الى مجلة ليلي سيدة من الموصل م.فائق بولسن بعنوان (قلبي يتألم) رجاء فيها قلبي يتألم إذ لم ارى ان المرأة في العراق ليست الة الرقي واساس مجد الاستقبال إذ ترضع المرضعات الحليب دون لبان التهذيب...^(١٧).

ووضحت مقالاتها بالقول ان قلب العراق نساؤه ولنعتقد الخناصر اذن على النهضة ولنقم بأصلاح حالتنا الحاضرة وتبديلها بأحسن منها تتاسب رقي العصر

الحاضر وضروراته الثقيلة المتنوعة فالى الهمة والنشاط الى الحياة يا اخواتي العراقيات^(١٨).

كانت هناك كاتبات وادبيات ذكرن اسمائهن صراحة وابرز مثال الادبية الشابة سلمى الصائغ^(١٩). التي كتبت لمجلة ليلي مقالا بعنوان حياتنا الاقتصادية , وهو من المنشورات النادرة بالمجلة وتحمل توقيعاً نسائياً عربياً , وقد تم تقسيم المقال الى جزئين انتقدت في الجزء الاول منه المنشور في العدد الرابع المحاولات المستمرة لعزل النساء في لبنان وسوريا ووضعهن في موضع المتفرج على ما يدور في المجتمع محرومات من التفاعل على ما يجري حتى بعد خروجهن للعمل سواء كن في القرية او في الصحراء او في المدينة واذ كن من الطبقة المتوسطة او الفقيرة . كما نتناول هذا الجزء نفسه الافتقار الى الاستقلال والحرية الاقتصادية وتبعاتها على الاوضاع السياسية في سوريا ولبنان^(٢٠).

بينت سلمى الصائغ في الجزء الثاني من المقال في العدد الخامس من مجلة ليلي العلاقة بين الديون التي تتحملها بلاد الشام سوريا ولبنان وخاصة التاخر شعوبها من ناحية اخرى مؤكدة على اهمية الانتاج المحلي واعتماده بدلا من تحميل البلاد بأثقال الاستيراد المستمر من الاسواق العالمية وخاصة الاسواق الاوربية واغراقها بالديون^(٢١).

ويتضح مما سبق ان مجلة ليلي من خلال منشوراتها كانت تتجاوز السباق المحلي وتحصر على متابعة الحراك النسوي في الدول العربية لبنان سوريا ومصر , ولم تكن المتابعة تقتصر على نقل الاخبار فقط وانما تشمل التعليق عليها وابداء الراي بشأنها.

نشرت مجلة ليلي تقرير عن الصحة في العراق يعود لمديرية الصحة العام ١٩٢٢م, وقد تم اهدائه للمجلة من قبل الدكتور حنا بك خياط^(٢٢). وزير الصحة السابق ومديرها العام وقد جمع التقرير بأرقى اسلوب واحسن تنسيق ولم يتضمن فقط البيانات والاحصائيات والملاحظات الصحية وانما ضم العديد من المعلومات والفوائد الفنية والاجتماعية , كما تم اهداء العديد من الكتب الى المجلة وتم نشر

ملخص عنها هو كتاب نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ,من تأليف يوسف رزق^(٢٣). وقد جمع الكتاب ٢٢٤ صفحة فيها اخبار اليهود وحياتهم واوضاعهم المالية والاجتماعية ,من عهد التوارة وحتى يومنا هذا ,وكتاب او رواية تحت ظل المشانق وهي رواية ادبية واجتماعية كان الجزء الاول بقلم السيد عبد الرزاق الحسيني^(٢٤). وكتاب امين الريحاني في العراق جمعة ورفائيل بطي^(٢٥). وقد اهدى للمجلة وتم نشره فيها ويعد هذا الكتاب ديوان ادب عصري جمع من منشورات ادباء العراق نفائس بديعة واظهار من قبل العراقيين على تكريم اهل العلم والادب وكتاب تجارة العراق قديما وحديثا بقلم يوسف رزق وقد اهدى نسخة من للمجلة وهو كتاب تاريخي واقتصادي توخى فيه المؤلف الاساليب الحديثة بافكاره واستقراره وكلامه في تأليفه وهو كتاب لا يستغني عنه طلاب التاريخ والاقتصاد.

ان اهم ماجاء في العدد الخامس من مجلة ليلي اصدارات ودروس في اصول التدريس تأليف ساطع الحصري^(٢٦). وقد صدر الجزء الاول من هذا الكتاب القيم فاهداه للمعلمة وذكر في مقدمة الكتاب زبدة مالقاه في دار اللام وكان كتاب عزيز المادة كما وصفته المجلة متين التعليم والسلوب يجنى منه المعلمين والمعلمات ثمار طيبة تنشا عنها فؤاد للمدارس العراقية انذاك^(٢٧).

لقد تبين لنا من خلال الاطلاع على اعداد المجلة بان المجلة اهتمت بالاقلام الشابة ولاسيما النسوية فيها حيث شجعتها واخذت بيدها لتري طريقها الصحيح في عالم الصحافة وهذا ماريناها في الانسة صبيحة الشيخ داوود^(٢٨). احدى تلميذات المدرسة المركزية ببغداد حيث كانت مجلة ليلي تنشر مقالاتها وانباء تشجيعاً لها واهم موضوع نشرته حياة المدرسة ويمثل احد ادوار الحياة ودور التعليم في المدرسة ولا يعرف لذة الحياة المدرسة الا من ذاقها ولايقدرها الا من تحلى بحلية الفضيلة وتتور بنور العلم وهل من حياة احلى وافيد من حياة المدرسة, ونقول ان المدرسة جنة طيبة لمن يفهمون الفضائل والحسنات وبعد سرد طويل تدعوا صبيحة ابناء وطنها للعلم وتقول لهم العلم يا ابناء وبنات وطني فما بعد العلم غاية ولا استغناء عنه لدراية هلمو الى رياض المعارف وارثو فيها ان الفتاة الصغيرة لايطيب لها

العيش الا بالمدرسة وبما تحصله من فوائد والساعة التي دونت التزويد بالعالم والمعرفة, اعدھا من عمري (٢٩).

كما خصصت مجلة ليلي باباً بعنوان منارات السيدات لنشر اخبار ومقالات عن النساء مكتوبة بايديهن بعد ترجمتها من الانكليزية الى العربية وذلك استجابة لاقتراح من قرائتها بتخصص باب لاخبار متنوعة عن النساء في شتى البلدان وقد بينت يولينا حسون في هذا الباب وسبب اختيارها لهذا الباب هو بناء على طلب بعض السيدات والانسات ان تعزز باباً كبيراً لوقائع واخبار نسائية مختلفة ومتنوعة فقامت المجلة بنشر ترجمات لاخبار عن النساء الدول الغربية وتعريف المقالات اما عن النساء او باقلامهن (٣٠).

يحدد بعض انجازات الحركة النسوية, في مصر انذاك ومنها الخروج الى المجال العام والمشاركة في الحياة السياسية في اعقاب ثورة عام ١٩١٩, وتأسيس لجنة السيدات بحزب الوفد المصري ثم تأسيس الاتحاد النسائي المصري, على يد هدى الشعراوي (٣١).

مشيرة الى احد اهم انجازات الاتحاد وهو نجاحه في اقناع الحكومة المصرية في العام ١٩٢٣ بتعديل قانون المحاكم الشرعية وتحديد سن الزواج ١٦ عاماً للفتاة و ١٨ عاماً للفتى, الا ان المقال ذاته ينتقد تحرر المصريات من الحجاب وهي الخطوة الاولى التي سبقت النساء في مصر نظيرتهن في المنطقة العربية الى الاقدام عليها وقد ساهمت حينها في تقدم الحركة النسوية المصرية, وكانت عاملاً من العوامل الرئيسية التي قادت المصريات الى اقتحام العديد من مجالات العمل التي لم يسبق ان دخلتها النساء وكانت حكرًا على الذكور سواء في الدول العربية او الافريقية (٣٢).

وتبين ان يولينا حسون في نفس المقال تقول (لاباس ان نقندي بالغربيين في الحياة الاجتماعية ولكن على شرط ان تعمل عمل النحلة اي ان تأخذ ماينشأ عنه الشهد الحلو لاتتواضع على السم متهورين) وفي هذا الكلام توضيح اذ كانت حياة المرأة الاجتماعية ومبدأها فالواجب ان تأخذ من الحياة الغربية ما فيها من التمدن

الحقيقي ,كالتهديب التام واتقان التدبير المنزلي وحسن تربية الاطفال وغير ذلك ,لانها لا مايبهز عينيها من التبرج والحرية الزائدة ومساواة الرجل في اشياء لاتناسب حالة المرأة الحقيقية^(٣٣).

ثالثاً :- ابرز كتاب وكاتبات مجلة ليلي:

يأتي بالقائمة الاولى من الكُتاب والكاتبات مجلة ليلي هي للانسة بوليننا حسون وهي صاحبة المجلة ورئيسة التحرير , وتعد ابرز كاتباتها ولها العديد من المقالات في كل الاعداد التي تحت وتطالب بحقوق المرأة فيها ولاقتصر الكتابة فقط على بوليننا حسون وانما هناك كُتاب وكاتبات اغلبهم كان دائمي الكتابة ويرفدون المجلة بانتاجهم من كل جديد امثال الشعراء معروف الرصافي , وجميل صدقي الزهاوي , وكاظم الدجيلي^(٣٤). وهؤلاء الشعراء العراقيين البارزين الذين وصفوا مجلة ليلي بالعديد من القصائد الشعرية , كما طالبو بحقوق المرأة وابدوا وشجعوا مجلة ليلي بأصدارها ومن شعراء العرب الذين كانوا لهم منشورات في المجلة الشاعر اللبناني حليم موسى^(٣٥). وكذلك الدكتور جورج حيقاري^(٣٦). الذي كان يرفد المجلة بالعديد من المقالات الطبية التي تهدف الى من خلالها الى توعية المجتمع وابرز مقالاته صحة الحامل الذي نشره في العدد الاول , فضلاً عن الشاعر انور شأوول^(٣٧). فهو من الشعراء العراقيين الذين كتبوا لمجلة ليلي الى جانبهم النساء ابرزهن سلمى الصائغ , صبيحة الشيخ داوود وغيرهن..^(٣٨).

رابعاً :- المشاكل والصعوبات التي واجهت مجلة ليلي:

بعد انتهاء السنة الثانية من عمر المجلة تم تعيين بوليننا حسون مديرة لمدرسة باب الشيخ الابتدائية في بغداد عام ١٩٢٥ , وكان هذا الخبر بداية لحملة كبيرة ضد بوليننا اذ تعرضت هذه الصحفية الى حملة من قبل بعض الصحف العراقية , ادت فيها الى الانتقال الى المحاكم والتي ادت في نهاية الامر الى نقلها معلمة في مدرسة اخرى ومن ثم تركها العمل وتعرضت الى ضغوطات وحملات صحفية قاسية اجبرتها على حزم امتعتها ومغادرة العراق متوجهة الى الاردن مكتفية بعاميين

من الريادة في مجتمع ساد فيه الجهل لتترك ورائها ذكرى امرأة عراقية تركت بصمتها في عالم الصحافة^(٣٩).

يرجح توقف مجلة ليلي الى عدة اسباب ابرزها هي الخسارة المادية حيث تكاليف الورق والطبع والتوزيع كانت مترفعة , زيادة على ان اغلب قراء المجلة كانوا يتأخرون في تسديد اشتراكهم بالمجلة الذي كان من المفروض يدفع سلفاً فضلاً عن ضعف امكانياتها في الطباعة , قياساً بالمنافسة الشديدة لباقي الصحف ذات الامكانيات الضخمة واقتصار المجلة على طبقة محدودة , وهي طبقة النساء^(٤٠).

هناك اسباب وعوامل شخصية واجتماعية تتعلق بطبيعة المجتمع العراقي حيث جوبهت صاحبة المجلة شخصياً مما ادى الى انتقالها الى المحاكم كما نوهنا سابقاً , وبرزت هذه الحملات كانت من قبل صحيفة المفيد^(٤١) . التي نشرت هجوم عليها بعد تعيينها مديرة مدرسة وكان مقال الجريدة قاسياً وشديد اللهجة بحق بولينا ومجلتها وهذا الامر جعل جريدة العالم العربي^(٤٢) تقوم بنشر الخبر الذي نشرته صحيفة المفيد وكان مفاده ان بولينا حسون لا تمتلك القدرة على الكتابة في المجلة وان كل مقالاتها منسوبة لكتاب اخرين فردت جريدة العالم العربي على الخبر بتكذيبه وطالبت من بولينا ان لاتجزع وترد حينها واكدت الصحيفة في مقال اخر يؤكد ان بولينا هي بنت من بنات العراق عادت الى بلدها من اجل ان تقدم الخدمات الى اخواتها العراقيات^(٤٣).

المبحث الثاني : موقف مجلة ليلي من تعليم النساء في العراق

كان تعليم البنات سابقاً مقتصراً على الكتاتيب البسيطة ومدارس البنات التي افتتحتها الارساليات التبشيرية والطوائف غير المسلمة في العراق حيث جرى افتتاح اول مدرسة رشدية للبنات عام ١٨٩٦م^(٤٤) , اعقبها افتتاح مدارس للبنات في انحاء متفرقة من العراق , وقد اتجهت أنشطة المثقفين في العراق بعد الانقلاب العثماني الى الاهتمام بتعليم البنات وفتح العديد من المدارس للبنات وزيادة عددها لأهمية ذلك في حياة الاسر العراقية وخير مثال على ذلك دعوة الشاعر جميل صدقي الزهاوي لتعليم المرأة وتحريرها من القيود الاجتماعية^(٤٥).

وعلى الرغم من افتتاح العديد من المدارس للبنات إلا ان هذه المدارس واجهت مجموعة من المشاكل منذ افتتاحها تمثلت في قلة أعداد الطالبات الملتحقات للدراسة في هذه المدارس فضلاً عن هذه المشاكل النظرة الاجتماعية الضيقة اتجاه المرأة وتعليمها , وبالتالي تردد الاهالي في ارسال بناتهم الى المدارس وموقف علماء الدين المتشدد والمتسلط من التعليم النسوي , حيث لعبت هذه الشريحة دوراً كبيراً في توجيه السياسة التعليمية في العراق حتى اوائل القرن العشرين, فضلاً عن الاتجاهات المتشددة للقائمين على شؤون التعليم تجاه تعليم المرأة , اما المشكلة الثانية التي واجهها التعليم النسوي فكانت مشكلة توفير الملاك التدريسي وصعوبة استقدام المعلمات من اسطنبول لانه لا توجد معلمات عراقيات انذاك ولعلاج هذه المشكلة تمت الاستعانة بزوجات الموظفين الاتراك وبعض زوجات الاجانب ممن تتوفر فيهن المؤهلات المهنية والفنية حيث تألف الكادر التدريسي للمدرسة الرشدية في بغداد من ثلاث معلمات^(٤٦).

اما في عهد الاحتلال البريطاني فأنهم تجاهلوا التعليم النسوي ولم تقم سلطة الاحتلال بفتح مدارس للبنات الا التي كانت موجودة في العهد العثماني وعلل ذلك بعدم الحاجة لأستخدامهن في دوائر الحكومة وعدم توفر العدد الكافي من المعلمات, ولكثرة المطالب المتكررة بفتح مدارس للبنات لجأت سلطات الاحتلال الى افتتاح بعض المدارس الابتدائية الرسمية للبنات , كما احتوت المدارس الابتدائية للبنين على صف للبنات ومنها المدرسة الابتدائية في القرنة وقد ساهمت المدارس الاجنبية ومدارس الطوائف في مجال تقدم التعليم النسوي في العراق^(٤٧).

موقف مجلة ليلي من التعليم النسوي

كان هدف مجلة ليلي منذ تأسيسها هو دعم المرأة العراقية من كافة النواحي الاجتماعية والثقافية والسياسية على الرغم انها ليست لها علاقة بالامور السياسية الا انها دعت بعض القادة والنواب السياسيين من اجل دعم قضية المرأة العراقية كونها اكثر افراد المجتمع العراقي مظلومة لذلك دعت المجلس التأسيسي بعد تشكيلة, ان ينظروا الى المرأة العراقية كونها تمثل اختهم وبناتهم وهي تعيش ظروف

حياتية سيئة متمثلة بحياة الجهل والجمود وعدم التطور مقارنةً باقرانها في البلاد العربية الاخرى والبلاد المتقدمة التي استطاعت المرأة بها ان تقطع اشواطاً كبيرة وحصلت على حظ اوفر من غيرها في التعليم والعمل و غيرها من الامور الاخرى^(٤٨).

عندما تأسست الحكومة العراقية واجتمع البرلمان العراقي لأول مرة لم تطالب مجلة ليلي المرأة بالاشتراك في العملية السياسية ولم تدعي ان للمرأة العراقية الحق بالمشاركة في الانتخابات او الترشيح او الحصول على وظائف حكومية بل انها استغنت عن كل هذا وكل ما أرادته هو اعطاء المرأة العراقية حقها المشروع الذي طالبت به اغلب وسائل الاعلام من صحافة هو حق التعليم الالزامي للمرأة العراقية والسبب الذي جعل مجلة ليلي تضع تعليم المرأة في مقدمة اولوياتها هو اقدام بعض الاهلي من اولياء امور الفتيات بتقديم المساعدة والدعم المادي لمدارس بناتهم من اجل افتتاح مدارس جديدة لتعليم البنات^(٤٩)

كما طالبت مجلة ليلي اعضاء البرلمان العراقي من اجل اعداد ميزانية خاصة لتمويل جانب التعليم لانه من المشاريع المهمة التي تحتاج الى اموال حاله حال المشاريع التنموية الاخرى ، مثلما فعلت بعض الدول العربية وماحدث في مصر خير مثال على ذلك اذ اخذت الحكومة المصرية على عاتقها ارسال بعثات علمية خاصة بالنساء الى اوربا للتعليم^(٥٠)

لذلك خاطبت مجلة ليلي اعضاء مجلس العراق التأسيسي قائلةً " ان نجاح النهضة النسائية الناشئة منوطة بغيرتكم وشهامتكم ايها الرجال الكرام ، ولاسيما انتم الذين تحملتم اعباء مسؤولية تأسيس الحياة الديمقراطية العراقية على قواعد عصرية راسخة ، وانتم تعلمون ان الحياة ليست حق الرجال فقط..."^(٥١).

وقد اوضحت ان المرأة اذا كانت قد تأخرت في التعليم او شعرت بالنقص بسبب تأخرها وعدم نيلها حقوقها فأن الرجل مشترك معها في هذا التقصير لان مقاليد امور النساء في يد الرجال ولا تستطيع ان تتقدم خطوة واحدة من دون اوامرهم ولذلك تأملت مجلة ليلي بأعضاء المجلس التأسيسي خيراً في دعم ونجاح

قضية المرأة وهي تنظر من يسارع من اعضاء المجلس ويدافع عن قضية المرأة في الساحة العراقية^(٥٢).

كان هدف مجلة ليلي عندما دعت نواب المجلس التأسيسي الى النظر في قضية المرأة العراقية هو وضع فكرة نهضة المرأة هدف من اهداف اعمال المجلس التأسيسي وعندما تسنح الفرصة تطبق على ارض الواقع وهذا ما توضح من خلال اهتمام رئيس المجلس التأسيسي عبد المحسن السعدون^(٥٣)، الذي وعد بانه سوف يبذل قصارى جهده في مناصرة قضية المرأة واكد وجوب تطوير حال الفتاة العراقية ولم يقتصر هذا الامر على رئيس مجلس النواب وانما ابدى نواب اخرون استعدادهم ودعمهم ووقوفهم بجانب المرأة ومناصرتها، بينما رأى نواب اخرون بضرورة تهذيب الرجال واصلاح احوالهم قبل البت في تهذيب المرأة وهذا الامر وجد معارضة من قبل بولينا حسون لانها كانت ترى الرجال لا يتم تهذيبهم الا اذا كانت المرأة مهذبة لانها اساس المجتمع وهي من يضع الحجر الاساس في التربية، كما بينت كيف للمرأة ان تربي اجيالاً مهذبة وهي محرومة من ابسط حقوقها الا وهي تعليم القراءة والكتابة^(٥٤).

كانت ليلي ترى المرأة العراقية غارقة بالجهل ولا تتمتع بابسط حقوقها وهذا بسبب الرجل لانه هو من يتحكم بمصيرها وقد حان الوقت للتغيير ويجب على الرجل ان يكفر عن هذا الذنب ويعطي المرأة الثقة الكاملة ويساعدها على تحقيق طموحها والوقوف بجانبها ويعوضها عن كل ما عانت منه، كما أكدت في جانب اخر يجب على المرأة التخلص من العادات البالية التي حكمتها لسنوات طويلة وقد كانت هذه العادات على نوعين منها عادات حسنة تصب في مصلحة المرأة واسرتها وهنا يجب التمسك بها لانها تمتزج مع التهذيب الذي يساعد المرأة على تحقيق ما تهدف اليه، اما العادات الغير حسنة والتي لا تقيد المرأة بل بالعكس تحطم مستقبلها، فعليها التخلص منها وقلعها من جذورها كما تُقلع الاشواك من النباتات وتخلص منها، كما أكدت على انه يجب ان تقوض وتصاغ العادات على وفق مقتضيات وضرورة الحياة والمصلحة العامة^(٥٥).

كانت مجلة ليلي تهدف الى القيام بنهضة شاملة في حياة المرأة العراقية نهضة دعا اليها الدين والقانون وكل فرد يؤمن بحقوق المرأة ويدعوا الى انصافها ووضعها في مكانها الحقيقي حتى تحيا الحياة التي تستحقها وحتى تفيد اسرتها ومجتمعها لذلك دعت وطالبت بهذه الحقوق لكن للأسف لا يوجد من يسمع هذا النداء وهذه الاستغاثة، فالنساء في البلدان المتقدمة استطاعت ان تنهض بنفسها وتطالب بحقوقها، والوصول الى اهدافها في الارتقاء والحياة الكريمة , لكن المرأة العراقية للأسف لا تستطيع ان تحقق ما بنفسها وتنهض من سباتها وذلك لعدم وجود من يقف الى جانبها عكس النساء في البلاد الاخرى التي وجدت من يقف بجانبها ويقدم لها الدعم و المساعدة^(٥٦).

انتقدت ليلي بعض النساء العراقيات اللاتي يعيشن حياة مترفة ولا يهتمن سوى مظاهر الترف والزينة والعيش في القصور ولا يهتمن لامور الحضارة والرقى والتقدم والتهديب والمعرفة فوصفتهم بأنهن قطيع الاغنام الذي يسير ولا يعلم الى اين فهن لا علم لهن من الحياة وما يحدث فيها , ولذلك من المعيب على نساء البلاد الواحد ان يمارسن حياتهن ولا يشعرن بالقسم الاكبر من اخواتهن وهن يقاسن اقصى انواع العذاب في حياتهن بسبب الجهل والاهمال وتتم معاملتهن كالحيوانات ويتذوقن مرارة الحياة أليس من العدل والانصاف تقديم المعونة والمساعدة لهم والمطالبة بحقوقهن من بنات جنسهن وبذل كل الجهود في سبيل النهضة النسائية التي كانت ليلي تتادي بها وهي نهضة جامدة لم تتحقق الا اذا وجدت من يساندها وينهض بها وهذا لم يتم الا من بعد وقفه حقيقية من قبل النساء ومساندة بعضهن^(٥٧).

كانت ليلي ترمي الى تحقيق نهضة مثل التي حدثت في البلاد المتقدمة التي قامت بتأسيس المدارس للبنات والاهتمام بهذه المدارس من حيث ابنيته وكوادرها وكذلك النهضة التي دعت الى تأسيس الجمعيات النسائية والادبية التي تهذب الاخلاق وتهتم بالتربية والتعليم والامور المنزلية اي احاطة المرأة من كافة الجوانب , وهذا يدل على استفادة البلدان التي حققت النهضة النسائية من استثمار المرأة لطاقتها في خدمة المجتمع^(٥٨).

مجلة ليلي تناصر تعليم المرأة

وقفت مجلة ليلي الى جانب مناصري تعليم المرأة وكانت ذا طابع تربوي وعظمي تحاول ان تحرض المرأة للحصول على حقوقها وتعليمها ومع ان المجلة لم تحدد هدفاً معيناً من وراء النهضة النسوية التي بثرت بها وانما اكتفت بأهداف عامة غامضة ولم تجرؤ على الدعوة الى السفور (عدم ارتداء الحجاب) بل حاولت ان تبتعد بنفسها عن ذلك فكتبت تدافع عن نفسها ضد تهمة الدعوة للسفور قائلة: "خاف بعضهم وبعضهن قبل صدور ليلي من ان النهضة النسائية التي تتادي بها هي رفع الحجاب والتمسك بالسفور والازياء الغربية فليطمئنوا وليسكت روعهم فأن مهمة المجلة ارفع من ذلك"^(٥٩).

كانت مهمة مجلة ليلي هي الوقوف الى جانب المرأة العراقية التي تعاني من عدم اعطائها حقوقها في التعليم , اذ كان عدد النساء المتعلمات قليلاً جداً ويقتصر فقط على بنات المدينة اما بنات القرى والارياف يكاد يكون معدوم التعليم فيها بسبب العادات والتقاليد البالية التي تمنع الفتاة من التعلم مما جعلها تعيش في تخلف وجهل وجمود و في هذا السياق نشرت مجلة ليلي مقالة بعنوان (المرأة العربية) التي اوضحت بها مكانة المرأة منذ العصور القديمة وما كانت عليها اذ وصفت المرأة في العصر الإسلامي بانه من العصور الذهبية لها اذ كانت الى جانب اخيها الرجل تقاسمه اموره الحياتية في طلب العلم والادب والمعرفة فظهرت مجموعة من النساء الشاعرات والادبيات والخطيبات والكاتبات والمحدثات وكانت المرأة في هذا العصر تتميز بالشجاعة والفصاحة وكانت لبعض منهن مجالس مشهورة عامرة بالعلماء والادباء^(٦٠).

وقد نالت النساء حريتهن وحصلن على حقوقهن في العصر الإسلامي وفي عهد الخلفاء الراشدين وفي عهد الامويين والعباسيين وكان متاح لهن دخول المدارس والمساجد بحرية تامة , وبقي هذا الوضع على ما هو عليه الى ان تولى الحكم الخليفة القادر بالله العباسي^(٦١) فأمر بمنع النساء من دخول المساجد والمدارس وجميع الاماكن التي يتواجد بها الرجال , وان يكونن محتشمات ومحجبات

ومتبرعات ومنذ ذلك التاريخ اخذت مكانة النساء بالتراجع ولم تبرز منهن الا القليل^(٦٢).

نالت المرأة العربية في بلاد الاندلس حريتها ووصلت الى اعلى المراتب خصوصاً في الادب , وقد كان يذكر ان احد افراد الاندلس اسمى قصره بأسم زوجته, كما ان هناك العديد من النساء في بلاد الاندلس استطعن ان يحتلن مكانة مرموقة وبعضهن تم توظيفهن في دواوين الحكومة , وبهذا تكون المرأة العربية الاندلسية استطاعت ان تحقق طموحاتها وتنال حقوقها وحافظت على مستواها العلمي والادبي وشاركت الرجل في القيام باعباء وامور الدولة والحكم^(٦٣).

تبين من هذه المقارنة التي قدمتها مجلة ليلي بين النساء العربيات في المشرق والنساء العربيات في الغرب في بلاد الاندلس ان المرأة الاندلسية حافظت على ما نشأت عليه في بلادها من قوة وارادة وشجاعة اي بقيت شخصيتها الاجتماعية والسياسية والادبية لم تتغير, بينما المرأة الشرقية لأنها لم تستطع الحفاظ على ما كانت عليه وذلك بسبب تسلط الرجل على حياتها ومنعها من كافة حقوقها , وكانت المرأة العراقية قد نالت قسماً كبيراً من هذا التأخر وأصبحت ضعيفة مسلوبة الارادة وتغور في بحور الجهل والظلام^(٦٤).

كان هذا الحال بالنسبة للعراقيات لم يقتصر على النساء المسلمات وانما شمل النساء المسيحيات واليهوديات , وقد اعز بعض الباحثين ان سبب تخلف وتأخر وضعف المرأة العراقية يرجع الى ارتداء الحجاب لانه يمنعها من التقدم ومواكبة العصر , فاذا كان هذا الكلام صحيحاً فما بال المسيحيات واليهوديات لم يتقدمن خطوة واحدة بالرغم انهن غير محجبات^(٦٥).

اوضحت مجلة ليلي ان السبب الحقيقي لتأخر تقدم المرأة هو حالة البلاد المتخلفة وانتشار الامية والجهل في البلاد هو ما يبقي المرأة على حالها ولا يمكن اصلاح هذا الحال الا عن طريق فتح المدارس الخاصة بالبنات وتشجيعهن على التعلم وكذلك مساعدة من تعاني من الامية بسبب تأخر تعليمها^(٦٦).

يتضح مما تقدم ان مجلة ليلي كانت تنقل احوال النساء العربيات خلال العصور المختلفة وذلك من اجل جعل قارئاتها وخصوصاً المرأة العراقية ان تكون على اطلاع على احوال النساء وما كان يتمتعن به من حرية بالتعلم وممارسة اعمالهن دون قيود او منع , وهدف ليلي ان تعطي حافز للمرأة العراقية ان تحذو حذو هؤلاء النسوة لكي تضع نفسها وتعزز ثققتها وتقوم بأعداد اجيال قوية قادرة على مواجهة مصاعب الحياة.

مساهمة مجلة ليلي بتشجيع القراءة

أهتمت مجلة ليلي بأدق التفاصيل التي تساعد على نهضة المرأة العراقية ومن ابرز هذه التفاصيل هو ممارسة القراءة ومطالعة الكتب التي شجعت عليها , لان من خلال هذه المطالعة يطلع الانسان على مايجري حوله وعلى مايستجد من تطورات واحداث علمية وثقافية واجتماعية لذلك دعت مجلة ليلي الاسرة العراقية وخاصة الوالدين ان يكون لديهم الدافع الاول لتشجيع القراءة داخل المنزل وتتميتها لدى أولادهم وتوليد الشغف لديهم بالقراءة بحيث يكون شغف القراءة اكبر من شغفهم لاي مكان ترفيهي كالنادي ومجالس اللهو واللعب التي يتولع بها الاولاد , ويجب تنمية أهمية اقتناء الكتب لدى أفراد الأسرة وعدها من الضروريات اللازمة في الحياة^(٦٧).

المبحث الثالث : الموضوعات الصحية

تعرضت المؤسسة الصحية في الوطن العربي عامة والعراق خاصة, في العهد العثماني الى أهمال واضح إذ كانت الدولة العثمانية مهتمة بشؤون الدفاع الخارجي والامن الداخلي وجمع الضرائب دون ان تعير الخدمات الصحية والتعليمية والبلدية اهتماماً , الا في اواخر القرن التاسع عشر لذلك كانت مظاهر التخلف من الجهل والمرض والفقر هي السائدة في الولايات العراقية (بغداد-البصرة-الموصل)^(٦٨).

أما خلال فترة الاحتلال البريطاني فقد أرادت سلطات الاحتلال إيجاد مراكز صحية للحد من الأوبئة وكان عملها هذا ليس اهتماماً بسلامة السكان بل بأفراد قواتها العسكرية وحمائتهم من الامراض الخطرة التي كانت منتشرة آنذاك, ففي

عام ١٩١٩م أشار رئيس سكرتارية مصلحة الصحة العامة (الكونيل لين) الى ضرورة تأسيس المدارس والمعاهد التدريبية الصحية لخريجي ابناء البلاد المتخصصين في المهن الصحية, لكن هذا الامر لم يتم تنفيذه بسبب قلة الاموال وكذلك قلة عدد المتخصصين في العراق^(٦٩).

مما لا شك فيه أن الصحة العامة لأبناء المجتمع على أختلاف مستوياتهم الاقتصادية وفئاتهم الاجتماعية مرتبطة بالاوضاع الاقتصادية والاجتماعية , والسياسة الداخلية للدولة ارتباطاً وثيقاً, فلا تكون صحة المجتمع سليمة الا اذا توفرت المساكن الملائمة والغذاء المناسب والمياه الصالحة للشرب والنظافة العامة ومستلزمات معالجة مختلف الامراض لذلك كانت المشاكل الصحية في المملكة العراقية متعددة ومعقدة وأسهم في ابرازها تخلف المجتمع العراقي آنذاك فأغلب الشعب كان يجهل القواعد الصحية^(٧٠), وهذا الامر كان عاملاً في انتشار الامراض فضلاً عن سوء التغذية ورداءة نوعيتها وندرة الادوية وارتفاع اسعارها مما يحول عدد كبير منهم دون استطاعة معالجة تلك الامراض التي تنتابهم, يزداد على ذلك النقص الواضح في الكفاءات الطبية, الامر الذي اظهر تاثيراً سلبياً في كفاءة المؤسسات الصحية وعددها , لذلك انتشرت الامراض بسبب قلة وعي المواطن الصحي^(٧١).

موقف مجلة ليلي من الواقع الصحي

كانت بولينا حسون تبشر بأفكارها من خلال المقالات والموضوعات التي كانت تنشرها او التي يكتبها الكتاب الاخرون للمجلة وقد تضمنت بعض هذه المقالات مواضيع طبية عن صحة الحامل قدمها جورج حفاري على شكل سلسلة مقالات في اعداد متفرقة من مجلة ليلي, وكانت هذه المقالات اغلبها توعوية لتعليم المرأة الحامل كيف تعتني بصحة جنينها والحفاظ عليه من الامراض التي تؤدي الى موته او تشووهه لانه اغلب الامراض التي تصاب بها المرأة الحامل لا تؤثر على المرأة نفسها وانما نتائجها تكون على الجنين لذلك عليها اخذ الحيطة والحذر, وليس فقط الامراض هي من تؤدي الجنين وتذهب بحياته وانما حالة الجهل بالقوانين الصحية

وعدم الالتزام بها فأنها تعمل نفس عمل الامراض والابوئة التي تصيب المرأة وجنينها, وان هذه الحالة تؤدي الى كثرة حالة الوفيات مقابل الولادات وهي عكس ما يحصل في البلدان الاخرى بعض البلدان العربية والبلدان الغربية التي ترتفع فيها نسبة الولادات بسبب الواقع الصحي المتقدم فضلاً عن التوعيات الصحية التي تتبعها هذه البلدان مع مواطنيها^(٧٢).

ولم يقتصر ارتفاع عدد الوفيات في الولادات فقط وانما يضاف له وفاة العديد من الاطفال والاولاد والذي تصل نسبته الى ٥٠% من مجموع الوفيات, لانهم يولدون وهم مصابون ببعض الامراض التي لا تضمن نموهم وتؤدي الى وفاتهم, ومن خلال ملاحظة جورج بولص لبعض مراجعاته تبين له ان الجنين يتاثر بنموه وصحته وحسب المكان الذي يكتمل به, وهذا المكان هو جسم الام الحاضنة له, لذلك وجب الاهتمام بصحتها وتقديم النصائح الطبية لها لكي تكون قادرة على معرفة ما يضر صحتها وصحة جنينها, لان الاولاد هم نواة المجتمع وصحتهم ونمو عقولهم وقوة بنيتهم متعلقة بقوة المناعة التي لا غنى لها عنهم, كما ان ولادة اطفال مرضى وغير سليمين سوف يكونون عبئاً على انفسهم وعلى اهلهم^(٧٣).

اثبت العلم ان المرأة توتر في الاطفال اكثر من الرجل وذلك لانها تتحمل المسؤولية الكبرى فهي التي تحمل الجنين في احشائها وتتحمل الم الولادة وكذلك تربيته والسهر على راحته ولكي تحافظ على ثمرة تعبها هذا عليها اتباع بعض التوصيات التي تساعد على ولادة ابناء اصحاء خالين من اي مرض او ضعف في بنيتهم لذلك عليها ان تهتم بامر غذائها وتناول غذاء صحي يفيد جسمها وجنينها كما عليها ان تبتعد عن التوتر والعصبية لان يؤثر على نفسياتها تأثيراً سيئاً فعليها الابتعاد عن القلق والتوتر والكأبة وكل ما يؤدي اليها سواء عن طريق سماع الاخبار وعليها ان تعيش في جو صحي هادى يوفر الطمأنينة, كما عليها ممارسة الرياضة للمحافظة على نشاط جسمها لانه امر في غاية الاهمية لحمل سليم فهي تساعد على الحد من التوتر وتحسين الدورة الدموية وتعزيز المزاج مما يقي من

الاصابة بالأكتاب, وتتمثل هذه الرياضة بالمشي يومياً بوتيرة معتدلة وفي منطقة مظلمة واستنشاق الهواء الصحي وعليها تجنب الاماكن المكتضة بالناس والازدحامات والتي لا يتغير فيها الهواء , وعليها تجنب الوقوف لساعات طويلة لانه يؤثر على الجنين وعليها ممارسة نشاطها المنزلي بنظام ودون ان تعرض نفسها للاجهاد^(٧٤).

يوصي الاطباء المرأة الحامل بممارسة القراءة من اجل زيادة ثقافتها حول الحمل والولادة , وعليها ان تقرأ مقالات تخص الحمل والولادة وعليها ان تحرص كل الحرص ان تكون دقيقة في اختيارها المصادر المهنية والطبية التي تعزز ثقافتها بنفسها وشعورها بالامان قبيل الولادة, كما عليها تجنب والامتناع عن السفر سواء كانت في بداية حملها او كان اول حمل لها او في اواخر حملها لان ذلك سوف يعرض حياتها وحياة جنينها للخطر, كما عليها الابتعاد عن المشروبات الكحولية والتقليل من المشروبات المنبهة كالقهوة والشاي او الامتناع عنهما ان استطاعت والتعويض بدلاً عنهما بالفواكهة والحليب والعصائر لانها تساعد جسمها وتمدها بالعناصر الاساسية المفيدة لها ولجنينها^(٧٥).

الكفاءات الطبية في العراق

أن توفر الكفاءات لذوي المهن الطبية والصحية من حيث عددهم وتنوع تخصصهم, يعد من مستلزمات نجاح المؤسسة الصحية , ويعد الاطباء في مقدمة ذوي المهن الطبية ثم يليهم الصيادلة والممرضون الصحيون الذين لا يمكن الاستغناء عن خدماتهم الضرورية الى جانب الاطباء في المؤسسات الصحية والعلاجية^(٧٦).

كان الرعيل الاول من الاطباء في العراق من غير العراقيين ومعظمهم اطباء في الجيش البريطاني , وعدد قليل من العراقيين الذين تخرجوا من تركيا او الذين تخرجوا من الكلية الطبية في دمشق والكلية الامريكية في بيروت وكان السبب في النقص الحاصل في اعداد الاطباء العراقيين يعود الى عدم وجود كلية طبية في

العراق اذ تاخر افتتاحها الى عام ١٩٢٧م, اذ افتتحت اول كلية طبية ملكية عراقية في عهد الملك فيصل الاول وخرجت اول دفعاتها عام ١٩٣٢م^(٧٧).

كان الاطباء الموجودين انذاك ذات تخصص محدود وقليل خصوصاً الامراض النسائية كانت التخصصات فيها قليلة جداً او تكاد معدومة وذلك لعدم وجود العدد الكافي من العنصر النسوي المتخصص في هذا المجال , فقد كان الموت بمرض حمى النفاس امراً طبيعياً لجهل النساء الحوامل والقابلات وانعدام النظافة وعدم وجود اللقاحات الضرورية للطفل, وقد حاول بعض الاطباء معالجة الامراض النسائية المختلفة لكن كانت العادات والتقاليد تمنع النساء من مراجعة الاطباء الرجال خصوصاً المخدرات والمحجبات^(٧٨).

وكان هنا لا بد من وجود طبيبات من اجل معالجة بنات جنسهن بدون خجل والكشف عن عللهن امام الطبيبات دون تقييد من احد, لان الكثير من الرجال متعصبين في قراراتهم ولا يقبلون ان يكشف الاطباء على نسائهم , وهذا الامر جعل مجلة ليلي تدعو من خلال منشوراتها الى حاجة البلاد الماسة والضرورية من اجل وجود الطبيبات وهذا الشيء لا يتعلق فقط بالتعصبات والعادات والتقاليد السائدة انذاك التي تمنع المرأة العراقية من ان يكشف عليها طبيب لان هذه التعصبات يمكن ان تختفي مع تقدم الوقت وحدث التطورات في الحياة الاجتماعية التي بدأت تبين اثرها ويلوح في الافق, لكن الطلب في وجود طبيبات هو من اجل تقدم ورفعة و رقي البلاد وكذلك من اجل النهضة العلمية للمرأة العراقية ومساواتها مع النساء الاخريات في البلدان الاخرى التي سبقت العراق في هذا المجال وخير مثال على ذلك سوريا ومصر التي تتواجد بهما الطبيبات منذ سنوات عديدة^(٧٩).

وتحت مجلة ليلي الفتيات العراقيات من ان يقصدن البلاد المتقدمة من اجل دراسة العلوم الطبية هناك في الكليات الطبية ويكتسبن شهادة علمية مرموقة ويساهمن بعد عودتهن في رقي وتقدم بلادهن فضلاً عن استفادتهن من هذا المجال سبب زيادة مدخولهن فضلاً عن فائدة بنات جلدتهن ويكون هذا الامر خطوة في

تقدم النهضة النسائية العراقية بولادة فتيات شجاعات استطاعن كسر الجمود والقيام بجهود مباركة^(٨٠).

على الحكومة العراقية ان تسعى وتبذل جهدها من اجل دعم هذه المشاريع التي فيها خدمة الصالح العام , لذا عليها ان تقوم بارسال بعثات علمية من الفتيات على نفقتها الى المدارس الطبية , مثلما فعلت هذا الامر قبل عدة سنوات مع بعض الفتيات وارسلتهن الى الجامعات العلمية في البلاد الراقية , وهذا الامر لايقع فقط على عاتق الحكومة فقط بل هناك العديد من الاهالي المتمكنين مادياً والذين يسعون الى القيام بالاعمال الاصلاحية عليهم ارسال بناتهن الى تلك الجامعات من اجل تحقيق فائدتهن وفائدة بلادهن لانه يصب في مصلحة البلاد^(٨١).

التمريض

التمريض هو مجموعة من الخدمات التي تعطى للأفراد وذويهم بغرض مساعدتهم لتخفيف الألم العضوية والنفسية كما ان الخدمات التمريضية قد يكون الغرض منها الوقاية من المرض او المساعدة في التشخيص والعلاج والوقاية من حدوث مضاعفات وكذلك الغرض منه هو منع وصول مرض الشخص المصاب الى شخص اخر اي الحد من انتشار مرضه, وفي كثير من الاحيان يلعب التمريض دوراً مهماً في شفاء المريض^(٨٢).

يتم تعليم مهنة التمريض في بعض المدارس الخاصة او المستشفيات وبعد تلقي الممرضون ماتعلموه يمارسون هذه المهنة في اماكن متفرقة اما في المستشفيات الحكومية او البيوت لرعاية بعض المرضى او كبار السن^(٨٣).

دور الممرضين لا يقل اهمية من دور الطبيب لذلك فعلى الممرض او الممرضة ان يتحلى ببعض الصفات التي يجب ان تتوفر به لكي ينحج في مهمته الانسانية , فضلاً عن بعض المعارف العلمية التي يجب استخدامها خصوصاً ان بلادنا تقتقر الى عنصر النسوي من الممرضات مع العلم ان تعليم هذه المهنة في مدارس البنات امر ضروري وملح , ومن التعاليم الواجب ادخالها في المناهج الدراسية لكي تمارس عملها في البيوت اذ لا تستطيع بعض الاسر وضع ممرضة

في بيوتهم , فضلاً عن ان المرأة تتميز بميزتين هما الحنان والحب الذي تبذله من اجل مرضاها من خلال هاتين الصفتين تستطيع التخفيف من الالم للمرضى, لذلك يجب ان تتوافر في الممرضة عدة صفات منها ان تكون صبورة وهي صفة اساسية يجب ان تتوفر في كل ممرضة كي تساعد على الوصول لبر الامان مع مريضها وتفهم حالته النفسية ومتطلباته لان الالم يحدث تغيراً في طبع المريض, وهذا الامر يجعله يعامل الممرضة بقسوة وكلامه جارح في بعض الاحيان لذلك عليها التحمل والصبر لان مهنتها انسانية بالدرجة الاولى كذلك عليها التحلي بصفات اخرى كالحلم والرأفة والنظافة والطف والتعقل^(٨٤).

أهم واجبات الممرضة ان تقوم بمتابعة حالة المريض ومراقبته وتسجيل جميع المعلومات التي تساعد باتخاذ القرار للعلاج وكذلك رعاية المريض وادارة احتياجاته الصحية والمادية, وعليها الالتزام باخلاق المهنة من خلال عدم الافصاح عن معلومات مرض المريض وتقديم للمريض النصائح في موضع العلاج بالتعاون مع غيره من الاطباء حيث ان المريض لا يقدر غالباً على فهم الحالة الصحية والتصرف بشكل صحيح , وبما ان الطبيب هو المسؤول عن اتخاذ القرار في علاج المرضى , لكن الممرضة لها دور مباشر في ذلك ايضاً فعليها ان تكون لديها القدرة على التفكير بشكل ناقد والوصول الى المشاكل التي يمكن ان تحدث, وكذلك عليها ان توصف الحالة الصحية للمريض بشكل مفصل , لذلك عليها ان تقوم باطلاع المرضى على اوضاعهم الصحية وكذلك ذويهم وكذلك اطلاعهم على طريقة العلاج وماذا يفعلون بعد مغادرتهم المستشفى, فضلاً عن توجيه المريض على المصدر الذي ياخذ المعلومات منه ان احتاج الامر لذلك^(٨٥).

تقوم الممرضة بتسجيل نتائج الاختبارات وتدوين الاعراض التي تظهر على المرضى ومراقبة حالاتهم في الليل والنهار والالام التي يشكون منها المرضى وتسجيلها قبل وصول الطبيب, لتسهيل عملية الاعتناء بهم, وعلى الممرضة الحفاظ على انتقال المعلومات بين المرضى والاطباء وتتمثل هذه المعلومات والاعراض التي تم اخذها من المرضى بشكل دقيق الى الطبيب ليتوصل الى التشخيص

الصحيح والعلاج المناسب واهم صفة يجب ان تتحلى بها الممرضة هي عليها الابتعاد عن التأفف في وجه المريض حيث ان هذا يضر بسمعة الممرضة والجهة الصحية التي تعمل بها, كما انه يحطم معنويات المريض وعلى الممرضة ايضاً ان تتقبل المريض ولا تتفعل في حالة قيامه بشيء يؤذيها, ويجب عليها ان لا تكشف شيئاً من اسرار المرضى الشخصية او المرضية للاخرين من المرضى او الممرضات, وعليها ان تهتم بجانب النظافة فيجب ان تلبس ملابس خاصة اثناء ممارسة عملها وعليها الاهتمام بمظهرها وترتيب شعرها حتى لا يتم عن طريقها نقل الجراثيم الى المرضى^(٨٦).

الخاتمة:

تعد مجلة ليلي أول مجلة نسائية صدرت في العراق وأنها تبحث في كل مفيد وجديد مما يتعلق بالعلم والفن والادب والاجتماع ولا سيما تهذيب الفتاة وتربية الاولاد وصحة الاسرة وسائر ما يختص بتدبير المنزل ، ولم يقتصر موضوعاتها على النطاق المحلي وانما حرصت على متابعة الحراك النسوي في مصر ولبنان والدول الرجعة الاوربية كما أهتمت بنشر ترجمتها الأخبار النساء في الدول الغربية وتعريب مقالات انجليزية اما عن النساء أو بأقلامهن.

اغلب المقالات التي نشرتها مجله ليلي كانت لصحفيين وادباء ذكور وهذا بسبب نظرة المجتمع للنساء اللاتي يكتين للصحافة وتخوف السواد الاعظم فهن من النشر بأسمائهن ، ولذلك شاعت ظاهرة التوقيع بألقاب تخفي هوية الكاتبات أو بأسماء الرجال.

الهوامش :

(١) فيصل الاول ,فيصل بن الحسين بن علي الهاشمي ولد عام ١٨٨٥ م, وهو الابن الثالث للشريف حسين شريف مكة تلقى تعليمه الابتدائي في الاستانه التي عاش فيها مع اسرته ما بين ١٨٩٣ حتى عام ١٩٠٨ حيث شهد الانقلاب الذي اقامه الاتحاديين في العام نفسه ,فغادرها مع اهله الى مكة المكرمة رشح نفسه ن مدينة جدة فانتخب عضوا في مجلس المبعوثان وكان له دور بارز في الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ م ,مثل العرب في العديد من المؤتمرات التي عقدت في اوروبا من اجل اقرار السلم في المنطقة العربية التي كانت تابعة للدولة العثمانية , وحضر مؤتمر السلام الذي عقد

عام ١٩١٩ , نصب ملكاً للعراق عام ١٩٢١م واسس الدولة العراقية وتوفي عام ١٩٣٣. للمزيد ينظر: محمود صافي , سوريا من فيصل الاول الى حافظ الاسد , ١٩١٨-٢٠٠٠م, الدار التقدمية للطباعة , لبنان ٢٠١٠م, ص٤١-٤٥.

^٢ خالد حبيب الراوي, تاريخ الصحافة والاعلام في العراق منذ العهد العثماني وحتى حرب الخليج الثانية ١٨١٠-١٩٩١, دار صفحات للدراسات والنشر , دمشق, ٢٠١٠م, ص٤٥-٤٨.

^٣ مجلة ليلي , هي اول مجلة نسائية تنشر في العراق عام ١٩٢٣ على وفق ما وصفت نفسها , وقد كانت صوتا عاليا للمرأة العراقية وكانت عوناً للمرأة والفتاة من اجل ان تاخذ دورها الحقيقي وقد سجل اصدارها , بدايات الصحافة النسوية في العراق وقد صدر منها عشرون عدداً من ١٩٢٣ الى ١٩٢٥. وتم اغلاقها لاسباب مالية والاحتجاجات من قبل المحافظين . للمزيد ينظر: ليلي مجلة , موسوعة عريق على الموقع الالكتروني .

[https:// areg.net](https://areg.net).

^٤ بولينا حسون روفائيل , صحفية عراقية الاصل من عائلة , حسون المعروفة في الموصل وهي ابنت عم الاستاذ الاديب سليم حسون صاحب جريدة العالم العربي , ولدت بولينا عام ١٨٩٥ م وانتقلت في بداية حياتها بين مصر وفلسطين والاردن الى ان عادت الى العراق عام ١٩٢٢ وتذكر المصادر بأنها من ام شامية واب عراقي وكانت لها اهتمامات صحفية بارزه فهي رائدة الصحافة النسوية في العراق فقد قامت باصدار مجلة ليلي عام ١٩٢٣ , كما انها ساهمت في تأسيس اول نادي نسوي في العراق عرف بأسم (نادي النهضة النسوية) قبل اصدارها مجلة ليلي , وبعد ان توقفت مجلتها عن اصدار قررت الهجرة في العراق الى الاردن عام ١٩٢٥ وبقيت هناك الى ان توفيت عام ١٩٦٩ , للمزيد ينظر: خالد حبيب الراوي , كيف قمعت اول صحيفة نسوية في العشرينات , مجلة افاق عربية , العدد الثاني , السنة السابعة عشر , شباط , ١٩٩٢, ص٩٥.

^٥ علياء قاسم ثامر , الفنون الصحفية مجلة ليلي النسائية , مركز وزارة التعليم , ص٨.

^٦ جميل صدقي الزهاوي , وهو احمد بن محمد ابن احمد بن حسن بن رستم بن خسرد الزهاوي شاعر وفيلسوف عراقي كردي الاصل وقد عرف بالزهاوي منسوباً الى بلدة زهاو من اعمال ولاية كرمناشة وكانت موطناً وكانت موطناً لاسرته في العهد الاخير ولد الزهاوي في بغداد عام ١٨٦٣ وبها نشأ ودرس عن ابيه وعلماء عصره وعين مدرس في مدينة السليمانية ببغداد عام ١٨٨٥ , ثم عين عضواً في محكمة استئناف بغداد وسافر الى الاستانبول عام ١٨٩٠م, وتأثر برجالها ومفكرها وتأثر بالافكار الغربية وانضم الى حزب الاتحاديين واصبح عضواً في مجلس المبعوثان مرتين وعند تأسيس الحكومة العراقية عين عضواً في مجلس الاعيان ونظم الشعر بالعربية والفارسية فجاود به

منذ نعومة اظافره . للمزيد ينظر: يوسف علي ,جميل صدقي الزهاوي حياته وشعره , رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الدراسات العليا قسم لغة العربية , جامعة ام درمان الاسلامية, السودان ٢٠١٨,ص١٨-٢١.

^٧ بولينا حسون ,عاطفة قلب العراق ,مجلة ليلي العدد الاول ١٥,تشرين الاول ١٩٢٣ , السنة الاولى , ص٥-٦.

^٨ كمال يلدو, من تاريخ الصحافة النسوية في العراق , برنامج اضواء على العراق , ٢٠٢٢/١١٢٨ / على الموقع الالكتروني .

<https://www.youtuob.com>.

^٩ بولينا حسون, المصدر السابق,ص٤ .

^{١٠} صدرت مجلة ليلي عام ١٩٢٣ , اول مجلة نسائية في العراق تاسست من قبل بولينا حسون مقال منشور على الموقع الالكتروني .

<https://alzawraa.paper.com>.

^{١١} خالد حبيب الراوي, كيف قمعت اول صحيفة نسوية , المصدر السابق.

^{١٢} نادي النهضة النسائية , وهو اول نادي نسوي عراقي اسس عام ١٩٢٣ وقد شق طريقة للوجود وكان ابرز المشتركات فيه هن عقيلة عبد الرحمن باشا الحيدري, وعقيلة نوري السعيد , وعقيلة جعفر العسكري رئيس الوزراء والسيدة نعيمة سلطان حمودة ,عقيلة الشيخ احمد داوود والانسة حبيبة جعفر بيك , والانسة بولينا حسون ,وقد كان الهدف من تاسيس لجمع شمل المرأة وتعليم الفتاة من اجل ان تصبح عضوا فعالا في المجتمع وقد قوبلت تلك الدعوة بصد قوي من الرجال المحافظين وضجو وبلغوا في تعصبهم انهم اخذو يشكون المنتدى الى الحكومة مما حال دون استمراره وتم اغلاقه في عام ١٩٣٢ , للمزيد ينظر: ابتسام حمود محمد ,نادي النهضة النسائية في العراق واثره في تنمية الوعي الثقافي للمرأة ١٩٢٣-١٩٣٢ , مجلة اداب الفراهيدي المجلد ١٣ , العدد ٤٥ , اذار ٢٠٢١ , كلية الاداب جامعة تكريت ,ص١٦٦.

^{١٣} عذراء عدنان ,لنتعلم منهن بولينا حسون ,وحمدي الخفاجي .

<https://ww.almanavnews.net>.

^{١٤} ابراهيم العلاف, بولينا حسون ,برنامج موصليات ,قناة الموصل الفضائية , ٨/٨ ٢٠١٨م.

^{١٥} معروف عبد الغني بن محمود الحباري الحسيني , شاعر عراقي من مواليد بغداد عام ١٨٧٥م, لاب كردي وام تركمانية عمل مع والده في الحكومة العثمانية وكان حرا وجريئا في ارائه حريص على مجتمعه وكان شعره مليئاً بالحديث عن مظاهر الظلم السياسي والاجتماعي توفي عام ١٩٤٥ ,في

الاعظمية وتم دفنه في مقبرة الخيزران وراثه الكثير من الشعراء والادباء للمزيد ينظر: بشار حسان
نبذة عن معروف الرصافي مقال منشور على الموقع .

<https://sotor.com>.

^{١٦} خالد حبيب الراوي ,كيف قمعت اول صحيفة نسوية , المصدر السابق.

^{١٧} م فائق بولس , قلبي يتالم ,مجلة ليلي العدد الرابع , ١٥ كانون الثاني ١٩٢٤ ص ١٧١-١٧٤.

^{١٨} ابراهيم العلاف بولينا حسون ومجلة ليلي ١٩٢٣-١٩٢٥ مدونه دكتور العلاف .

<http://www.allafblogspot.com>.

^{١٩} سلمى الصائغ , سلمى بنت جبران الصائغ , اديبة وكاتبة وخطيبة ولدت في بيروت ودرست في
المدارس البيروتية وهاجرت الى البرازيل عام ١٩٣٩, وبقي هناك ٨ سنوات فابدعت في هذا المجال
وقامت بتأسيس جمعيات النسائية ونشرت العديد من كتبها (حور وذكريات) ولها مذكرات شرقية ط
١ , والنسمات وقامت بتحرير مجلة صوت المرأة في بيروت للمزيد ينظر: سلمى الصائغ مقال منشور
على موقع.

<https://islamic-content.com>.

^{٢٠} سلمى الصائغ , حياتنا الاقتصادية , الجزء الاول مجلة ليلي المصدر السابق , ص ١٦١-١٦٨ ..

^{٢١} المصدر نفسه , ص ٢١٠-٢١٦ .

^{٢٢} حنا بك الخياط ولد حنام بهنام يوسف عبد الاحد خياط الموصل في الموصل ١٨٨٤, ودرس على
يد الادباء الدومنيكان واكمل الابتدائية والمتوسطة في الموصل ثم تطلع الى اكمال الدراسة في
الخارج فاكمل الثانوية في بيروت فحصل على البكالوريوس في العلوم والاداب في الجامعة الفرنسية
في بيروت عام ١٩٠٣ وعمل طبيباً في مدينة الموصل شغل منصب رئيس المستشفيات الملكية
خلال فتره ١٩١٤-١٩١٩ , وتقلد عدة وظائف اثناء الحكم العثماني والانتداب البريطاني ويعد اول
وزير للصحة , للمزيد ينظر : كمال السامرائي , الدكتور الخياط وتأسيس الكلية الطبية في بغداد , جريدة
المدى ١٩-٥-٢٠٢٢ م .

[https:// www.almadasupplments.com](https://www.almadasupplments.com).

^{٢٣} يوسف رزق الله غنيمه, ولد عام ١٨٨٥ , محلة راس القرية من محلات بغداد الرصافة كان يسكن بغداد
منذ النصف الاول للقرن السابع عشر اذ كان والده شخصاً معروف تولى رئاسة الكتاب في بغداد
ودرس مبادباللغة العربية على يد العلامة اللغوي الاب انستاسودرس الفلسفة باللغة الفرنسية واللغة
الانكليزية واللغة التركية, ودرس ماورا الطبيعة والحساب والتجارة وبعد قيام الحكم الملكي انتخب
عضواً في مجلس محافظة بغداد وممثلاً عن المسيحيين في ٢٥ شباط ١٩٢٢م, وانتخب في المجلس

التاسيسي كذلك انتخب عضوا في مجلس المعارف في العاصمة فضلا عن مجلس ادارة بغداد ويعد من رواد الفكر الحديث توفي ١٠-١٠١٥٠, للمزيد ينظر :يوسف غنيمة الموسوعة العراقية.

<https://ar.irakipedia.iorg>.

^{٢٤} عبد الرزاق الحسني ,ولد في بغداد عام ١٩٠٣ من اسرة ادبية وكان والده يعمل في سوق العطارين ,تعلم القراءةوالكتابة في جامع الخفافين في بغداد تتلمذ على يد اساتذته الحاج كمال وعبد الستار واحمد زكي والخياط وغيرهم , تعلم اللغة التركية والفرنسية والانكليزية وانتقل الى النجف عام ١٩٢٠ , اثناء ثورة العشرين فولع في الكتابة والنشر فقد كان طالب في دار المعلمين ,نشر في جريدة المفيد وصاحبها زكي حلمي وساعدة على النشر استاذة عبد اللطيف ,عمل مراسل في جريدة الاهرام وعمل في جريدة المفيد بصفة مندوب ,والف العديد من الكتب ابرزها تاريخ الوزارات العراقية والثورة العراقية الكبرى ولتاريخ العراق السياسي والعراق في ظل المعاهدات . وغيرها من المؤلفات للمزيد ينظر :المورخ العراق الكبير عبد الرزاق الحسني سيرة عطرة مقال منشور على الموقع الالكتروني .

<https://www.alinked-aliragi.net>.

^{٢٥} رفائيل بطي, اديب وصحفي عراقي يعد رائدا من رواد الصحافة في الوطن العربي حيث اطلق عليه ابناء جيله لقب عميد الصحافة العراقية كما انه اول من ابتكر صفحة (العراق في الصفحات الاجنبية) ولاتزال الصحف العراقية تتابعها حتى الان ولد عام ١٩٠١, الموصل لاسرة مسيحية وتلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة الابهاء الدومنيكان العالمية عام ١٩٢١ التحق بكلية الحقوق ١٩٢٤ لكنه لم يمارس مهنة المحاماة عين معلم ثم رئيس لتحرير جريدة العراق العربي ومن مؤلفاته ,امين الريحاني في العراق وسحر الشعر والصحافة توفي عام ١٩٥٦, للمزيد ينظر :لرفائيل بطي على الموقع الالكتروني ,

<https://www.hidawi.org>.

^{٢٦} ساطع الحصري ,منظر قومي وتربوي عربي سوري ولد في ١٥ اب عام ١٨٨٠م, درس في المدرسة الملكية الشاهنشاهية في اسطنبول وبعد تخرجه عام ١٩٠٠م, عين مدرس للعلوم في احدى المدارس الثانوية , الف مجموعة من الكتب المدرسية في الزراعة والنبات ,قررت الوزارة المعارف العثمانية تدريس بعضها في المدارس الابتدائية في اسطنبول , التحق بالحكومة العربية في دمشق وعين اول وزير للمعارف فيما استدعاه الملك فيصل للعمل في العراق ,للمزيد ينظر :ابراهيم خليل احمد, تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩-١٩٣٢, منشورات مركز دراسة الخليج ,العربي البصرة , ١٩٨٢, ص١٥٩ .

^{٢٧} ساطع الحصري, دروس في اصول التدريس, مجلة ليلي العدد الخامس السنة الاولى ١٥-شباط ١٩٢٤, ص٢٢٥.

^{٢٨} صبيحة الشيخ داوود , ولدت صبيحة احمد بن داوود بن سلمان في بغداد عام ١٩١٢م, فنحدرت من عائلة دينية متفتحة ذهنياً و متحررة بأفكارها فكان جدها ووالدها من الشيوخ الفقه والحديث انذاك تعلمت القراءة والكتابة على يد والدها اذ لم يكن في ذلك الوقت مدارس للبنات وعرف عنها انها كانت ذكية ومجتهدة ,وعندما تم افتتاح مدرسة عام ١٩٢١ انتقلت صبيحة للتعليم وقد مثلت مدرستها في مهرجان سوق عكاظ عام ١٩٢٤ , ثم انضمت الى دار المعلمات بعد تخرجها عام ١٩٢٤ ,وعينت عام ١٩٢٨ مدرسية في المدرسة المركزية , وفي عام ١٩٢٦ التحقت بكلية الحقوق وهي اول امرأة عراقية تنضم للكلية وتخرق القواعد والنظم , كان لها مؤلفات ابرزها الطريق الى المعرفة النسائية , وتجربتي قضاء الاحداث ,وصحيفة بولينا حسون توفيت في تشرين الثاني ١٩٧٥ , للمزيد ينظر : فرقان فيصل الغانمي وافتكار محسن السعيد, صبيحة الشيخ داوود رائده النهضة النسائية في تاريخ العراق المعاصر ,١٩١٢-١٩٧٥, مجلة القادسية للاداب والعلوم التربوية, المجلد ١٤, العدد ٣-٤, ٢٠١٤, ص١٥٣-١٥٦ .

^{٢٩} صبيحة الشيخ داوود ,حياة المدرسة , مجلة ليلي العدد الثاني ,السنة الاولى ١٥ تشرين الثاني ١٩٢٣, ص٧٨.

^{٣٠} بولينا حسون مسامرات السيدات مجلة ليلي العدد الخامس ,المصدر السابق ,ص٢١٣-٢١٩.

^{٣١} هدى الشعراوي ,من ابرز الناشطات المصريات في مجال الاستقلال الوطني المصري والنشاط النسوي في نهايات القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين , وفي عام ١٩٠٨ ,نجحت في اقناع الجامعات المصرية بتخصيص قاعة المحاضرات النسوية واسست لجنة الوفد المركزية للسيدات وقامت بالاشراف عليها , واسس الاتحاد النسائي العربي فصارت رئيسة الاتحاد كما مثلت المرأة العربية في العديد من المؤتمرات , للمزيد ينظر: كتب ومؤلفات هدى الشعراوي .

<https://www.hindawi.org>.

^{٣٢} بولينا حسون ,حرية نسائية جديدة للنساء المصريات ,مجلة ليلي ,العدد التاسع ١٥-حزيران ١٩٢٤ , ص٤٠٢-٤١١ .

^{٣٣} بولينا حسون . العدد التاسع ,المصدر السابق , ص٣٩٥-٤١٢ .

^{٣٤} كاظم الدجيلي, كاظم بن حسين بن عبدان الدجيلي ولد في العاشر من اذار عام ١٨٨٤ , في قرية دجيل الواقعة ما بين بغداد وسامراء من ابوان عراقيان اصلهما من فخذ يعرب بالبابلبي وهو احد افخاذ قبيلة الخزرج والتي تكون اراضي الدجيل منذ الفتح الاسلامي للعراق ,انتقل اهله الى بغداد بعد اربعة اشهر

من ولادته وسكنوا محلة الشيخ بشار في جانب الكرخ ودرس في ايامه الاولى على يد امرأة من جيوانهم فعلمته القراءة القران وتم ذلك له وهو ابن السابعة من العمر ثم انتقل الى معلم للبنين عالم بالعربية فعلمه الكتاب وطرقاً من العربية وهو شاعر وصحفي ودبلوماسي عراقي توفي عام ١٩٧٠م , ودفن بالنجف , للمزيد ينظر: محسن الامين , اعيان الشيعة , الجزء ٩ المكتبة الشيعية , ص ٦.

^{٣٥} حليم موسى, حليم بن ابراهيم هو شاعر واديب وكان مترجم وناقد وروائي وصحفي ولد في لبنان من اسرة ادبية مسيحية فوالده كان شاعر ووالدته راوية للشعر والانشاد درس في الكتاتيب ثم دخل المدرسة الامريكية , ثم مدرسة الروم , مضى سنوات الدراسة وتلمذ على يد كبار الاساتذة , هاجر بعدها الى بيروت , عين فيها استاذ لغة عربية, توفي عام ١٨٥٧, للمزيد ينظر : حليم موسى مقال منشور .

<https://m.marefa.org>.

^{٣٦} انور شارؤل , ولد عام ١٩٠٤ , درس في بغداد حتى نال شهادة الحقوق عام ١٩٣١ , عمل في التعليم واصدر مجلة الحاصد الادبية الاسبوعية عام ١٩٢٩ , وعمل محاميا , ووظابط وناشرا , حتى عام ١٩٧١ نزوح الى اسرائيل , عرف عنه ممارسة الادب العربي شعر ونثر , بل كان من رواد النهضة الحديثة في العراق كما ساهم في اثناء الساحة الادبية في العراق وله عدة اثار منها الابداعي ولديه عدد من الدراسات , للمزيد ينظر: يعقوب يوسف , يهود العراق تاريخهم احوالهم هجرتهم , منشورات الاهلية , بيروت , لبنان ١٩٩٨ , ص ٩٣-٩٥.

^{٣٧} جورج حيقاري: جورج داوود من مواليد ١٨٩١ , تخرج من المدرسة الطبية الفرنسية في بيروت , عام ١٩١٩ , من الاوائل في تأسيس عضوية نقابة عام ١٩٥٢ , اول طبيب يعمل ويمارس العمل في الامراض النسائية والتوليد في العراق عام ١٩٣٠ , وهو اول المؤسسين لمستشفى ولادة في العراق عام ١٩٥٠ , عمل في المصحة العامة وتقاعد بعد ذلك توفي عام ١٩٥٧ , ينظر : الدكتور جورج حيقاري ,

<https://doctors iraii. Blogspot.com>.

^{٣٨} شكرية كوكز خضر ناصر , الصحافة النسوية في العراق نشأتها وتطورها ١٩٢٣-١٩٩٠ , رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب جامعة بغداد ١٩٩٩ , ص ٨٣.

^{٣٩} ابراهيم العلاف , بولينا حسون , ومجلة ليلي , المصدر السابقة .

^{٤٠} شكرية كوكز خضر , المصدر السابق , ص ٩٢.

^{٤١} صحيفة المفيد , وهي صحيفة عراقية اصدرها ابراهيم حلمي العمر في بغداد ١١ نيسان ١٩٢٢م , لتعمل محل جريدة لسان العرب , وقد تم تعطيلها من قبل الانتداب في ٢٤ اب ١٩٢٢ , فعطلها المندوب

- السامي البريطاني , وامر بابعاد صاحبها فهرب الى ايران واستتف عمل صحيفة , في ٢٥ مايس ١٩٢٤ , ينظر عبد الرزاق الحسني , تاريخ الصحافة العراقية مطبعة الزهراء بغداد , ١٩٥٧ ص ٧١ .
- ^{٤٢} العالم العربي جريدة يومية سياسية عامة لاصحابها حسون مراد وشركائها وكان مديرها ورئيس التحرير سليم حسون برز عددها الاول في الخامس من اذار ١٩٢٤ , واستمرت تصدر بانتظام سنوات عديدة ينظر عبد الرزاق الحسني , المصدر نفسه ..
- ^{٤٣} خالد حبيب الراوي , المصدر السابق , ص ٩٨ .
- ^(٤٤) أفتحت أول مدرسة رشدية في ولاية الموصل في محلة جامع خزام وكانت تدرس فيها المواضيع التي كانت تدرس في مدارس البنين وهي القرآن والعلوم الدينية, واللغة التركية واللغة العربية واللغة الفارسية والنحو الصرف وغيرها من الدروس العلمية التي تخص مدارس البنات, للمزيد ينظر: لمى عبدالعزيز مصطفى, بواكير التعليم النسوي في الموصل حتى سنة ١٩٣٢م, مجلة موصليات, العدد ٤٠, ٢٠١٢م, ص ٤٤ .
- ^(٤٥) زينب هاشم الجريان, التعليم النسوي في العراق (١٩٢١-١٩٥٨م) , رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية للبنات - جامعة بغداد, ٢٠١٣م, ص ٢٠ .
- ^(٤٦) لمى عبدالعزيز, المصدر السابق, ص.ص ٤٢-٤٣ .
- ^(٤٧) صبيحة الشيخ داود, اول الطريق الى النهضة النسوية في لعراق, مطابع الرابطة, بغداد, ١٩٥٨م, ص ٤٨ .
- ^(٤٨) بولينا حسون, لدى الحدث التاريخي العظيم, مجلة ليلي, العدد السادس, السنة الاولى, ١٥/اذار/١٩٢٤, ص ٢٤١ .
- ^(٤٩) بولينا حسون , بمناسبة التثام البرلمان العراقي الاول , مجلة ليلي , العدد التاسع , السنة الثانية , تموز , ١٩٢٥ , ص ٣٨٥
- ^(٥٠) المصدر نفسه , ص ٣٨٦
- ^(٥١) المصدر نفسه, ص ٢٤٢ .
- ^(٥٢) المصدر نفسه, ص ٢٤٣ .
- ^(٥٣) عبد المحسن السعدون: عبد المحسن بن فهد السعدون ولد في مدينة الناصرية عام ١٨٧٩, ينتمي الى أسرة آل السعدون وهي اسرة يرجع نسبها للأشراف وهم حكام امارة المنتفق واسرته شيوخ قبائل اتحاد المنتفق (اكبر اتحاد للقبائل و العشائر مختلفة الاحوال الاصول شهدة العراق , كان في شبابه يعمل بوظيفة شريفة في اسطنبول , وحين قدم الى العراق اعتمده الملك فيصل الاول كسياسي محترم واختاره رئيساً للوزراء ومجلس النواب عدة مرات, كان من المعارضين لسياسة الانتداب البريطانية

- على العراق , عرف بوطنيته وبمواقفه الداعمة لسيادة العراق, توفي في يوم ١٣/١١/١٩٢٩م منتصراً
للمزيد ينظر: علاء عبد طاهر فليحي, شخصية من بلادتي عبد المحسن السعدون
(٥٤) بولينا حسون, انظار نوابنا (لكل عين نظرة), مجلة ليلي, العدد السابع, السنة الاولى,
١٥/نيسان/١٩٢٤م, ص.ص ٢٨٩-٢٩٢.
(٥٥) المصدر نفسه, ص ٢٩٣.
(٥٦) بولينا حسون, النهضة الجامدة, مجلة ليلي, العدد السادس, السنة الاولى, ١٥/اذار/١٩٢٤م,
ص ٢٤٣.
(٥٧) المصدر نفسه, ص.ص ٢٤٤-٢٤٥.
(٥٨) بولينا حسون, النهضة الجامدة, ص ٢٤٦.
(٥٩) بولينا حسون, بعض حوادث ليلي, مجلة ليلي, العدد الثالث, السنة الاولى, ١٥/كانون الاول/١٩٢٣م,
ص ١٤٠.
(٦٠) محمد الهاشمي, المرأة العربية, مجلة ليلي, العدد الاول, السنة الاولى, ١٥/تشرين الاول/١٩٢٣م,
ص ٢٠.
(٦١) القادر بالله ابو العباس احمد بن اسحاق بن المقتدر ولد عام ٣٣٤هـجري وهو من خلفاء الدولة
العباسية حكم (٣٨١-٤٢٢هـجري) وقد بويغ له بالخلافة بعد خلع الطائع وكان غائباً فقدم ,
واستمرت خلافته اربعون عاماً , ويروى ان القادر كان متديناً كثير التهجد بلليل وكثير البر
والصدقات نفقة على يد ابي بشرالحروي له كتاب في الاحوال, توفي القادر ليلة الاثنين الحادي عشر
من ذي الحجة عام ٤٢٢هـجري عن عمر سبع وثمانين عاماً. للمزيد ينظر: ظهير الدين علي محمد
الكارزوني, مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس, تحقيق: مصطفى جواد,
المؤسسة العامة للطباعة والطباعة, بغداد, ١٩٧٠م, ص.ص ١٩٦-٢٠٠.
(٦٢) محمد الهاشمي, المصدر السابق, ص ٢١.
(٦٣) اسمى الخليفة المستنصر بالله قصره بإسم زوجته الزهراء وأمر بأن ينقش صورتها في باب القصر,
وكذلك في عهد الحكم الاموي قام بتعيين زوجته وزير له كاتبة في بلاطه وكانت مشهورة بالعفة
والادب. للمزيد ينظر: المصدر نفسه, ص ٢١.
(٦٤) محمد الهاشمي, المصدر السابق, ص ٢٢.
(٦٥) المصدر نفسه, ص.ص ٢٢-٢٣.
(٦٦) المصدر نفسه, ص ٢٣.

- (٦٧) بولينا حسون, المطالعة, مجلة ليلي, العدد الثالث, السنة الاولى, ١٥/كانون الاول/١٩٢٤م, ص ١٢٠-١٢١.
- (٦٨) عبد الرزاق الهلالي, تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨-١٩١٧م, بغداد, ١٩٥٩م, ص ٨٦.
- (٦٩) جعفر عبد الدائم بنيان منصور, التأريخ الصحي لمدينة البصرة أواخر العهد العثماني حتى ١٩٣٩م, الفيحاء للطباعة والنشر, لبنان, ٢٠١٧م, ص ٢٨.
- (٧٠) عبد الرزاق الهلالي, نظرات في إصلاح الريف, ط ١, بيروت-لبنان, ١٩٥٠م, ص ٢٧-٣٢.
- (٧١) طالب ابراهيم العقابي, الخدمات الصحية, بحث ضمن كتاب حضارة العراق, ج ١٣, دار الحرية, بغداد, ١٩٥٨م, ص ١٢٦-١٢٧.
- (٧٢) جورج جفاري, قانون صحة الحامل, مجلة ليلي, العدد الاول, السنة الاولى, ١٥/تشرين الاول, ١٩٢٣م, ص ٣٣-٣٤.
- (٧٣) المصدر نفسه, ص ٣٥-٣٦.
- (٧٤) جورج حيقاري, قانون صحة الحامل, مجلة ليلي, العدد الاول, السنة الاولى, ١٥/١١/١٩٢٣م, ص ٨٠-٨٤.
- (٧٥) المصدر نفسه, ص ٨٣-٨٦.
- (٧٦) حيدر حميد رشيد النعيمي, الاوضاع الصحية في العراق ١٩٣٢م-١٩٤٥م, دراسة تاريخية, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية-ابن رشد-جامعة بغداد, ٢٠٠٠م, ١٣٣.
- (٧٧) طالب ابراهيم العقابي, المصدر السابق, ص ١٣٦.
- (٧٨) عباس بغدادي, بغداد في العشرينات, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, ٢٠٠٠م, ص ٤٩.
- (٧٩) بولينا حسون, الطبيبات, مجلة ليلي, العدد السادس عشر, السنة الثانية, ١٥/كانون الثاني/١٩٢٤م, ص ٢٤٣.
- (٨٠) المصدر نفسه, ص ٢٤٤.
- (٨١) المصدر نفسه, ص ٢٤٥.
- (٨٢) جورج حيقاري, التمريض, مجلة ليلي, العدد الحادي عشر, السنة الثانية, ١٥/اب/١٩٢٤م, ص ٢٣.
- (٨٣) المصدر نفسه, ص ٢٣.
- (٨٤) جورج حيقاري, المصدر السابق, ص ٢٣-٢٤.
- (٨٥) جورج حيقاري, المصدر السابق, العدد الثاني عشر, السنة الثانية, ١٥/ايلول/١٩٢٤م, ص ٧٥-٧٧.

(٨٦) جورج حيقاري، المصدر السابق، العدد الثالث عشر، السنة الثانية، ١٥/تشرين الاول/١٩٢٤م، ص.ص ١٢٩-١٣٠.

قائمة المصادر

اولا :- الوثائق المنشورة

الصحف والمجلات

- ١- مجلة ليلي ، السنة الأولى ، الاعداد الاول والثاني والثالث والرابع والسادس والسابع والثامن والتاسع
- ٢- _____ السنة الثانية ، الاعداد الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر والسادس عشر والتاسع عشر

ثانيا :- الكتب العربية

- ١- أبراهيم خليل احمد ، تطور التعليم الوطني في العراق (١٨٦٩-١٩٢٢) منشورات مركز دراسة الخليج العربي، البصرة ، ١٩٨٢م.
- ٢- جعفر عبد الدائم بنيان منصور ، التاريخ الصحي لمدينة البصرة أواخر العهد العثماني حتى ١٩٣٩ ، الفيحاء للطباعة والنشر ، لبنان ، ٢٠١٧م.
- ٣- خالد حبيب الراوي، تاريخ الصحافة والاعلام في العراق منذ العهد العثماني وحتى حرب الخليج الثانية ١٨١٠ - ١٩٩١ ، دار صدمات للدراسات والنشر، دمشق ، ٢٠١٠ م
- ٤- صبيحة الشيخ داوود ، أول الطريق الى النهضة النسوية في العراق مطابع الرابطة ، بغداد، ١٩٠٨ م.
- ٥- طالب ابراهيم ، العقابي ، الخدمات الصحية ، بحث ضمت كتاب حضارة العراق ، ج ١٣ دار الحرية ، بغداد ، ١٩٨٥ م
- ٦- ظهير الدين علي محمد ، مختص التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق: مصطفى جواد، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ، بغداد، ١٩٧٠م.
- ٧- عباس بغدادي ، بغداد في العشر بنات ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٠ م
- ٨- عبد الرزاق الحسني، تاريخ الصحافة العراقية ، مطبعة الزهراء - بغداد ، ١٩٥٧ م
- ٩- عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨ - ١٩١٧ م ، بغداد ، ١٩٠٩م.
- ١٠- _____ ، نظرات في أصلح الريف ، بيروت، لبنان، ١٩٥٠ م

- ١١- محمود صافي ، سوريا من فيصل الأول الى حافظ أسد ١٩١٨ - ٢٠٠٠م م الدار التقدمية للطباعة ، لبنان ، ٢٠١٠م.
- ١٢- يعقوب يوسف في يهود العراق تاريخهم أحوالهم حجرتهم ، منشورات الاهلية ، بيروت، لبنان ، ١٩٩٨م
- ١٣- محسن الامين ، أعيان الشيعة، ج ٩، المكتبة الشيعية.

ثالثاً :- الرسائل والاطاريح

- ١- حيدر حميد رشيد النعيمي و الاوضاع الصحية في العراق ١٩٣٢ - ١٩٤٥ دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة وكلية التربية ايت رشد - جامعة بغداد ، ٢٠٠٠م.
- ٢- زينب هاشم الجريان، التعليم النسوي في العراق (١٩٢١ - ١٩٠٨) ، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية التربية للبنات جامعة بغداد ، ٢٠١٣م.
- ٣- شكرية كوكيز خضر ناصر ، الصحافة النسوية في العراق نشأتها وتطورها ١٩٢٣ - ١٩٩٠ م رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب - جامعة بغداد ١٩٩٩ م
- ٤- يوسف علي ، جميل صدقي الزماوي حياته وشعره ، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الدراسات العليا قسم اللغة العربية - جامعة ام درمان الاسلامية ، السودان ، ٢٠١٨ م.

رابعاً : البحوث المنشورة

- ١- ابتسام حمود محمد ، نادي النهضة النسائية في العراق واثره في تنمية الوعي الثقافي للمرأة ١٩٢٣ - ١٩٢٢م ، مجلة آداب الفراهيدي، المجلد ١٣ ، العدد ٤٥ ، اذار ٢٠٢١ م.
- ٢- خالد حبيب الراوي ، كيف قمعت اول صحيفة نسوية في العشرينات. ، مجلة آفاق عربية ، العدد الثاني ، السنة السابعة عشر ، شباط/ ١٩٩٢
- ٣- علياء قاسم ثامر ، الفنون الصحفية لمجلة ليلي النسائية، مركز وزارة التعليم
- ٤- فرقان فيصل صدمات الغانمي وأفكار محسن صالح السعيد، صبيحة الشيخ واورد رائدة النهضة النسائية في تاريخ العراق المعاصر ١٩١٢ ١٩٧٠م ، مجلة القادسية للآداب والعلوم التربوية ، المجلد ١٤ في العدد ٣ - ٤ ، ٣١ / كانون الأول / ٢٠١٤م
- ٥- لمى عبد العزيز مصطفى ، يواكير التعليم النسوي في الموصل حتى سنة ١٩٢٢ م، مجلة موصليات ، العدد ٤٠ ، ٢٠١٢م.
- ٦- أبتهاال جاسم رشيد ، تاريخ الصحافة في العراق، مجلة حوليات التراث ، العدد ٢١ ، جامعة بغداد ، ٢٠٢١م.

خامسا :- المواقع الالكترونية

- ١- علاء عيد ظاهر ، شخصية من بلادي عبد المحسن السعدون ، وكالة الراصد نيوز ، ١٢/١٢ / ٢٠٢٢ <https://alrased.news> .
 - ٢- مجلة ليلي ، موسوعة عريفا <https://apag-net>
 - ٣- كمال يلدو ، من تاريخ الصحافة النسوية في العراق ، برنامج اضواء على العراق ١/٢٨ / ٢٠٢٢ م <https://www.youtuob.com>
 - ٤- مجلة ليلي أول مجلة نسائية في العراق ، مقال منشور على الموقع الالكتروني <https://alzawpaaper.com>
 - ٥- بشار حسان ، نبذة عن معروف الرصافي ، مثال منشور <https://sotor.com>
 - ٦- ابراهيم العلاف، بولينا حسون ومجلة ليلي ١٩٠٣-١٩٢٤م مدونة دكتور العلاف <https://www.allaf blog Spot-com>
 - ٧- أبراهيم العلاف ، بوليا صوت ، برنامج موصليات ، قناة الموصل الفضائية ، ٨/٨/٢٠١٨م.
 - ٨- عذراء عدنان ، لتتعلم منهن بولينا حسون وحمدية الخفاجي <https://www.almanarnews.net>
 - ٩- سلمى الصائغ ، مثال منشور على الموقع <https://islamic-content.com>
 - ١٠- كمال السامرائي ، الدكتور الخياط وتأسيس الكلية الطبية في بغداد ، جريدة المدى، ١٩/٥/٣٢٠٢٢ <https://www.almada supplements.com>
 - ١١- يوسف عنيمة الموسوعة العراقية <https://ar. Irakpedla. Lorg>
 - ١٢- عبد الرزاق الحسني، سيرة عطرة ، مثال منشور <https://www.alnked-allragt.net>
 - ١٣- رفائيل بطي <https://www.hindawi.org>
 - ١٤- هدى الشعراوي <https://www.hldaw.org>
 - ١٥- حلیم موسى <https://m.marefa.org>
- الدكتور جورج حيفاري <https://doctors Craal, Blogspot.Con>

عبد الرحمن الكيالي ودوره السياسي في سورية

١٨٨٧ - ١٩٦٩

-دراسة تاريخية-

م . د . وسيم عبد الامير وهيب مهدي الحسنواوي

جامعة القادسية - كلية الاثار

waseem.abd@qu.edu.iq

07801362244

م . د . وسيم عبد الامير وهيب مهدي الحساوي

ملخص البحث:

إن دراسة الشخصيات السياسية وبيان دورها أمر هام للغاية، ولاسيماً الشخصيات السياسية السورية الفاعلة التي تميزت بالنضال الوطني ضد المستعمر وعرفت بالكفاءة والنشاط والحزم وحسن الادارة، وممن اضافوا بصمة واضحة لتاريخ سورية السياسي، إذ كان عبد الرحمن الكيالي في مقدمة تلك الشخصيات الوطنية السورية الهامة التي سعت لإصلاح وتنظيم وتطوير عمل الوزارات التي تولى ادارتها، وكان من الشخصيات الوطنية المعارضة لسياسة فرنسا الانتدابية في سورية ومن المناضلين الاوائل على اثرها زج به في السجون لمرات عديدة، لقد نجح الكيالي بإدارة المناصب المتعددة التي تولها لكفاءته الادارية وحنكته السياسية، وتمكن من تدوين آراءه وافكاره السياسية ومسيرته الجهادية في مؤلفات عديدة بأسلوب واضح ومبسط ذو رونق متميز منفرد موضحاً المراحل التي مر بها تاريخ سورية السياسي، ووضع حلولاً للمشاكل التي تعاني منها سورية واصبحت مؤلفاته مرجعاً للدارسين والباحثين لأهميتها ودقتها، إذ كان مدافعاً عن حقوق بلاده مرة وناقداً وناقماً مرة اخرى، كان معبراً عن معاناة ومظلومية شعبه من تحت قبة المجلس النيابي بوصفه نائباً قديراً وملماً .

الكلمات المفتاحية: (سورية، عبد الرحمن الكيالي، الاوضاع السياسية في سوريا، العمل الوزاري، العمل النيابي).

Abd Alrahman Al-Gayali and His Political Role in Syria Historical Study 1887-1969

Lecturer Dr. Waseem Abd al Ameer Waheeb Mahdi al Hasnawy
Iraq Ministry of Education

General Directorate of Qadisiyah Education

College of Archaeology

waseem.abd@qu.edu.iq

07801362244

ABSTRACT

The study of any political character and his her role is of importance to history, especially the Syrian political characters who were well-known of their patriotic struggle against the colonization. Those who set a clear patriotic career characterized by their being activity proficiency, and strict management. Abdulrahman Al-Gayali was one of those prominent patriotic characters who actively struggled for reform, organize and develop the cabinet works which he run. His anti-colonization pursuit against the French occupation to Syria was so standing. He was sent to prison several times. Al-Gayali made a cut in running many positions due to his strong consistence and he could write down his political biography in many published works using simple styles in which he expressed his viewpoints and opinions in when running the Syrian helm which underwent many historical turnovers. He also set answers and solution to many standing issues and thus his works became references to many researchers and politics interested personnel. He was an active defendant of his country's right, a critic, an angry opposer in the parliament to the oppression casted on his people.

Key words:(Syria, Abd Al rahman ,Politcal ,situations of Syria, cabinet work, parliament work)

المقدمة:

البحث يسلط الضوء على شخصية عبد الرحمن الكيالي ودوره في السياسة السورية، إذ برزت ملامح الحزم وحسن الإدارة والتنظيم الإداري العالي على شخصيته أثناء عمله وزيراً لوزارات عديدة بحكومات سورية ابان عهود مختلفة، فهو سعى جاهداً لإعادة تنظيمها وترتيب اوضاعها واصلاح وتطوير عملها وعالج المشاكل والصعوبات والتحديات التي تواجه عمل تلك الوزارات أثناء فرض الانتداب الفرنسي على سورية، لم يهمل الكيالي المشاكل التي يعاني منها ابناء وطنه، بل كان محيطاً وملماً بها فقد طرحها تحت قبة مجلس النواب السوري وباتجاهات مختلفة محاولاً وضع حلول مناسبة لها، وعلى الرغم من تخصصه بالطب الا انه نجح بعالم السياسة، كيف لا وهو احد الاعضاء المؤسسين للكتلة الوطنية التي دافعت عن حقوق سورية واعترضت على سياسة فرنسا الاستعمارية، ادان الكيالي تقسيم الاراضي السورية الى دويلات ضعيفة متناحرة واعترض على المشاكل التي تفتعلها فرنسا

بهدف اضعاف سورية والهيمنة عليها، لم تدرس شخصية الكيالي اطلاقاً مما كان موضوع بكر وجديد يستحق البحث وجدير بالدراسة، اعتمدنا على منهج البحث التاريخي حسب التسلسل الزمني للإحداث مع الحفاظ وحدة الموضوع، اعتمد البحث على مصادر عديدة كان في مقدمتها الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية ومحاضر مجلس النواب السوري المنهلان اللذان لا ينضبان وبعض المصادر الاخرى ذات الصلة بالموضوع، اما الاطار الزمني للبحث كان منذ دخول الكيالي علم السياسة وانتخابه نائباً عن مدينة حلب في مجلس النواب السوري، مروراً بتوليته وزارات عديدة في حكومات مختلفة حتى تنحيه واعتزاله عن عالم السياسة ابان عهد الوحدة عام ١٩٥٨ والعودة لممارسة مهنة الطب حيث عرضنا لأبرز ما تناول الكيالي داخل المجلس النيابي بوصفه نائباً نشطاً مدافعاً عن حقوق ابناء وطنه وتناولنا اهم انجازاته على الصعيد الوزاري، وقد قسم البحث الى مقدمة واربعة محاور وخاتمة تضمنت اهم ما توصلنا اليه من خلال عرضنا للبحث فكان عنوان المحور الاول عبد الرحمن الكيالي ولادته دراسته دخوله العمل السياسي بينما سلط المحور الثاني الضوء على مهام العمل النيابي لعبد الرحمن الكيالي وكان مسار المحور الثالث عبد الرحمن الكيالي ومهام العمل الوزاري وكان مدار المحور الرابع عرضاً لنتاجه الفكري .

المحور الاول: عبد الرحمن الكيالي (ولادته، دراسته، دخوله العمل السياسي).

عبد الرحمن عبد القادر طه الكيالي، طبيب وسياسي ومؤرخ وعضو مجلس نواب لعدة دورات نيابية ووزير لوزارات عديدة بحكومات سورية مختلفة وعضو الكتلة الوطنية ورئيس الحزب الوطني، ولد عام ١٨٨٧ في مدينة حلب وتوفي في ١٣ أيلول ١٩٦٩، نشأ في عائلة حلبية اشتهرت بحبها للعلم والدين وذات وجهة اجتماعية وعرفت بميولها السياسية المدافعة عن حقوق الوطن ومعارضة للمستعمرين، درس عبد الرحمن الكيالي علومه الاولية بمدارس حلب ثم اكمل دراسته الجامعية بالجامعة الامريكية ببيروت متخصصاً بالطب، وتخرج طبيباً منها عام ١٩١٤، وفي العام ذاته اندلعت الحرب العالمية الاولى، وخدم بالجيش العثماني في الطبابة العسكرية متنقلاً من مكان الى اخر حسب ظروف الحرب، وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٨ واندحار الدولة العثمانية وبداية العهد الفيصلي (١٧ تشرين الاول ١٩١٨ - ٢٥ تموز ١٩٢٠) عين رئيساً للأطباء في مستشفى حلب

،دخل المعتزك السياسي مدافعا عن حقوق بلاده الوطنية إذ انتخب نائبا عن حلب في المؤتمر السوري العام (حزيران ١٩١٩-تموز ١٩٢٠)،ومن ثم انتخب نائبا عن حلب في المجلس التأسيسي عام ١٩٢٨ المجلس الذي وضع اول دستور وطني لسورية^٢، ويعتبر احد مؤسسي الكتلة الوطنية واهم زعمائها التي قادت العمل السياسي منذ عام ١٩٣٢ للدفاع عن حقوق سورية السياسية أبان الانتداب الفرنسي^٣، له مواقف معارضة من الانتداب الفرنسي على سورية إذ ادان وشجب سياستها الاستعمارية على اثرها تم نفيه الى جزيرة ارواد الواقعة على الساحل السوري لمدة اربع اشهر مع الشخصيات الوطنية المعارضة، أعترض على تقسيم الاراضي السورية الى دويلات ضعيفة على اساس طائفي بقصد اضعاف الحس الوطني من قبل سلطة الانتداب الفرنسي، كان مبغض ومقاطع للشخصيات السياسية السورية المقربة والمالية لسلطة الانتداب الفرنسي، عمل جاهداً مع اخوانه الوطنيين للوصول للاستقلال التام وناضل من اجل خروج فرنسا عن الاراضي السورية إذ ساهم بحشد الآراء وقاد المظاهرات ضد الانتداب الفرنسي وخصوصاً ابان الاضراب الستيني الذي اندلع عام ١٩٣٦، وتمخض عن ذلك عقد المعاهدة السورية الفرنسية عام ١٩٣٦ الذي كان الكيالي احد الاعضاء الوطنيين المفاوضين للمعاهدة وبموجبها منحت بعض الحقوق الوطنية لسورية^٤، انتخب نائبا عن حلب في المجلس النيابي لعام ١٩٣٦ واصبح وزيراً لوزارة العدلية ووزارة المعارف، عمل بجد واخلاص وتفان من اجل تطوير وتقديم عمل هذه الوزارتين وتمكن من ذلك، إذ قطع شوطاً كبيراً من اجل تنظيم وتطوير العمل فيهما، تولى رئاسة جمعية العاديات بحلب الجمعية المهمة بالتراث والتاريخ والترجمة والعلم، كان احد اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، انتخب نائبا عن حلب في المجلس النيابي لعام ١٩٤٣ وتولى عمل وزارة العدلية مرة ثانية^٥، مثل بلاده في منظمة الامم المتحدة في دورة أيلول ١٩٤٨ للدفاع عن حقوق سورية، يعد خطيباً وسياسياً ومؤرخاً من الطراز الاول^٦، وبعد تضعف وتصعد الكتلة الوطنية وانتهاء دورها السياسي ما بعد عام ١٩٤٥ تزعم الكيالي الحزب الوطني منذ مطلع الخمسينات الذي يعتبر امتداد للكتلة الوطنية حتى قرار الغاء العمل الحزبي ابان عهد الوحدة بين سورية ومصر عام ١٩٥٨^٧، وبسبب تقيد العمل السياسي ابان عهد الوحدة اعتزل العمل

السياسي وعاد لممارسة تخصصه في المجال الطبي ،له العديد من الكتب السياسية التي اרכת الجهاد والنضال الوطني لسورية مدافعاً عن حقوق بلاده^٨.

مما سبق يتضح ان لمكانة الكيالي الاجتماعية وثقافته العالية ولمسيرته النضالية المتواصلة وحبه لوطنه قد اهله للوصول لمجلس النواب السوري لمرات عديدة ،ونجح بالمناصب الوزارية التي تولى ادارتها وكان مدافعاً عن حقوق وطنه معارضاً لسياسة فرنسا الاستعمارية رافضاً لتقسيم سورية الى دويلات مطالباً بخروج فرنسا واعلان الاستقلال التام لسورية.

المحور الثاني: عبد الرحمن الكيالي ومهام العمل النيابي.

تعد اسرة ال الكيالي من العوائل الحلبية العريقة الاصيلية وتتمتع العائلة بثقل اجتماعي كبير كما اشرنا سابقاً ،ولدراسته دراسة جامعية عالية وتخرج طبيباً وخدم ابناء مدينته فضلاً عن مكانته السياسية العالية وبوصفه من الشخصيات المؤسسة للكتلة الوطنية وعلى اثرها استطاع ان يكون الكيالي نائباً عن حلب في المجالس النيابية السورية ،فأنتخب في المرة الاولى في المجلس التأسيسي السوري (٩حزيران ١٩٢٨-١١أب ١٩٢٨) ولقصر عمر هذا المجلس لم نجد اي مداخلات او نشاط لعبد الرحمن الكيالي ،وفي المرة الثانية تمكن من ان يصبح نائباً عن حلب في المجلس النيابي السوري (٢١كانون الاول ١٩٣٦-٨تموز ١٩٣٩) وفي عهد هذا المجلس استطاع الكيالي ان يتولى منصب وزير العدل والمعارف طيلة مدة عمر المجلس فلم يسجل نشاط نيابي لانشغاله بمهام العمل الوزاري ،وفي المرة الثالثة والاخيرة تمكن الكيالي من ان يصبح نائباً في المجلس النيابي السوري (١٧أب ١٩٤٣-٢١حزيران ١٩٤٧)^٩ إذ ورصدنا له بعض النشاط والمداخلات بمختلف الاتجاهات ضمن هذا المجلس ومن ابرزها كان في الجانب السياسي إذ اكد على دور مجلس النواب في مراقبة ومحاسبة عمل الحكومة وقال ما نصه " إن من واجبنا النيابي الدفاع عن حقوق هذه الامة واداء واجباتنا بأحسن صورة ويجب ان نكون رسل معبرين عن امالها وموجهين الحكومة الى الاهداف السامية التي تحقق مثلنا العليا ويجب ان نكون رقباء على اعمالها ونقوم الاعوجاج ،نحن نواب حملنا الامانة ويجب ان نبقي شرفاء للنهائية... إن هذه الامة تحمل امالاً وتطلب السرعة في تحقيق هذه الامل فلا يجوز ان نهمل ولا يجوز ان نتحلى

بالجهل، إن مراقبة عمل الحكومة من اقدس مهامنا ٠٠٠ يجب على المجلس ان يقف وقفة شجاعة لرد كل مؤامرة ليستقيم امر الاستقلال ولا نبالي من اي صدمة تأتينا من الخارج، يجب علينا ان نحافظ على استقلالنا على اساس ثابت واسس لا تتزعزع، واذا لم يكن في الحكم ارادة ثابتة وحزم وصدق وعزيمة ونزاهة وعلم وكفاءه فقل على الاستقلال السلام، إن في البلاد قضايا ومشاكل يجب بحثها، يجب القضاء على الفوضى وعلى تعدد المسؤوليات واهمال بعض الموظفين لمهامهم الوظيفية فضلاً عن انتشار الرشوة والمحسوبيات والمنسوبيات والمجاملات، يجب مراقبة الامور وتحديد ومحاصرة الاخطاء " يبدو ان الكيالي كان حازماً ومراقباً جيداً إذ تمكن من تشخيص بعض مكامن الخلل وأشار الى اهمية القضاء على الاهمال الوظيفي والفساد الاداري المنتشر في بعض مفاصل الدولة ولم يهمل اهمية مراقبة عمل الحكومة وتقويمها وضرورة تنبيهها على الخطأ والضعف من اجل النهوض وتقدم سورية، وكذلك لم يهمل الكيالي سرعة تبدل الحكومات بل اشار الى ذلك وانتقدها واوضح سلبياتها ومساوئها وقال بما نصه "ما سبب تعدد الوزارات، لقد تبدلت اكثر من ثلاث وزارات في مدة قصيرة فلماذا هذه السرعة ولم هذه التبدلات وما لون تلك الوزارات وما الاسباب التي دعت لتبديل الوزارة الاولى والثانية والثالثة، ولا ندري اتبدل هذه الوزارة الحالية بعد يوم ام اسبوع ام شهر، ما الحكمة من التبدل ولعل الناس يسألون لماذا تبدلت الوزارات السابقة وما الجديد الذي اتت به الوزارة اللاحقة ما معضلاتها ما قضاياها، ما الغاية من هذا التغير، إن هذا الامر لا يصب بمصلحة البلد ولم تستقيم سياستنا، يجب الاستقرار والثبات بالعمل لتحقيق الاهداف المنشودة" ومن النص اعلاه نلاحظ ان الكيالي كان ناقداً وساخطاً لكثرة تغير الحكومات السورية وسرعة انهاء عملها مشيراً الى انها تضر بالسياسة العامة للدولة ومؤشر واضح لعدم الاستقرار السياسي وتشيع الفوضى مؤكداً على ضرورة واهمية الاستقرار الحكومي بغية تنفيذ الحكومات برامجها وخدمة مصلحة الوطن وصولاً للاستقلال التام، وأشار الكيالي على اهمية زيادة التخصيصات المالية للجيش فقال ما نصه " إن الجيش الذي الفناه انفقنا عليه كل ما خصص له في موازنته المقررة بغية تطويره والاهتمام به والان نريد ان نضيف له تسعة ملايين ليرة في هذا العام، والعام المقبل سوف يخصص له ضمن الموازنة خمسون مليون ليرة، بمعنى

نصف الموازنة العامة تقريباً للجيش ، فلماذا يشكون من سوء الاستعمال ومن صرف الاموال له بشكل غير مرضي ، ولماذا الاموال التي اعطيت لشراء الاسلحة لم يتم الشراء حتى الان واين ذهبت الاموال ومن المسؤول عن ذلك^٢ نجد ان الكيالي اكد على ضرورة الاهتمام بالجيش لكونه سور الوطن وحامية و اشار اهمية توفير الاموال اللازمة لبناءه بالشكل الصحيح والسليم مؤكداً على ضرورة محاسبة المقصرين والمهملين وفي مقدمتها قضية الاموال التي خصصت لشراء الاسلحة لتطوير قدراته القتالية ، **وتطرق الكيالي الى قضية تعطيل بعض الصحف لدواعي سياسية** وقال ما نصه "لقد تقدمنا بتقرير موقع من اكثر من عشرون نائب الى الحكومة لبيان اسباب التعطيل الاداري لبعض الصحف ، لكن الى الان لم يرد الجواب ، ولقد وعدت الحكومة سابقاً ان تفرج عن الصحف المعطلة ولكن الى الان لم توفي بوعودها ، يجب ان يكون الرأي العام محترماً فلا استقلال بلا حرية للرأي العام"^٣ يتضح مما سبق ان الكيالي كان حريصاً على حرية الرأي العام وواكد على ضرورة واهمية الحريات في ضوء ما كفله الدستور السوري وادان عدم المساواة والتحيز في تطبيق القوانين والانظمة على البعض وترك البعض الاخر منتقدا الحكومة لغلق وتعطيل بعض الصحف المعارضة وتركها للاخر واثار الى اهمية ان تكون الحكومة عادلة بتطبيق القوانين والانظمة ولا تعمل من منظور حزبي ضيق مؤكداً ان هذا الاجراء مخالف للدستور ، **اما فيما يخص الاحزاب السياسية ومحاربة الحكومة لبعض منها** وترك الاخر قال الكيالي ما نصه "إننا حريصون جداً على ممارسة الحكم الديمقراطي ونسعى الى تطبيق روح الدستور ونعمل الى تنفيذ احكام القانون ولقد اشارت الحكومة في بيانها الحكومي انها ستطبق الحق والعدل والقانون على جميع الناس ويجب عليها ان لا تكون مطبوعة بطابع التحيز او بطابع الانتقام او طابع الحزبية بل يجب عليها ان تتبع في تنفيذ مبادئ الدستور والقانون ويجب عليها ان تطبقه على الجميع بالتساوي والعدل حسب ما نصت عليه القوانين ، إن في البلاد اليوم جمعيات واحزاب متعددة تحت اسماء وعناوين مختلفة والحكومة بدل من ان تنفذ احكام القانون بان تنذر جميع هذه الجمعيات والاحزاب بغية تقديم دساتيرها وبرامجها ومنهاجها واسماء الذين يؤلفون هيئاتها الادارية كي تطبق عليهم القانون ، نراها اهملت هذه الناحية ولم تحاسب الاحزاب السياسية بموجب القانون فهناك الكتلة الوطنية

والحزب الشيوعي وحزب العمل القومي والحزب السوري القومي وحزب البعث العربي ومنظمة الاحرار وغيرها من الاحزاب التي تمارس اعمالها في وضح النهار وتحت سمع الحكومة فلماذا لم تطلب الحكومة من هذه الاحزاب ان تنفذ وتتقيد بإحكام القانون ولا يجوز للحكومة ان تطبق القانون على فئة دون اخرى او على حزب دون الاخر، ففي الامس وفي احد الاجتماعات خطب احد الاشخاص المنتمي لحزب معين بخطب سياسية بما لا تتفق مع القانون بل اساء الى سمعة الحكومة وادان اعمالها وسخر منها واتهم اعمالها بالشذوذ لكن الحكومة لم تعامله بموجب القانون علما انه موظف حكومي فهو قام بتظليل الرأي العام ولم يكتفي بذلك بل شوه سمعة الحكومة ونشر على احدى صفحات الجرائد ولم تسوقه الحكومة للقضاء ولم تحاسبه بموجب القانون، بينما نرى ان الحكومة قامت بغلق حزب الاحرار وبعض الاحزاب الصغيرة، والغريب بالامر ان رئيس الوزراء منتمي لحزب ويظهر ميله لحزبه علناً ويلقي خطاباً حزبية وسياسية تمجد بحكومته، اني ادين واشجب اقحام العمل الحزبي داخل مفاصل ومؤسسات الدولة، وما يطبق على حزب من قوانين يجب ان يطبق على جميع الاحزاب السياسية الاخرى، لا يجوز على الحكومة ان تنتقم من حزب لانه طعن بها و تترك حزب اخر لانه مدحها، يجب عليها ان تحترم الدستور وان تطبق القانون بعدالة وانصاف على الجميع بدون تفریق او تميز^١ ووفقاً لتلك الرؤيا الواسعة والحنكة السياسية العالية والادراك والشعور بالمسؤولية دون اي تحيز نجد ان الكيالي قد شجب وادان اقحام العمل الحزبي داخل مؤسسات الدولة واعترض على انتماء بعض الموظفين للحزب الحاكم وذلك لما له من انعكاسات خطيرة على الاستقرار السياسي للبلد ويشكل ناقوس خطر على مستقبل الدولة، **وادان الكيالي اهمال الحكومة المتعمد بعدم اجابتها على اسئلة السادة النواب** وقال ما نصه " لقد تناست الحكومة تقديم الاجوبة على اسئلة حضرات النواب التي تليت في هذا المجلس لا من شهر بل من اشهر ولم يرد جواب الى هذه اللحظة، وحسب النظام الداخلي الذي ينص على ان الاجوبة يجب ان يرد عليها بعد مرور عشرة ايام، فمثلا تم سؤال وزير الاقتصاد الوطني فيما يخص الدولارات التي اعطيت لأشخاص محددين واساءوا استعمالها إذ باعوها بالسوق السوداء وطلبنا ان يأتيانا بأسمائهم الى المجلس وقد مضى اكثر من شهر ولم ترد الاجابة علماً ان قضية التلاعب

بالعملة الصعبة يمس الاقتصاد الوطني وامر بغاية الخطورة^{١٥} مما سبق نلاحظ ان الكيالي كان شديد الملاحظة وحريصاً على تطبيق القوانين والانظمة فهو ادان اهمال اسئلة السادة النواب ممثلين الشعب من قبل الحكومة وكان يؤكد باستمرار على اهمية القضاء على بعض الفاسدين ومحاسباً لمن يضر الاقتصاد الوطني ،ونجد ان الكيالي **كان حريصاً على موضوع الوحدة العربية** وقال ما نصه " **إننا نطمح الى تحقيق الوحدة العربية والجامعة العربية** ،نحمد الله على ان هذا الحلم اصبح يقظة واصبح حقيقة ملموسة وقد تحقق ما كنا نأمل ،لقد قام الملوك والعرب والرؤساء والامراء لتأسيس اول نهضة للعرب لبعث حيويتها وفعاليتها ونشاطها ،نحن نبارك جهودهم ،انه حلف وتأخ وتعاضد وتأزر عظيم ،ان القرار المتخذ لاشك انه حدث عظيم في تاريخ الامة العربية الحديث ،لقد تحررت معظم بلاد العرب ويطمحون ان يكونوا شعوباً موحدة يد واحدة يعملون لتحرير البلاد العربية^{١٦} ومن البديهي نجد ان الكيالي داعم ومؤيد لقضية الوحدة العربية ومشجع للجهود المبذولة في سبيل ذلك الامر ، **ولتوضيح موقف الكيالي من القضية الفلسطينية** قال ما نصه " **إن القضية الفلسطينية في قلوبنا وعقولنا وضمائرنا ،فلسطين لن تتحرر الا اذا اعتزمتنا جميعا للموت والتضحية في سبيلها ،يجب ان لا تبقى لقمة سائغة للاستعمار والصهيونية ،انهم يريدون استعمار فلسطين ويتخذوها قاعدة ليتحكموا في الشرق العربي ومن نتائج وجودهم في فلسطين القضاء على البلاد العربية وشعوبها ،الا انا عزمنا وعاهدنا الله على مقاومتهم ومحاربتهم والتضحية مهما كلف الامر^{١٧} وعليه نجد ان الكيالي لم يهمل القضية الفلسطينية بل دعا الى بذل الجهود من اجل تحريرها ودعمها بشكل مباشر للقضاء على الاستعمار اليهودي لها ، **وفيما يخص الجانب الاقتصادي** رصدنا اراء ومدخلات للكيالي منها **اهمال الحكومة لمشاكل المزارعين** وقال ما نصه " **حينما عرضت الحكومة لبرنامجها الوزاري والذي بموجبه نالت ثقة المجلس النيابي اشارت الى الاهتمام بالزراعة ،لكن اتضح انها فقط عبارات تسويقية فقط لا غير ،اين الحكومة عن ما يعانیه ويشكو منه الزراع ،اين هي من الاهمال التي يعاني منها الزراع ،اين من مشاكلهم التي في كل موسم يعانون منها ،لماذا لم تسعى هذه الحكومة لازالة المشاكل التي يعانون منها الزراع^{١٨} نلاحظ ان الكيالي كان مدافعاً عن المزارعين وساعياً لحل مشاكلهم بغية تطوير قطاع الزراعة ودعم الجانب****

لاقتصادي الوطني، ولعل من المفيد قوله ان الكيالي تطرق الى **السياسة الاقتصادية للحكومة** ووجه لها الانتقاد وقال ما نصه "ان ما يتعلق بالاقتصاد في هذا البيان هو تمشية حال اين الحكومة من السياسة الاقتصادية للبلد، ان الحقيقة الزراعة والتجارة والصناعة شبه معطلة وتعاني من مشاكل عديدة مزمنة، ان السياسة الاقتصادية من اهم خصائص الدولة وتقوم هذه السياسة على العلاقات الدولية العلاقات الاقتصادية بين الدول لتطور التجارة والصناعة والزراعة، ان اهم من واجبات الحكومة انماء الثروة العامة للدولة والاهتمام بالاقتصاد الوطني، ان الدولة التي ليس لها سياسة اقتصادية ليس لها حظ بين الامم التي تتزاحم وتدافع وتتعاون وتتعاون في سبيل تعزيز علاقاتها الاقتصادية، ان موارد بلادنا الزراعية والتجارية والصناعية متروكة ومهملة لم تهتم ولن تطورها الحكومة، لماذا لم نستحضر خبراء اقتصاديين او جلب بعثات زراعية او اشخاص مهتمين باقتصاديات بلادنا، لماذا نستثمر الاراضي حسب القواعد العلمية الحديثة، لماذا لم نستثمر اخشاب الاشجار من قبل اخصائيين، لماذا لا نستغل الصناعات التي تحتاج الى المواد الاولية الموجودة في بلادنا، على الحكومة الاهتمام بالاقتصاد الوطني وتنميته"^٩ وتفسيراً لما سبق نجد ان الكيالي داعم لحل المشاكل التي يعاني منها القطاع الزراعي لما له اثر على الاقتصاد الوطني فنلاحظه انه لم يهمل او يتجاهل ذلك الامر الهام بل سعى شخص المشاكل وسعى لوضع الحلول المناسبة، **وبما لا يدع مجالاً للشك** ان الكيالي كان معنياً بالسياسة الاقتصادية لسورية وقال ما نصه "ان لكل دولة سياسة اقتصادية تدعم بها كيانها واستقلالها وتبني عليها مستقبل البلاد وهذه السياسة الاقتصادية تمكن للدولة من استثمار مرافق البلاد وتنمي ثروتها الطبيعية سواء من موائ ومياه وتربة ومعادن وخطوط مواصلات، يجب تعيين سياسة اقتصادية تمشي عليها الدولة في استثمار خيرات البلاد وفي مقدمتها المعادن"^{١٠}، ومن الجدير بالذكر ان الكيالي كان مشجعاً وداعماً وحريصاً لتطبيق سياسة اقتصادية ناهضة وناجحة لانتشال الوضع الاقتصادي المنهك في سورية، **وعلاوة على ذلك** نبه الكيالي الحكومة لضرورة الاهتمام بالتنقيب عن المعادن وقال ما نصه " ان القانون المرقم (١١٣) الخاص بالتنقيب عن المعادن يجب على الحكومة تعديله لان قد وضع في السابق لمصلحة الاجانب وجشع المستعمرين فضلاً عن تواطئ البعض من المسؤولين مع

الاجانب ونهب لثروات البلاد، نطالب بعدم اعطاء اي رخصة الا بعد تعديل القانون لضمان حقوقنا وللمحافظة على ثروتنا يجب سن مشروع جديد للتحري والتنقيب عن المعادن"^{٢١}، وبطبيعة الحال نجد ان الكيالي حريصاً على استثمار المعادن الموجودة بالطريقة الصحيحة لدعم الاقتصاد الوطني مؤكداً على ضرورة انتهاء النهب الاجنبي لها لما يضر باقتصاد البلد، وتجدر الاشارة ان الكيالي قد ذكر ارتفاع الضرائب التي تؤدي الى التراجع بالاقتصاد ولما لها انعكاسات سلبية وقال ما نصه " إن من انعكاس ارتفاع الضرائب انتقال رؤوس الاموال الى البلد الذي تكون فيه الضريبة اقل، انني اشير الى انتقال بعض المصانع الى خارج سورية بسبب الضرائب العالية وهذا يضر بالاقتصاد الوطني"^{٢٢} لم يهمل الكيالي موضوع وجوب وضرورة الاهتمام باصحاب رؤوس الاموال وبل اشار لها مؤكداً على ضرورة تقديم لهم التسهيلات للعمل داخل سورية لتنشيط الاقتصاد الوطني، وفي الجانب الاجتماعي كان للكيالي بصمات واضحة وردت في محاضر مجلس النواب السوري ومنها قضية شراء الحكومة السورية جسر الرقة الحديدي من السلطات البريطانية إذ اوضح لما به فائدة للوطن وقال ما نصه "لقد اخذنا نفاوض الانكليز لشراء الجسر الحديدي بالرقعة بسعر مليون ليرة سورية وهذه صفقة رابحة لكون الجسر قد كلف الانكليز عند تشييده اكثر من هذا المبلغ وهو مفيد لأبناء البلد"^{٢٣}، ومن الضروري ذكره ان الكيالي كان حريصاً على اموال الشعب وكان يحرص على وصولها الى مستحقيها ففي هذا الجانب اشار الكيالي الى قضية ضرورة الاسراع بتخصيص رواتب للعائلات الشرطة الذين استشهدوا في الاعتداء سلطة الانتداب الفرنسي وقال ما نصه " لقد اقر نصف مليون ليرة تخصص للذين استشهدوا جراء العدوان الفرنسي، فلا ادري ان كانت الحكومة قد تولت بنفسها توزيع هذا المبلغ على المستحقين وإذا لم يكن فلماذا، ما مصير هذه الاموال وعلى من وزعت، ارجو من الحكومة ان ترشدنا وتبيننا الى هذا الموضوع"^{٢٤}، وحرصاً من الكيالي على تشجيع الصحافة اكد على ضرورة دعم الحكومة لها وقال ما نصه " ارجو تخصيص مبلغ وقدره (٦٥) الف ليرة سورية لصندوق نقابة الصحافة لدعم وتشجيع الصحافة"^{٢٥} ومما لا شك فيه ان الكيالي اهتم بالجانب الصحي و اشار الى قضية مهمة وهي زيادة مخصصات الصحة وضرورة الاهتمام بمكافحة الاوبئة والامراض المنتشرة وقال ما نصه "اننا ندعو لزيادة المخصصات المتعلقة

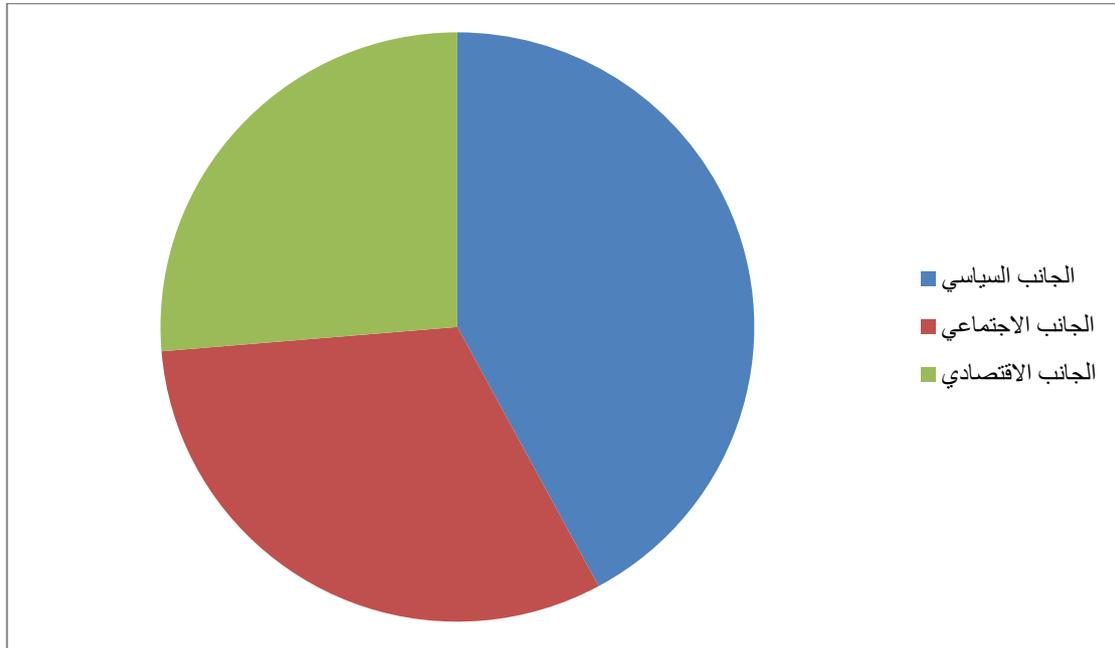
بما تحتاجه المستشفيات والمستوصفات من المبالغ لابد من استحصال متطلبات المرضى فضلاً ان الموسم قليل الامطار وقد تنتشر الملاريا في كل مكان ولا توجد مخصصات كافية لمكافحتها ،يجب زيادة المبالغ المقررة للمستشفيات والمستوصفات واللوازم الاخرى^{٢٦} يتضح ان الكيالي كان حريصاً ومهتماً بموضوع مكافحة الامراض المنشرة واكد على ضرورة الاهتمام بالواقع الصحي بوصفه طبيباً قديراً ونائباً ضليعاً ومدركاً لمخاطر الامراض ،وتعاطف الكيالي مع بعض الموظفين المستضعفين وطالب بإنصافهم والرأفة بهم وقال ما نصه "هناك ستة من رجال الدرك اصبوا اثناء العدوان الفرنسي الاخير وقد احيلوا على التقاعد لإصابتهم ،هؤلاء خدموا البلد اننا نرجو ان تعطف عليهم الحكومة وتستخدمهم في الوظائف التي يستطيعون القيام بها ولا نحيلهم على التقاعد"^{٢٧}، ومن الجدير بالذكر ان الكيالي عارض وادان عدم العدالة بتوزيع الرواتب للموظفين وقال ما نصه "نعارض اضافة (٢٥%) على رواتب موظفي الجزيرة والفرات ،يجب ان تكون القوانين والانظمة المعمول بها عامة وموحدة على كافة الموظفين السوريين في مختلف انحاء الاراضي السورية ،يجب عدم تميز منطقة دون اخرى"^{٢٨} واكد الكيالي على وجوب الانصاف والمساواة ونبذ التمايز على اساس المناطق ،فضلاً عن ذلك بحث الكيالي قضية شحة الماء وقال ما نصه "ان في سائر البلاد عدد من الانهر يمكن استثمارها لتوسيع الزراعة كنهر العاصي والبليخ يمكن استخدامها لتوليد القوى الكهربائية هذه المياه تكفي لآنارة البلاد بعد توليد الطاقة الكهربائية بواسطتها ،يجب اهتمام الحكومة بقضية مد المياه واستثمارها"^{٢٩} وتفسيراً لذلك نجد ان الكيالي مهتماً بتوفير ابسط الخدمات للمواطنين فهو دعا الى الاهتمام بالانهار وتوليد الطاقة الكهربائية منها وغيرها من باقي الخدمات الاخرى التي تصب في خدمة المواطن.

مما سبق يبدو واضحاً ان الكيالي كان نائباً نشطاً كفوءاً وكان ملماً ومدركاً وحريصاً على نقل معاناة ابناء شعبه داخل المجلس النواب السوري ولم يهمل جانب بل كان محيط بجميع الجوانب ،ففي الجانب السياسي قد أكد على اهمية محاسبة الحكومة ومراقبة اعمالها وادان كثرة تبديلها وهاجم قضية تعطيل بعض الصحف واعترض لآغلاق بعض الاحزاب مؤكداً على ضرورة تطبيق القانون على الجميع دون تفریق ،اما في الجانب الاقتصادي نجد

الكيالي حريصاً ايجاد الحلول لمشاكل الفلاحين لاهمية القطاع الزراعي وارتباطه بالاقتصاد الوطني وكذلك اشار لضرورة رسم سياسة اقتصادية متينة للنهوض بالواقع الاقتصادي، وفيما يخص الجانب الاجتماعي اكد الكيالي على الاهتمام بالجانب الصحي بوصفه طبيياً وطالب بمكافحة الاوبئة المنتشرة واهمية توفير العلاجات وضرورة بناء مراكز صحية جديدة ولم يهمل مكافحة الجهل وغيرها من المواضيع التي تمس معاناة ابناء شعبه، مما يدل على ملاحظته الدقيقة والواسعة وسعيه لوضع الحلول لمشاكل التي تعاني منها سورية للنهوض بواقعها وانتشالها من معاناتها.

١- الجانب السياسي	عدد المداخلات ٨	وبنسبة ٤٢%
٢- الجانب الاجتماعي	عدد المداخلات ٦	وبنسبة ٣٢%
٣- الجانب الاقتصادي	عدد المداخلات ٥	وبنسبة ٢٦%

جدول من اعداد الباحث يوضح عدد ونسب مداخلات عبد الرحمن الكيالي داخل مجلس النواب السوري (١٧ أ ب ١٩٤٣ - ٢١ حزيران ١٩٤٧).



مخطط من اعداد الباحث يوضح نسبة مداخلات عبد الرحمن الكيالي داخل مجلس النواب السوري من (١٧ أ ب ١٩٤٣ الى ٢١ حزيران ١٩٤٧).

المحور الثالث: عبد الرحمن الكيالي ومهام العمل الوزاري.

أولاً: وزيراً للعدلية والمعارف (٢١ كانون الأول ١٩٣٦ - ٢٣ شباط ١٩٣٩):

وشغل المنصب لمدة سنتين وشهرين ويومين ابان حكومة جميل مردم.

١-وزارة العدلية:

صدر المرسوم المرقم (١٠٥١) بتاريخ ٢١ كانون الأول ١٩٣٦ المتضمن تسميه عبد الرحمن الكيالي وزيراً للعدلية والمعارف^{٣٠}، وكان مستهل عمله الوزاري تكليفه بمهمة وطنية بالسفر الى جنيف للدفاع عن حقوق بلاده الوطنية امام عصبه الامم وتمكن الكيالي من فضح سياسة فرنسا الانتدابية الظالمة في سورية للعالم وكان سفره بموجب المرسوم المرقم (١٠٥٢) الصادر بتاريخ ٢١ كانون الأول ١٩٣٦^{٣١}، وبعد ان عاد الكيالي لدمشق باشر بمهام عمله بحزم ونشاط عالي وتضمنت عدة اعمال كان ابرزها **ففي مجال التعينات** صدر القرار المرقم (٢١) بتاريخ ٩ كانون الثاني ١٩٣٧ المتضمن تعيين عارف النكدي بوظيفة مدير عام في وزارة العدلية^{٣٢}، و صدر القرار المرقم (٢٨٧) بتاريخ ٢٠ آذار ١٩٣٧ المتضمن تعيين القاضي اونوره جاك فرنسي الجنسية في محكمة البداية بدمشق للدعاوي الاجنبية^{٣٣}، و صدر القرار المرقم (٥٠٨) بتاريخ ٢ حزيران ١٩٣٧ المتضمن تعيين استيف جاك فرنسي الجنسية مستشار قضائياً بمفتشية العدلية العامة^{٣٤}، و صدر القرار المرقم (٢٠٦) بتاريخ ١٦ تشرين الاول ١٩٣٧ المتضمن تعيين القاضي الفرنسي بوكه في محكمة الاستئناف الناضرة بالدعاوي الاجنبية بحاب^{٣٥} و صدر القرار المرقم (٥٢) بتاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٣٨ المتضمن تعيين دوبرون دو بوا فرنسي الجنسية بوظيفة حاكم صلح بحلب^{٣٦}، يتضح إن الكيالي كان حريصاً تعيين شخصيات كفؤه وبمختلف الجنسيات لسد الشواغر وللنهوض بواقع القضاء السوري لاهميته، وفي مجال **انهاء الخدمات** صدر القرار المرقم (١٧١) بتاريخ ١٠ شباط ١٩٣٧ المتضمن انهاء خدمات فيرنان لاوباد فرنسي الجنسية من عضوية محكمة الاستئناف في حلب لتقصيره واهماله بعمله، وفي مجال احالة بعض الموظفين المخالفين الى **اللجان التأديبية**، إذ صدر القرار المرقم (١١١٩) بتاريخ ٤ كانون الثاني ١٩٣٨ المتضمن احالة الموظف في مالية محافظة دمشق رشيد العبايجي الى لجنة تأديبية وتحقيقية للنظر في المخالفات الوظيفية التي ارتكبها^{٣٧} يبدو ان الكيالي لم يتهاون او يتماهل بمعاقبة الموظفين

المقصرين بل نجده قد وجه لهم اشد العقوبات ،وفيما يخص منح **الاجازات** لبعض الموظفين وافق الكيالي على منح **بهجة مردم بك** احد اعضاء محكمة الاستئناف بدمشق اجازة (٤٥) يوماً لاداء فريضة الحج^{٣٨}، وفي مجال **توحيد وحدة المقاييس** والاوزان والمكاييل والعيارات الوزنية إذ صدر الكيالي القرار المرقم (٢٨٥٤) بتاريخ ٢٩ آذار ١٩٣٧ المتضمن توحيد الموازين حسب القاعدة العشرية منعاً للفوضى وانهاء الخلافات والتفاوت بالاسعار في جميع الاراضي السورية^{٣٩}، وفيما يخص **حقوق الاقليات** في سورية حرص الكيالي على فسح المجال لهم إذ صدر القرار المرقم (٤٠٨) بتاريخ ٢٩ آذار ١٩٣٧ المتضمن السماح لطائفة الروم الكاثوليك في قنطا من انشاء كنيسة ،لكي يقام بها الشعائر الدنية الخاصة بهم^{٤٠}، وفي مجال **تنفيذ العقوبات** الصادرة بحق المجرمين فقد حرص الكيالي على تنفيذها ولم يتهاون بها ، إذ صدر القرار المرقم (١١٠٦) بتاريخ ١٤ كانون الاول ١٩٣٧ المتضمن المصادقة بنفي عقوبة الاعدام الصادر من محكمة الجنايات بدمشق بحق المجرم عبد شكور محمد اسلم لقتله المواطن محمد سعيد^{٤١} ، واصر الكيالي القرار المرقم (١٢٣) بتاريخ ٥ شباط ١٩٣٨ المتضمن المصادقة بتنفيذ حكم الاعدام الصادر من محكمة جنايات حلب بحق المجرم صطوف مرعي الاجلق لارتكابه جرم قتل العمد للمواطن رحمون محوك^{٤٢}، ودعم الكيالي **المجلة القضائية** المهمة بالشؤون القضائية إذ صدر القرار المرقم (٤٦٤) بتاريخ ٢٥ أيار ١٩٣٨ المتضمن منح المجلة القضائية اعانة سنوية قدرها (١٢٥) ليرة سورية^{٤٣}.

وبناءً على ذلك نلاحظ ان الكيالي قد حرص على سد الوظائف الشاغرة بالمجال القضائي لاهمية القضاء وكذلك سعى لتنفيذ العقوبات بحق المحكومين ولم يتهاون بانهاء خدمات بعض الموظفين ممن اساءوا او استغلوا او قصروا بوظائفهم فتم احالة بعضهم للجبان انضباط ونجد ان الكيالي لم يصادر او يهمل او يهمل او يهمل او يهمل حقوق ابناء الاقليات السورية بل فسح لهم المجال لممارسة شعائرهم الدينية بحرية تامة وغيرها من الانجازات الاخرى.

٢-وزارة المعارف:

صدر المرسوم المرقم (١٠٥١) بتاريخ ٢١ كانون الاول ١٩٣٦ المتضمن تسمية عبد الرحمن الكيالي وزيراً للعدلية والمعارف^{٤٤}، وأجرى عدد من الانجازات والاعمال وكان من ابرزها في **مجال التعيينات** تم تعيين الدكتور محمد بك محرم استاذاً في معهد الطب بدمشق^{٤٥}

، و صدر القرار المرقم (٦) بتاريخ ١٨ كانون الثاني ١٩٣٧ المتضمن تعيين عدد من المعلمات والمعلمين في المدارس السورية وهم كل من فوزية راغب بوظيفة معلمة في مدرسة الخنساء وتعين فاطمة التقي بوظيفة معلمة في مدرسة مروان وتعين مطيعة البارودي بوظيفة معلمة بمدرسة الزهراء وتعين انيس ظاهر بوظيفة معلماً بمدرسة الصنائع^{٤٦} ، و صدر القرار المرقم (٤١٥) بتاريخ ٥ أيار ١٩٣٧ المتضمن تعيين جاك استيف فرنسي الجنسي كمستشار لوزارة المعارف^{٤٧} ، و صدر القرار المرقم (٣١٧) بتاريخ ٤ نيسان ١٩٣٨ المتضمن تعيين توفيق الاطرش مديراً للمعارف في محافظة جبل الدروز^{٤٨} نلاحظ ان الكيالي سعى لتعيين شخصيات كفؤه ومختصه في مجال عملها في بعض الدرجات الوظيفية الشاغرة للنهوض بواقع التعليم ، ومجال منح **الاجازات** تم منح المعلمة روجينا كندرجي على ملاك مدرسة الحسينية بحلب اجازة مرضية (٢١) يوم^{٤٩} ، وتم منح المعلمة نعمة بركات على ملاك مدرسة الزهراء اجازة صحية لمدة شهر واحد^{٥٠} ، وفي **مجال شروط البعثات العلمية** أصدر الكيالي القرار المرقم (١٢٤) بتاريخ ٢٧ كانون الثاني ١٩٣٧ المتضمن وضع شروط صارمة ومقيدة لايفاد البعثات العلمية الى خارج سورية لتجنب الارسال على اساس المجاملة والمحاباة او على اساس الانتماء الحزبي من دون كفاءه او استحقاق^{٥١} ، وفي **مجال احالة بعض الموظفين الى لجنة الانضباط** فقد صدر القرار المرقم (١٦٤) بتاريخ ٨ شباط ١٩٣٧ المتضمن إحالة سلان دياب محاسب وزارة المعارف على لجنة الانضباط^{٥٢} ، و صدر القرار المرقم (٣٣٩) بتاريخ ٦ نيسان ١٩٣٨ المتضمن احالة المعلم رؤوف جبيري الى لجنة الانضباط^{٥٣} ، وفي مجال المصادقة على اوامر **الاستقالة** الموظفين صدر القرار (٢٣١) بتاريخ ٤ أيار ١٩٣٧ المتضمن المصادقة على امر استقالة الموظف مصطفى برمدا المدرس بمعهد الحقوق بدمشق^{٥٤} ، و صدر القرار المرقم (١١) بتاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٨ المتضمن المصادقة على استقالة عدنان الاتاسي الاستاذ في معهد الحقوق بدمشق^{٥٥} ، وفي **مجال ارسال البعثات العلمية** للخارج صدر القرار المرقم (٧٨٥) بتاريخ ١٣ آب ١٩٣٧ المتضمن ارسال كل من حسني سبح وشوكت الشطي الاستاذان بمعهد الطب بدمشق الى فرنسا للمواكبة والاطلاع على اخر المستجدات الطبية والعلمية^{٥٦} وارسال جاك زاغا الى مدرسة الفور في باريس لدراسة البيطرة^{٥٧} ، و صدر القرار المرقم (٢٠٠) بتاريخ ٢٢ كانون الاول ١٩٣٧ المتضمن ارسال مصطفى

الشماع محاسب وزارة المعارف الى فرنسا لاكمال دراسته^{٥٨}، وصدر القرار المرقم (٦١٨) بتاريخ ٤ تموز ١٩٣٨ المتضمن ارسال نظمي القباني الاستاذ بمعهد دمشق الطبي الى فرنسا للاطلاع على اخر المستحدثات الجراحية^{٥٩}، وصدر القرار المرقم (٨٨٩) بتاريخ ٢١ أيلول ١٩٣٨ المتضمن ارسال محسن البرازي الاستاذ بمعهد الحقوق بدمشق الى فرنسا لاكمال دراسته^{٦٠} وعليه نجد ان الكيالي كان حريصاً كل الحرص على ارسال الشخصيات الكفوءة من ذوي الاختصاص الى خارج سورية لاكمال دراستهم وتطوير قدراتهم ايماناً منه ان ذلك يصب في مصلحة الوطن، وكانت بعض الاوامر الصادرة لا تخلو من **المجاملة والمحاباة السياسية** إذ اصدر الكيالي القرار المرقم (١٠٢٢) بتاريخ ٧ أيلول ١٩٣٧ المتضمن **الغاء امر اقالة** توفيق الجابري مدير تجهيز حلب ورئيس مصلحة معارفها لقربه من الوزير سعد الله الجابري ويعتبر امر الاقالة ملغي ويباشر مهام عمله^{٦١}، وفي مجال **حفظ حقوق الاقليات** وفسح المجال لهم أذ سمح الكيالي بموجب القرار المرقم (٦٦) بتاريخ ٨ كانون الثاني ١٩٣٨ المتضمن منح رخصة للدكتور ليون بوطو كيان بفتح مدرسة ابتدائية للارمن بدمشق^{٦٢}، وصدر القرار المرقم (٦٣٠) بتاريخ ٩ تموز ١٩٣٨ المتضمن منح رخصة لسيادة المطران ديونوسيوس جبيب نعلاني مطران طائفة السريان الكاثوليك بحلب بفتح اربع مدارس (مدرسة السريان الكاثوليك الابتدائية للذكور ومدرسة السريان الكاثوليك للاناث الابتدائية وميتم السريان الكاثوليك للذكور وميتم السريان الكاثوليك للاناث) في حلب ويتولى هو ادارتها بنفسه^{٦٣} مما سبق نجد ان الكيالي لم يفرق بين ابناء الشعب الواحد بل بالعكس فسح المجال لابناء الاقليات الدينية ودعمهم ومنحهم حرية تامة، وفي مجال **السماح بفتح مدارس خاصة** صدر القرار المرقم (٤٧٨) بتاريخ ٢٥ أيار ١٩٣٨ المتضمن منح رخصة لاحمد القلاش بتأسيس مدرسة ابتدائية نهائية خاصة في مدينة حلب باسم المدرسة الرضائية ويتولى ادارتها بكري رجب^{٦٤}، وصدر القرار المرقم (٥٧٤) بتاريخ ٤ تموز ١٩٣٨ المتضمن منح رخصة لسليم مصطفى حوا بتأسيس مدرسة ابتدائية في دوما بأسم مدرسة النهضة الخيرية ويديرها امين اللبابيدي^{٦٥} من الملاحظ ان الكيالي كان مدرك دور المدارس الخاصة بتقدم القطاع التربوي ودوره بنشر المعرفة مما سمح بفتح مدارس خاصة وقدم الدعم والاسناد لتلك المدارس، ودعم الكيالي المؤسسات التعليمية الرصينة لاسهاماتها بنشر العلم والمعرفة إذ

صدر القرار المرقم (١١٥٧) بتاريخ ١٢ كانون الاول ١٩٣٨ المتضمن منح الجامعة الامريكية في بيروت اعانة مالية قدرها (٣٣٦) ليرة سورية^{٦٦}.

وهذا يعني ان الكيالي قد وضع برنامج متكامل لاصلاح واقع المعارف تضمن تطوير مناهج التعليم واستقدام خبراء لتطوير التعليم وانشاء دار معلمين وارسال بعثات للخارج والتوسع بالمدارس الصناعية والتجارية ونشر التعليم بين العشائر واصلاح الادارة العامة والاهتمام بالجامعة السورية وتشكيل المجلس الاعلى للمعارف فضلا عن فتح مدارس للاقيات ومدارس خاصة^{٦٧}.

ونستنتج مما سبق ان الكيالي كان نشطاً وحازماً في ادارة الوزارة فهو عالج بعض الاخفاقات ووضع بعض الحلول، أذ سارع بتعتين بعض الشخصيات الكفوءه واحال بعض الموظفين المقصرين الى لجان الانضباط وكافئ الموظفين الحرصين وسمح للبعض منهم بالسفر لاكمال دراستهم من اجل الاستفادة من خبراتهم وتطويرها وسمح بفتح مدارس خاصة وكانت هذه الاجراءات بغية تطوير عمل وزارة المعارف والنهوض بالواقع التعليمي بسورية لايامه ان التعليم امر مهم لتطور وتقدم البلد.

ومن المفيد ذكره ان الكيالي قد اشار في كتابه المراحل الجزء الرابع فيما يخص عمله في وزارتي العدل والمعارف ابان وزارة جميل مردم (١٩٣٦-١٩٣٩) ان التفاهم والوثام هو السمة البارزة بين الوزراء، فضلاً عن ذلك اوضح انه قام بدور الوسيط لحل المشاكل التي تواجه الحكومة ابان عهد الانتداب الفرنسي و اشار الى بعض المعوقات والمشاكل والتحديات التي واجهت الحكم الكتوي وقال ما نصه: "ان ابرز المشاكل والتحديات التي واجهت الحكومة هي سلخ لواء الاسكندرونة وتأزم قضية فلسطين ومسألة سقوط وزارة الجبهة الشعبية الفرنسية مما نتج عنها عدم تصديق المعاهدة الفرنسية السورية لعام ١٩٣٦ ولم يهمل اتضاح معالم الحرب العالمية الثانية هذه الاسباب وغيرها ساهمت بضعف وافشال الحكم الكتوي في سورية"^{٦٨}.

لم يهمل الكيالي المشاكل التي افتعلتها سلطة الانتداب الفرنسي داخل سورية من اجل التملص من تصديق المعاهدة بحجة انعدام الاستقرار داخل سورية وكذلك لانجاح مساعي الفرنسيين باسقاط الحكم الكتوي وافشاله والعودة للحكم المباشر لسورية وذكر ابرزها محاولاتها

لفصل منطقة الجزيرة ومنطقة جبل الدروز عن الجسد السوري واثارة النعرات الطائفية ومد المتمردين بالمال والسلاح من اجل اسقاط الحكومة السورية وكذلك اعتقال المعارضين من المناضلين الوطنيين لسياسة فرنسا ونفيهم خارج سورية لاضعاف الحس الوطني ومساعدتها لاضعاف الاقتصاد الوطني^{٦٩}، لقد سعى رجال فرنسا الى تهديم اعمال الحكومة وافشال اصلاحات التي قامت بها الوزارات لتنظيم وادارة سورية فهم يتآمرون علينا ويعرقلون المساعي الاصلاحية ويثيرون المعارضة ضد الحكومة ويسعون الى هدم انجازات واصلاحات الحكومة^{٧٠}.

التسلسل	اسم الوزارة التي ادارها عبد الرحمن الكيالي	عدد القرارات التي اصدرها الكيالي ابان ادارته للوزارة
١	وزارة العدلية (٢١ كانون الاول ١٩٣٦ - ٢٣ شباط ١٩٣٩)	١٣ قرار
٢	وزارة المعارف (٢١ كانون الاول ١٩٣٦ - ٢٣ شباط ١٩٣٩)	٢٠ قرار

جدول من اعداد الباحث يوضح عدد القرارات التي اصدرها الكيالي ابان ادارته للوزارات التي شغلها

ثانياً: وزارة العدلية (١٩ آب ١٩٤٣ - ١٤ تشرين الاول ١٩٤٤) :

وشغل المنصب لمدة سنة واحدة وشهر وستة وعشرون يوماً ابان حكومة سعد الله الجابري، وذلك بموجب المرسوم المرقم (٧) الصادر بتاريخ ١٩ آب ١٩٤٣ إذ سمي الكيالي وزيراً للعدلية^{٧١}، سارع الكيالي بمهام العمل الوزاري بهمة عالية ونشاط كبير وحزم شديد لتنظيم امور الوزارة واصدر العديد من الاوامر الوزارية تعددت بين اصدار اوامر تعيين في مفاصل وتشكيلات الدوائر التابعة للوزارة لسد الشواغر وتنظيم عملها وتمديد ونقل وانهاء واعادة خدمات بعض الموظفين لسد الشواغر الموجودة فضلاً عن ابدال بعض مناصب الموظفين حسب الخبرة والكفاءة ومنح اجازة للبعث واحاله بعضهم على التقاعد والاستقالة وفتح مجالس تحقيقية بحق بعض الموظفين المخالفين واسقاط محكومية عن بعض المحكومين من المواطنين وافتتاح محاكم جديدة في بعض المدن السورية وتسليم متهمين من غير

السورين لبعض الدول المجاورة ومنح واسقاط الجنسية السورية حسب الضوابط وإيقاف بعض التبعات القانونية بحق بعض الموظفين والمواطنين وتنفيذ عقوبة الإعدام وإصدار عفو عن بعض المتهمين، إذ كانت إنجازات ضخمة وواسعة ومتنوعة وكان من أبرزها، **ففي مجال التعينات** لسد النقص الحاصل في الدوائر العدلية تعين عبد الله المحمودي بوظيفة مستنطق لدى محكمة البدائية باللاذقية^{٧٢}، وتعين بشير برجان كاتباً في الدائرة القضائية لدى محكمة دمشق^{٧٣}، وتعين انور بدر حاكماً للفصل في المخالفات بمحكمة بدائية باللاذقية^{٧٤}، تعين محمد عزة مساعداً للنيابة لدى محكمة الصلح بعين العرب^{٧٥}، وتعين انيس بشور حاكماً للصلح لدى محكمة اللاذقية^{٧٦}، وتعين ابراهيم سلحدار كاتباً لدائرة القضائية بدير الزور^{٧٧}، ويعين عدنان النابلسي كاتباً في دائرة التنفيذ في دمشق^{٧٨}، وبموجب القرار المرقم (١٤٩) الصادر بتاريخ ١ تشرين الثاني ١٩٤٣ تم تعين محمد ممدوح جميل كاتباً في محكمة المختلطة بدمشق^{٧٩}، وبموجب المرسوم (٢٧٩) الصادر بتاريخ ١٣ آذار ١٩٤٤ المتضمن تعين يونس جربوع قاضياً للمذهب الدرزي في مدينة جبل الدروز^{٨٠}، وبموجب المرسوم (٢٤٦) الصادر بتاريخ ١٥ آذار ١٩٤٤ المتضمن تعين جاك ديمون فرنسي الجنسية قاضياً لدى المحكمة المختلطة بدمشق^{٨١}، وبموجب القرار المرقم (٣٨١) الصادر بتاريخ ١٩ نيسان ١٩٤٤ المتضمن تعين جميل العبد الله بوظيفة عضواً بدائياً لدى محكمة بدايات بحلب^{٨٢}، وبموجب القرار المرقم (٣٨١) الصادر بتاريخ ١٩ نيسان ١٩٤٤ المتضمن تعين وديب نصري عضواً للمحكمة البدائية في حلب^{٨٣}، وبموجب القرار المرقم (٤١٥) الصادر بتاريخ ٢٠ نيسان ١٩٤٤ المتضمن تعين اندره ويليم فرنسي الجنسية رئيساً لمحكمة البداية المختلطة بدمشق وبنفس القرار تم تعين جاك دومون فرنسي الجنسية حاكماً للصلح لدى محكمة البدائية المختلطة بحلب^{٨٤}، وبموجب القرار (٤١٩) بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٤٤ المتضمن تعين ده بور كري بواسوران فرنسي الجنسية رئيساً لمحكمة البدائية المختلطة بحلب^{٨٥}، وبموجب القرار المرقم (٤٩٦) الصادر بتاريخ ١٧ أيار ١٩٤٤ المتضمن تعين جورج تيره فرنسي الجنسية مستنطقاً في محكمة البداية المختلطة بحلب^{٨٦}، وبموجب القرار المرقم (٦٨٣) المتضمن تعين بول دو كرو فرنسي الجنسية حاكماً صلح بمحكمة المختلطة بدمشق^{٨٧}، وبموجب القرار المرقم (٦٩١) الصادر

بتاريخ ٤ تموز ١٩٤٤ المتضمن تعيين تيروت جورج فرنسي الجنسية قاضياً للتحقيق في الدعاوي الاجنبية في محكمة حلب^{٨٨} مما سبق نجد ان الكيالي لم يهمل الوظائف الشاغرة المهمة بل سارع بتعيين الشخصيات الكفوءة ايماناً منه باهمية العدل والمساواة وللنهوض بعمل وزارة العدلية، وفيما يخص تمديد خدمات بعض الموظفين في دوائر الوزارة كانت من ابرزها تمديد خدمة محمد مردم بك الموظف في محكمة البداية بدمشق بموجب القرار المرقم (١١٥) الصادر بتاريخ ٤ أيلول ١٩٤٣^{٨٩}، وبموجب القرار المرقم (١٣١) الصادر بتاريخ ٩ تشرين الاول ١٩٤٣ تم تمديد خدمات خالد المؤيد العظم^{٩٠}، وبموجب القرار المرقم (١٥٧) الصادر بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ يمدد خدمات سليم الطي الموظف بالمحكمة الشرعية بدمشق^{٩١}، وبموجب القرار المرقم (١٤٤) الصادر بتاريخ ١٤ شباط ١٩٤٤ المتضمن تمديد خدمات مصطفى برمدا الرئيس الاول لمحكمة التميز العليا بدمشق^{٩٢}، وصدر القرار (١٥٣) بتاريخ ١٤ شباط ١٩٤٤ المتضمن تمديد خدمة يوسف الحكيم رئيس الدائرة الجزائية في محكمة التميز العليا بدمشق^{٩٣}، وصدر القرار المرقم (٢٠٤) بتاريخ ٢٦ نيسان ١٩٤٤ المتضمن تمديد خدمات وجيه الشرابي عضو محكمة الاستئناف بدمشق^{٩٤}، وصدر القرار (٢٢٥) بتاريخ ٤ تموز ١٩٤٤ المتضمن تمديد خدمات نصح الحفار عضو المحكمة البدائية بحلب^{٩٥}، وعليه نجد ان الكيالي قد مدد خدمات بعض الموظفين الاكفاء بمختلف العناوين الوظيفية حرصاً منه على النهوض بالعمل الوزاري فضلاً حاجة الوزارة لخدماتهم لخبرتهم الطويلة بمهام عملهم، اما فيما يخص نقل خدمات بعض الموظفين للحاجة الماسة صدر القرار (٧٢) بتاريخ ١٧ شباط ١٩٤٤ المتضمن نقل سليمان اسماعيل مدير ناحية قلعة المضيق في حماه الى مديرية ناحية خان شيخون في ادلب^{٩٦}، وصدر القرار (٢٧١) بتاريخ ٢٥ ايلول ١٩٤٤ المتضمن نقل توفيق سعيد الموظف بعنوان كاتب لدى محكمة طرطوس البدائية الى محكمة الصلح بدمشق^{٩٧}، وفيما يخص انتهاء الخدمات لاسباب عديدة ومختلفة فقد صدر القرار المرقم (١٩٥) بتاريخ ١٦ اذار ١٩٤٤ المتضمن انتهاء خدمات كل من سعد الدين التقي بموظف كاتب لدى محكمة الصلح بوادي العجم بدمشق وعبد الهادي التقي الموظف بنفس المحكمة^{٩٨}، وصدر القرار المرقم (٢١٤) بتاريخ ٢٥ ايار ١٩٤٤ المتضمن انتهاء خدمات سامي طنطا الموظف بمحكمة الصلح بدمشق^{٩٩}، وصدر القرار المرقم (٧١٤) بتاريخ

١٧ تموز ١٩٤٤ المتضمن انهاء خدمات شكري رشدي بوظيفة مساعد في محكمة الصلح بدمشق^{١٠٠}، و صدر القرار المرقم (٧١٨) الصادر بتاريخ ١٧ تموز ١٩٤٤ المتضمن انهاء خدمات كل من حسن سرائي رئيس الدائرة الاستثنائية بدير الزور وجميل عبد الحق رئيس الدائرة الاستثنائية باللاذقية وعبد الوهاب نشابه رئيس المحكمة البدائية بحلب^{١٠١}، نلاحظ ان الكيالي قد حرص وحافظ على بعض الموظفين الاكفاء واستغنى عن المقصرين والمهملين وكان ذلك بمختلف العناوين الوظيفية حفاظاً وحرصاً منه للنهوض بعمل الوزارة، وعلاوة على ذلك صادق الكيالي بوصفة وزيراً للعدلية على **اوامر استقالة واحالة على التقاعد** لبعض الموظفين إذ صدر القرار المرقم (١١٣) بتاريخ ٢٨ آب ١٩٤٣ المتضمن الموافقة على **استقالة** عز الدين الخطيب الموظف في محكمة دمشق^{١٠٢}، و صدر القرار المرقم (١٣٢) بتاريخ ١٠ تشرين الاول ١٩٤٣ المتضمن استقالة يوسف اليان المترجم في المحكمة المختلطة بدمشق^{١٠٣}، و صدر القرار المرقم (١٢٨) بتاريخ ٢٧ أيلول ١٩٤٣ المتضمن استقالة جورج الطرابلسي الموظف في محكمة البداية باللاذقية^{١٠٤}، و صدر القرار المرقم (١٦٧) الصادر بتاريخ ٦ كانون الاول ١٩٤٤ المتضمن الموافقة على استقالة محمد حمدي مصطفى الجزائري الموظف بديوان وزارة العدلية^{١٠٥}، اما المصادقة على **اوامر التقاعد** لبعض الموظفين إذ صدر القرار المرقم (٣٦٥) بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩٤٣ المتضمن احالة علي رضا المملوك الموظف في محكمة الصلح بجرابلس على التقاعد^{١٠٦}، و صدر القرار المرقم (٤٧٨) بتاريخ ٩ أيار ١٩٤٤ المتضمن الموافقة على تقاعد كل من محمود ياسين واحمد الملا الموظفين في محكمة التميز الشرعية بدمشق وجمال النقشبندي الموظف في المحكمة الشرعية بدمشق وحسني الطيلوني الموظف في محكمة الشرعية بالقنيطرة^{١٠٧}، و صدر القرار المرقم (٧٠٩) بتاريخ ١٧ تموز ١٩٤٤ المتضمن احالة نادر المؤيد النائب العام لمحكمة دمشق على التقاعد^{١٠٨}، و صدر القرار المرقم (٧١٠) بتاريخ ١٧ تموز ١٩٤٤ المتضمن احالة صلاح الدين الخطيب عضو محكمة التميز على التقاعد^{١٠٩}، و صدر القرار المرقم (٩١٧) بتاريخ ٢٢ آب ١٩٤٤ المتضمن احالة كل من عبد اللطيف الخزندار عضو محكمة التميز بدمشق وحسين حسني الطلاع رئيس محكمة البداية بدير الزور وعبد القادر الزغبى القاضي الشرعي بتلك على التقاعد^{١١٠}، **وفيما يخص اعادة بعض الموظفين للخدمة** فقد صدر القرار المرقم

(٦٥٩) بتاريخ ١٩٤٤ المتضمن اعادة محمد اقبيق معاون رئيس محكمة البداية بدمشق لوظيفته على ملاك وزارة العدالة^{١١}، اما المصادقة على اوامر **منح الاجازات** فقد صدر القرار المرقم (٢١٨) بتاريخ ٢٥ تشرين الاول ١٩٤٣ المتضمن الموافقة على منح محمد الحكيم القاضي بمحكمة عزاز (٤٥) يوم لاداء فريضة الحج^{١٢}، و صدر القرار المرقم (٣٤٢) بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٣ المتضمن منح محمود لامع الكاتب في المحكمة الشرعية بدمشق (١٥) يوم لاداء فريضة الحج^{١٣}، و صدر القرار المرقم (٣٤٣) بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٣ المتضمن منح سليمان الشيشكلي الكاتب في محكمة الصلح بحماه (٣١) يوم لاداء فريضة الحج^{١٤}، و صدر القرار المرقم (١٤٢) بتاريخ ١٢ شباط ١٩٤٤ المتضمن منح سليم النبال الموظف في محكمة حلب اجازة مرضية لمدة (٥٨) يوم^{١٥}، و صدر القرار المرقم (٣٢٢) بتاريخ ٣ نيسان ١٩٤٤ المتضمن منح محمد علي سيرجية موظف بالادارة المركزية بوزارة العدالة اجازة شخصية لمدة ثلاث اشهر وبدون راتب^{١٦}، و صدر القرار المرقم (٦٢٥) الصادر بتاريخ ١٩ حزيران ١٩٤٤ المتضمن منح مرشد مطيط الموظف في محكمة الصلح بدمشق اجازة شخصية شهرين دون راتب بناء على طلبه^{١٧}، ومن جانب اخر كان الكيالي حريصاً لاحالة الموظفين المخالفين الى **مجالس تأديبية او تحقيقية** لكي ينالوا جزائهم العادل وكان منها، اصدار القرار المرقم (١٩٤) بتاريخ ١٦ اذار ١٩٤٤ المتضمن احالة محمد خالد طه الموظف في محكمة الصلح بوادي العجم بالعزل عن ممارسته العمل الحكومي واحالته على مجلس تأديبي^{١٨}، وحرص الكيالي على **تنفيذ حكم الاعدام** بحق المجرمين الخطرين إذ صدر القرار المرقم (١٠٦٧) بتاريخ ٤ تشرين الاول ١٩٤٤ المتضمن تنفيذ حكم الاعدام بحق المجرم علي شاهين الدرويش^{١٩}، ومن جانب اخر حرص الكيالي على **منح عفو** عن بعض المحكومين بتهم بسيطة ولحالات خاصة إذ صدر القانون المرقم (٢) بتاريخ ٢٩ آب ١٩٤٣ المتضمن منح عفو عن المتهمين المصابين بالسل الرئوي وعن الشيوخ الذين بلغوا عمر (٦٥) سنة^{٢٠}، ولا يفوتنا ان ننوه ان الكيالي اتخذ اجراءات حازمة **بتسليم بعض المجرمين من غير السوريين لحكوماتهم الاصلية** إذ صدر القرار المرقم (١٨) بتاريخ ١٧ كانون الثاني ١٩٤٤ المتضمن تسليم السلطات الاردنية المجرم صبحي مصطفى شعيب اردني الجنسية الملاحق من قبل الحكومة الاردنية^{٢١}، و صدر القرار المرقم (٢٢٥) بتاريخ ٢٨ شباط ١٩٤٤ المتضمن تسليم المجرم فوزي

رشيد سعيد الى الحكومة الفلسطينية^{١٢٢}، و صدر القرار المرقم (٢٨٨) بتاريخ ٤ آذار ١٩٤٤ المتضمن تسليم المجرم محمد عقل قاسم الى الحكومة الاردنية^{١٢٣}، و صدر القرار المرقم (٣٥٠) بتاريخ ٤ نيسان ١٩٤٤ المتضمن تسليم المجرم خليل حسن العجوز الى الحكومة الفلسطينية^{١٢٤}.

وتماشياً مع ما تم ذكره نلاحظ إن الكيالي كان نشطاً وحازماً ومتمكناً وحريصاً إذ أجرى اصلاحات وتغييرات و أصدر اوامر عديدة ومتنوعة من اجل تحسين اداء الوزارة ولم يتهاون في تطبيق القانون وتمكن من تطوير وتنظيم العمل في الوزارة التي تولى ادارتها.

التسلسل	اسم الوزارة	عدد القرارات
١	وزارة العدلية (١٩ آب ١٩٤٣ - ١٤ تشرين الاول ١٩٤٤)	٥٦ قرار

جدول من اعداد الباحث يوضح عدد القرارات التي اصدها الكيالي ابان ادارته لوزارة العدلية ثالثاً: وزيراً للعدلية و وزيراً للاشغال العامة و وزيراً للافتاء والاقواف (٤ تشرين الاول ١٩٤٤ - ٥ نيسان ١٩٤٥):

وبموجب المرسوم المرقم (١١٢٤) بتاريخ ٤ تشرين الاول ١٩٤٥ شغل الكيالي المناصب الوزارية اعلاه لمدة خمسة اشهر واثنان وعشرون يوماً ابان حكومة فارس الخوري وكانت من ابرز انجازاته:

١- وزارة العدلية: ومما لا شك فيه ان الكيالي قد أجرى العديد من الاصلاحات والتغييرات من اجل اصلاح وتطوير عمل الوزارة وكان من اهمها **التعيينات** إذ صدر القرار المرقم (٢٤٦) بتاريخ ٢٤ آب ١٩٤٤ المتضمن تعيين اسماعيل حقي صفر في محكمة الاستئناف بحلب^{١٢٥}، و صدر القرار المرقم (٢٤٨) بتاريخ ٢٥ آب ١٩٤٤ المتضمن تعيين احمد الفياض في محكمة البداية بدير الزور^{١٢٦}، و صدر القرار المرقم (٢٥٨) بتاريخ ٢٦ آب ١٩٤٤ المتضمن تعيين محمد علي العمر في محكمة بداية درعا^{١٢٧}، و صدر القرار المرقم (١٠٧٦) بتاريخ ٧ تشرين الاول ١٩٤٤ المتضمن تعيين صالح نجاتي الحلبي في محكمة البداية بادلب^{١٢٨}، وصادق الكيالي على اوامر **استقالة** كل من القاضي الشرعي بعفرين عمر ابو الورد والموظف كاتب الضبط محكمة بداية

دمشق خيرى المدلجي والموظف كاتب الضبط في محكمة الصلح بالرقعة عبد الهادي رمضان^{١٢٩}، **ومما لا شك فيه** ان قصر المدة الزمنية قد اثرت على عمل الكيالي بوصفة وزيراً لوزارة العدلية فهو لم يتمكن من اجراء تغييرات او تعديلات كبيرة وواسعة تساهم في تطوير عمل الوزارة.

٢- **وزارة الاشغال العامة:** سعى الكيالي لتنظيم وتطوير امور الوزارة 'ففي مجال **التعيين** صدر القرار المرقم (٩٥٤) بتاريخ ٧ أيلول ١٩٤٤ المتضمن تعيين جان فيار فرنسي الجنسية بوظيفة مشاور فني في المديرية العامة للبريد والبرق في دمشق^{١٣٠}، وصادر القرار المرقم (٦٢) بتاريخ ٤ تشرين الاول ١٩٤٤ المتضمن تعيين كل من بوريس ليتشكوس روسي الجنسية وفلامير كودريا فتيشيف روسي الجنسية وجان كورسلسكي فرنسي الجنسية وبطرس ميدفيديف روسي الجنسية للعمل في مديرية الري لتطوير عمل ايصال المياه وانشاء شبكة ماء والصرف الصحي بالطرق الحديثة والمتطورة في سورية^{١٣١}، وصادر القرار المرقم (٨٢) بتاريخ ٢٥ تشرين الاول ١٩٤٤ المتضمن تعيين غالب الكيالي بمديرية الري^{١٣٢}، وفي مجال **الاجارات** للموظفين فصادر القرار المرقم (٧٩) بتاريخ ٢١ تشرين الاول ١٩٤٤ المتضمن منح عبد الغني الحكيم الموظف بمركز بريد وبرق حلب اجازة صحية لمدة (٢٧) يوم براتب تام^{١٣٣}، وفي مجال **تمديد خدمة** بعض الموظفين للحاجة الماسة فقد صدر القرار المرقم (٨٠) بتاريخ ٢٣ تشرين الاول ١٩٤٤ المتضمن تمديد خدمة الموظف نزار الدهني لمدة ثلاثة اشهر في مديرية بريد وبرق دمشق^{١٣٤}، وفي مجال **الاحالة على التقاعد** فقد صدر القرار المرقم (٩٧٤) بتاريخ ١٣ ايلول ١٩٤٤ المتضمن احالة الموظف وجية الجابري على التقاعد^{١٣٥}، وفيما يخص المصادقة على **استقالة** بعض الموظفين فقد صدر القرار المرقم (٨٧) بتاريخ ٤ تشرين الثاني ١٩٤٤ المتضمن المصادقة على استقالة الموظف عادل الجندي^{١٣٦}، ومنح الكيالي بوصفة وزير لوزارة الاشغال العامة **رخصة تنقيب** عن معدن المانغانيز الى ممدوح مردم بك في منطقة كسب في مدينة اللاذقية^{١٣٧}، وامر الكيالي **بالتعاقد** مع الخبير الفني كيتل فلاديمير روسي الجنسية لاصلاح

الشبكة البرقية واحداث شبكة هاتفية في الاراضي السورية^{١٣٨}، اما فيما يخص **الافتاء والاقواف** لم نجد اي انجاز للكيالي في هذا المجال.

يبدو ان مدة الخمسة اشهر وثمان وعشرون يوماً مدة قصيرة لم يستطيع الكيالي القيام بإنجازات كثيرة لها اثر كبير وفعال على مفاصل الوزارات التي استلمها .

التسلسل	اسم الوزارة التي ادرها الكيالي	عدد القرارات
١	وزارة العدلية (٤ تشرين الاول ١٩٤٤ - ٥ نيسان ١٩٤٥)	٥
٢	الاشغال العامة (٤ تشرين الاول ١٩٤٤ - ٥ نيسان ١٩٤٥)	٧
٣	الافتاء والاقواف (٤ تشرين الاول ١٩٤٤ - ٥ نيسان ١٩٤٥)	لا يوجد

جدول من اعداد الباحث يوضح عدد القرارات التي اصدرها الكيالي ابان ادارته للوزارات التي شغلها.

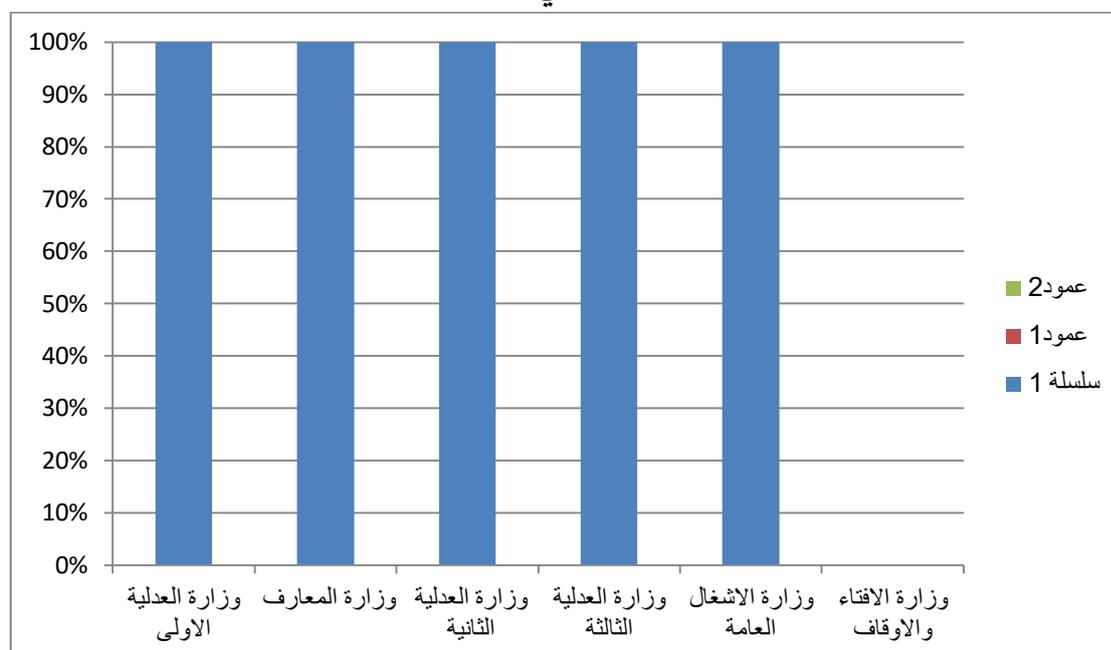
خلاصة القول ان الكيالي تمكن خلال عمله الوزاري بمجملة من انجاز العديد من الاعمال واجرى عدد من الاصلاحات واصدر العديد من القرارات التي تساهم بتنظيم عمل الوزارات المختلفة التي تولى ادارتها إذ بلغ مجموعها ما يزيد عن (١٠٠) قرار بمختلف الاتجاهات، إذ اتسم عمله بالكفاءة والحزم وحسن الادارة وكانت انجازاته باتجاهات مختلفة خدمة للمصالح العام نابغاً من حبه وحرصه على بلاده.

التسلسل	اسم رئيس الحكومة	اسم الوزارة التي ادرها عبد الرحمن الكيالي	تاريخ استلام العمل الوزاري	تاريخ انتهاء العمل الوزاري	العمر الزمني للوزارة التي ادرها عبد الرحمن الكيالي
١	حكومة جميل مردم	وزارة العدلية	٢١ كانون الاول ١٩٣٦	٢٣ شباط ١٩٣٩	سنتان وشهران ويومان فقط
٢	حكومة جميل مردم	وزارة المعارف	٢١ كانون الاول ١٩٣٦	٢٣ شباط ١٩٣٩	سنتان وشهران ويومان فقط
٣	حكومة سعد الله الجابري	وزارة العدلية	١٩ آب ١٩٣٤	٤ تشرين الاول ١٩٤٤	سنة وستة وعشرون يوم فقط

عبد الرحمن الكيالي ودوره السياسي في سورية ١٨٨٧ - ١٩٦٩ دراسة تاريخية

٤	حكومة فارس الخوري	وزارة العدلية	٤ تشرين الاول ١٩٤٤	٥ نيسان ١٩٤٥	خمسـة اشهر واثنان وعشرون يوم
٥	حكومة فارس الخوري	وزارة الاشغال العامة	٤ تشرين الاول ١٩٤٤	٥ نيسان ١٩٤٥	خمسـة اشهر واثنان وعشرون يوم
٦	حكومة فارس الخوري	وزارة الافتاء والاقواف	٤ تشرين الاول ١٩٤٤	٥ نيسان ١٩٤٥	خمسـة اشهر واثنان وعشرون يوم

جدول من اعداد الباحث يوضح اسم الوزارة التي ادارها عبد الرحمن الكيالي وعمرها الزمني.



مخطط من اعداد الباحث يوضح عدد القرارات التي اصدرها الكيالي بجميع الوزارات التي تولى ادارتها.

المحور الرابع: نتاجه الفكري.

للكيالي مؤلفات عديدة واغلبها ذات طابع تاريخي سياسي اريخت تاريخ سورية السياسي ونضال رجالها الوطنيين لانهاء الانتداب الفرنسي وصولاً للوحدة والحرية والاستقلال التام وكان ومنها:

١- الجهاد السياسي، الفه الكيالي عام ١٩٢٦ وطبع عام ١٩٤٦.

- ٢- الرد على بيانات المفوض السامي الفرنسي بونسو ، طبع عام ١٩٣٣.
 - ٣- رد الكتلة الوطنية على بيانات المفوض السامي الفرنسي امام عصبة الامم .
 - ٤- كتاب المراحل في الانتداب الفرنسي وفي نضالنا الوطني (اربعة اجزاء) ، طبع عام ١٩٥٨.
 - ٥- اصول الاستعمار بين الامم.
 - ٦- تنبئية اولى الالباب الى فضائع الانتداب.
 - ٧- اضواء وازاء (جزئين).
 - ٨- كتاب شريعة حمورابي اقدم الشرائع العالمية.
 - ٩- رسالة عن الامام جعفر الصادق عليه السلام.
- وسنتناول كل من :

١- كتاب المراحل في الانتداب الفرنسي وفي نضالنا الوطني ، اربعة اجزاء مطبعة الضاد بحلب ١٩٥٨ الجزء الاول (١٩٢٦ - ١٩٣٩) بواقع (٢٦٦) صفحة بفصلين ، تناول مواضيع تاريخية وسياسية خاص بتاريخ سورية ابان الانتداب الفرنسي ، وهو يتحدث عن الصراع بين الوطنين وسلطة الانتداب الفرنسي وتطرق الى سوء ادارة رجال فرنسا لسورية واوضح مساوئ الحكومات الموالية لفرنسا وانعكاساتها على الواقع السوري ، وكيف تمكنت الكتلة الوطنية من الوصول للحكم ، اما الجزء الثاني (١٩٣٣ - ١٩٣٤) بواقع (٣٩٠) صفحة ، ولم يقسم هذا الجزء على شكل فصول كما في الجزء الاول وانما محاور ، وهو يؤرخ لتاريخ سورية في عهد المفوض السامي الفرنسي (دميان دي مارتل) ، وجاء الجزء الثالث (١٩٣٤ - ١٩٣٦) بواقع (٣٣٤) يتضمن عرض للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي عانت منها سورية ابان الانتداب الفرنسي ، وكان الجزء الرابع (١٩٣٦ - ١٩٣٩) بواقع (٥٣٧) صفحة وسلط الضوء على دور الكتلة الوطنية بحشد الاراء للقيام بالاضراب الستيني ضد الانتداب ومن نتائجه رضوخ فرنسا لعقد معاهدة عام ١٩٣٦ مع سورية ووصول الكتولين للحكم ، وتناول حكم الكتلة الوطنية وانجازاتها ولم يهمل مشكلة سلخ لواء الاسكندرونة واخيراً تطرق الى انعكاسات اندلاع الحرب العالمية الثانية وانتهاء الحكم الكتلوي وعودة الحكم الفرنسي المباشر على سورية بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية.

٢- كتاب الجهاد السياسي ،الفه الكيالي ١٩٢٦ وطبع بالمكتبة العصرية بحلب عام ١٩٤٦ وكان بواقع (١١٢) صفحة والفه الكيالي ابان سجنه من قبل سلطة الانتداب الفرنسي بسجن ارواد وتضمن سبع فصول ،تطرق الكتاب الى مفهوم وغايات واهمية الجهاد السياسي بغية الوصول للاستقلال والسيادة التامة وكذلك تناول الثورة السورية عام ١٩٢٥ الاسباب والنتائج وكذلك سلط الكتاب الضوء الصراع بين الشخصيات الوطنية وسلطة الانتداب الفرنسي من اجل استقلال سورية ،ولم يهمل الكتاب اهمية سورية في نظر فرنسا والاسباب التي ادت الى فرض انتدابهم وتقسيم سورية بقصد اضعافها ونهب خيراتها.

٣- كتاب الرد على بيانات المفوض السامي الفرنسي بونسو ،طبع عام ١٩٣٣ بالمكتبة العصرية بحلب ،ويقول الكيالي ان سبب التأليف هو للرد على بيانات المسيو بونسو المفوض السامي للجمهورية الفرنسية في سورية إذ القى بونسو عام ١٩٣٢ تقرير مفصل عن احوال سورية وما تقوم به فرنسا من اجل اصلاح الاوضاع العامة بموجب نظام الانتداب امام لجنة الانتدابات ،ويوضح الكيالي انه دافع عن حقوق سورية واكد على المطالب الوطنية واهميتها وبين ان غاية الحركة الوطنية في سورية هو معارضة ومقاومة وانهاء الانتداب الفرنسي على سورية وصولاً للاستقلال التام وفند مزاعم واكاذيب بونسو وادعائه الباطلة ،ويقول الكيالي في كتابه انه طبعه نسخ منه باللغة الفرنسية وقام بتوزيعه الى اعضاء عصابة الامم واعضاء لجنة الانتدابات والى وزراء خارجية بعض الدول والى اعضاء مجلس الشيوخ والنواب الفرنسي لكشف اكاذيب بونسو وفضح رجالات فرنسا وظلمهم للشعب السوري وهذه الغاية من تأليف الكتاب كما اوضح الكيالي في كتابه.

يبدو ان الكيالي كان محباً ومهتماً بواقع واحداث التاريخ السوري فهو كان مزامناً ومعاصراً لابرز الاحداث السياسية ابان الانتداب الفرنسي وكان شخصية سياسية فاعلة تقلدت مناصب كثيرة ومتنوعة ،فهو فضح سياسة فرنسا الانتدابية الظالمة وبين مكامن الخلل ولم يهمل مشاكل مجتمعة سواء منها السياسية ام الاقتصادية ام الاجتماعية وقد وصف حجم المعاناة التي عانت منها سورية ووصف جهاد ونضال الوطنيين من اجل اخراج فرنسا عن سورية والوصول للاستقلال التام ،فكانت مؤلفات ذات وصف عالي الدقة ومنهجية مرتبة

ومبوبة يسهل على القارئ استلهاهم وفهم وادراك الاحداث التي تضمنتها مما ينم عن ادراك واسع وفهم عميق للاحداث التي عاصرها.

الخاتمة.

١- ينحدر عبد الرحمن الكيالي من عائلة حلبية عريقة تتمتع بالوجاهة والمكانة الاجتماعية الكبيرة والثقافة العالية ولها تاريخ سياسي مميز.

٢- اكمل الكيالي دراسة الطب وخدم بالطبابة العسكرية التابعة للجيش العثماني ابان الحرب العالمية الاولى وفي اماكن متفرقة .

٣- اصبح الكيالي رئيساً لمشفى مدينة حلب واستطاع من تقديم الخدمات الطبية لأبناء مدينته.

٤- دخل الكيالي السياسة مناضلاً ومجاهداً مدافعاً عن حقوق سورية ومعارضاً لسياسة فرنسا الاستعمارية لانتدابها لسورية.

٥- كان الكيالي احد مؤسسين الكتلة الوطنية التي تزعمت المشهد السياسي ابان فرض الانتداب الفرنسي على سورية ،وكانت معارضة لسياسة فرنسا داخل الاراضي السورية ،إذ استطاعت الكتلة الوطنية مقارعة سلطة الانتداب وتمكنت من انتزاع بعض حقوق سورية الوطنية بعد ان عقدت معاهدة عام ١٩٣٦ مع فرنسا.

٦- لم يكن الكيالي طبيباً ماهراً وناجحاً فقط بل كان كاتباً ومؤرخاً قديراً إذ دون افكاره وارهه السياسية ،واستطاع من تدوين مراحل تاريخ سورية والمسيرة الجهادية لشعب السوري بكتب عديدة واصفاً ومفصلاً للمراحل التاريخية التي مرت بها سورية.

٧- بسبب ثقافة الكيالي العالية اهتم بالفكر والتراث والتاريخ والعلوم واللغة وادابها على اثرها ترأس لجمعية العاديات في حلب (جمعية مهتمة بالمعارف والعلوم والتراث) وكان احد اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق لحبه للعلم والتاريخ.

٨- استطاع الكيالي ان يكون احد النواب الوطنيين المخلصين المدافعين عن حقوق ابناء شعبه من تحت قبة المجلس النيابي السوري ولدورات نيابية عديدة في عهود حكومية مختلفة ،إذ استطاع من نقل معاناة الشعب بمختلف الاتجاهات ،وسعى لوضع حلولاً فعالة للمشاكل التي تعاني منها سورية، ولم يهتم بالجانب السياسي فقط لكونه ضليعاً

وقديراً بعالم السياسة بل كانت له آراء ومداخلات بالجانب الاقتصادي والاجتماعي فكانت له آراء ومداخلات عديدة بمختلف الاتجاهات وسعى لوضع حلولاً للمشاكل التي تعاني منها سورية.

٩- اتصف الكيالي بالشجاعة فكان مراقباً شرساً وناقداً بناءً للحكومات السورية المتعاقبة إذ كانت حنجرته تعري الفاسدين ويحارب الازهال والمحسوبية مؤكداً على اهمية الكفاءة والاخلاص واهمية محاسبة المقصرين.

١٠- انتقد الكيالي كثرة وسرعة تبدل وتغير الحكومات السورية وكد على تأثيرها السلبي على الاستقرار وبين انه احد اسباب الاضطراب وعدم الاستقرار السياسي وانه لا يصب في مصلحة البلد.

١١- اعترض الكيالي على غلق الحكومات السورية لبعض الاحزاب السياسية المعارضة وللصحف الفاضحة للفساد الحكومي وكد على اهمية تطبيق الديمقراطية والعدالة والتقييد بالدستور والقانون على الجميع وليس فقط بحق ممن ينتقدون او يعارضون الحكومة ويكشفون مساوئها وفسادها ،موضحاً اهمية حرية العمل الحزبي وحرية الرأي والفكر لانه قد كفلة الدستور واجازة القانون.

١٢- اكد الكيالي على ضرورة ان تكون الحكومة حيادية ولا يجوز تحزبها او تحيزها لجهة معينة موضعاً مساوئ انتماء الحكومة واقام موظفيها بالعمل الحزبي .

١٣- لم يهمل الكيالي الاهتمام بالاقتصاد الوطني وكد على ضرورة تنمية وتنوع مصادرة ووجوب وضع حلولاً للمشاكل التي تعترضه والاهتمام بالجانب الزراعي والتجاري والصناعي.

١٤- اشار الكيالي على ضرورة الاهتمام باستثمار والتقيب عن المعادن لما لها دور في ردف الاقتصاد الوطني وكد على ضرورة الغاء كافة التراخيص الممنوحة لبعض الاجانب لانها استغلال ونهب للثروة الوطنية ولا تصب في مصلحة سورية ،مؤكداً على اهمية وضع قوانين جديدة تحمي الثروات الوطنية السورية.

١٥- شجب الكيالي عدم اهتمام الحكومة بالجانب الصحي موضحاً خطورة انتشار الامراض والابوئة بحكم مجال تخصصه مؤكداً على اهمية بناء المشافي الصحية ورفدها بالكوادر الصحية وتوفير الادوية واللقاحات اللازمة.

١٦- تولى الكيالي مناصب وزارية عديدة وزيراً لوزارة العدلية ولوزارة المعارف وغيرها من الوزارات الاخرى واستطاع من ادارتها واعادة تنظيمها بنجاح، إذ اصدر العديد من الاوامر وباتجاهات مختلفة بغية تنظيم عملها وتقديم نحو الافضل ولم يتوانى او يهمل المهام الموكلة اليه لايمنه بضرورة اصلاح الجانب الاداري يساهم في استقرار البلاد.

١٧- وفي وزارة العدلية سعى الكيالي لاصلاح وتنظيم عمل الوزارة فصدر العديد من الاوامر الادارية منها اصدار العديد من اوامر التعينات وخصوصا في المحاكم لايمنه باهمية القضاء وكذلك اصدر اوامر انتهاء خدمات بعض الموظفين الفاسدين واحال بعض منهم للجان الانضباط لعدم التزامهم بعملهم الوظيفي او استغلال لوظائفهم ومنح بعض اجازات مرضية وممد مدة اضافية لبعض الموظفين للحاجة الماسة لخدماتهم ولم يهمل من تنفيذ احكام الاعدام بحق المجرمين، اهتم الكيالي بالعدل والقضاء لانه اساس العدل ولكونه الاساسي في نشر العدل والاستقرار.

١٨- وفي وزارة المعارف سارع الكيالي لاصلاحها حيث صدرت العديد من الاوامر كتعيين معلمين لسد الشواغر وطالب من الحكومة بناء مدارس في بعض المدن التي تفتقر للمدارس وتوسيع بعضها، وسعى لتحديث وتطوير المناهج الدراسية واهتم بالتعليم المهني لدوره بانعاش الاقتصاد الوطني، وسمح الكيالي بوصفة وزيراً للمعارف من فتح المدارس الخاصة ولم يهمل حقوق الاقليات الدينية مما سمح بفتح خاصة بهم، واستقدم الكيالي الخبراء والمستشارين لتطوير التعليم.

١٩- وفي وزارة الاشغال العامة اصدر الكيالي عدد من الاوامر لتحسين الواقع الاجتماعي منها تنظيم شؤون الري و مد شبكات الماء والصرف الصحي في بعض المدن السورية وفتح وتعبيد الطرقات وايصال شبكة الكهرباء ومد شبكة البريد والبرق وبعض الاعمال الاخرى التي تصب في صالح خدمة الشعب.

٢٠- تمكن الكيالي من طرح اكثر من (٢٠) مداخلة داخل مجلس النواب السوري وباتجاهات مختلفة ناقلاً هموم ابناء شعبه **واستطاع من اصدار** اكثر من (٧٠) امراً وزارياً ابان توليه وزارة العدلية وبمختلف الاتجاهات ، **ونجح من اصدار اكثر من** (١٥) امراً وزارياً ابان توليه لوزارة المعارف بمختلف المواضيع ، **ووفق** من اصدار (١٠) اوامر وزارية باتجاهات عديدة ، مما يدل ان الكيالي كان نائباً نشطاً ووزيراً بارعاً تمكن من ادارة المهام الموكلة اليه بنجاح وسعى الى تنظيم وتطوير عمل الوزارات التي تولها .

٢١- بعد الانشقاقات والتفكك الذي اصاب الكتلة الوطنية وضعفها تزعم الكيالي الحزب الوطني في مطلع الخمسينات وسعى لتصحيح مسار الاوضاع العامة في سورية محارباً للفساد وناقداً للتشرذم السياسي موضعاً مكامن الضعف للحكومات السورية اللاحقة .

٢٢- اعتزل الكيالي العمل السياسي وعاد لمزاولة وممارسة مهنة الطب ومتفرغاً لتدوين اراءه بعد اعلان الوحدة مع مصر عام ١٩٥٨ لفرض الرقابة وتقييد حرية العمل السياسي وغلق الاحزاب السياسية .

الهوامش .

^١ سليمان سليم البواب ، موسوعة اعلام سورية في القرن العشرين ، ج٤ ، دار المنارة ، بيروت ، ١٩٩٩ ، ص ١٣٠ .

^٢ جورج فارس ، من هو في سورية ، مطبعة الوكالة العربية للنشر والدعاية ، دمشق ، ١٩٤٨ ، ص ٣٨١ .

^٣ الكتلة الوطنية :تجمع سياسي ضم شخصيات وطنية معارضة ورافضة لسياسة الانتداب الفرنسي في سورية ، طالبت الكتلة الوطنية بوحدة الاراضي السورية المجزئة ومنح الشعب السوري الحرية والاستقلال التام وتشكيل حكومة وطنية غير موالية لفرنسا وخروج فرنسا عن الاراضي السورية ، ظهر هذا التجمع السياسي في مطلع عام ١٩٢٨ ولم يكن حزب سياسي منظم له برنامج ومنهاج سياسي مكتوب وواضح وانما تجمع شمل الشخصيات الوطنية الراضية لفرنسا ، تمكنت الكتلة الوطنية بسبب مواقفها الوطنية من كسب ود وثقة الشعب السوري وبمرور الوقت اصبح لها قواعد شعبية كبيرة وتمكنت قيادة وتزعم العمل السياسي فيما بعد ، وبعد عقد المؤتمر التأسيسي الاول للكتلة الوطنية اصبحت حزب منظم واخذ نفوذها السياسي بالتزايد ، ومن ابرز اعضائها المؤسسون هاشم الاتاسي وشكري القوتلي وجميل مردم وسعد الله الجابري وعبد الرحمن الكيالي وفارس الخوري واخرون ، تمكنت الكتلة من تشكيل حكومات وطنية هامة

بالعهد الوطني الاول (١٩٣٦-١٩٣٩) وكان من ابرز انجازاتها عقدها للمعاهدة الفرنسية السورية عام ١٩٣٦ وشكلت حكومات اخرى بالعهد الوطني الثاني (١٩٤٣-١٩٤٦)، للمزيد من المعلومات ينظر: امل مخائيل بشور، دراسة في تاريخ سوريا السياسي المعاصر، دار جروس برس، لبنان، ٢٠٠٣، ص ٧٥؛ نجاح محمد، الحركة القومية العربية في سورية، دار البعث، دمشق، ١٩٨٧، ص ٧٤.

^٤ نجاة قصاب حسن، صانعو الجلاء في سورية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٩٠.

^٥ عبد الوهاب الكيالي واخرون، الموسوعة السياسية، ج ٣، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص ٨٣٠.

^٦ نجاة قصاب حسن، المصدر السابق، ص ١٩١؛ سليمان سليم اليواب، المصدر السابق، ص ١٣٠.

^٧ غسان حداد، أوراق شامية من تاريخ سورية المعاصر ١٩٤٦-١٩٦٦، د.م. بغداد، ٢٠٠١، ص ٨.

^٨ نجاة قصاب حسن، المصدر السابق، ص ١٩١.

^٩ مازن يوسف صباغ، سجل البرلمان ومجلس الشعب السوري، دار الشرق للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٠، ص ١١٣، ص ١٢٨.

^{١٠} محاضر مجلس النواب السوري، الدور الاشتراعي الثالث، الدورة العادية السادسة، الجلسة ٤، ٢٨ أ ب ١٩٤٥، ص ٥٦.

^{١١} محاضر مجلس النواب السوري، الدور الاشتراعي الثالث، الدورة العادية السادسة، الجلسة ٤، ٢٨ أ ب ١٩٤٥، ص ٥٦.

^{١٢} محاضر مجلس النواب السوري، الدور الاشتراعي الثالث، الدورة العادية السادسة، الجلسة ٤، ٢٨ أ ب ١٩٤٥، ص ٥٨.

^{١٣} محاضر مجلس النواب السوري، الدور الاشتراعي الثالث، الدورة الاستثنائية الثامنة، الجلسة ٢، ٢ شباط ١٩٤٦، ص ٣٩.

^{١٤} محاضر مجلس النواب السوري، الدور الاشتراعي الثالث، الدورة العادية السادسة، الجلسة ٦، ١١ أيار ١٩٤٦، ص ٨٨.

- ^{١٥} محاضر مجلس النواب السوري، الدور الاشتراعي الثالث، الدورة العادية السادسة، الجلسة ٦، ١١ أيار ١٩٤٦، ص ٩٧.
- ^{١٦} محاضر مجلس النواب السوري، الدور الاشتراعي الثالث، الدورة العادية السادسة، الجلسة ١٨، ٣٠ أيار ١٩٤٦، ص ٣١٣.
- ^{١٧} محاضر مجلس النواب السوري، الدور الاشتراعي الثالث، الدورة العادية السادسة، الجلسة ١٨، ٣٠ أيار ١٩٤٦، ص ٣١٣.
- ^{١٨} محاضر مجلس النواب السوري، الدور الاشتراعي الثالث، الدورة الاستثنائية الثامنة، الجلسة ٥، ٤ شباط ١٩٤٦، ص ٩٠.
- ^{١٩} محاضر مجلس النواب السوري، الدور الاشتراعي الثالث، الدورة الاستثنائية الثامنة، الجلسة ٥، ٤ شباط ١٩٤٦، ص ٩١.
- ^{٢٠} محاضر مجلس النواب السوري، الدور الاشتراعي الثالث، الدورة الاستثنائية الثامنة، الجلسة ٩، ٧ شباط ١٩٤٦، ص ١٥٥.
- ^{٢١} محاضر مجلس النواب السوري، الدور الاشتراعي الثالث، الدورة الاستثنائية الثامنة، الجلسة ٨، ٦ شباط ١٩٤٦، ص ١٤٦.
- ^{٢٢} محاضر مجلس النواب السوري، الدور الاشتراعي الثالث، الدورة الاستثنائية الثامنة، الجلسة ١٢، ٩ شباط ١٩٤٦، ص ٢٢٣.
- ^{٢٣} محاضر مجلس النواب السوري، الدور الاشتراعي الثالث، الدورة الخامسة، ج ٢٨، ٢ تشرين الثاني ١٩٤٥، ص ١٦.
- ^{٢٤} محاضر مجلس النواب السوري، الدور الاشتراعي الثالث، الدورة الخامسة، ج ٢٨، ٢ تشرين الثاني ١٩٤٥، ص ١٧.
- ^{٢٥} محاضر مجلس النواب السوري، الدور الاشتراعي الثالث، الدورة الاستثنائية الثامنة، الجلسة ٣، ٣ شباط ١٩٤٦، ص ٦٠.
- ^{٢٦} محاضر مجلس النواب السوري، الدور الاشتراعي الثالث، الدورة الاستثنائية الثامنة، الجلسة ٣، ٣ شباط ١٩٤٦، ص ٦٨.

- ٢٧ محاضر مجلس النواب السوري، الدور الاشتراعي الثالث، الدورة الاستثنائية الثامنة، الجلسة ١٣، ١٠ شباط ١٩٤٦، ص ٢٣٠.
- ٢٨ محاضر مجلس النواب السوري، الدور الاشتراعي الثالث، الدورة العادية السادسة، الجلسة ١٨، ٣٠ أيار ١٩٤٦، ص ٣١٣.
- ٢٩ محاضر مجلس النواب السوري، الدور الاشتراعي الثالث، الدورة العادية الثامنة، الجلسة ١٦، ٢١ أيار ١٩٤٧، ص ٣٩٦.
- ٣٠ **الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٨، ص ٦٠٥.**
- ٣١ **الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٧، ص ٥٩٠.**
- ٣٢ **الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٣، ص ٣٢.**
- ٣٣ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ١٢، نيسان ١٩٣٧، ص ٢٤٣.
- ٣٤ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٢١، ١٠ حزيران ١٩٣٧، ص ٤٦٣.
- ٣٥ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٨، ٤ آذار ١٩٣٧، ص ١٦٢.
- ٣٦ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٣، ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٨، ص ٨٤.
- ٣٧ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٢، ١٣ كانون الثاني ١٩٣٨، ص ٣٤.
- ٣٨ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٣، ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٨، ص ٨٢.
- ٣٩ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ١٣، ٨ نيسان ١٩٣٧، ص ٢٧٣.
- ٤٠ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ١٧، ٦ أيار ١٩٣٧، ص ٣٥٦.
- ٤١ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ١، ٦ كانون الثاني ١٩٣٨، ص ٦.
- ٤٢ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٥، ٣ شباط ١٩٣٨، ص ١٧٥.
- ٤٣ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ١٩، ٩ حزيران ١٩٣٨، ص ٦١٩.
- ٤٤ **الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٨، ص ٦٠٥.**
- ٤٥ **الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤، ص ٥٤.**
- ٤٦ **الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٥، ص ٨٥.**
- ٤٧ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ١٩، ٢٠ أيار ١٩٣٧، ص ٣٩٣.
- ٤٨ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ١٢، ٢١ نيسان ١٩٣٨، ص ٤٠٠.

- ٤٩ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤، ص ٥٣
- ٥٠ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٥، ص ٨٢.
- ٥١ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٦، ص ٩٧.
- ٥٢ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٧، ١٨ شباط ١٩٣٧، ص ١٤٢.
- ٥٣ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ١٣، ٢٨ نيسان ١٩٣٨، ص ٤٣٠.
- ٥٤ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٩، ١١ آذار ١٩٣٧، ص ١٩٢.
- ٥٥ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٥، ٣ شباط ١٩٣٨، ص ٢٠٣.
- ٥٦ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٣٤، ٩ أيلول ١٩٣٧، ص ٧٤٠.
- ٥٧ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٢، ٣ كانون الثاني ١٩٣٨، ص ٤٤.
- ٥٨ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤، ٢٧ كانون الثاني ١٩٣٨، ص ١٦٥.
- ٥٩ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٢٤، ١٤ تموز ١٩٣٨، ص ٨٢٠.
- ٦٠ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٣٦، ٦ تشرين الأول ١٩٣٨.
- ٦١ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٣٥، ١٦ أيلول ١٩٣٧، ص ٧٦٠.
- ٦٢ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤، ٢٧ كانون الثاني ١٩٣٨، ص ١٤٦.
- ٦٣ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٢٥، ٢١ تموز ١٩٣٨، ص
- ٦٤ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ١٩، ٩ حزيران ١٩٣٨، ٦٢٧، ص ١٩٣٨.
- ٦٥ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٢٤، ١٤ تموز ١٩٣٨، ص ٨٢٠.
- ٦٦ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٧، ٢٩ كانون الأول ١٩٣٨، ص ١٥٦٧.
- ٦٧ عبد الرحمن الكيالي، المراحل في الانتداب الفرنسي ونضالنا الوطني، ج ٤، مطبعة الضاد، حلب، ١٩٥٨، ص ٤٩٦.
- ٦٨ المصدر نفسه، ص ٤٦٥.
- ٦٩ المصدر نفسه، ص ٤٧١.
- ٧٠ المصدر نفسه، ص ٤٧٩.
- ٧١ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ملحق العدد ٣٢، ٢٣ آب ١٩٤٣، ص ٩٥٧.
- ٧٢ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٣٧، ٢٣ أيلول ١٩٤٣، ص ١٠١٢.

- ٧٣ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٣٧، ٢٣ أيلول ١٩٤٣، ص ١٠١٢.
- ٧٤ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٣٧، ٢٨ أيلول ١٩٤٣، ص ١٠٢١.
- ٧٥ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤١، ٢١ تشرين الاول ١٩٤٣، ص ١٠٤٩.
- ٧٦ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٣، ٤ تشرين الثاني ١٩٤٣، ص ١٠٧٢.
- ٧٧ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٤، ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٣، ص ١٠٨٧.
- ٧٨ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٤، ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٣، ص ١٠٩٣.
- ٧٩ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٧، ٢ كانون الاول ١٩٤٣، ص ١١٤٢.
- ٨٠ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٧، ١٣ آذار ١٩٤٤، ص ٣٢٥.
- ٨١ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ١٤٤، ٦ نيسان ١٩٤٤، ص ٣٦٧.
- ٨٢ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٢٠، ١٨ أيار ١٩٤٤، ص ٤٨١.
- ٨٣ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٢٠، ١٨ أيار ١٩٤٤، ص ٤٨١.
- ٨٤ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٢٠، ١٨ أيار ١٩٤٤، ص ٤٨٢.
- ٨٥ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٢٠، ١٨ أيار ١٩٤٤، ص ٤٨٢.
- ٨٦ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٢٩، ٢٠ تموز ١٩٤٤، ص ٧٦٠.
- ٨٧ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٢٩، ٢٠ تموز ١٩٤٤، ص ٧٦٠.
- ٨٨ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٢٩، ٢٠ تموز ١٩٤٤، ص ٧٦٠.
- ٨٩ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٣٧، ٢٣ أيلول ١٩٤٣، ص ١٠١٢.
- ٩٠ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤١، ٢١ تشرين الاول ١٩٤٣، ص ١٠٥٤.
- ٩١ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٩، ٢٣ كانون الاول ١٩٤٣، ص ١١٨١.
- ٩٢ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٨، ٢٤ شباط ١٩٤٤، ص ١٩٤.
- ٩٣ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ١١، ١٦ آذار ١٩٤٤، ص ٢٨٦.
- ٩٤ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ١٨، ٤ أيار ١٩٤٤، ص ٤٥٨.
- ٩٥ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٢٩، ٢٠ تموز ١٩٤٤، ص ٧٧٢.
- ٩٦ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٨، ٢٤ شباط ١٩٤٤، ص ٢٠٠.
- ٩٧ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٣، ٥ تشرين الاول ١٩٤٤، ص ١٠٠٩.

- ٩٨ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ١٣، ٣٠ آذار ١٩٤٤، ص ٣٥٣.
- ٩٩ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٢٦، ٢٩ حزيران ١٩٤٤، ص ٦٩٩.
- ١٠٠ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٣٠، ٢٢ تموز ١٩٤٤، ص ٧٨٥.
- ١٠١ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٣٠، ٢٢ تموز ١٩٤٤، ص ٧٨٥.
- ١٠٢ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٣٧، ٢٣ أيلول ١٩٤٣، ص ١٠١٢.
- ١٠٣ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤١، ٢١ تشرين الأول ١٩٤٣، ص ١٠٥٤.
- ١٠٤ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤١، ٢١ تشرين الأول ١٩٤٣، ص ١٠٥٤.
- ١٠٥ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٦، ١٠ شباط ١٩٤٤، ص ١٤٤.
- ١٠٦ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٩، ٢٣ كانون الأول ١٩٤٣، ص ١١٦٩.
- ١٠٧ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٢١، ٢٥ أيار ١٩٤٤، ص ٥١٨.
- ١٠٨ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٢٩، ٢٠ تموز ١٩٤٤، ص ٧٨٣.
- ١٠٩ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٢٩، ٢٠ تموز ١٩٤٤، ص ٧٨٣.
- ١١٠ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٠، ١٤ أيلول ١٩٤٤، ص ٩٤٩.
- ١١١ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٢٨، ١٣ تموز ١٩٤٤، ص ٧٣١.
- ١١٢ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٤، ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٣، ص ١٠٨٧.
- ١١٣ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٨، ١٤ كانون الأول ١٩٤٣، ص ١١٥٩.
- ١١٤ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٨، ١٤ كانون الأول ١٩٤٣، ص ١١٥٩.
- ١١٥ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٩، ٢ آذار ١٩٤٤، ص ٢١٨.
- ١١٦ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ١٦، ٢٠ نيسان ١٩٤٤، ص ٤٠٧.
- ١١٧ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٢٧، ٦ تموز ١٩٤٤، ص ٧١٠.
- ١١٨ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ١٢، ٢٣ آذار ١٩٤٤، ص ٣٣٣.
- ١١٩ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٤، ١٢ تشرين الأول ١٩٤٤، ص ١٠٣٥.
- ١٢٠ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٣٣، ٣٠ آب ١٩٤٣، ص ٩٦٧.
- ١٢١ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٥، ٣ شباط ١٩٤٤، ص ١١١.
- ١٢٢ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ١٠، ٩ آذار ١٩٤٤، ص ٢٦٢.

- ١٢٣ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ١٢، ٢٣ آذار ١٩٤٤، ص ٣٢٥.
- ١٢٤ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ١٦، ٢٠ نيسان ١٩٤٤، ص ٤٠٧.
- ١٢٥ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ١٩، ٤٥ تشرين الاول ١٩٤٤، ص ١٠٦٩.
- ١٢٦ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ١٩، ٤٥ تشرين الاول ١٩٤٤، ص ١٠٦٩.
- ١٢٧ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ١٩، ٤٥ تشرين الاول ١٩٤٤، ص ١٠٧٠.
- ١٢٨ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٥، ٩ تشرين الاول ١٩٤٤، ص ١٠٨٤.
- ١٢٩ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٩، ٤٨ تشرين الثاني ١٩٤٤، ص ١١٤١.
- ١٣٠ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٦، ٢٦ تشرين الاول ١٩٤٤، ص ١٠٨٨.
- ١٣١ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٧، ٢ تشرين الثاني ١٩٤٤، ص ١١٣٣.
- ١٣٢ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٧، ٢ تشرين الثاني ١٩٤٤، ص ١١٣٤.
- ١٣٣ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٧، ٢ تشرين الثاني ١٩٤٤، ص ١١٣٥.
- ١٣٤ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٧، ٢ تشرين الثاني ١٩٤٤، ص ١١٣٥.
- ١٣٥ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٨، ٩ تشرين الثاني ١٩٤٤، ص ١١٤١.
- ١٣٦ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٥٠، ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٤، ص ١١٨٢.
- ١٣٧ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٤٨، ٩ تشرين الثاني ١٩٤٤، ص ١١٥٨.
- ١٣٨ الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، العدد ٩، ١٥ شباط ١٩٤٥، ص ٢٦٦.

عناصر المجتمع المغربي في القرنين الثامن
والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس
عشر الميلاديين

محمد خليل إبراهيم عباس القيسي
أ.د. كاظم ستر خلف العلاق

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

عناصر المجتمع المغربي في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

محمد خليل إبراهيم عباس القيسي
أ.د. كاظم ستر خلف العلاق

الملخص:

إن هذه الدراسة تهدف إلى توضيح وبيان عناصر المجتمع ببلاد المغرب في القرنين الثامن والتاسع، وقسمت الدراسة إلى ست محاور تناولت فيها ذكر العناصر السكانية في البلاد وقبائلها وعشائرها التي كانت منتشرة بالبلاد وأثرها في المجتمع، وجدنا أن التركيبة السكانية كبيرة ومن أمم وأعراق شتى وطوائف دينية متعددة تعايشت بسلام، وسعى السلاطين إلى زرع المحبة والسلام بين طوائف المجتمع فعاش البربر والعرب والنصارى واليهود مع الأندلسيين والغازي والأكراد والأرمن جنباً إلى جنب مع احتفاظ كلأ بعباداته وتقاليده الخاصة به وبعبادته وأماكن تلك العبادة، وشملت الدراسة خاتمة بأهم النتائج، وقائمة بالمصادر والمراجع المستخدمة في الدراسة.

Elements of the Maghreb during the fourteenth and fifteenth centuries AD / eighth and ninth centuries AH

Research from the doctoral dissertation of the student

Mohammed Khalil Ibrahim Abbas Al - Qaisi

Supervised by Professor Dr

Kathem Sitir Khalaf Al-Allaq

This study aims at clarifying and explaining the elements of society in Morocco in the eighth and ninth centuries. The study was divided into six axes, which dealt with the mention of the population elements in the country, its tribes and clans which were spread throughout the country and its impact on society. And the various sultans coexisted peacefully, and the Sultans sought to cultivate love and peace between the communities of the community. The Berbers,

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

the Arabs, the Christians and the Jews lived with the Andalusians, the Oghuzes, the Kurds and the Armenians side by side with their respective customs and traditions, worship and places of worship. Conclusion of the most important results, and a list of sources and references used in the study with the margins.

المقدمة

إن الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب ووجود المدنية بالبلاد قديم، ولأسيما في الشمال الأفريقي، فقد وجدت مراكز حضرية منذ زمن طويل، وسكنت البلاد قبل الإسلام في عهده الأولى أمم وأعراق شتى، فقد كان يسكن البلاد الأفارقة والروم والبربر أهل البلاد الأصلاء وغيرهم من الأقوام الآخرون.

وجاءت الفتوحات الإسلامية لتضيف العنصر العربي، وبقي المغرب بعناصره المختلفة واستمر وتوالت عليه القرون والمجتمع المغربي مكون من عدة طوائف وأجناس، احتفظت ببعض عاداتها وتقاليدها، واختلاطها مع الأمم والشعوب المجاورة، وإن دراسة عناصر المجتمع المغربي، ضرورة ومهمة لمعرفة التنوع السكاني في بلاد المغرب فمن هنا جاءت أهمية الموضوع الذي عنوانه : (عناصر المجتمع المغربي في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين وهو جزء من دراسة أهم وأشمل تناول بلاد المغرب في جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المدة المذكورة).

وجاءت الدراسة على محاور عدة تطرقنا فيها إلى العنصر البربري الذي يعد سكان البلاد الأصلاء وأول الساكنين في البلاد وأماكن تواجدهم وأهم مدنهم وقبائلهم، ثم العنصر العربي وأشهر القبائل ومنازلهم، وطائفة النصارى وجوانب مبسطة عن منازلهم وأشهر كنائسهم وأعمالهم في المجتمع المغربي، ثم تطرقت إلى اليهود وأماكن عبادتهم وانتشارهم في البلاد، وتولي المناصب الإدارية والسياسية، وفي المحور الخامس بينت وجود الأندلسيين بالمغرب وأماكن انتشارهم، وما أحدثوه من تطور في الحياة الاجتماعية ببلاد المغرب، ثم خصصت المحور السادس لدراسة عناصر أخرى أقل تأثيراً وأهمية في المجتمع المغربي وشملت عناصر السودان والأغزاز ومعهم الأكراد ثم ختمت العناصر بذكر العنصر الأرمني.

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

وختمت الدراسة بأهم النتائج التي توصلت إليها في البحث، وفي الختام نرجو أن نكون قد وفقنا في الوصول إلى الهدف المرجو من هذه الدراسة وإعطاء صورة ولو مبسطة عن عناصر المجتمع المغربي.

تعددت العناصر السكانية وتنوعت في بلاد المغرب، في مدة الدراسة، وكان أبرز تلك العناصر، البربر فقد كانوا أكبر فئة في المجتمع المغربي، وهو نواة المجتمع الأولى في جميع البلاد المغربية، ويعتقد أنهم سكان البلاد الأصلاء، بالرغم من أن مجتمع بلاد المغرب توجد فيه أجناس وعناصر متعددة، تمازجت مع بعضها البعض بمرور الزمن، ذلك الاختلاط والانصهار لم يكن وليد حقبة زمنية معينة أو محددة، بل نتج بمرور الزمن والأحداث التاريخية، التي مرت بها البلاد المغربية، فأنضم العرب إلى البربر، واختلطوا بهم، وأثروا فيهم وتأثروا بهم، وغير العرب والبربر عاشت عناصر أخرى، فقد وجد في المجتمع طوائف من اليهود وأخرى من النصارى، ووجدت عناصر من قوميات وديانات أخرى في البلاد، سأبينها فيما يأتي :

١- البربر :

سكان أفريقيا قديماً، أنسابهم تنتمي إلى قبائل مختلفة، وسماهم من كتب عنهم ((بربر)) كنعنت لجميع سكان أفريقيا، وأنهم من جذب انتباه العرب عندما فتحوا البلاد، فأطلق اسم ((البربر)) على السكان المحليين من اهل البلاد المفتوحة^(١).

وهناك من يرى البربر، أنهم جيل وشعوب وقبائل أكثر من أن تحصى، وأن أصلهم من الشرق، هاجروا إلى أفريقيا، فاستوطنوا أراضي غرب مصر، ثم غادروها إلى المغرب وسكنوا مناطق الجبال^(٢)، ونسبتهم إلى امازيغ بن كنعان بن سام بن نوح، وبهذا يطلق البربر على أنفسهم اسم ((امازيغ) ومعناها السادة الأحرار، وروابط البربر القبلية شبيهة بروابط العرب، من نظام القبيلة والعشيرة والعائلة، لكنهم يتبعون نظام الأم، ولا يعترفوا بسلطة الأب^(٣)، وهذا لا يعني أن البربر هذا القول الفصل في نسبهم.

فالبربر أشبه العرب : ((لقاء ونجدة وصبراً وفروسية وسماحة))^(٤) وكانت بعض قبائل البربر، حافظت على عاداتها وتقاليدها وديانها القديمة^(٥)، ورغب أغلبهم بدخول

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

الإسلام ((المشاركة الطبقة الحاكمة ولاية الأمور))^(٦)، ولأن الإسلام ((مليئاً بروح الرفق والسماحة والأخوة وكان عقيدة سهلة يسيرة الفهم)) وعلى أكتاف البربر تأسست دول في بلاد المغرب من قبائل مشهورة وكانت لتلك الدول ثقلها، كدولة صنهاجة التي أسسها بني زيري، ثم دولة المرابطين، التي أسستها قبيلة لمتونه، ودولة الموحيدين التي أسسها المصامدة، ثم بعد الموحيدين، قامت في البلاد دول ثلاث، في المغرب الأدنى الحفصيون أصولهم تنتمي لقبيلة هنتانة المصمودية^(٧).

ولا تتكر أصولهم البربرية، بالرغم من أن البعض يرى نسبتهم العربية لقريش، لكنهم بربر ومساكنهم مع قبائل البربر ((هنتاتة، وهم من قبائل المصامدة في جبل درن، وقبيلة هنتالنة من أعظم قبائلهم وأكثرهم جمعاً وأشد قوة))^(٨).

وقال ابن أبي دينار عن الحفصيين ((هذا النسب غارق في أنساب البربر، والعرب كانت تأنف التزوج منهم وخصوصاً قریشاً والله أعلم بحقيقة ذلك، ولأجل هذا النسب الشريف خطب لهم بأمر المؤمنين، والناس مصدقون في أنسابهم))^(٩).

وفي بلاد المغربيين الأوسط والأقصى أسست دولتين بعد تغلب زناتة على البلاد، ففي تلمسان وضواحيها سيطرت قبيلة بني عبد الواد على المغرب الأوسط، وفي المغرب الأقصى سيطرت قبيلة بني مرين^(١٠)، هاتين القبيلتين ضاربة أنسابهم في زناتة، ومن يرجع أنسابهم إلى أصول عربية، وأن دماؤهم اختلطت مع البربر ((قبيلة بني مرين يقال لها حمامة، من بين قبائل العرب بالمغرب))^(١١)، يقول ابن أبي دينار : (ينو مرين فخذ من زناتة، والنسابون مختلفون في نسبهم، ولكن يجتمع نسبهم في قيس عيلان، وتناغو في البربر، وكانت قبائل البربر يجاورون العرب في مساكنهم))^(١٢)، ويرى ابن خلدون : أن بني مرين من شعوب بني واسين بربر زناتة ((وهم أكثر عدداً وأقواهم سلطاناً وأعظمهم دولة))^(١٣).

والبربر جذمين^(١٤) كبيرين هما ماذاغيس وبرنس، ويعرف الجذمين أحدهما بالبتزلان مذغيس اشتهر بالابتر، والبرانس نسبة إلى برنس بن بر^(١٥)، ومن برنس تفرعت قبائل عدة، كتامة وصنهاجة وعجيسة ومصمودة، وأوربة، وأزوجة واورغ الذي منه هوار، وهؤلاء القبائل

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

كلها لهم بطون عظيمة، وماذغيس له ولد مهم زجيك وضرى ولى الكبير، ونفوس، وداس، وتداخلت أنساب هوارين اوريج نعم اداس، عندما تزوج اوريج بن برنس بأم أداس^(١٦).

أما عن مناطق سكنى البربر، فقد انتشرت قبائلهم في منطقة اوراس من جهة طرابلس الغرب، سكنت قبيلة ازوجة - وزوجة - تنتشر في جبال اوراس والتي هاجرت قسم من هذه القبيلة إلى إقليم وهران في الجزائر الأوسط، وكانت هذه الهجرة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي^(١٧). وقبيلة هواة سكنت في بعض مناطق طرابلس الغرب في منطقة الزاوية، وجنيزور وتاجوراء والحفارة ومسلاته ومصراته وتاورغاء وسرت وورقلة وفزان^(١٨). وكانت مساكنهم ما بين الاسكندرية والعقبة الكبيرة من برقة، وفي برقة من أراضي المغرب^(١٩). ويذكر التجاني : ((أن بني مجريس وبني تاسة من سكان زنزور من قبيلة هواة ينحدرون من جد واحد يدعى وحيين، ولكنهم من أمهات متفرقات، وينتمي إليهم القياد وبنو خطاب وبني مزيلة، وبنو رزق، وبنو مدين، ومن هواة بني خيار في مناطق قصور بني خيار من طرابلس))^(٢٠).

وفي مناطق طرابلس بالغرب تسكن قبيلة بني سيلين المنحدرة من كتامة^(٢١)، وبني سيلين من سرويكش تسكن المنطقة القريبة من الخمس، وأولاد سيف القبيلة البدوية ينحدرون من صنهاجة وهؤلاء معروفون في طرابلس^(٢٢). وفي مناطق ترهونة تسكن قبائل بربرية من اداسة ممتزجة مع هواة في المناطق الواقعة بين طرابلس الغرب والحدود القريبة من جزائر بني مزغنا، وهم بقايا من قبيلة زناتة، المشهورة، وبقايا من قبيلة نفوسة تسكن في صبراته^(٢٣)، وقبائل لواتة ونفوسة واداسة اشهر قبائل البربر التي تسكن في طرابلس الغرب، وهواة ليسوا من سكان طرابلس الغرب الأصلاء، ربما أتت هجرتهم إليها من تونس الغربية أو المغرب الأوسط، من بربر برانس^(٢٤).

وانتشرت قبيلة زواغة المنحدرة من ماذغيس في بعض مناطق طرابلس الغرب، ومن بطونها زواة التي حافظت على لغتها ومذهبها، ومنهم فروع تعربوا وانصهروا في المجتمع كعرب، ولم يبقى لهم أي أثر في طرابلس الغرب فيما بعد^(٢٥)، يذكر ابن خلدون : ((ومنهم زواغة -بنواحي طرابلس الغرب مفترقون في براريها ولهم هناك الجبل المعروف

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

بدمّر^(٢٦) ((^(٢٧)). ويرى ابن خلدون : أن المجتمع المغربي تضعف فيه الفوارق الاجتماعية، فالتدين كان الرابطة التي يجتمع حولها المجتمع القبلي انذاك^(٢٨).

وفي قابس عاشت العديد من القبائل البربرية متجاورة كقبائل لواتة ونفوسة وبطون من ضرية ولماية وزواغة ومطماطة، هؤلاء كانت مساكنهم في الجنوب الغربي من قابس^(٢٩). ففي حاحة سكنت مطماطة^(٣٠)، وفي ساحل خليج قابس استقرت لواتة ونفوسة^(٣١)، يذكر ابن خلدون: ((أن في قبة قابس وطرابلس جبال متصلة بعضها ببعض من المغرب إلى المشرق، فأولها من جانب الغرب جبل دمّر يسكنه أمم من لواتة ويتصلون ببسطة إلى قابس وصفاقس من جانب الغرب ونفوسة ومعهم أمم أخرى من جانب الشرق^(٣٢).

وفي بلاد أفريقيا كلها القيروان وبلاد الجريد وغيرها من مناطق المغرب الأدنى بحسب رواية ابن خلدون تنتشر قبائل البربر : ((أما أفريقيا كلها إلى طرابلس كانت دياراً لنفزاوة، وبني يفرن، ونفوسة وقبائل بربرية لا تحصى، وقاعدتها تونس، لكنهم بعد دخول بني سليم وهلال من قبائل العرب القيسيين نسوا رطانة الأعاجم وتكلموا بلغات العرب))^(٣٣).

وتجاورت منازل قبائل عجيسة وقبائل صنهاجة في بلاد المغرب وكانت منازلهم في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي في ((ضواحي تونس والجبال المطلة على المسيلة وجبل القلعة^(٣٤)))^(٣٥). وهنتانة المصمودة سكنت تونس^(٣٦)، يذكرها ابن الأثير : ((قبيلة كبيرة من البربر في المغرب فيهم أبو حفص عمر لها ذكر عظيم في المغرب))^(٣٧). وأنهم من مصمودة أكثر ((قبائل البربر وأوفرهم عدداً وأوسعهم شعوباً وهم من برنس بن البربر))^(٣٨)، وكانت منازل هنتانة في المغرب الأقصى، وغادر قسم كبير إلى تونس فاستوطنوها^(٣٩). ويذكر برنشفيك عن السلطان الحفصي ((أن السلطان المنحدر من مجتمع بربري عريق، كان يرى من واجبه إسناد المناصب إلى أقربائه، وكان في المقابل يشعر بالأمن بصورة طبيعية وتلقائية))^(٤٠).

وانتشرت قبائل البربر في مناطق بونة وبجاية، وكانت قبائل منحدر من كتامة تسكنها^(٤١). وانتشرت قبائل زواوة في منطقة القبائل الكبرى، حتى عرفت جبال تلك المناطق بجبال زواوة، فبحسب رواية ابن خلدون : ((وأما بلاد بجاية وقسنطينة فهي دار الزواوة

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

وكتامة^(٤٢)) ويرى ابن حزم الأندلسي أن قبيلة زواوة إحدى بطون كتامة^(٤٣). وكانت زواوة الساكنة في أعال أفريقيا على بطون وأفخاذ^(٤٤)، وانتشرت في مناطق القبائل الصغرى قبائل صنهاجة ولوثة في وادي السمام وجبال الياور وفي جبل وسطيف وميلة، وانتشرت كتامة، وفي سهل تاغرت سكنت قبائل سدويكش، وفي مناطق كثيرة من المغرب الأدنى احتفظت العديد من قبائل البربر بأصولهم، ولم يمتزجوا مع العرب من بني هلال وبني سليم^(٤٥). وانتشرت قبائل زناتة البربرية في المغرب الأوسط، وانتشارهم في البلاد كان انتشاراً متمازجاً ومتشعباً ما بين البربر وباقي الأجناس من الأمم الأخرى بحسب رواية ابن خلدون : ((المغرب الأوسط فهو في الأغلب ديار زناتة لمغراوة وبني يفرن ومديونة ومغيلة وكومية ومطغرة ومطماطة)) بعدها سيطرت بني وماتوا وبني يلومي، ثم سيطرت بني عبد الواد وبني توجين، ومنهم بني مادين، وقاعدة ملكهم تلمسان، وفي جهة الشرق من المغرب الأوسط، صنهاجة في بلاد الجزائر ومتيحة والمدية وما يليها إلى بجاية^(٤٦)، وفي المناطق التي حول تلمسان تسكن العديد من قبائل زناتة وغيرهم من القبائل البربرية الأخرى^(٤٧)، وتعد مغراوة الزناتية ذات شعوب وقبائل وبتون متعددة من سكان المغرب الأوسط الأصلاء، ومن قبائلها بني يلبث وبني زندك وبني رواو ومنازلهم من وادي شلف إلى تلمسان، وجبل مديونة وما إليها وهم من البربر، ذوو ملك كبير^(٤٨)، ويسكن بنو لقواطة المغرواويين في نواحي الصحراء ما بين الزاب وجبل بني راشد^(٤٩). وبني يزناس يسكنون جبلاً يعرف باسمهم يبعد عن تلمسان نحو ٥٠ ميلاً من الجهة الغربية من المدينة^(٥٠)، ولبني يزناس قلعة حصينة يسكنها الأمراء من بني يزناس^(٥١).

وسكنت مناطق وادي شلف وجبل وانشريس قبائل بني توجين ومكناسة واورية وكتامة ومطماطة وزواوة، وكلها في مناطق جهة القبلة من جبل وانشريس، والمناطق المحيطة بها وتمتد لتصل إلى مكان قريب من تاهرت^(٥٢)، حتى مدينة تاهرت تسكنها قبائل بربرية^(٥٣)، وفي الصحراء وجبل بني راشد سكنت قبائل بني راشد، وسكن بني تاسالت من قبائل مديونة في قبلة تلمسان، وبني ورنيد من بني دمّر، وامتدوا إلى قصر سعيد، وجبل هواره سكنته قبائل بني يلوما، بعد أن أجلاهم عن ديارهم بني راشد، فامتدت بني يلوما من جبال هواره

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

إلى مديونة وبسائطها ووصلت زحوف بني ورنيد إلى أن وصلت الجبل المطل على تلمسان^(٥٤).

وغلبت مفردة على مازونة^(٥٥)، وفي وهران انتشرت قبائل نفزاوة وبني مسقن من ازدجة ومصمودة^(٥٦)، وفي وسط بلاد المغرب كانت قبيلة عجيسة وهوارة بمناطق الجزائر ووهران^(٥٧).

وانتشرت بطون عديدة من صنهاجة في أقاليم ومناطق من اشير والمدية ومليانة ومتيجة والجزائر التي فيها بني مزغنا وتعرف بهم، وبني خليل ومنتان وبني جعد وبطوية وبني يفاون، هذه أشهر قبائل البربر في المغرب الأوسط ومنازلهم ولكن لا يمكن التمييز بسهولة ما بين منازل البربر عن منازل العرب، لأنهم أثروا وتأثروا حتى يمكن القول فيهم ((ومن انتسب إلى البربر وتكلم بلغتهم فلا شك أنه بربري، ومن انتسب إلى العرب وتكلم بلغتهم فلا يجزم بأنه عربي))^(٥٨).

وفي المغرب الأقصى كانت قبيلة زناتة والتي فيها قبائل مفراوة وبني يفرن وزواغة ومغيلة ومطغرة ومديونة وملزوزة ونفوسة وتوجين والتي يعتقد أن زناتة من القبائل العربية، وأن جدها الأعلى قيس بن عيلان، ومنهم حكام المغرب المرينيين، نزحوا من جزيرة العرب إلى أفريقية^(٥٩).

إن العروبة لم تنحصر وتقتصر على جنس ولون، أو دين واحد لقوم، فما من عرق نقي واحد كما معتقد عند البعض، فالعرب لم يحتقروا البربر كجنس، ولم يقللوا من شأنهم أو قيمتهم الإنسانية، بل رأوا فيهم أنداداً لهم وأصحاب شكيمة، ولدى البربر الكثير ليقدموه، فظهر تشابه ما بين البربر والعرب في العادات والتقاليد، نفسياً وذهنياً^(٦٠)، والبربر كانوا يضجرون من التفرقة بينهم وبين العرب ويرون فيها مغالطة للحقيقية وإيهام ما بعد إيهام، فوقفوا بوجه الفرقة، ومؤكدين أن أصلهم واحد^(٦١).

وكانت مدينة فاس تسكنها قبائل صنهاجة والمصامدة، وتوافدت قبائل التل والصحراء على السكن في فاس وأحوازها، فتنوع السكان البربر ما بين بربر البرنس وبربر البتر، والقبائل التي سكنتها كانت قبيلة لواتة وبتونها منتشرة في فاس وأحوازها، وإلى جنبهم سكنت

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

وشتاتة أحد بطون شعب اداسة، الذين استقروا في جبل زالغ المشرف على مدينة فاس^(٦٢)، ومن بني ضريسة استقرت مطغرة في فاس^(٦٣).

وعلى ضفاف نهر لكسوس استقرت قبيلة ترهونة، في شمال المدينة وتعرف برهونة^(٦٤)، ومن لواته قبيلة كدانة^(٦٥)، وبالقرب من وادي درعة سكنت سدراته المغراوية ومعها قبائل بربرية، كانت غير خاضعة لحكم المرينيين فغزاهم السلطان أبي سعيد عثمان بن عبد الحق وأخضعهم لحكمه ودفعوا له الخراج وهم : سدراته وهوارة وزكارة وتسول ومكناسة وبعض بطون قنشالة وبهلولة ومديونة^(٦٦). ويرى ابن حزم الأندلسي أن سدراته اصولها زناتية^(٦٧). وبني مجز من نفاذة مندمجين في قبيلة زروال المغربية، ومنازلهم جبل سرين^(٦٨).

وبني ورياكل - وريكة - أحد بطون بطوية يسكنون جبل بطوية القريب من فاس، وتمتد منازلهم ليخترقها نهر ورغة^(٦٩)، وينتشر بعض بطونها بريف المغرب الأقصى، وإلى جنبهم انتشرت قبيلة غساسة إحدى بطون نفاذة^(٧٠). وفي تطوان وأحوازها انتشرت قبيلة سوماته وفي تجساس سكنت وردغوس^(٧١). وببلاد السوس وسيق قبيلة بربرية كبيرة^(٧٢). ومن بني نفوسة بطن مسكور منازلهم بالقرب من زاكورة^(٧٣)، وكتامة سكنوا صغرو وهم شعب من ضريسة^(٧٤)، ومن ضريسة بني كومي منازلهم مراكش، و هي منازلهم من ايام الموحدين^(٧٥)، وسكنت مديونة في حصون تاسالة، وجبل وجرة وغيرها من البطون التي تنتمي إلى مديونة منتشرة في بلاد المغرب الأقصى^(٧٦).

ومن قبيلة كومية بعض البطون سكنت حصن الوردانية الذي يبعد عن القرويين من فاس ميلين، وتبعد حصونهم عن ندرومة ثلاثة عشر ميلاً^(٧٧). ولكن أكبر القبائل البربرية المنتشرة بالمغرب الأقصى زناتة والتي منها بني مرين^(٧٨). ولا يخفى أن غالبية سكان المغرب الأقصى كانت أصولهم بربرية من زناتة والمصامدة، واللذين كانت لهم أدوار واضحة في التاريخ المغربي بصورة عامة في العصر الوسيط.

٢ - العرب :

إن الوجود العربي ببلاد المغرب وبلاد أفريقية منذ عام ٨٤ هـ / ٧٠٢م، فقد سكنت البلاد عائلات الجند والعمال - الولاة - والعلماء والتجار الذين ساروا مع الحملات التي فتحت البلاد لحضيرة الإسلام، وكانوا في بداية الأمر قلة فزادت أعدادهم في البلاد وأضحت بلاد المغرب بمرور الزمن من أعز البلاد والبقاع العربية الإسلامية^(٧٩).

وتعزز الوجود العربي في بلاد المغرب بالقرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي عندما قدم إلى البلاد عرب بني هلال وبني سليم ومن سار في ركبهم من عرب المشرق، تلك القبيلتان العربيتان^(٨٠)، اللتان كان لهما الفضل في ظهور العنصر العربي في بلاد المغرب، وقد كاثروا البربر واستطاعوا أن يصهروهم في بوتقة العروبة الإسلامية ويذيبوهم في معدن الإسلام العربي، فقد كانت هجرتهم عبارة عن طوفان بشري دخل المغرب على شكل موجات متتالية كان أكبرها الموجة التي دخلت مدينة برقة، ومنها إلى طرابلس، ومن برقة وطرابلس؛ انسابت : جموع العرب المهاجرة في بلاد المغرب وكانوا ((بأسرهم وأمتعتهم وإبلهم كانت قطعاناً هائلة))^(٨١) ويرى أحد الباحثين أن جميع القبائل العربية التي استقرت ببلاد المغرب كانت من الجماعات التي جاءت مع الهجرة الهلالية، فتمكنوا من الاستيلاء على مدن أفريقية^(٨٢).

فقد استوطنت زغبة الهلاليين بطرابلس الغرب وقابس وأحوازهما، وسكنت بنو رياح القيروان وباجة، واستوطنت الاثنج في قسنطينة^(٨٣). أما مناطق تونس وأحوازها فقد نزلتها قبائل زغب وذباب وبني عوف من بني سليم، فلما رأى الحفصيين حكام المغرب الأدنى قوة شكيמתهم واستحوادهم على البلاد، أعطتهم امتيازات كثيرة وإعفاءات خاصة لهم، وكانت أحياءهم مستقلة عن باقي المناطق، فلم يخضعوا للضرائب، وكان حكامهم لهم مخصصات من أموال الجباية تعطي لهم بدل الحماية للطرق والمسالك يحصلوا عليها من الحكام الحفصيين^(٨٤).

وانتشرت قسم من قبيلة ذباب في مناطق تقع ما بين قابس إلى طرابلس الغرب حتى تصل إلى برقة، وفي أراضي برقة من جهة المغرب حتى العقبة من جهة الاسكندرية كانت منازل

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

زغب وهيب^(٨٥) وبني زغب وذباب المستقرين بطرابلس، كانوا مجموعتين، أحدهما في الجزء الشرقي من إقليم طرابلس وتمتد منازلهم إلى سرت، والمجموعة الأخرى من طرابلس تمتد باتجاه الغرب حتى تصل إلى قابس^(٨٦). وكانت رؤوسائهم من أولاد سليمان وأولاد سالم من بني ذباب ذكر منازلهم ابن خلدون : ((آل سليمان بن هيب بن رابغ بن ذباب ومواطنهم قبلة مغر وغريان ورئاستهم في ولد نصر بن زائد بن سليمان وهي لهذا العهد لهائل بن حماد بن نصر)) أما أولاد سالم ((مواطنهم مسراته إلى لبدة ومسلاته وشعوب آل سالم هؤلاء إلا حامد والعمائم والعلاونة وأولاد مرزوق ورئاستهم في أولاد مرزوق وهو ابن معلى بن معراق بن قلينة بن قماص بن سالم وشيخهم غلبون بن مرزوق فاستقرت في بنيه وشيخهم حميد بن سنان بن عثمان بن غلبون))^(٨٧).

وكانت تسكن في سرت قبائل عربية وهي بلاد فغار يعمرها الأعراب، وبرقة سكانها من العرب البدو وكانوا أهل جفوة وغلظة ((وعرب برقة اليوم من أفصح عرب رأيناه وهم الآن على عربيتهم، لم يفسد كلامهم إلا القليل))^(٨٨). وسكنت عرب الجواري أحد بطون ذباب في طرابلس الغرب وشيخهم كان في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي حميد بن جارية بن وشاح، وامتدت مساكنهم في أراضي تاجوراء وهزاعة وزنزور وماليها، وكان مرغم بن جابر بن عسكر بن مرغم شيخاً عليهم، وشارك الشيخ هجرس بن مرغم رئيس المناطق من طرابلس إلى برقة لحكم الجواري^(٨٩).

ومن بنو ذباب المحاميد مواطنهم بين قابس وجبال نفوسة، وما يتبع لها من الضواحي والجبال، رؤوسائهم أولاد سباع بن يعقوب بن عطية بن رحاب من بني رحاب بن محمود^(٩٠).

والنوائل من بني ذباب منازلهم كانت أراضي تونس، وبنو عوف من بهثة من بني سليم منازلهم في الأراضي من وادي قابس إلى بونة، ومن بطونهم مرداس وعلاق^(٩١)، ومنهم الكعوب أمراء العرب بأفريقية ورئيسهم يعقوب بن كعب^(٩٢). ولهم منازل بساح القيروان وببلاد الجريد، وأغلب منازلهم المناطق الداخلية لمدينة تونس، وبنو عوف مناطق انتشارهم المنطقة الساحلية^(٩٣).

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

وفي المنطقة الشرقية من جبل أوراس تسكن قبيلة كرفة من الاثنج، وكانوا شيعة السلطان الحفصي، وقد اقطعهم الحفصيون جباية الجانب الشرقي من جبل أوراس، وقد كانوا منتشرين ما بين بلاد بونة إلى قسنطينة وإلى أطراف مصقلة وما يحاذيها من الصحراء، وببلاد الزاب انتشر أولاد مبارك بن حباس من الاثنج الهلاليين^(٩٤).

وكانت المنطقة ما بين قسطيلة والقيروان من ضواحي أفريقية منازل بنو رياح وبطونها بني مروان وبني عساكر، أما بنو عتبة الرياحيين فمنازلهم بنواحي باجة^(٩٥)، وكانت الزواودة أو الذواودة منازلهم شرقي قسنطينة^(٩٦). وبحسب رواية ابن خلدون : ((وامتاز الزواودة بملك ضواحي قسنطينة وبجاية من التلول، ومجالات الزاب وزيع واوركلا وما وراءها من القفار من بلاد القبلة))^(٩٧).

ومن احلاف بني رياح كانت بنو فهم التي منها بني طرود ((حي عظيم بأفريقيا وبلاد المغرب ينزلون ويظعنون مع بني رياح))^(٩٨) وفي غرب بجاية وفي جنوبها يسكن تلك النواحي أشرف علويون من قریش، أولاد حمزة بن علي من أبناء سليمان أخي أدريس مؤسس دولة الأدارسة، تعرف بأرض حمزة، يجاورهم فيها بنو يزيد من اولاد زغبة الهلاليين، وتلك الأراضي كانت أقطاعهم وهم من ورون لبني رياح والاثنج^(٩٩).

وعقد سلطان بني زيان يغمراس تحالفاً مع القبائل الهلالية، واستقدم العديد منهم وأنزلهم في تلمسان وضواحيها من بلاد المغرب الأوسط، للاستفادة من خدماتهم، فبنوا مالك بن زغبة، كانوا ثلاث بطون، أشهرها بني سويد وهؤلاء هم حلفاء بني زيان، وكانت أقطاعاتهم كثيرة فقد جبوا أموال العديد من المناطق لصالحهم كبلاد البطحاء وهوارة وكان حلفهم أقوى من حلف بني زغبة مع السلطان يغمراس، فقط أقطع السلطان يغمراس، الشيخ يوسف بن مهدي من أولاد عيسى بن عبد القوي بن حمدان بن مقداد بن مجاهد من بني سويد ببلاد البطحاء، وكان السلطان يغمراس عند خروجه من تلمسان، يستخلف للشيخ عمر بن مهدي شيخ عرب بني سويد على تلمسان وما إليها باتجاه الشرق، وفي عهد السلطان أبوحمو موسى الثاني تملكت بنو زغبة سائر بلاد المغرب الأوسط بالاقطاع من السلطان

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

رعياً لخدمته وترغيباً وتمكيناً لقوته، فالتجأت زناته إلى سيف البحر بعد عجزها عن حماية السلطان^(١٠٠).

فقبائل زغبة وبني عامر والمقل، قبائل عربية كانت لها حظوة لدى السلطان الزياني، وكانت منازل بنو عامر في تلمسان إلى جانب قبيلة زناته، ولهم ريبض في المدينة، وقسم منهم نزل بظهر تلمسان وضواحيها، ومن منازلهم مناطق التلول بعد أن طردوا منها قبيلة زناته، ومن منازلهم الأخرى مناطق متفرقة من الصحراء ثم غادروها إلى بلاد الريف، وفي تيطرى منازل بني حصين ومعها جبل اشير الذي عرف بجبل أولاد حصين، وكان لهم حصناً منيعاً ضد أعدائهم^(١٠١).

وكانت منازل بني عامر بن زغبة بجوار منازل عرب المعقل من الجهة القبليّة لتلمسان، ولبني عامر عدة بطون منهم بنو شافع منازلهم بين وهران وتلمسان، وهؤلاء بطانة السلطان الزياني^(١٠٢)، والثعالبة أحد بطون المعقل ومنازلهم في بسيط متيجة، رئاستهم في أولاد سباع بن ثعلب بن علي بن بكر بن صغير، ولما ملك السلطان أبو الحسن المريني جعل مشيختهم لأبي الحملان بن عائد بن ثابت لأنه من شيعته، فلم تطل مدته، إذ هلك بالطاعون الذي أصاب أفريقية عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م؛ فقام بالأمر من بعده فيهم إبراهيم بن نصر^(١٠٣).

لا يعني هذا الذكر أننا استقصينا جميع القبائل العربية في المغرب الأوسط، ربما هنالك قبائل أغفلتها النصوص التاريخية، فقد كانت توجد أعداد ضئيلة من جماعات متفرقة استوطنت بلاد المغرب وتفرقوا في النواحي وكانوا موزعين وسط البربر^(١٠٤).

وانتشرت قبائل المغرب الأقصى من أيام الفتوحات الأولى، وفي العهد الموحي نقل السلطان عبد المؤمن بن علي^(١٠٥)، العديد من أفراد القبائل العربية إلى المغرب الأقصى : ((الفاً من كل قبيلة بعيالاتهم وبنائهم وكانوا من عرب جشم))^(١٠٦).

نزلت في تادلا بنو جابر أحد بطون جشم وتحيزوا إلى الجبل بجوار صناكة، ورئاستهم في بني ورديقة، وكان شيخهم آنذاك حسين بن علي الوردريقي أيام السلطان أبي عنان المريني، وبني سفيان من بني جشم شيخهم يعقوب بن علي بن منصور بن عيسى بن

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

يعقوب بن جرمون بن عيسى منازلهم بأطراف تامسنا من جهة آسفي^(١٠٧)، وكان شيخ بني سفيان قد وفد على السلطان يوسف بن يعقوب أثناء حصار تلمسان^(١٠٨)، وكانت منازل بني الحارث والكلابية - بنو كلاب - الجشميين في بلاد السوس والصحاري التابعة لها، ومنازلهم الأخرى في بلاد حاحة مع المصامدة^(١٠٩).

وكانت لبني الاثبج منازل متعددة ببلاد المغرب الأقصى، فبطون مقدم والعاصم في بسيط تامسنا، وبني الأخضر، من أولاد خضر بن عامر بن رياح، سمو بالأخضر لسوادهم وهم حلفاء بني مرين، وبنو فادح الهلالين من سكان بلاد المغرب الأقصى^(١١٠).

وبنو العابد رؤوسائهم أولاد عريف من بني زغبة، منازلهم أحواز مدينة سلا وباقي مناطق المغرب الأقصى وهم شيعة السلطان المريني، والديالم من بني سويد منازلهم القنيطرة في سهول الغرب^(١١١). والمعقل منازلهم القفار من بلاد المغرب الأقصى وتنتهي منازلهم من جهة الغرب إلى البحر المحيط ((وهم ثلاث بطون ذو عبيد الله وذوي منصور وذوي حسان بن منصور، منازلهم من تاوريت إلى بلاد درعة فالمناطق ملوية كلها وسجلماسة ودرعة وما يحاذيها من التل مثل تازا وغساسة ومكناسة وفاس وبلاد تادلا، ومنازل حسان من درعة إلى البحر المحيط، ومنازل شيوخهم بلاد نول قاعدة السوس فيستولون على السوس الأقصى وما إليه))^(١١٢).

ولا يمكننا رسم خريطة تحدد مواطن السكان سواء كانوا من العرب أو من البربر ومجالات سكناهم، فذلك من الأمور الصعبة، فالبلاد شاسعة والمدة الزمنية للدراسة طويلة، ودخول العرب إلى البلاد، إذا تبعناه من الفتح إلى بداية مدة الدراسة سبع قرون مضت، ومن هجرة الهلاليين أربعة قرون، وقد حدث في تلك القرون اختلاط من مصاهرات واحلاف وطول مجاورة، فانصهرت القبائل الصغيرة بالكبيرة، وكانت ظاهرة أدعاء النسب والاستلحاق بالأفراد والولاء قد غلبت على أهواء الناس وعواطفهم، ومن كتب من النسابة والمؤرخين ربما وقعوا في وهم أو تعمدوا لرفع نسب وضيع إلى آخر شريف أو العكس، مما يجعل التفريق بين هذا وذاك من الأمر الصعب، وهناك أمر مهم آنذاك رابطة الدين كانت أقوى من كل حسب ونسب، فالأمة آنذاك ببلاد المغرب كانت أمة إسلامية فيها تماسك نوعاً ما، وفي

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

كلمة أخيرة يقول مارسية : ((نحن لا نشك في أن الغزو الهلالي - لبلاد المغرب قد ساعد على انتشار استخدام اللغة العربية في الريف البربري))^(١١٣).

٣- النصارى :

إن الموقع الجغرافي لبلاد المغرب على مدخل الصحراء لقارة أفريقيا، ولوجود ساحل طويل على البحر المتوسط، وتعدد الموانئ في البلاد، كانت البلاد مركز استقطاب للأجناس العديدة، والتي دخلت البلاد واستقرت فيها، سواء على شكل مجاميع صغيرة أو أفراد، وكانوا بأعداد صغيرة ولاسيما التجار، أو كعوائل أسست مراكز تجارية، لكن هذه العناصر التي استقطبتها البلاد لم تؤثر على التركيبة السكانية ببلاد المغرب، ولم يكن لهم دور كبير، وهناك عامل آخر سبباً لدخول عناصر جديدة إلى المجتمع المغربي وهو عنصر العبيد سواء كانوا أسرى حروب وعن طريق الشراء، استقطبت الجندية الراغبين بدخول البلاد كمحاربين بعض العناصر، هذه هي العمليات التي أدت إلى استقرار عناصر جديدة ببلاد المغرب، وكانوا جزء في المجتمع.

إن الوجود النصراني ببلاد المغرب قديم، لكنهم كانوا متفرقين في المجتمع الإسلامي، فالتجار لهم دور كبير وفعال بشراء العبيد من بلاد الأفرنج، واستعملوا في فرق الجيش المرابطي، فمنهم فرقة خاصة، وكانت جناحاً كبيراً، مما دفع الراغبين في العمل العسكري القدوم إلى بلاد المغرب، وكانوا معاهدين تركت لهم حرية العبادة وفق عقائدهم والاحتفاظ بشعائريهم والقوانين الخاصة بهم. ووجد ببلاد المغرب أسقفية لعبادتهم وقضاة خاصين بهم لفض النزاعات، فقد لعب الأسطول المرابطي دوراً مهماً في جلب الأسرى النصارى إلى بلاد المغرب، فعند غزوه لسواحل بلاد الأفرنج استقدم المئات من الأسرى وأسكنهم في مراكز، ونقل السلطان علي بن يوسف العديد من النصارى من الأندلس إلى بلاد مكناسة وسلا والمدن الأخرى من بلاد المغرب^(١١٤). إن عمليات نقل النصارى من الأندلس وتعريبهم شجعت بعضهم على المشاركة في الجيش المرابطي، ومن بقي منهم، وزعته السلطة المرابطية في مدن أفريقية وباقي بلاد المغرب للاستقرار فيها، ولهم قائد في الجيش يعرف بقائد الروم^(١١٥).

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

وعمل العديد من النصارى في حماية قصور الأمراء من المرابطين وهؤلاء كانوا من الغلمان الخصيان، الوجود النصراني في بلاد المغرب كان منذ دخول المسلمين إلى البلاد، فبعض السكان من البربر والأفارقة كانوا نصارى وأخذ المسلمون منهم الجزية^(١١٦)، وفي مدة الدراسة استعمل السلاطين في بلاد المغرب بأجمعها النصارى في قصورهم للخدمة ((ويخدم الملك داخل القصر جاريات مسيحيات وعدد كبير من الخصيان الساهرين على الحريم))^(١١٧).

وعند الحفصيين عمل النصارى كفرقة من الجند الخيالة، وكانوا من أسرى الحروب أو ممن تم شراؤهم من نصارى الأندلس وإيطاليا وصقلية، وظلوا متمسكين بديانتهم، وعملت طائفة منهم كحرس خاص للسلطان، وكانوا من الخصيان المعلوجين، وللنصارى ريبض خاص من أرباض تونس وضواحيها، وعمل النصارى في أعمال ومهن لم يعتد المسلمون مزاولتها : ((حارة تكون هي الأخرى شبه ريبض صغير يسكنه نصارى تونس الذي يستخدمون في حرس الملك ويزاولون حرفاً لم يعتد المسلمون ممارستها)) وكان يوجد حي خارج تونس منطقة باب البحر ((ينزل به التجار الأجانب أمثال الجنويين والبنادقة والقطلونين، ولهم فنادق وملاجئ خاصة))^(١١٨).

وانتشر في البلاد الحفصية العديد من الأسر النصرانية سواء قدموا اضطراراً أو بالشراء أو الأسر، وأصبح لهم دور في الإدارة السلطانية، وساهموا ببعض الأنشطة، فأغلب جوارى القصر الحفصي من النصرانيات وحافظن على ديانتهم، وقد ساهمن في نمو السكان بواسطة أبنائهن الذي يولدون على دين آبائهم^(١١٩).

وكانت العلاقات الحفصية مع أغلب الممالك الأوربية جيدة، مما أثر في استيطان النصارى في البلاد وإقامتهم بفنادق خاصة بهم، فلتجار النصارى قنصل يمثل دولته، وله الحق أن يقابل السلطان ويشرف على شؤون أهل جلده بالبلاد الحفصية، فتمتع النصارى في بلاد المغرب الأدنى بحرية وأقاموا طقوس عبادتهم وكانت لهم أماكن للعبادة في البلاد مثل كنيسة مريم وكنيسة بطرس في بجاية وغيرها^(١٢٠).

واصطنع السلطان الحفصي عدد من الموالي المعلوجين الذي أضحت لهم مكانة في قيادة الجند الحفصي ((والعمل كولاة على المدن حتى زاحموا الموحدين في مراكز

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

الدولة^(١٢١)). ففي عهد السلطان أبي البقاء خالد بن أبي إسحاق إبراهيم، أحد مواليه يدعى منصور المعلوجي أخذ البيعة له على الناس^(١٢٢)، وبحسب رواية الوزير السراج إن المعلوج منصور كان قد اعتقه أبي إسحاق بعد أن كان مملوكاً، أخذ الحرية وبقي على نصرانيته^(١٢٣)، وتولى بعض النصارى الإمارة في العهد الحفصي كأمر جربة العالج منصور، والأمير ظافر أمير طرابلس وغيرهم^(١٢٤).

للنصارى كانت الحرية ولم يظهر ضدهم تمييز إلا في بعض الأحيان، والذي كان يميزهم أيام الحفصيين لبس القلنسوة بدل العمامة، فهم يخضعون لسلطة قضاتهم ويرتدون الملابس التي يرتديها الأهالي، وعمل الكثير منهم كترجمين وشهود في الوثائق المعقودة بين الحفصيين والدول الأوربية، ومع النصارى من بلدان أخرى، ومن مظاهر التسامح في المجتمع في بلاد المغرب الأدنى أن لهم في تونس كنيسة جميلة في ربض النصارى وتحمل اسم القديس فرانسوا تدق أجرسها كل يوم في تونس^(١٢٥). وقام السلطان الحفصي أبي سعيد عثمان، بإسكان النصارى بأحد أرباض تونس الملاصقة لقصبة البلد والذي عرف بحومة العلوج^(١٢٦)؛ وكانت العبيد من النصارى البيض يباعون في سوق يعرف برحبة المعرض قرب جامع الزيتونة في تونس^(١٢٧).

وفي بلاد المغرب الأوسط وجد النصارى، وكان وجودهم قديم فاستقروا بالبلاد ومارسوا أنشطتهم، وعند قيام الدولة الحمادية^(١٢٨)، استقبل أمراؤها أعداداً كبيرة من النصارى وخطوهم بالمجتمع، واستعانوا بهم في العمران، ولما كان المسلمون مظهرين للتسامح معهم، مارسوا طقوسهم بحرية، وأظهروا تقليداً لبعض عادات وتقاليد المغاربة من لباسهم ومظهرهم، وكان لهم في كنيستهم قس يتابع شؤون النصارى ببلاد المغرب الأوسط^(١٢٩).

واستخدم سلاطين بني زيان النصارى في قصورهم، وكان أغلبهم من عبيد الشراء المجلوبين من دول أوربا، وبعضهم كانوا يقدمون كهدايا من الأمراء والسلاطين فيربوا تربية إسلامية ويعملون في خدمة السلطان في قصوره، وعملوا في الجيش وحراسة السلطان^(١٣٠)، وفي عهد السلطان أبي تاشفين عبدالرحمن الأول ((قام بالبناء وتشيد القصور بالآلاف من

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

البنائين من الأسرى الروم مما يخلد آثاره))^(١٣١) وفي عهد الحميري كان في تلمسان ((يوجد بقية من النصارى وكانت لهم بها كنيسة معمورة))^(١٣٢).

وتولى النصارى مناصب في الدولة الزيانية من قيادة الجيش وعمل بعضهم كوزراء، فالسلطان أبو حمو موسى الأول وابنه الأمير أبو تاشفين الأول كان لهم عدداً من المعلوجين يقومون بخدمتهم، وللأمير ابن تاشفين أترباً من النصارى يقومون بخدمته ومرباه ومنشئه، منهم هلال القطلوني، ومسامع الصغير وفرج بن عبدالله وظافر ومهدي وعلي بن تاكررت وفرج شقورة، وكانوا تحت رهبة السلطان أبوحمو، وكانوا يغرون مولاهم أبي تاشفين بقتل أباه السلطان أبي حمو، حتى فعل ما أرادوه^(١٣٣). فلما تولى السلطة أبي تاشفين بعد مقتل أبيه، أدنى هلال القطلوني ورفعته إلى رتبة الحجابة ((وكان مهيباً فظاً غليظاً))^(١٣٤).

وكان وجود النصارى في الدولة الزيانية منذ عهد السلطان يغمراس، الذي استخدم النصارى في جيشه، واستكثر منهم، فلما استقل أمرهم بتلمسان أرادوا الغدر به، فعندما استعرض جنده عند باب القرمادين من تلمسان، أرادوا الفتك به، فلما وقف ينظر إلى جنده هاجمه قائد النصارى، فلم يخلصوا إلى السلطان فقتلوا محمد بن يغمراس، فقامت الجند الزيانيين على النصارى وقتلوه في البلد^(١٣٥).

وفي عهد السلطان أبوحمو موسى الثاني كانت في تلمسان فرقة من النصارى تعمل على حراسة السلطان، وكانت للموائى أثراً في وجود النصارى ببلاد المغرب الأوسط، فقد كانت هناك العديد من الفنادق بتلمسان ووهران، ينزل فيها النصارى من جنوا والبندقية، ومنها يشرفون على التعاملات التجارية، والتجار النصارى ويوجد من كل دولة قنصل معتمد لدى السلطة الزيانية، ولما غرب السلطان أبي تاشفين الثاني إياه السلطان أبو حمو حملة تجار قطلونيين من ميناء وهران^(١٣٦).

وكثر النصارى بمدينة وهران ((حتى أصبحت المدينة تزخر بالأسرة المسيحيين)) وفي عهد السلطان أبي تاشفين الأول، أرسل ملك أراغون مبعوثاً إلى تلمسان يطلب من السلطان أبي تاشفين إطلاق سراح النصارى الموجودين في بلاده، فرد السلطان أبي تاشفين : ((ما أشرتم إليه من تسريح من عندنا من الأسرى فصعب لأن ذلك يخلي المواضع ويعطل ما

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

يحتاج إليه من أنواع الصناعات)) مما يعني أن سلاطين بني زيان استفادوا من النصارى والأسرى في إعمار مدينة تلمسان وشيدوا فيها البنايات واغترسوا فيها الأشجار، فالآلاف من الأسرى كانوا يعملون في خدمتهم^(١٣٧).

وكان وجود النصارى ببلاد المغرب الأقصى قديم، ففي العهد الموحي كانت لهم كنيسة في مراكش تعرف بكنيسة نوتردام، وتوجد دور للنصارى، وفرقة من الجند النصراني تعمل في خدمة السلطان، فالسلطان المرتضى الموحي كان جيشه من العرب والروم والموحيين، وإذا حدثت معركة استنفر الناس ومنهم قادة الروم^(١٣٨).

وفي العهد المريني وعندما بنيت فاس الجديدة وسكنها الناس، قام السلطان يعقوب بن عبدالحق ((بإخراج أجناد الروم)) لأنهم أظهروا الأذى فخافهم الناس، وبنى لهم ربض خارج المدينة وأسكنهم إياه^(١٣٩).

وعرف أحد أبواب فاس باسم باب الكنيسة، لوجود كنيسة للنصارى خارج فاس وللأسر من النصارى كان يوجد حي خاص بهم، لكن أعدادهم كانت قليلة، السبب عدم اطمئنان السلاطين من بني مرين للنصارى لأن أغلب حربهم كانت مع الممالك الإسبانية حتى أن الأمراء المرينيين وقادتهم إذا ما شاهدوا أمراً يرفع من قدر النصارى مقتوه^(١٤٠).

وعملت فرقة من الجند النصارى في خدمة المرينيين، والتي كانت تقدر بأربعة آلاف مقاتل، وكانوا من الفرسان ما يقارب خمسمائة على عهد السلطان أبي الحسن المريني، ومنازلهم بربض النصارى وكانوا يقومون على خدمته^(١٤١). وحرصاً من السلطان أبي الحسن على المحافظة على ولائهم إلى جانبه منحهم رواتب سخية، وما كان يؤخذ من مكوس ويعطى في رواتبهم رفعه^(١٤٢). وأظهر سلاطين بني مرين تسامح مع النصارى، فإذا أظهر أحد القادة أو الأمراء عداً أو أذى للنصارى كانوا يعقابونه^(١٤٣)، وهذا ما فعله السلطان أبي ثابت بن أبي عامر مع محمد بن يوسف في مراكش ((فقتل جماعة من جند الفرنج الذين بها وسبى ذراريهم))^(١٤٤).

وأثناء حدوث الفتن في فاس كان يتعرض النصارى للأذى، فقد ثارت العامة على النصارى أيام السلطان أبي عمر تاشفين بن أبي الحسن، فلما قتل قائدهم غرسيه، قتلت

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

العامّة الجند النصارى ولاحقوا من فر منهم إلى ربضهم المعروف بالملاح جوار فاس الجديدة، فقتلوا جند النصارى أينما وجدوهم من سكك المدينة^(١٤٥)، وكانت تلك الحادثة بسبب المصالح والانفراد بالسلطة وليس ضد النصارى، فالنصارى كانوا يؤدون طقوسهم الدينية في أماكن العبادة التابعة لهم، ومعهم أولادهم ونساءهم، دون عناء أو مضايقة، فقد كانوا فئة مرحب بها في مناطق المغرب لما لهم من روابط وأواصر ومصاهرة، ويتعاون معهم المسلمين ما داموا متعاونين^(١٤٦).

٤ - اليهود :

أحدى الفئات والطوائف الموجودة ببلاد المغرب، وكانت فئة مرحباً فيها بالمجتمع، ولم يعاملوا بقسوة إلا عندما ينقضوا عهدهم أو يخونوا الأمانة، وقد وفد اليهود على بلاد المغرب في عدة هجرات، أتوا البلاد عوائل وجماعات صغيرة، ومنهم من أتى لأغراض التجارة، ومنهم من أتاه أثر الاضطهاد، ولاسيما من الأندلس بعد استرداد المدن الأندلسية من قبل النصارى، وتلك الموجات الصغيرة لم تؤثر في تركيبة المجتمع المغربي، وكانت أكبر الجاليات اليهودية في بلاد المغرب الأقصى، وفيها تولوا المناصب الحكومية، ومنهم من وصل إلى مرتبة الوزارة أيام المرينيين.

كانت بعض المجموعات اليهودية الصغيرة منتشرة في الحصون والجبال المغربية منذ الفتوحات الأولى، وحافظت على مناطقها مع مرور الأيام، فمثلاً قبيلة نفوسة البربرية كان من عناصرها من يعتنق الديانة اليهودية، في مناطق متفرقة من طرابلس إلى قابس، على الطريق التجاري ما بين طرابلس الغرب وقابس وصولاً إلى الصحراء، ودخولاً ببلاد السودان، وكان يوجد بيعة لليهود في قابس، في قرية البلد ومعبد في القيروان، وموقع المعبد في الجزء الشرقي من المدينة، وتلك المنطقة يوجد فيها العديد من الدور المتناثرة في أحياء القيروان، وخارج المدينة، وكان للطائفة اليهودية رئيس يعرف بالناجذ، ومكان إقامته في القيروان التي منها يتابع أحوال اليهود في البلاد الأفريقية^(١٤٧).

والمعبد اليهودي في القيروان عبارة عن أكاديمية بجوارها عدداً من منازل اليهود ومزار لليهود، مما جعل لليهود أفريقية اتصال مع إخوانهم اليهود في باقي البلاد وقد عمر المعبد والبيعة أيام الحفصيين^(١٤٨).

وكان اليهود يمارسون شعائرهم الدينية بحرية تامة، ولا يوجد تمييز ما بينهم وبين باقي السكان إلا في حالات نادرة، وإذا ارتكبوا جناية يحاكمون من قبل قضاة المسلمين، وتولى اليهود مناصب عليا في الدولة الحفصية كمدير جمع الرسوم المفروضة على البضائع التي تخرج من تونس للتصدير ((وتسند هذه المهمة عادة إلى أحد اليهود الأغنياء))^(١٤٩).

وكانت الطائفة اليهودية منتشرة في العديد من مدن المغرب الأدنى، في تونس وجزيرة جربة، والمدن الساحلية من أفريقية كجاية وعنابة وطرابلس، وفي مسراته عدة عوائل يهودية، ووجدت شواهد قبور لليهود عليها تواريخ من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، ووجدت جاليات يهودية في قسنطينة وعلى أطراف الصحراء على الطرق التجارية المؤدية إلى مناجم الذهب وفي بلاد الجريد ونفزاذة ومطماطة وفي بسكرة، وأواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وهناك جاليات لا تتجاوز بضع مئات في مناطق من طرابلس الغرب، وأظهر الحفصيين تسامح مع اليهود المهاجرين من الأندلس إلى بلادهم، ولاسيما عندما اضطهدهم ملكي قشتالة، مما يعني أن البلاد الحفصية كانت ملاذاً للعائلات المهاجرة من المسلمين واليهود الذين غادروا الأندلس مرغمين^(١٥٠).

وسكنت بعض العوائل اليهودية ببلاد المغرب الأوسط، ومنذ زمن طويل، فكانوا أصحاب مهن متواضعة وتجار، وقسم جاءوا مهاجرين من الأندلس، واليهود الأندلسيين كانوا الطبقة العليا من طبقات المجتمع اليهودي، ولليهود حارة خارج أسوار تلمسان^(١٥١).

وكانت الحارة اليهودية ((تضم نحو خمسمائة دار لليهود، كلهم تقريباً أغنياء يضعون على رؤوسهم عمامات صفراء))^(١٥٢). وقد عملوا في التجارة والصناعة، وبعد أن كانت منازلهم خارج تلمسان، تمكنوا من الدخول إلى داخل المدينة عندما عالج أحد اليهود وكان طبيباً زوجة السلطان أحمد العاقل عام ٨٦٦هـ/١٤٦٢م، فالطبيب اليهودي رفض قبول

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

الأموال من السلطان الزياني مقابل علاج زوجته ، وطلب من السلطان السماح لليهود الإقامة داخل مدينة تلمسان، وسمح لهم اتخذوا فيها المنازل^(١٥٣).

وكان الوجود اليهودي ببلاد المغرب الأقصى كبيراً جداً، وكان لليهود دور كبير في الحياة العامة، وتولوا المناصب الكبيرة والخطيرة في الدولة المرينية وكانت لهم حظوة عند السلاطين استغلوها لصالحهم، ففي عهد السلطان يوسف تولى خليفة بن وقاصه الحجابة وفوض إليه السلطان وزارته، فمكر اليهودي بحاشية السلطان، فلما علم بمكر اليهودي قتله وحجم من دور اليهود بالبلاد من بعده^(١٥٤).

وفي عهد السلطان أبي الحسن أظهر معهم التسامح، ورفع عنهم أموال كانت تأخذ مع الجزية: ((وصارت أخت الجزيات المضروبة على أهل الذمة بل أشد، فأسقط كل ذلك))^(١٥٥)، وكانت في فاس أكبر جالية يهودية في بلاد المغرب^(١٥٦)، ويوجد منهم عوائل في أقاليم أخرى، كإقليم الحوز، وإقليم الريف، ومدن شفشاون وبادس وغساسة وتغزه التي فيها ما يقارب المئتي بيت^(١٥٧).

استطاع اليهود من أن يعيشوا في سلم في المجتمع المغربي، وكان لليهود حي خاص بهم، بعد عام ١٤٣٨/هـ ١٤٤٢م، مما يعني أن اليهود كانوا يعيشون داخل فاس منذ نشأتها إلى العام المذكور، فعندما قام السلطان المريني بإخراج اليهود من داخل فاس إلى حي خارجها خاص بهم، تجنباً للتوتر الذي حدث بين المسلمين واليهود، لأنهم كانوا يقومون بأفعال تثير حفيظة المسلمين^(١٥٨). وفي عهد السلطان عبد الحق المريني آخر السلاطين المرينيين، كلف رجلين من اليهود بتولي الوزارة ((فشرع اليهود بأخذ أهل فاس بالضرب والمصادرة على الأموال، واعتزاز اليهود بالمدينة))^(١٥٩)، حتى ثارت العامة عام ١٤٦٥/هـ ١٤٦٩م وقتلت السلطان وتخلصت من اليهود^(١٦٠)، وهذا الأمر لا يعني أن اليهود كانوا يعيشون في اضطهاد، فقد عاشوا في أغلب مدة الدراسة على مبدأ التسامح وكانت لهم أحياء خاصة في أغلب المدن، وكان دورهم محاطة بدكاكين وبيع وديار حسنة البناء وعاملهم المسلمون من أهل المغرب بروح من التسامح^(١٦١).

بعد أن تدهورت الأوضاع ببلاد الأندلس، آثر العديد من أهلها التوجه إلى بلاد المغرب للإقامة في أراضيه، فهاجرت العديد من العوائل الأندلسية وأقامت في تونس ومدن أخرى في المغرب الأدنى، وذلك لما تتمتع به البلاد من استقرار، فالمغرب بالنسبة للأندلسيين كانت الملاذ الأخير يقول ابن خلدون : ((فلما تكالب الطاغية - ملك قشتالة - على الدولة والتهم ثغورها والتهم بسائطها، أجاز الأعلام وأهل البيوت إلى المغربين وأفريقية، وكان قصدهم تونس أكثر، لاستئصال الدولة الحفصية بها، وكان السلطان الحفصي يستقبل الوافدين من أهل الأندلس ويكرمهم))^(١٦٢).

وأخذت موجات المهاجرين الأندلسيين على بلاد المغرب تزداد وبحسب رواية المقرئ: ((كان خروج جمهورهم إلى تونس وألوف أخرى إلى تلمسان ووهران وألوف بفاس))^(١٦٣) واصبح الأندلسيون يشكلون جاليات جديدة في مجتمع المغرب، فسكنوا في مدينة تونس في أحياء خاصة بهم كانت في الجهة الشمالية الشرقية. وأحيائهم التي بنوها في بلاد المغرب، كانت شبيهة بأحيائهم في الأندلس مما أبهر أهل أفريقية والمغرب^(١٦٤). وكان أغلب المهاجرين الأندلسيين من العلماء والفقهاء والأدباء، فانتشروا في أفريقية وأقاليمها^(١٦٥).

وهاجر العديد من عوائل الأندلس إلى تلمسان، فقد كانت تشهد بلاد المغرب الأوسط نوعاً من الاستقرار والتطور، فاستقرت أغلب العوائل المهاجرة في تلمسان، وجلهم علماء وأدباء ومنهم أثرياء امتهنوا العمل في الصيرفة، لما لتلمسان من مكانة تجارية ومحطة للقوافل الرابطة بلاد السودان بالعالم المحيط بها أو بموانئها مع أوربا، وتولى بعض المناصب في الدولة الزيانية بلغت رتبة الحاجب وصاحب الأشغال أو كاتباً في ديوان الانشاء، وأظهر السلاطين من بني زيان حفاوة واهتمام بالأندلسيين، تقديراً لما كان عليه الأندلسيين من خبرة وإطلاع مع معرفتهم للكثير من الحرف والمهن، وعرف أحد دروب تلمسان بدرّب الأندلس، ولم يقتصر وجود الأندلسيين في تلمسان، فقد سكنوا في هنين وندرومة وتنتس والجزائر وباقي مدن المغرب الأوسط^(١٦٦).

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

وهاجر الأندلسيون إلى المغرب الأقصى، وقد حظوا لدى أهل المغرب بمكانة واحترام، فقد ميزوهم بالإكرام، فالمهاجرين كانوا في الأعم الأغلب من العلماء وذوو العلوم، فاستوطنوا فاس وباقي مدن المغرب الأقصى، وشاركوا أهل فاس ومدن المغرب بالحياة الدينية والثقافية، وبعضهم شارك في الجيش المريني، فالأندلسيون كانوا رماة محترفين، وكان قائد الأسطول المريني أندلسي، وفي عهد السلطان تاشفين الموسوس، كان للأندلسيين قائداً للجند في الجيش المريني^(١٦٧).

٦- عناصر أخرى في المجتمع المغربي :

كانت تعيش في بلاد المغرب عناصر سكانية غير التي ذكرنا، وكانت فئات سكانية مرحب بها، منهم من كان في الجيش على مستوى عالٍ في القيادة والخبرة، مع خدمة الأمراء والسلطين، ومنهم من هاجر اضطراراً من بلاده أو جاء تاجراً واستقر في البلاد، ومنهم من كان يمثل فئة العبيد وهذه كانت أكبر الفئات المتفرقة من العناصر في المغرب، مما يعني أن المجتمع اختلطت فيه العديد من الأصناف والأجناس، وأن هذا الاختلاط ليس وليد الصدفة، فقد هيأت الظروف التي كان يعيشها أهل المغرب في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، فالبلاد كان مهياً لاستقطاب الجماعات، ولكن الفئات المجتمعية الصغيرة كانت وفق هجرات أو موجات صغيرة ومحدودة، لم تؤثر كثيراً فدورها كان محدوداً، بالرغم من أن بعض من عناصر هذه المكونات تولت مناصب ووظائف مهمة إدارية وعسكرية وكان من أبرزها :

أ- السودان :

إن وجود العنصر السوداني بالبلاد المغربي، منذ العهد الإسلامي الأول، فالموقع الجغرافي وتجاور المنطقتين سهلت عمليات الهجرة أولاً وشراء العبيد الأسود ثانياً، وقد عمل أمراء المسلمين في بلاد المغرب على جلب العبيد الأسود : ((واستكثر منهم وبلغ تعدادهم ثلاثة آلاف وقد أسكنهم تونس))^(١٦٨)، وقال ابن خلدون : ((قوم من السودان يقال لهم لملم وهم كفار ويغير عليهم السودان المسلمون من أهالي غانة والتكرور ويسبونهم ويبيعوهم إلى التجارة فيجلبون إلى المغرب وكلهم عامة رقيق أهل المغرب))^(١٦٩).

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

وقد اعتاد تجار أهل المغرب السفر لغرض التجارة إلى بلاد التكرور ((ويرجعون منها بالخدم)) ومدينة زويلة بالقرب من بلاد الكانم : ((ويجلب إليها الرقيق من السودان)) ومن زويلة يدخل الرقيق الأسود إلى أفريقية^(١٧٠) وقد سعى عمال بلاد المغرب وولاته على الاكثار من شراء الرقيق من السودان، حتى إنه فرض على كل عامل ثلاثين عبداً، وأخذ خراج البلاد من العبيد الأسود فاجتمع الألوف منهم في أفريقية^(١٧١).

وقسط أحد الأمراء الموحديين على مدن المغرب أعداداً من العبيد الأسود ليشاركوا في المعارك كمحاربين ((وكان قسط اهل فاس ثلاثمائة غلام من سودانهم برزقهم وسلاحهم ونفقاتهم يخرجون وذلك من أموالهم ففعلوا))^(١٧٢) وأثناء حروب المرابطين والموحدين مع ممالك الإيبان في الأندلس كانت توجد ((فرق من المشاة السودان المسلمين بالسهم ودرق اللط لطن خيول الإيبان فجمحت وولت الأدبار))^(١٧٣).

وكانت أعداد كثيرة من العبيد السود تعمل في الخدمة، في منازل أهل المغرب، وعملوا في الفلاحة، وحراس لدى العوائل الغنية ببلاد المغرب الأدنى، وحدثت عمليات زواج ما بين بعض الاشخاص والنساء الزنجيات المشتغلات في المنازل^(١٧٤)، يذكر برنشفيك : ((ولم يكونوا بمعزل عن الاختلاط، فبواسطة النساء، ولاسيما العاملات في البيوت، وكن يتمتعن بحظوة لدى رب العمل أو أحد أبناءه تسرب الدم الأسود إلى الكثير من العائلات، ولاسيما في المدن الشمالية، أما في الجنوب فقد كانت الدماء السودانية تجري في عروق عدد كبير من الأشخاص))^(١٧٥).

وتعد سجلماسة البوابة التي يدخل منها العنصر السوداني إلى بلاد المغرب ولاسيما المغربين الأوسط والأقصى، فقد كانت تجلب إلى سجلماسة النساء السودانيات اللواتي يستعملن في المطابخ، وقدرتهن على عمل الأطعمة الطيبة والتي ما لا يعمل غيرهن^(١٧٦). ويذكر التازي: ((إن العنصر السوداني كان موجوداً في بلاد المغرب الأقصى منذ زمن عندما تبودلت الهدايا والمراسلات ما بين المرينيين وحكام دولة مالي، والتي على أثرها دخل بعض السودانيين إلى فاس للدراسة، مما يعني أنهم استقروا في بعض البلاد وخالطوا أهلها))^(١٧٧).

ب- الأغزاز والأكراد :

لا يخفى أن العنصر التركي مختلف عن العنصر الكردي، وقد خلطت المصادر التي كتبت عن بلاد المغرب بينهما لأنهما دخلا بلاد المغرب عن طريق الديار المصرية ولم يميز بينهما، فالأغزاز دخلوا شمال أفريقية كعساكر وعملوا في جيوش الموحدين، وحظوا لديهم برعاية خاصة^(١٧٨).

أما الأكراد أبرز الأقوام التي كانت شبيهة بالأقوام العربية، واصنهرت مع العرب واندمجت في بعض بلاد المشرق وعملوا في الجيش تحت قيادة واحدة لتشابههم في العادات والتقاليد ويتحلون بالصفات نفسها ووحدة واحدة من التآخي^(١٧٩)، كذلك دخلوا بلاد المغرب من مصر، فعلى أثر عامل الاختلاف بين قادة الجيش والسلطان المملوكي، غادر القاهرة إلى أفريقية عدداً من القادة والجنود الأكراد والتركمانيون الأغزاز، فلما وصلوا إلى أفريقية عملوا في الجيش الحفصي، فقد عمل أحد القادة الأكراد اللاجئين إلى تونس وكان اسمه الأمير أبي عبدالله محمد بن عبد العزيز الكردي أميراً ومزوراً ومقديماً على بطانة السلطان أبي يحيى أبي بكر، ولقوا حظوة لدى الأمراء لما كانوا يتمتعون به من كفاءة وقدرة، واستمر الأكراد والأغزاز في الجيش الحفصي، وكانت منهم فرقة تعمل في الجندية في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي^(١٨٠).

وفي الجيش الزياني كانت توجد فرقة من الأغزاز، وأتباع وحامية من الأكراد واشتهر من قادتهم في عهد السلطانين أبوحمو موسى الأول وأبي تاشفين الأول القائد علي بن حسين وموسى بن علي الأكراد، وتولوا مناصب عليا في قيادة الجيش الزياني لغزو البلاد الحفصية ولاسيما مهاجمة قسنطينة وبجاية، وأعطيت إمارة الجزائر للقائد سعيد بن موسى بن علي الكردي^(١٨١)، واندمج العنصران التركي والكردي بالمجتمع المغربي وذابوا فيه، وأصبح الأكراد والأغزاز مجموعة واحدة^(١٨٢).

وفي عهد السلطان المريني يوسف بن يعقوب تولى أحد القادة الأكراد الوزارة، وحمل رسالة السلطان المريني في عام ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م إلى السلطان المملوكي، ومعها إمارة الحج على الركب المغربي، وهو الأمير ايدغدي الشهرزوري^(١٨٣). وأيام السلطان أبي الحسن

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

وصلت أعداد الأغزاز في الجيش ألف وخمسمائة فارس من غير المشاة^(١٨٤) وأثناء مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في فاس، شاهد استعراض الجند المريني على عهد السلطان أبي سالم ابراهيم عام ١٣٦٠هـ/١٣٦٠م وكان في الاستعراض ((كراديس من الغز الرماة الناشبة))^(١٨٥) وبهذا يكون الأتراك والأكراد عنصراً مهماً من مجتمع المغرب.

ج- الأرمن :

المعلومات عن وجود الأرمن شحيحة في المصادر المتوفرة، ويبدو أن دخولهم إلى بلاد المغرب كان لأغراض التجارة، ونعلم أن للأرمن مجاميع مستقرة في مصر ومنذ النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/القرن الحادي عشر الميلادي، ومن مصر هبطت إلى تونس واستقرت في جزائرها وبعض المناطق الساحلية، ويذكر بأنه سكنت في جزيرة جربة وبعض أجزاء الساحل الشرقي لتونس ((يسكن جيل متميز من الناس يختلفون عن حولهم من الناس، وهم من الجماعات التي أطلق عليها إيت))^(١٨٦)، واستمروا بدخول أفريقية بموجات متقطعة وصغيرة^(١٨٧)، ولا بد أن أثرت في المناطق الشرقية من الدولة الحفصية دخول بعض عناصر الأرمن إليها^(١٨٨).

ويذكر أحد المؤرخين الأرمن : ((توجد في دول المغرب العربي أسر أرمنية قدمت إلى بلاد المغرب من البلاد العربية الأخرى، ولربما قدومها لغايات اقتصادية وتجارية، فقد كان للتجار الأرمن دور كبير في أفريقية وذلك منذ القرنين السادس والسابع الميلاديين، وقد انتشروا وتمركزوا في مصر أولاً، ثم منها دخلوا بلاد المغرب، فاتجهوا في أنحاءها))^(١٨٩).

هذه أبرز عناصر المجتمع المغربي من الحدود الشرقية مدينة برقة إلى المحيط وجبل طارق غرباً، وتعامل مع جميع العناصر حكام البلاد بروح محببة إلى نفوس المجتمع، وتعاملاً منفتحاً مع جميع الأجناس، والمجاميع الصغيرة من النصارى واليهود والأرمن نعتقد أنها آثرت الإقامة على الطريق المؤدي إلى بلاد السودان أو مدن السواحل، والتي كانت فيها أسواق للعبيد والذهب، لكنها تعايشت وامتزجت بطابع المغرب الكبير.

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

الخاتمة

عنيت هذه الدراسة بالبحث في عناصر المجتمع المغربي في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين وتوصلت إلى بعض النتائج منها :

- 1- وجود تنوع كبير في تركيبة المجتمع المغربي عرقياً ودينياً، فعاش المسلمون إلى جنبهم عاش النصارى واليهود في أحياء خاصة بهم، وعاش البربر والعرب ومعهم الأتراك والأكراد جنباً إلى جنب جمعهم دين الإسلام أخوة متحابين.
- 2- حظيت الطوائف غير الإسلامية بوجود أماكن عبادة خاصة بهم، أدوا فيها شعائر دينهم وطقوسهم وعاداتهم وتقاليدهم، لم يجدوا أثناء أداءها أي اضطهاد.
- 3- مثل الأندلسيين فئة مهمة من فئات المجتمع وتميزوا فيه، لأنهم كانوا ذوو مهارات وإمكانات قلدهم أهل البلاد فيها، وتولوا في الدول المغربية مناصب عديدة دينية وإدارية.
- 4- تعامل حكام وسلطين المغرب مع فئات وعناصر المجتمع على حد سواء ولم توجد حالات اضطهاد مباشر ضد أي فئة في المجتمع المغربي وبجميع أجناسه وطوائفه التي عاشت في القرنين الثامن والتاسع الهجريين إلا بعض الحالات التي أظهر فيها أصحاب الطائفة أو الفئة تلاعباً أو تدخلاً في شؤون الدولة.

هذه أبرز النتائج التي برزت من دراسة عناصر المجتمع المغربي، والذي اتسم بالتنوع السكاني والتسامح والتعايش السلمي.

المصادر والهوامش:

- (1) كمالى : إسماعيل : سكان طرابلس الغرب، ترجمة حسن الهادي بن يونس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (ليبيا - 1997)، ص13، بازمة : محمد مصطفى، ليبيا هذا الاسم من جذوره التاريخية، مكتبة فوزنيا، ط2 (بنغازي - 1975م)، ص12.
- (2) الانصاري : أحمد بك الطرابلسي، المنهل العربي في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة القرطاني (ليبيا - دت)، ص16، شعيرة : محمد عبد الهادي، ليبيا هذا الاسم ومدلولاته التاريخية، المطبعة الأهلية (بنغازي - 1958م)، ج1، ص1-16.

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

- (٣) المدني : احمد توفيق، كتاب الجزائر، المطبعة العربية الجزائرية (الجزائر - ١٩٣٠م)، ص ٧٠٥،
القشاطر : محمد سعيد، التوارق عرب الثعراء الكبرى، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، ط ٢
(ليبيا - ١٩٨٩م)، ص ١٥٩، العزاوي : عبد الرحمن حسين، المغرب العربي في العصر الإسلامي،
دار الخليج (الأردن - ٢٠١١م)، ص ٢٧-٣٠.
- (٤) ابن سماك العاملي : محمد بن أبي العلاء محمد بن سماك الغرناطي (من علماء ق ٨ هـ / ١٤م)
الزهرة المنثورة في نكت الأخبار، تحقيق محمود علي مكي، نشر المعهد المصري للدراسات
الإسلامية (مدريد - ١٩٠٨م)، مج ٢٠، ج ٢، ص ٤٩.
- (٥) بروكلمان : كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي، دار العلم
للملايين، ط ٥، (بيروت - ١٩٦٨م)، ص ٣١٦.
- (٦) باز : عبد الكريم، افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي، دار تهامة للنشر
(الرياض - ١٩٨٣م)، ص ٥٨-٥٩.
- (٧) ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ٤٠٦م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب
والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، ط ٥ (بيروت،
١٩٨٠م)، ج ٦، ص ٣٠٦.
- (٨) ابن الشماخ : محمد بن احمد (ت بعد ٨٦١ هـ / بعد ٤٥٧م) الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة
الحفصية تحقيق طاهر محمد المعموري، الدار العربية للكتاب (د.م ١٩٨٤م)، ص ٤٨-٤٩.
- (٩) ابن أبي دينار : محمد بن قاسم الرعيني (ت ١١١٠ هـ / ١٦٩٨م) المؤنس في أخبار أفريقية وتونس،
دار المسيرة، ط ٣ (لبنان - ١٩٩٣م)، ص ١٥٣.
- (١٠) ابن خلدون : التاريخ، ج ٧، ص ١٠٤.
- (١١) الوزير السراج : محمد بن محمد الأندلسي (ت ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦م) الحلل السندسية في الأخبار
التونسية تحقيق وتقديم محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر (تونس - ١٩٧٠م)، ج ١، ق ٤،
ص ١٠١٦.
- (١٢) ابن أبي دينار : المؤنس، ص ١٦٧، الوزير السراج : الحلل السندسية، ط ١، ق ٤، ص ١٠٥٥.
- (١٣) ابن خلدون : التاريخ، ج ٧، ص ٧٩-٢٢١.
- (١٤) الجذم : يراد به الأصل، فاصل البربر جذمين كبيرين، الفارابي : إسحاق بن إبراهيم (ت ٣٥٠ هـ /
نحو ٩٦١م) معجم ديوان الأدب تحقيق ومراجعة أحمد مختار وإبراهيم أنيس، دار الشعب (القاهرة -
٢٠٠٣م)، ج ١، ص ١٩٣.

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

- (١٥) ابن خلدون : التاريخ، ج٦، ص١١٧؛ القلقشندي : أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ودار الكتب اللبناني، ط٢ (د. م - ١٩٨٢م)، ص٣٥.
- (١٦) ابن حزم الأندلسي : علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)، جمهرة أنساب العرب تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية (بيروت - ١٩٨٣م)، ص٤٩٥ - ٤٩٦.
- (١٧) ابن خلدون : التاريخ، ج٦، ص١٩٠؛ اغسطين، هنري كودي : سكان ليبيا ترجمة وتقديم خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب (ليبيا - ١٩٩٠م)، ج١، ص٢٢.
- (١٨) ابن خلدون : التاريخ، ج٢، ص٧٣، اغسطين، ليبيا، ج١، ص٢٣.
- (١٩) القلقشندي : قلائد الجمان، ص١٧٥؛ ص١٧٥؛ التليسي : بشير رمضان، تاريخ ليبيا عقب الفتح العربي الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس عشر، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية (القاهرة - ٢٠٠٨م)، ص٨٤-٨٦.
- (٢٠) التجاني : عبد الله محمد بن محمد (ت ٧٢١هـ / ١٣٢١هـ / ١٣٢١م) رحلة التجاني تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب (ليبيا - تونس - ١٩٨١م)، ص٢٣٩ - ٣١٤؛ كمال : سكان طرابلس الغرب، ص١٥-١٦.
- (٢١) ابن خلدون : التاريخ، ج٦، ص١٩٧-١٩٨؛ اغسطين : سكان ليبيا، ج١، ص٢٢.
- (٢٢) كمال : سكان طرابلس الغرب، ص١٧.
- (٢٣) اغسطين : سكان ليبيا، ج١، ص٢٥-٢٨.
- (٢٤) كمال : سكان طرابلس الغرب، ص١٧-٢٨.
- (٢٥) كمال : سكان طرابلس الغرب، ص٢٩.
- (٢٦) جبل دمر : أحد جبال أفريقية، بينه وبين جبل نفوسة ثلاثة مراحل، في منطقة رملية متصلة، يوجد في أطراف الجبل قوم من البربر يعرفون بـ رهانة؛ الأدريسي : محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٥م) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب (بيروت - ١٩٨٨م)، ج١، ص٢٩٩.
- (٢٧) ابن خلدون : التاريخ، ج٦، ص١٧٠.
- (٢٨) ابن خلدون : التاريخ، ج٦، ص١٩٧-٢٠٢، بوطالب : محمد نجيب، سوسيولوجية القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة الغربية (بيروت - ٢٠٠٢م)، ص١٠٣ - ١٠٨.

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

- (٢٩) ابن خلدون : التاريخ، ج٦، ص١٥٤-١٦٤؛ دحروج : الهام حسين، (مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية ٤٤٢-٦٦٥ هـ / ١٠٥١-١٢٤٧ م) أطروحة دكتوراه غير منشورة - جامعة القاهرة - مصر - ٢٠٠٢م)، ص١٥٦.
- (٣٠) مجهول : كاتب مراكشي (ق٦ هـ / ١٢ م) الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية (بغداد - ١٩٨٦ م)، ص١٥٠.
- (٣١) دحروج : مدينة قابس، ص١٥٦.
- (٣٢) ابن خلدون : التاريخ، ج٦، ص١٧٠-١٨٧.
- (٣٣) ابن خلدون : التاريخ، ج٦، ص١٣٤-١٣٥.
- (٣٤) القلعة : قلعة بني حماد مدينة متوسطة في وسطها قلعة عظيمة تقع على جبل قاقربوست، والقلعة قاعدة بلاد لبني زحماد من أولاد يوسف المعروف ببلكين بن زيري بن مناد والسنهاجي البربري، وقريبة من أرض اشير من جهة المغرب الأوسط؛ ياقوت الحموي : ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٥٦ هـ - ١٢٢٩ م)، معجم البلدان، دار صادر، ط٢، (بيروت - ١٩٩٥ م)، ج٤، ص٣٩٠.
- (٣٥) ابن خلدون : التاريخ، ج٦، ص١٩٢.
- (٣٦) ابن خلدون : التاريخ، ج٦، ص٢٧٢.
- (٣٧) ابن الأثير : علي بن أبي الكرم محمد الجزري (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م)، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، (بيروت، د.ت)، ج٣، ص٣٩٣.
- (٣٨) القلقشندي : قلائد الجمان، ص١٦٩؛ السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠ م)، لب اللباب في تحرير الأنساب، دار صادر (بيروت - د.ت)، ص٢٨٠؛ كحالة : عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، ط٢ (بيروت - ١٩٩٤ م)، ج٥، ص٥٢٤.
- (٣٩) ابن الشماخ : الأدلة البينة، ص٤٨-٤٩؛ الزركشي : محمد بن إبراهيم اللؤلؤي (ت بعد ٨٩٤ هـ / بعد ١٤٨٨ م) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية تحقيقي محمد ماضور، المكتبة العتيقة، ط٢ (تونس - ١٩٩٦ م)، ص١٥٣.
- (٤٠) برنشفيك : روبر، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من القرن ١٣ إلى نهاية القرن ١٥ م، ترجمة حماد الساحلي، دار الغرب الإسلامي (بيروت - د.ت) ج١، ص٤٢-٤٣، وج٢، ص١٠٤.
- (٤١) اغسطين : سكان ليبيا، ج١، ص٢٤.
- (٤٢) ابن خلدون : التاريخ، ج٦، ص١٣٤.
- (٤٣) ابن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب، ص٥٠١.

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

- (٤٤) ابن العجمي : أحمد بن محمد بن أحمد (ت ١٠٨٦هـ / ١٦٧٥م)، ذيل لب الباب في تحرير الأنساب دراسة وتحقيق شادي بن محمد، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية (اليمن - ٢٠١١م)، ص ١١٤.
- (٤٥) المسعودي : جميلة هبطي، المظاهر الحضارية في دولة بني حفص منذ قيامها سنة ٦٢١هـ وحتى سنة ٨٩٣هـ (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى - السعودية، ٢٠٠٢م)، ص ١٣٤-١٣٦.
- (٤٦) ابن خلدون : التاريخ، ج ٦، ص ١٣٤.
- (٤٧) الحميري : محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٥م) الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط ٢ (بيروت - ١٩٠٨م)، ص ٣٥؛ محمد بن سهلة ثاني، المؤثرات الحضارية الأندلسية على الهوية الثقافية في الجزائر - تلمسان انموذجاً (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أبي بكر - بلقايد - الجزائر - ٢٠١٤م)، ص ١٤٦.
- (٤٨) ابن خلدون : التاريخ، ج ٧، ص ٣٣-٦٥.
- (٤٩) ابن خلدون : التاريخ، ج ٧، ص ٨٧-٨٨.
- (٥٠) الميل : وحدة مساحة، يساوي الميل ٤٠٠٠ ذراع شرعية أي ثلث فرسخ ما يعادل ٢ كم. هانس : فالتر، المكايل والأوزان الإسلامية، وما يعادلها من النظام المتري ترجمة كامل العسلي، الجامعة الأردنية (عمان - ١٩٧٠م)، ص ٩٥.
- (٥١) الحسن الوزان : الحسن بن محمد الفاسي (ت ٩٥٧هـ / ١٥٤٨م) وصف أفريقيا ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط ٢ (بيروت - ١٩٨٣م)، ج ٢، ص ٤٣.
- (٥٢) الحميري : الروض المعطار، ص ٦٠.
- (٥٣) ابن خلدون : التاريخ، ج ٧، ص ١٠٥؛ الحميري : الروض المعطار، ص ١٢٦.
- (٥٤) ابن خلدون، التاريخ، ج ٧، ص ٢٠٣؛ الحميري : الروض المعطار، ص ٥٢١.
- (٥٥) مازونة : مدينة في بلاد المغرب، تبعد نحو ٤٠ ميلاً عن البحر، وممتدة على مساحة واسعة، تعرضت كثيراً للتخريب، وهي تتبع أراضي المغرب الأوسط. الحسن الوزان : وصف أفريقيا، ج ٢، ص ٣٦.
- (٥٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان، ص ٣٨٥؛ الحميري : الروض المعطار، ص ٦١٢؛ اغسطين : سكان ليبيا، ج ١، ص ٢٢-٢٣.
- (٥٧) اغسطين : سكان ليبيا، ج ١، ص ٢٣-٢٦؛ الملي : مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث تقديم وتصحيح محمد الملي، المؤسسة الوطنية للكتاب (د.م - د ت)، ج ٢، ص ٤٤٩.

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

- (٥٨) الميلي : تاريخ الجزائر، ج ٢، ص ٤١، وج ٢، ص ٢١٥.
- (٥٩) ابن أبي زرع : علي بن عبد الله الفاسي (ت ٧٤١هـ - ١٣٤١م)، الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، د ط (الرباط - ١٩٧٢م)، ص ١٥؛ ابن أبي زرع : الانيس المطرب وروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة (الرباط - ١٩٧٢م)، ص ٢٧٨-٢٨١؛ لسان الدين ابن الخطيب : محمد بن عبد الله التلمساني (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٥م)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية تصحيح البشير الفورتي، مطبعة التقدم الإسلامية (تونس - د ت)، ص ٢٩؛ ابن الأحمر : إسماعيل بن يوسف الخزرجي (ت ٨١٠هـ / ١٤٠٧م)، روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة المملكة (الرباط - ١٩٦٢م)، ص ٨-٩؛ ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية، ص ١١٦. . <http://www.Almostafa.com> : ص ١٠؛ الشاهري : مزحم علاوي، الحضارة العربية الإسلامية في المغرب العصر المريني، مركز الكتاب الأكاديمي د. م - د.ت)، ص ١٧-١٨.
- (٦٠) نجم : فرج، القبيلة والإسلام والدولة، <http://www.Towot.com> ص ١٠٥-١٠٧.
- (٦١) الشاهري : الحضارة العربية الإسلامية، ص ١٩-٢١.
- (٦٢) جبل زلاغ او زالغ : من جبال المغرب الأقصى يبعد عن فاس مسافة سبعة أميال، الأراضي المحيطة به زراعية وأهله أغنياء، ولهم دور ومساكن في فاس لغناهم؛ الحسن الوزان : وصف أفريقيا، ج ١، ص ٢٩٣-٢٩٤.
- (٦٣) ابن خلدون : التاريخ، ج ٦، ص ١٨٧؛ بن منصور : عبد الوهاب، قبائل المغرب، المطبعة الملكية (الرباط - ١٩٦٨م)، ج ١، ص ٣٠٣.
- (٦٤) ابن منصور : قبائل المغرب، ج ١، ص ٣٠٣.
- (٦٥) ابن منصور : قبائل المغرب، ج ١، ص ٣٠٤-٣٠٥. ولها فروع في فاس وتادلة.
- (٦٦) ابن خلدون : التاريخ، ج ٧، ص ٢٢٦؛ بن منصور : قبائل المغرب، ج ١، ص ٣٠٥.
- (٦٧) ابن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٧.
- (٦٨) ابن خلدون : التاريخ، ج ٧، ص ١١٩.
- (٦٩) الحسن الوزان : وصف أفريقيا، ج ١، ص ٣٣٧.
- (٧٠) ابن خلدون : التاريخ، ج ٦، ص ٢٨١؛ ابن خلدون : رحلة ابن خلدون حواشي وتعليق محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية (بيروت - ٢٠٠٤م)، ص ١٨١؛ بن منصور : قبائل المغرب، ج ١، ص ٣٠٧.

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

- (٧١) ابن خلدون : التاريخ، ج٦، ص١١٩.
- (٧٢) بن منصور : قبائل المغرب، ج١، ص٣٠٧-٣٠٨.
- (٧٣) ابن خلدون : التاريخ، ج٦، ص٣٩.
- (٧٤) ابن خلدون : التاريخ، ج٦، ص١٤٩-١٦٢؛ بن منصور : قبائل المغرب، ج١، ص٣٠٩.
- (٧٥) ابن خلدون : التاريخ، ج٦، ص١٦٨.
- (٧٦) ابن خلدون : التاريخ، ج٦، ص١٦٥؛ بن منصور : قبائل المغرب، ج١، ص٣١٠.
- (٧٧) الحميري : الروض المعطار، ص٦٠٩.
- (٧٨) ابن خلدون : التاريخ، ج٧، ص٣٠-١٦٦؛ بن منصور : قبائل المغرب، ج١، ص٣٣١؛ حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة (الدار البيضاء - ٢٠٠٠م)، ج٢، ص٩٠؛ الحريري : محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم، ط٢ (الكويت - ١٩٨٧م)، ص٥-٦.
- (٧٩) ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧هـ / ٨٧٠م)، فتوح مصر وأخبارها تحقيق محمد الحجري، دار الفكر (بيروت - ١٩٩٦م)، ص٢١٨؛ المرزوقي : محمد، قابس جنة الدنيا غايتها خليجها مدينتها سكانها تاريخها رجالها، مطبعة لجنة الكتاب للترجمة والنشر (القاهرة - ١٩٦٤م)، ص١١٩-١٢٠؛ لقبال موسى، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، ط٢ (الجزائر - ١٩٥١)، ص١٨؛ السائح : الحسن، الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، ط٢ (الدار البيضاء - ١٩٨٦م)، ص١٤٥.
- (٨٠) ابن حبيب : محمد بن حبيب بن أمية البغدادي (ت ٢٤٥هـ / ٨٦٠م) مختلف القبائل ومؤلفها تحقيق إبراهيم الايباري، دار الكتب اللبناني (بيروت - د ت)، ص٤٧؛ ابن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب، ص٢٦٢ - ٢٧٥؛ ابن عبد البر : يوسف بن محمد بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧١م) الانباه على قبائل الرواة تحقيق إبراهيم الايباري، دار الكتاب العربي (بيروت - ١٩٨٥م)، ص٧٣-٨٤.
- (٨١) الطرابلسي : محمد بن خليل بن غلبون، تاريخ طرابلس الغرب - التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار نشر وتصحيح الطاهر أحمد الزاوي، المطبعة السلفية (القاهرة - ١٩٢٩م)، ص٢٥-٢٧.
- (٨٢) ابن خلدون : التاريخ، ج٤، ص٨٠؛ نجم : القبيلة والإسلام، ص٦٧-٧٣.
- (٨٣) ابن خلدون : التاريخ، ج٤، ص٨٠؛ كمال : سكان طرابلس، ص٣٠-٣١.

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

- (٨٤) كمالى : سكان طرابلس، ص ٣٥-٣٦.
- (٨٥) ابن خلدون : التاريخ، ج ٦، ص ١١١.
- (٨٦) ابن خلدون : التاريخ، ج ٦، ص ٩٥؛ القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني، ط ٢ (بيروت - ١٩٨٠م)، ص ٢٧٢؛ كحالة : معجم قبائل العرب، ج ٢، ص ٤٧٤.
- (٨٧) ابن خلدون : التاريخ، ج ٦، ص ١١٣؛ كحالي : سكان طرابلس، ص ٣٧؛ اغطسين : سكان ليبيا، ج ١، ص ٣٤-٣٥.
- (٨٨) العبدري : محمد بن محمد بن علي (من علماء ق ٥٨ / ١٤م) رحلة العبدري تحقيق علي إبراهيم كردي تقديم شاكرا الفحام، دار سعد الدين (دمشق - ٢٠٠٥م)، ص ٢٠١-٢٠٦.
- (٨٩) ابن خلدون : التاريخ، ج ٦، ص ١١١-١١٣؛ القلقشندي : نهاية الأرب، ص ١٢٦ و ص ٢٥٠؛ كحالة : معجم قبائل العرب، ج ١، ص ٢١٨؛ كمالى : سكان طرابلس، ص ٣٧-٣٩؛ اغطسين : سكان ليبيا، ج ١، ص ٣٢-٣٨.
- (٩٠) ابن خلدون : التاريخ، ج ٢، ص ٣٦٨ و ج ٦، ص ١١١؛ القلقشندي : نهاية الأرب، ص ١٥٨؛ كحالة : معجم قبائل العرب، ج ١، ص ٤٠٧-٤٠٨؛ و ج ٣، ص ١٠٤٦.
- (٩١) ابن خلدون : التاريخ، ج ٦، ص ٩٥-١١٣؛ دحروج : مدينة قابيس، ص ١٥٣-١٥٤؛ اغطسين : سكان ليبيا، ج ١، ص ٣٧.
- (٩٢) ابن خلدون : التاريخ، ج ٦، ص ٩٥-٩٧؛ كحالة : معجم قبائل العرب، ج ٢، ص ٨٥٨.
- (٩٣) القلقشندي : نهاية الأرب، ص ٣٨٤؛ كحالة : معجم قبائل العرب، ج ٣، ص ٩٨٧؛ دحروج : مدينة قابس، ص ٥٤؛ اغطسين : سكان ليبيا، ج ١، ص ٣٥. ابن خلدون : التاريخ، ج ٦، ص ٣٠-٣٤؛ كحالة : معجم قبائل العرب، ج ١، ص ٤؛ المدني : الجزائر، ص ٣٠-٣١؛ اغطسين : سكان ليبيا، ج ١، ص ٣٢.
- (٩٤) ابن خلدون : التاريخ، ج ٦، ص ٣٠-٣٤؛ كحالة : معجم قبائل العرب، ج ١، ص ٤؛ المدني : الجزائر، ص ٣٠-٣١؛ اغطسين : سكان ليبيا، ج ١، ص ٣٢.
- (٩٥) ابن خلدون : التاريخ، ج ٦، ص ٤٣-٤٩؛ القلقشندي : نهاية الأرب، ص ٢٦٩-٢٦٧.
- (٩٦) القلقشندي : نهاية الأرب، ص ٣٤٨؛ كحالة : معجم قبائل العرب، ج ٢، ص ٤٥٧؛ اغطسين : سكان ليبيا، ج ١، ص ٣٢.
- (٩٧) ابن خلدون : التاريخ، ج ٦، ص ٤٠٠-٤٢٢.

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

- (٩٨) القلقشندي : قلائد الجمان، ص ١١٢.
- (٩٩) التنسي : محمد بن عبد الله (ت ٨٩٩هـ/٤٩٣م)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان تحقيق محمود اغا بوعبياد، د مط (الجزائر - ٢٠١١م)، ص ٢٨٧-٢٨٨.
- (١٠٠) ابن خلدون : التاريخ، ج ٦، ص ٥٩-٦٤؛ كحالة : معجم قبائل العرب، ج ١، ص ٧٨٨-٧٨٩ وج ٣، ص ١٠٣؛ محمد المؤثرات الحضارية، ص ١٤٥-١٤٦.
- (١٠١) ابن خلدون : التاريخ، ج ٦، ص ٥٤؛ كحالة : معجم قبائل العرب، ج ١، ص ٢٨١؛ المدني : الجزائر، ص ١٣٩؛ محمد : المؤثرات الحضارية، ص ١٤٦.
- (١٠٢) ابن خلدون : التاريخ، ج ٦، ص ٦٨-٧٣؛ كحالة : معجم قبائل العرب، ج ٢، ص ٧٥٤؛ المدني : الجزائر، ص ١٣٩.
- (١٠٣) ابن خلدون : التاريخ، ج ٦، ص ٧٩-٨٥؛ كحالة : معجم قبائل العرب، ج ١، ص ١٤٢؛ المدني : الجزائر، ص ١٣٩؛ بن منصور : قبائل المغرب، ج ١، ص ٤١٤.
- (١٠٤) المدني : الجزائر، ص ١٢٩.
- (١٠٥) عبد المؤمن بن علي الكومي القيسي، صاحب المغرب أبو محمد، حكم المغرب وعاصمته مراكش توفي في مدينة سلا عام ٥٥٨هـ / ١١٦٣م؛ ابن خلكان : أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٨هـ / ١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق إحسان عباس، دار صادر (بيروت - د ت) ج ٣، ص ٢٣٧-٢٣٩؛ الذهبي : أحمد بن محمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) سير أعلام النبلاء، دار الحديث (القاهرة - ٢٠٠٦م)، ج ١٥، ص ١٣٨-١٤٢.
- (١٠٦) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص ١٩٩؛ الكانوني : محمد بن حمد العبدى، أسفي وما إليه قديماً وحديثاً، د مط (الرباط - ٢٠١٣م)، ص ٣٠-٣١.
- (١٠٧) أسفي : مدينة ببلاد المغرب على شاطئ البحر المحيط؛ الحسن الوزان : وصف أفريقيا، ج ١، ص ١٤٧.
- (١٠٨) ابن خلدون : التاريخ، ج ٦، ص ٤٣؛ كحالة : معجم قبائل العرب، ج ٢، ص ٥٢٦؛ بن منصور، قبائل المغرب، ج ١، ص ٤٢٠؛ المدني : الجزائر، ص ١٣١.
- (١٠٩) بن منصور، قبائل المغرب، ج ١، ص ٤٢٠.

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

- (١١٠) ابن خلدون : التاريخ، ج٦، ص٣٧-٤٩؛ القلقشندي : نهاية الأرب، ص٣٩١ وص٤١٤؛ كحالة : معجم قبائل العرب، ج١، ص٣٤٦ وج٢، ص٧٠٢، وج٣، ص١١٣٢؛ بن منصور : قبائل المغرب، ص٤١٨-٤٢١.
- (١١١) ابن خلدون : التاريخ، ج٦، ص٥٥-٦٦؛ كحالة : معجم قبائل العرب، ج١، ص٣٣٥-٣٩٩؛ بن منصور : قبائل المغرب، ج١، ص٤٢٣.
- (١١٢) ابن خلدون : التاريخ، ج٦، ص٧٧؛ القلقشندي : قلائد الجمان، ص١١٣؛ كحالة : معجم قبائل العرب، ج١، ص٨ وج٢، ص١١٤٦.
- (١١٣) مارسية : جورج، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى ترجمة محمود عبد الصمد هيكل مراجعة مصطفى أبو ضيف، مطبعة الانتصار (مصر - ١٩٩١)، ص٢٣٥.
- (١١٤) لسان الدين ابن الخطيب : الحلل الموشية، ص٦٦.
- (١١٥) زغرود : فتحي، الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين - المغرب والأندلس، دار التوزيع والنشر الإسلامية (القاهرة - ٢٠٠٥م)، ص١٠٨ - ١١٠، عنان : محمد عبدالله، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، ط٤ (القاهرة - ١٩٩٧م) ج٣، ص٢٣٦.
- (١١٦) البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال (بيروت - ١٩٨٨م) ص٢٢٤-٢٢٧.
- (١١٧) الحسن الوزان : وصف أفريقيا، ج٢، ص٢٢.
- (١١٨) الحسن الوزان : وصف أفريقيا، ج٢، ص٧٤.
- (١١٩) برنشفيك : تاريخ أفريقية، ج٢، ص٨١-١٦١.
- (١٢٠) ابن عامر : أحمد، الدولة الحفصية صفحات خالدة من تاريخها المجيد، دار الكتب الشرقية (تونس - ١٩٧٤م)، ص٧٢؛ المسعودي : المظاهر الحضارية، ص١٤٣.
- (١٢١) ابن خلدون : التاريخ، ج٦، ص٤٠٢.
- (١٢٢) ابن خلدون : التاريخ، ج٦، ص٥٥٣-٥٥٤؛ ابن الشرع : الأدلة البينة النورانية، ص١٠٦.
- (١٢٣) الوزير السراج : الحلل السندسية، ج١، ق٤، ص١٠٦٣.
- (١٢٤) ابن خلدون : التاريخ، ج٦، ص٥٨٠-٦١١.
- (١٢٥) برنشفيك : تاريخ أفريقية، ج٢، ص٤٧٧-٤٧٨.
- (١٢٦) الوزير السراج : الحلل السندسية، ج١، ق٤، ص١٠٨٣.
- (١٢٧) برنشفيك : تاريخ أفريقية، ج٢، ص٤٨١-٤٨٣؛ المسعودي : المظاهر الحضارية، ص١٤٤.

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

- (١٢٨) الحماديون : نسبة إلى حماد بن بلكين الصنهاجي، مؤسس الدولة الحمادية، أحد أبناء زير بن مناد بن منقوش بن صنهاج، وكان جدهم أبو الفتوح بلكين ويسمى يوسف أول من أسس دولتهم. ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٨٦.
- (١٢٩) الملي : تاريخ الجزائر، ج ٢، ص ٣٣٠-٣٣٢
- (١٣٠) محمد : المؤثرات الحضارية، ص ١٤٠.
- (١٣١) يحيى بن خلدون : يحيى بن أبي بكر بن محمد (ت ٧٨٠هـ/١٣٨٠م) بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبدالوادم، مطبعة بيبير فونطانا الشرقية (الجزائر - ١٩٣٠م) ج ١، ص ١٣٤.
- (١٣٢) الحميري : الروض المعطار، ص ٢٩٦
- (١٣٣) ابن خلدون : التاريخ، ج ٧، ص ١١٣٩-١٤١ ؛ التنسي : تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص ١٣٨.
- (١٣٤) ابن خلدون : التاريخ، ج ٧، ص ١٥٤ ؛ ابن سهلة : المؤثرات الحضارية، ص ١٤٠-١٤١.
- (١٣٥) ابن خلدون : التاريخ، ج ٧، ص ١١٣ ؛ الحميري : الروض المعطار، ص ١٣٥.
- (١٣٦) ابن خلدون : التاريخ، ج ٧، ص ١١٣ ؛ الحسن الوزان : وصف أفريقيا، ج ٢، ص ٩ ؛ شقدان : بسام كامل عبدالرزاق، تلمسان في العهد الزياني (٦٣٣-٩٦٢هـ/١٢٣٥-١٥٥٥م) (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح - ٢٠٠٢م) ص ١٥٣.
- (١٣٧) الحسن الوزان : وصف أفريقيا، ج ٢، ص ٣٠ ؛ شقران : تلمسان، ص ١٥٣-١٥٤.
- (١٣٨) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص ٣٠٢ ؛ ابن أبي زرع : الذخيرة السنوية، ص ٨٨ ؛ حركات المغرب عبر التاريخ، ج ٢، ص ٩٤.
- (١٣٩) ابن أبي زرع : الذخيرة السنوية، ص ٩٠-٩١.
- (١٤٠) ابن خلدون : التاريخ، ج ٥، ص ٤٧٦ ؛ المقريزي : أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت - ١٩٩٧) ج ٧، ص ٣٣٧-٣٣٨؛ لوتورنو : روجيه، فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر (بيروت - نيويورك - ١٩٩٧) ص ١١١.
- (١٤١) المنوني : محمد، وقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، ط ٣ (الدار البيضاء - ٢٠٠٥م) ص ٥٤٨-٥٥١.
- (١٤٢) ابن مرزوق : محمد بن أحمد بن محمد العجيسي التلمساني (ت ٧٨١هـ/١٣٧٩م) المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيفير تقديم محمود بو عياد، الشركة الوطنية (الجزائر - ١٩٨١م) ص ٢٨٢.

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

- (١٤٣) حركات : المغرب عبر التاريخ، ج٢، ص٤٠٥.
- (١٤٤) السلاوي : أحمد بن حماد الناصري (ت ١٣١٥هـ/١٨٩٧م) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، اعتناء محمد عثمان، دار الكتب العلمية (بيروت - ٢٠٠٧م) ج١، ص٤٣١.
- (١٤٥) ابن خلدون : التاريخ، ج٧، ص٤١٦-٤١٧ ؛ السلاوي : الاستقصا، ج٢، ص١٢٥.
- (١٤٦) حركات : المغرب عبر التاريخ، ج٢، ص٩٥.
- (١٤٧) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص٢٠-٢١ ؛ ابن سعيد المغربي : علي بن موسى (ت ٦٧٣هـ/١٢٧٤م) الجغرافية تحقيق وتعليق اسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والشر والتوزيع (بيروت - ١٩٧٠م) ص١٢٦-١٢٨ ؛ الإدريسي : محمد بن علي الحسني (ت ١٢٧٢هـ/١٨٥٥م) الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، مطبعة الشباب (مصر - ١٩٣٠م) ص٤٥ ؛ لومبار : لويس، الإسلام في مجده الأول من القرن ٢ - ق ٨/١١م، ترجمة وتعليق اسماعيل العربي، دار الافاق الجديدة، ط٣ (المغرب - ١٩٩٠م) ص٨٦-٨٩؛ بشير الرحمن : اليهود في المغرب ٢٢-٤٦٢هـ/٦٦٢-١٠٧٠م) عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية (مصر - ٢٠٠١م) ص٦٢-٦٩ ؛ دحروج : مدينة قابس، ص١٥٧-١٥٨.
- (١٤٨) المرزوقي : قابس، ص٣٧-٣٩؛ دحروج : مدينة قابس، ص٣٣-٣٤ ؛ بشير : اليهود، ص٧٠-٧٤.
- (١٤٩) الحسن الوزان : وصف أفريقيا، ج٢، ص٨٠ ؛ المسعودي : المظاهر الحضارية، ص١٤٢-١٤٣.
- (١٥٠) برنشفيك : تاريخ أفريقية، ج١، ص٤٣١-٤٣٤ ؛ جوهر : حسن محمد، تونس، دار المعارف (مصر - ١٠٦١م) ص٥٧-٦٨.
- (١٥١) الحسن الوزان : وصف أفريقيا، ج٢، ص٢٠ ؛ محمد : المؤثرات الحضارية، ص١٥١-١٥٣.
- (١٥٢) الحسن الوزان : وصف أفريقيا، ج٢، ص٢٠.
- (١٥٣) شقران : تلمسان، ص١٥٤-١٥٥.
- (١٥٤) ابن خلدون : التاريخ، ج٧، ص٣٠٧-٣١٦ ؛ السلاوي : الاستقصا، ج١، ص٤٢١-٤٢٣ وج٢، ص٤-٥ ؛ ربه : عطا علي محمد شحاته : اليهود في المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، دار الكلمة ودار الشفيق (سوريا - ١٩٩٩م) ص٥٩-٦٠.
- (١٥٥) ابن مرزوق : المسند الصحيح، ص٢٨٤.
- (١٥٦) الحسن الوزان : وصف أفريقيا، ج١، ص٢٨٣-٢٨٤ ؛ السائح : الحضارة الاسلامية، ص٢٦٩.
- (١٥٧) ربه : اليهود، ص٦٦-٨١.

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

- (١٥٨) الحسن الوزان : وصف أفريقيا، ج ١، ص ٢٨٣-٢٨٤ ؛ لوتورنو : فاس، ص ٣٤.
- (١٥٩) السلاوي : الاستقصا، ج ٢، ص ١٦٨.
- (١٦٠) السلاوي : الاستقصا، ج ٢، ص ١٦٩.
- (١٦١) ريّه : اليهود، ص ٨١ ؛ السائح : الحضارة الاسلامية، ص ٢٦٩-٢٧١.
- (١٦٢) ابن خلدون : التاريخ، ج ٦، ص ٤٣٨ ؛ بوعامر : مريم، الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري ما بين القرنين ٧-٩هـ/١٣-١٥م (رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة أبي بكر بلقادير - الجزائر - ٢٠١٠م) ص ٤٦.
- (١٦٣) المقرئ : أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكرها وزبرها، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر (بيروت - ١٩٩٧م)، ج ٤، ص ٥٢٨.
- (١٦٤) المسعودي : المظاهر الحضارية، ص ١٤١.
- (١٦٥) بوعامر: الهجرة الاندلسية، ص ٤٣-٤٨.
- (١٦٦) الغبريني : أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالله (ت ٧١٤هـ/١٣١٤م) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء بالمائة السابعة ببجاية، تحقيق وتعليق عادل نويهض، دار الافاق الجديدة، ط ٢ (بيروت - ١٩٧٩م) ص ٢٢؛ ابن مريم : محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليني (ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م) البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الطبعة الثعالبية (الجزائر - ١٩٠٨م) ص ١٣٥ ؛ محمد : المؤثرات الحضارية، ص ١٤٣-١٤٤ ؛ شقران : تلمسان، ص ١٥١.
- (١٦٧) ابن خلدون : التاريخ، ج ٧، ص ٤١٧ ؛ السلاوي، الاستقصا : ج ٢، ص ١٢٥ ؛ الحريري : تاريخ المغرب، ص ٣١٧.
- (١٦٨) ابن خلدون : التاريخ، ج ٤، ص ٢٦٠.
- (١٦٩) ابن خلدون : التاريخ، ج ١، ص ٦٩-٧٠ ؛ لومبار : الإسلام، ص ١٢٠.
- (١٧٠) الحميري : الروض المعطار، ص ١٣٤ و ص ٢٩٥-٢٩٦.
- (١٧١) ابن عذاري : محمد بن محمد (ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان وليفي بوفنسال، ط ٣ (بيروت - ١٩٨٣م) ج ١، ص ٢٣٨.
- (١٧٢) ابن القطان : حسن بن علي الكتاني المراكشي (ت منتصف ق ٧هـ/١٣م) نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار المغرب الاسلامي (تونس - ٢٠١١م) ص ١٥٢؛ ابن عذاري : البيان المغرب، ج ٤، ص ٢٣.

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

- (١٧٣) مارسية : بلاد المغرب، ص ٢٢٣ ؛ زغروت : الجيوش الإسلامية وحركة التغيير، ص ١٠٧.
- (١٧٤) المسعودي : المظاهر الحضارية، ص ١٤٤-١٤٥.
- (١٧٥) برنشك : تاريخ أفريقية، ج ٢، ص ١٦١-١٦٢.
- (١٧٦) الجحاني : الحبيب، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة عاصمة بني مدرار (بحث منشور في ندوة عن الحضارة الإسلامية - مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية - ٢٠٠٠م) ص ١٧٤.
- (١٧٧) التازي : التاريخ الدبلوماسي، مج ٧، ص ٥٢.
- (١٧٨) دوزي : ارينهات بيتر آن : تكلمة المعاجم العربية، ترجمة وتعليق محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة (العراق - ٢٠٠٠م) ج ٧، ص ٤٠٣ ؛ الطيبي : محمد توفيق، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب (د.م - ١٩٩٧م) ج ٢، ص ٨٧.
- (١٧٩) ابن خلدون : التاريخ، ج ٢، ص ٥٦٨ ؛ درويش : عبدالستار مطلق : السلطان محمود الغزنوي سيرته ودوره السياسي والعسكري في خراسان وشبه القارة الهندية ٣٦١-٤٢١هـ، عالم الثقافة (الأردن - ٢٠٠٩م) ص ١٤٠.
- (١٨٠) ابن خلدون : التاريخ، ج ٦، ص ٤٨٥ ؛ برنشك : تاريخ أفريقية، ج ٢، ص ٨٠ ؛ الطيبي : دراسات وبحوث، ج ٢، ص ١٠٠.
- (١٨١) ابن خلدون : التاريخ، ج ٦، ص ٤٨٩-٤٩٠ وج ٧، ص ١٣٧-١٤٣ وج ٧، ص ١٦٠ ؛ محمد : المؤثرات الحضارية، ص ١٤٢-١٤٣.
- (١٨٢) الطيبي : دراسات وبحوث، ج ٢، ص ١٠٠.
- (١٨٣) ابن خلدون : التاريخ، ج ٥، ص ٤٨١.
- (١٨٤) المنوني : ورقات عن حضارة المرينيين، ص ٥٤٨.
- (١٨٥) لسان الدين ابن الخطيب : نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب، تعليق أحمد مختار العبادي، آفاق عربية (بغداد - د.ت) ص ١٧.
- (١٨٦) جوهر : تونس، ص ١٧.
- (١٨٧) ابن خلدون : التاريخ، ج ٤، ص ٨١-٨٥ ؛ موسى : عز الدين أحمد علي، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق (بيروت - ١٩٨٣م) ص ١٩-٣٢.
- (١٨٨) ابن خلدون : التاريخ، ج ٤، ص ٨١-٨٥ ؛ سرور : محمد جمال الدين : تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي (القاهرة - ١٩٩٥م) ص ٩٧-٩٨ ؛ سيد : أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية (القاهرة - ١٩٩٢) ص ١٤٣-١٥٣.

عناصر المجتمع المغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين

(١٨٩) عازيان : هوري : نبذة تاريخة موجزة عن الجاليات الأرفية في البلاد العربية، دار الحوار للنشر والتوزيع (سوريا - ٢٠٠٠م) ص ١٧٤.

تولي مواتالي الثاني العرش (١٢٩٥-
١٢٧٢ ق.م)

زينة خالد وهيب

أ.د. فاضل كاظم حنون

جامعة واسط - كلية التربية للعلوم الانسانية

Email: std20222023zwaheeb@uowasit.edu.iq

رقم الهاتف: ٠٧٧٥٥٣٠٢٣٤٤

تولي موواتالي الثاني العرش (١٢٩٥-١٢٧٢ ق.م)

زينة خالد وهيب

أ.د. فاضل كاظم حنون

الملخص

استلم موواتالي الثاني الحكم بعد ابيه مورسيلي الثاني مباشرة كونه الوريث المناسب للحكم ولا يوجد مبدئياً من ينافسه على العرش، لكن بعد ذلك واجه العديد من التحديات التي سيتم تناولها في هذا البحث المتمثلة اولا التمردات الداخلية المتمثلة بتامر زوجة ابية دانوخيبا ضده لأجل السيطرة على الحكم لصالح أبنائها الذين قتلوا فيما بعد في معركة قادش ولم يكن هذا السعي وراء العرش من جانب الاناث الاول من نوعه وانما ورد ذكره سابقا في المملكة القديمة بان ابنة حاتوسيلي تمردت أيضا ضد ابيها لأجل الحصول على العرش بتحريض ودعم من النبلاء الذين أغروها لدرجة أنها شهرت السلاح في وجه أبيها، وقضى حاتوسيلي على هذا التمرد. ثانيا تمرد داخلي من قبل تراهواندا ثالثا عدم انجابه ابنا له من الزوجة الرئيسية رابعا تمردات خارجية من قبل الكاسكا ومصر خامسا الطاعون وما خلفه سادسا خلافة مع ملك بابل.

الكلمات المفتاحية : وراثة، عرش، تمردات، داخلية، خارجية.

Muwatalli II ascended the throne (1295-1272 BCE).

Name: Zena khaleed waheeb_ Prof. D. Fadhil Kadhim Hannon.

University: University of Waist.

College: College of Education for Human Sciences.

Email: std20222023zwaheeb@uowasit.edu.iq

Phone: 07755302344

Abstract

Muwatalli II took over the rule after his father Mursili II directly, as he was the suitable heir to rule and there was no one to compete with him on the throne, but after that he faced many challenges that will be addressed in this research, represented firstly

by the internal rebellions represented by the conspiracy of his father's wife Tanuhepa against him in order to control the rule in favor of her sons who were later killed in the Battle of Kadesh. This pursuit of the throne by females was not the first of its kind, but it was mentioned previously in the Old Kingdom that Hattusili daughter also rebelled against her father in order to obtain the throne with the incitement and support of the nobles who tempted her to the point that she brandished a weapon against her father, and Hattusili put an end to this rebellion. Secondly, an internal rebellion by Trahuanda, thirdly, his failure to bear a son from his main wife, fourthly, external rebellions by the Kasa and Egypt, fifthly, the plague and its consequences, and sixthly, his disagreement with the King of Babylon.

Keywords: inheritance, throne, rebellions, internal, external.

المقدمة

كانت المملكة الحثية القديمة لا تمتلك قواعد وتشريعات دستورية ثابتة ومحددة مختصة في وراثة العرش مما يؤدي الى انتهاكات واغتيالات داخل البلاط الملكي تقود الى الاغتيالات بين الورثة على الحكم فانت حياتهم عرضة للخطر المستمر ولعدم معرفة الية اختيار الوريث في هذه الفترة اشار الباحثين الى ان تولي العرش كان عن طريق الانتخاب او اختيار من هو مناسب من العائلة المالكة وفق معايير محددة فقد اختار الملك الحثي حاتوسيلي الاول ابن اخته لان ابنائه خوزيا وحاكار ببلي تمردوا ضده على الرغم من تعيينهم حاكما على المقاطعات فيوضح ذلك في نص :

" انظر إلى ابني خوزيا، أنا الملك جعلته سيداً على تاباشندا، لكنهم أخذوه وكذبوا عليه وجعلوه عدوي قائلين له: تمرد ضد أبك وستقف معك البيوت العظيمة في تاباشندا"

وهذه ابرز حركات التمرد حدثت التي حدثت في العاصمة من اجل الوصول الى العرش حيث تمكن حاتوسيلي الاول من القضاء عليها ولكن ابن اخته خذله ايضا بأتباعه توجيهات والدته ضده لذلك استبدله بحفيده مورسيلي الاول (١٦٢٠-١٥٩٠ ق.م) بموافقة مجلس البانكو ولكن تم بعد ذلك التآمر عليه وقتله من قبل حانتيلي الذي تميز حكمه

بالأزمات الخارجية وهو من داخل العائلة كونه ساقية وزوج اخته (١٥٩٠-١٥٦٠ ق.م) بمساعدة زيدانتا الذي تامر عليه فيما بعد وقتله واعتلى هو العرش وفي سنة (١٥٢٥ ق.م) . وفي نهاية حكم المملكة الحثية القديمة اعتلى العرش تيلبينوس (Telepinus) (١٥٢٥-١٥٠٠ ق.م) وهو ايضا مغتصبا للعرش لكن تحسنت الاوضاع في فترة حكمة لأنه قضى على كل من ينافسه على عرشه عكس الملوك السابقين فوضع قانونا لتنظيم وراثته العرش لتقوية الدولة الحثية داخليا وسار هذا القانون حوالي مائتي عام بدون نزاعات ولا اغتيالات للوصول الى العرش وقد اشار قانونه الى :

" يكون ملكا من كان نجيب زوجة من الطبقة الاولى من الامراء ، فاذا لم يوجد امير من الطبقة الاولى ، كان الملك اميرا من الطبقة الثانية ، فاذا لم يوجد مع ذلك امير ، فليجمعوا زوجا لأحدى بنات الطبقة الاولى ملكا "

فحقق نجاحا بارزا استمر طول هذه الفترة ، فالملك موواتالي الثاني بعد هذا القانون بمائتي عام توفى ولم يترك له وريثا شرعيا من الدرجة الاولى ولكن بموجب قانون تلبينو تولى بعده الحكم ابنه من زوجة ثانوية وهو اورخي تيشوب وبعد حكمه بسبع سنوات حدث اول انقلاب ضد قانون العرش لتلبينو على يد عمه حاتوسيلي الثالث.

تولي موواتالي الثاني العرش (١٢٩٥-١٢٧٢ ق.م)

في ظل الامبراطورية كانت الخلافة في اغلب الاحيان من الاب الى الابن من الدرجة الاولى (Beckman, 1983, p.23) حيث كان مورسيلي الثاني يفضل اختيار ابن يكون وريث لعرشه تكون امه حية وام موواتالي الثاني كاشولوايا كانت بمثابة مصدر مستشار لابنها موواتالي الثاني حيث تشير صور كاشولوايا على انطباعات الاختام إلى أنها لعبت دوراً محدوداً على الاقل في إدارة الدولة (Moore, 2018, p 93). بالإضافة الى انشقيقه الأكبر هالباشولوبي قد مات في سن مبكر مما مهد لموواتالي الثاني اعتلاء العرش بسلاسة عام ١٢٩٥ ق.م. (Singer, 2006, p 39) فبعد وفاة ابيه مورسيلي الثاني تولى العرش بمساعدة اخيه حاتوسيلي الثالث (جرني، ١٩٩٧، ص ٥٤) واثبت انه خليفة جدير لوالده

وحوله العديد من الممالك التابعة. (Murnane, 1985, p 178) فورث مواتالي الثاني إمبراطورية هادئة ومستقرة نسبياً. (الصالح، ٢٠١١، ص ٣٢١) لكن ليس لفترة طويلة، وامتدت هذه الامبراطورية من بحر إيجه إلى ما وراء نهر الفرات وحتى حدود لبنان في الجنوب. (singer, 2006, 39).

حيث تمتد من الشرق إلى بلاد اشور ومن الجنوب إلى جبال الكرمل والجليل. (بوت، ١٩٧١، ص ٢٦٢) وبهذه الفترة شنت الغارات المستمرة لقبائل الكاسكا من سلسلة جبال بونتيك وتسببت في إزعاج كبير (Singer, 2006, p 39). بالإضافة إلى التهديد المصري لنفوذه في سوريا في عهد فراعين الأسرة التاسعة عشر من جهة أخرى. (Aylan, 2021, p 4) وكان يدعي الملك مواتالي الثاني انه اله الطقس قام برعايته حتى أوصله إلى ملكية حاتي وكما ورد في النص: (Beekman, 1995, p 531)

" اله الطقس يا سيدي كنت (طفلاً) وكان والدي كاهن الهه الشمس آرينا وجميع الآلهة ، والدي (انجني) ، ولكن الله الطقس اخذني من بلدي ... ورعاني وجعلني كاهن الهه الشمس آرينا وجميع الآلهة وثبت لي الملكية على ارض حاتي " (Albet, 1955, p 398 & Beckman, 1995, p 531)

حيث يشير النص هنا إلى ان الإلهة لم تقم برعايته فقط وانما اعطته ملكية مطلقة وهذا ما يوضحه النص :

" ملكية غير محدودة على الأرض "

ويعزز أبيه مورسيلي الثاني كلامه (Hass, 1994, p 196) اما طقوس التتويج للملك فالنصوص الحثية لم تتطرق كثيراً إلى مراسيم التتويج وربما يكون مجرد طقس تطهير كما حدث في عهد والده والغاية منه للحصول على النصر في الحملات العسكرية (Yakubovich, 2006, p 123)

وظهرت طقوس التطهير قبل عصر مواتالي الثاني حيث ظهرت في عهد الملك باليا ملك كيزوانتا وتم تعزيزها في عهد مواتالي الثاني وكتبت هذه الطقوس التطهيرية باللغة الحثية ولكنها مليئة بالعناصر الحورية. (Güterbock, 1997, p 12) مشاكل تولي الملك مواتالي الثاني العرش:

على الرغم من الظروف التي تبدو طبيعية في اعتلاء الملك مواتالي الثاني وحكمه، فقد كانت هناك عدة مشاكل: (Singer, 2006, p 39)

المشكلة الأولى :

شوهت شخصية الملك منذ أيام جده، بسبب مرض الطاعون ، الذي نشره الجنود المصريون ، أهلك سكان حاتي وتسبب في شعور دائم باتهام الذات في البلاط الملكي، ولا بد أن هذا الامر قد أثرت بشدة على ضمير الملك مواتالي الثاني أيضاً، وأحدثت إحساساً عميقاً بالتوبة والتقوى. (Bryce, 2005, p 123)

"مات زوجي وليس لدي ابن أما لك فيقولون الأبناء كثيرون، لو أعطيتني ابناً واحداً منك، فإنه يصبح زوجي. لا أختار خادماً لي أبداً وأجعله زوجي". (Sulyok, 2017, p 12)

يشير هذا النص الى مشكلة اخرى وهي رساله من ارملة الفرعون المصري الى الملك الحثي سابيلوليوما وهو جد مواتالي الثاني والتي كانت سببا وبداية الخلافات التي بدأت في عهد سابيلوليوما واستمرت الى عهد مواتالي الثاني .

فأساس هذه المشكلة ارسلت الملكة المصرية دعوه الى سابيلوليوما من اجل ان يرسل لها احد من ابناءه ليتزوجها ويصبح حاكم مصر القادم والسبب لان السلالة الملكية في مصر قد انتهت وانها رفضت الزواج من اي شخص اقل مكانة بين مواطنيها، بعد ان ارتاب سابيلوليوما من طلبها أرسل وزيره إلى مصر للتحقق من حقيقة الامر كان السبب الرئيسي لشكوكه هو ان الفرعون المتوفي قد أمر مؤخراً بالهجوم على مدينة قادش التي كانت في السابق تابعه الى مصر ولكنها تحت السيادة الحيثية حيث صد الحيثيون الهجوم ونفذوا هجوماً انتقامياً على الاراضي الخاضعة لمصر جنوباً غضب سابيلوليوما من هذا العمل الغادر على الرغم من حرصه على الابتعاد عن الاراضي المصرية في حربه مع ميثاني فأشتبته بان رساله الملكة كانت مجرد واجهة لمزيد من الخيانة المصرية، فارسل وزيرة للتحقق من الامر وفي الربيع التالي عاد وزير الملك من مصر برفقه المبعوث المصري الرئيسي

هاني، كلاهما يحمل تأكيدات بأن نداء المملكة الى سابيلوليوما كان صادقاً ولم يبق احداً من السلالة الملكية لخلافة الفرعون الميت ويمكن قبول طلب تعيين امير حتي على عرش مصر. (Kabatarova, 2006, p 8-9) عدم تصديق الملك بكلام ارملة الفرعون في بداية الامر اثار غضبها وكما هو موضح في النص:

"ولماذا تقول إنهم يبغون خديعتي؟ فهل إذا كان لي ابن اكتب إلى أجنبي لأعلن محنتي، ومحنة بلادي، لقد أهنتني بهذا الحديث، إن من كان زوجي توفي وليس لي ابن. فهل يجب علي عندئذ أن اتخذ أحد من رعيتي زوجا لي؟ أنا لم أكتب لأحد غيرك. كل إنسان يقول إن لك أبناء كثيرين، أعطني أحدهم ليصبح زوجي وملكا على مصر". (الصالح، ٢٠١١، ص ٢٧٨)

ويعزز طلبها مبعوثها المصري هاني بعد ذلك قائلاً :

" يا مولاي هذا خزي بلدنا إن كنا نمك أي ابن للملك، فهل كنا أتينا إلى بلد أجنبي وظلنا نطلب سيِّداً لنا؟ لقد مات نبخبرورع [الملك المصري]. وليس له أبناء زوجة مولانا بمفردها. نحن نبتغي ابنا من أبناء مولانا [سابيلوليوما] للملك في مصر. أما للسيدة مولاتنا، فنحن نبتغيه لها زوجا علاوة على ذلك لم نذهب إلى أي بلد آخر فقد أتينا إلى هنا فقط والآن يا مولاي أعطنا واحداً من أبنائك ! " (Sulyok, 2017, p 100)

ارسل سابيلوليوما ابنه الى مصر ولكنه قتل اثناء طريقه فحملهم مسؤولية قتله من هنا بدأت التوترات بين مصر والحيثيين في التصاعد وبلغت ذروتها في معركة قاش ١٢٧٤ ق.م. (Bryce, 2019, p 89) فأنتم بحملة على مصر وجلبت قواته في هذه الحملة الوباء ، والوباء عقوبة بعض الذنوب اذا اصبح هناك خرق للمعاهدة بين مصر والحيثيين واقسموا الحيثيين بزمين سابيلوليوما بالهه العاصفة ولكن انقضوا المعاهدة وهذا ذنب ينتقل من الاء الى الاء حيث ذكر ابنه مورسيلي الثاني وكما جاء في النص :

"ها ، لقد اعترفت بخطيئتي أمام الهه العاصفة. لقد فعلنا ذلك "

لاحقا يقول :

" يا الهه العاصفة ، هكذا يحدث :الناس يخطئون دائماً يا الهه لقد اخطأ والدي وتجاوز امر الهه العاصفة ،لكنني لم ارتكب اي خطيئة بأي حال من الاحوال ، (مع ذلك) ،

خطيئة الاب تأتي على ابنه ، وهكذا تقع خطيئة ابي علي ، وها انا قد اعترف بذالك لإله العاصفة في هاتي ولإلهة اسيادي لقد فعلنا ذلك ! الآن منذ ان اعترفت بخطيئة والدي -- -- ارحمني ". (Güterbock, 1997, P 10-11)

"اذا كنت انت نفسك كملك ارتكبت جريمة فظيعة اثارت غضبا الهيا فمن الممكن ان تعاني مملكتك بأكملها بسبب ذلك"

مما ينبىء بمعتقد العهد القديم ، فإن خطايا الاباء يمكن ان تتكرر على ابنائهم تماماً كما تتكرر خطايا الملوك على رعاياهم وهكذا تؤكد مورسيلي الثاني اخيراً من خلال التحقيق الكهنوني من ان الطاعون - الذي اجتاح ارض الحثيين لمدة ٢٠ عاما سببه الغضب الالهى الناجم عن عدة جرائم بما في ذلك انتهاك القسم واهمال التضحيات. (Elizabeth, 2016, P 55)

ومن ذنوب والده حنث يمين الولاء بقتل ولي العهد الاصغر توداليا Tudhaliya ويبحثون الملوك عن الخطأ أحياناً في انفسهم عندما تسوء الأمور (الصالحى، ٢٠١١، ص ٢٥٠-٢٥١) ومن الذنوب التي تلحق بالأبناء هو ذنب مورسيلي الثاني عندما كانت زوجة ابوه على عدااء مع زوجته وعندما توفيت زوجته كشولايويا اتهم زوجة ابوه بانها كانت تلعنها فقام بنفيها وقد اثقل هذا الفعل ضميره فوجه عدة صلوات الى الإلهة لتبرير هذه المعاملة القاسية للملكة. (الصالحى، ٢٠١١، ص ٣٠٤-٣٠٨) ولان الذنوب تنتقل للأبناء فأنها وصلت الى عهد الملك موواتالي الثاني حيث كان له صلاه توضح ذلك:

" من فم جلالته"

يعترف الملك بالخطايا للإلهة العاصفة وللآلهة الآخرين و سبب هذه الصلاة هي الكارثة التي حلت بالمملكة الحيثية بعصره ما اضطر الملك إلى اخذ الآلهة الى كومانى. (Singer, 1996, p 161)

اذا بسبب انتقام جده سابيلوليوما من المصريين لمقتل ابنه ، جاء الدور الان للمصريين لينتقموا اثناء فترة توليه العهد ،بالاضافة الى اخطاء ابيه.

المشكلة الثانية :

انتقام مصر كان الملوك الجدد النشطون من الأسرة التاسعة عشرة يستعدون علناً لهجوم كبير ضد الحيثيين في سوريا كما ولم تكن الاحتمالات مطمئنة بالنسبة لمواتالي الثاني وكان انتهاك جده للحدود المصرية يعتبر السبب الرئيسي للغضب الإلهي، خاصة وأن إله العاصفة هو الذي يضمن المعاهدة بين الإمبراطوريتين. وكانت هناك حاجة ماسة إلى دعمه المتجدد.

فحدثت مواجهه بين الطرفين بقيادة سيتي الاول ومواتالي الثاني وانتهت بمعاهدة صلح التي لم تستمر كثيرا حيث سرعان ما انهارت في عهد خليفته رمسيس الثاني.

المشكلة الثالثة :

تكمن هذه المشكلة بان مواتالي الثاني الملك الحثي الوحيد الذي نعرفه والذي لم يكن بإمكانه أن ينجب ابناً من المرتبة الأولى (الزوجة الرئيسية) لذلك، اختار ابناً له خليفة لعرشه وهو ابن زوجة ثانوية كان هذا قانونياً تماماً من حيث قواعد الخلافة.

مع ذلك، فقد أدى هذا إلى اضطرابات سياسية وعسكرية خطيرة في السنوات التالية. حيث تتبأ مواتالي الثاني بمثل هذا الاحتمال وأراد فقط أن يكون له ابن بكر من زوجته الرئيسية على يد طبيب بابلي .

حيث كانت مصر غنية بالنباتات الطبية لكن ايضا كان هناك الطب البابلي مشهوراً في عالم الشرق الأدنى، وكان يوجد طلب على الأطباء البابليين وكان منهم في المملكة الحثية وفي ذلك الوقت، بما أن حاتي ومصر كانا عدوين لذوذين لبعضهما البعض، لم يتمكن مواتالي الثاني من مناشدة مصر لمثل هذا الغرض ولأنه هو الذي قاد القوات الحثية لمواجهة رمسيس الثاني في قادش لذلك كانت المساعدة الطبية للبلاط الملكي الحثي آخر شيء كان ينظر إليه أو يقدمه في ذلك الوقت. وكانت بابل هي البديل الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه. (Bryce, 2003, p 189)

المشكلة الرابعة :

مشكلة عدم انجابه ابناً من زوجة رئيسية ادخلته بمشكلة رابعة مع ملك بابل حيث اتهمه علناً باحتجاز الطبيب رغماً عنه وتعقدت الأمور أكثر عندما تم إرسال الطبيب البابلي

الثاني إلى القصر الحثي في عهد اخيه الملك حاتوسيلي الثالث وتوفي هناك. وعدم رغبة الملك الحثي موراتالي الثاني بمغادرة الطبيب البابلي بعد استقراره ادى إلى زيادة التوتر بين الملك الحثي والملك البابلي .

" أولئك الذين ذهبوا لم يعودوا أبداً كادشمان -إنليل يريد عودة خدامه "

يشيد الملك موراتالي الثاني بانه حاول إقناع الطبيب بالبقاء في مملكتهم بشكل دائم وودي وزوجه امرأة من العائلة المالكة - وهو مثال جيد على المكان الذي يمكن أن يذهب إليه طبيب متميز وتمت مكافأته بطريقة مهدت الطريق لحياة مريحة في العاصمة الحثية. لكن جاء حاتوسيلي الثالث ليعزز كلام الملك البابلي في هذا النص :

" في عهد أخي موراتالي أخذوا كاهناً ساحراً وطبيباً واحتجزوهم في حاتي، فقلت لهم: لماذا تعتقلونهم؟ لم يكن من الصحيح أن يعتقلوا طبيباً. والآن أنا أعتقل الطبيب المعالج؟ إذا سألت الخبراء الأوائل الذين أحضروهم إلى هنا ربما يكون الكاهن الساحر قد مات، لكن الطبيب على قيد الحياة ولديه عائلة جيدة المرأة التي تزوجها هي قريبة لي. فإذا قال الطبيب أريد العودة إلى بلدي، فإنه يغادر ويذهب إلى بلده. هل أحتجز الطبيب راباشامردوخ؟ " . (Bryce, 2003, p 190)

المشكلة الخامسة :

كان الملك موراتالي الثاني متورطاً في نزاع شرس مع دانوخيبا أدى هذا النزاع في النهاية إلى محاكمة علنية، ونتيجة لذلك تم نفيها من القصر ولكن على أي حال، فإن المشاكل الشخصية التي تواجه موراتالي الثاني لم تساهم في راحة باله.

مع ذلك، كان عازم على إجراء التغيير الأكثر جذرية في تاريخ حاتي، ربما بسبب هذه المشاكل الملحة حيث واجه في السنوات الأخيرة من حكمه أزمة في الديوان الملكي بسبب دانوخيبا. (Bryce, 2005, P. p 242-243) لأنها ارادت التوسع في الحكم (عاشور، بدون سنة نشر، ص ٢٨١-٢٨٢) وابنه اورخي تيشوب ايضاً خاف من الشر الذي ممكن يصيبه بسبب ابيه موراتالي الثاني لأنه نفى دانوخيبا زوجة ابيه مورسيللي الثاني مثلما نفى جدهم سوبليوليوها زوجة ابيه، ويقول اورخي تيشوب في نصاً له :

"اتمنى الا يكون والدي والملكة خصمين في دعوى قضائية! ولا يجوز ان يعرضني اي شر على الاطلاق! لماذا يجب ان احكم على تلك الدعاوى القضائية؟ تلك دعوى قضائية. تخص الآلة! واذا كان والدي، مقارنة بالملكة لن (يبدو) انه على حق في الدعوى، فهل سأكون ملزماً . بجعله الطرف الخاسر في الدعوى فيما يتعلق بالملكة دانوهيبا؟ ومن اجل حياتي (او روعي) قلت مرراً وتكراراً الملاحظة التالية : لا يجوز لي ان اتعرض للخطر من أي شر على الاطلاق ! ". (Bryce, 2005, p 247)

يشير النص الى ان اورخي تيشوب يطلب من الإلهة ان لا يطوله غضبها بسبب ذنب والده مثلما طلب جده مورسيلي هذا الطلب ولذات السبب.

المشكلة السادسة :

بعد فترة وجيزة من توليه العرش كلف مواتالي الثاني شقيقه حاتوسيلي بمسؤولية حكم المناطق الشمالية في المملكة ولكن هذه الخطوة من مواتالي الثاني كان لها اثر سلبي على الرغم من التأثير الايجابي من الناحية الادارية ، تكمن المشكلة بانه أزال الحاكم الحالي أروما ترهوندا من منصبه، بعد ما تم منحه الأرض العليا وكان رد الاخير بمرارة عند اقالته ويقول حاتوسيلي الثالث في نص له يوضح اثر تسلمه الحكم :

" تم منح الأرض العليا ارما تراهواندا ولكن عندما اعطاني اخي مواتالي الثاني الارض العليا لأحكامها ، بدأ ارما تراهواندا في خيانة اخي واستمر في مضايقتي أكثر ."

ولم يكن اروما ترهواندا وحده في الاحتجاج وانما احتشد اخرون لدعمه ووجهت اتهامات الى المعين الجديد. (Bryce, 2005, p 247) الذي كانت علاقته طيبة باخيه الذي سلمه الإدارة في الأراضي الحدودية العليا وربما كانت هناك أسباب إضافية لهذا التعيين، الذي أثبت نجاحه الكبير، على الأقل من الناحية العسكرية والإدارية (Singer, 2006, p 39)

الاستنتاجات

١. لم تكن المملكة الحثية تمتلك قواعد دائمة لتوريث العرش، مما أدى إلى حدوث انتهاكات واغتياالات بين الورثة، وتكررت هذه الأزمات بشكل مستمر.

٢. كان يتم اختيار الملك من العائلة المالكة بناء على معايير محددة، وليس عبر نظام محدد تماما، مما أدى إلى عدم الاستقرار.
٣. حتى بعد التعديلات القانونية استمرت الأزمات والتحديات السياسية في المملكة الحثية، مما أثر على استقرارها الداخلي.
٤. كان تعيين مواتالي الثاني لأخيه حاتوسيلي الثالث حاكماً للجزء الشمالي من المملكة كان قرارا مدروسا وله عدة دوافع استراتيجية منها ضمان استقرار المملكة، ولعدم مطالبته بالمزيد، وتعزيز الولاء داخل الأسرة الحاكمة وتجنباً للنزاعات، ولكي يحمي الجزء الشمالي من هجمات الكاسكا المستمرة، واذ لم يكن هناك تنسيق أو تعيين مناسب للأقارب في مواقع استراتيجية، قد يؤدي ذلك إلى صراعات على السلطة أو أزمات سياسية. ولتعزيز الاستقرار الاقليمي لأنه يساعده بالحفاظ على نفوذه وقوته في المناطق المركزية مع التأكد أن القادة الإقليميين الرئيسيين لا يشكلون تهديداً له أو لسلطته.

قائمة المصادر

المصادر العربية

- ١.١. ر. جرنى (١٩٩٧)، الحثيون، تر: محمد عبد القادر محمد، مر: فيصل الوائلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢. ابو سعود صلاح (٢٠١٧)، معالم تاريخ وحضارة الحثيون، ط١، مكتبة الناظفة العالمية للكتب والنشر، القاهرة.
٣. بورت، دولا (١٩٧١)، بلاد ما بين النهرين، حضارة بابل واشور، ترجمة: مارون الخوري، بيروت.
٤. الصالحي، صلاح رشيد (٢٠١١)، المملكة الحثية، دراسة في التاريخ السياسي لبلاد الاناضول.
٥. عاشور، عماد عبد العظيم (د.ت)، سياسة النفي والابعاد في المملكة الحثية، دراسات في اثار الوطن العربي ١٩، مصر، كلية الآداب، جامعة الفيوم.

المصادر الأجنبية

1. Albet, Goetze (1955), "Hittite Rituals in Context and Description of Festivals.

2. Aylan, Zafar Nima (2021), The political influence of Egypt in the Levant during the period (1580-1187. BC), International Journal of Creativity and Innovation in Humanities and Education, Zagazig University, Faculty of Education and Early Childhood, Vol. 1, 2021.
3. B.R. Kabatiarova (2006), "Ugaritic Seal Metamorphoses as a Reflection of the Hittite Administration and the Egyptian Influence in the Late Bronze Age in Western Syria," Ankara, June.
4. Beckman Gary (1983), "Inheritance and Royal Succession Among the Hittites," The Oriental Institute of the University of Chicago.
5. Beckman, Gary (1995), "The Royal Ideology and State Administration in Hittite Anatolia," Vol. 1, New York.
6. Bilgin Remzi Tayfun (2015), "Bureaucracy and Bureaucratic Change in Hittite Administration.
7. Bryce Trevor (2019), "Warriors of Anatolia: A Concise History of the Hittites," London, New York.
8. Bryce, Trevor (2003), "Hitit Dünyasında Yaşam ve Toplum," Birinci Baskı, Ağustos, Ankara.
9. Bryce, Trevor (2005), "The Kingdom of the Hittites," Oxford University Press Inc., New York.
10. Collins, Billie Jean (2007), "The Hittites and Their World," America.
11. Elizabeth, Anna Francina (2016), Van der Ryst "An Investigation into the Extensive Religious and Political Elements that Impacted on the Reigns of Hattusili III, Puduhepa, and Their Son, Tudhaliya IV (ca. 1267-1228 BCE)," University of South Africa, November.
12. Güterbock, Hans Gustav (1997), "Perspectives on Hittite Civilization: Selected Writings," Chicago, No. 26.
13. Haas Volkert (1994), "Geschichte der Hethitischen Religion," New York.
14. Moore, Michael (2018), "Hittite Queenship: Women and Power in Late Bronze Age Anatolia," University of California.
15. Murnane, William J. (1985), "The Road to Kadesh: A Historical Interpretation of the Battle Reliefs of King Sety I at Karnak," University of Chicago.
16. Singer, Itamar (1996). "Muwatalli's Prayer to the Assembly of Gods Through the Storm-God of Lightning." American Schools of Oriental Research. California.
17. Singer, Itamar (2006), "The Failed Reforms of Akhenaten and Muwatalli.
18. Sulyok, Gábor (2017), "Breach of Treaties in the Ancient Near East," Journal of the History of International Law 19.
19. Yakubovich, Ilya (2006), "Were Hittite Kings Divinely Anointed? A Palaic Invocation to the Sun-God and Its Significance for Hittite Religion.

مدينة برذعة دراسة في احوالها السياسية
والاقتصادية والفكرية

م.د. علاء حامد احمد محمود الزوبعي

وزارة التربية/ مديرية تربية بغداد الكرخ الأولى

dralaa37@yahoo.com

07815229929

مدينة بردعة دراسة في احوالها السياسية والاقتصادية والفكرية

م.د. علاء حامد احمد محمود الزوبعي

الملخص:

تناولت هذه الدراسة تاريخ مدينة بردعة الواقعة في إقليم اران، والتي اختلفت الروايات التاريخية في أصول تسميتها بهذا الاسم، كما اختلفت في منشأها وبانيها، وقد تميزت بموقعها الجغرافي الاستراتيجي الذي كان محض انظار لكثير من الدول، الذي جعل منها مركزا تجاريا مهما لوقوعها بين نهري الكر والثرثور، كما ان وقوعها على طريق القوافل التجارية المارة من بلاد فارس الى أرمينيا واليونان.

وقد ازدادت أهمية المدينة بعد الفتح الإسلامي، اذ أصبحت قاعدة للجيش الإسلامي الفاتحة لبلاد أرمينيا وأذربيجان، فأعادوا تحصينها واولوها اهتماماً كبيراً، فأقاموا بها دار امارة وبيت مال واقاموا بها مكيال سمي بالجراحي، حتى أصبحت بردعة ام اران وعين تلك الديار، ثم ما لبثت ان تعرضت مدينة بردعة الى غزو الروس الذين قتلوا جميع أهلها، إضافة الى غزوات الخزر التي لم تنتهي، حتى خربت المدينة وأصبحت عبارة عن قرية .
الكلمات المفتاحية: مدينة بردعة، دراسة في احوالها، السياسية، والاقتصادية، والفكرية.

**The City of Bardaa, a study of its political conditions
Economic and intellectual**

M.D. Alaa Hamed Ahmed Mahmoud Al-Zubaie
Ministry of Education/Baghdad Al-Karkh First Directorate of
Education
dralaa37@yahoo.com
07815229929

Abstract:

This study dealt with the history of the city of Bardaa, located in the Aran region, in which historical accounts differed in the origins of its naming by this name, as well as in its origin and builders. It was distinguished by its strategic geographical location, which was of

great interest to many countries, which made it an important commercial center due to its location between the two rivers. It also occurred on the route of trade caravans passing from Persia to Armenia and Greece.

The importance of the city increased after the Islamic conquest, as it became a base for the Islamic armies that conquered the countries of Armenia and Azerbaijan. They refortified it and paid great attention to it. They established in it an emirate's house and a treasury, and they established a storehouse called Al-Jarahi, until it became as large as Umm Aran and the source of those lands. Then, it was soon exposed. The city of Barda'a was subjected to the invasion of the Russians, who killed all its people, in addition to the Khazar invasions that did not end, until the city was destroyed and became a village.

المقدمة

من المعروف ان انشاء أي مدينة يعود الى عوامل عديدة، منها: الكثافة السكانية، ومنها عوامل اقتصادية والتي ترتبط بكثرة المياه ووفرة الإنتاج الزراعي والصناعي والحركة التجارية (الأسواق) ومنها متعلق بالأمن وقوة تحصينها ووجود الاسوار والقلاع والحصون فيها ومدينة برذعة قد وفرت لها طبيعتها هذه التحصينات، والخاصية الأخرى تتعلق بالمدينة الإسلامية اذ ان المسلمين أيام الفتح كانوا يقيموا حضارة حيثما حلوا.

ومن هنا أتت أهمية دراسة مدينة برذعة التي لم تكن وليدة الفتح الإسلامي وانما وجدت قبل الفتح الإسلامي لتلك المناطق، الا ان دورها كمركز إداري لم يبرز الا بعد الفتح الإسلامي للمدينة، وهذا مرتبط بوجود المسجد الجامع وهو من الخصائص الأساسية دينياً وسياسياً ومن الناحية الإدارية هو وجود دار امارة في المدينة، إضافة الى جمع خراج أرمنيا وأذربيجان وتلك الديار كانت تجمع فيها أيام الخلافة الاموية ووجود مكيال الجراحي فيها.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة تقسمها الى اربع مباحث: تضمن المبحث الأول: التسمية والنشأة والموقع الجغرافي، اما المبحث الثاني فتضمن الفتح والحكم الإسلامي لمدينة برذعة، فيما تضمن المبحث الثالث: الحياة الاقتصادية لمدينة برذعة، اما المبحث الرابع: فقد اشتمل على الحياة الفكرية لمدينة برذعة.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية هذه الدراسة بما يأتي:

١- عدم وجود هكذا نوع من الدراسات السابقة تناولت مدينة بردعة.

٢- دراسة أسباب التسمية والنشأة

٣- دراسة العوامل التي ساعدت في ازدهار وتطور مدينة بردعة.

٤- دراسة أسباب اختيار الموقع للمدينة

المبحث الاول

التسمية والنشأة والموقع الجغرافي

أولاً: التسمية والنشأة:

اختلفت الروايات التاريخية في اصل تسمية المدينة بهذا الاسم، كما اختلف في الجذور التاريخية للكلمة وأول من انشئها، فقيل: ان كلمة بردعة اشتقت من الكلمة الأرمنية القديمة بارتو (partaw) او بتراف او بارتاف، والتي اشتقت من الكلمة الفارسية المكونة من مقطعين باري- تاف والتي تعني حول السور^(١).

ويذكر المؤرخ الدمشقي شمس الدين^(٢) ان تسمية المدينة بهذا الاسم نسبة الى بانيها، بردعة بن ارميني، فيما ذهب المؤرخ القزويني ان اول من بنى مدينة بردعة إسكندر الروماني، وأعاد تجديد عمارتها قباد بن فيروز الساساني^(٣).

وقيل ان بردعة أسسها الملك الالباني فاتشي، بعد تقسيم أرمينيا بين بيزنطة وبلاد فارس عام ٣٨٧م فاضطر القائد الالباني فاتشي الثاني الذي كان تحت حكم الملك الساساني بيروز الأول الانسحاب الى جنوب نهر الكر، وبنا المدينة وسماها بيروز اباد تكريماً لشاه فيروز الأول لتحل محل العاصمة الالبانية القديمة قبله^(٤).

فيما ذكرت بعض المصادر التاريخية ان لما كثرت غارات الخزر على بلاد فارس حتى وصلت الدينور، وجه قباد قائده في جيش كبير لقتالهم، وتمكن من فتح اران وأرمينيا وجاءوا بالأسرى والغنائم، ولحق به قباد فبنى مدينة بردعة، واقام بها قلعة حصينة^(٥).

ونكرت بعض المصادر العربية والفارسية أن بردعة كلمة فارسية معرب بردة دار، ومعناها بالفارسية موضع السبي^(٦)، اما الجغرافي الأرميني (Anania Shirakatsi) فيقول: ان مدينة بارتاو او بردعة كانت موجودة مسبقاً تحت هذا الاسم وان الاسم الفارسي لم يكن موجوداً^(٧).

ومهما يكن من امر فان بردعة اصبحت عاصمة إقليم اران في عهد قباد بن فيروز بعد تحصنها من هجمات الخزر^(٨).

الموقع:

مدينة بردعة مربعة الشكل في ارض سهلية, يمر من خلالها نهر^(٩), وهي واقعة ضمن الإقليم الخامس^(١٠), يحدها من الجهة الغربية نهر الثرثور الذي يبعد عنها مسافة اقل من فرسخ^(١١), ومن الجهة الشمالية يحدها نهر الكر الذي يبعد عن المدينة قرابة الثلاثة فراسخ ومن جهة الشرق مدينة الباب^(١٢).

كما انها واقعة على الطريق التجاري الذي يربط اردبيل بدفين ماراً بمدينة بردعة ثم مدينة تفليس^(١٣), وبعد الفتح العربي الإسلامي للمدينة أصبحت بردعة دار امارة لإقليم اران في عصر الخلافة الاموية^(١٤), كما قاموا ببناء مسجد جامع بالقرب من دار الامارة وجعلوا فيه بيت المال على قرار بيت المال الذي اقاموه في مصر^(١٥), وهو بيت مرصص السطح وله باب من الحديد وهو على تسع اساطين^(١٦), وقد وصف المقدسي الابشار^(١٧) مدينة بردعة بانها " بغداد هذا الإقليم" ويقصد بإقليم اران، وذلك لحسنها وجمال طبيعتها وجمال دورها وكثرة خيراتها وتجارها ووقوعها على طريق القوافل، وقد أضحت المدينة مركزاً تجارياً مهما يصده التجار من شتى البلدان.

المبحث الثاني

الأحوال السياسية لمدينة بردعة

أولاً: الفتح العربي لمدينة بردعة.

سار الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) في سياسته على خطى سلفه الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في مواصلة حروب التحرير والفتوحات الإسلامية في المشرق من اجل تامين حدود الدولة الإسلامية، واضعاف قوة الإمبراطورية البيزنطية التي لا تزال غاراتها متواصلة على الثغور الدولية العربية الإسلامية، وقد تطلب الامر من الخليفة عثمان (رضي الله عنه) الحاقه بالدولة العربية الإسلامية.

ففي سنة (٢٥هـ/٦٤٥م) عزل الخليفة عثمان بين عثمان (رضي الله عنه) اميره على الكوفة سعد بن مالك^(١٨), وولاهم لأخوه لأمه الوليد بن ابي المعيط، فبعث الوليد جيشاً قوامه اثنتا عشر الف

مقاتل بقيادة سليمان بن ربيعة الباهلي، تقدمت جحافل هذا الجيش نحو بلاد أرمينيا التي كانت خاضعة الى سلطة الدولة البيزنطية، وتمكن من اخضاع العديد من مدنها الى سلطة الدولة العربية الإسلامية، ثم اكمل مسيره نحو المدن الأخرى، وتمكن من فتح العديد من الحصون التي كانت في طريق تقدمه^(١٩).

ثم واصل سليمان بن ربيعة تقدمه حتى وصل مدينة بردعة سنة (٢٨/٥٢٨م) واقام عسكره على الثرثور^(٢٠) ^(٢١)، ولما رأى اهل بردعة جيوش المسلمين اغلقوا جميع أبواب المدينة، وقاتلوهم أياما ومنعوا المسلمين من دخولها، فأغار المسلمون على جميع قرأها، وكانت زروعها ناضجة ومحصدة^(٢٢)، فقتلوا وسبوا جميع من في قرى مدينة بردعة^(٢٣)، فلما رأى هل المدينة انهم لا طاقة لم بقوة المسلمين، وان المسلمين مصرين على دخول المدينة، ارسلوا اليهم يطلبون الصلح، فصالحهم سليمان بن ربيعة على ان امنهم على دمائهم واموالهم، وضمن لهم امن مدينتهم من أي اعتداء خارجي، واشترط عليهم مقابل ذلك دفع الجزية والخراج للمسلمين^(٢٤)، فتحت أبواب المدينة ودخلها المسلمون، واقاموا بها أياما،^(٢٥).

وبعد ان استقر امر المسلمين في مدينة بردعة امر سلمان الجيوش الإسلامية التي كانت برفقته الى إتمام عملية الفتح للمدن والحصون في بلاد اران^(٢٦)، وعلى ما يبدو ان بردعة أصبحت قاعدة للجيوش الإسلامية في بلاد اران، استخدمت لإتمام عمليات الفتح الإسلامي في أرمينيا.

وفي سنة (٨٥/٧٠٤م) تعرضت مدينة بردعة الى غارات وهجمات قام بها الخزر، وعانا أهلها سوء معاملة الخزر و وحشيتهم، وعندما وصلت انباء هذه الغارات الى مسامع الخلافة الاموية، امر محمد بن مروان الى تجهيز جيش كبير لاستعادة فتح المدن الأرمينية التي سيطر عليها الخزر، وبالفعل سار بجنوده الى أرمينيا وارن وتمكن من استعادة مدينة بردعة وبعض المدن والحصون التي وقعت في ايدي الخزر الى الدولة العربية الإسلامية، وولى عليها عبد الله بن حاتم بن النعمان الباهلي، لكنه توفي بعد مدة قصيرة، فولى عليها اخوه عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي، الذي أعاد بناء مدينة بردعة بعد ان دمرها الخزر^(٢٧).

ثانياً: غزو الروس لمدينة برذعة سنة (٣٣٣هـ/ ٩٤٤م).

ان الموقع الجغرافي الذي امتازت به مدينة برذعة جعلها محط انظار الكثير من الطامعين والحاسدين ممن كانوا بجوارها.

ففي سنة (٣٣٣هـ / ٩٤٤م) قصدت جيوش روسية بلاد أذربيجان عن طريق بحر الخزر ثم دخلت نهر الكر حتى وصلت مدينة برذعة^(٢٨)، وفرضوا عليها الحصار أياماً، حتى تمكن الروس من دخولها^(٢٩)، وكان النائب على برذعة المرزبان بن محمد بن مسافر ملك الديلم، الذي جمع جيوش كثيرة من المتطوعة بلغ عددهم خمسة الاف، فالتقوا بالجيش الروسي وقاتلوهم، واشتد القتال بين الطرفين وفر المسلمون منهزمون الى المدينة، وتبعهم الروس^(٣٠)، وتمكنوا من دخولها ونادى الناس بالأمان فامنهم الروس واحسنوا السيرة معهم^(٣١).

ثم اقبلت الجيوش الإسلامية من كل حدب وصوب لقتال الروس واخراجهم من مدينة برذعة، فأقاموا عسكريهم على اطراف المدينة وفرضوا عليها الحصار، الاجبار الروس على الخروج منها، لكن الروس كانوا قد تحصنوا في المدينة ويخرجوا لقتال المسلمين بين الفينة والأخرى، ولم يستطيع المسلمون الصمود امام الروس، وكان عامة الناس من في المدينة عندما يخرج الروس لقتال المسلمين يرمونهم بالحجارة، وقد حذرهم الروس من فعل ذلك، لكنهم لم ينتهوا، فنادى الروس بإخراج جميع اهل المدينة، فخرج من استطاع وبقي اكثر أهلها لعد استطاعتهم الخروج، فقتل الروس كل من بقي من أهلها ولم يخرج، فقتل خلقا واسر البعض، ثم ان الروس طلبوا من الاسرى افتداء انفسهم مقابل عشرين درهم، فلم يقبل الا ذو العقل منهم، ولما ادرك الروس انه لا يحصل منهم شيء قتلوه جميعاً، وغنموا أموالهم واستعبدوا السبايا، واختاروا من النساء من استحسنوا جمالها^(٣٢).

وصلت اخبار ما فعله الروس الى مسامع المسلمين فاستعظمو الامر، ونادوا بالنفير العام وجمع المرزبان بن محمد الناس وحثم على القتال فانظم اليه خلق عظيم، فبلغ تعداد جيشه ثلاثين الف، وسار لقتال الروس لكنهم لم يتمكنوا الصمود امام قوة الروس، فلجئوا الى قتال الكر والفر فلم يجدي نفعاً، واستمروا على هذا الحال أياماً، فخرج الروس يوماً الى مدينة مراغة واكثروا من اكل فاكهة فأصيبوا بوباء وكثرت الامراض والموتى في عسكريهم وتدهور احوالهم^(٣٣).

وبعدما تعقدت احوال المسلمين لجئ المرزبان الى نصب كمين، وكانت الخطة ان يقوم المرزبان بقاتلهم ثم يتظاهر بالهرب امامهم، فاذا خرج الكمين من خلفهم عاد وقاتلهم، فالتقى بهم المرزبان وقاتلهم ثم تظاهر الهرب والحق به الروس حتى تجاوزوا موضع الكمين ، فصالح المرزبان بالناس ليرجعوا لكنهم لم يرجعوا، فعاد المرزبان واخيه وصاحبه، ولما رأى اهل الديلم رجوع المرزبان لقتال الروس استحيا الكثير منهم فرجعوا وقاتلوا مع المرزبان، ثم نادى بالكمين بالعلامة التي كانت بينهم، فخرج من خلفهم واقتتلوا قتالا شديدا، فقتل من الروس خلقا كثير، وهرب من نجى من الموت الى مدينة بردعة وتحصنوا بها، وكانوا قد نقلوا اليها ميرة كثيرة والسبي والأموال التي كانوا قد غنموها من المسلمين^(٣٤)، ثم تعقب المرزبان فلول الروس المنهزمين الى مدينة بردعة وفرض عليهم الحصار، وزاد الوباء والموت في الروس جراء افراطهم في اكل الفاكهة، وكانوا يدفنون الرجل ومعه سلاحه وماله وزوجته وغلماه ان كان يحبه^(٣٥).

لما زاد امر الروس تعقيدا وراوا ان المسلمين قد اصروا على اخراجهم من المدينة، اخذوا يتسللون ليلا حتى لا يراهم المسلمين عند خروجهم من المدينة، وحملوا معهم ما استطاعوا حمله من الأموال وغيرها من الغنائم، وساروا الى نهر الكر ثم ركبوا سفنهم وهربوا الى بلادهم، ولم يتمكن المسلمون من الحاق بهم واخذ ما معهم^(٣٦)، وعند الصباح وجد المسلمون المدينة خالية من الروس فدخلوها واخرجوا من قبور موتاهم أموالا كثيرة وجواهر^(٣٧).

المبحث الثالث

الحياة الاقتصادية في مدينة بردعة

أولاً: النشاط الزراعي:

تحدثنا في المبحث الأول ما تحلت به مدينة بردعة من موقع جغرافي وتنوع مناخي ووفرة المياه والأراضي الخصبة التي اشتهرت بها المدينة، الامر الذي جعلها تنتج أنواع مختلفة من المحاصيل الزراعية ومنها القمح والشعير ومختلف الفواكه، التي كانت موزعة على مختلف نواحي المدينة، وهذا يعتمد على نوعية التربة والظروف المناخية واشكال التضاريس، ومن بين اهم المحاصيل التي تنتجها مدينة بردعة، هي:

١- الحبوب:

أ- القمح والشعير: يأتيان في مقدمة المحاصيل الزراعية التي كانت تزرع بكثافة في مدينة بردعة، لا سيما في المناطق السهلية، ويعد القمح الغذاء الرئيس للسكان، بينما الشعير فانه يستخدم علف للحيوانات^(٣٨).

ب- الرز: ان كثرة المياه المتوفرة في مدينة بردعة ووفرة الأراضي الخصبة مكنت سكان المدينة من زراعة محصول الرز وبكميات كبيرة، الذي يعد من المحاصيل الزراعية المهمة في حياة الناس^(٣٩).

٢- أشجار الفاكهة:

١- الشاه بلوط: شجر من الفصيلة البلوطية ولها ثمر على شكل نصف جوزة، ومغطى بشوك الكالا، وهو غني بالنشا يؤكل مشويا ومطبوخا، وتشتهر مدينة بردعة بزراعته بكثرة، وهو اجود من الشاه بلوط الشام^(٤٠).

٢- البندق او الفندق: الجلوز من الفصيلة البتولية منه يزرع للزينة ومنه يزرع لثمره، واجود انواعه البندق الحديث الرزن الأبيض، يكون طيب الطعم ويستخدم وهو محمصا مع الانيسون للخفقان والسمون وهزال الكلى وحرقان البول، ومع الفلفل يهيج الباه، ومع السكر يذهب السعال، وتستخدم قشوره المحترقة لإزالة زراق العين، وقيل: ان وضعه في العضد يمنع لدغة العقرب، وبه فوائد صحية كثيرة^(٤١).

٣- التوت: فارسي معرب، واصله الثوث فعربته العرب وجعلته بالتاء، والتوت كذلك ليس من كلام العرب، وان اسمة بالعربية الفرصاد^(٤٢)، وهو فاكهة ثمرها ابيض صغير لا مالك له ومباح لجميع ساكني مدينة بردعة، وكان يصدر منه كميات كبيرة الى معظم البلدان المجاورة منها فارس وخوزستان^(٤٣).

٤- الكروم: واحدة من افضل أنواع الفواكه الصيفية المعروفة، وهي على أنواع عديدة كل نوع يحوي خصائص معينة تحوي فوائد غذائية، وقد اشتهرت مدينة بردعة بكثرة زراعة هذا النوع من الفاكهة، لما له من أهمية غذائية^(٤٤)، وكذلك يستخدمه سكان بردعة في صناعة النبيذ^(٤٥).

٥-التين: وهو من الفواكه الصيفية الغنية بالماء، والتي اشتهرت مدينة بردعة في زراعتها، وقد امتاز تين بردعة بجودة النوعية الذي جعلته يفضل على سائر أنواع التين الموجود في بلاد اران، وكانت البلاد المجاورة لمدينة بردعة تستورد التين من بردعة^(٤٦).

٦-الروقال: فاكهة يقدر حجمها بقدر حجم الغبيراء وله نوى^(٤٧)، وهي حلوة الطعم اذا اكتمل نضجها وادركت، وان لم يكتمل نضجها واكلت ففيها مرارة^(٤٨).

كما اشتهرت مدينة بردعة ببعض النباتات الزراعة ذات فوائد صحية تستخدم لمعالجة المرضى، وأخرى تستخدم في مجال الصناعة ومنها:

١-الفوة: عرق نباتي لونه احمر تستخرج من الأرض ويصبغ بها الثياب والغزل^(٤٩)، وهو حار ويستعمل أيضا لتنقية الكبد والطحال، ويفتح السدد، ويدر البول، ويخرج الاجنة، وان وضع مع الخل على البهق الأبيض ازاله، وان شرب مع الماء والعسل يستخدم لألم الخاصرة وعرق النساء^(٥٠)، وهو شديد الحمرة، كثير الماء، ومائه يستخدم في الكتابة والنقش^(٥١)، وكان يصدر منه الى بلاد الهند ومعظم البلدان^(٥٢).

٢-الكرويا: منها الفارسية والشامية والرومية، وهو نبات عشبي، من فصيلة الخيمية، يزرع موسمين في السنة، وله جذور وتدية وسيقان قائمة ومتفرعة، وله أوراق كثيرة التفصص، وله ثمره فيها بزر صغير الحبة معروف لدى الناس ببزر الكرويا يصنع منها شراب منبه^(٥٣)، وقيل هو تابل من جنس الهدبات ومن نوي الجمم، وهو على أنواع منه البستاني والنانخة، والشبث، والدوقو، ورجل الغراب، وبخور عائشة^(٥٤).

٣-القرنفل: ضرب من الطيب حار، من شجرة هندية وليس من نبات ارض العرب^(٥٥)، وهو افضل أنواع التوابل الحارة واذكاها، منه زهر ويسمى ذكر، ومنه ثمر ويسمى انثى، وزهره اذكى^(٥٦)، ونافع للكبد والمعدة، هاضم للطعام^(٥٧).

ثانيا: النشاط الصناعي:

ذكرنا في بداية هذا المبحث الإمكانيات الزراعية التي امتازت بها مدينة بردعة وفي مختلف المحاصيل، الامر الذي تطلب قيام صناعة تضاهي النشاط الزراعي، والسبب هو ان

كلا الطرفين يعتمد على الآخر او مكمل له، وعلى ذلك اخذت الصناعة بالتطور لوجود الموارد الأولية الداخلة في الصناعة.

اشتهرت مدينة بردعة في صناعة المنسوجات الحريرية وذلك لتوفر دودة الغز التي كان يرببها اهالي بردعة على التوت الذي يكثر فيها لا مالك له، حتى أضحت هذه الصناعة من ارقى الصناعات، وبدأت بتصدير منسوجاتها من الإبريسم والحرير الى بلاد فرس وخوزستان^(٥٨)، كما امتازت بصناعة السجاد والبطانيات والملابس^(٥٩)، والستور^(٦٠).

وقد شهدت مدينة بردعة تطوراً ملحوظاً في مجمل الصناعات الأخرى، بسبب احتواء المدينة على حرفيين في مختلف المجالات، وقد مارس الحرفيون صناعة الفخار والزجاج، وتشكيل المعادن وصناعة الاخشاب، ثم تطورت الصناعة واخذوا بصناعة أدوات مائدة خزفية، واهتدوا الى صناعة المجوهرات وكؤوس زجاجية وباريق واوعية ونبيذ، كما قام سكان المدينة بصناعة التيجان والابواب^(٦١).

ثالثاً: النشاط التجاري:

اوضحنا في المبحث الأول موقع بردعة الجغرافي واهميته الاستراتيجية في انتعاش التجارة فيها، اذ أصبحت مركزاً اقتصادياً كبيراً ومهماً، ومن الطبيعي عندما تشهد المدينة نشاطاً زراعياً وصناعياً ان يكون هنالك نشاط تجاري واضح ، اذ كان من الضروري على أصحاب الحرف والمهن ان يقوموا ببيع الفائض من حاصلاتهم الزراعية والصناعية في السوق من اجل شراء احتياجاتهم من السلع الأخرى التي هم بحاجة اليها، ولم تكن جميع السلع التي يتعاملون بها من انتاج المدينة، بل كان قسم منا يرد اليهم من البلدان المجاورة ومن البلدان كبلاد فارس وخوزستان والعراق، وبلدان أخرى كالهند التي كانوا يصدرون اليها بعض المنتجات والقوة^(٦٢)، وكذلك النسيج والوانى الفخارية وأدوات الزينة والفاكهة التي كانت تصدرها الى خوزستان وفارس^(٦٣)، والاسماك التي تجلب من نهر الكر وكانت انواع مختلفة منها الشورماهي وهو نوع من الأسماك ويكون مملحا، وكذلك الدواقن والعشب، وهما نوعان من الأسماك يفضلان على سائر اجناس السمك بتلك النواحي^(٦٤).

وهذا يعني ان النشاط التجاري في مدينة بردعة كان كبيراً جداً، ويؤكد ذلك ان كان يقوم في المدينة سوق كبير يوم الاحد يسمى (الكركي) وهذا السوق مساحته مقدار فرسخ في

فرسخ، كان يجتمع فيها الناس كل يوم الاحد من كل أسبوع حتى من العراق، كان الناس يتبادلون شتى أنواع السلع ومن مختلف البلدان، وقد غلب على هذا اليوم اسم الكركي حتى ان كثير من الناس اذا أيام الأسبوع قال: الجمعة والسبت والكركي والاثنين والثلاثاء حتى يعد أيام الاسبوع^(٦٥)، كما وجدت في المدينة عملات معدنية تعود الى دول مجاورة لمدينة بردعة، وعملات أخرى تعود الى دول وحكام كانت تمارس التجارة مع مدينة بردعة^(٦٦)، وعندما نزل الجراح بن خصص لها مكيالاً اسماه الجراحي، وكانت ترفع اليه جميع مكايلها واوزانها، وسار ذلك على أرمنيا بأجمعها^(٦٧)، وهذا يدل على العمق والمكانة التجارية التي كانت تتمتع بها مدينة بردعة واهميتها الاقتصادي

رابعاً: الثروة الحيوانية:

أولى سكان مدينة بردعة اهتماما كبيرا في الثروة الحيوانية التي تعد احدى مقومات الحياة الاقتصادية في المدينة، وكان في مقدمة الحيوانات التي اهتم بتربيتها دودة الغز التي تعد المصدر الرئيس الإنتاج نسيج الابرسم بجميع انواعه، وقد ساعدهم على تربيتها كثرة أشجار التوت في المدينة والتي لم تكن ملكا لاحد، الامر الذي شجع سكان المدينة على تربيتها^(٦٨).

كما اشتهرت في تربية البغال التي تمتاز بجودتها والتي تفضل على سائر البغال^(٦٩)، ولم تشر المصادر الى تربية مدينة بردعة الى حيوانات أخرى، ولكن هذا لا يعني انها لم تكن تعني بتربيتها، ولكن ان مصدر رزق سكانها كان منصب على أنواعا محددة لكثرتها وجودتها.

المبحث الرابع

الحياة العلمية في مدينة بردعة

ان اتساع الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً، وتفرق الصحابة (رضي الله عنهم) في البلدان مع جيوش الفتح وهم يحملون العلوم التي تعلموها في مدرسة النبوة، قد حتم على الكثير من طالبي العلم والعلماء ان يجهدوا في الرحيل من اجل الحصول على هذه العلوم من مصادرها الاصلية، وتعد الرحلة من اهم العوامل التي تساعد على ازدهار الحركة العلمية في المدينة، ويمكن ملاحظة هذا الازدهار من خلال دارسة سير وتراجم علماء مدينة بردعة،

اذ ان العلم هو القاعدة الأساسية للازدهار والعلماء هم الذين يدركون أهميته، لذا فقد خرج من مدينة بردعة عدد كبير من العلماء الذين برزوا في شتى صنوف العلم والمعرفة والفنون ومنهم.

١- ابن حرارة:

محمد بن احمد بن علي الاسدي، يكنى أبو الحسن البردعي، ويعرف بأبن حرارة، الامام الحافظ من العلماء الرحالة، ارتحل الى العراق ومصر والشام، كان يحفظ اكثر من ثلاثين الف حديث بغزوين والري، ولم يكن له ورقة، وفي اماليه غرائب الكلام تستفاد منه عامة الناس، سمع حامد بن شعيب و ابا القاسم البغوي وعبد الله بن وهب الدينوري وابن جوصا، روى عنه حسن بن جعفر الطيبي، توفي بقزوين سنة ٣٤٨هـ/٩٥٩م^(٧٠).

٢- أبو سعيد البردعي:

احمد بن الحسين أبو سعيد البردعي، احد كبار الفقهاء مذهب ابي حنيفة، تتلمذ على ابي علي الدقاق، وموسى بن نصر، اخذ عنه أبو الحسن الكرخي، وأبو طاهر الدباس، وأبو عمر الطبري، سكن بغداد سنين كثيرة ودرس فيها، ثم خرج الى الحج فقتل في وقعة الخوارج مع الحجيج في مكة سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م^(٧١).

٣- احمد بن هارون البرديجي:

احمد بن هارون بن روح البرديجي، يكنى أبا بكر، كان رجلاً فاضلاً حافظاً للحديث^(٧٢)، والفقهاء^(٧٣)، ثقة، مأمون^(٧٤)، ارحل الى اصبهان مرتين، وسكن بغداد روى بها عن ابي سعيد وهارون بن إسحاق الهمذاني، ويوسف بن سعيد بن مسلم^(٧٥)، توفي في رمضان سنة ٣٠١هـ/٩١٣م^(٧٦) ولم يتغير شبيهه^(٧٧).

٤- الامام أبو سعيد البردعي:

احمد بن عبد العزيز أبو سعيد البردعي الحنفي الفقيه، كان مفتي في نيسابور، ويعقد مجالس للوعظ على طريقة اهل الورع، وكان يتحدث بالمسائل الفقهية التي تنفع عامة الناس، وهو ميالاً الى الاعتزال، ثم بدأ يحضر مجالس الشافعية ويحب طريقة اهل السنة، ثم ترك الاعتزال ولازم التصوف، توفي ١٨ ذي القعدة سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م^(٧٨).

٥- ابن سعدويه:

مكي بن احمد بن سعدويه، يكنى أبو بكر البردعي، احد المحدثين الرحالة المشهورين بطلب الحديث، نزل نيسابور سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م^(٧٩)، واقام بها مدة ثم ارتحل الى ما وراء النهر، سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م، سمع بدمشق أحمد بن عمير ومحمد بن يوسف الهروي وبأطرابلس ابا القاسم عبد الله بن الحسن بن عبد الرحمن البزار وسمع ببغداد والكوفة أبا جعفر السوداني وأبا القاسم البغوي وأبا محمد بن صاعد واقرانه في البصرة والجزيرة والشام ومصر، واكثر عن ابي جعفر الطحاوي^(٨٠)، وقد كتب في خراسان ما حير به الناس، توفي في مدينة الشاش سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥م^(٨١).

الخاتمة

في نهاية هذه الدراسة تمكنا من الوصول الى جمل من النتائج التي يمكن اجمالها بالتالي:

- ١- ان مدينة بردعة اطلق عليها أسماء عدة وذلك بحسب العصور والدول التي تولت حكمها.
- ٢- ان موضع مدينة بردعة كان يشكل أهمية كبيرة في شتى المجالات فهي تقع في الإقليم الخامس، وعلى الطريق بين اردبيل بدين ثم تغليس.
- ٣- وفي المجال التجاري كانت بردعة مركزا تجاريا مهما لوقوعها على طريق التجارة بين اردبيل وتغليس، ويقام بها سوق مشهور كل يوم احد تقصده الناس من شتى البلاد.
- ٤- تعرضت مدينة بردعة الى العديد من الهجمات من الخزر والروس الذي عاثوا في المدينة الفساد.
- ٥- امتاز مدينة بردعة بتنوع المحاصيل الزراعية المختلفة، وكذلك أنواع الفواكه التي امتازت بجودتها،
- ٦- شهدت مدينة بردعة العديد من الصناعات وعلى مختلف أنواعها واصنافها.

الملاحق:



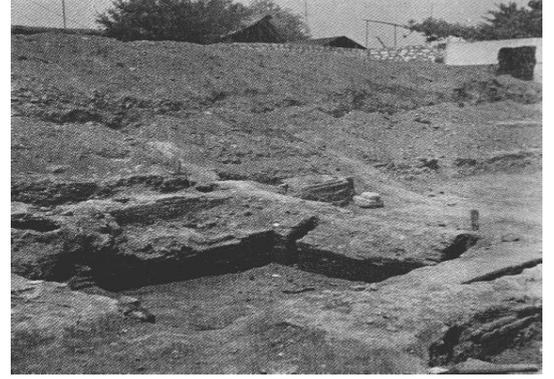
شكل رقم (١) - نظام توزيع المياه في المناطق الحضرية لمدينة بردعة من خلال انايبب طين النضيج (٨٢)



شكل رقم (٢) - بعض القوارير الزجاجية التي كانت تستخدم في مدينة بردعة (٨٣)



شكل رقم (٤)



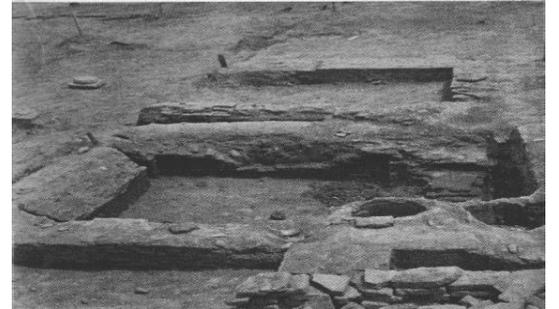
شكل رقم (٣)



شكل رقم (٦)



شكل رقم (٥)

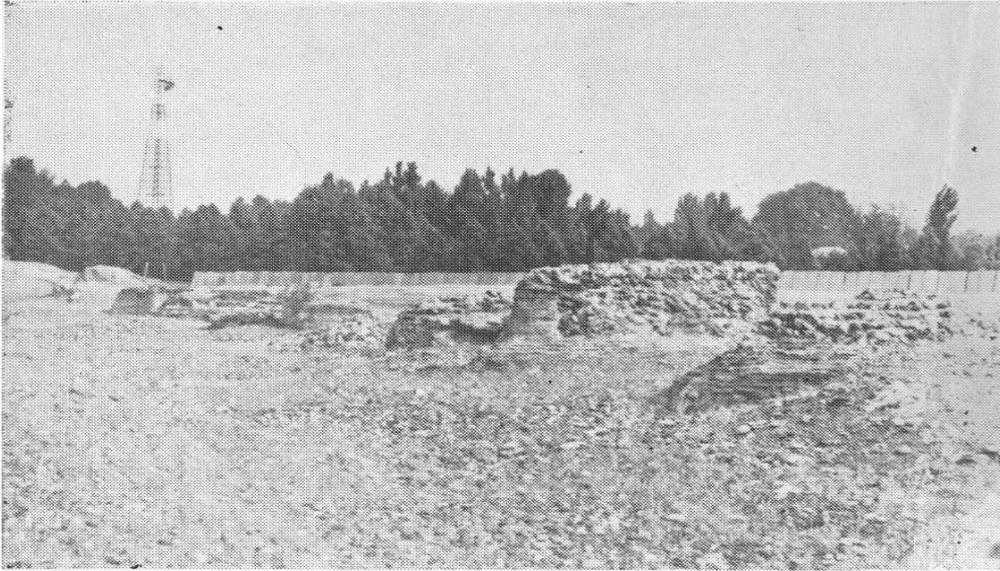


شكل رقم (٧)

الاشكال من ٣ الى ٧ تبين طبقات السكن المحلية في مدينة بردعة، كما تبين وجود افران التور في المدينة (٨٤)



بقايا الجدار الترابي الذي كان حول قلعة تورباك في مدينة بردعة (٨٥)



الاعمدة التي تدعم الجسر الرئيس على نهر الثرثور في مدينة بردعة (٨٦)

هوامش البحث:

- (1) Pourshariati, Parvaneh, Decline and Fall of the Sasanian Empire: the Sasanian- Parthian Confederacy and the Arab Conquest of Iran London: I.B. Tauris, 2008, p. 116, note 613; Dr. J. Marquart, Eransahr, mach der Geographie des Moses Xorenaci, Berlin , Weidmasnaehe Baehhandnug, 1901.pp117-118.

- (٢) الدمشقي، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي طالب الانصاري(ت: ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبع في بطرسبورغ، ١٢٨١هـ/١٨٦٥م، ص ١٨٩.
- (٣) المستوفي القزويني، حمد لله بن اتابك بن نصر (ت: ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م)، نزهة القلوب ، المقالة الثالثة، دزصفت بلدان وولايات البقاع، بسعي واهتمام وتصحيح: كاني ليسترنج، عالم الكتب، ايران، تهران، خبابان، جمهورية، ١٣٦٢، ص ٩١.
- (٤) MINORSKY.V.AHISTORY OF SHAV AN AND DRBAND IN THE 10- 11 THE CENTURIES, W. HEFFEER SONS.LTD.CAMBRIDGE.P263; Anania Shirakatsi. The Geography of Ananias of Širak: Ašxarhac‘oyc‘, the Long and the Short Recensions. Trans. Robert Hewsen. Wiesbaden(1992): Reichert, p.263; H.A.R. GIBB,J. H. KRAMERS, E. LVI-PROVECAL, J. SCHACHT, THE ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM, UNDR THE PATRONAGE OF THE INTERNATIONAL UNION OF ACADEMIES, LEIDEN E. J. BRILL,1986, VOL1.P1040.
- (٥) ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٢٢٩م، ج ١، ص ٣٧٩؛ الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني(ت: ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بلا ت، ج ٢٠، ص ٣١٤؛ اعتماد السلطنة، محمد حسن خان، مرآة البلدان، اعتنا بتصحيح الحواشي والفهارس: عبد الحسين نواتي، مبر هاشم محدث، مؤسسة انتشار دانشگاه، تهران، بلا ت، ص ٣٢٦.
- (٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٧٩؛ الزبيدي، تاج العروس، ج ٢٠، ص ٣١٤.
- (٧) The Geography of Ananias,p263.
- (٨) دائرة المعارف الإسلامية، م ٣، ص ٥٢٢؛ Marquart, Eransahr, pp 117-118
- (٩) المقدسي البشاري، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر البناء(ت: ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر بيروت، بلا- ت، ص ٣٧٥.
- (١٠) الادريسي، ابي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس(ت: ٥٦٠هـ / ١١٦٥م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، ج ٢، ص ٨٢٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٧٩.
- (١١) ابن شمائل القطيعي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق(ت: ٧٢٩هـ / ١٣٣٨م)، مراصد على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجبل، بيروت، ١٤١٢هـ، ج ١، ص ٢٩٤.
- (١٢) الاضطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي(ت: ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، بلا ت، ص ١٨٣؛ ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل(ت: بعد ٣٦٧هـ / بعد

٩٧٧م)، صورة الأرض، دار ومكتبة الحياة للطباعة والنشر، ١٩٩٢م، ص ٣٣٨؛ الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج ٢، ص ٨٢١.

(13) Anania, Shirakatsi. The Geography of Ananias of Širak: Ašxarhac'oyc'.p263.

(١٤) الاضطخري المسالك والممالك، ص ١٨٨؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص ٢٩١.

(١٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٩١؛ المقدسي البشاري، احسن التقاسيم، ص ٣٧٥؛ دائرة المعارف الإسلامية، م ٣، ص ٥٢٣.

(١٦) يا قوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٨٠.

(١٧) المقدسي البشاري، احسن التقاسيم، ص ٣٧٥.

(١٨) ابن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني(ت: ٢٤٠هـ/٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: اكرم ضياء العمري، ط ٢، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٣٩٧هـ، ص ١٥٨.

(١٩) البلاذري، ابي العباس احمد بن يحيى بن جابر(ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، حققه وشرح وعلق

على حواشيه واعد فهارسه وقدم له: عبد الله انيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت،

د-ت، ص ٢٨٥؛ ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد

الكريم(ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب

العربي، بيروت، لبنان، ٢٠١٢م، ج ٢، ص ٤٥٩؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان(

ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري،

ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج ٣، ص ٣١٢.

(٢٠) الثرثور، نهران باران او أرمنييا، يقال لهما الثرثور الكبير والثرثور الصغير، ويبعدان عن مدينة

بردعة اقل من فرسخ. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٧؛ ابن شمائل القطيعي،

ج ١، ص ٢٩٤.

(٢١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٥٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٨٠.

(٢٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٨٠.

(٢٣) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص ١٥٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ٣١٢؛ الياضي، ابي محمد

عبد الله بن سعد بن علي بن سليمان(ت: ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، امرأة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما

يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج ١، ص ٧٠؛ ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن احمد

بن محمد(ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في خبر من ذهب، اشرف على تحقيقه وإخراج

احاديثه: عبد القادر الارناؤوط، حقه وعلق عليه: محمود الارناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج ١، ص ١٨٤.

(٢٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٨٦؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٥٩.

(٢٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٨٦.

(٢٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٨٦.

(٢٧) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص ٢٩١؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٨٨؛ بن تغري بردي، أبو

المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله (ت: ٨٧٤هـ/١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، بلا ت، ج ٢، ص ٢٠٩؛

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ١٧٢.

(٢٨) ابن مسكويه، ابي علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت: ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، تجارب الأمم وتعاقب

الهمم، تحقيق: سيد كسرويه حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج ٥، ص ٢٦٥؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ١٢٨.

(٢٩) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد (ت: ٧٣٢هـ/١٢٣٤م)، المختصر في

اخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، بلا - ت، ج ٢، ص ٩٠؛ ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله عبد المحسن

التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج ٥، ص ١٥٧.

(٣٠) المقدسي، محمد بن عبد الملك بن إبراهيم (ت: ٥٢١هـ/١١٢٧م)، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: البرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،

١٩٨٥م، ص ١٤١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ١٢٨.

(٣١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ١٢٨.

(٣٢) ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج ٥، ص ٢٦٥؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ١٢٩؛ ابن

خلدون، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، تاريخ ابن خلدون) المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق:

خليل شحاذه، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج ٢، ص ٥١٨.

(٣٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ١٢٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٥، ص ١٥٧.

(٣٤) المقدسي، تكملة تاريخ الطبري، ص ١٤١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ١٣٠؛ ابن

خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٦٧١.

(٣٥) المقدسي، تكملة تاريخ الطبري، ص ١٤١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ١٣٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٥، ص ١٥٧.

(٣٦) المقدسي، تكملة تاريخ الطبري، ص ١٤١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ١٣٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٥، ص ١٥٧.

(٣٧) المقدسي، تكملة تاريخ الطبري، ص ١٤١.

(٣٨) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ١٨٢؛ مجهول (ت: بعد ٣٧٢هـ/٩٨٢م)، حدود العالم من المشرق الى المغرب، تحقيق: السيد يوسف الهادي، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ١٢١.

(39) Hoy land. Robertg, From Al-Bania to Arran(the East Caucasus between the Ancient and Islamic ca .330 bce- 1000ce),Gorgias, press,p259.

(٤٠) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ١٨٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٧٩؛ ان دوزي، رينهاد بيتر (ت: ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م)، تكملة المعاجم العربية، نقله الى العربية: احمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٧٩م، ج ٦، ص ٣٨٨؛ اللبابدي، احمد مصطفى (ت: ١٣١٨هـ/١٩٠٠م)، اللطائف في اللغة العربية (معجم أسماء الأشياء)، دار الفضيلة، القاهرة، بلا ت، ص ٣٠٢؛ عمر، احمد مختار عبد الحميد (ت: ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج ٢، ص ١١٥٥.

(٤١) ابن حوقل، صورة الأرض، ج ١، ص ٢٩٠؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٨٢١؛ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت: ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، واخرون، دار المعارف، القاهرة، بلا ت، ج ١٠، ص ٢٩؛ الفيروز ابادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ/١٤١٥م)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، باشراف محمد نعيم العرقوسي، ط ٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ٨٦٩؛ الزبيدي، تاج العروس، ج ٢٥، ١٠٠؛ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مصطفى، إبراهيم، واخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، بلا ت، ج ١، ص ٧١؛ اعتماد السلطنة، محمد حسن خان، مرآة البلدان، باتصححات حواشي وفهارس، عبد الحسن نوائي، مير هاشم محدث، مؤسسة انتشار وجاب دانشگاه تهران، بلا ت، ٣٣٦.

(٤٢) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت: ٣٢١هـ/٩٣٣م)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، ج ٢، ص ١٠٥١؛ الازهري، أبو منصور محمد بن احمد (ت: ٣٧٠هـ/٩٨١م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ج ٨، ص ٢٥٣.

- (٤٣) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ١٨٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٧٩؛
- (٤٤) الادريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٢٨١؛ الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ / ٤٩٥م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، ط ٢، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م، ص ٨٧.
- (٤٥) G . Robert From Al-Bania to Arran.P259.
- (٤٦) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ١٨٢؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٩٠؛ اعتماد السلطنة، مرآة البلدان، ٣٣٦.
- (٤٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٩٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٧٩.
- (٤٨) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ١٨٢؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٩٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٧٩.
- (٤٩) الفراهيدي، العين، ج ٨، ص ٤٠٩؛ الازهري، تهذيب اللغة، ج ١٥، ص ٤١٨.
- (٥٠) الحميري، أبو الحسن نشوان بن سعيد (ت: ٥٧٣هـ / ١١٧٨م)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين عبد الله العمري، واخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ج ٨، ص ٥٤٥١.
- (٥١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص ٣٤٩٥.
- (٥٢) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ١٩٠.
- (٥٣) ابن البيطار، ضياء الدين ابي محمد عبد الله بن احمد الاندلسي المالقي (ت: ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)، الجامع لمفردات الادوية والأغذية، بلا ت، ج ٤، ص ٣٢٤؛ عمر، احمد مختار عبد الحميد (ت: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ج ٣، ص ١٩٦١؛ مصطفى، إبراهيم، واخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، بلا ت، ج ٢، ص ٧٨٥.
- (٥٤) الاشبيلي، ابي الخير (ت: في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، عمدة الطبيب في معرفة النباتات، قدم له وعلق عليه: محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٥م، ج ١، ص ٣٢٠-٣٢١.
- (٥٥) ابن البيطار، الجامع لمفردات الادوية والأغذية، ج ٤، ص ٢٤٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص ٣٦١٥.
- (٥٦) الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج ٨، ص ٥٤٥١؛ الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ص ١٠٤٧.
- (٥٧) الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج ٨، ص ٥٤٥١.

(٥٨) الاضطخري، المسالك والممالك، ص ١٨٣؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٩١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٧٩؛ اعتماد السلطنة، مرآة البلدان، ٣٣٦.

(59) G. Hoyland, From Albania to Arran,259.

(٦٠) المقدسي البشاري، احسن التقاسيم، ص ٣٨٠.

(61)G. Hoyland, From Albania to Arran,259-260.

(٦٢) الاضطخري، المسالك والممالك، ص ١٩٠.

(٦٣) الاضطخري، المسالك والممالك، ص ١٨٣؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٩١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٧٩؛ اعتماد السلطنة، مرآة البلدان، ٣٣٦.

(٦٤) الاضطخري، المسالك والممالك، ص ١٠٩؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ج ٢، ص ٣٣٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٧٩.

(٦٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ج ٢، ص ٣٣٨؛ المقدسي البشاري، احسن التقاسيم، ص ٣٨٠؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٨٢١.

(66) G. Hoyland, From Albania to Arran,259.

(٦٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٨٩.

(٦٨) الاضطخري، المسالك والممالك، ص ١٨٣؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٩١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٧٩.

(٦٩) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت: ٢٥٥هـ / ٨٦٩م)، التبصرة في التجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الامتعة الرفيعة والاعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، ط ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٣٢؛ المقدسي البشاري، احسن التقاسيم، ص ٣٨؛ بارتولد، فاسيلي فلاديميروفيتش، تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، اشرف على طبعة: قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٢م، ص ٤٢٤.

(٧٠) الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الانراؤوط، ط ٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ج ١٦، ص ٢٣٢-٢٣٣؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ، ص ٣٨٧.

(٧١) الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد (ت: ٤٦٣هـ / ١٠٧٢م)، تاريخ بغداد وذيوله، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ، ج ٤، ص ٣٢١؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د-

ت، ج ١، ص ٤٧٤؛ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد(ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، حققه: محمود الارناؤوط، اخرج احاديثه: عبد القادر الارناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج ٤، ص ٨٢.

(٧٢) الاصبهاني أبو نعيم، احمد بن عبد الله بن احمد بن إسحاق بن موسى(ت: ٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، تاريخ اصبهان، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج ١، ص ١٤٨؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ج ٥، ص ٤٠٤؛ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله(ت: ٥٧١هـ/١١٧٦م)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج ٥، ص ٤١٤.

(٧٣) الاصبهاني أبو نعيم، تاريخ اصبهان، ج ١، ص ١٤٨.

(٧٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ج ٥، ص ٤٠٤؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٦، ص ٦٦.

(٧٥) الاصبهاني أبو نعيم، تاريخ اصبهان، ج ١، ص ١٤٨.

(٧٦) ابن العديم، كمال الدين عمر بن احمد بن هبة الله(ت: ٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، د-ت، ج ٣، ص ١١٩٥؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٤، ص ١٢٢.

(٧٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ج ٥، ص ٤٠٤؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٦، ص ٦٦.

(٧٨) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣٤، ص ٨٦؛ محيي الدين الحنفي، أبو محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله(ت: ٧٧٥هـ/١٣٧٣م)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانة، كراتشي، ج ١، ص ٧٥.

(٧٩) السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي(ت: ٥٦٢هـ/١١٦٧م)، الانساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، الجنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج ١، ص ٣١٤؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٦٠، ص ٢٣٨.

(٨٠) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٦٠، ص ٢٣٨؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢٥، ص ٢٣٣.

(٨١) السمعاني، الانساب، ج ١، ص ٣١٤؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٦٠، ص ٢٣٨.

(82) G. Hoyland, From Albania to Arran,p266.

(83) G. Hoyland, From Albania to Arran,p269.

(84) G. Hoyland, From Albania to Arran,p268.

(85) G. Hoyland, From Albania to Arran, p266.

(86) G. Hoyland, From Albania to Arran,266.

المصادر:

- ١- ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم(ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٢٠١٢م.
- ٢- الادريسي، ابي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس(ت: ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- ٣- الازهري، أبو منصور محمد بن احمد(ت: ٣٧٠هـ/ ٩٨١م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- ٤- الاشيلي، ابي الخير(ت: في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، عمدة الطبيب في معرفة النبات، قدم له وعلق عليه: محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٥م.
- ٥- الاصبهاني أبو نعيم، احمد بن عبد الله بن احمد بن إسحاق بن موسى(ت: ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م)، تاريخ اصبهان، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- ٦- الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي(ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، بلا ت.
- ٧- البلاذري، ابي العباس احمد بن يحيى بن جابر(ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، حققه وشرح وعلق على حواشيه واعد فهرسه وقدم له: عبد الله انيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، د-ت.
- ٨- ابن البيطار، ضياء الدين ابي محمد عبد الله بن احمد الاندلسي المالقي (ت: ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، الجامع لمفردات الادوية والأغذية، بلا ت.
- ٩- أبن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله(ت: ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، بلا ت.
- ١٠- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب(ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)، التبصرة في التجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الامتعة الرفيعة والاعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- ١١- الحميري، أبو الحسن نشوان بن سعيد (ت: ٥٧٣هـ/ ١١٧٨م)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين عبد الله العمري، واخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

- ١٢- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم(ت: ٩٠٠هـ / ٤٩٥م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، ط٢، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.
- ١٣- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل(ت: بعد ٣٦٧هـ/ بعد ٩٧٧م)، صورة الأرض، دار ومكتبة الحياة للطباعة والنشر، ١٩٩٢م.
- ١٤- الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد(ت: ٤٦٣هـ/ ١٠٧٢م)، تاريخ بغداد وذيوله، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.
- ١٥- ابن خلدون، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد(ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، تاريخ ابن خلدون(المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحاذه، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- ١٦- ابن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني(ت: ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: اكرم ضياء العمري، ط٢، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٣٩٧هـ.
- ١٧- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد(ت: ٣٢١هـ/ ٩٣٣م)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
- ١٨- الدمشقي، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي طالب الانصاري(ت: ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبع في بطرسبوغ، ١٢٨١هـ/ ١٨٦٥م.
- ١٩- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان(ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- ٢٠- سير اعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الارناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ٢١- العبر في خبر من غير، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د- ت.
- ٢٢- الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني(ت: ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بلا ت.
- ٢٣- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي(ت: ٥٦٢هـ / ١١٦٧م)، الانساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، الجنان، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

- ٢٤- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت: ٩١١هـ / ١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- ٢٥- طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ٢٦- ابن شمائل القطيعي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت: ٧٢٩هـ / ١٣٣٨م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجبل، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ٢٧- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ / ١١٧٦م)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ٢٨- ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد (ت: ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في خبر من ذهب، اشرف على تحقيقه وإخراج احاديثه: عبد القادر الارناؤوط، حققه وعلق عليه: محمود الارناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ٢٩- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد (ت: ٧٣٢هـ / ١٢٣٤م)، المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، د - ت.
- ٣٠- ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- ٣١- ابن مسكويه، ابي علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت: ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسرويه حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- ٣٢- المستوفي القزويني، حمد لله بن اتابك بن نصر (ت: ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م)، نزهة القلوب، المقالة الثالثة، درصفت بلدان وولايات البقاع، بسعي واهتمام وتصحيح: كاني ليسترنج، عالم الكتب، ايران، تهران، خبابان، جمهورية، ١٣٦٢هـ.
- ٣٣- المقدسي البشاري، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر البناء (ت: ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر بيروت، بلا- ت.
- ٣٤- المقدسي، محمد بن عبد الملك بن إبراهيم (ت: ٥٢١هـ / ١١٢٧م)، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: البرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٨٥م.
- ٣٥- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت: ٧١١هـ / ١٣١١م)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، وآخرون، دار المعارف، القاهرة، بلا- ت.

- ٣٦- اليافعي، ابي محمد عبد الله بن سعد بن علي بن سليمان (ت: ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- ٣٧- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٢٢٩م.

المراجع :

- ١- اعتماد السلطنة، محمد حسن خان، مرآة البلدان، باتصحيحات حواشي وفهارس، عبد الحسن نوائي، مير هاشم محدث، مؤسسة انتشار وجاب دانشگاه تهران، بلا ت.
- ٢- ان دوزي، رينهاد بيتر (ت: ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م)، تكملة المعاجم العربية، نقله الى العربية: احمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٧٩م.
- ٣- بارتولد، فاسيلي فلاديميروفيتش، تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، اشرف على طبعة: قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٢م.
- ٤- عمر، احمد مختار عبد الحميد (ت: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- ٥- اللبابدي، احمد مصطفى (ت: ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م)، اللطائف في اللغة العربية (معجم أسماء الأشياء)، دار الفضيلة، القاهرة، ب- ت.
- ٦- مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، بلا ت.

المصادر والمراجع الأجنبية:

- 1- Anania Shirakatsi, The Geography of Ananias of Širak: Ašxarhac'oyc', the Long and the Short Recensions. Trans. Robert Hewsen. Wiesbaden(1992): Reichert
- 2- Dr. J. Marquart, Eransahr, mach der Geographie des Moses Xorenaci, Berlin , Weidmasnaehe Baehhandlnug, 1901.
- 3- H.A.R. GIBB,J. H. KRAMERS, E. LVI-PROVECAL, J. SCHACHT, THE ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM, UNDR THE PATRONAGE OF THE INTERNATIONAL UNION OF ACADEMIES, LEIDEN E. J. BRILL,1986.
- 4- Hoy land. Robertg,From Al-Bania to Arran(the East Caucasus between the Ancient and Islamic ca .330 bce- 1000ce),Gorgias, press.

- 5- MINORSKY MINORSKY.V, AHISTORY OF SHAV AN AND DRBAND IN THE 10- 11 THE CENTURIES, W. HEFFER SONS.LTD.CAMBRIDGE
- 6- Pourshariati, Parvaneh, Decline and Fall of the Sasanian Empire: the Sasanian- Parthian Confederacy and the Arab Conquest of Iran London: I.B. Tauris, 2008.